THE BOOK WAS DRENCHED

كتاب

عنترة بن شداد

الجزء الأول

طبع بنفقة مكتبة الكمال لصاحبيها
انيس وكمال بكداش
في بيروت

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٨

الكتاب الاول

اما بعد حمد الله على آلائهِ ونعمائهِ فهذه قصة عنترة بن شداد بن معاوية ابن قراد العبسي الذي سار بشجاعتهِ وبراعتهِ المثل · وتفرد بين طبقات الناس في الاعصر الأُوَل · وقد طبقنا هذه السيرة عَلَى عدة كتب مصرية وحجازية وسورية حتى جاءت خليقة باقبال اهل المطالعة والذوق السليم · من كل عارفٍ فهيم · والله نسأل دوام توفيقنا وقولنا وعملنا وهو حسبنا واليه المرجع والمآب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل حديث الاولين · عبرة للآخرين · والصلاة والسلام على سيد المرسلين · وآله واصحابه اجمعين ·

اما بعدُ فهذه سيرة فارس الطراد · الضارب بالسيوف الحداد · والطاعن بالرماح للداد · قادح النار من غير زناد · حية بطن الواد · الرفيع العماد · ابي الفوارس الامير عنترة بن شداد · وما وقع له من الحرب العظام · مع فرسان الجاهلية · قبل ظهور الاسلام

فنقول انه لما كثرت العرب في قديم الزمان وضاقت الارض على اولاد نزار بن معد بن عدنان قال لهم احدهم مضر انا ارشدكم واكبركم ووالدي اوصى لي بالملك من بعده فاسمعوا ما اقوله لكم في هذه الساعة فاجابوه بالسمع والطاعة فقال لاخيه ربيعة ارحل يا اخي الى ارض اليمن واتخذها لك وطناً فانها نعم الوطن وانت يا نزار ادخل الى ارض بلاد الشام وسرح فيها ما عندك من الاموال والانعام ووجه باقي اخوته كذلك فسار كل واحد منهم الى مكانه واقام هنالك · قال الاصمعي ولما انتشرت قبائل العرب في الآفاق واستوطنوا في اليمن والحجاز والشام والعراق سميت عرب اليمن بني قحطان وعرب الحجاز بني عدنان وعرب الشام بني غسان وعرب العراق بني شيبان ولما توطنت العرب في بلادها وقعت بينهم الوقائع وحدث الاختلاف على المراعي والمراتع وقد تواترت عنهم الاحاديث مما رواه البلخي وسيار وحماد الراوية وابن قتيبة الفزاري والاشعث الثقفي وابن خداش المثني ونجد بن هشام وجهينة اليماني وغيرهم وقد اخذنا عنهم هذه الروايات والاخبار لتكون تذكرة لمن يأتي بعدنا في غابر الاعصار

قال الاصمعي وكانت العرب في تلك الايام تعبد الاصنام من دون الله · وكان لكل قوم منهم صنم يعبدونه فكان لهم اصنام كثيرة كاللات والعزى والهبل ومناة واساف ونايلة وود وسواع وغير ذلك وكانوا يفتخرون بالانساب والاحساب والشجاعة والبراعة و يقضون ايامهم بالحروب والغزوات والوقائع والغارات فلا يعرفون الحرام من الحلال ولا يبالون بسفك الدماء ونهب الاموال فسلط الله عليهم هذا الجبار الغشمشم القهار

الذي اخضع الرقاب وارغم الانوف وقتل منهم الوف الوف . قال الاصمعي وكان من العرب ثلاث قبائل يقال لها جمرات العرب وهي بنو ضبة و بنو اد و بنو عبس الذين منهم عنترة بن شداد فتغلب على الجميع واطفأ كل جمرة من جميع عربان تلك البلاد فاعتزت به بنو عبس في تلك الايام وسمتهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام فشاع ذكرهم في ذلك الزمان وصار يحمون الطريد و يؤمنون الخائف الفزعان ولو كان عليه من الادمية ما يكل عن وصفه اللسان و يجيرونه من كل انسان ولو كان طالبه ملك او سلطان ومن طلبهم بادروه بالحرب والكفاح ونهبوه بحدود السيوف وأسنة الرماح والفارس منهم لا يولي ولو اثخن بالجراح و يرى الموت احلى من شرب كاس الراح وقد ذكرت الرواة ان نساءهم كانت اشد من الرجال وكانت تقاتل مع رجالها اذا ضاق عليهم المجال وكانت صبيانهم تقاتل الفتيان لانهم يتربون على سروج الخيل و يباشرون الضرب والطعان و يسعون مع آبائهم على قبائل العربان وكان لهم ملك من اجل ملوك الزمان يقال له زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن غطفان بن قيس بن عدنان وكان كاملاً في كرمه وشجاعته وفضله وله ابطال وفرسان تركب لركوبه وتنزل لنزوله كما سيأتي حديثهم واما السبب في تأليف هذه السيرة العجيبة والقصة الفريدة الغريبة فهو اني رأيت الناس قد اكثروا في تلفيق الروايات السقيمة واشتغلوا بالغيبة والثلب والنميمة فاحببت ان اجمع هذه الاحاديث الصحيحة واشغل بها الناس عن سوء العشرة القبيحة

قال الراوي واعجب ما في هذه السيرة العجيبة من الامور الغريبة ان قوماً من بني عبس افتقروا وقل مالهم من كثرة الطارق والوافد والقاصد والوارد فعزموا على الغزوات والسلب من اموال العربان كما جرت عادتهم في ذلك الزمان وكان من جملتهم شداد بن قراد فارس جروة وهي فرسه وكانت من افضل خيول العربان وقد حسدته عليها جميع الفرسان وهو لا يجد عنها سلوة ولا يقبل بها ثمناً ولا رشوة وطلبها منه بعض الرجال . فانشد

الا لا تطلبوا فرسي لبيع	فجروة لا تباعُ ولا تعارُ
لنا في ظهرها حصنٌ منيعٌ	وسيفي وتاتها نورٌ ونارُ
فنفديها اذا جاءت اليِنا	مع الرعيان تتبعها المهارُ
وندخرها لايام الرزايا	فتنجينا اذا طلع الغبارُ
بجروة مهرة في الخيل تسمو	كما يسمو على الابل المهارْ
تطير مع الرياح بغير ريش	ولم يلحق لها ابداً غبارُ

قال وكان من جملة الفرسان الذين اغاروا على اموال العربان فوارس شجعان منهم شداد ابن قراد واليعسوب بن ماجد والحارث بن الشمراخ وعامر بن زائد وتمام العشرة من فرسان بني عبس الاماجد هذا وقد ساروا من ارض بني عبس التي تسمى الشربة وعليها جبل يسمى العلم السعدي فدار تفع فيه كالقبة فانطلقوا وهم غائصون في الحديد مسربلون بالزرد النضيد حتى قطعوا ارض بني عدنان ودخلوا في ارض بني قحطان فجعلوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى اشرفوا على الجبلين اللذين يسميان اجاء وسلمى في تلك الديار فراوا هناك قبيلة جليلة عندها اموال جزيلة وهي قوم يقال لهم بنو جديلة فوجدوا لهم مضارب وخياماً و رايات واعلاماً وراوا اكثر المضارب من الديباج والخلد كانها بحر عجاج من كثر الغلمان والجواري الحسان والعبيد والولدان والخيول المختلفة الالوان والقوم في امان وطمئنان من غير الزمان فلما نظروا الى اولئك القوم واحوالهم وراوا كثرة خيولهم ورجالهم لم يهجموا عليهم وخافوا على انفسهم من المسير اليهم فتركوهم وارتدوا الى مراعيهم فوجدوا الف ناقه ترعى وهي في تلك البطاح تسعى . وكان مع تلك الجمال امة سوداء ترعاها في ذلك البر الفسيح ومعها غلامان صغيران يدوران حول الجمل اذا تعدت تستريح وكانت تلك الجارية عريضة الاكتاف ثقيلة الارداف مليحة الاعتدال كانها غصن اذا تحرك ومال

قال الراوي فلما نظرت بنو عبس الى تلك النياق جدُّوا اليها الخيل السباق وساقوها باعجل سوق الارانب ولدغوها باسنة الرماح من كل جانب فمدت النياق خطاها وقد اوسعت في سعاها والامة والعبدان من ورائها وبنو عبس في اثرها متاهبين للقاء من يلحقها الا انهم ما ابعدوا عن الديار حتى طلع من خلفهم الغبار ومن تحته صياح الابطال وهمهمة الرجال ولم تكن الا ساعة حتى ادركوهم وصاحوا عليهم ويلكم اتظنون انه ينجيكم الهرب ونحن لكم في الطلب فلقد سعيتم بارجلكم الى آجالكم وقدمتم على هلاككم ووبالكم فلما نظرت بنو عبس الى الاعداء وقد لحقتها الموت اعنتها وقومت اسنتها واستقبلوا القادمين وانقضوا عليهم مثل الشواهين وعلا بينهم الصياح واشتد القتال والكفاح حتى جرى بينهم الدم وساح هذا وبنو جديلة قد قل عزمهم وتغلب عليهم خصمهم فولوا من بين ايديهم وعادوا على اعقابهم منهزمين ولديارهم طالبين بعدما قتلت ابطالهم واخذت اموالهم فعند ذلك ساقت بنو عبس النياق والجمال ثم طلبوا الديار والاطلال وجدُّوا في قطع الفيافي والقفار والوديان الى ان امسى المساء فنزلوا على بعض المياه والغدران فنظر شداد الى تلك الامة

التى ساقوها مع النياق فحلت في عينه لامر يريد ان يظهره الملك الخلاق وهي ذات رونق وجمال تستميل اليها قلوب الرجال. ولقد احسن من قال

وفي السود معنى لو عرفت بيانهُ لما نظرت عيناك بيضاً ولا حمرا
ليانة اعطاف وغنج لواحظٍ تعلم هاروت الكهانة والسحرا
ولولا سواد الخال في خد ابيض لما عرف العشاق يوماً له قدرا
ولولا سواد المسك ما كان غالياً ولولا سواد الليل لم تنظر الفجرا

قال فعند ذلك اختلى بها شداد في تلك البطاح. وراودها عن نفسها فابت وقالت حاشا مثلك ان ياخذ بالسفاح فضحك من كلامها ووضع يده بيدها على عقد النكاح ولما رآه رفاقه ارادوا ان يفعلوا كفعله وقد حلت في عيونهم كمثله فاعطاهم الغنيمة كلها حتى رجعوا عنها

قال الراوي وكان اسم تلك الامة زبيبة وجرير اسم ولدها الكبير وشيبوب اسم اخيه الصغير فتركهما شداد مع امها وهو يتفقدها في الصباح والمساء ويد القدرة تقلبها كيف ربها يشاء. ومازالت على ذلك العمل حتى بان عليها الحبل وتداولت عليها الايام والشهور كما يشاء الملك الغفور فلما كانت احدى الليالي اتاها الطلق كما شاء خالق الخلق فباتت تصرخ الى وقت السحر وبعد ذلك جاءت بولد ذكر وهو اسود ادغم افطس المناخر واسع المحاجر مهدل الاشداق مكدر الاماق مفلفل الشعر صلب العظام كانه قطعة من غمام وكان اذا نظر يتطاير من احداقه الشرر ففرح به شداد لما رآه واوصى امهُ عليه وصار في اكثر الاوقات يتردد اليه وكانت زبيبة اذا منعته من الرضاع همهم ودمدم وجذبها اليه كالاسد الغشمشم. ولم يزل ينمو حتى خرج عن حد الرضاع وانتشر ذكره بين القبيلة وشاع وسمع به الذين كانوا مع شداد في الشربة حين اتى بالسبية وكانوا عشرة رجال من اشراف بني عبس الاجواد فطمعوا في اخذ الغلام من شداد ثم انهم اجتمعوا اليه واتوا ووقفوا حواليه واخذ كلٌ منهم يحله الى نفسه حتى هاج بينهم الخصام وكاد ان يقع بينهم ضرب الحسام ونما الى الملك زهير ما كان من امرهم فارسل يستحضرهم ليقف على حقيقة خبرهم وكان عنده يومئذٍ ضيوف من السادات الاقران من آل عبس وعدنان ولم يكن الا القليل حتى اقبل شداد وصحبته العشرة الفرسان فدنوا من الملك زهير وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فسألهم عن ذلك الخصام فاخبروه بما في انفسهم من نحو الغلام

قال الراوي فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تعجب من تلك الاحوال وقال لشداد اريد ان تاتيني بهذا العبد الذي تخاصمتم عليه حتى انظر انا وهؤلاء السادة اليه فمضى

شداد وما غاب القليل حتى اتى بولد صورته كأنها صورة الفيل فنظر الملك زهير الى ذلك الولد واذا هو كالاسد . قال وكان ذلك الغلام له من العمر اربعة اعوام فتفرس فيه الملك واشار بصولجانه فحملق به عينيه حتى خاف ان يسطو عليه فرمى له الملك قطعة لحم من الطعام الذي بين يديه فسبقه كلب وخطف اللحمة وهرب فلحقه الغلام وقد اشتد به الغضب فادركه وامسكه عن عرقوبه بيديه وجذبه اليه واراد ان يخلص اللحمة من فمه فتعاصى عليه فامسكه بشدقيه فشقه الى نصف لوحيه واخذ اللحمة منه ووضعها في فمه اسرع من الطير ورجع يطلب غيرها من عند الملك زهير فلما نظر الملك الى ذلك الفعل تعجب وبهت كل من كان حاضرًا من سادات العرب ثم قال والله ما هذا الفعل الا فعل عنترة يذكر فينبغي ان يسمى هذا الغلام بعنترة

قال الراوي ثم ان الملك التفت الى تلك الجماعة وقال لهم يا بني عمي لا يليق ان يقع بينكم الشر والخصام لاجل هذا الغلام وتصيروا عارًا بين الانام فسيروا وتحاكموا الى قاضي العرب بشار بن قطبة الفزاري وهو يحكم بينكم بما يلهمه الباري فلما سمعوا من الملك زهير ذلك المقال كفوا عن الخصام والجدال وساروا الى قاضي العرب ليفصل بينهم هذا السبب فلما وصلوا اليه شرحوا قصتهم عليه فتفرس القاضي بالولد فرآه يشبه شداد فحكم له به وقال يا قوم كفوا عن الشر والعناد وانزعوا من بينكم الفساد ولا ترموا بينكم الفتنة على غير طائل فتشمت بكم العشائر والقبائل فانقلبوا راجعين ولأوطانهم طالبين وقد ارتضوا بحكمه المبين وقيل ان العشرة كانوا قد اشتركوا في وطيء الامة ولذلك وقعت على الولد هذه المحاكمة فحكم القاضي ان يكشف سترها بين العشرة الاخصام فمن التجأت اليه فهو ابو الغلام ففعلوا كذلك فاستترت بذيل شداد فحكم له بالولد ونال ما اراد وصلوا الى الديار والاوطان فرحت بصلحهم جميع الاهل والاخوان هذا وعنترة ينشو ويكبر ويترعرع ويتجبر حتى اشتدت اوصاله وحسنت احواله وكان مع صغر سنه شديد البطش لا يبالي بالاهوال حتى كانت تهابه الابطال وكانت لا تسلم من شره كل العبيد فاذا اراد امرًا واراده غيره لا يفعل الا ما يريد واذا تجاسر عليه احد منهم اوقع به واذاقه الالم الشديد فكانت تتوارد الوشايات عليه الى شداد والشكايات من جوره الاليم الذي اوقع جميع غلمان الحي في بلاء عظيم فلما رأى شداد التظلم من عنترة من كل جانب وعلم امره وخاف عليه منهم فاراد ان يبعده عنهم ليكفيه شرهم ويكفيهم شره فاعطاه قطيعًا من الغنم وامره ان يرعاهم بين البراري والاكام فاخذها وابعد الى الصحاري

وجعل يطارد الخيل في تلك البراري و يركب الجياد فيتعلم على ظهورها الكر و يقضي بذلك نهاره في ذلك البر وكان متعظماً في نفسه لا يعد ذاته من العبيد والغلمان ولا تطلب نفسه الا ان تكون في اعلى مكان وما زالت تنشدد قوته وتتجدد همته حتى بلغ من العمر تسع سنين وكان كانه من الابطال المعدودين فلما كان بعض الايام اوسع في المرعى بالغنم وتوغل بها بين الروابي والاكم فلما حميت الشمس قصد شجرة يستظل بظلها ثم جلس واسند ظهره الى جذعها وبينما هو جالس وعيناه تضربان الى ما حوله من الابل والشاة خرج عليه ذئب من كبد الصحراء واوغل بين الغنم فشردها في البيداء فلما رآه قدح الشرر من عينيه واقتحمه بعصاه حتى اقبل عليه فالتفت الذئب واذا بالعصا قد شجت رأسه فانطرح يخبط بدمه وقد تخضب من رأسه الى قدمه فعمد عنترة اليه وقطع رأسه ويديه ورجليه وجعل يزمجر كانه الاسد الضيغم ويكلم الذئب ويتبسم و يقول ويلك يا ايها الذئب الاغبر أما سطوت الا على غنم عنترة ثم وضع رأسه ويديه ورجليه في المخلاة وسار وهو يترنم بهذه الابيات

يا ايها الذئب الهجوم على الردى غرّتك نفسك بي فبت سليبا
اتريد اموالي تكون مباحةً ها قد تركتك بالدماء خضيبا
شردت اموالي ولم تكُ عالماً اني هزبرٌ لا ازال مهيبا
لو كنت تعلم ما تلاقي بعدها مني فتصبح للحمام شروبا
لم تأتِ نحوي طامعاً في صيدةٍ صادتك فانقلبت عليك خطوبا
هذه فعالي فيك يا كلب الفلا هلاّ شهدت وقائعاً وحروبا

قال الراوي ثم ان عنترة اقام هناك الى المساء وطلب بيوت بني عبس بالابل والشاة ولما بلغ الحي رمى باطراف الذئب امام امه زبيبة وحدثها بما جرى له مع الذئب وفتكته العجيبة فلما سمعت منه ذلك الامر استهولته واخذت رأس الذئب الى بين ايادي مولاها شدّاد وطرحته واخبرته ان ولدها عنترة قد قتله وقرب اجلهُ فلما سمع منها ذلك الامر المريب ونظر الى كبر راس ذلك الذئب فاستعظم ذلك الامر غاية الاستعظام ورآه من العجائب مع صغر سن الغلام فالتفت الى امه زبيبة وقال لها ويلك لا تفارقي عنترة بعد اليوم وانظري دائماً اليه فاني اخاف ان يسطو بعض الوحوش عليه فلا تخلي عنه في ليلٍ ولا نهار وارعي معه الغنم والنياق والمهار ولكن لا توسعوا في البيداء لئلا يلتقي بكم احدٌ من الاعداء · فقالت زبيبة سمعاً وطاعة فانا لا افارقه ممتثلةً من هذه

الساعة ولما كان عند الصباح سرحت زبيبة واخذت معها اولادها وقد ساقوا الخيل والاغنام والنوق والجمال وطلبوا قدامها المرعى وهي خلفهم تمشي هذا وعنترة يقصد المراعي البعيدة في الفلاة وامه عن ذلك تنهاه وتعلمه بما اوصاها مولاه فكان لا يسمع مقالها ولا يفعل الا ما يريد و يوسع في اقطار الصحاري وتلك البيد و يركب الخيل والمهارة و يتعلم على ظهورها الفروسية والشطارة وهو يسوق عليها في جنبات الاقطار و يطعن بالقصب في اصول الاشجار قال ولما قوي في الضرب والطعان صار يقول لاخيه شيبوب هات اعطني عباءتك يا شاطر السودان فيخلعها و يعطيه اياها فيعلقها على بعض اغصان الشجر ثم يركب و يأخذ القصب و يطعن تلك العباءة حتى يمزقها شذر مذر وعند المساء يرجعون الى الحي فيصبر شيبوب الى ان يظلم الليل ويطلع نجم سهيل فيطرح عباءته الممزقة بين العبيد و يأخذ غيرها من النسج الجديد و يغدو مع اخويه قبل الصباح والعبيد نيام ولا يرجعون الا بعد انسدال الظلام وكان كل يوم واحد من العبيد يفقد عباءه فيتهم بها رفقاه وحينئذ يقع بينهم الخصام و يكثر بينهم الظن والحديث ولا يعلمون من هو ذلك السارق الخبيث و بقوا على تلك الحال من سرقة العبي من السودان مدة من الزمان حتى ضجت اهل الحلة من كثرة الفتن التي تقع بين الرعيان وفي بعض الايام خرج شداد يفتقد الجمال فلما رآه شيبوب مقبلاً خاف ان يرى عبيهم ممزقة على تلك الحال فركض اليه كانه رئم الغزال وقال له يا مولاي اما علمت ما جرى علينا في هذا النهار انه اقبل علينا جراد جرّار فنزل على رؤوس الجمال والفصلان حتى خفنا ان يطفي منها الابصار فخلعنا عبينا وطرحناها على رؤوس الجمال فتخرقت من انياب الجراد كانها مرشوقة بالابال فقال شداد ويلك يا ابن السوداء متى سمعت او رأيت ان الجراد يفعل هكذا بالثياب فقال نعم يا مولاي ما نطقت الا بالصواب لانه جراد كبير الواحدة منه مثل العصفور والبعض اكبر من الزرزور وكان شداد من سذج الرجال فانطلى عليه ذلك المحال ورجع وهو خائف على الخيل والجمال

قال الاصمعي وما زال عنترة يخوض القفار و يطارد على الخيل طول النهار حتى اشتدت اطرافه وعرضت اكتافه فصار اذا شرد البعير منه يصيح عليه فيرجفه وان لحقه وصرخ به يوقفه وكان عنترة يعاقر الجمال و يسحبها من رامها بيديه و يقهرها اذا تجافت عليه واشتهر بهذه القوة والشجاعة حتى هابته العبيد وخاف منه القريب والبعيد

قال الراوي ومما وقع من احاديث العربان انه كان للملك زهير ملك بني عبس

وعدنان مائتا عبد ترعى خيله وامواله واغنامه وجماله وكان لكل ولد من اولاده رعاة وعبيد ترعى جماله في تلك البيد وكان اكبر اولاد الملك زهير يقال له شاس وكان صاحب شجاعة وبأس وتجبر وقوة ومراس وكان هذا الولد هو ولي العهد بعد ابيه ومن تجبره لا يقدر احد ان يقاربه ولا يدانيه وكان لشاس عبد اسمه داجي وكان طويل القامة عظيم الهامة حالك السواد كانه الظلام الساجي وكان لكثرة تجبره كل من عارضه في امر يكون غير ناجي

قال وكان شاس يحبه لاجل شدته وفعاله وحفظه لنوقه وجماله وكان لهذا العبد هيبة من هيبة مولاه وكل العبيد كانت تخافه وتخشاه وهو قد طمع في سائر العبيد وصار يستخدم منهم القريب والبعيد ويهابه الضعيف والشديد الا عنترة فانه كان لا يهابه ولا يخشاه ولا يرعي حرمته ولا حرمة مولاه قال وكان داجي يكره عنترة ويتمنى له الموت الاحمر وكان لبني عبس غدير يقال له ذات الاصاد وهو احسن غدير في تلك البلاد وكانت تشرب منه جميع بنى عبس وعدنان وتسقي منه جميع الرعيان وكان اول من يتقدم قدام ويسقي النوق والجمال والخيل والاغنام داجي عبد الامير شاس وتسقي بعده بقية الناس ولما كان بعض الايام وقد تجمعت الصعاليك والارامل والايتام وكلهم قد اقبلوا ليسقوا جمالهم والاغنام وقد وقفوا كلهم حول الماء وهم قيام وعبد الامير شاس واقف يمنع الناس وقد حمي الغدير من جميع نواحيه حتى يورد امواله واموال مواليه والصعاليك والايتام منتظرون حواليه ولا احد منهم يطيق الوصول اليه ولا القدوم عليه قال فلما غلبهم الحال لعب بقلوبهم الملال فعند ذلك تقدمت عجوز كبيرة من عجائز بنى عبس وكانت من ارباب النعم واعطافها عليها شواهد للصيانة والكرم واقبلت على داجي وتقربت اليه وقد اذلت نفسها بين يديه وقالت له وقد رفعت راسها اليه يا داجي انا امرأة ضعيفة كما تراني والزمان قد اباد اهلي واخواني وبقيت لي هذه الغنيمات التي اعيش من درّها وما ابقى لي الزمان من يقوم بامرها فارحم ضعفي وتذللي ودعني اسقيها واعود الى منزلي واجب سؤالي واسقيها لي ثم سكتت عن الخطاب وهي تنتظر الجواب فما كان من العبد الا انه لطمها فالقاها على ظهرها وهتك بين الرجال سترها وانكشفت عورتها وبان ما كتم من سوءتها . فتضاحكت العبيد عليها وجعلوا ينظرون اليها وكان عنترة من جملة من حضر لانه كان من بعض الرعاة في ذلك البر الاقفر فلعبت باعطافه النخوة العربية والحمية العبسية وزعق بالعبد زعقة الجبار وقال

له و يلك اتهتك ستر النساء الاحرار فلما سمع داجي من عنترة ذلك الكلام صار الضياء
في عينيه كالظلام واشتعلت في قلبه نيران الغضب لان هذا الكلام لا يقدر يقوله له
احدٌ من فرسان العرب ومن فوره هجم على عنترة كالاسد الغضنفر ولطمه لطمة عظيمة
على جبينه لو كانت لغيره لكان مات من حينه فطاش عنترة من تلك اللطمة القاسية
وقال الحاضرون انها لا بد ان تكون عليه قاضية ولما افاق ورجعت روحه اليه تقدم
الى ذلك العبد وامسكه من احدى رجليه ثم اجتذبه والقاه على الارض كالتنين وانقض
عليه كالشاهين ورفعه بيديه الى فوق راسه وضرب به الارض فادخل طوله في الارض
فلما راته العبيد قد مات اجتمعوا على عنترة من جميع الجهات وقالوا له يا ابن الملعونة
قتلت عبد الملك شاس من عاد يا عبد السوء يقدر ان يجيرك من الناس ثم هجموا عليه
بالعصي والحجارة فالتقاهم باعظم جسارة ثم تناول العصا وهجم عليهم كالاسد الرئبال
ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال وصار يحمل عليهم ويحملون عليه ولا يقدرون
ان يصلوا اليه وعنترة يضرب فيهم بالعصا ويميل ويعمل فيهم ما لا يقدر عليه غيره
بالحسام الصقيل . قال وكان من اولاد الملك زهير واحد اسمه مالك كانه البدر اذا
طلع في الليل الحالك وهو بارع الجمال جيد الخصال قوي الجنان فصيح اللسان له وجه
مثل الصبح وقامة اعدل من الرمح وكان ابوه الملك زهير يحبه للطفه وحسن خلقته وكان
يقدمه على سائر اخوته فاتفق انه خرج فى ذلك اليوم لكي يصطاد وسار حتى اشرف على
غدير ذات الاصاد فسمع الصياح قد علا ورأى الغبار قد طبق الفلا فحرك الجواد
وابتدر حتى يكشف الخبر فرأى اولئك العبيد في عدد زائد وكلهم قد احاطوا بعبدٍ
واحد فنظر الامير مالك الى العبد وحقق النظر واذا هو عنترة وهو مثل الاسد الرئبال
تارةً يجمعهم وتورًا يفرقهم في تلك الرمال ودمه يسيل من ضرب العصي والحجارة
وهو مع ذلك يظاهر الشجاعة والجسارة وقد رضي لنفسه بالهلاك والعطب ولم يطلب من
قدامهم الهرب قال فلما نظر الامير مالك الى فعاله قال له لله درك من عبدٍ ما اطول
باعك وما احسن بين هؤلاء العبيد قراعك . ثم انه صاح على العبيد وفرقهم عنه الى
اليمين والشمال وقال لهم ويلكم يا انذال اما تخافون من العار في اجتماعكم على واحد من
الرجال وهو مع ذلك اصغركم عمرًا لانه لم يبلغ سن الكمال ارجعوا يا اولاد اللئام الى
وراكم والا اهلكت بهذا السيف اقصاكم وادناكم ثم انه بعد ذلك مال الى ناحية عنترة
ليكشف عن حاله فسمعه يزمجر مثل الاسد وهو قد ارتجز وانشد

يا نفسي لا تبادري الى الحرب ... فليس ينجيكِ اذا الموت اقترب
ولا تخافي من موارد العطب ... فالخوف ذل عند سادات العرب
واصطبري حتى تفوزي بالارب ... وتنصري على عدوّ قد طلب

قال فتعجب مالك من مقاله وتقدم اليه وسأله عن حاله ثم ادناه اليه وسأله عن سبب قتاله فشرح له خبر العبد داجي والعجوز وقصتها وكيف دفعها بصدرها وكشف عورتها وقال انني لما رايته فعل ما فعل نهيته عن ذاك فلطمني حتى كاد ان ينزل بي الاجل فرفعته بيدي وضربته الى الارض حتى ادخلت بعضه في بعض فلما راى العبيد مني تلك الحال حملوا عليّ و بادروني بالقتال فدافعت عن نفسي الى ان ادركتني و بهيبتك خاصتني ولولا قدومك ايها الملك الهام لاذاقوني البلاء الشديد والموت الزؤام فلما سمع منه مالك ذلك الكلام وكشف عن صحة خبره اعجبته غيرته ومحاماته عن اعراض الاحرار وعلم انه صنديد وجبار فقال له سر في ركابي وكن من عبيدي واصحابي وانا اجيرك من كل انسان ولو كان من مردة الجان ولك مني الزمام وحق البيت الحرام فتقدم عنترة قدامه وقد قبل في الركاب اقدامه وسار من جملة عبيده حتى قربوا من الحي واذا بالملك شاس قد طلع وفي يده سيف يلمع فوق حجرة اسرع من البراق اذا سطع وقد اوغر صدره غضباً على عنتر وقد اقبل ليذيقه الموت الاحمر فاعترضه مالك وقال له يا اخي مالي اراك غضبان فقال ان عبدي داجي قد قتله هذا القرنان وانا اريد ان اقتله ولو كان من دونه الانس والجان فقال له مالك والله يا اخي ليس لك اليه سبيل وقد اعطيته ذمامي ولست بتاركه ولو طار راسي قدامي فلم يعتبر شاس كلامه واراد ان يقتل عنترة امامه فلما راى مالك من اخيه هذه الفعال غضب واستل سيفه للقتال واذا بابيهما زهير اقبل عليهما وقد اتصل به خبرهما فلما راى الامر كذلك رد شاساً عن اخيه مالك وقال يا بنيّ هب لي ولاخيك هذا العبد وانا اعطيك عوضه ما تشاء من العبيد والنقد فاستحى شاس من ابيه ورجع عما كان عزم عليه وتقدم الملك زهير وادنى عنترة اليه وقال له ويلك يا عنتر لماذا قتلت عبد ولدي شاس وانزلت به العبر فاخبره عنترة بالخبر وحدثه بما فعل داجي مع العجوز وكيفية امرها وكيف لطمها وفضحها بكشف سترها وقال له ايها الملك انني لما رايت منه ذلك اخذتني الغيرة على العرض فنهيته عن ذلك فلطمني فرفعته بيدي وضربته الى الارض واسكنته كهفاً لا يخرج منه الى يوم العرض وها انا واقف بين يدي سيدي فليفعل بي ما يشاء فان عفا فمنةٌ وان اهلك فجزاء فتبسم الملك زهير

لما سمع منه هذا المقال وقال وحق ذمة العرب ما قصر هذا العبد في هذه الفعال ثم التفت الى من حوله من الفرسان وقال كاني بهذا العبد من الصناديد الشجعان ويكون له شان واي شان ثم التفت الى شداد وكان قد ركب في جملة الفرسان خوفاً على عبده من العدوان وقال له يا امير شداد هذه نخوتك قد اعطته شدة هذا البأس فوالله ان عاش وهو على هذه الحالة ليكونن احدوثة بين الناس نخذه اليك فاني قد اودعته عندك واستامنتك عليه حتى اطلبه في وقت الحاجة اليه قال ووقع لعنترة في قلب الملك زهير وولده مالك من ذلك اليوم محبة عظيمة لما راوا منه من تلك الاخلاق الكريمة ثم انهم عادوا الى الابيات واجتمعت حول عنترة النساء والبنات والجميع يسالونه عن حاله وهو يحدثهم عن افعال العبيد وافعاله لان خبره قد شاع في الحلة واتت اليه نساء عمومته ومن الجملة بنت عمه مالك التي اسمها عبلة

قال الراوي وكانت عبلة احسن من القمر وهي في العمر اصغر من عنتر وكانت تمازحه وتكثر معه الكلام لانه كان عبدهم وهي بزعمها تقول انه لها من جملة الخدام فلما حضرت في ذلك اليوم مع جملة الناس سالته عن قتله لعبد الملك شاس فقال لها ياسيدتي ما قتلته الا بحسب استحقاقه لكثرة جوره وسوء اخلاقه لانه عمد الى امراة عربية ودفعها في صدرها فالقاها على ظهرها واضحك العبيد عليها عند انكشاف سترها فقالت له عبلة وقد تبسمت في وجهه والله ما قصرت في فعالك واحسنت في شهامتك وانا جميعنا قد فرحنا بسلامتك لانك اليوم عند امهاتنا مثل الولد في المحبة والكرامة وعندنا مثل الاخ لاجل ما لك عندنا من الخدمة ثم ان النساء والبنات بعد ذلك انصرفن عنه وهن متعجبات مما بان منه وهو في سن الاولاد ومحبات له ولا سيما سمية امرأة مولاه شداد وما كان في نساء بني قراد امرأة الا وعنتر يخدمها ويزيد في اكرامها وذلك بعد ما يفرغ من خدمته لزوجة مولاه شداد واحترامها وهي سيدته لانها كانت تامره وتنهاه كما تريد لانه معدود عندها من الخدم والعبيد وكانت عادة العرب ان النساء يشربن لبن النياق في الصباح والمساء وكان العبيد يحلبونه لهن ويبردونه في هبوب الرياح وياتون به الى النساء عند المساء وعند الصباح قال وكان عنتر يفعل ذلك بالجملة مع مولاته سمية ونساء عمومته وبنت عمه عبلة ويسقي بعدهم الفضلة لمن يريد من نساء الحلة ولم يزل عنتر على ذلك المرام الى ان كان يوم من بعض الايام فدخل عنتر بيت عمه مالك فوجد ام عبلة تمشط لها شعرها وقد اسبلته فجلل ظهرها وهو كانه الليل اذا

اغـق وجبينها من تحته كانه النهار اذا اشرق . فهاج في قلبه الغرام وانشد يقول

بيضاء تسحب شعرها من طوله ... وتغيب فيه وهو ليلٌ اسحمُ
فكأنها فيهِ نهارٌ طالعٌ ... وكأنـهُ ليلٌ عليها مظلمُ
زادت محاسنها على من حولها ... فسعى بخدمتها الجميع و يمموا
وكانهـا بدرٌ بدا في تمهِ ... لما بدا خفيت لديه الانجمُ
لا تعذلوني في هواهـا انني ... في حبها انـا مغرم ومتيم
اني ساكنم حبها في مهجتى ... فلعل سعدي ياعبلة يخدمُ

قال الراوي واقام عنتر بعد هذا المقال عدة ايام وليال وقد زاد به البلبال حتى كان يوم عيد من اعياد العرب التي يزورون فيها البيت الحرام و يسجدون لما فيه من الالهة والاصنام فذهب اكثر الرجال والسادات و بقيت النساء والبنات واخرج الذين تخلفوا في الحي ما عندهم من الاوثان واستقبلوها بالسجود وداروا حولها يرقصون وينشدون الالحان فلما رآها عنتر بهت وتحير واطرق راسه وانشد يقول

رمت الفـؤاد مليحةٌ عذراء ... بسهام لحظ مـا لهنَّ دواء
مرت تريد العيد بين نواهد ... مثل الشموس لحاظهنَّ ظباء
فاعتادني سقمي الذي في باطنى ... اخفيتهُ فـاذاعهُ الاخفاء
خطرت فقلت قضيب بان حركت ... اعطـافه بعد الجنوب صباء
ودنت فقلت غزالة مذعورةٌ ... قد راعها وسط الفلاة بلاء
و بدت فقلت البدر ليلة تمهِ ... قـد قلدته نجومها الجوزاء
بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها ... فيه لداء العاشقين شفاء
سجدت نعظم ربها فتمايلت ... لجلالها اربـابنا العظماء
يا عبلَ مثل هواك او اضعافه ... عندي اذا دفع الاياس رجاء
ان كان يسعدني الزمان وان ابى ... فلهمتي في صرفـه ادواء

قال فلما سمعت عبلة من عنتر وصف جمالها وهي بين اترابها صارت تشاغلهن وتقبل عليه بلحظها وخطابها هذا وعنتر باهت ومما جرى عليه صوته خافت وما انقضت ايام العيد حتى دار به العشق والهيام وصارت نفسه تحدثهُ بامور كثيرة مما وقع عنده من الغرام فلما كان اليوم الثاني اتى باللبن وهو مشغول الفؤاد فسقى عبلة قبل سمية زوجة ابيه شداد لان الانسان لا ينقل القدمين الا الى من يميل له القلب والعين فاغتاظت

سمية من سوء ادبه وتعديه ونوت انها تشكوه الى ابيه

قال الراوي هذا ودام عنتر على تلك الحال وزاد به العشق والبلبال وجرت له العادة ان يسقي اللبن اولاً لعبلة ويسقي سمية الفضلة قال فلما كان بعد ذلك بايام اتى الى ابيه شداد عبدٌ يقال له ضاجر وكان من عبيد الربيع ابن زياد وقال له يامولاي ان عبدك عنتر كل يوم يخاطر باموالك ويوسع بها في البر الاقفر وهو بين ذلك يتقلب على ظهور الخيل ويسوقها في القفار ويطعن بالقصب الفارسي ويشغلها عن المرعى والماء طول النهار وهو ينتقل من حصان الى حصان وقد اذاب لحومها بالجريان وانا نهيته عن ذلك فشتمني ولو انني الححت عليه لكان قتلني فلما سمع شداد من العبد ذلك المقال صعب عليه وقال للعبد والله لقد صدقت لانني من يوم سلمته الخيل يرعاها ما اكتسبت شحماً ولا رأيت عليها لحما وهذا دليل على انه يركبها ويضرب بها في الارض ويطير عنها لحومها بشدة الركض فلما سمعت سمية ذلك الخبر وجدت سبيلا الى عذاب عنتر وتكلمت بما في قلبها من الغضب لما فعل معها من سوء الادب فلما سمع بذلك شداد نما غيظه على عنتر وزاد وصبر عليه حتى اتى من المرعى فقبضه وشده شداً وثيقاً وضربه حتى مزق جلده تمزيقاً هذا وامه زبيبة واقفة تراه وهي لا تجاسر ان تكلم مولاه ثم انها خرجت من الخباء وسالت بعد الاموات وهي من الجواري المقيمة للخدمة في الابيات فاخبرتها بشكوى العبد ضاجر عليه وما القى من الفتن وشكوى سمية لمولاه انه يسقي عبلة قبلها اللبن فلما سمعت زبيبة ذلك المقال قعدت وصبرت على تلك الحال وباتت حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فعند ذلك دخلت على ولدها عنتر بجميع ذلك الخبر وقالت له ان ضاجراً عبد الربيع ابن زياد هو الذي شكاك الى مولاك شداد وكذلك سمية تكلمت فيك انك سقيتها اللبن بعد عبلة وابقيت لها الفضلة فلا ترجع ياولدي من اليوم تخالفها فيما تريد والزم معها سنة الموالي والعبيد ولا بقيت تمد عينيك الى مولاتك عبلة فيكون سبب هلاكك بالجملة فلما سمع عنتر ذلك الكلام عمل معه الغيظ فتمطى في كتافه فقطعه ووثب قائماً على الاقدام وانشد يقول

اليوم قتلة ضاجرٍ	عبد الربيع الفاجرِ
فيبيت ملقى في الفلا	رزقاً لوحشٍ كاسرِ
وتقرّ عيني بعده	ويطيب مني خاطري
ان لم اكن في قتله	في الحرب اول صادرِ

لا سرّ قلبي ساعةً وجفا المنام نواظري

قال وانطلق عنتر سائرًا في الفلاة وهو يدور على العبد بين الرعاة حتى التقاه فقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا سعيت بي الى مولاي حتى ضربني واهانني وعذبني ثم تقدم اليه وقبض عليه وشاله من حقويه حتى بان سواد ابطيه وضرب به الارض فادخل طوله في العرض وقال له والله ياعبد السوء ان عدت من اليوم تشكوني الى مولاي ضربتك اخت هذه الضربة وجعلت مسكنك التربة وكان عنتر يحسب انه باقٍ في الحياة فوجده قد ادركته الوفاة فتركه وجد في السير قاصدا بيت الامير مالك ابن زهير واستأذن في الدخول عليه فاذن له فدخل والشرار يتطاير من عينيه واخبره بما جرى له على التمام فنهض الامير مالك على الاقدام وترك عنتر عنده في الخيام وسار قاصدًا ابيات الربيع بن زياد حتى وصل الى المضارب وسأل عنه فقيل له انه غائب وانه عند ابيه الملك زهير وكان ذلك لعنتر من جملة السعادة واسباب الخير ثم انه سار الى بيت ابيه ودخل عليه فرأى عنده وليمة عظيمة لها قدرٌ وقيمة وعنده جميع الامراء فقاموا له تعظيماً لشانه واما هو فبقي واقفاً في مكانه فقال له الربيع اجلس يا مالك بين اعمامك فان الناس كلهم قائمون لقيامك فقال مالك اتحبُّ يا عم ان اجلس ويطيب مني الخاطر فقال الربيع اي وحياة كل من في هذا المكان حاضر فقال مالك لا اجلس حتى تهبني عبدك ضاجر فقال الربيع ما الذي رغبك فيه من دون العبيد فقال لانه عبد نجيب مبادر الى كل ما مولاه يريد فقال الربيع وهبتك اياه وان شئت وهبتك عشرة عبيد سواه فقال له مالك اشهد عليك هولاء السادات لاجل التاكيد والاثبات فقال الربيع نعم واشهد رافع السموات فقال له مالك يا ابن العم قد قتله عنتر واستجار بي واعطيته ذمامي واماني فاعرف انت قدري وشاني فلما سمع الربيع كلام مالك ندم على ما بدا منه ووقعت بغضة عنتر من ذلك اليوم في قلبه لاجل ذلك واما الملك زهير فانه التفت الى ولده مالك وقال له ما الذي جسر هذا العبد الولد الزنا على قتل عبيدنا واراه في هذا اليوم لا يدع عبدًا لنا يلوح بين الخيام فاخبره مالك ان العبد سعى به الى مولاه حتى ضربهُ وادماهُ فقتله لاجل هذا السبب وسقاه كاس الهلاك والعطب قال فضحك الملك زهير من فعل عنتر بن شداد وطيب خاطر الربيع ابن زياد ووهبه عبدين من عبيده الجياد وازال ما كان في قلبه من الاحقاد ولما سمعت عبيد بني عبس بذلك خافوا منه وصار المكان الذي يرعى فيه لا يأتيه احدٌ

من العبيد والرعيان ولا يقرب اليه ولا يدانيه وكان اذا اتى عنتر الى ركايا الماء حتى يسقي خيله وجماله لا يتقدم اليه احدٌ من العبيد حتى يكتفي من الماء ويذهب الى مكان بعيد وبعد ذلك يتقدمون لما في قلوبهم من الخوف الشديد. واما عنتر فان مالكاً عاد اليه واخبره بما جرى وتدبر فلما سمع كلامه طابت نفسه ووثب قائماً على اقدامه وقبل يديه وقال يمدحه ويثني عليه

يامن بجانبه المنيع تعلقت ... دون البرية كلها آمالي
قدطال تثقيلي عليك لحاجتي ... وعلى الكرام تحمل الاثقالِ
اوليتني نصراً وكنت ذخيرتي ... ووقيتني من مهلك وو بالِ
فلاشكرنك طول عمري دائماً ... حتى تعفر في الثرى اوصالي

قال فسر به مالك لما سمع منه ذلك واما شداد فانه لما سمع ذلك نما غيظه وزاد وشكا حاله الى اخويه مالك وزخمة الجواد وقال لهما والله يا اخويَّ لقد ضاقت بي الحيل وحرت في امر هذا العبد السوء لا نني ما ادري كيف العمل واخاف ان يطمع في بعض الاوقات ويقتل من له قدر ونسب من السادات ويلقي الفتنة في الاحياء ونطالب نحن بالدماء من اجل هذا العبد ابن السوداء فقال زخمة الجواد والله يا شداد لقد نظرت موقع النظر وان لم نهلك هذا العبد القانا في غاية الخطر لانه مارد شيطان قوي الجنان فصيح اللسان ولو انه عاقل لما كان له مماثل وما في الامر الا ان نقتله في بعض الاماكن حتى يصير قلبنا من جهته آمن ونخفي امرهُ ونعود وقد بلغنا المقصود ولا يطلع احد على هذا الحال وتبلغ انت الآمال فاستصوب شداد رايه وعزم عليه وانقلب وهو من غيظه لا يدري ما بين يديه ولما كان عند الصباح انفذ مالك بن زهير الى شداد يساله عن عنتر فقبل فيه السؤال وتركه على ما كان عليه من رعي الجمال الى ان مضت مدةٌ من الايام فطلب من اخوته ما دار بينهم من الكلام فركبوا معه وساروا خلف عنتر طالبين قتله واخفاء الاثر قال وكان عنتر في ذلك اليوم قد ساق الاموال عند الصباح وطلب البر والبطاح واوسع في البر بالجمال والخيل والاموال وكان قصده بالبعد عن الديار ان يخلو بنفسه ويلتذ بذكر عبلة وينشد فيها الاشعار فسار حتى غابت عنه المضارب وتذكر ما جرى عليه من المصائب ففاض دمعه على خديه فيض القطر الساكب وكان قد رأى عبلة تلك الليلة في المنام وهي تقبله من فوق اللثام فاهتز لذلك طرباً وهام وانشد يقول

اتاني طيف عبلةَ في المنامِ   وقبلني ثلاثاً في اللثامِ
وودعني فاودعني لهيباً   استرهُ ويشعل في عظامي
ولولا انني اخلو بنفسي   واطفئ بالدموع جوى غرامي
لمتُّ اسىً ولم اشك لانى   اغار عليكِ يا بدر التمامِ
ايا ابنة مالكٍ كيف التسلي   وبعدُ هواكِ من عهدالفطامِ
وكيف اروم منكِ القرب يوماً   وحول خباك آسادُ الاجامِ
وحقِّ هواكِ لا داويت قلبي   بغير الصبر يا بنت الكرامِ
الى ان ارتقي درجَ المعالي   بطعن الرمح او ضرب الحسامِ
نسيم الريح ان ادلجت يوماً   قبيل الصبح بلغها سلامي
وخبرها شديد الشوق مني   اليها في الصباح وفي الظلامِ
وصف حالي وما القاه منها   لجسمي ذاب من الم السقامِ
احاني عن عبيلة طول دهري   فهل يهواك لي رعيُ الذمامِ
وابذلُ مهجتي في كل صعبٍ   اذا ما النقعُ خيم بالقتامِ
فاما ان اشالَ على العوالي   واما ان اعدَّ من الكرامِ
وتخشاني الملوك وتتقيني   وتحذر في لظى الهيجا مقامي
سانهب منهم الارواح نهباً   بسيف باتر عضب حسامِ
انا العبد الذي خبرت عنه   رعيت جمال قومي من فطامي
اروح من الصباح الى مغيب   وارقد بين اطناب الخيامِ
اذل لعبلة من فرط وجدي   واجعلها من الدنيا اهتمامي
وامتثل الاوامرَ من ابيها   وقد قاد الهوى مني زمامي
رضيت بحبكم طوعاً وكرهاً   فجودوا قبل ان القى حمامي
اذا ضيعتموني ما استفدتم   وذكري شاع ما بين الانامِ
فان عابوا سوادي عند ذكري   وجاروا من عنادي في ملامي
فلي قلب اشد من الرواسي   ولوني مثل لون المسك نامِ
وما اسمو بلون الجلد يوماً   ولكن بالشجاعة والكلامِ
وفخري ضرب اعناق الاعادي   وشق الجيف في وقت الزحامِ
رضعت هواك مع لبنى صغيراً   ويوم منيتي انوي فطامي

ايجمل انني اشقى وابلى واضنى فى هواك بلا محام
ومن عجبي اصيد الاسد قهراً وافترس الشبولة في الاجام
وتقنصني ظبي السعدي وتسطو عليَّ مها الشربة بالسهام

قال الراوي ثم سار حتى وصل الى الوادي وسرح الخيل في المرعى ودبت هناك الابل تسعى وكان ذلك الوادى كثير العشب وما في العبيد من يجسر ان يرعى فيه ولا يقربه ولا يدانيه وقد صار العشب هناك مثل قامة الرجل طولا في عرض وقد تراكم حتى وقع بعضه على بعض وكان عنتر يطلبه لاجل ذلك ويقول لعلي اقع فيه على اسد اقتله وافتخر به على كل مملوك ومالك فلما وصل اليه وسرح الاموال بين يديه قعد هو على بعض التلال وصار ينظر الى اليمين والشمال واذا أسد من بطن الوادي قد ظهر وهو يمشي و يتبختر وهو افطس المنخر يطير من عينيه الشرر و يقلب الوادي اذا زأر وهمر وكان لصوته هدير مثل رحى في بئر وله انياب واظافر احد من الخناجر ومخالب امضى من القواضب يسمع الرعد اذا زمجر ويلمع البرق من عينيه اذا نظر قال ولما ظهر وشمت الخيل رائحته شردت وتفرقت عنه الابل وتبددت ونظر عنتر الى ذلك فنزل الى الوادي ينظر ما الخبر والسيف في يده مشهر واذا بالاسد باسط يديه وهو يلعب بذنبه و يضرب به جنبيه والشرار يطير من عينيه فعندها زعق به عنتر زعقة عظيمة كأنها الرعد القاصف او الريح العاصف وقال له مرحبا بك يا ابا الاشبال وصاحب الاهوال واهلاً بكلاب الفلا الذي يفتخر بشدة باسه وقوة مراسه لاشك انك ملك السباع واميرهم المطاع فعد يا ابا الحارث بالخيبة ولا تظهر على نفسك الهيبة فمن انا كمن لاقيت من الرجال انا مهلك الابطال وميتم الاشبال و يلك يا ابخر الفم و يامن قوته الدم تخوفني بزمجرتك وترعبني بدمدمتك فانا لا ارضى اقاتلك بحسام ولا بسنان ولا بدما اسقيك بيدي كاس الحمام ثم انشد يقول

انا الاسدُ الموصوف والبطلُ الذي تخاف الورى من شدتي وطعاني
اكرُّ واحمي مال شداد والدي وارغمُ اعداءي بحدِّ يماني
وترهبنى اسد الفلا وليوثها وما احدٌ الا يخافُ مكاني
اذا هزَّ كفي السيف في حومة الوغى قهرتُ بها في الحربِ كلَّ مدانِ
وها انني القاكَ في ساحة الفضا واسقيك كاساً من ظروفِ الزمانِ
ولستَ اخافُ الموت ان جدَّ جدُّهُ وافهمُ ما القى بكلِّ لسانِ

وها انا ارمي السيف و يحك من يدي   واردیك يا كلبَ الفلا بسناني

قال وفي تلك الساعة اشرف عليه ابوهُ شداد واخواهُ مالك وزخمة الجواد ولما اشرفوا على الوادي نظروه وهو يخاطب الاسد وقد انشد من الشعر ما انشد اختفوا قريباً منه في ذلك المكان حتى ينظروا ما يجري بينهما وماذا يفعلان ثم ان عنتر هجم على الاسد ووقع عليه وقوع البرد ونفخ مثل الثعبان وازبد ووثب اليه حتى ادركه وقبض على شدقيه ويرم عنقه الى كتفيه وصاح به صوتاً ازعج الوادي من جانبيه فالقى الاسد كانه الجذع الممدد وذبحه في الحال واجرق دماهُ على الرمال واخرج الزناد وقدح النار واضرمها في الحطب والعفار وسلخه ووضعه عليها ولم يزل يقلبه وقد ارتفع منه العقار حتى نضج واستوى بهبوب الهواء فعزل راسه الى ناحية عنه ووضع بدنه بين يديه و برك على ركبتيه واكل جميع لحمه ولم يترك سوى عظمه ثم تقدم الى عين ماء بالقرب من الوادي فشرب منها حتى روى الاوام واتى الى شجرة ظليلة وترك راس الاسد له وسادةً ونام وهم ينظرون اليه شاخصين ومن افعاله متعجبين وقد عاينوا جميع مافعل وما منهم الا من خاف واندهل . فقال زخمة الجواد يا اخوي الحمد لله الذي ما رأنا هذا العبد الجسور لان الذي كنا نخاف منه على الخيل والجمال قتله وشواه واكله كما ياكل العصفور وحق ذمة العرب الكرام لا يتقدم اليه احد الا يقتله و يشويه و ياكله مثل ما اكل الاسد . والراي عندي اننا نعود ونترك هيبتنا عليه دائمة وكلمتنا مسموعة قائمة ومافينا من يقدر له على مضرة الا اهلكه بفرد كره . فقال مالك الصواب انكم ترجعون وتحفظون ناموسكم وهيبتكم ولا تخرقون معه حرمتكم فانه ان راى منكم عين الغدر لا يسلم نفسه اليكم وترون منه الاهوال ــــ و بعد هذا لا يعود يطيعكم بل يعصيكم وتخرقون حرمتكم بايديكم قال فعندها عاد شداد واخوه مالك وزخمة الجواد ومافيهم الا من تحير من تلك الدوبة الجسيمة وقد وقعت في قلوبهم هيبةٌ عظيمة ولما كان المساء رجع عنتر بالخيل والاموال فلما رآهُ ابوه شداد تبسم في وجهه واكرمه عند الاستقبال واجلسه معه على الطعام فاكل عنتر والعبيد كلها قيام و بينما هم على تلك الحال دخل رسول الملك زهير على شداد وقال له يا امير تأهب للمسير مع الملك انت واخوتك في بنى قراد لانه عند الصباح قد عول على الرحيل والغزو على اعدائهِ بنى تميم ليمحو اثارهم ويخرب ديارهم ويعجل دمارهم قال فلما سمع شداد ذلك الخطاب اجاب بالسمع والطاعة واعلم اخوته في الوقت والساعة ومن يلوذ بهِ من العشيرة من ارباب الشجاعة وقال لعنتر غداً اسير بفرسان الحي وتبقى البيوت خالية فاوصيك بالبيوت والنسوان واذا خرجت فلا عدت تبعد مع الرعيان

فقال عنتر يامولاي ان فقدما تسلمني عقال اتركني ابقي عمري عندك في الاعتقال · فشكره شداد على هذا المقال ووعده متى عادمن سفرته يعطيه فرساً يركبها وعدةً للحرب والقتال قال ولما اصبح الصباح رحلت الابطال كانها قطع الجبال وفي اوائلهم الملك زهير كالاسد الريبال وهو مدلٌ بملكه وشجاعته غاية الادلال ولما خلا الحي من الشجعان وتخلف فيه البنات والنسوان والعبيد والغلمان صنعمة سمية ولمّة حسنة على غدير ذات الاصاد وذبحت لهم الاغنام وروجت لهم الطعام و وقت المدام وحملت الاماء والعبيد الجفان وكان عنتر في جملة الغلمان وهو بذلك فرحان لان عبلة كانت من جملة النسوان وقد خرجت مثل الغزال العطشان وعليها القلائد والثياب المختلفة الالوان وكان ذلك الزمان زمان الربيع والارض منقوشة بالوان زهرها البديع وقد تحلت لعشاقها في حال اشراقها وساحت غدرانها وفاح خزامها وعبيراتها وسوسنها واقحوانها ففتحت الارض شقائق نعمانها وافتخرت الروابي بحسن الوانها وتجاوبت الاطيار في اعالي الاشجار بطيب الحانها قال واخذت النساء في اللهو والطرب وطرحت عنها الوقار والادب ورقصت البنات الابكار وغنت الجوار ودبت فيها كؤوس العقار وتناثرت الورود على الخدود وظهر السرور من العدم الى الوجود ورقصت عبله مع اترابها فانتزعنتر بميل اعطافها واستطار فؤاده باهتزاز اردافها فلمع البرق من بين ثناياها وامتزجت اقداح خمرها بشهد لماها فزاد بعنتر الخبال وغرق في بحر البلبال وهم ان يهتك ستر العشق في الحال واذا بغبار قد طلع الى العنان وبان من تحته اكثر من مائة عنان وعليها فرسان تحاكي العقبان بالدروع الداودية والرماح السمهرية والخيل العربية والصوارم المشرفية وهم ينادون يالقحطان وقد امالوا رؤوس الخيل نحو النسوان ودارت تصاريف الزمان فبدلت الافراح بالاتراح وعلا من النسوان الصياح ورمين من ايديهنَّ الاقداح وفي دون ساعة اخذوا النسوان سبايا واردفوهن على الخيل وحل بهن الذل والويل ونظر عنتر الى عبلة وقد اخذها فارس جبار ودموعها مثل الامطار وخدودها بدلت بعد الحمرة بالاصفرار وكسي وجهها بعد الجلنار بلون البهار فاسودت في عين عنتر الاقطار واظلم عليه النهار وما كان معه سلاح يقاتل به فاندهش وحار واخذه الانبهار ومن عظم ماجرى عليه عدا على قدميه فلحق الذي اخذ عبلة وهو في آخر الفرسان وقد انقطع عن اصحابه بني قحطان لان عبلة عالجته ساعةً فعاقته عن اتباع رفقاهُ فما احس الا وعنتر قد فاجاهُ ووثب اليه وثبة النمر الحردان وقبض على اذياله وجذبه جذبة الاسد الغضبان فالقاهُ على ام راسه ودق راسه بحجر فقتله

والحقه بن عبر واخذ سلاحه وجواده وترك عبلة في ذلك المكان وقد تبدل خوفها بالامان ولحق الخيل ونزل عليها نزول السيل ورماها بالحرب والويل ونادى يا اوغاد غير امجاد خلوا عن السبايا والاولاد واتركوا البنات والنسوان وعودوا الى بني قحطان بالحرمان والاَّ وحق من رفع الزرقاء وبسط الغبراء جعلتكم رؤوساً بلا ابدان وجعلت لحومكم طعاماً للغربان ثم طعن في المتأخرين واقتحم المتقدمين الى ان خلص بقية النسوان وعلمت به بقيت بني قحطان فعادت اليه الفرسان وكانوا خمسين فارساً مثل العقبان ونظروا اليه وهو يركض في اثارهم وينشد ويقول

انا في الحرب العوانِ — غير مجهول المكانِ
اينما نادى المنادي — في دجى النقع يراني
خاتق الرمح لكفي — والحسام الهندواني
ومعي في المهد كانا — فوق صدري يؤنساني
وهما عندي قديماً — وعليَّ الشاهدانِ
انني اطعنُ خصمي — وهو يقظانُ الجنانِ
يستقي كاس المنايا — وهي تجري من بناني
واذا ما الارض صارت — وردةً مثل الدهانِ
ورايت الدم يجري — لونه احمر قانِ
ورايت الخيل تهوي — في الفلا والموت دانِ
عللاني — انما الدنيا اماني
واسقياني انما اللذةُ — في ما تسقياني
عتقت حتى ظننا — انها قبل الزمانِ
واتت تسعى الينا — في قباء ارجواني
اسمعاني نغمة الاسـ — ـياف حتى تطرباني
اطرب الاصوات عندي — طيب صوت الهندواني
وصليل الرمح في يو — مِ طعانٍ او رهانِ
واعزُّ الناس عندي — ومرادي من زماني
ان ارى عبلة ملكي — في سرور وامانِ

قال الراوي ثم استقبل عنتر تلك الغائرة والفرسان المتبادرة بقلب اصلب من الحجر

وطعن يسبق لمح البصر فنثر الفرسان الصناديد وبددها على ذلك الصعيد وسطا عليهم سطوة شيطان مريد وما زال ينثر الفرسان و يبدد الاقران ويجول فيهم عن اليمين والشمال و ينثرهم على الرمال وهو مثل الاسد الرئبال حتى التقى بمقدم القوم وحار به وسد علية مذهبه وطعنه في جنبه اقلبه وحمل على بقية اصحابه فتركهم على الصعيد كانهم من الجلاميد فوقع في قلبهم الخوف والوجل وحل بهم الويل ودنا منهم الاجل وقال بعضهم لبعض و يلكم اذا كان هذا جرى علينا من عبد لا قدر له ولا مقام وقد فعل بالمقدم علينا هذه الافعال العظام وهو الذي تقدم بنا على هذه الاهوال فكيف اذا تلاحقت به السادات والابطال ياو يلكم اغدوا من هذه الديار والا فلا يسلم منكم ديار فعندها عادوا على الاعقاب وانقلبوا اشر انقلاب فجمع عنتر اسلاب القتلى وعاد وهو قد صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم وانقلب له قلب سمية من البغضة والعناد الى المحبة والوداد وصار في قلبها احلى من الرقاد على اجفان الساهر الدائم السهاد وعاد الجميع الى الاحياء وحلفت سمية امرأة شداد سائر النساء والعبيد والاماء ان لا يظهروا هذا الحديث خوفاً من رجالهن ان يقولوا لهن لماذا خرجتن الى الصحراء وكتم عنتر ما جرى حتى كانه ما سمع ولا درى قال وبعد ثلاثة ايام قدم الملك زهير من غزوة بني تميم ومعه مال عظيم وقدمت ابطاله معه سالمين ورجاله غانمين وفرح المقيمون بالقادمين ولما كان الصباح ركب شداد الى الصحراء يفتقد امواله ونوقه وجماله فراى بين خيله خيلا لا يعرفها وابصر عنتر راكباً على حجرة دهماء يعجز عن وصفها من يصفها فقال شداد اعنتر و يلك لمن هذه الخيول السوابق ومن اين لك هذه الحجرة التي هي كالظلام الغاسق قال وكانت هذه الحجرة التي تحت عنتر هي حجرة مقدم بني قحطان الذي قتله يوم وليمة النسوان و باقي الخيل من اصحابه الشجعان واما الاسلاب فكان عنتر قد تركها في بيت امه زبيبة واوصى اخوته ان يحفظوها من كل ريبة ولما ساله ابوه عن الخيل وعن حجرته التي كانها الليل قال والله يامولاي عبرت على وانا في المرعى خيل غائرة من ارض اليمن ومعها جمال ونياق قد ملأت الافاق ولا تكاد من كثرتها تنساق وكانوا خائفين من التبع فساقوا ما انساق من خيلهم وانقطع منها ما انقطع فسرت على اثارهم وتخطفت هذه الحويلات بعد ادبارهم فقال له شداد كذبت ياولد الزناء وتربية الخناء ما هذه الخيول مما تنقطع عن اصحابها وتعجز تحت ركابها وماتخلو بنفسك الا وكل من عبر عليك قتلته وضممت اسلابه اليك وما تبالي ان كان من اعدائنا اومن بني عمنا

وحلفائنا ولا تزال على هذه الافعال الشداد حتى تربي في ارضنا الشر والفساد ولاجل ذلك قبض عليه وشده بالحبال وقال له اقعد ههنا على هذه الحال فما نريد ان ترعى لنا الخيل ولا الجمال واخذ السوط وضربه حتى راى دمه سال وقال له والله لا يكون منك خير يا انذل العرب ولا بد ان تكون لخرابنا اعظم سبب فلما نظرت سمية ما تم لعنتر فاض دمعها وتحدر وامسكت السوط بيدها فدفعها شداد في صدرها واراد ان يضربها فالقت نفسها على عنتر فجذبها فوقع الرداء عن راسها وبقية مكشوفة الراس منزعجة الحواس وقالت والله ما امكنك من ضربه حتى تضربني قبله وتصرعني في هذه الساعة مثله فرمى السوط من يده وقال لها ويلك يا سمية تهتكين نفسك لاجل هذا العبد ولا تدعيني اصل اليه وبالامس كنت انتِ تحرضيني عليه فما الذي اوجب هذه المحبة والوداد بعد تلك البغضة والعناد فخجلت سمية من هذا المقال وانشدت تقول في الحال

حاشا لربة بيت منك صالحةٍ ... كفت يديك فعادت منك بالخجل

تنزّه العبد عن امر عنيت بهِ ... حاشا لعنتر من شين ومن زللِ

هذا الشجاع الذي عاينت مشهدهُ ... يوم النزالِ كمثل الضيغم البطل

لولاهُ ماكان في الاحياء من رجل ... يخلص المال من اعداك بالعجل

لما اتتنا خيول القوم غائرةً ... من آل قحطان مثل العارض الهطل

اجارنا وحمانا من بعد ما ملكت ... منا البنات ونجانا من الوجلِ

لله فهو ليثٌ في عزيمتهِ ... يحمي الحريم ولا يخشى من الاجل

ليثُ الحروب ونار الحرب موقدة ... يلقى الرجالَ بقلب قدْ من جبلِ

هذا الهزبر الذي عاينت مشهده ... عند اختلاف القنا والطعن بالاسل

لولاه قد كانت الاعداء مالكةً ... رقابنا وتشتتنا من الحللِ

قال الراوي ثم قالت لشداد اطلقه واجلس حتى احدثك بقصته وما هو الذي اوقع من قلبي ما رايت من محبته ثم اخبرته بدعوة النسوان وكيف اغار عليهم بني قحطان وكيف اباد عنتر الابطال والشجعان وفرق الفرسان وقتل مقدمهم في مارق الطعان وانه وحده سبعين فارساً وابلاهم بالذل والهوان وخلص البنات والصبيان ثم انشدت تقول

شداد لو ترني والوجه مكشوف ... وثقل ردفي وراء القوم مردوف

وعبلة اردفوها من ورا بطل ... ودمعها سائل في الخد مذروفُ

نساء عبس حيارى لا سبيل لها ... قناعهن عن الوجنات مكشوفُ

حتى العبيد الاولى من حولهم هربوا | وكل عبد تولى وهو ملهوفُ
نخاضها عنترٌ والشوس ثائرةٌ | وأفقها بغبار الحرب ملفوفُ
وصاننا وحمانا بعد غربتنا | مع الرجال وعرض الكل مقذوفُ

قال فلما سمع شداد كلامها وفهم شعرها ونظامها تعجب من تلك الانعال واطربه ذلك المقال وقال والله ان كتمان هذا الحديث من اعجب العجب وانقياده معي للكتاف اعجب واغرب هذا وعنتر بنفسه مشغول وقد استحسن من سمية ما تقول وما كان لها عنده احسن من مدحها له في ذلك الكلام بانه معدود من الابطال الكرام فعند ذلك انشد يقول

امن سمية دمع العين منحدرُ | ام من لهيب جوى في القلب مستعرُ
قامت تظلاني والسوط ياخذني | والدمعُ من جفنها الفتان منهمرُ
كانها عندما ارخت ذوائبها | بدرٌ بدا وظلامُ الليل معتكرُ
المالُ مالكمُ والعبد عبدكمُ | والروحُ تفديكم والسمع والبصرُ
ستحمدني اذا خيل العدا طلعت | عبسَ الوجوه عليها النقع معتكرُ
الاّ اكفكفها والطعن مختلفٌ | فلا سقيت ولا ارواني المطرُ
سمرُ الذوابلُ عندي ترتوي بدمٍ | وعند غيري تحا كي طعنها الابرُ
والسيف في راحتي تدمي مضاربه | وسيف غيري ما في ضربه اثرُ
والناس صنفان هذا قلبه خزفٌ | عند اللقاء وهذا قلبهُ حجرُ

قال فلما فرغ عنتر من مقاله قام اليه ابوه شداد وحله من عقاله وقد عجب من فعاله وعظم اهواله وعلم ان هذا الكلام ما يخرج الا من صدر فارس همام وبطل درغام واسد هجام نخلع عليه واعتذر اليه فبينما هو معه في تلك الكرامة دخل عبد من عبيد الملك زهير يدعوه الى وليمة العودة والسلامة فاخذ عنتراً معه ومضى فوجد الاحياء منقلبة بالمزاهر ونحر النحائر وقد اجتمع هنالك سادات بني عبس وفرسانها وابطالها وشجعانها فجلس شداد بين اولئك الصناديد وبقي عنتر في الخدمة مع جملة العبيد ودارت اقداح الراح وامتلأت الارض بالافراح وعملت في الرؤوس العقار واخذوا في مناشدة الاشعار وذكر الوقائع والاخبار وسمع شداد كل ذكر وخبر فما سمع احسن مما جرى لعنتر وحدث الملك زهير بما فعل من العبر وما نثر وسمع الحديث كل من حضر فطربوا من فصاحته وعجبوا من شجاعته وقال الملك زهير احضروه الينا فوالله من يوم قتله لعبدنا داجي علمت انه ملجا لنا ولكل راجي ومن كان هذا الفعل فعله يجب ان نرفع محله ثم نادى به فتقدم وقبل

الارض وسلم فناوله الملك زهير القدح وقد غلب عليه السرور والفرح ولما شرب عنتر استنشده الملك زهير الابيات التي رواها عنه شداد فانشدها احسن انشادوصار الملك زهير يشرب و يسقيه بالكاس و يستنشده الابيات وهو يرددها عليه باطيب الانفاس فقال له صديقه مالك بن زهير يا عنتر قد اشتهيت ان تنشدنا شيئاً من اشعارك الجداد كما انشدت اباك شداد حتى يزيد فرحي بك وطربي و يزداد سروري وسرور ابي فقال سمعاً وطاعة وانشد من تلك الساعة

العزّ في صهوات الخيل معقودُ	والنصرُ في السيف يوم الروع موجودُ
مــا ثار نقع عجاج يوم معركةٍ	الاّ اعانتني السمرُ الاماليدُ
كم قسطلٍ خضته لم اخشى غائلةً	ومن فعالي تخشى البيض والسودُ
هناك اقتحم الحرب العوانَ ولي	قلبٌ من الجبل الصلدي مقدودُ
يا ايها الملك الضرغام هل نظرت	عيناك فعلي وهابتني الامــاجيدُ
ملكتني يامليك الارض قاطبةً	وذكركم في اقاصي الارض ممدودُ
انتم ملوك الارض من يعاندكم	يلقى الهوان و يغدو وهــو مفقودُ
فدونكم اسداً ما سل صارمهُ	الا تخرّ له الصيد الصناديدُ
ولا يهابُ لقا الابطال ان كثروا	عنده الكرُّ في يوم الوغى عيدُ
اخوضُ في النقع والابطال جائلةٌ	وانثني وفؤاد القوم مفؤودُ
لا انثني عن مرادي حين اطلبهُ	الاّ به وهــو مقضيٌ ومقصودُ

قال فعند ذلك طرب الملك زهير ومن حضر وسروا جميعاً بعنتر واثنوا على شجاعته وعجبوا من فصاحته وفرح مالك بن زهير بقرب عنتر من ابيه لانهُ كان من جملة اصحابه ومحبيه وخلع عليه الملك زهير خلعة من افخر الملابس وقال له اذهب فمثلك تكون الفوارس ولما كان المساء عاد عنتر مع شداد فرحاً بما ناله من علو القدر ورفعة الجاه وقد زاد في عبلة طمعه وتمكن حبها من جميع اعضاهُ الا انه كتم غرامه وجواهُ ولم يبح الى احد بشكواه لانه نظر الى نفسه بعين العبودية والقوم له موالي ولا يملأ عينه من عبلة الا اذا كان المكان خالي قال ولما كان الصباح ركب عنتر جواده واخوتهُ بين يديهِ تسوق الاموال الى المرعى وهو من خلفهم يسعى وكان اخوه شيبوب من افرس العبيد واخفهم سعياً بين الروابي والبيد حتى كانه شيطان في صورة انسان اذا عدا لحق الغزال واذا طلبته الخيل ضلها بين الروابي والتلال وكان عنتر في اكثر الاوقات ينفذهُ في

المهمات ويذخره لملمات وكان اولاد الملك زهير قد اصطحبوا في دعوة صنعها لهم اسيد اخو الملك زهير وكانوا قد اشتهوا عليه ان يبعدهم عن الحي ويسيقهم على ربوات الرعيان ففعل ذلك المرام وامر العبيد ان تسبقه الى هناك بالاغنام والمدام وذبحوا الذبائح وروجوا الطعام وركب اولاد الملك زهير العشرة وهم شاس وقيس وورقة ومالك وخداش والحارث وكثير وجندل وجندب ونهشل وساروا الى رابية خضراء مشرفة على الصحراء مدبجة الجنبات مزهرة بالنبات فائحة العرصات وحولها عيون جارية وغدران هامية فكانت كما قيل

وروضٌ عبقريُّ الوشي غضٌ ... يشابه حين زخرف بالشقيقِ

سماء زبرجد خضراء فيها ... نجومٌ طالعات من عقيقِ

قال صاحب الحديث فجلس القوم وقدم لهم الطعام فاكلوا واحضروا المدام فعند ذلك انجلت بينهم الكؤوس ودارت الخمر في الرؤوس فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وفي اثناء ذلك مد مالك عينيه فراى عنترا تحتهم في سفح الجبل وهو على جواده كانه قلة من القلال او قطعة فصلت من جبل والخيل حوله ترعى واخواه شيبوب وجرير يودانها الى المرعى فقال مالك بن زهير هذا عنتر بن شداد الذي افتخر وساد والله ان مثله قليل في الرجال لا سيما في فصاحة اللسان وحسن الفعال ثم قال لبعض العبيد ويلك انزل اليه وادعه لكي يتم به سرورنا وتنتظم بمحادثته امورنا فقال شاس ذل ابن الامة اني اراك تحسبه شيئاً كبيراً وتنحل اليه قدراً خطيراً وكذلك ابي بالامس على قدره واستعاد منه تلك الابيات وجعل له قدراً بين السادات ولقد هممت عدة مرار ان اقوم واضرب عنقه بهذا الحسام واسقيه كاس الحمام لولا خوفي من ان انغص على ابي وليمته واكدر عليه عزيمته واما الان وقد انفذت اليه فوالله لئن حضر معنا على هذا المدام لاصرمن حياته بهذا الحسام قال فبينما شاس مع اخيه مالك في الكلام واللجاج والملام واذا بغبار قد علا وثار وحجب السماء عن الابصار وبعد ساعة انجلى وبان من تحته ثلثمائة فارس كالليوث العوابس تحتهم خيول اعوجية وعلى اكتافهم رماح خطية وسيوف هندية تسابق المنية ولما خرجوا من تحت الغبار وانكشفوا للابصار وقربوا من المراعي ورماحهم تتلوى كالافاعي اكبوا رؤوسهم في قرابيص سروجهم ووقفوا واصطفوا وانعطفوا وانفصل منهم عشرة فرسان ابطال شجعان كانهم العقبان وكان اولئك القوم من بني قحطان ضاق بهم المعاش فخرجوا من ارضهم حتى اتوا ارض بني عدنان وصادف مرورهم على مراعي بني عبس الذئاب الطلس

فرأوا الجماعة يشربون المدام والكاس تدور بين القعود والقيام فقال بعضهم لبعض احملوا بنا على هذه العصابة نأخذهم اسارى فان في فدينهم الغنى و بلوغ المنى ثم انهم حملوا عليهم و بادروهم بضرب السيف وطعن السنان وصاحوا هيا آل قحطان فلما راى ذلك بنو عبس تواثبوا الى الخيول واختطفوا الرماح والنصول وجردوا سيوفهم وتحدروا من ذروة الجبل وما فيهم الاَّ من صاح وحمل وغاصوا تحت العجاج وانطبقت عليهم فرسان اليمن انطباق البحر العجاج اذا هاج وماج وتلاطم بالامواج فسمع عنتر بن شداد صياحهم وقد مدوا الى بني عبس رماحهم فخاف عليهم عنتر ان تنهبهم الاعداء فاراد ان يظهر فيهم شجاعته وفخاره لاسيما لاجل مالك بن زهير الذي احبه واجاره فصاح في اخيه شيبوب واسرع مثل الريح الهبوب فادرك عنتر مقدم القوم فاتك بن محبوب فا نقض عليه كالبلاء المصبوب وطعنه بين ثدييه ابرز السنان من بين منكبيه فانطرح فتيلاً بدمائه جديلاً وحمل بعده على الرجال ففرقهم ذات اليمين وذات الشمال ونثرهم با لحسام تحت القتام قال فلما شاهدوا هذا الهول الذي لا يدفع والبلاء الذي لا يرد ولا يرجع لم يبق منهم من يقدر ان يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع ولم يكن منهم الا من طلب الهرب وقد انقطع منهم الطمع ولما نظر عنتر الى ذلك طلب اولاد الملك زهير من خوفه على مالك وصاح في من بين حولهم من الفرسان فارتعدت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان وهو قد اقبل جسمه من الدماء كالارجوان يدوس بحوافر جواده اجسام القتلى وقد خضب بالدماء وابدل وجود القوم عدماً وجعل ما كانوا يطمعون فيه من السلب مصائب ونقماً ولما رأى اولاد الملك زهير واطمأَن عليهم عاد فخاض العجاج وفجر الدماء بحسامه من انابيب الاوداج وجرى من سنانه النجيع مثل المطر وفرق الفرسان في تلك القفر واوقع في قلوبهم الرعب وقد اهلكهم بين الطعن والضرب وكان العبيد الذين في المراعي ألقوا النفير في بني عبس فخاف الملك زهير على اولاده فركب في فرسانه واجناده وتجارت خلفه الفرسان وسارت الشجعان الاَّ انهم ما وصلوا الى مكان القتال الا وعنترة قد فرق القوم شذر مذر وهزّم الابطال ومدّد الفرسان في المجال فعادوا الى الخيام وعنتر بين ايديهم كانه الاسد الضرغام وهو ينشد و يقول

ما زلتُ مرتقياً الى العليـاء	حتى بلغتُ الى ذُرى الجوزاء
فهناك لا الوي على من لامني	خوفَ المماتِ وفرحةَ الاحياء
فلأَغضبن عواذلي وحواسدي	ولأَصبرنَّ على قلىً وجواء

ولاجهدن على اللقاء لكي ارى ما ارتجيه او يحين قضاءي
ولاحمين النفس عن شهوتهـا حتى ارى ذا ذمةٍ ووفاء
من كان يجحدني فقد برح الخفا ما كنتُ اكتمه عن الرقبـاء
مـا ساءني لوني واسمُ زبيبـةٍ اذ قصرت عن همتي اعداءي
فلئن بقيتُ لاصنعن عجائباً ولاخرسن مناطق الفصحاء

قال الراوي ففرح الملك زهير بسلامة اولاده وشكر عنتر على حسن جهاده وسألهم عن الحادثة فحدثوه بجلية الخبر وما فيهم الا من اثنى على عنتر ومدحه وشكر ولما وصل الملك زهير الى مضاربه جدد لاولاده الوليمة واجلس عنتر الى جانبه وسقاه من شرابه ورفعه على جميع اصحابه وخلع عليه من ملابسه خلعة معلمة بالذهب واركبه فرساً من اجود خيل العرب وقلده بسيفٍ محلى مشطب وقال لابيه شداد لا عدت تخفض منزلة عنتر بان يرعى الجمال بعد ما بدت منه فصاحة اللسان وقوة الفعال ودعه يغزو مع الابطال حتى يقال ان لبني عبس عبداً يذل الفرسان و يقهر الشجعان وسماه زهير من ذلك اليوم حامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس قال ومن ذلك اليوم ارتفع موضعه وزاد في عبلة طمعه وهي كانت سبب فصاحته وشجاعته لانه كان كلما ذكرها انطلق لسانه بالشعر والنظام واشتاق الى طعن الرمح وضرب الحسام حتى وقعت هيبته في قلوب الانام

قال وفي اثناء ذلك صار يبعد عن الحي و يغير على القبائل واخوه شيبوب يدله على الاحياء والمناهل فلم يكن يحضر الا ظافراً منصوراً ولا يرجع الا محموداً مشكوراً حتى شاع ذكره في تلك البلاد وصار له احباب وحساد وكان من جملة حاسديه شاس بن زهير والربيع بن زياد وكلما رأياه يفعل ذلك الفعال تزداد بغضته في قلبهما وتكثر بينهما الاقوال ٠ قال الراوي وصار الرجال اذا حضروا على الشراب لا يتناشدون الا ما لعنتر من الاشعار و يتذاكرون بشجاعته وفصاحته وحبه لعبلة وما بينهما من الاخبار حتى نما ذلك الى امها وابيها وسمعا قصائده وتغزله فيها غير انهما لم يكترثا به ولم يلتفتا الى غرامه وحبه فلما كثر الحديث عند ام عبلة دعت به اليها واحضرته بين يديها وقالت له يا عنتر سمعت عنك انك تحب ابنتي عبلة وتذكرها في شعرك ولا تكتم هواها في صدرك وكانت عبلة جانبها وقد ارخت ذوائبها وسمعت امها تقول لعنتر ذلك المقال فتبسمت عن ثغر انقى من اللآل فازداد بعنتر الهيام والبلبال وقال يا مولاتي هل رأيت من يبغض مولاته إي والله احبها وحبها ما انكره بل في كل وقت اذكره وصورتهـا

لا تبرح مقابل ناظري وشخصها طيّ ضمائري وانا اصف ما قد كساها الله من الجمال الذي فاقت به كل ذوات الحجال قال ولما سمعت عبلة كلامه زاد تعجبها وقرب عنتر من قلبها وقالت له يا عنتر ان كنت صادقاً فاسمعني شيئاً من شعرك وصف به محاسني التي ملكت قلبك واوصافي التي سلبت لبك فاطرق الى الارض وتنهد ثم رفع راسه وانشد

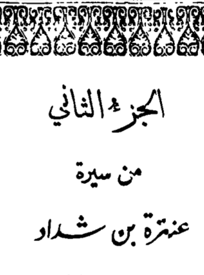
احبكِ حبَّ كرامِ الرجالِ ... واقنعُ منكِ بطيف الخيالِ
وانت محكمةٌ في دمي ... ومالكتي وعليك اتكالي
أيا عبلَ ما تحتويك الصفاتُ ... لانكِ قد حزتِ حد الجمالِ
فان قلتُ وجهك بدرُ الظلام ... فمن اين للبدرِ عين الغزالِ
وثغرك فاق دراري السماء ... فكيف اشبهه باللآلي
ولي في جبينك كل الهدى ... وفي ليل شعرك كل الضلالِ
وتحت لثامك ورد الرياض ... وعيناك تحرسه بالنبالِ
وخصرك يشكو الضني مثل جسمي ... يحمل جرر الهوى وهو بالِ
ومن دون لحظك اسدُ البطاح ... وبيضُ الصفاح وسمرُ العوالي
ووجهكِ كالبدر تحت السماء ... قريبُ الضياء بعيد المنالِ

قال الراوي وكان ينشد هذه الابيات وعبلة وامها باهتتان ومن كلامه متبسمتان الا انه شفي غليل صدره اذا باح حبه ورأى عبلة تنظر اليه بعين المحبة لان الاعين رسل القلوب ولاسيما نظر المحب الى المحبوب فقالت له امها والله يا عنتر ما كنت احسب انك تنطق بمثل هذا الكلام ولا كنت اظن بك هذه الفصاحة في النظام وحق ذمة العرب لقد لحقت باصحاب النسب وسادات ذوي الرتب وشاركت في الشعر فصحاء العرب وانا اطلب لك من بعلي مالك ان يزوجك بخميدة امة ابنتي عبلة التي ليس لها في الحي شبيهةٌ قدّاً ووجهاً ومقلةً فتضاحك عنتر وقال لها وحق رب القدرة لا ضاجعت امرأةً لا امةً ولا حرةً ولا استوى جانبي الا من احب وافديه بالروح والقلب فقالت عبلة بلغك الله امانيك ورزقك زوجةً ترضيك وشاعت ابيات عنتر في الحي بين السادات وتناشدتها العبيد والاموات وذكرت بين يدي شاس والربيع بن زياد وكانا على الشراب وعندهما عمروٌ اخو عبلة وجماعة من العبيد الجياد فقال شاس والله لقد اعجب هذا العبد السوء بنفسه وترفع عن العبيد الذين هم من ابناء جنسه فقال الربيع والله يا شاس ما ترك له هذا الذكر بين السادات الا ابوك واخوك مالك صاحبا المهمات ولا جاهما

مضى عبدك داجي وعبدي ضاجر وراح دمهما هدرًا بيد هذا الفاجر و بالامس اجلسه ابوك مع السادات واستعاد منه تلك الابيات وهذا الذي اطمعه في البنات العربيات .
وما زالا على مثل ذلك الكلام حتى انجلا عمرًا اخا عبلة بين القدح والملام فقال والله يا ربيع ان القتل اهون علي من هذا الصنيع وقد عرضت به لابي عدة مرار وهو يقول لي انه عبدٌ ابن امةٍ ليس له شان ولا مقدار وان نحن طردناه وابعدناه اجاره الملك زهير وحماه ثم ان عمرًا قال والله لئن سمعته يذكر اختي ايضًا في شعره لاسفكن دمه ولو وضعه الملك زهير في حجره فقال الربيع دع هذا ولا تدنس سيفك بدمه وانا اشير عليك في عدمه نكمن له غدًا عشرين عبدًا من عبيدي الاجواد ونجعل عليه العيون والارصاد حتى يخرج منفردًا فيقتلونه و يخفون اثره ولا يعلم احدٌ خبره على ان عبدي بسام اخا ضاجر قد همّ بقتله مرارًا وانا ارده عن هذا الارب خوفًا من ان الملك زهير يغضب واما الآن وقد صار الامير شاس من مساعدينا على قتل هذا القرنان فلا نخشى بذلك ضررًا ولو تعرضت دونه قبائل الانس وطوائف الجان فقال شاس وحق البيت والمقام الرفيع اني معين لك يا ربيع ولو شاققت ابي واخواني الجميع ولكم عشرون عبدًا من عبيدي الاجواد والفرسان الجبابرة الشداد الذين لاقوا معنا كل شدة وهم لنا عدة وعمدة قال وما انقضت الدعوة حتى تعاهد شاس والربيع بن زياد على قتل عنتر بن شداد فوضعوا عليه العيون والارصاد واكمنوا له ثلثين عبدًا مثل الآساد قال وكان لشداد بنت من غير سمية يقال لها مروة وكانت متزوجة في بني غطفان برجل يقال له الحجاج بن مالك فاتفق ان زوجها زوج اخته عند ذلك برجل يقال له ماجد ابن الليث الغطفاني فلما راجعت الدعوة جاءت مروة في جماعة من النسوة لكي تدعو شدادًا اباها ومالكًا عمها واخاه زخمة الجواد ومن يقرب اليهن من بني قراد ودعت سمية امرأة شداد ونساء اعمامها ومن يلوذ بهن من النساء الاحرار والبنات الابكار واجتمع الرجال مع الرجال والنساء مع النساء في السير بعد ما استأذنوا الملك زهير هذا وقد سبقت الفرسان النساء بنصف يوم وخرجن النساء بعدهم بالهوادج والاهلة والسجوف والاكلة وعلى الهوادج الثياب المقصبة والعصائب المذهبة وهن قد ارخين الذوائب والشعور على الاكتاف والخصور وابرزن وجوهًا مثل البدور سود المقل بارقات الثغور والاماء قدام الهوادج بايديها الدفوف والعبيد متقلدون بالسيوف وعنتر بينهم في الجملة يخدم نساء اعمامه وامرأة ابيه وعبلة وهو من دون العبيد راكب على جواد ادهم كانه الغياهب متقلدٌ

بجسام قاضب معتقل برمح كاعب وهو قد ماشى عبلة يناظرها في المسير وقد خلبت لبه وملكت قلبه ولازمها في الطريق يخدمها وهي تهزأ به لانه عبدها وامها تضحك عليه كلما رأته يخدمها و يودها وتقول له يا عنتر اتعرف قدر ابنتي وشانها فيقول إي وحق من خلق السماء وشاد بنيانها ولو قدرت لما رضيت لها بمكان دون سواد ناظري او طي ضمائري وما زالوا على تلك الحال يقطعون القفار وعنتر محاذي عبلة ينشد فيها الاشعار حتى انقضى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار فحلوا الرحال عند ذلك ونزلوا على غدير هنالك فتولى عنتر حرس القوم الى فجر ذلك اليوم حتى اذا ارادت العبيد ان ترفع الهوادج وتشد الرحال ليتمموا ذلك الارحال واذا بالغبار قد ملأ القفار حتى سد الفجاج وعاد النهار كانه ليل داج و بعد ذلك انجلى عن خيول تندفق مثل الرياح تلمع عليها اسنة الرماح وشفار الصفاح وفي دون ساعة جلت الخبرة عن مئة فارس كانهم الاسود القناعس وفي اوائلهم فارس صنديد كانه البرج المشيد له صدرٌ واسع و بأس شديد وهو قد لبس فوق درعه ثوبًا اسود مثل الحديد وهو ينادي من قلب قريح وفؤاد جريح الثار الثار البدار البدار قال وقد ذكرنا ان شاس بن الملك زهير والربيع ابن زياد بغيا على عنتر بن شداد ووضعا عليه العيون والارصاد حتى علما بمسير عنتر مع بني عبس وعدنان ونساء بني قراد الى بني غطفان وغابت عن الحي الرجال والفرسان وان عنتر قد تخلف للسير عند الصباح فدعوا بالعبيد المذكورين وقلداهم بالسيوف والرماح واخرجاهم في ذلك الليل الاغبر لكي يفتكوا بعنتر واوصاهم الربيع ان يكمنوا له في وادي الغزال فاذا اشرف عليهم عند الصباح يتبادرون اليه بالاسنة والنصال على ان لا يؤذوا النساء ولا يأخذوا من اموالهم ولا عقال وقد ذكرنا ان عنتراً ظهر عليه من ذلك الغبار مائة فارس كرّار وكان ظهورهم من ناحية وادي الغزال حيث اصبح عنتر والنساء والجمال وكان لهم حديث وسببٌ يا لهُ من سبب وان الزمان يأتي بكل عجب وينقلب باهله اي منقلب وذلك ان العبيد ساروا عن حلل بني عبس وفي اولهم عبد الربيع وبسام حتى اشرفوا على وادي الغزال وحاولوا ان يكمنوا فيه تحت ذيل الظلام واذا بفرسان قد اغاروا عليهم وفي ايديهم السيوف القواطع والاسنة اللوامع ونادوا بهم اثبتوا يا فتيان قبل ان تطير رؤوسكم عن الابدان وتخوض

انتهى الجزء الاول من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الثاني



الجزء الثاني

من سيرة

عنترة بن شداد

في قلوبكم اسنة الاشطان فلما سمع بسام ذلك المقال نبه اصحابه للقتال ومد رمحه بين اذاني الجواد وقال لهم اما تعلمون اننا من ارض بني عبس الآساد فمن انتم وممن وما شانكم في هذا الواد فقال المقدم لبسام ويلك يا ابن العبيد اللئام سواكم والله لسنا طالبين واليكم اتينا قاصدين ولسفك دماكم ونهب اموالكم قادمين ولا بد ان نشتتكم بين الاوغار والانجاد لا سيما ان كان فيكم ذلك العبد السوء عنتر بن شداد قال وكان هؤلاء الجماعة من قوم يقال لهم بنو المصطلق والمقدم عليهم غالب بن وثاب وكان عنتر قد قتل له اخاً يقال له ماجد وعفره بين الشعاب وتركه ماكلاً لضواري الغاب وكان اخوه غالب غائباً في سفر فلما قدم اعلموه بالخبر فشق جيوبه وعظم مصابه وكثر حزنه وانتحابه وما اقام في اهله اكثر من ثلاثة ايام وسار في سبعين فارساً كانها اسد لاجام يطلب بني عبس لياخذ بالثار وهو يقول ان كان عبد بني عبس قتل اخي فانا اقتل ساداتهم الكبار والقي الخوف في ارضهم وابددهم في كل بر وفدفد ولا اعود الا براس ذلك العبد الاسود ولم يزل سائراً حتى اشرف على وادي الغزال واكمن بمن معه من الرجال ثم انفذ بعض العبيد يأتيه بالخبر فمضى وعاد بعد ثلاثة ايام واخبره بالخبر وان بني عبس في الاثر وبعد قليل تصل النساء ويينهن عنتر

فلما سمع غالب هذا الكلام داخله الطرب وصاح من شدة فرحه يا للعرب لكم البشارة بالاموال والذهب واخذ الثار وبلوغ الارب واقام في من معه منتظراً في ذلك الواد حتى اشرف عليهم بسام عبد الربيع بن زياد ومن معه من العبيد الاجواد واعلمهم غالب بانهم ما اتوا الا لقتل عنتر طالبين وعلى هلاكه معولين فلما سمع بسام كلام المقدم قال ياقوم نحن قد اسعفنا من كل جانب لان كلاً منا ما اتى الا وهو لقتل عنتر طالب ونحن ايضاً موالينا بني عبس قد ارسلونا في طلبه حتى نسقيه كاس عطبه وهو اليوم

واصل مع النساء المدعوات الى بني غطفان فان شئتم نقتله ونعطيكم راسه فانه قد اصاب بعضنا بالظلم والعدوان فقال مقدم القوم ما نريد منكم مساعدة ولو لم تخبرونا بخبر قد ثبت عندنا لم نبق منكم نسمةً واحدة ولكن عاهدونا على انكم لا تكونون علينا مخامرين والا بذلنا فيكم رماحنا وسيوفنا اجمعين واخذنا منكم بالثار وجرعناكم كاس البوار فعاهدهم بسام واخذ منهم الذمام وقد راى ذلك صوابًا في قضاء حاجة مولاه فطاوع غالبًا وجاراه وقال لاصحابه نحن نكون من كل جانب منصورين وعند بني عبس مشكورين لاننا ان راينا عنترًا قد اضعف هؤلاء القوم وبقوا في عددنا او اكثر منا بقليل ما نمكنهم من اخذ الحريم وان رأيناهم قتلوه من اول حملة انفذنا بعضنا الى الحلة وقاتلناهم حتى تدركنا الرجال والفرسان بالجملة ونخاص نحن النساء ونبلغ من قتل عنتر ما نشاء فقالت العبيد افعل ما تريد فكلنا لك عبيد ونحن على طوع رايك السديد فنزل بسام وكان قد انجلى الظلام واختلط هو واصحابه بالقوم واكلوا الطعام واحتكم بينهم الزمام وجعلوا يحدثونهم بفعال عنتر وهم له منتظروا الاثر هذا وان عنترًا كان كما تقدم قد عول على الرحيل واذ قرعه الصهيل واقتحمته السوابق ولمعت فوقها البوارق وكانوا قد ركبوا صباحًا وقصدوا عنتر وخافوا ان يكون في الليل قد عبر فنظروا الى لمعان الهوادج والاساور والدمالج وهم بالثياب الفاخرة والزينة الباهرة فصاحوا الثار الثار الغنيمة الغنيمة ولعبوا على صهوات خيولهم واشهروا مرهفات نصولهم ومدوا الى عنتر برماحهم واقبلوا عليه بصياحهم فعلا من النسوان البكاء والعويل والاشتكاء ونظر عنتر الى عبلة ودموعها تنحدر على خدودها وقد جرت على نحرها وعقودها وسمية وام عبلة تصيحان بالويل والحرب وقد خشيتا على العرض والنسب فتقدم الى ام عبلة وقال لها انزوجيني عبلة حتى ارد هذه الخيل من اول حملة واعطيك اسلابهم وخيولهم من بعض الصداق واتركهم مبددين في الآفاق فقالت له ويلك ياعنتر او في مثل هذا الوقت يكون المزاح والاجساد قد كرهت الارواح فقال عنتر لا وحق خالق الصباح ومنسم الرياح ان وعدتني بذلك رددت هذه الخيل كلها على اعقابها واعطيتك كل عددها واسلابها فقالت دونك الخيل ولك ما تريد غير انها لم تضمر له الوفاء لانه من العبيد وذلك منكر عند العرب ان تزوج الحرة بعبدٍ لا نسب له ولا حسب وان عنترًا لما سمع ذلك سر غاية السرور وبدت عليه وسائم الحبور وقال لام عبلة عاهديني على هذا فعاهدته وبكل جميل وعدته فعندها ركب الجواد وتهياء للجلاد وامر العبيد ان تترك الجمال وتحل

الرحال وقال لاخيه شيبوب ويلك احمي بنبالك ظهري وانا التقي الخيل بصدري ثم انصب على القوم كانه عارض المطر وصاح وزمجر والتقاهم بالاسمر والابتر ففرقهم شذر مذر . طعن الاول في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره واتاه الثاني فالقاه والثالث اورده فناه والرابع جعله عبرة لمن يراه والخامس الحقه برفقاه والسادس اعدمه الحياه والسابع قطع من الدنيا مناه والثامن جعله يختبط بدماه والتاسع ترك القرمأواه والعاشر ناحت عليه اهله واقرباه وشيبوب من وراه يطعن بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وعنتر يجندل الابطال ويطوحهم على الرمال وهو يهدر ويزمجر كالاسد الرئبال قال فلما نظرت القوم الى افعاله توقفوا عن حربه ونزاله وتفرقوا عنه ونفروا من قتاله وهو قد غاص بينهم كالاسد الجسور وسيفه قد طوق النحر ورمحه خاض في الاحشاء والصدور فبددهم ذات اليمين والشمال ومددهم على الرمال وشيبوب يحمي ظهره بالنبال اذا قصدته الخيل في المجال حتى اخلى السروج من ركابها وخضبها بدماء اربابها وقد اهلك منهم ثلاثين فارساً من كل اصيد وجبار وجعلهم قوتاً لطيور السماء وضواري القفار وكان جواد عنتر قد كلّ وملّ وعلم انه قد انحل فنزل عنه وركب غيره من الخيل الغائرة وعاد الى المجال وطلب البراز والنزال وهاج كما تهيج فحول الجمال وانشد وقال

اذا اشتغلت اهل المدامة بالكاس او اغتبقوها بين قس وشماس
جعلت مقامي تحت ظل عجاجة وكاس مدامي قحف جمجمة الراس
وصوت حسامي مطربي وبريقه اذا اشتد عتم الجو بالنقع مقباسي
ومن قال اني اسود ليعيبني اريه بفعلي انه اكذب الناس
فسيري مسير الأمن يا ابنة مالك ولا تجنحي بعد الرجاء الى اليأس
فلو لاح لي شخص الحمام لقيته بقلب شديد البأس كالجبل الراسي

قال الراوي واما عبيد بني عبس فلما رأوا ما فعل عنتر بالقوم انقطعت ظهورهم وارتبكت امورهم وقال لهم بسام عبد الربيع ويلكم اشكروا الله ان وقع لنا هؤلاء القوم وقاتلوا عنا في هذا اليوم وقد فدونا بانفسهم من هذا البلاء لكننا الآن معفرين في الفلاء قال ونظر مقدم القوم غالب بن وثاب الى ما اصاب اصحابه من العذاب فقال يا للمصيبة لو علمت ان الامر يقضي الى هذه الحال كنت خرجت من اول الامر الى القتال وسبقت الى قتل هذا القرنان قبل ان يحل ما احل برفقاءي الفرسان ولكن اهملت امره حتى بلغ من امره هذا الشان ثم انه وثب الى الميدان وعليه درع حسن

النظام جيد اللحام وهو مقلد بسيف ابتر ماضي الحدين مسهر ان ضرب به شطر وان هزه طار منه الشرر وفي يده رمح اسمر يسابق القضاء والقدر وتحته جواد اجرد حالك اللون اسود بقوائم مثل العمد عيناه تتوقد وهو على صهوته مثل البرج المشيد ولما صار في الميدان انشد وقال

رمتنا صروف الدهر عن قوس صرفه ... ففارق منا كل الف لالفه
وساوت بنا اجالُ قوم تقاربت ... على يد عبدٍ لا يبالي بحتفه
فلا عجبٌ ان يرفع الدهر عاجزاً ... ويجعله يلقى الاسودَ بضعفه
فدع عنك هذا الجهل يا ابن زبيبة ... فكم اسدٍ ارديته وقت زحفه

قال فصدمه عنتر صدمة تهد الجبال واجابه على شعره وقال

تعيرني يا ابن اللئام بانني ... كلون الدجى هاقد بليت بعسفه
فان كنت عبداً فقد قتلت سراتكم ... وابليتكم من ذا الزمان بصرفه
تميدُ الجبالُ الراسياتُ لهيبتي ... و يوقنُ من يبغي عنادي بحتفه
فكم اسدٍ لما بدا لون غرتي ... لهُ في مقام الحرب الوى بعطفه
وكم من كمي قد تركت مجندلاً ... وكم من ثريٍّ ذل لي رغم انفه
فان كنت تبغي الحرب دونك ماجداً ... يذيقك طعمَ الموتِ من ضرب كفه

قال الراوي ثم انه حمل عليه وما تركه ينظر ما بين يديه حتى طعنه بين ثدييه اخرج السنان من بين منكبيه وانقض على باقي اصحابه فخرق الصدور واجرى الدماء من انابيب النحور وابصر باقي الرجال طعناً يسابق الاجال فشردوا في التلال والجبال ونظرت عبيد الربيع وعبيد شاس الى فعاله ببني المصطلق وكيف مال عليهم وانطبق وشيبوب خلفه كانه البرق اذا برق فعادت على الاعقاب وطلبت الروابي والشعاب و بسام عبد الربيع في اولهم يصيح دونكم الهرب ولا تقفوا قدام العطب فولوا الادبار وغاصوا في الفدافد والقفار وطلبوا الاهل والديار وعاد عنتر وسنان رمحه يقطر من الدم فلاقته عبلة وهي تتبسم وحمدت الله على رجوعه وشكرته على صنيعه وقد شفت من قلبه الغليل وكان كلامها عنده مثل قدوم العافية على جسد العليل فشكرها على مقالها ورد هودجها الى فوق رحالها وامر العبيد فجمعت اسلاب القتلى وهي ملء الارض والفلا وساقوا الخيول وساروا في امان وطلبوا بني غطفان فوصلوا والناس في الولائم بين الطرب والسرور والحي منقلب بشرب كاس الخمور ودارت بلقائهم الافراح وعلا

الصياح واخبرت النساء رجالهن بالخبر وما جرى من عنتر فما منهم الا من اثنى عليه وشكر وقدمت العبيد الخيول والاسلاب الى بين يدي شداد واخبروه كيف صان الحريم ودفع عنهم ذلك الهول العظيم فزادت رغبة شداد فيه وما درى باي وجه يكافيه وقبله بين عينيه واخذ بيده ليجلسه مع السادات والشرفاء فابى وعاد الى ذيل المجلس ووقف مع العبيد والاماء وقال لا والله يامولاي ما اغير في خدمتك العادة ولا اغترُّ بايام السعادة فعجبت فرسان العرب من ادبه وهابوه وعظم قدره عندهم وقربوه وحلفوا عليه واجلسوهُ بين الفرسان واهل المقام وسقوه مما بين ايديهم من المدام واعجبوا بفصاحته بين النثر والنظام وداموا على ذلك سبعة ايام وما يمضي يوم الا يرفع بنو غطفان قدر عنتر وشداد ومن معهم من الرجال الاجواد و بعد ذلك رجع بنو قراد طالبين الاوطان ومعهم العبيد والنسوان ولم يتفرقوا في المسير خوفًا من مثل النوبة الاولى ولم يعلموا ان لعنتر في الحرب اليد الطولى وما اشرفوا على ارض الشربة حتى سمعوا الصياح منعقدًا في سائر الجنبات والغبار قدخيم على الروابي والفلوات واهل الحي قد طرقوا بحوادث الزمان وطوارق الحدثان فقال شداد لمن حوله من السادات وذمة العرب لقد نزلت بنا الدواهي والملمات ثم حركوا على ظهور الخيل واقتحموا المضارب والابيات فراوا النساء متهتكات والبنات بارزات وقد غرّقن البراقع بالمدامع المنحدرة وقد لمعت بينهن السيوف المشهرة واثخنت الفوارس بالجراح ولعبت بهم الرماح والبيض الصفاح وهم يمانعون عن النساء والبنات وقد ايقنوا بشرب كاس الممات وقلت منهم الحركات وخفيت منهم الاصوات قال وكان السبب في ذلك ان الملك زهيرًا كان قد ركب في فرسان بني عبس وساربهم الى بني قحطان يطلب عدوًا يقال له المتغطرس بن فراس من قوم من العرب يقال لهم بنو القيان وكان الملك زهير قد بلغه ان المتغطرس سائرًا اليه فشق ذلك عليه وقام بفرسان بني عبس ليلقاه في الطريق قبل ان يغشى الديار وبرك في الحي اخاهُ زنباع في نفر قليل وسار ولكن لاجل القدر المباح سار هو في طريق والمتغطرس في طريق اخر في تلك البطاح فاختلفا في الطريق في تلك الفجاج لان البر بحر عجاج فوصل المتغطرس الى ديار بني عدنان فوجد الحي خاليًا من السكان فاقتحم الابيات والمضارب واستقبلها بالاسنة والقواضب فالتقاهُ من في الحي بالرماح المداد وجردوا البيض الحداد واتصل الطعن بالسمر الصعاد وكثر العدد على بني عبس وزاد فعادوا الى الخيام لما راوا سقاة

المنا يا تدور عليهم بكؤوس الحمام فياله حادثاً لا يطاق على حين سالت دماهم على اسنة الرماح الدقاق ووردوا من الموت مورداً مرّ المذاق فصاحت النساء وقد ايقنوا بالسبي التشتيت في الافاق وفاضت الدموع من الاماق وبرزت تماضر زوجة الملك زهير من خدرها وايقنت بهتك سترها وقرعت من خوف السبي على صدرها وفي ذلك الوقت اشرف عنتر وشيبوب وشداد بن قراد الفارس الجواد فقال شداد قد امحت والله اثارنا وخربت ديارنا وما جرت هذه النوائب الا لان الملك زهيراً هذه المرة غائب فدونكم والحملة لنكشف عنهم هذه المصائب وكان عدد القوم اربعين فارساً من بني قراد فحملوا وتركوا العبيد عند النساء الا عنترة فان شداداً قال هيا وارني اليوم منك ما سمعت بالامس عنك فقال نعم يامولاي ليس الخبر كالعيان ثم وثب الى فرسه وانتظم بين الفرسان ونادى اقتحموا القوم نأخذهم اسارى ونقودهم اذلاء حيارى ثم صاحوا وطلبوا الاعداء وقد هزوا في ايديهم السمر الطوال وضجت العبيد والاماء لما عرفوا بقدوم الفرسان والابطال وانصبوا عَلَى الميسرة وعنتر على الميمنة وهو كانه القضا في حملته وكل من راه يهرب من طلعته وهو ينشد و يقول

اليوم اسعرُها حرباً تذلُّ لها	كلُّ الجبابرةِ الماضينَ في الحقبِ
واتركُ الدم يجري من غلاصمهم	اذا علوت رؤوس القوم بالقضبِ
كم سيدٍ مذ راني جئتُ اطلبه	القى السلاح وولى طالب الهربِ
انا الهزبرُ لنار الحرب اضرمها	تحت العجاج وارمي القوم بالعطبِ
كم قسطلٍ خضته لم اخش غائلةً	وملتقى الموت يوم الروع من طلبي
لافعلن فعلاً لا مثال له	يظل يذكر في الاوراق والكتبِ
واجرين من الابطال بحر دمٍ	تلاطمت فيهِ امواجٌ من العطبِ
واجعل الجو مثل الليل بازغةً	فيهِ الاسنة تحتَ النقعِ كالشهبِ
وليس له مؤنسٌ في كلِّ معركةٍ	الا الجواد وسيف صيغ من غضبِ
وهمتي قد علت فوق السماك	عزم يفوق على الاعجام والعربِ

قال الراوي . ثم ان عنتراً انقض على الميمنة وصاح بها فخبلها وحمل عليها فاذهلها وطعن في صدرها فبلبلها وتنافرت بين يديه الاعداء واندفعت الى البيداء وصار القتال في البر واتسع للابطال مجال الكرّ والفر وتصادموا على ظهور الجياد الاعوجية واختلفت الطعنات بالرماح السمهرية ونهبت الارواح الابية وبمخالب اسنة الرماح الخطية

وطارت الجماجم بمضارب السيوف المشرفيه وهتك عنتر ميمنة القوم بنوافذ الطعنات ونثر رؤوس الابطال بقواطع الضربات وابصر المتغطرس بن فراس وهو قائم على رابية في تلك البطاح وعلى راسه الرايات تخفق بالرياح وقد نفرت خيله على اعقابها وخلت سروجها من اصحابها ولعنتر صرخات مثل الرياح العاصفة او الرعود القاصفة فتحدر المتغطرس من الرابية بمن معه وقد اكثروا الصياح ومدوا الرماح ورجعت الخيل المنهزمة لما تقدم اميرها والتهبت نيران الحرب وزاد سعيرها فالتقاها عنتر ومن معه من الفرسان بالصدور وصبروا على عظائم الامور واجروا الدماء من انابيب النحور وثبت الشجعان وولى الجبان ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال تجندل حتى ضاق بهم السهل والجبل وحل بهم البلاء والخبل والفارس الشجاع قاتل واستقتل والجبان ولى خوفاً من نزول الاجل والبلاء المعجل واشتد الكرب والوجل وحل عليهم البلاء ونزل من العجائب الغريبة ان بساماً عبد الربيع بن زياد الذي كان قد خرج ليقتل عنتر بن شداد وانهزم وهو وجماعته في وادي الغزال لما راوه قد اهلك غالب بن وثاب وقتل اكثر فرسانهِ السبعين بين الطعان والضراب وعاد بسام بمن معه الى الاحياء وانهزم وهو لا يصدق بالنجاة من يد ذلك الاسد الغشمشم فاقام في الحي حتى كان هذا اليوم العرمرم وقاتل مع جملة الفرسان قتالاً يحير الاذهان وانهزم مع جملة المنهزمين حتى اقبل عنتر ومن معه من الابطال المشهورين فشاهد من عنتر فعالاً تحير بها عقله فزاد حسده واضمر انه يقتله وصار يتوقع له فرصةً في الحرب عند اختلاف الطعن والضرب وحمل علي المتغطرس مع بقية الفرسان والابطال و باشر الحرب والقتال ليتمكن من عنتر في المجال ولما اشتدت اهوال ودارت البيض والسمر الطوال وعلا الغبار وسد منافس الاقطار صوب بسام سنان رمحه الى عنتر بن شداد وعلم ان كرامته بذلك تزداد عند مولاه الربيع بن زياد وما دانا عنترًا ليطعنه في ظهره حتى خرقت نبلةٌ في صدره فوقع قتيلاً بدمه جديلاً ووطأته الحوافر والنعال وحلت به نازلة الاجال فقتله حسده واهلكه كمده وقد قيل لا تعادِ رجلاً مسعودًا ولا تكن لاحدٍ حسوداً الان الحاسد ابدًا عيشه منغص وفي كل يوم يتجرع الغصص قال وكان الذي قتل بساماً عبد الربيع بن زياد شيبوب اخو عنتر بن شداد وكان لما حمل على الفرسان اوصاه ان ينزل عبلة من الهودج ويلاحظ خدمتها وخدمة بقية النسوان وما زال شيبوب عندهن

يسكن قلوبهن حتى راى الاعداء قد خرجوا من بين الاطناب وبني عبس وراءهم مثل الضباب وراى الرماح من حول عنتر مثل الافاعي في الظلام فخاف عليه من الحمام وعدا نحوه مثل ذكر النعام حتى اقتحم قسطل الغبار والقتام وراى بساماً قد عمد الى اخيه عنتر بالسنان فارسل اليه نبلة القاه بها تحت ارجل الحصان هذا وعنتر مشتغل بالقتال فيطعن صدور الرجال وينكس ابطال المجال حتى وصل الى المتغطرس وهو يرد جماهير رجاله ويشير بالرمح الى ابطاله وهم لا يلتفتون اليه وقد هربوا من وجه عنتر مثل القطا اذا نفر فشق عليه ذلك وغدا النهار في عينيه كالليل الحالك وثبت نفسه للطعان وانف الهزيمة مع الفرسان واستقبل عنترا فصدمه بقلب اصاب من الجلاميد وكان بعد من الفرسان الصناديد فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وعلا فوقهما حتى اختفيا عن الانظار وقد تالم ذانك الفارسان من شدة الجراح واشتد بعنتر الغضب فزجره وصاح واقتحمه اقتحام الاسد وطعنه بالطويل الاملد فخاض الرمح في احشائه والقاه يختبط بدمائه ونفرت اصحابه من وجه ذلك البلاء النازل كما ينفر النعام الجافل وتبعتهم فرسان بني عبس وخيولهم وعملت فيهم اسنتهم ونصولهم فلعبت بهم ايدي سبا وتبددوا في تلك الربى هذا والعبيد قد جمعت الاسلاب والغنائم وعادت الى الاحياء ورجع الفرسان بعدما انهزمت الاعداء وهم مسرورون بالنصر بعد الغلبة والقهر وكل واحد منهم يمدح شداداً واخوته ويحمد فعال عنترة ويصف شدته وحدث الفرسان شداداً كيف قتل عنتر المتغطرس بطعنته في المجال فسر بهذا المقال وعلم ان افعال عبده ترفع قدره عند الرجال هذا وعنتر قد اقبل عليه وقبل يديه فراه شداد مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان فزاد به العجب وما وسعه درعه من شدة الطرب وقال لاخيه زخمة الجواد وحق ذمة العرب لقد كانت تربيتنا لهذا العبد خيراً ولم يضع فيه التعب ولو انه يكون ولد حلال ملكت به رقاب العرب اصحاب الحسب والنسب فقال زخمة الجواد يا اخي اما حكم لك به حاكم العرب فلا تجحد ماله عليك قد وجب . فتبسم شداد واتى الى الابيات والخيام وعنتر قدامهم كانه ليث الاجام وقد سمع جميع ما دار بينهما من الكلام وما جرى غير انه كتمه في صدره كانه ما سمع ولا دري ومشي قدام الجماعة وهو يقول

انا الفارس المقدام والبطل الذي ... تخرّ له الفرسان خوف المهالكِ
اذا ثار نقعٌ كنت موقد نارهِ ... وافني الاعادي بالسيوف الفواتكِ

واصلي لظى الحرب العوان بهمة ... يقصر عن ادراكها كل سالك
وكم فارس ألقى السلاح لهيبتي ... وآخر قد اورديته في المعارك
وخاصت قومي من اكف عداتهم ... ولست لفعل المكرمات بتارك
اذا ما طعنت القرم خر لوقته ... يكشر عن انيابه غير ضاحك
ولي سطوة في الحرب ليست لضيغم ... وسل عن فعالي كل ليث مشابك

قال الراوي وان عنتراً كان قد شق عليه كلام شداد وساءه ما دار بينه وبين زخمة الجواد فدخل على زبيبة امه وحدثها بما كان من ابيه وعمه وقال لها اخبريني عن نسبي وعرفيني من هو ابي فقالت والله يا ابني ليس اباك الا شداد مولاك ثم حدثته بالخبر المقدم ذكره في اول السيرة وخصام العشرة عليه من اهل العشيرة وان قاضي العرب حكم به لشداد دون سواه فكان هو ابنه وشداد اباه فقال لها اذا كان قاضي العرب حكم اني ولده وكل اهل الحي يشهدون بما كان فلماذا لا يدعوني ابنه كما يفعل كل انسان فقالت له زبيبة والله يا ابني يعز علي ذلك وكانه يخاف ان اعطاك النسب ان لا تطيعه على ذلك سادات العرب ويخشى ان يعيره بذلك اصحاب المنازل والرتب فقال عنترة انا احوجه الى ذلك ومن عيره سقيته كاس المهالك وان هو عصاني وجحد مكاني ورأيت كل العشيرة تطلب هواني بذلت في الجميع سيفي وسناني ورحلت عنهم الى قوم يعرفون قدري ويعظمون شاني . واول من اقتل ابي ان هو لم يعترف بنسبي واسقي عمي كاس منيته ان لم يزوجني بابنته فقالت له امه لا تفعل يا ولدي شيئاً من هذه الفعال فقد احبتك النساء والرجال لاجل ما رأوا لك من حسن الخصال فلا تنقض ما قد بنيت فتكون قد ظلمت وتعديت فقال لها يا اماه ان امرأة عمي بزواج ابنتها وعدتني وعلى كلامها عاهدتني فقالت يا ابني لا تطمع في المستحيل ولا تشغل فكرك من هذا القبيل وكيف يكون عبد لا حسب له ولا نسب يطمع نفسه في بنات سادات العرب لاسيما وانت بينهم قد ربيت وفي نعمتهم قد نشيت فقال عنتر ستري كيف ألحق نفسي بالنسب واذل بسيفي سادات ملوك العجم والعرب ثم بات وهو قلق الفكر مشتغلاً في هذا الامر يحاول في نفسه امراً تعجز عنه صناديد الرجال ليشهر نفسه بين الفرسان والابطال قال وعند الصباح اقبل الملك زهير وهو لا يصدق ان يرى اهل الحي في خير لانه سمع ان عدوه خالفه في الطريق فخاف ان يعدم السعادة والتوفيق حتى اشرف على الاوطان فراى الناس في امان ولما راوه قد اقبل في ذلك

الجيش والجحفل ركبت لملاقاته الرجال وتبادرت الابطال وخرجت الاكابر والاصاغر وظهرت الاماء والحرائر في ايديهم الدفوف والمزاهر واستقبلوه بالبشرى والبشر وخبروه بذلك النصر وما فعل شداد واخوته وعنتر بين الكر والفر فقال الملك زهير لله در عنتر فلقد سدنا به على سائر القبائل ولئن طال عمره ليسودن على كل محارب ومقاتل ثم انه نزل عن صهوته ودخل على تماضر زوجته فوجدها ايضاً تمدح عنتراً وتقول والله قد حمى الحريم وقتل العريم وفعل افعالاً تعجز عنها سادات زمزم والحطيم فعظمت عنده منزلته وقال وحق ذمة العرب لو حكمناه في الارواح والاموال لكان قليلاً في مقابلة ما ظهر منه من فعل الاحسان وحسن الافعال . ثم امر من وقته بذبح الاغنام وترويق المدام

قال الراوي ثم خرج الملك زهير الى وسط الحي وضرب له سرداقاً من الديباج ونصب له سريراً من الابنوس والعاج مصفحاً بالذهب الوهاج واجتمعت حوله السادات والفرسان والامراء والشجعان وحضر الربيع بن زياد واتى ايضاً بنو قراد وزخمة الجواد ومالك وشداد وعنتر وفرسانهم الاجواد وتقدم عنتر الى بين يدي الملك عدة مرار وعاد فوقف في الخدمة مع العبيد الحضار فقال الملك زهير وذمة العرب ما تجلس الا بين السادات اصحاب الحسب والنسب فوحق من ادار الافلاك وقضى على الانفس بالهلاك لا شربت قدحي الآ انا واياك ولا كان لي نديم سواك . ثم امره بالقرب منه فتقدم وبش في وجهه وتبسم وقدم له الطعام فأكل معه هو والربيع ابن زياد وكذلك بقية الفرسان والاجناد ثم دارت عليهم الكاسات وعزفت القينات وضربت بمزاهرها المولدات وطابت لهم الاوقات وامنوا من طوارق الحادثات وهذا والملك زهير قد جعل عنتراً خاصته ونديمه وسميره وكليمه وكلما اراد ان يقف في الخدمة منعه وسقاه وقربه وادناه الى ان لعبت الخمرة بعقل شاربها وتفرقت العرب الى مضاربها وقدم الملك زهير شداداً اليه وقربه وخلع عليه واركبه فرساً من جنائبه التي بين يديه وخلع على عنتر خلعة لا يلبسها الا الاكابر اهل الرتب او امير من امراء العرب وعممه عمامة معلمة بالذهب وقلده بسيف محلى مشطب وخرجا من بين يدي الملك زهير وهما بانعم بال واحسن خير ولما قرب شداد من بيته ترجل عنتر في خدمته حتى وصل الى خيمته والطيب يفوح من ثيابه وهو ثمل من شرابه ولما وصل ترجل شداد عن ظهر جواده وقبل عنترة يده وقال يا مولاي لماذا لا تعرف حقي كما عرفه

القريب والبعيد وتبلغنى منك ما اريد فقال وما الذي تشتهي قل لي ما حاجتك حتى
اقضيها وابلغ نفسك امانيها وكان شداد يظن انه يطلب نوقاً يقتنيها او ابياتاً يأويها
فقال يا مولاي اني احب ان تلحقني بالنسب وتنزع عني عار العبودية من بين العرب
وانا اكافيك بشيء لا يقدر عليه انسان واترك سادات العرب تخدمك في كل مكان
واسوق اليك اموال العربان واساويك بملوك الزمان . قال فلما سمع شداد كلام عنتر
قامت عيناه في ام راسه وانزعجت جميع حواسه وقال والله لقد حدثتك نفسك بامر
يحفر لاجله رمسك وقد لعبت خامة الملك زهير بعطفيك ودخل كلامه في اذنيك
وطلبت انك تضعني وترتفع وتتركني حديثاً لمن تحدث وسمع والله يا ابن المنتنة الابطين
والواسعة الشدقين ما بقي لك جواب على هذا الكلام الا ضرب الحسام ثم جرد حسامه
وهجم عليه وقد تهاربت العبيد من بين يديه وسمعت زوجته سمية فخرجت من
الخباء مكشوفة الراس منشورة الذوائب منزعجة الحواس ووقعت في صدر شداد
وقبضت السيف بيدها وقالت والله لا امكنك من قتله لانني ما انسى فعاله ولا يضيع
منك صنيعه واعماله وان كان قد طلب منك شيئاً لا يصلح له فان السكر قد غير عقله
وما زالت بيعلها حتى سكن غضبه الذي كان قد انتهى اليه ثم ادخلته الخباء واضجعته
والسكر قد غلب عليه واما عنتر فانه استعظم زلله واستكبر فعلته واستحى ان يصبح في
بيوت بني قراد و يقع نظره ايضاً على نظر ابيه شداد فما كان له دأب الا انه قصد بيوت
مالك بن الملك زهير ومضى اليه وامر العبيد ان يستأذنوا له بالدخول عليه وكان
مالك بن زهير قد عاد من وليمة ابيه وهو فرحان بما نال عنتر من الرتبة الرفيعة لانه
من اصدقائه ومحبيه . فلما هم ان ينام دخل عليه عبده واستأذن منه بدخول عنتر
فاندهش لذلك وتحير وقال لعبده مره بالدخول فوالله هذه ابرك الليالي بزيارة عنتر
والمكان من الرقيب خالي فدخل وهو جاري الدموع بفؤاد موجوع فقال له مالك اهلاً
وسهلاً ومرحباً ثم قربه واجلسه جانبه مترحباً وسأله عن حاله فحدثه بما فعل ابوه شداد
حين طلب ان يلحقه بالنسب وكيف اراد قتله من شدة الغضب وانه لولا سمية تخلصه
لكان اذاقه كاس العطب فقال له مالك والله يا عنتر لقد جنيت على نفسك بما عملت
فماذا الذي حملك على ما فعلت فاطلعني على امرك ولا تخفه في صدرك وانا ابلغ معك
في تدبيري غاية الجهد ولا افتح عليك من هذا باب لا يسد فاضطرب عنتر عند ذلك
لما سمع كلام مالك وقال والله يا مولاي ما حملني على هذا الا الهوى الذي هد كتمانه مني

العزائم والقوى ولولا تلهب قلبي بالنيران لم يجري علي الليلة هذا الحدثان بل كنت كتمت هواي وداءي حتى يكون موتي وفناءي وانت على كل حال مولاي وقد كفيتني شر اعدائي ومن لي بمثلك لشكواي واعلم يا مولاي اني احب عبلة بنت مالك ابن قراد وهي التي طيرت من عيني لذيذ الرقاد وابلتني بطول العناء والسهاد وما طلبت من ابي النسب الا لكي تسبب الى وصالها بهذا السبب والقي نفسي في كل مهلك وعطب واملأ عين عمي مالك بالفضة والذهب فاما ان ابلغ الارب او اهلك على يد بعض فرسان العرب واستريح من عيشي الذي لا ألتذ فيه بنوال الطلب والآن قد انقطع مني الرجاء وضاق صدري ولا أمل فرجاً ولم يبق لي مقام الا مع الوحوش في البراري والاجام لا ألتذ بمنام او القي كاس الحمام ثم زاد به الامر فتنهد وبكى وانّ واشتكى وتحسر حسرات متتابعة تدل على نيران تتلظى في حشاه وان مالكاً بكا على بكاه ورثي لبلواه وانشد عنتر يقول

أأخفي غرامي في فؤادي واكتمُ ... واسهر ليلي والحواسد نوّمُ
واطمع من دهري بما لا انالهُ ... والزم منه ذيل من ليس يرحمُ
وارجو التداني منك يا ابنة مالكٍ ... ودون التداني نار حربٍ تضرمُ
فمني بطيفٍ من خيالكِ واسألي ... اذا عاد عني كيف بات المتيمُ
ولا تجزني ان لجّ قومك في دمي ... فما لي بعد الهجر لحمٌ ولا دمُ
ولا تسألي نوح الحمام في الدجى ... فمن بعض اشواقي ونوحي تعلمُ
ولم يبق لي يا عبل شخصٌ معرفٌ ... سوى كبدٍ حرّى تذوب وتسقمُ
وتلك عظامٌ بالياتٌ واضلعٌ ... على جلدها جيش الصدود مخيمُ
اذا عشت من بعد الفراق فما انا ... كما ادعي يا عبلَ في الحب مغرمُ
وان نام جفني كان نومي علالةً ... اقول لعل الطيف يأتي يسلمُ
احن الى تلك المنازل كلما ... غدا طائرٌ في ايكه يتنغمُ
بليتُ من الهجر المضرّ وانني ... صبورٌ على جورِ الهوى لو علمتمُ

قال الراوي فلما انتهى عنتر من شعره وشكا بعض ما يجد من نيرانه وتصاعد زفراته تساقطت دموعه على وجناته فقال له مالك والله يا عنتر لو اعلمتني بهذا الخبر قبل ان ذاع واشتهر لكنت توصلت فيه بروحي وما املكه من اللآلي والبدر وكنت دبرته بعقل سديد ورأي اكيد واما الآن فقد فسد الامر واستبدلوا التمر بالجمر وانا اعلم ان عبلة

تحتجب عنك من اليوم في خباها ولا تعود تراها لان اباها اذا علم انك تطلب من ابيك انه يلحقك بالنسب يعلم انه من اجل ذلك السبب فلا يعود يمكنك ان تلم بابياته وربما القاك في بعض المهالك ولا تأمن على نفسك بعد ذلك والصواب انك تقيم عندي ههنا حتى اتحدث مع ابي تنظر لك تدبيراً حسناً فقال عنتر والله يا مولاي ما بقيت اقدر ان اقيم في الحي الى ان تنطفي هذه النار وينسى هذا الحديث الذي صار واكون اول النهار اخرج الى البر والصحراء ولا اعود الى المساء لاني ما بقي لي عين ابصر بها احداً من الناس ولاسيما عمي مالك وولده عمرو والربيع بن زياد واخوك شاس وبعد ذلك قطع هو ومالك بن زهير الليل والظلام بشرب المدام الى ان صار وقت الغلس وكان ضوء النهار يتنفس فركب عنتر الجواد واعتد من بيت مالك بعدة الجلاد وصار حتى بعد عن الابيات وهو لا يدري الى اين يأخذ من الجهات وقد ضاقت عليه المذاهب واغلقت في وجهه ابواب كل الجوانب وصار يهيم ذات اليمين وذات الشمال بين الروابي والتلال الى ان تضاحى النهار عليه واتسع البر في عينيه ففاضت دموعه وتهاطلت على خديه وتذكر فعل ابيه وقومه معه بعد ذلك الصنيع الذي صنعه فانشد يقول

اعاتب دهراً لا يلين لعاتبِ	واطلب امناً من صروف النوائبِ
وتوعدني الايام وعداً تغرُّ بي	واعلمُ حقاً انه وعد كاذبِ
خدمتُ أناساً واتخذتُ اقارباً	لعوني ولكن اصبحوا كالعقاربِ
ينادونني في السلم يا ابن زبيبةٍ	وعند اصطدام الخيل يا ابن الاطائبِ
ولولا الهوى ما ذلَّ مثلي لمثلهم	ولا خضعت اسد الشرى للثعالبِ
ستذكرني قومي اذا الخيل اصبحت	تجول بها الفرسان بين المضاربِ
فان هم نسوني فالصوارم والقنا	تذكرهم فعلي ووقع مضاربي
فيا ليت ان الدهر يدني احبتي	اليَّ كما يدني اليَّ مصائبي
وليت خيالاً منك يا عبلَ طارقاً	يرى فيض جفني بالدموع السواكبِ
سأصبر حتى تطرحني عواذلي	وحتى يفجُّ الصبر بين جوانبي
مكانك في جو السماء محله	وباعي قصيرٌ عن نوال الكواكبِ

قال الراوي ثم انه صار في غير مقصد وهو ينظر الى البر والفدفد واصبح الحي يموج بحديثه وحديث ابيه شداد وشمتت به الاعادي والحساد وقالوا يا فضيحتنا بين العرب اذا علموا ان اولاد الزنا شاركونا في الحسب والنسب وسمع ابو عبلة هذا الحديث فزاد به الغضب وقال

ما بقي لي غنىً عن قتل هذا العبد ولد الزنا وان انتصر له الملك زهير وولده مالك وعجزت عن ذلك قتلت انا ابنتي عبلة ولا يمكن ان اقيم في الحلة واجلب على نفسي عاراً في الجملة فقال له شداد اما قتله جهراً فليس بصواب لاجل الملك زهير ومن له من الاحباب ولكن نحن نهلكه بحيث لا يعلم به احد امـا في صيد وقنص واما انفذه الى مهلكة لا يكون له منها مناص هذا ما جرى من هؤلاء واما شاس بن الملك زهير فانه لما سمع ذلك وعلم انه في بيت اخيه مالك تقلد بسيفه وطلبه معولاً على قتله وقال لا ابالي ان رضي اوغضب لاجله ثم ذهب الى بيت اخيه مالك فما وجده فسأل اخاه عنه فجحده وقال له يا اخي ماذا تريد منه فقال اريد ان اقتله واعجل عليه اجله ومن تعصب له فعلت به مثله فتبسم من كلامه مالك وقال لا تفعل يا اخي فانه لم يرتكب جنايةً يستوجب عليها القتل والعذاب وانما طلب لنفسه العلو كما يفعل كل احد وتحدث مع ابيه وهو سكران وما على السكران عتاب . وقد اعترف لما صحا بذنوبه القباح ومن اعترف بذنبه فما عليه جناح ومن شدة حيائه طلب الفلاة وربما التجأ الى بعض احياء العرب ولا عاد رآه فقال شاس الى حيث لا يرجع ولا يبصر ولا يسمع وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ان وقعت عيني عليه لاقطعن راسه من بين كتفيه على انك انت وابي اطمعتماه فتجاوز حده وتعداه لانه ما طلب إلحاقه بالنسب الا ليتزوج بعبلة بنت مالك وهذه غاية الوقاحة وسوء الادب لانه بالامس كان من خدامها و يريد اليوم ان يصير مالك زمامها وكان مالك يظن ان عنتر يعود اليه عند المساء من الصحرا فما عاد في تلك الليلة ولا في الليلة الثانية فضاق صدر مالك لانه كان يحبه محبة صافية ومن شدة ما جرى عليه اعلم اباه بذلك فنال قلب زهير منالٌ عظيم وعتب على مالك وقال له ويحك يا ولدي لماذا ما اعلمتني حتى كنت اتوسط نوبته مع ابيه واتخذه الى ابياتي وازوجه من اراد ولو طلب احدى بناتي فقال والله يا ابتاه كنت خائفاً من وقوع الفتنة وجلب المحنة لاني رايت مبغضيه اكثر من محبيه فخفت ان يثور الشر و يعظم الامر على انه خرج من عندي الى البر وقت السحر وقلت انه يعود في المساء على الاثر والى الآن لم يجئني منه خبر فقال الملك زهير لولده مالك لقد فرطت في امره ولا بد لي من ان انفذ احداً في اثره لاني اريد ان اقف على اخباره واعيده الى دياره هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عنترة فانه عند خروجه من الحي سار حتى ابعد عن الديار وصار يلتفت الى اليمين واليسار فراى بين يديه خيلاً سائرة وعليها نحو اربعين فارساً

غائرة وهم بسيوف تلمع ورماح شرع وخيل تنهب الارض نهباً وتقطع الفيافي بسيرها وثباً فحرك عنتر جواده ومال اليهم حتى اقبل عليهم واذا هم من بني عبس والمقدم عليهم امير يسمى غياض بن ناشب وهو فارس معدود على خوض الشدائد والنوائب ولقاء الاهوال والمصائب وكان سائراً في تلك الجماعة يطلب الغارة والمكسب من بعض قبائل العرب فبادأهم عنتر بالكلام وسلم عليهم فردوا عليه السلام وقال له غياض بن ناشب الى اين انت ذاهب فقال والله يا بني العم كنت خرجت اطلب الصيد فرايتكم سائرين وعلمت انكم تقصدون بعض الاحياء غائرين فملت اليكم اطلب مرافقتكم لعلي اكسب مما تكسبون واصيب مما تصيبون فقال غياض اهلاً وسهلاً سر على اسم الله فنحن نبلغك ما تريد ونفضلك على سائر العبيد فقال عنتر وما معنى هذا الكلام ايها السيد الهمام فقال ان العبد اذا غزا مع الاحرار له ربع سهم ولكن انت ما نساويك بغيرك من اهل العبودية بل نعطيك نصف سهم على وجه الهداية لاجل ما فيك من الشجاعة والحمية فقال بعض الفرسان والله يا غياض ان عنتر يستاهل نصف سهم واكثر ولو كان له حسب ونسب لكان يستاهل مثل ثلاثة فرسان من العرب لاجل ما فيه من الثبات عند الحرب والخبرة بمواقع الضرب والطعن فقال لهم عنتر يا قوم اسمعوا مني وانصفوني ولا تبغوا عليَّ ولا تظلموني انا اكبس الاحياء وحدي واذا نفرت الخيل لقيتها بقوة ساعدي وزندي وتعطوني قسماً كاملاً من غير ظلم ولا تعدي فقالوا والله لقد انصفت في مقالك وانك تستحق اوفى من ذلك ولكن انما نخاف من معيرة العرب اذا قسمنا على ابن الامة مثل ابن الحرة المكرمة فقال لهم عنتر اعطوني النصف كما تريدون حتى لا تكونوا خرجتم عن سنة العرب ولا يقع عليكم لوم ولا عتب فقالوا نعم رضينا بذلك فسر معنا على اسم الله وهو مالك الممالك قال فساروا القوم يقطعون القفار في الليل والنهار حتى خرجوا من احياء بني عدنان ودخلوا في ارض اعدائهم بني قحطان واشرفوا على بعض حلل العربان فرأوا نعماً لا تحصى وخيرات لا تستقصى والحي يضج بساكنيه ويرتج بقاطنيه وفي ذلك الحي قباب مضروبة وخيام منصوبة وخيول مجنوبة ورماح شارعة وسيوف لامعة والخيل تلعب على مقاودها كانها الغزلان وهي مختلفة الالوان من اصفر كالذهب واسود كالغيهب واحمر واشهب وابيض وازرق واشقر وابلق والقوم آمنون من الطوارق غافلون عن البوايق فانصب عليهم عنتر ومن معه انصباب الغيث الدافق وانقضوا عليهم كالبواشق فقال غياض يا بني عمي هذه حلة كثيرة الاموال قليلة الرجال فدونكم واياها قبل ان

يجول النهار وترجع عبيدهم والاحرار ثم انه زعق في اوائلهم وحمل وتبعته الفرسان الذين معه مثل الغيث اذا هطل فساقوا الجمال من بين الاطناب واخذوا الكواعب والاتراب فركبت رجال الحي لترد الحريم فردها بنو عبس على الاعقاب وطرحوا اكثرهم على التراب وسطا عليهم عنتر بسطواته وابعدهم عن المال بحملاته وتواتر طعناته وكان في الحلة فارس يقال له الحارث بن عباد اليشكري كان قد غضب على قومه ونزل على هؤلاء القوم حردان وكان له عندهم مدة من الزمان فلما رأى هذه المحنة طرقتهم وفرسان بني عبس دهمتهم عمد الى مهر له ادهم كانه الظلام او سحابة من غمام وكان يقال له الابجر وامه يقال لها النعامة وبها تضرب الامثال في ارض نجد وتهامة وابوه جواد يقال له واصل تتحسر عليه جميع القبائل فلما صار الحارث على ظهره صاح بين اذنيه فطار من بين البيوت كانه بعض العفاريت الطيارة او زرق الشهب السيارة ووثب وثبات متداركات حتى صار على اعلى الربوات وأمن صاحبه من الحوادث والآفات فلما رآه عنتر تعجب منه كل العجب وتحسر قلبه وتلهب وعلم انه اذا طلبه لا يلحقه الجواد ولا يبلغ منه المراد وكان بنو عبس قد قلعوا الاحياء بما فيها وملكوا الاموال والخيول وعنتر عن كل هذه الامور مشغول وفكره في هذا الجواد يختبط ويجول ثم اطلق عنانه نحو ذلك الفارس ووجهه كوجه الغول عابس ولما رآه الحارث اليشكري دالبه ما اكترث به حتى قاربه فدق جنبات المهر بكعبيه وصاح بين اذُنيه واطلق له العنان فمر به مر البرق وقت اللمعان وصار عنتر يطلب ان يدرك نظره موانع حوافره او يرى خياله بنواظره فاعجزه ذلك ولم يقدر عليه وفي دون لمح البصر غاب عن عينيه وخيل له انه سهم قد مرق او برق قد خفق فوقف وقد زاد به القلق ونسي عشق عبلة بهذا المهر الذي يجب لمثله ان يعشق وعاد وهو يتمنى ان يرجع يراه ولو قدر بروحه لكان اشتراه وساق بنو عبس الغنائم الى ان صاروا في القفار وهي ما لا يحصى من الخيول والجمال والمهار وقالوا لعنتر يا ابن زبيبة تسلم هذه الاموال وسر حتى نتخلف نحن لمن يتبعنا من الرجال لان هذه الارض كثيرة الطارق ولا نأمن من الحوادث والبوائق ففعل عنتر ما امروه وقد علم انهم احتقروه فاسرها عنتر في نفسه وصاح بالعبيد فساقوا بين يديه الغنيمة وقد وقع له في قلوبهم هيبة عظيمة لاجل ما نظروا من حملاته وما شاهدوا من طعناته وما زالوا يسوقون الاموال والنساء يبكين على المنازل والاطلال و يندبن على من قتل لهم من السادات والابطال حتى غاب بنو عبس عن عيون عنتر وصار بينهم زمن

من الطريق او ا كثر وعنتر يتلهب بنيران الحريق كيف يخرج من تلك الارض والمنازل
وما حظي من هذا الجواد بطائل الا انه ما غابت بنو عبس عن عيونه حتى طلع
الفارس المقدم ذكره عن يمينه والمهر تحته وهو بين الروابي يهيم في قلبه مما جرى على
الحي نيران الجحيم فلما رآه عنتر نادى وا فرحاه بعد ترحاه بالله ايها الفارس قف قليلا
واسمع خطابي ولك الزمام مني ومن اصحابي فوقف الحارث يا اكرم العبيد تكلم بما تريد
فقال اريد ان تبيعني هذا الجواد الذي انت راكبه والا فاهدني اياه ان كنت انت
صاحبه فتبسم الحارث من كلام عنتر وقال يا فتى والله العظيم لو انك سالتني فيه قبل
ان تفعل باهل الحي هذه الفعال كنت قدمته لك ومعه قطعة من الجمال ولكن يا فتى
هذا الجواد نجم راكبه مسعد وعدوه على كل حال مكمد واذا وقع صاحبه بشدة مرّ
به مثل مرور الرياح وطار به من غير جناح واذا كنت ما سمعت به فهذا الابجر بن
النعامة الذي تضرب به الامثال في نجد وتهامة ابوه واصل الذي لا نظير له في خيل
جميع القبائل ولم يكن مثله عند كسرى ولا قيصر ولا سائر ملوك بني الاصفر ولكن يا فتى ما
ابيعك اياه الا برد الغنيمة وعزيز عليّ ان انزل عنه بهذه القيمة فانكم قدمتم
علينا بالشر وسفك الدماء وصرتم لنا من جملة الاعداء ولكن اذ قد وقعت عينك عليه
ومال قلبك اليه فانا لا امنعك منه ولكن استرد الغنيمة عوضاً عنه ولا تظن اني تركت
قتالكم خوفاً من المنية بل خوفاً على هذا المهر ان يصيبه سوء القضية فما انا بحول الله
جبان ولا رعديد الجنان ولكنني فارس صنديد وذو بأس شديد وقد عارضتكم ومرت
خلفكم وانا اظن ان ارى فرسان الحي فادلهم عليكم ويخلصوا الحريم والاموال منكم
ويعجلوا حتفكم لانكم دهمتم الحي وليس فيه رجال وما كان فيه الا الحريم والعيال فان
كنت توافقني في المروة وحسن الشيم فرد العبيد ودعها ترد المال والسبايا الى الاوطان
وخذ هذا المهر الذي هو اعجوبة الزمان واعطنا من قومك الامان ولا تظن انك في
الشراء خاسر وانا الرابح فوحق ذمة العرب لو لم اكن نزيلاً عند القوم ما كنت عنه
بسائح فلما سمع عنتر هذا الكلام علم انه من اهل الكرم فاشتهى ان يساويه في حسن
الشيم فقال له يا فتى اشتريت منك هذا المهر بهذه الغنيمة ولك عليّ بعد ذلك المنة
العظيمة وهذه يدي لك بالذمام وان عارضك احد من قومي جالدته بالحسام ثم عاهده
واعطاه يده على ذلك الكلام فلما استوثق منه باليمين نزل عن المهر وسلمه اليه
واعطاه عنتر جواده ليعود الى منزله عليه وامر عبيد القوم ان يسوقوا السبايا والاموال

وتعود الى المنازل والاطلال فرجعوا وقد علت منهم اصوات الافراح وعاد فسادهم الى صلاح واخذ بهم الحارث في عرض البر الاقفر وعنتر يرعاهم حتى غابوا عنه وقد نال الحصان الابجر وحصل ما كان عليه يتحسر ولكن ما غابوا عن عينيه حتى طلعت فرسان بني عبس عليه فراوه وحده والغنيمة ليست عنده فقالوا له ويلك يا ابن الامة الزنيمة اين تركت الغنيمة فقال يا بنى عمي بعتها بهذا الحصان وتركت لكم في هذه الارض شكرًا طول الزمان لاني رأيت صاحبه حميد الشيم بادي الجود والكرم كثير الغيرة على الحرم وسمعت منه كلام اهل المروءة فاشتهيت ان اساويه في الفتوة ولا اترك لنا في هذه الارض سمعة قبيحة ولا عارًا ولا فضيحة والبر قدامنا واسع والرب ناظر وسامع وهو المعطي والمانع وان شاء الله لا نعود الا بما نريد ونرجع بالاموال والعبيد قال فلما سمع غياض ابن ناشب هذا الكلام غضب وزمجر كما يزمجر الاسد الضرغام وقال ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا نحن ما رضينا ان نعطيك مثل واحد منا اخذت الكل وما سألت عنا وبعت واشتريت وتصرفت في اموالنا كما اشتهيت فقال عنتر يا بنى عمي الآن قد كان ما كان وانا اخلفها عليكم غير هذا المكان وان طلبتم قتلي مانعت عن نفسي بهذا الحسام ولا اعيش مفسوخ الذمام قال فزاد بغياض الغضب من هذا الكلام وقال لاصحابه ويلكم اسقوه كاس الحمام وردوا الغنائم والاموال والانعام والا افتضحتم في القبائل وصرتم مثلاً لكل قائل فعندها هاج بنو عبس وتأهبوا لقتله مجازاة له على فعله فعند ذلك انفسخ عنهم عنتر بجواده ونزل عنه وشد حزامه وافتقد عذاره ولجامه وعاد الى ظهره اسرع من البرق وقد اظلم في عينيه الغرب والشرق وصال وجال واوسع في المجال وراى نفسه قليل الناصر في كل حال فعاتب دهره وانشد وقال

اعاتب دهرًا لا يلين لناصحٍ ... واخفي الجوى في القلب والدمع فاضحي
وقومي مع الايام عون على دمي ... وقد طلبوني بالقنا والصفائح
وقد ابعدوني عن حبيب احبه ... واصبحت في قفرٍ من الارض نازحٍ
وقد هان عندي بذل نفسٍ عزيزة ... ولو فارقتني ما بكتها جوارحي
وآيس من كفي اذا ما مددتها ... لنيل عطاء مدّ عنقي لذابحٍ
فيا رب لا تجعل حياتي ذميمةً ... ولا موتي بين النساء النوائح
ولكن قتيلاً يدرج الطير حوله ... وتشرب غربان الفلا من جوارحي
رعى الله انسانًا اضاف بمعشرٍ ... واصبح امارًا لنا بالمصالح

ولما رآنا قد طرقنا ديارَهم على كل جوّال من الخيل سابح
وعدنا باموال و بيض كواعب حسانٍ باكفانٍ ثقال رواجحِ
فداهن بالمهر الذي ليس مثلهُ وباع الفتى يبع الكريم المسامح
ومن رام منكم يا بني عبس قتلتي فاني له في الحروب اكبر فاضحِ

قال الراوي فلما سمع بنو عبس كلامه وقفوا عن قتاله وتاخروا عن نزاله وصار بعضهم يحرض الاخر و يتأخر وكان غياض قد تقدم فرجع وراءه وتقهقر فقالوا له يا غياض تشير علينا بالمقال وتتاخر وقت النزال فقال غياض يا بني عمي والله ما تأخرت عنه الا انني ذكرت له وقعة جرت فضعفت نفسي وانكسرت فقالوا وماذا الذي ذكرته منه نريد ان تحدثنا عنه فقال رأيته يوماً وقد اعطاهُ الملك زهير فرساً فاخذه ليلجمه فتعاصى عليه فمد يده ومسك الفرس بقوائمهِ وشاله على يديه حتى بان سواد ابطيه وجلد به الارض فخلط بعضه بالبعض والعاقل لا يتعرض لهُ بقتال فيتركه مطروحاً على الرمال فلما سمعوا ذلك المقال وقعت في قلوبهم الاهوال فقالوا لغياض تقدم يا بن العم اليه وامنن بالغنيمة عليه ولا تدعهُ يشعر اننا خفنا منه لئلا يزيد طمعه فينا و يقول لنا ما اخليكم تروحون حتى اخذ خيلكم وسلاحكم والا انهب ارواحكم فتقدم غياض اليه وقال ويحك يا ابن العم اما تستحي ان تقاتل بنى عمك وتشهر في وجوههم السلاح لما سلبوا منك المزاح . فما قدر هذه الغنيمة التى اخذت بها الجواد الذي تقاتل عليه اعدانا وتكفينا شر العباد فكف عنا شرك فما نحن جاهلون قدرك لانك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل قال ولم يزل غياض بن ناشب يلاطفه حتى لان وقال والله يا بن العم ما انسى جميلكم ابداً ولا اريد ان يصيبكم الذل والهوان ولكن اذا بلي الانسان بمن يطلب قتله دافع عن نفسه حذراً من حلول رمسه وقد اعتذرت اليكم فما قبلتم عذري بل احتقرتموني وجهلتم امري والان ما انا الا عبدكم بسيفكم اضرب و بيأسكم اغلب وعاد غياض وهو يقول لقومه يا بنى العم قد طلب منكم هذه الغنيمة فتنزلوا عنها وهو ان شاء الله يعوض عليكم مرةً اخرى باحسن منها فقالوا له كلهم قد وهبنا الغنيمة اجمعها و بيننا و بينه نسبة لا نضيعها ثم انطفأت النار بينهم من الظاهر و بقيت في القلوب والضمائر وعاد عنتر بالابجر ونال ما كان عليه يتحسر وكان هذا الجواد ادهم كانه الغراب الاسحم تدوي له الاودية اذا حمحم . النجم معقود بعذاره والجامه والحرير ملمس جلده وعظامه والنخلة السحوق من حافره الى خزامه ظهره حصن اذا سارِ

واذا ركض يقول طار كانه القبة المبنية والعروس المجلية . قال الراوي ومن حذر عنتر على نفسه تجنب عن بني عبس وانفرد وساروا وقد اشتعلت في قلوبهم نار الحسد و بعضهم يقول لبعض بئس ما فعلنا بسكوتنا عن هذا العبد اللئيم الذي كانه الشيطان الرجيم والله ان هذا اذا سمعت به العرب تقول ان بني عبس خلت اموالها وغنائمها لهذا العبد خوفاً من العطب فماذا يكون هذا العبد السوء حتى نعود نحن بالخيبة و يعودهو بالغنيمة والهيبة هذا يجري بينهم وعنتر سائر ابجذاءهم لا يلتفت اليهم ولكن عينه لا تزال عليهم وقد علم انهم يتشاورون في امره فاحترز منهم على نفسه ونوي ان كل من عارضه منهم اسكنه في رمسه قال ولم يزالوا الى ان صار وقت المساء فاذا هم على ارض فيها واد واسع الفضاء فنزلوا في ذلك الوادي و بات عنتر حارساً حولهم وكان اكثر حرسه لنفسه لا لهم حتى ظهر الصباح بالاشراق وعولوا على الانطلاق فلاح لهم هلال على هودج مجلل بالديباج المدنر موشح بوشائح الحرير الاصفر على ناقة عالية السنام مليحة الخطام وحولها جماعة من العبيد والاماء بالدفوف والمزاهر ومعها ستون فارساً متقلدون بالسيوف البواتر معتقلون بالرماح الخواطر فلما نظر بنو عبس ذلك علموا ان في الهودج عروساً قد اخذوها من اهلها وهم يسيرون بها الى بعلها فقالوا هذه غنيمة قد ساقها الله الينا وخلف بها علينا ثم انهم اكبوا رؤوسهم في قرابيس سروجهم واغاروا عليها واساقوها مع كل من حواليها فتزاعقت الفرسان التي معها وحملت على بني عبس اجمعها فتلقتها بنو عبس بضربات قاطعات وطعنات نافرات فقتلوا منهم خمسين وعاد منهم عشرة منهزمين الى اهلهم طالبين ووقع الفرح في قلوب بني عبس لاجل تلك النصرة العظيمة والتعويض عليهم من تلك الغنيمة ثم انهم ابركوا الناقة فاذا في ذلك الهودج جارية مثل القمر او مثل الصباح اذا سفر وعليها كثير من حلل الوشي والديباج المرصع بالمعادن والجوهر الوهاج و بين عينيها درة تلتهب كالنيران وهودجها كانه مقصورة من مقاصير الجنان فانذهلوا من ذلك الاتفاق البعيد وسالوا عنها بعض العبيد فقالوا لهم يا وجوه العرب وسادة الحي هذه اميمة بنت يزيد بن حنظلة الملقب بشارب الدماء سيد بني طي و بعلها ناقد بن الجلاح الملقب بفارس اليمن وصاحب صنعاء وعدن وقد جسرتم على امر عظيم وركبتم طريقاً من الخطر غير مستقيم قال فصاح بهم غياض وقال لهم ويلكم يا عبيد السوء هذا عظيم عندكم لا عند بني عبس الذين لا يبالون بكل من طلعت عليه الشمس ثم ساروا يقطعون القفار والجارية في هودجها تصيح بالبكاء وتذرف الدموع الغزار وكان عنتر

قد سمع من العبيد صفة ابيها و بعلها وعلم انهما لا بد ان يلحقاهم وعن المسير يعوقاهم وسمع ايضاً محاورتهم من اجله وكيف قد عولوا على قتله ورای قلة عنايتهم فحقد عليهم في قلبه وقال في نفسه والله لاعرفنهم قدرهم في هذا المكان ولا ارجع اجاور عبساً طول الزمان ثم تقدم اليهم وقال هنا كم الله بالنصر والظفر ياوجوه البدو والحضر فقالوا له وانت يا ابن زبيبة ياتيك ما يسرك ويدفع عنك ما يضرك فقال يا بني عمي انتم تعلموا ان هذه الغنيمه اوفى من الاولى وقد اشتهيت ان تطرحوا عليها السهام وتقسموها الى اقسام ليفرح كل واحد منا بقسمه ويحييه بروحه وجسمه فقال واحد منهم ويلك يا عنتر تأخذ الغنيمة الاولى وحدك وتاخذ قسماً من الاخرى الذي لم تمد اليها يدك فقال يا موالي لان الغنيمة الاولى انتم وهبتموني اياها وما جرت عادة السادات ان ترجع بالهبات فقال غياض ابن ناشب صدق الرجل اطرحوا السهام على سائر الغنيمة وابصروا ماذا يخص الرجل منكم فاعطوه نصف القيمه فقال عنتر ياوجوه العرب عاملوني بالانصاف واتركوا الجور والاسراف فقال غياض وما معنى هذا الكلام يا ابن اللئام فقال اما سبق الشرط بيني و بينكم ان كل غنيمة ناخذها يكون نصفها لي وحدي وانتم تأخذون النصف من بعدي فقال غياض و يلك يا ابن السوداء لقد اسمعت اذنك المحال ورميت نفسك في قيد الضلال فما انت الا مجنون بعد هذا المقال فلعن الله ساعة صادفناك على الطريق وعدمنا من اجلها الرشد والتوفيق فقال عنتر المجنون من يرافقكم وانا ما اخذ من الغنيمة غير نصفها والا قاتلت عليها كلها حتى تشرب روحي كاس حتفها فعندها التفت غياض الى اصحابه وقال يا ويلكم دونكم هذا العبد الاسود وقطعوه بالسيف المهند نحن نطرح في المخاطر نفوسنا ونبذل للسيوف رقابنا ورؤوسنا وياخذ هذا العبد غنائمنا واموالنا و يطلب حربنا وقتالنا قال فعندها انتخت الرجال وتصايحت الابطال وابعد عنتر عنهم وجال وما بقي بينهم الا القتال واذا قد بان لهم غبار كالغمام السيار فنظروا اليه حتى انجلى للابصار واذا قد علا من تحته الصياح ولمعت اسنة الرماح وفي اوائل القوم ابو الجارية امية القحطاني وهو يدمدم كالاسد وفي يده صارم مهند وعلى رأسه بيضة تتوقد وهو ينادي اين تذهبون يا بني الزواني والطالب لكم ابن يزيد حنظلة القحطاني قال وكان السبب في وصول هولاء القادمين العشرة الذين سلموا من الوقعة الاولى وفروا هاربين لانهم انقسموا قسمين فمضى منهم خمسة الى ابي الجارية وخمسة الى بعلها وكلهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وكانت حلل بني

طي اقرب فلما اخبروا ابا الجارية اشتعلت في قلبه نار الغضب وركب بثلاثمائة فارس مثل اسد البطاح غائصين في السلاح فلحقوا بني عبس قريباً لانه كان قد عاقهم ما جرى بينهم و بين عنتر من الخصام الذي تقدم اليه الكلام ولما راى عنتر الخيل قد تبادرت والفرسان قد تواترت علم انه يوم ثقيل وعلى اصحابه طويل فقال يا بني عمي جاءتكم الابطال واليوم يحل بكم الوبال لانكم منعتموني من الغنيمة حقي وطلبتم قتلي وقطع رزقي ولكن انا اسامحكم لاني في نعمتكم تربيت وعلى خدامتكم انتشيت وهذه الغنيمة لكم و باسيافكم نهبتموها و بقوتكم ملكتموها وانا كنت مزاحمكم فيها فاحملوا وخلصوها وقد اعترفت بذنبي وعفيتكم من حربي فقاتلوا من اتي ياخذها منكم وها انا معتزل عنكم فقال واحد منهم صدق الرجل لان ما لهُ الا ما يحصل بلا تعب ولا يحسن ان يقاتل غيرنا دون العرب هذا وعنتر قد طلب رابية عالية ووقف في اعلاها واخرج رجله من الركاب وعلى عنق جواده ثناها وصار ينظر ما يكون من اصحابه فقربتهم الخيل وانصبت عليهم مثل السيل فالتقوها باسنة الرماح وعلموا ان ما بقي ينجيهم الا ضرب الصفاح ثم اشتعلت بينهم نيران الحرب واختلف الطعن والضرب وسالت الادمية مثل السيل وصار النهار مثل الليل وعظم الحرب والويل وكثر على بني عبس العدد وزاد المدد وسطا عليهم شارب الدماء واخذ الانفس الكرب والظماء وتحسروا على جرعة من بارد الماء وملك شارب الدماء ابنته ومن كان معها من الاماء وطلبت بنو عبس الهزيمة وكانت سلامة نفوسها عندها اوفى الغنيمة ونظر الى احوالهم عنتر فرد رجله الى الركاب واقتلع رمحه من التراب وتحدر من الرابية مثل العقاب وقال اريد اعرف بني عمي قدر ما سمعت منهم من غليظ الخطاب واخليهم يعرفون كيف فعل اصحاب الانساب ثم اتبع اثار القوم وقد صرخ فجاوبته الاودية والشعاب ودفع الابجر فمر به مثل مرور السحاب وهو ينشد و يقول

اليوم تخبرنا العوالي ومضارب البيض الصقالِ
وتبين في الحرب العو ن لنا العبيد من الموالي
ما الفخر عند الملمات بالاسا ن ولا بانساب الرجالِ
الفخرُ صبرٌ في الحرو ب على الملمات الثقالـــ
ولقاء كل غضنفر متغطرس وافي السبالـــ
فاختر لنفسك منزلاً ترقى به فالعز غالِ

وانا ابن سوداء الجبينِ زبيبة راعي الجمالِ
الدرعُ عمي والحسا مُ ابي وهذا الرمحُ خالي

قال الراوي وكان بعض الخيل قد تبعت بني عبس والباقون وقفوا مع الجارية فطلبهم عنتر وصاح فيهم صيحة زلزلت البادية وطعن في اواسطهم فتفرقوا وباداهم بطعناته وضرباته فتمزقوا من شدة الصياح سمع باقي الفرسان الذي تبعوا اصحاب عنتر والتفت المقدم عليهم فرأى ما حلّ باصحابه من العبر فقال يا ويلكم دهمتنا الرجال ولا شك ان هذا كمين فيه الف من الابطال ثم عادوا وقد قلبوا الاعنة وقوّموا الاسنة فتلقاها عنتر بطعن يسبق لمح البصر وضرب يوافق القضاء والقدر وقلب اقوى من الحجر وقد اعانه على ذلك سرعة جواده الابجر لانه كان اذا طلب لحق واذا طلب سبق وجعل يجول يميناً وشمالاً وهو يجندل الفرسان حتى طرح اكثرهم في تلك القيعان ونظر بنو عبس وقد انقطع الطلب عنها فرأوه قد اوقد نار الحرب واضرمها ونكس الفرسان واجرى دمها ولم يثبت بين يديه احد الا شارب الدماء مقدمها فقالوا والله ان هذا الفعل لا يقدر عليه احد من ابطال العجم والعرب ويحق له ان يأخذ من الغنيمة كل ما طلب ثم صفت له منهم القلوب وصارت محبته في قلوبهم كمحبة يوسف في قلب يعقوب وحملوا ليعينوه بنيات صحاح ومدّ الى بني طي قطع الرماح وابصر شارب الدماء هذه النوائب وقد اتت اليه الفرسان من كل جانب فاطلق عنان جواده وولى هارباً وللنجاة طالباً وتبعه من بُقي من رفاقه ولا يصدقون بالنجاة وعنتر يدمدم كالغول وينشد ويقول

ايا نفسُ صبراً عندَ مشتجرِ القنا فان عزيز القومِ من عزّ جانبه
ولا تطلبي مني الفرار فانني لي الموتُ حلوٌ ان تقعْ لي مضاربه
ساحمل في الحرب العوان بهمةٍ اذا النقعُ في العيوقِ مدت سحائبه
وتبقي دماء القومِ تجري كأنها زواخرُ بحرٍ فيه تسري مراكبه
ايا عبل قد جاء العدى يطلبونني يريدون قتلي والقضا من يغالبه
ايا عبلَ لو شاهدتني قد احاط بي من القومِ قرنٌ ثم كانت مضاربه
ايا عبلَ ما لي اليوم في البرّ مسعفٌ سوى السيفِ والمهر الذي انا راكبه
ايا عبلَ كم من سيد قد قتلتهُ وقد ندبتْ حزناً عليه حبائبه
وكم جحفل فرقتهُ وفت معركٍ وكم ملاك بالطعنِ فرت كتائبه

وكم فارس القى السلاح لهيبتي اذا جئته يوم الهياج احار به

قال الراوي فلما سمعوا هذه الابيات تلقوه غير ذاك الملتقى واكثروا له من المدح والثناء والدعاء بطول العمر والبقاء وقالوا له لله درك من اسد اسود وصارم مهند والله لو اخذت الارواح وملكت الاشباح لكان ذلك اقل القليل في مقابلة فعلك الجميل ثم اعتذروا اليه فقبل عذرهم وقال انا لا انكر فضلكم وما انا الا عبدكم من جديد وقديم وبكم اعتز في كل هول عظيم ثم جعلوا يجمعون الاسلاب والخيول والرماح والنصول وساروا طالبين الديار وهم في غاية الفرح والاستبشار قال ووصل الخبر من الخمس الفوارس الآخرين الى بعل الجارية ناقد بن الجلاح المعني المعروف بفارس اليس وهو اسم فرسه الذي كان يفتخر بها على بني معن وبنى قيس قال وكان ناقد بن الجلاح من ليوث البطاح واسود الكفاح لا يخاف من طعنات الرماح وكان دأبه مصارعة الابطال وحمل النوائب الثقال وكان اذا لطم الجمل اتلفه واذا مسك قوائم الفرس الجاري اوقفه واذا هز الرمح الاصم قصفه وكان مع هذه القوة والشجاعة وحشي الخلقة قبيح المنظر افطس الانف غليظ المشفر وكان جرى له مع ابي الجارية وقائع حتى زوجه بها وفي هذه الايام ارسل في طلبها فزينها ابوها واخرجها مع السبعين فارساً الذين ذكرناهم والتقاهم عنتر والاربعون الذين كانوا معه كما وصفناهم ووصل الخبر الى ناقد بن الجلاح فاشتعلت في قلبه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وثار من مضربه ثوران الاسد وغاص في الحديد والزرد وركب جواده وجمع قومه واجناده وخرج من الخيام وقد تبعه خمسة آلاف فارس همام وسار بهم وهو في مقدمتهم يقطع القفار وفي قلبه لهيب النار وهو يود لو انه طار حتى يلحق اعداه ويأخذ منهم بالثار وسار ثلاثة ايام ليلاً ونهاراً حتى خرج من ديار بنى قحطان وعوّل ان يقصد ديار بني عبس وغطفان ويلحق عنتر ومن معه من الفرسان ومن شدة حرصه فرق الخمسة آلاف فارس على الطرقات وملأ بها القفار والفلوات وكان عنتر ومن معه من الفرسان قد ساروا مسير الامان لما خرجوا من ارض بنى قحطان وطلبوا ديارهم والاوطان وقد صفت لعنتر نياتهم وبردت لهفاتهم وداموا على مسيرهم خمسة ايام وفي اليوم السادس ظلع من خلفهم الغبار والقتام وثار من سائر الجنبات كما يثور الغمام وسمعوا فيه صياحاً يقرع الآذان ويذهل الخواطر والاذهان فوقفوا ينظرون اليه ساعة من النهار حتي انكشف الغبار وظهرت تحته المواكب من كل جانب ولمعت الاسنة والقواضب وناقد في اوائلهم كانه الاسد الواثب وقد كشف

راسه وخفف لباسه وهو ينادي اين تاخذون يا بنى الزواني بالحريم ولكم مثلي غريم قال ونظرت فرسان بني عبس الى هذا البلاء فهالها وكاد يقطع اوصالها وقال بعضهم لبعض هذه فرسان بنى قحطان كلها قد تحصنت بالصفاح لنهب الارواح واليوم تباع النفوس بيع السماح وتنخضب الاجساد بادمية الجراح وتتكحل المقل باسنة الرماح ثم التفتوا الى عنتر فرأوه يترزم و يتحزم وكلما رأى الخيل قربت منه يتبسم فتعجبوا من قلة اكتراثه بالرجال ومن سعة صدره الى لقاء الابطال فقالوا له يا ابا الفوارس اليوم والله تؤخذ غنائمنا وتطير جماجمنا فقال يا بني العم الاعمار لا تنقص ولا تزيد ومن كان في اجله تاخير لا يعمل في جلده الحديد و يسلم من كيد الاحرار والعبيد وانا لمثل هذا اليوم كنت اطلب واريد لاني ما خرجت من العشيرة ولي نية في العودة اليها لاجل ما تم بيني و بين ابي من الامور التي اطلعتم عليها وانما اتفق لي معكم هذا الاتفاق وكنت عائداً الى اهلي غير طيب الاخلاق والآن قد اشتعلت نار الحرب وما بقي يشفي قلبي سوى الطعن والضرب فمن شاء منكم فليحارب ومن أبى فلينصرف وهو هارب فانا لا بد لي ان اكون لكاسها اول شارب فان سلمت كان ذلك غاية المرام وان قتلت فاقرأوا على الملك زهير وولده مالك مني السلام ثم حرك جواده يطلب الفرسان القادمين وهو يهمهم كانه اسد العرين و ينشد و يقول

اليوم تنظرُ آل عبس موافقي ... وفعائلي في الحرب حين اجولُ
وترى قتالي دونها بعزيمةٍ ... فيها منايا الدارعين تصولُ
انا فارسُ الفرسان والاسد الذي ... بأسي يخافُ وصارمي مصقولُ
والجنُّ تخشى ان تلمَّ بساحتي ... ويخافني وسط الرِحالِ الغولُ

قال الراوي ولما فرغ عنتر من ابياته حمل على القوم وحده وشمر نحوهم ساعده وزنده فاحتاجت بنو عبس ان تقاتل معه القوم خوفاً من العار واللوم وحينئذٍ اختلطت المواكب بالمواكب واختلفت رسل المنايا بين مغلوب وغالب وندمت فرسان بنى عبس على الثبات وتحسرت على ما فات وقتل منهم عشرون من السادات والباقون ايقنوا بالحتوف وعاجل الممات فانهزموا وتشتتوا في الفلوات وما فيهم من يصدق انه قد نجا من الآفات واصطلى عنتر بنفسه نار الحرب وطلب صدور الفرسان بطعنات نافذات وضربات اخف من هبوب الرياح العاصفات وحمل حملات تهد الجبال الراسيات وابصر ناقد افعال عنتر واهواله فاستعظم امره وتقدم يريد قتاله فقال عنتر في نفسه

ان انا قتلته وقعت هيبتي في قلوب الرجال وعاد بالابجر الى الوراء حتى اتسع له المجال
وتبعه ناقد بن الجلاح وقد طمع فيه واستطال وصاح في رجاله فوقفت عن القتال
واراد ان يري زوجته فعاله بالابطال فعاد اليه عنتر عودة الاسد الرئبال ثم اصطدما
فكانا كانهما بعض الجبال ولعبا بالرماح الطوال حتى تحيرت فيهما عقول الرجال وجدّا
في الطعان حتى اذهلا كل انسان وما زالا كذلك حتى خدر الساعدان وتعب الزندان
و بانت الزيادة والنقصان واختلف بينهما طعنتان فاصلتان فكان عنتر اسبق واعرف
بمواقع الطعان وارشق فوقع سنانه في صدر ناقد بن الجلاح فخرج من ظهره يلمع مثل
نجم الصباح ومال الى الارض يختبط في دمه و يبحث بكفه وقدمه وابصرت فرسان
بني قحطان ما نزل بصاحبها فزعقت على عنتر من سائر الجوانب وقصدته بالرماح
والقواضب وهي تقول لعن الله قطستك يا ولد الزنا لقد قتلت فارس قحطان وجبار
الزمان واطلقوا نحوه الاعنة وقوموا الاسنة وهو عن نفسه يدافع و يمانع و يتعلق باذيال
الآمال والمطامع و يمد الرجال مثل الضحايا و يوردهم موارد المنايا ولم يزل كذلك حتى
كثرت فيه الجراح وسال دمه على اسنة الرماح الا انه ثبت للرماح وهي تنهبه وطاب
له الموت وعذب مشربه ونادى بنو معن بعضهم وقد ملاؤا بكثرتهم جنبات تلك
الارض يا و يلكم اقتلوا جواد هذا العبد الشديد السواد والا افناكم ولم تبلغوا منه المراد
فهنالك تقدموا وعلى قتل جواد عنتر عزموا واذا قد ظهر غبار وارتفع و بعد تفريقه
اجتمع حتى اسودت به البراري والقفار وحجب ضوء شمس النهار ثم انكشف للعيون
و بان من تحته جيش جرار وفي مقدمته فارس يتمايل في سرجه كانه نشوان من
شراب كاس العقار وذلك الفارس فاخر الثياب مليح الشباب وعليه درع معلم بالذهب
بصفائح مثل النار ذات اللهيب والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان و يتسابقون للحرب
مثل العقبان قال وكان المقدم على ذلك الجيش مالك بن زهير المعهود سعيه بالخير وقد
ذكرنا ما كان جرى على قلبه من فقد عنتر وانه اخبر اباه بعد ثلاثة ايام فعتب عليه لانه
ما اعلمه قبل ذلك بالخبر وحينئذ انفذ الملك زهير خلف شداد ولامه على تفريطه
في امر عنتر وما صنع في حقه من العمل المنكر فقال شداد يا مولاي والله ما كان
السبب في ذلك الا اخي مالك لانه كان يبكي في وجهي و يقول ان ابنك فضحني في
ابنتي وان الحقته بنسبك زاد طمعه فيها وما يرجع بعد هذا يخليها و يكون آخر امري
اما ان اقطع راسه بالحسام واما ان آخذ ابنتي وارحل عنكم بسلام فقال له الملك

زهير لقد فرطتم فيه ولو اني علمت به لاخذته انا الى بيتي وزوجته باحدى بناتي وكنت افتخر به على سائر القبائل واملك بسيفه جميع المراعي والمناهل واي فخر يكون اعظم من هذا بين العربان اذا كانت عبيدنا تذل الفرسان فوحق ذمة العرب لابد ان اقف على اخباره واعيده الى دياره ثم ارسل بعض عبيده يقتفون آثاره فبلغهم انه رافق فرسان بني عبس وغياض بن ناشب لانه صادفهم في البرية وهو ذاهب فعند ذلك امر الملك زهير ولده مالك ان يركب في طلبه وان اجتمع عليه لا يعود الا به فعند ذلك انتخب مالك من الابطال خمسمائة فارس وساروا يقطعون الآكام ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع التقوا بالعشرين المنهزمين من اصحاب غياض بن ناشب فسألهم مالك عن عنتر فاعلموه بالخبر وقالوا تركناه والخيل محيطة به والرماح تنهب جسده وهو يكابد الاهوال وحده فبكي مالك وقال والله لا اعود حتى آخذ بثاره او اعيده الى دياره وجد في مسيره فادركهٔ على تلك الحال وهو يصادم الابطال ويلتقي بصدره الاسنة والنصال فقال مالك هلك والله ابن زبيبة واشرف على العطب وهو لا يرى على نفسه الهرب وصاح في قومه واقتحم الفرسان واختلط بنو عبس وعدنان ببني معن وقحطان فاختلف الضرب والطعان واتسع على عنتر الميدان فتمكنت من الطعن الشجعان ونهبت الارواح من الابدان وجرت الدماء مثل الغدران وفعلت بنو عبس ذلك اليوم ما ازعج قلوب القوم وكانت فرسانهم بعد قتلة ناقد قد ذات وابصرت هذه المصائب التي وقعت عليها فولت وما صدق مالك ان يرى عنتر سالم فكان ذلك عنده افضل الغنائم ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب دنا مالك من عنتر واعتنقه وانعكف عليه فترجل له عنتر وقبل يديه وجمعت بنو عبس الاسلاب والاموال وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان وهم في احسن حال ومالك يحدثه بما جرى له مع ابيه وكيف عتب على شداد ومالك وعنفهما لاجله وقال له ان اباه ارسلهُ خلفهُ لكي يسترضيه ويرجعه الى اهله فسر عنتر لذلك وانشرح وامتلأ قلبه من الفرح وقال يا مولاي ما كنت على نية العودة الى اهلي لولا قدومك واشتغال قلب ابيك من اجلي ومن انا حتى تحملوا لاجلي هذه الاثقال وكم لكم عبيداً مثلي ترعى الجمال قال ولما اقبل النهار عاد القوم يطلبون الاهل والديار والاموال تنساق بين ايديهم والعبيد والاماء ومن الجملة اميمة بنت شارب الدماء وعنتر الى جانب مالك مسرور بعظمة امره وانتشار ذكره وكلما قرب من الاوطان لعبت به الاشجان وكلما هبت عليه الرياح زادت

به الافراح فانشد وقال

ذكرتُ عبلةَ والامواجُ تشتجرُ ... والبيضُ مشهورةٌ والنقعُ معتكرُ
وقد احاطت بيَ الفرسانُ واعتركت ... وسطَ المجالِ وجمرُ الحرب مستعرُ
بحيث لا أَلتقي ملجأً أَلوذ بهِ ... وقد تدانى القضا المسطورُ والقدرُ
فلم يكن عن بعيد الحي يبعدُني ... بل كاد قلبي لفرط الذكر ينفطرُ
وحين أَيقنتُ اني ليس لي فرجٌ ... أَتى اليَّ الذي منه ليَ الظفرُ
سيفان من نصله سيفٌ ومن يده ... سيف لقتل العدا صمصامةٌ ذكرُ
اعني به مالك الليث الهمامُ ومن ... للاسد في غابها من خوفه لحذرُ
فردَّ عني صدور الخيل فاندفعت ... مهزومةً ورجالُ الخيل قد كسروا
وعدتُ وابنُ زهير في كتيبتهِ ... والقومُ مخمٌ وهذا بينهم قمرُ

قال الراوي وساروا يقطعون القفار واستنشق عنتر رياح محبوبته فجاش بالشعر خاطره فباح بما انطوت عليه ضمائره وقال

اذا الريح هبت من ربى العلم السعدي ... طفا بردُها حرَّ الصبابة والوجدِ
وذكرني قوماً حفظتُ عهودَهم ... فما عرفوا قدري ولا حفظوا عهدي
ولولا فتاةٌ في الخيام مقيمةٌ ... لما اخترت قرب الدارِ يوماً على البعدِ
مهفهفةٌ بيضاء من سحر لحظها ... اذا كلمت ميتاً يقومُ من اللحدِ
اشارت اليها الشمسُ عند غروبها ... تقول اذا اسودَّ الدجى فاطلعي بعدي
وقال لها البدرُ المنيرُ الا اسفري ... فانكِ مثلي في الكمال وفي السعدِ
فولت حياء ثم ارخت لثامها ... وقد نثرت من خدّها رطب الوردِ
وسلت حساماً من لحاظ جفونها ... كسيف ابيها المرهف القاطع الحدِّ
تقاتل عيناها به وهو مغمدُ ... ومن عجبٍ ان يقطع السيف في الغمدِ
مرنحةُ الاعطاف مهضومةُ الحشا ... منعمةُ الاطراف مياسةُ القدِّ
يبيت فتات المسك تحت لثامها ... فيزداد من انفاسها ارج الندِ
ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها ... فيغشاهُ ليلٌ من دجى شعرها الجعدِ
وبين ثناياها اذا ما تبسمت ... مديرُ مدام يمزج الراح بالشهدِ
شكا نحرُها من عقدها متظلماً ... فوا حربا من ذلك النحر والعقدِ
ترى تسمحُ الايامُ يا ابنة مالكٍ ... بوصلٍ يداوي القلب من أَلم الصدِ

ساحلم عن قومي وان سفكوا دمي واجرع فيك الصبر دون الملا وحدي

قال الراوي وكان عنتر ينشد ومالك يتبسم فرحاً بشجاعته وعجباً من فصاحته الى ان فرغ من ابياته وهدأت نيران زفراته فقال له مالك اقر الله عينك وشرح صدرك و بلغك مرادك ويسر امرك فوالله لقد نشرت لعبلة ذكراً بين الاباعد والاقارب ولا بد ان تسير بهذه الابيات الرواة الى احياء الاعارب ويشيع ذكرها في كل الجوانب فتاتي اليها الطلاب وتكثر عليها الخطاب فقال عنتر يا مولاي وحق مالك علي من الافضال والمنن ما احد يقدر ان يذكرها ما دام هذا الراس مركباً على هذا البدن واذا كنت انت لي فما ابالي بطوارق الزمن وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى الديار وسمع الملك زهير بقدوم ولده مالك وعنتر معهُ وقد عاد سالماً من الدمار فركب وتبعه جماعة من السادات والاجناد سوى ابنه شاس والربيع بن زياد ومالك بن قراد وكان شداد قد ذكر لاخيه مالك ما جرى له مع الملك زهير وكيف عاتبه من اجل عنتر فقال والله يا شداد ان رجع هذا العبد سالماً وتعصبت له انت وزهير تركت الحي ومرت في البر الاقفر فقال شداد يا اخي لا تفعل ومن هو عنتر حتى انك من اجله ترحل والصواب ان ندع هيبتنا عليه باقية ولا نرفع له راساً بين البادية واما انفذه الى كل مصيبة والقي به كل كتيبة ولا ازال به حتى اهلكه في برهة قريبة قال وكان شداد يبرد قلب اخيه مالك بهذا الكلام و يرغبه في المقام الى ان سمع بقدوم مالك بن زهير ومعه عنتر في كل خير وراى الملك قد ركب للتقاهما فركب شداد واخوه رخمة الجواد ولم يزالا بمالك وولده عمرو حتى ركبا وساروا في بني قراد ولما راى مالك اباه قد اقبل ترجل وسعى اليه وكذلك فعل عنتر وقبل كلٌ منهما يديه ففرح الملك زهير وقال لعنتر اتظن يا ابا الفوارس اننا غفلنا عنك لما خرجت غضبان او طابت لنا بعدك الاوطان فقال عنتر ايدك الله ايها الملك انني ما خرجت في زي حردان ولا انا الا اقل العبيد والغلمان ولكن لما خرجت من حضرتك عثر لساني مع مولاي شداد بذلك المقال وزين لي الطمع وجه المحال فطلبت ما لا يحق لي كما تطلب الجهال وما كان لي بعد غضبه الا الارتحال والان قد حملتني منةً لا تطيق حملها الجبال فلا زلت محفوظاً من حوادث الايام والليال قال ثم التفت عنتر واذا مولاه شداد قد اتى اليه فسعى الى لقائه وقبل يديه وانشد يقول

مولاي شداد اني جئت معتذراً فاقبل فديتك عذرَ المذنب الجاني

واسمح لك الخير عما كان من ذللي وامنن بعفوٍ وافضالٍ واحسانِ

طلبتُ ما لم يكن حقي وذلكَ من جهلي ومن سوء افعالي وعصياني
وانتَ اسمحُ من كل الكرام كما نراك افصح من قس وسحبانِ
وبالشجاعة قد اصبحتَ منفرداً يخشاك كلُّ شديد البطش طعانِ
ومالكُ بن زهير ذاك خلصني من العدى والردى والحرب تغشاني
اتى ففرقهم عني بسطوته وردهم بحسام منه دنانِ
لا زلتما في نعيم دائماً ابداً ما غردت صادحاتٌ فوق اغصانِ

قال فلما سمع شداد هذا المقال ونظر الى تذلل عنتر بين يديه تحركت له جميع اعضائه دون سائر الرجال لانه ولده على كل حال وقال في نفسه لعن الله من يجحد وينكر مثل هذا الولد ثم انثنى عليه وقبل ما بين عينيه وكانت كل بني عبس تتعجب من مروءة عنتر وشجاعته وتنازله ووداعته وهم يقولون والله ما رزق هذا من مواليه مثل ما رزقوا منه لانه يذل نفسه لهم غاية الاذلال وهم يفعلون في حقه هذه الافعال قال وما كان ذلك من عنتر حاجة اليهم ولكن هواه لعبلة اقامه في ذلك المقام وما زال الهوى يذل اسود الآجام ويهين النفوس الكرام قال وقدم مالك الغنيمة الى بين يدي ابيه ففرق الدروع والخيل على عنتر واصحابه واما الجارية اميمة فانه اخذها الى ابياته وتركها عند حريمه وبناته ثم عاد عنتر وقد اصلح مالك بن زهير بينه وبين اعمامه واوصاهم بالمحبة والرضى وانهم لا يعيدون ما مضى وكان الملك زهير قد سمع ما جرى لعنتر لما رافق السرية ورأى الابجر فتعجب منه وقال لولده مالك والله يابني ما خلق هذا الحصان الا لعنتر ثم دخلوا الى الخيام والمضارب وما فيهم الا من تعجب بشجاعة عنتر وافعاله الغرائب سوى عمه مالك وولده عمرو فانهما كانا في غايه الهم والغم من ذلك الامر ومالك يقول لولده والله ياولدي ان الموت اهون من ان يكون عبدٌ ابن امةٍ في ابياتنا ويكون عاش في رعي جمالنا ويصير اعلى منزلة من ساداتنا والله ان هذا مما يطمعه في اختك فيفضحنا عند العربان طول الدهر والزمان فقال عمرو والله ياابي لو كان هذا العبد يلزم ادبه لكان نخره الينا عائد وكنا نلتقي به كل عدو وحاسد والان ما بقي لنا الا ان نزوج اختي برجل يحميها او نرحل من هذه الديار ونخليها والا فالملك زهير ما لنا به طاقة ولا على غضبه استطاقة فقال مالك وحق الكعبة لاقلعن اثره واطفين خبره ولاعملن في هلاكه التدبير ولا اخاف من ملك ولا امير هذا وعنتر قد دخل على امه زبيبة فقامت اليه وتلقته وهي لا تصدق ان تراه لانها كانت تحبه اكثر من اخويه لانه جعل بيتها مثل بيوت الاكابر وجعلها تفتخر على

كل اصحاب المفاخر وكان قد اهدى لابيه واعمامه كل ما وقع بيده في هذا السفر وما تعوض من الجميع الا بالاجر ولما استقروا في الخيام جمع الملك زهير اولاده العشرة وهم شاس وقيس ومالك وورقاء ونوفل وكثير وجندل والحارث ونهشل وجندب ودعا باخويه اسيد وزنباغ وجماعة من السادات المعتبرين واضرموا النار وارتفع القتار ودارت الكاسات ولعبت الخمور بعقول السادات وبينما هم كذلك واذا بالسماء قد تمخضت وغمامة سوداء قد تعرضت كما يشاء علام الغيوب ولمعت البوارق وانزعجت المغارب والمشارق ثم قوي عزم السحاب حتى فاضت الغدران بالماء العباب وتلاطمت امواجها كملاطمة الجبال في ذلك الوقت قال زهير لولده مالك في مثل هذا الوقت نحب ان نسمع كلام عنتر من لسانه ونقضي باقي هذه الليلة بمنادمته لانه فريد زمانه فارسل مالك من ساعته في طلب عنتر وما كان الا ساعة حتى حضر ودخل وسلم واطلق لسانه وتكلم ففرح به اولاد الملك زهير وما منهم الا من ترحب به وتبسم وكذلك الملك زهير رد عليه السلام واكرمه غاية الاكرام وقال له يا ابا الفوارس ويا زين المجالس لا يلذ لنا عيش ولا مسرة الا ان تكون معنا في كل حضرة والساعة التي تكون فيها حاضراً ننال منها حظاً وافراً فقبل عنتر يده ودعا له ثم قدموا بين يديه الطعام فاكل وسقوه المدام فنهل ثم قال له مالك يا ابا الفوارس حدثهم بما رأيت من اول سفرتك وما جرى لك مع رفقتك فانا قد حدثت ابي عن البعض من شجاعتك وانشدته ما حفظت من قصيدتك ولكن ليس الناقل مثل القائل فعندها ابتدأ عنتر يحدثهم بما جرى له مع غياض بن ناشب واصحابه وانشد القصيدة التي منها يقول

فيارب لا تجعل حياتي ذميمةً ولا ميتتي بين النساء النوائح

ولكن قتيلاً يدرجُ الطيرُ حولهُ وتشرب غربان الفلا من جوانحي

وحكى لهم كيف سبوا اميمة واخذوها وكيف اختلفوا على الغنيمة التي اغتنموها ثم انشد القصيدة التي من جملتها يقول

مهفهفةٌ بيضاء من سحر لحظها اذا كلمت ميتاً يقومُ من اللحدِ

اشارت اليها الشمس عند غروبها تقول اذا اسود الدجى فاطلعي بعدي

فولت حياءً ثم ردت لثامها وقد نثرت من خدها ورق الوردِ

قال الراوي هذا والملك زهير يشرب ويطرب وقد سر بعنتر . ومما جرى له تعجب وقال وحق ذمة العرب لقد اكمل هذا الرجل الشجاعة والفصاحة والادب واكتسب من

زمانه احسن مكتسب ثم التفت الى اخيه اسيد وقال له يا اخي من اليوم فصاعداً تناظر عنتر ونكتب جميع مـا يقول من الشعر المفتخر فان لنا في ذلك الشرف الزائد وفخره علينا وعلى قبائلنا عائد ثم دارت بينهم على حديث عنتر الكاس وكان حاضراً بينهم شاس فكان كلما راى اباه يزيد لعنتر في الاكرام يزيد في قلبه الغيظ والضرام وما زال على ذلك حتى قام عنتر مع شيبوب وابعد عن ابياتهم لقضاء بعض الاشغال والسكر قد غلب عليه ومال فقال شاس لابيه والله يا ابتاه ان هذا العبد قد كسانا وبني قراد عارًا بين العشائر وقبائلي العرب بذكره لعبلة وعشقه لها وهو كما علمت عديم الحسب والنسب وسنكون بسببه هزءا في جميع الاقطار اذا سمعت العرب ان عبيدنا تعشق البنات الاحرار غير اني لا الومـه على ذلك لان كل احد يطلب لنفسه العلو والافتخار ولكني اعجب منك كيف تطمعه في ذكر البنات العربيات وتحسن له ان يذكر المخدرات وقد كان بالامس لعبلة عبدًا ذليلاً فكيف يصير اليوم لهـا بعلاً وحليلاً ولئن تم هذا الامر بزواج عبلة لهذا القرنان ليركبنا العار الى اخر الازمان قال فلما سمع زهير منه ذلك قال لهو يلك ياشاس ماهذا القول الباطل الذي لايتكلم به الا كل احمق جاهل ومن ترى يقدر ان يرد احكام الخالق العظيم او يمنعه ان يتم سعد عبد او يتيم وربما يكون لهذا العبد سعادة و يبلغه ربه الارادة وها قد بدت له السعود واجهل الناس من يكون لاهل السعادة حسود ٠ فانه قط في عمره لا يسود قال فبينما هم على ذلك واذا بعنتر قد حضر وعيناه ترشق ابيات عبلة بالنظر وقد ابصر بها ناراً توقد فتنفس الصعداء وانشد

هذه نار عبلة يـاندمي	قد جات ظلمة الظلام البهيم
تتلظى ومثلها في فـوادي	نارُ شوق تزيد في التضريمِ
اضرمتها بيضاء تهتزُّ كالغصن	اذا مـا انثنى بمرّ النسيمِ
وكستها انفاسها ارجَ الندِ	فبتنا من عرفها في نعيمِ
كاعبٌ ريقها الذ من الشهدِ	اذا مازجتهُ بنت الكرومِ
كلما ذقت باردًا من لماها	خلته في الفواد نار الجحيمِ
سرق البدرُ حسنها واستعارت	سحرَ اجفانها ظباء الصريمِ

انتهى الجزء الثاني من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث

من سيرة

عنترة بن شداد

وغرامي بها غرامٌ مقيم وعذابي من الغرام المقيمِ
واتكالي على الذي كلما ا صر ذلي يزيدُ في تعظيمي
ومعيني على النوائب ليثٌ هو ذخري وفارجٌ لهمومي
ملكٌ تسجدُ الملوكُ لذكرا هُ وتومي اليهِ بالتفخيمِ
واذا سار سابقته المنايا نحو اعداه قبل يوم القدومِ

قال الراوي فسر الملك زهير لما سمع شعر عنتر واثنى عليه وشكر وقال وحق ذمة العرب لقد وليتنا من الافضال ما لا يكافي بنوال ولقد غمرتنا باحسانك وتفضلت علينا بكرمك وامتنانك ولقد فقت على اقرانك وافتخرت على ابناء زمانك ثم ان الملك زهير اهدى عنترًا مولدتين بكرين ناهدين مضمختين بالمسك والعنبر وفي عنق كل جارية منهما عقد من الجواهر وقال له يا ابا الفوارس قد ذكرتني في شعرك بكل جميل فحق لك عليَّ الجزاء الجليل غير انني ما ارضى لك بهذا القليل ولا اتخلى عنك حتى تنال اعلى المطالب وتطيعك الاهلون والقرائب وانني وحق رب البيت لو انك تكون عندي لكنت الحقتك بنسبي وشاركتك في حسبي ولو عيرتني بذلك جميع قبائل العرب واولي المناصب والرتب قال واما شاس فانه غلب عليه الكمد والحرج فقام من عند ابيه وخرج وفي قلبه من عنتر نيران تتأجج ومكث عنتر عند الملك زهير على الانشاد وشرب المدام حتى انشق حجاب الظلام وتبلج نور الفجر وقد لعب براس عنتر السكر و بعد ذلك خرج عنتر هو ومالك حتى ابعدا عن السرداق فتوادعا هنالك وسار عنتر وشيبوب بين يديه والطيب يفوح من ردنيه حتى وصل الى بني قراد فرأى نيرانهم زائدة الانقاد ونيران باقي الحلة خامدة واعينهم راقدة فانكر ذلك وسأل امه عن الخبر . فقالت له ان مولاك شدادًا واخوته ركبوا واخذوا في عرض البر الاقفر وساروا في عشرة

فرسان على غنيمة و بقيت النساء في الاحياء مقيمة وهنّ ينتظرنك حتى ياتينَ اليك ويسلمن عليك و يسألنك عن سفرتك ويحظينَ بحديثك ورؤيتك واشوقهنّ اليك محبوبتك عبلة ابنة عمك التي لا تزال تنتظر حلول قدمك . قال فلما سمع عنتر ذلك طار من رأسه السكر وحلت مكانه البلابل واشتغال الفكر واشتاق الى مغازلة عبلة ومرآها والتمتع بجمالها وسناها ثم دخل بين المضارب وقلبه من الاشواق لاهب حتى وصل الى النيران فعرفته النسوان ونهضنَ اليه وما فيهنّ الا من فرحت به وسلمت عليه وقالت له سمية امراة ابيه ويلك يا عنتر اما رويت من الخمرة ولا شبعت من السكرة الى كم تسهر اعيننا بانتظارك وانت مشتغلٌ بخمارك . فقال لها عنتر وذمة العرب ما علمت ما جرى عندكم من الاحوال ولا دريت بغيبة الرجال ولو علمت ذلك لأتيت اسرع من هبوب ريح الشمال ثم تقدم الى عبلة وامها وسلم عليهما ووقف بين يديهما ولما راى عبلة بكى واشتد به العشق والهيام وجعل يخاطبها بالطف خطاب وارق كلام فقالت له عبلة ويلك ياعنتر كف دموعك وقل تفيجيعك فانشد يقول .

كتمتُ غرامي باجتهادي وطاقتي ... واخفيتُ وجداً في الحشى ينضرمُ

وما زالَ بي الكتمانُ حتى كأنه ... يردُ جوابي في الهوى وهو اعجمُ

لاسلم من قول الوشاة وتسلمي ... وما احدٌ من السنِ الناس يسلمُ

قال الراوي وكانت دموعه لعبلة شفيعة ونظرها لقلبهِ نبلةً مريعة الا انها لما رأته تلك الليلة على تلك الحال قالت له بكلام الدلال و يلك يا ابن زبيبة اين قسمي من الغنيمة او ما كان لي عندك قدرٌ وقيمة فقال لها وحيوة عينك العزيزة عندي ما انت الا روحي و كبدي واعز من ساعدي وزندي ولكن وحق جبينك وضياء وجهكِ وبهائه ما بقي في يدي منها عقال ولا مال ولا نوال بل قدمت الكل الى ابيكِ واعمامكِ في الحال ثم اعطاها المولدتين والطيب والعقدين وقال لها هذا الطيب انتِ في غنى عنه وهذا الجوهر عنقك ابهى منه فضحكت من كلامه وشكرته على انعامه وسالتهُ عن سفرته فحدثها بالجميع وقد صار له في قلبها المكان الرفيع . ولما فرغ عنتر من حديثه سأل عن ابيه شداد واعمامه فقالت له النساء انهم ساروا يطلبون غنيمةً من حين اقبل الليل بظلامهِ وقلوبنا خائفة عليهم لان العبيد اخبرونا ان الغنيمة مع قيس بن ظبيان الحارثي فارس ارض اليمن كلها ومبيد الابطال ومذلها وهم الذين اخبروا مولاك عنها اليوم وقالوا له ان الرجل قد نزل على غدير ارض الدوم فقال

شداد انا اسير اليه واقلع الغنيمة من يديه ثم ركب ومعه اخواه مالك وزخمة الجواد وتمام العشرة من الاجناد وطلبوا غدير ارض الدوم وهذا اخر العهد من القوم فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد ركبوا طريق الخطر وساروا على غرر لان هذا قيس بن ظبيان فارس بني قحطان وانا اعلم انه معه يخسرون ولا ينالون ما يشتهون . انا ما بقيت اقدر ان اصبر عنهم ولا اواخذهم بفعلهم لانهم ساروا وما اعلموني وقد احتقروني بجهلهم ثم ودع عبلة وقال يا مولاتي هذه ليلة ما اظن ان ارى مثلها في المنام او تغلط بمثلها الايام

قال الراوي فملك عنتر قلب عبلة بهذا المقال وقالت له امها انت اليوم يا عنتر اعز من عندنا من الرجال ونحن ما حجبنا عبلة عنك الا لما سمع ابوها من كلام الحساد والعذال قال الراوي وبعد ذلك عاد عنتر واخذ رمحه وتقلد بحسامه وخرج باخيه شيبوب وسار في طلب ابيه واعمامه . فلما ابعد عن الابيات قال له شيبوب اعلم يا اخي ان قلبي غير طيب بسيرك اليهم لان كل ما تفعل معهم ضايع وتعبك غير نافع فقال عنتر ولماذا يا شيبوب فقال يا اخي اعلم ان امرأة ابيك شداد قالت لي من اول الليل حذر اخاك من مالك وولده عمرو فقد عولا على قتله وهما يخفيان الامر وسمعت من عبلة هذا الكلام وقد امرتني ان احذرك منهما فعلى نفسك الملام . فقال عنتر ويلك يا شيبوب انا ما سمعت من سمية شيئاً من هذا المقال فقال شيبوب يا اخي ما امكنها ان تحدثك وانت بين النساء والرجال وانت كنت اول الليل عند الملك زهير واتفق سيرهم في طلب الغنيمة ولولا ذلك كان ابو عبلة الهالك في مهلكة عظيمة والصواب اننا اذا لحقنا القوم وهم في القتال ناخذ حذرنا منهم والا اغتالونا ولاجل هذا سار شداد وما اعلمك بالحال فقال عنتر ويلك يا شيبوب سوف اريك من يلوم نفسه على القبائح ومن هو الذي تحل به الفضائح ويبان منا الخاسر من الرابح قال ثم ان عنترا اركض جواده وشد اجتهاده وهو قاصد الى ما هو قاصد اليه وشيبوب يجري بين يديه فلما توسط في البر تذكر احواله وما جرى له فانشد وقال

اسيرُ بعون اللهِ نحوَ النوائبِ	واطعنُ في الاعداء من كلّ جانبِ
اما علمتْ فرسانُ قحطانَ انني	افلقُ هاماتِ العدى بمضاربي
اياعبلَ كم من سيدٍ قد تركته	طريحاً بعضَ الارض فوقَ السباسبِ
اياعبلَ لو عاينتِ في الحرب موقفي	ومالي معينٌ غيرَ رمحي وقاضبي
انا عنتر المعروفُ في كل مشهدٍ	ونجمي تراقى فوق اعلى المراتبِ

سالقى ملوك الارض شرقًا ومغربًا واجري دم الابطال مثل السحائب

قال الراوي ثم انه جد في السير حتى هجم الحرّ واشتعل البر واذا هم بفارس في الحديد غاطس وهو راكب على جواد ينهب الطريق ودرعه في الدماء غريق . فقال عنتر واحرباه من هذا الحال والله ان هذ لبئس التشاؤم ثم تأمل في ذلك الفارس واذا هو من بني قراد احد رفاق ابيه شداد وفيه جرح وثيق وله زفير وشهيق فقال له عنتر ما هذا الحال يا ابن العم فقال والله يا ابا الفوارس ما طلع سهمي من هذه الغنيمة الا هذه الجراح العظيمة وان جاروا علي واخذوا زيادة من حصتي فهم في حل من جهتي . فتبسم عنتر وقال له ويلك ما معنى هذا الكلام قال اننا سرنا مع ابيك واعمامك من اول الليل حتى نكبس بني قحطان وناخذ الغنيمة ونرجع بالامان فرأينا قيس بن ظبيان يحرسهم فلما احس بنا حمل علينا وطلبنا واول ما طعنني انا وبعدي طعن عمك وولداه واخذهما اسارى بالذل والعناء ثم دار قومه منا كسباع البرية وفي دون ساعة قتلوا اربعة منا واسروا البقية وهربت انا في الفلا وقد اصابني هذا البلا فان كنت تريد ان تلحقهم فها هم بين يديك وان اردت السلامة فارجع واقبل مني ما اشير به عليك . قال عنتر لا وذمة العرب وشهر رجب لا عدت حتى اوشح الكل بحسامي واخلص ابي واعمامي فانطلق انت امامي وان كنت قد عجزت عن المسير فانزل الى جانب هذا الغدير حتى اعود اليك وترى ما تنال به قرة عينيك . فقال وذمة العرب انه مابقى لي كبد ولا فؤاد ولا رمق امسك به نفسي على ظهر الجواد ثم قال لشيبوب اطرحني على جانب الغدير لعلي ابقى الى حين ترجعون لاني مشرف على شرب كاس المنون فطرحه شيبوب على جنب الغدير وسار مع اخيه حتى اشرف على القوم والخيل تنساق قدامهم كالحمير وقيس بن ظبيان على اثارهم وشداد ومن معه في الوثاق وقد كادت ارواحهم تبلغ التراق خائفات من قيس التفاتة فراى عنترًا وهو يركض من وراه فجمع اصحابه وتلقاه ثم دنا منه حتى قابله وقال له ويلك من تكون فاني ارى جلدتك جلدة العبيد وهمتك همة الصناديد . فقال له عنتر الويل لك سوف تعلم من النقاك من الفرسان اذا انطرحت قتيلاً تاكل لحمك العقبان وتشرب دمك الغربان

قال الراوي ثم انه حمل على قيس بساعد شديد وقلب اقوى من الحديد وجالا واوسعا في المجال وتطاعنا طعنًا يقرب الاجال وتشيب منه الاطفال وابصر شيبوب ان اخاه على عدوه قد استطال فصار يقول ياه يالك اطلبوا لانفسكم النجاة يا بني قحطان .

فقد ادركتكم بنو عبس وغطفان وقتل مقدمكم قيس بن ظبيان فلما سمع القوم الصياح طلبوا شيبوب بالرماح وقالوا له كذب تشاؤمك وساء مقالك وخابت امالك ولما قربوا منه جعل يرميهم بالنبال فيشك بها مقاتل الرجال . واذا ادركته الخيل يسعى مثل ريح الشمال فكانوا يتعجبون من فعاله ويتعوذون من نباله وظنوا انه شيطان في صورة انسان ولم يزل يحمل عليهم ويمنعهم عن المسير حتى ادركته الخيل وصار النهار عندهم مثل الليل فعثر شيبوب بحجر ووقع على قفاه وحل به الاسف واشرف منه على التلف واذا بعنتر قد طلع كالاسد البيداء وسنانه يقطر من دم الاعداء وكان قد جاول قيس بن ظبيان حتى اضجره واكربه وطعنه بالرمح في صدره فالبسه . فادرك اخاه وهو على تلك الحال فكشف عنه الرجال ونهب مهج الابطال وابصرت بنو قحطان اهواله فولوا الادبار وارتكنوا الى الفرار وما نجا منهم الا من كان له عمر مديد والباقون انطرحوا على وجه الصعيد لا يقومون الى يوم الوعيد واحتوى عنتر الغنيمة وخلص قومه من الهلاك وفرحوا كلهم سوى عمه مالك فان الموت كان اهون عليه من ذلك الا انه شكر عنتر مع من شكر واظهر له خلاف ما اضمر وعاد القوم يسوقون الغنائم بعد ما كانوا يساقون كالبهائم هذا وعنتر يعاتبهم ويقول لهم انتم سرتم وما اعلمتوني بالحال وكانكم خفتم ان اقاسمكم في الغنيمة والاموال وانا وحق ذمة العرب وشهر رجب لو ملكت كل مال الارض لم اطمع منه بعقال وما قصدي الا رضاكم على كل حال . فقال له شداد بن سرنا وانت عند الملك زهير في مسرتك وكنت تعبانا من سفرتك فتركناك حتى تستريح وفي الاخر احتجنا الى نصرتك فشكرهم عنتر على هذا المقال وساروا طالبين الاوطان والاطلال حتى ادركهم المساء فنزلوا على الغدير الذي ترك شيبوب عنده ذلك المجروح فوجدوه فارقت جسده الروح فحزنوا عليه وقالوا لقد فقد لنا ابطال كانوا احسن لنا من الغنيمة وافضل من المال وكان ذلك الغدير في واد واسع الجنبات كثير النبات فتعجبوا من حسن ذلك الوادي ثم استراحوا هناك الى ان طلعت الشمس وامتد نورها على البوادي فساروا حتى اشرفوا على الاحياء واذا بالملك زهير يتنزه على غدير ذات الاصاد ومن حوله اولاده والى جانبه الربيع بن زياد ولما اشرف شداد وابصر الملك راكبا عدل اليه وسلم عليه وقدم الغنيمة الى ما بين يديه وحدثه بما جرى وكيف خلصوا ووصلت الغنيمة اليهم واخبره عن عنتر كيف اباد الفرسان وقتل قيس بن ظبيان فتعجب الملك زهير من حديثه وقال ياشداد لا ترجع تسوم عنتر سيمة العبيد ولا تمنعه مما

يريد واحفظ له هذه المكرمة مع ما تقدم لهُ من الاحسان على طول الزمان وانا ناصح لك بهذا الكلام ولا اريد لك الا الخير والسلام · قال فاغتاظ من هذا الكلام شداد وكذلك جماعة من الحساد مثل شاس ابن الملك زهير والربيع بن زياد ومالك ابن قراد وفرح مالك ابن زهير به لانه من المحبين لعنتر وقسم الملك زهير الغنيمة بينهم بالسوية وتركها لهم بالكلية فلما عرف كل واحد سهمه وحقق منه قسمه وهب عنتر جميع غنيمته لابيه وعمومته وقال يا قوم العبد وما تملك يداه في حوزة مولاهُ فتعجبت العرب من فعاله وفصاحة مقاله ولما فرغت الابطال من قسمة الاموال دعا الملك بعنتر وقال له يا ابا الفوارس قد عوانا اليوم ان نشرب على هذا الغدير فانشدنا شيئاً من شعرك المطرب لان الخيل تشرب بالصفير · فانشد من فورهِ يقول

لقد جاءكَ الامرُ الذي انت طالبهْ فعش سالماً قد امنتكَ عواقبهْ
وهذا غديرٌ انت اعذبتَ ماءهُ ولولاكَ ما انهلتْ عليه سحائبهْ
وقفتَ بهِ فاخضر جذع نباتهِ وزاد ابتساماً شرقهُ ومغاربهْ
وفاحَ نسيمُ المسكِ من نور زهرهِ وبانت لنا آياتهُ وعجائبهْ
فدعنا نقضي حقهُ بمدامةٍ الى ان ترى فاضت علينا جوانبهْ
ونشربُ بالطاسات معك مسرّةً ونسحبُ ثوباً انتَ بالفخر ساحبهْ
فوجهكَ بسامٌ وجدُّكَ صاعدٌ وسيفك في اعداك تدمى مضاربهْ
اذا قيل ايُّ الناس اوفى عزيمةً وايُّ فتى لم تحصَ يوماً مناقبهْ
لقالوا زهيرٌ قد حوى الفضل كله علا في محلٍ لا تنال مراتبهْ
اضاءت لنا افعاله غيهبَ الدجى انارت الى ان نظم الحزع ثاقبهْ
مليكٌ لهُ كل البرية اعبدٌ تخرُّ له طوعاً وتخشى عواقبهْ
واولادهُ سادات عبسٍ ومنهمُ اسودٌ واحظى بالذي انا طالبهْ
وبان لكم فضلٌ يؤرخُ في الوغى ويروى ولم يتعب من النسخ كاتبهْ

قال فطرب الملك زهير وامر العبيد فاحضروا المدام ونحروا النوق والاغنام وروجوا الطعام وطابت لهم الاوقات ونقرت الدفوف من سائر الجنبات ولعبت الخمرة برؤوس السادات · فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع وبان من تحته مائة فارس كالليوث العوابس يتقدمهم غلام معتدل القوام كانه البدر التام عليه ديباجة رومية وهو على ظهر حجرة عربيه · قال وما زالت الخيل تدنو منهم حتى وصلت اليهم

فترجل ذلك الغلام المقدم عليهم وسعى الى ان وقف امام الملك زهير فسلم عليه وقبل الارض بين يديه ثم بكى بدمعٍ هطال وانشد وقال

يا امان الملهوف والمستجيرِ كن معيني على العدى ونصيري
انتَ ربيتني صغيراً ومن نعـ ـماك جبرٌ لعظمِ قلبي الكسيرِ
سيدي قد رمى الزمان فؤادي بسهامٍ كشفنَ سرَّ ضميري
وابتلاني بظالمٍ طبعهُ الغد رُ رهتك الابكار ذات الستورِ
كلما سار طالب الحرب سارت خلفه الخيل داميات الصدورِ
ورماحٌ كانها قصبُ الغا بِ بايدي فوارسٍ كالنسورِ
فأجرنا من شرّه وأغثنـا قبل تسبى نساؤنا بـالشعورِ

قال ثم ان الغلام بعد انشاده بكى بين ايدي الملك زهير واولاده فوثب مـالك بن زهير اليه وضمه الى صدره وقبله بين عينيه ثم تواثب اخوة مـالك الى ذلك الغلام وسلموا عليه وقالوا له يا اخانا اخبرنا بقصتك حتى نحمل عنك الاثقال ونبلغك الآمال ولم يزالوا يمسحون جفونه الى ان انقطع بكاؤه ونشفت مجاري دموعه وسكنت النار التي بين ضلوعه . قال وكان هذا الغلام اخا مالك بن زهير من الرضاعة لان اباه كان قد سبي ام هذا الغلام من بني مازن في بعض غزواته واتى بها الى ابياته وكان هذا الغلام صغيراً وكانت تماضر امُّ مالك ترضعه فسلمته اليها واعتمدت في تربيته عليها وكان ذلك الغلام اسمه حصن فنشأ مع مالك وكان ابوه يسمى الحارث وقد قتل في المعمعة وسبيت امه كما سبق الكلام على ذلك وبهذه الوسيلة استغنت ام حصن من بيت الملك زهير ونالها منه كل خير ثم اشتاقت الى اهلها فاستأذنت الملك وذهبت الى اوطانها واعطاها ما تعيش به مع ولدها كل زمانها وربي عند بني مازن ذلك الغلام وفيه روائح بني عبس الكرام فخرج ناراً محرقةً وصاعقةً مبرقةً ولما بلغ مبلغ الرجال صار يشن الغارات ويلاقي السادات والابطال وله بنت خال بديعة الجمال فهواها وزاد عشقه فيها واستحى ان يخطبها من ابيهـا وصار يكتم حاله ويكابد غرامه وبلباله الى ان قدم على ابيها رجل من بني البراجم يقال له عوف وكان رجلاً من الابطال كثير المال والرجال فاضافه ابو الجـارية ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع نهض عوف وقال ايها السيد قد اتيتك خاطباً وفي كريمتك راغباً واريد ان لا تضيع حق قدومي عليك واطلب مهرها ما تقرُّ عينيك . قال فلما سمع ابو الجارية هذا الخطاب اراد

ان يجيبه بالايجاب فسبقه حصن وقال يا خالاه لا تنعم له بما طلب فانا احق من كل من طلب وخطب لاجل صلة النسب وانا لا اترك بنت خالي تتغرب فقال البرجمي وقد لعبت براسه كؤوس العقار وطار من عينيه الشرار ويلك يا غلام وانت مثلي حتى تعارضني في الكلام فقال له حصن المازني ولماذا لا اعارضك وانا افخر منك نسباً واشرف منك اماً واباً فوحق ذمة العرب لولا انك في بيت من لا اقدر ان اخفر ذمته ولا يمكنني ان اضيع حرمته لكان سيفي الى هامك اقرب من لسانك الى كلامك وان كنت تفتخر عليَّ بمالك فانا اكثر منك مالاً ونوقاً وجمالاً لانك انت ما تملك الا الذي في يدك وانا اموال العرب كلها مباحة لي من القريب والبعيد اخذ منها ما اريد واترك لهم ما اريد وان كنت تفتخر عليَّ بشجاعتك فدونك والبراز في الميدان لتنظر الناس الشجاع من الجبان فلما سمع البرجمي كلام حصن زاد به الغضب وقال انصفت وذمة العرب ثم انه ركب حصانه واخذ سيفه وسنانه وخرج مع خصمه وخرج معهما جماعة من الفتيان ينظرون ما جرى بينهما من الضرب والطعان ولعبت بهما نخوة الجاهلية وهانت عليهما المنية وجالا وصالا واصطدما والتحما ولم يكن عوف من رجال حصن فضايقه حصن واكربه واتعبه والهبه ومد يده اليه وجذبه فاقتلعه من سرجه واخذه اسيراً وساقه ذليلاً حقيراً وهم ان يضربه بالسيف فشفع به خال حصن وقال يا ولدي الرجل قد اكل طعامنا واعطيناه زمناما فما ادعك تقتله قدامنا فاطلقهُ حصن واخرجه عن الحي خائباً ولنفسه نادباً وشاهدت الناس هذه الفعال منه فهابته وشاع ذكره في قبائل العرب وانقطعت عن الجارية الطلاب والخطاب . وفي بعض الايام قال خاله لزوجته وذمة العرب ما ابن اختي الا فارس حاو الشمائل حسن الخصال الا انه قليل المال وما يتركه كرمه يبقى على شيء لانه مهما اكتسبه يفرقه على فتيان الحي واخاف ان ازوجه ابنتي فتكون معه تحت الضيق ويفرح بذلك العدو ويغتم الصديق فلما سمع حصن كلام خاله اراد ان يريه بعض فعاله فركب في جماعة من الابطال وسار يطلب الكسب والاموال قال وكان في بني قحطان ملك يقال له العساف وكان كثير الجور والاسراف قليل العدل والانصاف عظيم الهامة طويل القامة وتحت رايته جيش غزير وجمع غفير فاقحطت ارضه في ذلك العام وقل منها الماء والعشب وضاق به مرعى الاغنام فشكا اصحابه اليه ذلك فرحل بهم ونزل على جبل الشاخف والتناصب وضرب فيه المضارب وسمع بقدومه جميع من في ذلك المكان فنزحوا عن

المناهل والغدران فلما كان في بعض الايام ركب وابعد في السير عن تلك الاماكن فاشرف على ارض بني مازن وابصر غدرانها ومراعيها واتساع اراضيها وكانت الجارية التي سار حصن في طلب مهرها وهي نعيم بنت خاله تتفرج على الغدران مع اترابها والاقران فرآهنّ الملك عساف وهن غافلات وقرب منهنّ وهنّ باللعب مشتغلات ونظر الى نعيم وهي على الغدير كانها البدر المنير التفتت التفات الغزال وتبسمت عن ثغر انقى من اللآل فلما رآها العساف طاش عقله ووقع في الانذهال وابصرته الجارية وصويحباتها وهو شاخص الى نعيم فصحنَ عليه اما تستحي يا وجه العرب ان تهتك ستر الحريم قال فلما سمع العساف هذا الكلام ابدى الابتسام ودعا بعجوز معهنّ وسالها عن الجارية فقالت يامولاي هذه نعيم بنت نجم المازنية التي حيرت بحسنها البرية فقال اهي ذات خدر ام ذات بعل فقالت لا والله ما هي الا ذات خدر و بنت بكر ولكنها قد خطبت لابن عمتها وقد مضى يأتي اليها بالمهر فعندها عاد العساف الى عشيرته ومن الغد انفذ الى ابيها يقول له اعلم اني قد نظرت الى ابنتك ووقع في قلبي هواها واريد ان ترسل لي اياها و بعد انفاذها اليّ اطلب من المهر ما شئت وانا ابلغك ما هويت وان لم ترسلها اليّ كما اريد سبيتها سبي بنات العبيد قال فمضى الرسول الى نجم ابي الجارية بهذه الرسالة وبلغه هذه المقالة فصعب عليه وقامت في ام راسه مقل عينيه وقال للرسول يا وجه العرب ان ابنتي متزوجة بابن اختي ولا يمكنني ان اغدر به فان كفّ صاحبكم عنا شره وكفانا امره فهو العزيز المكرم والا سوف يندم حيث لا ينفعه الندم وان قاتلني قاتلته فعاد الى العساف واعاد عليه ما جرى بلا خلاف فغضب من ذلك وزادت به الاطماع وحل براسه الصداع وحلف ان لا يأخذها الا مسبية تحت الرماح السمهرية وقال وحق الشمس المضية ان اسقي اهلها كاس المنية قال وفي تلك الايام قدم حصن ومعه شيء كثير من الاموال والنوق والجمال فاعطى خاله المهر وعزل خمسمائة للنحر واشترى كثيرا من الخمر وطالب خاله بالزفاف فحدثه بحديث العساف وما جرى له معه من التهديد والارهاب والوعيد قال فغضب حصن من ذلك وقال والله يا خالي ان تعرض لي لاقلعنّ اثاره واخربن دياره فطاب قلب خاله وشرعوا في الافراح ونحروا النوق واعدوا الاقداح ودامت الوليمة سبعة ايام في اكل طعام وشرب المدام وفي اليوم الثامن زينوا الجارية وارادوا ان يخرجوها من بيت اهلها ويزفوها على حصن بعلها فاتاهم خبر ان العساف قد

كاتب حلفاؤه وامرهم بالاجتماع فاجتمعوا من المناهل والبقاع وكذلك انفذ الى مسعود بن مصاد الكلبي وبني اسد وبني دارع وبني العنقاء وبني مشاجع وسار اليه عوف البرجمي الذي قهره حصن طالباً اخذ الثار وكشف العار . قال فلما سمع الامير نجم المازني هذا المقال خاف على مهجته من الوبال وقال له سادات قبيلته اعلم ايها الامير والسيد الخطير نحن ما لنا طاقة بقتال العساف ولا بجموعه والاحلاف ولا منا من يقدر ان يلقاه في حرب ولا قتال فاسمع منا الصدق ودع عنك المحال والراي عندنا ان تنفذ اليه ابنتك ولا تطلب منا نجدة ليس لنا طاقة للقاء هذه الشدة فلما سمع نجم كلامهم حار من مقالهم فوقف عن الزواج والزفاف فلما نظر حصن الى ذلك جرت دموعه على خديه وكاد من شدة الحزن يغشى عليه

قال الراوي ثم ان حصن غاص في شكيته وغرق في لامته وسار من وقته وساعته في مائة فارس من قومه وعشيرته وقطع الارض حبباً ونيرانه تزداد لهباً حتى وصل الى الملك زهير وهو على الغدير مع اولاده وخواصه واقربائه وحوله سادات بني زياد وابطال بني قراد فتقدم الى الملك زهير وقبل يديه وشكا حاله اليه فقال له الملك زهير يا حصن طب قلباً وقر عيناً فنحن نمضي على حربه ونمحو اثاره ونخرب دياره وقال له مالك يا اخي وانا اسير في صحبتك وابذل نفسي في سبيل محبتك . قال الراوي هذا وعنتر حاضر يسمع ويرى ويتعجب مما جرى وقال للملك يا مولاي تسير انت وتركب مركب الخطر ولاي شيء خلق عبدك دعني انا اسير عنك واقضي حاجة هذا الغلام وابلغه المرام ولو ان دونه كسرى ملوك بني الاصفر قال فلما سمع زهير كلام عنتر قال لولده مالك اذهب انت لنجدة صاحبك وخذ معك الف فارس ويكون معك عنتر ابو الفوارس قال مالك السمع والطاعة وانا فعل من هذه الساعة ثم انهم قدموا لحصن واصحابه الطعام ودارت بينهم اقداح المدام نخف ما به من الوجد والغرام وبات حصن واصحابه وهم لا يصدقون بالصبح من خوفهم على اهلهم ان يدهمهم العساف بالسلاح ولما انقضى الليل ركبوا الخيل وخرجوا من الخيام مثل اسود الاجام وودع مالك اباه واخوته وركب في مقدمة الخيل وركب عنتر الى جانبه وسار شيبوب في ركابه وسار بنو عبس وهم غائصون في الحديد ومسربلون بالزرد النضيد وعنتر قدامهم كانه سبع الغابات وهو يترنم بهذه الابيات

يا حصن بشراك لا شر باس . معود خوض الوغى حلاحل

سيبصر العساف مني ضيغماً شهماً يزيل الطعن بالذوابل
اغشى الوغى والليل اسود وما ارجع حتى تنطفى بلابلي
كم ضيغم ارديته في مازق وكم اجدت الضرب بالمناصل
ما لمعت زرق الرماح في الوغى الا وملت طرباً كالثامل
الجن تخشى سطوتي وحملتي والانس ايضاً عرفت شمائلي
انا القضا على العدى انا البلا انا مقيم الندب في القبائل
نجمي علا فوق السهى وهمتي تذكرها الملوك في الحجافل

قال الراوي ولم يزالوا سائرين ثلاثة ايام وهم يقطعون الفيافي والاكام وفي اليوم الرابع لما يريده الله من سعادة عنتر عدل عن الطريق ومرّ في وادٍ عميق فنظر فارسين يقتتلان في ذلك المكان فحرك اليهما حتى قرب منهما وصاح على رسلكما ياوجه العرب اخبراني عن قتالكما لاي سبب قال فلما سمعا كلام عنتر افترقا عن القتال وسار احدهما اليه ودموعه جارية على خديه وقال يافارس العرب ويا كريم النسب انا مستجير بك فاجرني واعطني الذمام بحق البيت الحرام قال عنتر اجرتك وحق البيت والمشاعر العضام فاطلعني على حالك واصدقني في مقالك فقال اعلم يا مولاي ان هذا الفارس هو اخي الاكبر وانا اخوه الاصغر وابونا امير يقال له الحارث بن التبع وهو يتولى على عشائرنا اجمع وان التبع جدنا كان في بعض الايام جالساً تعرض عليه امواله ونوقه وجماله وكان له ناقة مليحة الصفات سريعة الحركات فلما عرضت عليه النوق والجمال ما وجدها بين المال فسأل الرعاة عنها فقال له بعض العبيد والله يامولاي انها شردت من المرعى فسرت انا خلفها في الطلب واخذت هي في الهرب الى ان بعدنا فاعتراني التعب وقصرت الناقة في خطاها وضعفت عن مسراها فطأطأت الى الارض واخذت حجراً اسود صلباً كالصوان وهو شديد البريق واللمعان ورميت به الناقة فخرق بطنها وخرج من الجانب الاخر فوقعت الى الارض وفي جوفها حرق هائل المنظر وماتت من ضربة ذلك الحجر فلما سمع جدي هذا الكلام قال له سر قدامي وارني اياها فاخذه وسار قدامه حتى رآها ميتة والحجر بالقرب منها فاخذه وتامله ببصيرته الحاذقة فعلم انه صاعقة فاخذه واحضره الى الصياغ واهل المعرفة وامرهم ان يصنعوا له سيفاً على احسن صفة فاخذه بعضهم ولما فرغ منه اتي به الى جدي فاعجبه واعطاه ما اعطاه فلم يعجبه ما اعطاه وقال

ايا دهر افنيت الكرام جميعهم وابقيت من لا ترتضيه المناصب
حسام على كل الصوارم فائق ولكن ترى من اين للسيف ضارب

فلما سمع كلام الحداد اخذ السيف بيده وهزه حتى دب الموت في فرنده وقال بلى والله انا ضارب واي ضارب ثم ضرب الحداد فاطار راسه واخمد انفاسه وسمى ذلك السيف الصامي وتركه في خزانته وذخره الى وقت حاجته واقام جدي بعد ذلك خمسة عشر عاماً ومات وورث ابي هذا السيف من جملة المتروكات ولما شعر بوفاته وانقضت ايام حياته دعاني اليه سرًا وقال لي يا ولدي اعلم ان اخاك ظالم يبغض العدل والانصاف ويحب الجور والاسراف وانا اعلم ان بعض انقضاء مدتي يستولي على جميع تركتي فخذ هذا السيف اجعله في كمين فانه ينفعك ويعينك على طول السنين لانك اذا قدمته الى كسرى انو شروان يجود عليك بما يغنيك طول الزمان وان سرت به الى قيصر يعطيك ما ينفعك من البدر فلما سمعت من ابي هذا الكلام اخذت الحسام وخرجت من عنده تحت غسق الظلام وسرت حتى وصلت الى هذا الوادي ودفنته تحت الرمال بين هذه الروابي والتلال ورجعت الى ابي وقد بلغت سؤلي واربي واقمت حتى قضى نحبه فاستولى اخي مكان ابيه وحكم في قومه وذويه واخذ جميع النعم والاموال ولم احصل من كل ذلك على عقال ثم انه لما استقر في ملكه افتقد عدة الحرب والكفاح فما نظر هذا السيف بين السلاح فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عنه فانكرته وجحدته فاستكذبني واراد ان يقتلني ثم انه عذبني امرّ العذاب وعاقبني اشد العقاب فلما رأيت اني قد اشرفت على الهلاك اخبرته بالخبر لكي من انجو من الخطر فقال لي ويلك احضر لي اياه والا اعدمتك الحياة فقلت له يا اخي اركب معي الى المكان الذي دفنته فيه لكي يتم حرمان الولد من ميراث ابيه فركب معي واتيت الى هذا الوادي وفتشت في نواحيه فتاه عني المكان الذي دفنته فيه وحلفت له باعظم الاقسام فلم يصدق وسل علي الحسام فحاميت عن نفسي حتى اشرفت انت علينا ووصلت الينا وجعلت اعتمادي عليك وقد علمت كل ما جرى فدبر بما ترى قال فلما سمع عنتر كلام الغلام قال له انت مظلوم وحق البيت الحرام ثم قال لاخيه ويلك لماذا تتعدى على اخيك ولا تقسم عليه من ميراث ابيه فقال له ويلك يا ابن اللئام وما هذا التعرض لما لا يعنيك لا بارك الرب القديم فيك ثم حمل على عنتر بعد هذا الكلام وعول على ضربه بالحسام فاستقبله عنتر بطعنة في صدره اخرج الرمح من

فقار ظهره فوقع الى الارض يختبط بعضه بالبعض ثم اقبل على اخيه وقال له عد الى اهلك وقبيلتك واقعد مكان ابيك في مملكتك واي من ا عندي عليك اعلمني حتى اسارع الى نصرتك فشكره واثنى عليه وترجل وقبل يديه ورجليه وقال يامولاي بعد اخي ما بقى لي معاند ولا عدو ولا حاسد وهذا السيف لا يليق بي ولا باخي بل يليق بك ياوجه العرب وانا افتش عليه على نيتك فعسى ان يوجد بين هذه التراب ثم انطلق الرجل يبحث في الرمال وما ابطأ حتى عاد والسيف في يده يلوح كالهلال ولما وصل الى عنتر دفعه اليه وقال بارك الله لك فيه ولا اسف عليه فتناوله عنتر واذا هو سيف صقيل عريض طويل انواره شارقة وصفحاته بارقة وضربته اشد من الصاعقة لا يرده درعٌ ولا طارقة حتى بالغ فيه بعض من شاهده بعد ذلك في الحرب انه يقطع الحجر الاصم اذا وضع عليه من غير ضرب فسر به عنتر غاية السرور وشكر الرجل على حسن صنيعه المشكور ثم سار ولحق العسكر والسيف في يده مشهر وحدثهم بما جرى معه فتعجبوا غاية العجب واخذهم الفرح والطرب وقالوا يا ابا الفوارس هذه تحفة قد انعم الله بها عليك وما خلق هذا السيف الا لك ولا صنع الا لكفيك فاحمد الرب القديم على هذا الاحسان العظيم هذا و بنو عبس يتعجبون من ذلك السيف وخضرته وجوهره ونضرته وعلموا ان عنتر رجل مسعود يذل العدو والحسود ثم سار القوم قاصدين ديار بني مازن فما ساروا الا قليلا حتى طلع عليهم غبرة عالية ومن تحتها الف فارس كالاسود الضارية يتقدمهم فارس يقال له الصياق البارقي كان عنتر قد قتل اباه وكان له صداقة مع العساف فارسل استنجد به على قتال بني مازن فلما راى غبار الخيل ارسل من استخبر منهم فلما عرفهم حمل عليهم لياخذ من عنتر بالثار ويكشف عن نفسه العار فادركه عنتر بطعنةٍ في صدره اطلع الرمح يلمع من فقار ظهره ولما راته اصحابه قتيلاً ولت الادبار واركنت الى الهرب والفرار وغنمت فرسان بني عبس ما كان معهم من الاموال وساروا طالبين ديار بني مازن وعنتر في اوائلهم وهو قد انشد وقال

انا مردد الابطال كاس منونها ... بمهندٍ ماذي الحديدة يبرقُ

ومذيقها والجوُّ اغبر مقتمٌ ... حربًا يذلُّ لها الجبان ويقلقُ

اني انا الموت الذي لا يلتقى ... يومَ الهياج بلا لسانٍ ينطقُ

اوقعتُ بالغيداق لما ان بغى ... وساتركُ العساف شلوًا يلحقُ

واجولُ ميمنةً وميسرةً على الـ ... ـفرسان في وسط المضيق واطبقُ

واجندل الابطال صرعى في الوغى   والخيل تعثر بالرؤوس وتزلقُ
يا عبلَ ان كان السواد يعيبني   فبياض افعالي ينير ويشرقُ
يا عبلَ قد شهدت سراةُ عشيرتي   فعلي وسيفي للمنيةِ يسبقُ
وابيد ابطال الوغى بمهندي   وتري الرؤوس بصارمي تتفلقُ
هذه فعالي ويكِ يا ابنة مالك   بمهندي افني الجموع وامحقُ
لي همة فوق الثريا قد علت   وسعيد نجمي في السماء معلقُ

قال الراوي هذا ولم يزالوا سائرين الى ان قربوا من ديار بني مازن وقد اشتدَّ بحصن القلق وفاض دمعه واندفق وتقدم الى مالك بن زهير وقال له يا مولاي قد قربنا من الاوطان وقد هاجت بي البلابل والاحزان وما ادري ما جرى بعدي من حوادث الزمان واريد ان اتقدم اليهم لاكشف الخبر واطلع على حقيقة الاثر فان كان قومي في القتال ابشرهم بقدومكم عليهم واعينهم الى ان تصل الرجال فقال له مالك افعل ما بدا لك فسار حصن في اصحابه وقد تجنب عن الطريق وفي قلبه نيرانُ الحريق حتى اشرف على الديار واذا بالصياح مرتفع والغبار مندفع فقال حصن واحرباه هلكت العشيرة ونزلت بها البلية الكبيرة ثم اطلق عنانه الى ان قارب الحي فراى رجال العساف قد داروا بهم من كل جانب وضيقوا عليهم الطرق والمذاهب والتجأت العشيرة الى جبل هناك بقرب المكان وهو جبل حصين يقال له ابان وقد حصنوا فيه الاموال والعيال وهم يدافعون عن الحريم ويمانعون الغريم واكثرهم قد اثخنوا بالجراح وضجت النساء بالعويل والنواح خوفاً من السبي والافتضاح والعساف ينادي في القبائل ويحرضهم على سبي الحلائل ويقول لهم مهما اخذتم من الاموال فانا اقسمه لكم بالسوية وما اريد من الغنيمة الا نعيم المازنية فلما عاين حصن ذلك لم يبصر ما بين يديه وقامت في ام رأسه هقل عينيه وحمل عليهم برجاله ورموا انفسهم على تلك الالوف المتألفة وقلوبهم مرتجفة فانحدر قومهم من الجبل حتى يعينوهم على القتال وصاحوا على الاعداء صيحة واحدة واضرموا نار الحروب بعد ما كانت خامدة وعند ذلك انطبعت القبائل ودارت بهم الجحافل وكثرت عليهم الالوف وبرزت اليهم تلك الصفوف وكثر الزحام ونزل عليهم الموت الزؤام وتزلزلت من تحتهم الوهاد وتكسرت الرماح المداد وكان حصن يقاتل ويطلب خصمه العساف وقد ايقن بالتلاف وفي قلبهِ منه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وكان قد عرفه لما رآه يحرض اصحابه على القتال ويحثهم على

النزال فقصد حصن اليه حتى صار بين يديه ناداه والله يا عساف خابت آمالك واليوم تترمل عيالك فايقن بخراب الديار وقلع الاثار فقد اتتك فرسان بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فلما سمع العساف كلام حصن اسودت الدنيا في عينيه وما بقي يبصر ما بين يديه وصاح على حصن بصوت يصدع الحجر ويصم اذان الدب الذكر وقال له الويل لك ولابيك ولقومك وذويك من انت من فرسان بني عبس وعدنان وما الذي اتى بك الى هذا المكان فقال له حصن ويلك يا احس العرب انا بعل الجارية التي اتيت في طلبها وكانت هذه الحروب بسببها واتيت تاخذها سبيت من تحت السيوف الهندية والرماح السمهرية فابشر الان بخراب الديار وقلع الاثار فقد اتيتك الان برجال يسقونك كاس المنايا ويصبون عليك الرزايا ثم انذره بقدوم بني عبس الذين يجعلون اعداءهم ضحايا قال فلما سمع العساف كلام حصن زاد به الغضب وقال له ويلك انا اخاف من فرسان بني عبس ام من كل من طلعت عليه الشمس وحمل على حصن بعد هذا الكلام وصدمه صدمة الاسد الدرغام واشتد بينهما الكفاح والخصام هذا وخيل اليمن قد ملأت الفضاء وسدت منافس الهواء وحملوا على بني مازن فردوهم الى الجبل وقتلوا من اصحاب حصن خمسين فارساً فعظم عليهم الخوف والوجل وخاب منهم الرجاء وانقطع واخذ العساف فيهم الطمع ونظر حصن ما حل باصحابه فتقهقر الى وراءه وزاد بكاهُ واحمرت عيناه وخاف على نفسه من العساف واخذه القلق والارتجاف لانه لم يكن من رجاله ولا ممن يلتقيه في مجاله هذا وان العساف ضايق حصناً تحت الغبار فقل منه الاصطبار غير انه رضي لنفسه بالهلاك والبوار واختاره على الهرب والفرار فصار يظهر الجلد ويخفي الكمد ولم يزل كذلك حتى ضاق وبلغت الارواح التراق واذا بفرسان بني عبس قد اقبلوا كانهم العقبان على خيول اخف من الغزلان ورماحهم تهتز على اكتافهم كانها الاشطان وفي اوائلهم مالك بن زهير وعنتر بن شداد وقد اوقر بجثته ظهر الجواد وكانت ام عنتر قد لامته على ركوب الاخطار وقلة المقام وكثرة الاسفار فتذكر ذلك وانشد يقول

تعنفني زبيبة في الملام	على الاقدام في يوم الزحام
تخاف عليَّ ان القى حمامي	بطعن الرمح او ضرب الحسام
مقالٌ ليس يسمعه كريمٌ	ولا يرضى بهِ غير اللئام
يخوض الشيخ في بحر المنايا	ويرجعُ سالماً والبحرُ طامِ

ويأتي الموتُ طفلاً في مهودٍ ويلقى حتفه قبل الفطامِ
فلا ترضي بمنقصةٍ وذلٍّ ونقنعُ بالقليل من الحطامِ
حياتك تحت ظلِّ العز يوماً ولا تحت المذلة الف عامِ

قال الراوي وابصر عنتر نار الحرب تضرم و بنو مازن من قدام العساف تنهزم والرماح فيهم خارقة ونساؤهم زاعقة والاعداء اليهم باسنتهم متسابقة وحصن مع العساف في اشتباك واعتراك وقد اشرف معه على الهلاك ووقع في سوء الارتباك ولم يبق له مناص ولا فكاك فتبسم عنتر لما راى لمعان السيوف كما يتبسم الكريم بوجه الضيوف وقال لمالك اليوم اروي هذ الظامي من دماء هؤلاء القوم الذين قدامي فاقسم انت فرسانك الى سائر الجهات حتى يكشف البلا عن الحريم والبنات وانا ادارك رضيعك حصناً واخاصه من هذا الجبار الذي اشرف منه على البوار ثم حمل واطلق العنان وقوّم السنان وصاح بالابجر فخرج من تحته كانه الريح اذا عصف والرعد اذا قصف هذا ومالك بن زهير قد فرق الفرسان الذين معه في سائر الجهات وحمل خلف عنتر في اصحابه و بني عمه السادات هذا وقد جدّ البراز بين حصن والعساف وضجت القبائل من سائر الاطراف وعادت ارواح بني مازن اليهم بقدوم رجال بني عبس عليهم وعادوا الى الحرب والكفاح ومدوا الى العساف قطع الرماح واشهروا الصفاح واطلقت الارواح من اقفاص الاشباح وطلع الغبار من تحت حوافر الخيل حتى صار النهار مثل الليل ونفذت في مقاتل الرجال سهام المنية وتغيرت الوان الازهار الربيعية لما جاد عليها غمام الغبار بسحبه الدموية فلا ترى في تلك الساعة الا رمحاً خارقاً وسيفاً بارقاً وفارساً شاهقاً ودماً دافقاً وشجاعاً بالدم غارقاً ولم يزالوا كذلك حتى زادت بهم الحرق وتناثرت الروس مثل الورق وهذا وعنتر قد فرق الكتائب المتطابقة وطعناته كالقضاء متسابقة وسيفه يقطع كل درع وطارقة واتسع عليه المجال وخطف مهج الابطال وابصرت عساكر العساف منه اشد الاهوال . قال الراوي وبينما هم كذلك وعنتر يهمهم ويصول ويدمدم ويجول واذا بمالك بن زهير ينادي يا ابا الفوارس ادركني قبل الهلاك وخلصني من الارتباك وكان مالك قد حمل على القبائل التي لمسعود بن مصاد الكلبي وجرى بينهم قتال شديد ما عليه من مزيد حتى كلت السواعد من القتال وتقهقرت رجال مالك وضاق عليها المجال وهجم مسعود وكان هذا الفارس جباراً من جبابرة العربان فقتل مني بني عبس ثلاثة فرسان وضايق مالك بن زهير

وانكبّ في الجولان ونظر مالك الى المنية بعينه فنادى عنترا حتى يخلصه من البلا
وينقذه من ذلك اسد الفلا فلما سمعه عنتر عدل اليه وفرق الفرسان من حواليه
وصار يطعن في الصدور وقد شلب مسعود بن مصاد وهجم عليه بالجواد واراد ان
يطعنه فرآه شهديد الاحتراز فطعن جواده اقلبه ووقع على ام راسة فقام على قدميه ولم
يحس بثقل الحديد الذي عليه ودخل بين الخيل وخلص مالك بن زهير من يديه بعد
ما كاد ان يقضي عليه هذا وراي عنتر السيوف متسابقة والسيوف بارقة والرماح خارقة
والارواح في سوق المنايا نافقة فعلم ان ثباتهم بالعساف وانهم من هيبته القوا
انفسهم في التلاف فحمل نحو اعلامه وفرق الفرسان من قدامه . وما زال في حملته
حتى اشرف عليه وصار بين يديه فرآه مثل شقائق النعمان مما سال عليه من ادمية
الفرسان وهو يدمدم في قاع الصحصحان ويدوس بجواده جماجم الفرسان وكان قصده
نعيم المازنية التى ملكت منه العنان فبينما هو كذلك واذا بعنتر قد ادركه ومال اليه
مثل ثنية الجبل وصاح فيه فانخبل وحك ركابه بركابه وفرق عنه زمر اصحابه وضربه
على عاتقه فاطلع السيف يلمع من علائقه فلما نظرت رجاله ما حل به من سيف
عنتر حملوا مثل موج البحر اذا زخر ولم يزالوا في حملتهم حتى قاربوه فتلقاهم بقلب اصلب
من الحجر وسنان يسابق القضاء والقدر وحسام لا يبقي ولا يذر فعند ذلك حملت
الخيل على الخيل والتقوا كما تلتقي الارض العطشانة وابل السيل وعقد عليهم الغبار
مثل سواد الليل وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونيران الحرب
تشعل وشيبوب من عنتر يلاصقه ولا يفارقه وهو يرمي من حوله بالنبال فيصيب
بها مقاتل الرجال وقاتل مالك بن زهير احسن قتال ونازل اعظم نزال وخلص
اصحابه في تلك المعمعة من الاهوال وفرق بنو عبس اعدائهم في المجال وشردوهم
الى اليمين والشمال وكان صوت عنتر كالرعود القاصفة وقلوب الذين يسمعونه
راجفة الى ان خاضت الخيل بالدماء وحجب الغبار الى بين الارض والسماء والتهبت
الاجساد من شدة الظماء واشتهت الانفس جرعة من الماء وشاع في قبائل اليمن
قتل العساف فما منهم احد الا ارتعد وخاف وتفرقوا في جميع النواحي والاطراف وما
اظلم الظلام حتى خاص بنو مازن من الامر فعاشت منهم الارواح وعاد فسادهم
الى صلاح ورجع عنتر مثل ثوب الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان واقبل
بنو مازن يشكرون فعله ويحمدون فضله وحصن يمدحه ويثني عليه ويقبل راسه

ويديه هذا وعنتر قد ذكر صياح مالك بن زهير اليه لما خلصه في القتال من مسعود بن مصاد الكلبي حين النزال وانقذه من تلك المصائب والاهوال فانشد عنتر وقال

اذاظلت الاعناقُ بالبيض تشرطُ   وعادت سيوف القوم بالدمِ تنقطُ
فنادِ الا يا عنتر الخيل والوغى   يلبيك من سيفي بلاءٌ مسلطُ
وطعنٌ يشيب الطفل من هول وقعه   ويرتدُّ عنه وهو بالشيب اشمط
انا خاطف الارواح بالبيض والقنا   وباسي شديد للمواكب يفرطُ
وترتعد الابطال من هول سطوتي   وتخضع لي عند اللقا حين اسخط

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره دارت به السادات والفرسان وهم يثنون عليه بكل لسان فلما كان الصباح نحروا الجزور وسكبوا الخمور واخذوا في الفرح والسرور وداموا على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن دخل حصن على عروسه وانقضت ايام نحوسه وثاني الايام رحلت بنو عبس ومالك وعنتر في اوائلهم وانقلبوا راجعين الى منازلهم وركبت بنو مازن يومين ليشيعوهم وفي اليوم الثالث حلفوا عليهم وارجعوهم فعادوا وهم يشكرون عنتر على تلك الافعال و يتذكرون كم جندل وقتل من الابطال هذا وحصن قد شغف بعنتر وضمه الى صدره وهو يود ان لا يفارقه طول دهره واشار حصن يمدحه بهذه الابيات

ولو ان للشكر شخصاً يلوحُ   اذا ما تأمله الناظرُ
لشخصته لك حتى تراه   وتعلم اني امرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكن في الضمير   يترجمه النفس السائرُ
على ان شكري له اوّلٌ   وليس له ابداً اخرُ

قال الراوي ثم عاد حصن و بنو عمه الى الديار فرحين و بما نالهم من عنتر مسرورين وسار عنتر ومالك بن زهير وهو يقول له لله دركَ يا ابا الفوارس من اسد جسور و بطل في مقام الحرب صبور وهمام على الاعداء منصور ومقدام في سائر الامور . هذه والله هي الشجاعة والحمية والبسالة والنفس الابية ونحن والله نعلل انفسنا بالاباطيل ونمنيها بزخرفة الاقاو بل وانت يا ابا الفوارس سيف بني عبس لو كانوا يعرفون وحاميتهم لو كانوا ينصفون وتاجهم لو كانوا يفتخرون قال فلما سمع عنتر من مالك هذا الخطاب ترجل وقبل قدميه في الركاب وقال يا مولاي همتك هي الذي تركت لي هذا الذكر بين الناس ولولا غيرتك لم يرتفع لي راس فلا زلت ملجاءً حصيناً لكل ضعيف وطوداً

يظلل من امه بالظل الكثيف ثم ساروا طالبين ارض بني عبس وعنتر لا يصدق بالوصول الى الديار لما في قلبه من لهيب النار ومالك يسليه و بانواع الاماني يمنيه حتى بقي بينهم وبين ارض الشربة ليلة واحدة فباتوا على غدير يقال له المنهل المذب الماء البارد والارض حوله خضرة نضرة بروائح الازهار عطرت اشجارها متلاصقة وثمارها فائقة والغزلان بين تلك الاشجار متسابقة هذا وقد هبت عليهم رياح الشربة فزاد بعنتر القلق والشوق والارق وعدم الرقاد واكتحل بالسهاد واشتد به جواه وغلبه هواه وقد تذكر حبيبته فانشد يقول

ترى هذه ريح ارض الشربة ... ام المسك هب مع الريح هبة
ومن دار عبلة نار بدت ... ام البرق سل من الغيم عضبه
أعبلة قد زاد شوقي وما ... ارى الدهر يدني الي الاحبه
وكم قد بليت من النائبات ... لاجلك في نكبة بعد نكبه
فلو ان عينيك يوم اللقاء ... ترى موقفي زدت لي في المحبه
اسق سناني دماء النحور ... وقرني اشك مع الدرع قلبه
وعزي بالسيف تحت الغبار ... اذا ما ضربت به الف ضربه
وتشهد لي الخيل يوم الطعان ... باني افرقها الف سربه
وان كان جلدي يرى اسوداً ... فلي في المكارم عز ورتبه
ولو صلت العرب يوم اللقا ... لابطالها كنت للكل كربه
لو ان للموت شخصاً يرى ... لروعته ولو كثرت رعبه

قال الراوي فلما سمع مالك من عنتر هذه الابيات زاد طربه وكثر عجبه وقال لعنتر يا ابا الفوارس يا زين المجالس لقد وصفت نفسك بالحق وتكلمت بالصدق ولقد كملت خصالك و بانت لنا افضالك واما شكواك من حب عبلة وقلة ناصرك في هواك فانا ابذل روحي واسعفك بمالي حتى تبلغ مناك وغداة غد نصل الى الحي واتحدث انا مع ابيك واساله ان يلحقك بنسبه ويدخلك في حسبه وان لم يفعل هجرنا الاوطان والاقارب ورحلنا كلانا من تلك الجوانب ونخلي لهم الديار وندبر على سبي عبلة ونبعد بها الى ابعد الاقطار عسى ان يخمد فيك بعض لهيب النار واذا بلغت ذلك فافعل ما تختار قال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد بكاه وهاجت نيران جواه وقال والله يا مولاي لا فعلت ذلك ابدًا ولا سبيت عبلة واشمت بها العدى ولو سقيت كاس

الردى لانني قد فعلت مع هؤلاء القوم افعالاً غير خفية ولم يراعوني ولا ازالوا عني رق العبودية وما برحت عندهم في المنزلة الدنية فان فعلت ذلك المرام اوقع بي الناس الملام ويقولون ما برح عنتر حتى فعل فعل اللئام ورجع الى اصله الخسيس وطبعه الرجيس وما لي احسن من الصبر ولو قلبوني على الجمر غير انني اطلب منك ان تسأل مولاي شداداً في الحاقي بالنسب وادخالي معه في الحسب لانني والله ما بقي لي سبيل ان اكلمه بهذا السبب فان فعل والا حلفت يميناً ان لا اركب ظهر جواد ولا احضر في حرب ولا جلاد ولا اقف في مجال ولا موضع قتال لانني اذا كنت على هذا الحال ترثي لي النساء والرجال ولا افارق الحلة وبذلك استطيع ان اتمكن من النظر الى عبلة قال وساروا على مثل هذا الحديث حتى انشق ذيل الدجى وطلع الصباح متبلجاً وسار القوم طالبين الاحياء هذا ما جرى لهؤلاء واما ما كان من بني عبس فانهم كانوا ينتظرون هذه السرية ولا سيما الملك زهير وكان يخاف على ولده مالك وهو لا يصدق ان يراه في خير وكان كل نسيب ينتظر ان يرى نسيبه سالماً من الخطر سوى عنتر فان الاكثرين كانوا يتمنون له الموت الاحمر لانهم كانوا يحسدونه على ما نال من المنزلة العلية بعد رعي الجمال ورق العبودية ولا سيما مالك ابو عبلة فانه كان يشتهي له كاس المنية لانه هتكها بشعره واشاع حديثها في سائر الجهات وتناقلت بحديثها الولائم والدعوات . قال الراوي وكان للربيع بن زياد اخ يسمى عمارة الوهاب وكان مليح الصورة حسن الاداب وكان يعجب بنفسه غاية الاعجاب ويلبس الرفيع من الثياب ويحب الطيب والنساء الملاح ومغازلتهن في المساء والصباح فلما سمع عن عبلة تلك الصفات وما قال عنتر من الاشعار والابيات اشتعل قلبه بلهيب النار وتخبل في امره وحار وخفق فؤاده وطار رقاده وطال سهاده وانفذ عجوزاً الى بيت مالك بن قراد وقال لها اريد منك ان تنظري لي عبلة هل تستحق الوصف الذي وصفها به عبد شداد فان كانت كما قال فيها خطبتها من ابيها فذهبت العجوز في الحال ودخلت على ام عبلة في زي زائرة فاستقبلتها احسن استقبال وتحدثت معها ساعة من النهار وهي تتفرس في عبلة شاخصة الابصار فاندهشت من جمالها وظرفها ودلالها وقدها واعتدالها ثم ان العجوز مازحت عبلة ولاعبتها وحدثتها وضاحكتها فرات من حديثها ما يبلبل عقول الرجال ويفوق السحر الحلال فعادت الى عمارة الوهاب ووصفتها له وبالغت في الاطناب ثم قالت له انني والله يا ولدي كنت استجهل عنتر كما اسمعته يذكرها

في شعره و يتصبب بها في نظمه ونثره حتى ابصرتها فعلمت انه ما انصفها لانها اعظم مما وصفها والراي عندي ايها الامير انك تبادر الى خطبتها وتسرع في طلبتها وتعطي اباها كل ما طلب ولو كان قنطاراً من الذهب حتى تحظى بذلك الحسن الذي ما عليه من مزيد وينجلي عليك من وجهها كل يوم بدر جديد قال فلما سمع عمارة ذلك الكلام لعب به الغرام وقام من وقته وساعته ولبس افخر ثيابه واسبل شعره على اكتافه وتطيب حتى فاح الطيب من اعطافه وركب من ساعته وحوله جماعة من العبيد في خدمته فالتقى بمالك وولده عمرو وهما عائدان من الصيد فسلم عليهما احسن سلام فاجاباه بالاعزاز والاكرام وهما ان يترجلا فاقسم عليهما ان لا يفعلا وقال عمارة لمالك يا عماه ارجع معي الى الغدير فانني اريد ان اخلو بك سرًّا ولا اكتم عنك امراً اعلم اني اتيتك بما فيه صيانة حريمك ودفع يد غريمك لاني جئت اليك خاطباً وفي كريمتك راغباً فلا تردني خائباً لاكون قريباً منك واتمتع بالنظر الى طلعتك والتشرف بمصاهرتك وخدمتك وما فعلت ذلك الا غيرة مني عليها من عنتر بن شداد ولد الزنا وابن الخنا الذي قد فضحها بين العرب وهتك سترها بين ذوي الرتب وجعلها حديثاً في مجالس الشراب يتحدث بها الشيوخ والشباب وانا اعلم انك شديد الغيرة على عرضك الطاهر بين العرب لا تسمح ان يتدنس بهذا العبد الخسيس الحسب والنسب وانا اريد ان ازيل عنك كل ما يشناك واكون انا واخوتي في شدايدك ورخاك قال الراوي ومازال عمارة على مثل ذلك حتى القى الخجل على مالك واوغر صدره حقداً وحنقاً واورثه اضطراباً وقلقاً ومن شدة فرحه ببعد عنتر ابن شداد وقربه بعمارة سيد بني زياد قال يا مولاي بنتي امتك وانا لك خادم وقد ازوجك بها وانا غير نادم قال الناقل ثم تقدم الى عمارة واعطاه يده وازوجه وعاقده وعادوا الى الحي وعمارة يعد مالك بن قراد بهلاك عنتر بن شداد ان عاد سالماً من تلك البلاد قال ثم ان عمارة اعلم اخاه الربيع بذلك الصنيع فقال له والله ياعمارة انا لست راضياً لك بمصاهرة مالك ولا قربك من بني قراد لانهم قوم فقراء ما يعتاشون الا من غزواتهم وغاراتهم على العباد ولكن اذا كنت تريد ذلك فاجزل المهر واكثره واجتنب عنتر واحذره لانه شيطان مارد يقهر معدو والمعاند فلما سمع عمارة كلام الربيع قال له ما هذا الكلام يا اخي ومن هو عنتر في الكلاب حتى تخاف منه سادات الاعراب ويعادي مثل عمارة الوهاب وكيف يعارضني في ما اريد وكم في خدمتي مثله من العبيد قال الراوي وفي تلك

الايام اقبل مالك ابن الملك زهير وعنتر وفرسان بني عبس من ديار بني مازن ومعهم الغنايم الكثيرة والتحف الوفيرة وخرجت الى لقائهم الاحزاب وفرحت بمقدامهم الاحباب وكان يومهم اعظم من يوم مشهود نشرت به الرايات والبنود وكان افرح الخلق الملك زهير لاجل قدوم ولده مالك الذي كان يحبه اكثر من جميع اولاده لانه كان احسنهم جمالاً وابهاهم كمالاً واصدقهم مقالاً قد اكمل المروة وحاز الفتوة واحسن العقل والادب والفضل والحسب فلما التقوا ترجل مالك وقبل يد ابيه الملك زهير وقبل عنتر ركابه واقبل مالك على ابيه يحدثه عن سفرته وما جرى له في غيبته واخبره بما فعل عنتر من الافعال وما ابداه عن صدام الابطال وكم جندل من الاقيال واهلك في المجال فسرّ الملك زهير وقال لمالك والله يا بنيّ لقد بنى عنتر لهذه القبيلة عزاً مديدًا وصير لها ذكرًا حميدًا . قال ووصل عنتر الى ابيات بني قراد فالتقوه بالفرح والسرور والغبطة والحبور وهنأوه بالسلامة واكرموه بكل كرامة سوى مالك ابي عبلة فانه كان يكلمه بلسانه والنار تشعل في جنانه وقد ساءه رجوع عنتر سالمًا من تلك الحرب وكان يود لو انه قتل بين الطعن والضرب وكان عنتر يعرف ذلك . ولكنه يتعلق بالمحال ويمني بالامال وفرق عنتر عليهم جميع ما صاحبه من الاموال فشكرته النساء والرجال ثم دخل على امه زبيبة وهي لا تصدق ان تراه وكان قدومه عليها احلى من قدوم العطشان على بارد المياه . وكانت قد علمت ان عمه قد زوج ابنته عبلة بعمارة بن زياد فكتمت ذلك عن عنتر حتى استراح واقبل الليل بالسواد فقعدت عن راسه مع اخوته واخذ عنتر يسألهم عن عبلة واحوالها وهل ذكرته في غيبته . فقالت له امه بالله يا ولدي دع عنك عبلة ولا تذكرها فانك لا تنظرها فلما سمع عنتر كلام امه جمدت عيناه وتقلصت شفتاه واستوى جالساً وقال لها والله لا فعلت ذلك ابدًا ولا تركت هوى عبلة على طول المدى فكيف ذلك وما معنى مقالك وقالت يا ولدي ان اباها زوجها بعمارة بن زياد وما تبقى غير قبض المهر والزفاف المعتاد . فلما سمع عنتر كلام امه كاد ان يغشى عليه ولم يبصر ما بين يديه وقال والله يا اماه لا بد ان افني بني زياد ولو انهم في عدد قوم ثمود وعاد فقالت له بالله عليك يا ولدي لا تعجل في امرك ولا تضيق دائرة صبرك لان عبلة لا ترضى بذلك ولو وقعت في اعظم المهالك . وهي تقول لو قطعوني اربًا ما طاوعت ابي واخي على ما طلبا وكذلك امها لا تطاوع اباها على ما اراد لانها تكره بني زياد فقال عنتر وحق من سطح الغبراء ورفع الخضراء وشرف الكعبة الغراء لامزقن شمل بني زياد واقتلن

عمارة ولو انه في حجر ملوك بني غسان او كسرى صاحب التاج والايوان قال فلما سمع شيبوب كلامه قال له ويلك يا ابا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك انا امضي اليه وادخل عليه واخذ روحه من بين جنبيه ولا يعلم به ابيض ولا اسود ٠ فقال عنتر انا اعلم انك قادر على هذا العمل ولكن اصبر حتى اركب غداً الى خدمة الملك زهير وابنه مالك واستشيرهم في ذلك ثم انه بات بليلة طويلة ما اخذه رقاد ولا ذاق شيئاً من الزاد حتى اصبح فعدّ له شيبوب الابجر وركب الى ابيات الملك زهير فخرج اليه مالك وسأله عن الخبر .فقال يا مولاي تبيت اعداؤك مثل ما بت البارحة فانها كانت ليلة سوداء كالحة فقال مالك ما هذا الكلام يا حامية بني عبس وكيف ذلك فاخبره بزواج عبلة لعمارة وما فعل عمه مالك ٠ وقال انهم مع كل هذا تعاهدوا على قتلي وقد خطر بقلبي ان اقتل عمارة وسائر بني زياد واتركهم عبرة بين العباد فقال له مالك وقد صعب عليه هذا الامر والله يا ابا الفوارس لقد خاب عمارة وبخسر عمك في التجارة وحيث ان الامر بلغ الى هذا الحد فانا اتولاه وارد عنك كيد بني زياد واخرج عبلة من يد عمارة القواد فطب نفساً وقر عيناً واصبر عليّ حتى اسال مولاك ان يلحقك بالنسب فمتى فعل ذلك خاطبت عمك اباعبلة في هذا الامر وضمنت كل ما طلب وحينئذ اقول لعمك مالك عنتر احق ببنت عمه من كل احد واجعل ابي يساعدني على ذلك واطلب منه الاسعاف والمدد وان لم يقبل مولاك شداد سؤالي في الحاقك بالنسب خطبت انا عبلة من ابيها وجعلتها على اسمي حتى ينقطع طمع عمارة وغيره فيها ثم اماطل اباها بالمهر واحرمه ان يزوجها طول الدهر فلما سمع عنتر من مالك هذا المقال خمد عنه بعض الاشتعال وقال له لا عدمتك يا مولاي من مشير وحام ونصير وانا اسال الرب المعبود ان يجعل ايامك تجري في المسرة ولياليك في السعود ثم انه سار الى جانب مالك حتى وصلا الى ابيات الملك زهير فتقدما اليه وسلما عليه فترحب بعنتر وحياه وقربه وادناه ورفع مكانه وعلاه وجعل يحادثه ويخاطبه ويسالهو يجاوبه فحدثه عنتر بحديث سيفه الضامي الابتر وما تم له مع الاخوين وكيف قتل الواحد وكف شره عن اخيه واعاد الآخر الى مكان ابيه ٠ ثم انه سل الضامي من غمده وسلمه الى الملك زهير فهزه فوجده صاعقة مبرقة وناراً محرقة وقال لعنتر يا ابا الفوارس هذا السيف من تمام سعدك لانه يعينك على قهر عدوك وضدك وانا اقسم بالرب العظيم انه ما صنع الا لساعدك وزندك فلما سمع عنتر من زهير هذا

الخطاب قبل رجله في الركاب وساله قبول هذا السيف القرضاب . فقال الملك زهير لا والله يا ابا الفوارس انت بحملة اليق واحرى به واخلق وهو لساعدك قد انطبع ولو ضرب به غيرك ما قطع . ثم انهم ساروا حول البيوت يفتقدون المراعي والمناهل وخرجت معهم سادات العشيرة من المنازل وكان من جملتهم بنو زياد و بنو قراد وكان عمارة قد اخذ يركب الى جانب مالك ابي عبلة ويشطيب ويابس انخو حلة . فلما رآه عنتر زادت لواعج بلباله واضطرمت نيران اشتعاله وتغيرت جميع احواله ولكنه صبر مؤملاً بالخير لان قلبه تعلق بوعد مالك بن زهير هذا والملك زهير ما زال يشرف على المنازل والغدران والمناهل حتى اشتد الحر واشتعل البر وصاح الجندب وصر فعاد بطلب الاطلال وتفرقت من حواليه الابطال وطلب كل واحد منهم مضاربه وفارق كل انسان صاحبه . فعندها قال مالك ابن الملك زهير لعنتر يا ابا الفوارس اسبقني انت الى الحي حتى اتحدث مع مولاك شداد واسمع ما عنده من الايراد . ثم انفرد مالك عن عنتر ولحق شداد بن قراد على الاثر وقال له يا شداد الى متى تمنع ولدك عنتر حقه من نسبك ولماذا لا تدخله في حسبك فان سائر القبائل العرب تحسدك عليه وما عنده مكارم الاخلاق لا يقدر احد من السادات ان يصل اليه اتحسب يا شداد ان في العرب والعجم من يقدر ان يلقاه اذا سل حسامه او يضاهيه في فصاحته اذا ابدى كلامه . ومن الراي الصائب انك تعتز بسيفه وتلحقه بالنسب فانك تفتخر به على سادات العرب . والا وحق من خلق الانسان من تراب ان لم تسمع مني هذا الخطاب يأتي عليك يوم تقبل رجل عنتر في الركاب . قال فلما سمع شداد من مالك هذا الطلب بان في وجهه الغضب وعبس وقطب وقال يا مالك من فعل هذا قبلي من العرب حتى اتبعه انا في هذا المذهب . اتريد يا مولاي ان تعريني من ملابس الشرف وتلبسني ثياب المذلة ولا تترك لي حرمةً بالجملة ويقال عني ان شداد بن قراد سبى امةً سوداء واتاه منها ولد سفاح على غير عقد نكاح ثم ادعى انه ولده من نسله والحقه بنسبه واصله حتى يعتز بسيفه او ينجو من حيفه فلما سمع مالك كلام شداد قال له يا شداد ومن اتاه من امة مثل هذا الولد وانكره واستعبده وما حرره والله يا شداد ان عنتر ماولدت مثله امة ولا حرة مكرمة . ومن الراي عندي انك تسن هذه السنة في العرب ويقتدي بك اهل العقل والادب وهل الامرأة الا وعاء الرجل يسترد منها ما استودع وهي بمنزلة الظرف يوخذ منه الذي

فيه يوضع فقال شداد والله يامالك ان ضرب النصال اهون عليَّ من هذا السوءال واريد من انعامك ان تمهل عليَّ حتى اراجع فكري وانظر في امري · ثم ذهب شداد عَلَى غير طائل وعاد مالك وقد ذهب كلامه باطل · وعلم انه قد اضاع الكلام مع قوم غير كرام لا يعرفون الجميل ولا يرعون الذمام · ثم قصد ابياته فوجد عنتر في انتظاره وقد زاد اشتعال ناره · فقص عليه ما جرى له مع مولاه شداد فخفق من عنتر الفواد وفاضت الدموع في عينيه وكاد ان يغشى عليه · وقال وحق خالق الانس والجان لا ركبت ظهر الحصان ولا حضرت في حرب ولا طعان ولا اقمت بعد هذا الحديث في الاوطان ولا بد لي ان اكافيء كلاً على ما فعل في حتى ان ساعدني الزمان · قال فلما سمع مالك من عنتر هذا الكلام قال له يا ابا الفوارس ولماذا ترحل من الديار وتهيم في الاقطار ومثلي وراك يرد عنك شر عداك ولا بد لي ان ابلغك مناك ولو هلكت روحي من اجلك وذلك قليل في هواك · ثم انه قدم ما راج من الطعام واحضر شيئاً من المدام وقضى معه نهاره بشرب العقار ومناشدة الاشعار قال الراوي وكان عمارة في دعوة عند مالك بن قراد هو وجماعة من بني زياد ومالك قد نحر الجزور وصفى الخمور وبات عمارة يتناول الكاسات ويغترف بالطاسات ومالك وولده عمر يتقربان بالكرامة اليه ويتسابقان بالخدمة الى بين يديه لان ما في بني عبس بعد الملك زهير اعلى من بني زياد ولا اكثر مالاً ولااعز رجالاً سيما الربيع لانه كان ينادم الملوك الكبار ويحادثهم بالاخبار ويناشدهم الاشعار وينفدون اليه الخلع من سائر الاقطار وكان حافظاً اشعار العرب وموصوناً بالفضل والادب · قال وما خرج عمارة من بيت مالك حتى اصبح الصباح فركب عمارة وصار طالباً ابياته وهو ثمل من الخمرة يتمايل من السكرة فبينما هو كذلك واذا بعنتر التقاه في طريقه وهو عائد من عند مالك صديقه · فقال له ويلك يا ابن زبيبة اين كنت البارحة · ومواليك ينتظرونك لتحضر وليمتهم الطائحة · فلو كنت معنا لكنت اجلستك معي وخلعت عليك لانك تستحق الاكرام لاجل ما سمعنا عنك من الافعال العظام فلما سمع عنتر كلامه اخفى ما في قلبه من الكمد واظهر الصبر والجلد · وقال لهُ يا سيدي انا والله لااستاهل الاكرام منك الا اذا دخلت بمولاتي عبلة وخدمتك ليلة زفافها عليك وحضورها بين يديك · ثم هاجت بعنتر البلابل فزعق بعمارة صوتاً كالرعد الهائل فقال له ويلك يا عمارة هل ضاقت عليك الارض ذات الطول والعرض حتى تتزوج بعبلة بنت مالك

وتلقي نفسك في المهالك اما علمت اني بها هائم ام انت من البهائم · او ما سمعت مالي فيها من الاشعار التي سارت بها الركبان في الاقطار · اما تعلم ان دون عبلة خرط القتاد · ولو كان خطبها عاد بن شداد · قال الراوي فلما سمع عمارة كلام عنتر همهم وزمجر وشخر ونخر وقامت عيناه في ام راسه وقال لعنتر ويلك يا ابن الزنا وتربية الخنا ما هذه الوقاحة لعلك سكران او خالط عقلك جنان على اني سمعت عنك ما هو اعظم من هذا الهذيان لانك تارة تريد ان تلحق بالنسب وتارة تريد ان تخطب بنات سادات العرب فوالله يا ابن الملعونة ان رجعت ذكرت عبلة او طلبت الحاقك بالنسب لاقطعن بهذا الحسام راسك ولاخمدن اساسك واخمد انفاسك · قال فلما سمع عنتر كلام عمارة صار الضياء في عينيه كالظلام وهان عليه شرب كاس الحمام · وقال والله يا عمارة انك اذل واحقر من ان تشهر في وجهي الحسام او تقاومني في مقام · وانا والله لو حرمة الملك زهير لازلت هذا العجب الذي يلعب بعطفيك واطرت راسك من بين كتفيك · قال فلما سمع عمارة من عنتر هذا الكلام جرد الحسام واهوى به الى عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء الفاقد الادب من انت حتى تجتريء على سادات العرب · فعند ذلك اشهر عنتر الحسام وهجم على عمارة هجمة الاسد الضرغام وهنالك تقدمت العبيد اليهم ودخل شيبوب بين الاثنين وصرخ عليهما هذا وقد وقع الصياح في ابيات بني قراد فخرجوا من الخيام وسعوا على الاقدام وفي اوايلهم ابو عبلة واخواه شداد وزخمة الجواد فدخلوا وفرقوا بينهما وزعق مالك على عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء هذا ابلغ من قدرك ان تعارض السادات والملوك القادات ارجع الى رعيك الجمال وجمعك الجلة من بين التلال ولا تذكر نفسك بين الرجال انسيت جمع الحطب وصر النوق والحلب وتريد ان تقاوم سادات العرب · هذا وعمارة ينظر الى عنتر شزراً ويتأسف حيث لم يقدر ان يصل اليه وكاس الحمام يسقيه وقال له والله يا ابن الملعونة ان وقعت بك في غير هذا المكان لا بد ان اخضب يدي من دم نحرك واريح العرب من شرك هذا والعبيد نظروا مالك بن قراد قد استخف بعنتر وازدراه وهو قد ذل بين يديه ورجع الى وراه فطمعوا فيه وداروا حواليه بالعصي والحجارة وطلبوه بكل وقاحة وجسارة · هذا وعنتر قد اشرف منهم على الهلاك ووقع معهم في الارتباك وصار شيبوب يدافع عنه ويمانع وهو واقف ذليل خاضع و بينما هو كذلك واذا بمالك بن زهير قد اقبل وسيفه في يده مشهر وهو كانه الاسد القسور وعبيده من حوله

يركضون وفي ايديهم اللتوت واعمدة البيوت ومالك يصيح فيهم دونكم وعبيد بني قراد واكشفوهم عن عنتر بن شداد ومن ظفرتم به منهم اقتلوه والحقوه بقوم عاد٠ قال فعندها علت الضجات وتهاجمت العبيد وجرت الدماء على الصعيد وجرى بينهم قتال شديد وتقدم مالك الى عنتر وقال له ويلك ياطنجير هذا كله يجري عليك وانت صابر ٠ لماذا لا تبذل سيفك في هؤلاء اللئام اولاد العواهر فقال عنتر يامولاي ان العبد يكرم لاكرام مولاه ولولا ذلك ماتركت احدًا منهم في الحياة ثم حدثه بما جرى له مع عمارة حتى استوفى العبارة ٠ وكان الصائح قد وصل مع العبيد الى الحي فانقلب الحي برجاله وتبادرت جميع ابطاله ووصل الخبر الى الربيع بن زياد وقيل له الحق اخاك عمارة والا اهلكه عنتر بن شداد٠ قال فلما سمع الربيع ذلك الكلام ركب في ابطال بني زياد واخوته واقاربه وعشيرته وهو يقول والله يابني الاعمام ما كنت اريد ان اخي يتعرض لهذا الشيطان المريد واخس العبيد وقد نهيته عنه فما انتهى وما فعل الا ما اشتهى٠ ثم ان الربيع حرك جواده حتى وصل الى مكان المعمعة فنظر الى اخيه عمارة وهو يصيح في عبيده ويحرضهم على عبيد مالك بن زهير الذين قتلوا من عبيده ثلاثة ومن عبيد مالك بن قراد اربعة ٠ فلما نظر الربيع الى ذلك صعب عليه وكبر لديه وحمل على عنتر والسيف في يده مشهر وكان عنتر قد استحضر جواده الابجر فركب وتقلد بسيفه الضامي الابتر واعتقل برمحه الاسمر وهو واقف كانه الاسد الغضنفر ومالك بن زهير كان قد استحضر السلاح والجواد فركب وتصدى للربيع بن زياد وقال له ارجع ياربيع والا تركت الخيل تخوض في النجيع ٠ فلما نظر عنتر الى مالك بن زهير وقد عول على قتال الربيع قوي قلبه وانفرج عنه همه وكربه ٠ وتاهب للقتال وحدثته نفسه انه ياتي جميع بني زياد ويفنيهم الى جيل الاجيال ٠ فبينما هم كذلك واذا بالملك زهير قد اقبل في اولاده وهو يركض بجواده وحوله جماعة من فرسانه واجناده وهم يصيحون ويقولون ياويلكم كفوا عن القتال والا حلّ بكم الوبال وكان الخبر قد وصل الى الملك زهير ان احد ملوك ارض اليمن راكب عليه بمساكر لا يعرف لها اول من اخر ٠ وبلغه ان ملجم بن حنظلة واخاه يزيد الملقب بشارب الدماء الذي سبى عنتر ابنته اميمة وقتل بعلها ناقد بن الجلاح لما كان مع غياض ابن ناشب وكانت الجارية اميمة في ابيات الملك زهير وهي عند بناته في اعز المراتب وكانت امها لاجلها على مقالي النار والعرب تعير اباها كيف تركها في الاسار

ويقولون له يا ملك ماذا يقعدك عن خلاص ابنتك وما ذلك الا لضعفك وقلة نخوتك ولو كان فيك نخوة العرب وغيرة اصحاب الرتب ما كنت قعدت عن اخذ ثارك وكشف عارك . قال الراوي وان شارب الدماء لما عيروه بذلك انفذ الى قبال اليمن واستنجد بحلفائه واصدقائه ومن يعتمد عليه في تلك الدِمَن حتى اجتمع عنده جم غفير من الرجال وصار عنده جيش من الابطال وكان اكثر هذا الجيش من بني كندة وزبيد الريان وبني خشعم وحمدان فلما صار في هذا الجيش الجرار عزم على اخذ الثار وخلاص ابنته اميمة من الاسر والعار . وبينما الملك زهير بلغته هذه الاخبار وهو من اجلها مشتغل الافكار وصلته اخبار خصومة عمارة وعنتر وما جرى بينهما من الامر المنكر . فلبس لأمة حربه وركب الجواد وسعي ليكشف الخبر واذا اولاده مالك في قتال الربيع بن زياد هذا وان العبيد لما راوا الملك قد اقبل كفوا ايديهم عن القتال وتقدم عمارة الى قدامه بحال الاذلال وقال ايها الملك ما بقي لنا في ارضك مقام ان لم تأذن لنا بقتل عنتر في هذا المقام . فقال الربيع والله لولا قدومك ايها الملك في هذه الساعة لكانت هلكت منا جماعة . والسيف وقع بيننا وتقاضينا من بعضنا ديننا وكنا صرنا مثلاً بين العرب وسقطت منزلتنا عند اصحاب الرتب لان هذا العبد داخله الطمع في القبيلة وانت كنت السبب لانك تقربه وتدنيه وترفع شانه وتعليه وكذلك ولدك مالك لا ياكل ولا يشرب الا معه ويعلي مقامه وموضعه . ونحن ايها الملك ما نصبر على هذا الهوان ولا نقعد تحت الاهانة في هذا المكان ولا بد ان نرحل اكراماً لعنتر من وطننا ان لم تمكنا من قتله او تبعده عنا . فقال لهم الملك يابني عمي حدثوني عن سبب هذه الفتنة التي جابت علينا هذه المحنة فاخبره الربيع بان عمارة خطب عبلة من ابيها وانه كان تلك الليلة عنده يشرب المدام مع اخيها وحدثه كيف التقي به عنتر في الطريق وجرد عليه الحسام وكلمه بذلك الكلام فلما سمع الملك من الربيع ذلك الكلام المشؤم علم ان عنتر مظلوم وانهم ما فعلوا ذلك الا لكي يكيدوه ويطردوه ويبعدوه وكان الملك زهير قد نظر الى عنتر لما اشرف عليهم وهو بعيد عن المعمعة لايدنو اليهم فرق له قلبه وقال في نفسه والله ما هذا العبد بين اهله الا مثل الدرة اليتيمه عند من لا يعرف لها قدراً ولا قيمة ولكن لم يرَ ان يخاصمهم لاجل حاجته اليهم واعتماده في ذلك الوقت عليهم لاجل الخبر الذي سمعه عن ملجم بن حنظلة واخيه يزيد وما جمع من الابطال والصناديد . قال الناقل هذا وشاس ابن الملك زهير من بغضته لعنتر قال

لابيه والله يا ابي ان هذا الامر لا يصبر عليه احدٌ من العجم ولا من العرب ولقد افتضحنا من فعل هذا الكلب الاكاب ومن هــو هذا العبد حتى يهجم على سادات العرب والاكابر ذوي الرتب و يفعل بمثل عمارة هذه الفعال واذا كان اليوم اخرق بهذا الامير فغدا يخرق بنا ولا يبالي بكبير ولا صغير وتقدم مالك ابو عبلة و بكى قدام الملك زهير وافضحتاه وقلة ناصراه ايها الملك اتأذن لي بالرحيل من هذه الديار والا انهتكت ابنتي في ساير الاقطار او اعطنا هذا العبد السوء حتى نقتله ونكشف عنا العار قال وان الملك زهير لما راى النوبة قد اشتكات قال لهم يابني الاعام ماذا تريدون منا قالوا ايها الملك اما ان نقتل هذا العبد او تبعده عنا. قال الملك زهير اما قتلهُ فلا اطاوعكم عليه لانه دخل الى ابياتنا واكل من طعامنا واستظل بظل حمايتنا وذمامنا واما ابعاده عن الديار فليس لي حق في هذا الابعاد وانمــا هو لابيه شداد هذا كله يجري . [illegible] زهير واقف قدام ابيه وهو ينظر الى الحاضرين ليرى هل احدٌ يتكلم بالحسنى في حق عنتر فلم يجد من يتكلم بالخير فيه وما راى الا اعداءه وحاسديه فصبر على المضض وعلم انه اذا تكلم لا يقضى له غرض هذا وعنتر لا يدري مــاذا يصنع لانه ان غضب ورحل لا يطيق قلبه ذلك لاجل محبته لعبلة بنت مالك وان بذل فيهم سيفهُ لا يبقى له وجهٌ ان يرجع الى الحلة و يحترم النظر الى محبوبته عبلة ولا يكون له اليها سبيل فيموت من اجلها كمدًا و يتحسر عليها طول المدى. فما وجد لنفسه احسن من الصبر ولو اقام تحت الذل والقهر هذا والملك زهير قد استدعى بشداد اليه وقال له ياشداد هؤلاء القوم قد تعاونوا على عبدك فانصل بينهم بما تريد وانا على ما تحكم به شهيد فقال شداد ايها الملك قد حرت في هذا الامر فــان اخي لا اقدر ان اغضبهُ وهذا العبد لا يستحق الضرب حتى اضر به لانهُ اليوم يعد من الفرسان. وقد صار له شان واي شان وما بقي في الامر الا طرده او يعود الى ما كان عليه من رعي الجمالـــ ويخلي عنه الحرب والقتال فان بني عبس لا يحتاجون اليه على كل حال وان نطق بشعر على خلاف عادة رعاة الجمال او خلع عنه ثوب الصوف سقيته كاس الحتوف ولا بد لي ان اخرج هذه الحماقة من راسه واهدم جوله من اساسه وهذا العبد السوء ما تجرا على القبيلة الا من يوم ركوب الخيل وصار يجالس معكم وينادمكم في النهار والليل. فقال الملك زهير ياشداد احضر عنتر واشرط عليه ما تريده قدامي وافصل الامر امامي فعندها نادى شداد بعنتر فترجل وسعى اليه وقبل يديه وفاضت الدموع من عينيه. فقال له

ويلك ياعبد السوء قد كفاك ماجرى فارجع الى ما كنت عليه من رعي الجمال وجمع الجلة من بين التلال والا عجلت قتلك في الحال وانا لا اقدر ان اغضب القبيلة وانحرف معك ولا ان اترك اخي واتبعك فقال له يامولاي افعل ما تريد واحكم علي حكم الموالي على العبيد . لان العبد ماله الا مولاه لا ينفعه الا سواه ان ابعده او ادناه انا من اليوم لا اقصر عن رعي جمالك وحفظ جميع اموالك ولا اركب جواداً ولا احمل السلاح ولا اقول شعراً في غـو ولا رواح . قال الراوي فعندها شهد عليه الملك زهير وجميع من حضر بحفظ كل ما ذكر ثم انطفأت نار الشر بعد الاتقاد وشمت بعنتر الاعادي والحساد و بعد ذلك قال لهم الملك زهير يابني الاعمام خذوا اهبتكم للقتال حتى اسير بكم الى من اراد ان يسير اليكم طالباً قلع اثاركم وسبي عيالكم واخذ اموالكم وخراب دياركم . قال فلما سمع القوم كلامه ثارت بهم الحمية ولعبت باعطافهم النخوة الجاهلية وقالوا له ايها الملك من هو الذي سار الينا من الملوك ونحن معرفون بين العرب الكرام بفرسان المنايا والموت الزؤام . فاخبرهم الملك زهير بقصة بني طي وما قد جمع عليهم ملجم بن حنظلة او اخوه شارب الدماء من الجيوش التي جمعاها من كل حي ثم قال لهم يابني الاعمام انتم تعلمون ان بني طي هم جمرة بني قحطان وقد انضافت اليهم ملوك الزمان والآن قد ساروا الينا واجتمعوا علينا واذل الناس من يغزي في دياره وتطاء اعداؤه جوانب اقطاره وقد عولت ان اسير بكم اليهم واهجم عليهم فلا تباتوا الا وانتم تحت السلاح معولين على الحرب والكفاح لاني اريد ان نسير غداً عند الصباح قال فاجابوه بالسمع والطاعة وتفرقت على ذلك تلك الجماعة وفرح عنتر بكثرة الجموع التي اجتمعت على القوم وعلم انهم يحتاجون اليه في ذلك اليوم وانه دخل على امه زبيبة فوجدها باكية عليه متالمة مما وصل اليه فقال لها دعي عنك هذا البكاء والحزن والاشتكاء فوالله العظيم رب زمزم والحطيم والخليل ابراهيم لابلغنّ ما اريد على رغم انف الجميع واهشم راس عمارة واخيه الربيع . فقالت والله ياولدي ان عبلة تهواك كما تهواها وتعد نفسها جاريتك وانت مولاها واليوم كانت عندي وقد خلت البيوت من الرجال لما اشتغلتم بالقتال ورأيتها على ماجرى عليك باكية ومما اصابك شاكية وقالت لي طيبي قلبه واز يلي كربه فوالله ما انسى جميله ولا صحة وداده ولا اطاوع ابي على مراده . فلما سمع عنتر هذا المقال انجلت عن قلبه الهموم والادغال واتسع صدره وانشرح وداخله السرور والفرح . ولما اصبح الصباح امر عنتر اخويه شيبوب وجرير ان يسوقا الجمال وكان الحي قد اصبح يموج كما يموج البحر اذا لعبت به ريح الشمال وما تنصف النهار حتى خرجت الابطال وتلاحقت الرجال وهم قد

غاصوا في الحلق وتنكبوا بالدرق وركبوا الخيول السبق وركب الملك زهير وهو غائص في الحديد مسربل بالزرد النضيد ونشرت على راسه راية العقاب ودارت به العشائر والاحزاب وبقي في الحي ولداه شاس وقيس الملقب بقيس الراي ومعهما خمسمائة فارس كي يكونوا للحي بمنزلة الحافظ والحارس لان اباهما استخلفهما احتسابا من ان يختلف مع بني طي في الطريق فيصلون الى الحي بعد مسيره ويعدمونه التوفيق وساروا تاركين الحي طالبين بني طي . هذا ما كان من الملك زهير وبني عبس واما ما كان من بني طي فانهم رحلوا عن ديارهم في اثني عشر الف فارس من كل مدرع ولابس والكل بالدروع والمغافر والسيوف البواتر وكان حساب الملك زهير حساب من اختبر الزمان لانهم اختلفوا في الطريق لسعة البر والقيعان وكان الاسبق بني طي فوصلوا الى حي بني عبس عند طلوع الشمس وامتلأت بهم الروابي والبطاح وسدوا منافس الهواء باسنة الرماح ونظرهم الرعيان قبل ان يصلوا الى المراعي وقد ظهروا من رؤوس الروابي والشعاب فعادوا الى الحي على الاعقاب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور ولما وصلوا الى الحي أخبروا بقدوم بني طي فنفرت الرجال وركبت الابطال وركب شاس واخوه قيس في مقدمة الفرسان وتبادرت اليهما الشجعان من كل جانب ومكان وركبت بنو قراد وفي اوايلهم مالك وزخمة الجواد والامير شداد وما ابعدوا عن المضارب حتى طلعت عليهم غبائر بني طي من كل جانب وتكدرت المشارق والمغارب وظهرت الخيول والجنايب ورجفت الارض من ركض الخيل السلاهب وانسدلت على الاقطار اذيال الغياهب ولمعت الاسنة في القتام مثل الكواكب وحجبت الشمس بنورها الثاقب وراى قيس بن زهير هذه الاحوال فخاف على الاهل والعيال وقال لبني عبس قد اخطأ ابي في مسيره ولكن قد كان ما كان والان ما بقي يخلصنا الا ثبات الجنان على الضرب والطعان ثم انهم تأهبوا للحرب والقتال وتقدمت الابطال الى المجال وابصر عنتر هذه الحال ففرح وقال والله اليوم ابلغ الامال ثم التفت الى اخيه شيبوب وقال له ويلك ما الذي تشير علي به من الفعال فقال له شيبوب اقبل مني ما اقول فانك به تبلغ المأمول وتلحق بالنسب والحسب وتفتخر على سادات العرب وان لم تنل اليوم ما تريد لاتزال محسوبا من جملة العبيد فقال له عنتر ولاجل ذلك استشرتك فاخبرني ماذا افعل وما الذي يكون من العمل قال له شيبوب الراي انك تسوق قطعة من الجمال وتصعد الى بعض التلال فاني اعلم ان اصحابنا ينكسرون واليك يحتاجون وبك ينتصرون وبين يديك يكون ويتضرعون فلا تركب جوادا ولا تمارس حربا ولا جلادا حتى يلحقك بالنسب مولاك

شداد ويشهد عليه انك ولد من جملة الاولاد وان لم يفعل ذلك وطلب منك النصرة فلا يكن منك اليه التفات وقل له يامولاي انا عبد وما جرت عادة العبيدان تقاتل مع السادات وانت بالامس منعتني عن ركوب الخيل وحمل السلاح واشهدت علي الملك وسادات القبيلة واستحلفتني ان لا امس السيوف والرماح والان لا ادخل تحت هذه الحرمة ولا اخلع ثياب الخدمة قال فلما سمع عنتر هذا الخطاب رآه عين الصواب ثم اخذ العصا بيده وساق الجمال وطلع الى ذيل الجبل الذي يسمونه العلم السعدي ووقف هناك لينظر كيف يكون الحال وعد له شيبوب الحصان وربط له سيفه في السرج واخذ الرمح وتبعه الى ذلك المكان وبقي عنتر ينظر مايجري بين بني طي وبني عبس من القتال وشيبوب يقول له اليوم يومك يا ابن السوداء فابشر ببلوغ الامال قال واندفق بنو طي مثل السيل العظيم العظيم وانتشروا على بني عبس انتشار الليل البهيم فالتقواهم بنو عبس بوجوه وقاح واشرعوا الى صدورهم اسنة الرماح ووقع الحرب والكفاح وجرى الدم وساح واشتد الصياح وحام طير الحمام على اجساد القتلى وناح وحجب الغبار نور الصباح وعلم بنو طي ان ملك بني عبس غائب فافترقوا عليهم من كل جانب واشهروا عليهم القواضب والتقت الكتائب وحملت المواكب واحاطت بنو طي ببني عبس من كل الجهات وضاقت على بني عبس الاراضي والفلوات ودارت عليهم رحى المهالك والافات وضرب فيهم بوق الشتات وقد اختاروا شرب كاس الممات وغمرت بني عبس كثرة العدد وابهرتهم زيادة المدد وصبرت الكرام وفرت اللئام وانقطع من الطائفتين الكلام وتراجعت بنو عبس الى اذيال الخيام. وقد دارت عليهم كؤوس الحمام وانجرح قيس ابن الملك زهير جرحاً اشرف منه على التلاف فحملوه على المناكب والاكتاف وتبعهم القوم وصار القتال بين الاطناب وخاضت في بطون القتلى حوافر الدواب وخرجت الكواعب وهن منشورات الذوائب ممزقات الثياب واختار بنو عبس ضرب الرقاب على العار وشربوا كاس المنون مثل العقار وزعق على ديارهم البوم والغراب وانذرهم بالخراب وقال مالك ابو عبلة لاخيه شداد وقد انجرح في موضعين وعاين الموت الاحمر ويلك يا اخي اين عبدك عنتر ولماذا لم يحضر في هذا اليوم المنكر فلما سمع شداد ذلك الخطاب غاب عن الصواب وقال له اسكت يامالك ودع عنك قول المحال فوالله ما تركت لنا مع عنتر حال ولو كان اليوم معنا لكنا في احسن حال وما كان السبب

انتهى الجزء الثالث من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الرابع

الجزء الرابع

من سيرة

عنترة بن شداد

في طرده سواك وعسى ان تنتهي جراحك الى الهلاك ثم التفت شداد فراى عنتر على راس الجبل والعصا بيده يسوق بها النوق والجمال فعندها همز شداد جواده وصعد اليه ولحقه مالك ابو عبلة والموت نصب عينيه ولما صار شداد عنده صاح به ويلك يا عبد السوء اهذا يوم اشتغال مثلك بالرعي عن بني عبس وقد سبيت الاولاد والحريم وطرحت الرجال بين الخيام وصرنا حديثاً بين الامم قال عنتر يامولاي وما الذي اصنع والله يعز عليّ هذا البلاء الشديد ولكن انا عبدٌ من اخس العبيد وانا اعلم انني اساق مع القوم من جملة الغنيمة فمن ملكني خدمته وخدمت عياله ورعيت نوقه وجماله ثم انه ساق الجمال والغنم وترك اباهُ وعمهُ يعضان اصابعهما من الندم فغضب شداد وزعق عليه وقال له ويلك ياطنجير ما هذا العناد هل دخل على عقلك الفساد قال عنتر يامولاي وما الذي تريدمني أرايت من يطلب نصرة العبد و يترك السادات اصحاب الانساب الذين عندهم العبيد مثل الكلاب قال له والله لقد صبرت وقدرت وانا اعلم ان قلبك علي ملآن وانت لاجل ماجرى عليك غضبان فاركب جوادك حتى تبلغ اليوم مرادك واحمل على الاعداء وكرّ وانت بعد اليوم حرّ فقال عنتر يامولاي دعني عبداً طول الدهر ولا اكون حرّاً اقاسي العذاب والقهر فاني اريد ان استمرّ خلف الجمال واستريح من القيل والقال ومن ملكني فانا لهُ مملوك واعيش عندهُ كما يعيش العبد والصعلوك قال له شداد ويلك اترك عنك هذا العناد وانزل الى هؤلاء الاوغاد وقاتل الان وانا ادخلك في نسبي والحقك بحسبي فتقدم اليه مالك ابو عبلة وقال ياولدي وابن اخي اما ترى ما نحن فيه من المصاب وما هي عادتك يا ابا الفوارس ان تتركنا في العذاب انهض وكرّ على هولاء الاحزاب فقد الحقناك بالنسب وشاركناك في الحسب واصبحت تعدُّ من سادات العرب فقال عنتر يامولاي انا ما اقدر ان اكرّ ولا اعد نفسي في مقام حرٍّ ولا اريد ان يكون لي نسبٌ ولا ذمام

ولا ابٌ ولا اعمام فلا تطيلوا علي الكلام ثم اعتزل عنهما وساق الجمال والاغنام

هذا كله يجري بين عنتر وابيه شداد وعمهِ مالك بن قراد وخيل اليمن قد دخلت حيهم وصارت بين البيوت وقد اخرجوا النسوان والبنات المخدرات الحسان · وطردوا الفرسان وقاتلوا الشجعان · وهزموا الاقران وعلت الزعقات · ونزلت عليهم البليات وعملت المشرفيات · وخرقت الصدور الرماح السمهريات ووقع النهب في ابيات بني قراد واشتفت بهم الاعادي والحساد · وخرجت الفرسان بالسبايا ومعهم سمية والمعتدلة وشريحة والمدللة وما فيهن الا من تنادي بالويل ودموعها تجري مثل السيل وكان اكثرهن خوفًا وبكاءً ورنةً واشتكاء عبلة بنت مالك لانها كان قد سباها فارس جبار واسد مغوار وبطل كرار يقال له غياض بن محارب الملقب بسوار · وكان شأنه ان يهتك المخدرات ويسبي البنات ويباغت القبائل ويغصب العرب على المياه والمناهل وكان قد خرج في هذه النوبة لكي يسبي عبلة لكثرة ما وصله من اخبار محاسنها · وهو الذي كسر بني عبس وابعد الحريم عن مواطنها · ودخل ابيات بني قراد واخذ عبلة وجرها جر الاماء واردفها وراءه وهي تلطم خدودها الى ان تخضبت بالدماء وفاضت دموعها مثل مطر السماء قال الناقل ونظر مالك ذلك الحال فاقبل على عنتر بلسان الاذلال وقال ويلك يا ابا الفوارس اما ترى عبلة تساق سوق الاماء وانت عودتها العز والحمى فقال له عنتر ولماذا لا تطرح نفسك الى عمارة الوهاب وتسأله ان يخلصها من السبي والعذاب قال ويحك يا ابن اخي ان عمارة في هذه النوبة جرح من اول القتال وهو مع ذلك ليس من فرسان هذا المجال قال عنتر يامولاي اذا انا حملت الساعة وبذلت روحي في هواها هل تزوجني اياها قال مالك اي وحق من بسط الارض ودحاها ورفع السماء وعلاها · احمل وخلصها من هذه المظلمة حتى اكون لك عبدًا وهي لك امةً · قال الراوي فلما فرغ مالك من ذلك الكلام تقدم شيبوب الى عنتر وقال له يا اخي مابقا على ابيك ولا على عمك ملام فاركب الساعة وابذل المجهود وتوكل على الملك المعبود فعندها لبس عنتر عدة الحرب والجلاد وقد زالت من قلبه الاحقاد · وانحدر من الرابية وهو يهمز همزات الاسود الضارية حتى ادرك بني عبس الذين باتوا كاعجاز نخل خاوية فاكب راسه في سرجه وحمل على القوم وطلب غياض بن محارب وهو الذي سبى عبلة وكان قد خرج بها من المضارب وهي تنادي وليس لها من مجيب فانقض عليه عنتر انقضاض الكواكب او السهم الصائب وخاف ان ضربهُ بالسيف تصل الضربة الى عبلة فتهلكهُ معهُ بالجملة فاعترضه عن يمينهِ وصاح فيه

ويلك يا كلب العرب قد اتاك عنتر وطعنه في جنبه الايمن فاخرج السنان من جنبه الايسر فمال عن الجواد يخور في دمه و يفحص بقدمه واقبل عنتر على عبلة وهناها بالسلامة من المهالك وسلمها الى ابيها مالك وعاد الى الغبار . وانصب على الاعداء انصباب الغيث المدرار وجعل قصده بني كندة لانهم اكثر عدداً و قوى جلداً فنكس فرسانهم وقتل ابطالهم وشجعانهم واخرجهم من بين الخيام وفرقهم بين الروابي والآكام فطرحوا ما كانوا اخذوه من الاسلاب وهربوا كما تهرب الغنم من الذئاب وعند ذلك رجعت بنو قراد الى القتال وقويت قلوبهم على النزال . ولما راى عنتر ان القوم لا يرجعون ترك بني قراد في اعقابهم وانحرف الى بني طي وكانوا قد وقعوا في ابيات الملك زهير من دون الحي لان اميمة بنت سيدهم كانت عنده فقصدوا ان يخلصوها وكان في مقدمتهم ابوها فاخذها وسبى حريم الملك زهير واولاده وعاد هو و بنو عمه طالبين ديارهم ومعهم السبي والاموال والاماء والعبيد والرجال فالتقاهم عنتر بطعن يسابق القضاء والقدر وضرب لا يبقي ولا يذر . وكانوا كلما طلبوه وازدحموا عليه وصوبوا الرماح اليه يصرخ في فرسانهم و يطعن صدور شجعانهم هذا و بنوا عبس قد شدوا بعنتر قلوبهم واكثروا صياحهم وزعاقهم واظهروا ارعادهم وابراقهم ونادى بالنصر المنادي وتراجعت الشجعان من كل شعب ووادي ورجع قيس وشاس بعد ما كانا قد هربا ونظر ما فعل عنتر من الاهوال فقال شاس لاخيه قيس يا أخي الا ترى هذا العبد السوء انه ما قعد عن القتال الا الان حتى يظهر عزه وذلنا و يصير فضله علينا كلنا وان لم اظفر منه في هذا اليوم المقصود مت انا مكمود فقال له ماذا تريد ان تفعل به يا شاس وهل يرتفع لنا بدونه راس قال لا بد لي من قتله ما دام مشغولاً بالقتال والا فان عاد الى الحلة سالماً الحقه شداد بالنسب فيكون ذلك عاراً بين قبائل العرب . قال قيس يا اخي اذا كانت هذه الفعال فعاله وهو ابن امة فهو افضل من ابن حرة مكرمة فدعه يحامي عن الحريم والعيال و يخلصنا من غلبات الرجال ومع ذلك هل نقدر على قتله وهل تغنينا عنه وتفعل كفعله . قال الراوي ولم يزل قيس على اخيه شاس حتى رده عما كان في عقله من الوسواس ثم حملت بقية الرجال كي تعاون عنتر على القتال فتصادمت الابطال و بانت الاهوال وجرى الدم وسال وقصرت الاعمار الطوال و بان الصدق من المحال واختلفت رياح المنايا كاختلاف الصبا والشمال واما عنتر فانه غاب في طلب فارس بني طي غياض بن ربيعة ومازال يطارده حتى ادركه في المجال وهو يحرض الابطال فالقى نفسه عليه وقام في يديه وتمطى في ركابه وضربه بالسيف على قمته فنزل الى نصف قامته

فلما نظرت بنو طي تلك الضربة رجفت قلوبها وردت سيوفها الى اغمادها وولت راجعه الى بلادها . وهارب شارب الدماء مكتفياً بخلاص ابنته اميمة وتبعته بنو طي و بنو كلب بن وبرة وكانت على بني قحطان اشام سفرة وكسرة . لانهم كانوا قد تفرقوا في اقطار الارض وعنتر يطعن فيهم بالطول والعرض وبنو عبس قد بذلت فيهم رماحها وكسرت في جماجمهم صفاحها الى ان ابعدوا في القفار وهم لا يصدقون ان يصلوا الى الديار وعادوا عنهم وعنتر بين ايديهم كأنه الاسد الادرع وهو من دماء الاعداء قد تدرع . ثم انه اقبل على بني قراد وقبل يد عمه مالك وابيه شداد وقد زالت من قلوبهم الاحقاد وظهر منهم حسن الوداد وظن عنتر انه بلغ المراد ولم يعلم بما في قلب عمه مالك من العناد وفرح بخلاص عبلة من الاسر والمذلة . وتذكر تلك الوقعة فجاش الشعر في خاطره وانشأ يقول

عِقابُ الهجرِ اعقبني الوصالا ... وصدقُ الصبر اظهرَ لي المحالا

ولولا حبُّ عبلة في فؤادي ... مقيمٌ ما رعيتُ لها جمالا

فآهًا كيف ذل العشقُ مثلي ... ولي عزمٌ افلُّ به النصالا

انا الرجلُ الذي خبرت عنهُ ... وقد عاينت مع خبري الفعالا

غداةَ اتتْ بنو كلبٍ وطيٍ ... تهزُّ اكفهـا السمرَ الطوالا

بجيشٍ كلمـا فكرت فيهِ ... حسبتَ الارضَ قد ملئت رجالا

وداسوا ارضنا بمضمراتٍ ... حسبتُ صهيلها قيلاً وقالا

فولَّت جفلاً مني خوالٍ ... خفافًا بعد مـا كانت ثقالا

وراحوا هاربين وهم حيارى ... وفاتوا الظعنَ قهرًا والرحالا

ومـا رد الفوارس غير عبدٍ ... ونارُ الحرب تشتعلُ اشتعالا

بطعنٍ ترعدُ الابطالُ منهُ ... وان ذكرتهُ تجتنب القتالا

صدمتُ الجيش حتى كلَّ مهري ... وعادتْ ولم تجد نفسي ملالا

تبدد شملهم من خوف سيفي ... وقد طلبوا المفاوز والجبالا

تدوس على الفوارس خيل عبسٍ ... وقـد جعلت جماجمهم نعالا

وكم بطلٍ تركتُ بها طريحًا ... يحرك بعد يمنـاهُ الشمالا

وخلصت العذارى والغواني ... ومـا ابقيتُ مع احدٍ عقالا

قال الراوي ولما فرغ عنتر من هذه الابيات فرح ابوه شداد وقال لاخيه مالك والله يا اخي لا بد ان يرتفع قدرك بسيف ولدي عنتر عندالله ربيعة ومضر فقال اعمكره الان

يا اخي قد كان الذي كان ومضى ما مضى واليوم عنتر سيفنا المنتضى ثم انهم دخلوا الحي والاماء بين ايديهم بالدفوف والمزاهر وقد وقعت البشائر في العشائر وتخامصت الابكار والحرايز وتفطرت من اعداء عنتر المرايز ثم نحروا الجزور وصفوا المدام وصنعوا الالوان الفاخرة من الطعام ودموا على ذلك خمسة ايام و بعدها قدم الملك زهير وهو طائر العقل لا يصدق ان يرى حيه بالسلامة والخير لانهُ سمع ان اعداءه خالفوه في الطريق فخاف من خراب داره وانطفاء ناره فلما وصل رآهم تحت ظل العز العزيز والحرز الحريز وكان عنتر قد ركب الى ملتقاه وترجل له وقبل في الركاب رجله فامره الملك زهير ان يركب جوادهُ الابجر فركب الامير عنتر وسار الملك زهير واولادهُ الى جانبه حتى وصل الى ابياته وقد زالت عنه جميع حسراته وباتوا في السرور والافراح الى ان اصبح الصباح فعندها دعا الناس الى وليمته فحضروا بين ازواج وافراد وكان اقرب الناس اليه في مجلسه عنتر بن شداد فصار يحدثه كيف الحقهُ اباه بالنسب وشاركه في الحسب وكيف خلعهم وحمى الحلة وكيف زوجهُ مالك بابنته عبلة · فلما سمع شاس من عنتر ذلك الكلام اشتعل في قلبه الغضب · وقال ويلك يا شداد كيف يجوز لك ان تلحق هذا العبد بالنسب ومن فعل هذا قبلك من العرب · فقال له اخوه قيس والله يا شاس ما قصر عنتر فيما فعل · و يليق ان يعمل في حقه اكثر من هذا العمل فقال الملك زهير لا تزل يا شاس تتكلم بكلام الحسد وتعارض الوالد في الولد ولا يصل اليك من ذلك الا التعب والنكد · والقبيلة كلها تعلم ان عنتر هو ابن شداد · ولهُ الخيار في معاملته بالتقريب والابعاد على انه والله قد فاق على جميع بني قحطان · وقهر جميع العربان ولو افتخر علينا لكان يحق له ذلك لانه دائماً يرفع قدرنا و يشيد امرنا · وكان الملك زهير يقول هذا الكلام وعنتر يقبل الارض و يدعوله بالبقاء على ممر الليالي الايام · و يقول يا مولاي لا تواخذ مولاي شاس بما قال فانا عبدهُ على كل حال واذا كان قد تألم قلبه من الحاقي بالنسب فانا ارحل الى بعض احياء العرب واطلب لنفسي علو الرتب ولا اقيم بدار الهوان ولا اعادي ملوك الزمان ولولا انتظاري مثل هذا اليوم السعيد ما صبرت على الضيم ولا تركت نفسي في مقام العبيد واحتمالي كل هذه المذلة من اجل ابنة عمي عبلة · والان قد بلغ الامر المنتهى لان عمي قد وعدني بها واذا لا آخذها الا عن اذنه ورضاكم ولا امشي الا بحسب هواكم · وان كان هذا لا يرضيكم فانا اتخذ لي بعض المنازل واقيم على بعض المناهل واتجرد لنهب اموال العرب وجمالها واسبي خيار نسائها وعيالها واعيش بقية عمري بلا صاحب ولا خليل ولا اقارب ثم بعد ذلك

تجارت الدموع من عينيه وكاد ان يغشى عليه فجاش الشعر في خاطره و باح بما اكتتم في ضمائره فانشد يقول

حكم سيوفك في رقاب العذل ... واذا نزلت بدار ذل فارحل
واذا بليت بظالم كن ظالماً ... واذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل
واختر لنفسك منزلاً تعلو به ... اومت كريماً تحت ظل القسطل
فالموت لا ينجيك من آفاته ... حصن ولو شيدته بالجندل
واذا الحبيب جفا ومل تخله ... في غيه واسمع مقال العذل
لا تسقني كأس الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كاس الحنظل
كاس الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز اطيب منزل
موت الفتى في عزه خير له ... من ان يبيت اسير طرف اكحل
ان كنت في عدد العبيد فهمتي ... فوق الثريا والسماك الاعزل
و بذابلي ومهندي نلت العلى ... لا بالقرابة والعديد الاجزل
ان انكرت فرسان عبس نسبتي ... فسنان رمحي والحسام يقر لي
والخيل تشهد والفوارس انني ... فرقت جمعهم بضرب الفيصل
ورميت مهري في العجاج نخاضة ... والنار تشعل تحت ظل القسطل
فاعدته كالارجوان مخضباً ... يشكو الي بذلة وتململ
خاض العجاج محجلاً حتى اذا ... شهد الوقيعة عاد غير محجل
بانت زبيبة في الظلام تلومني ... خوفاً علي من اقتحام الجحفل
وانت تخوفني الحتوف كانني ... اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل ... لا بد من ورد هذا المنهل
كفي ملامك يا اميمة واعلمي ... اني امرؤ ساموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل شخصها ... لي في العجاج طعنتها بالاول

قال الراوي فما فرغ عنتر من شعره حتى نهض الملك زهير قائماً على قدميه ومشى اليه وقبله بين عينيه وقال له والله لا اصابك سوء ولا شمت بك عدو ويحق لك ان تلحق بالنسب وتفتخر على سادات العرب وانت اليوم ابن عمي وفارج همي وغمي ثم نادى يا سادات عبس وعدنان من كان يريد ان يفعل ما يرضيني فينادي عنتر مثل ما ينادبني . قال وكان ولده مالك حاضراً فما صدق انه يسمع من ابيه ذلك الكلام الذي يشفي الغليل و يعافي العليل ،

حتى نهض وعانق عنتر وهناهُ و بابن عمه دعاه وقام الى عنتر بعد مالك سائر بني عبس وعانقوهُ و بابن العم لقبوه . قال الراوي هذا وشاس قد زاد حنقه وكاد الغيظ ان يخنقه وكذلك الربيع بن زياد واخوه عمارة القواد الا انهم اخفوا ما في الصدور من الكمد واظهروا الجلد ولما انقضت الوليمة خلع الملك زهير على عنتر خلعة مطلمة بالذهب تساوي الف دينار كسروية وعممه بعمامة ريحانية وقلدهُ بصمصامة هندية واركبه حجرة عربية وسماهُ حامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس وسار عنتر مع ابيه الى نحو ابياته وقد علت بين السادات كلمته وارتفعت مرتبتهُ والاماء حوله بالدفوف والمزاهر والعبيد بالحراب والسيوف والخناجر وزادت عند بني زياد الاحقاد وتفتت منهم الاكباد وكان اعظمهم حسرة عمارة لانه علم ان عبلة خرجت من يده واشتعلت النيران في كبده واحس ان روحه خرجت من جسده فقال في نفسه مالي الا ان احتال عليها وانظرها فان كانت كما سمعت عنها فائقة في الحسن والجمال فا اطرح نفسي على اخي الربيع واساله ان يعينني على هلاك هذا العبد الشنيع لان اخي يقدر على هلاكه بداواهيه ويبلغني منه ما اشتهيه وان لم تكن بهذه الصفة تركتها وسلوت عنها وارحت قلبي منها ثم ان عمارة رصد عبلة حتى خرجت في بعض الايام مع جماعة من نساء بني قراد الى غدير ذات الاصاد فلبس ثياب بعض العبيد وتزي بزيهم وخرج خلفها من بعيد ولما قرب منها امعن فيها النظر فوجدها كما وصفت له واكثر قال الراوي فعند ذلك التهب فواده وتزايد عشقه وغرامه ورجع وهو لا يدري اين تقع اقدامه فلما وصل الى منزله قس على اخيه الربيع قصته وشكا اليه غصته وقال له والله يا اخي ان فاتتني هذه الجارية عدمت عقلي وان اخذها هذا العبد السوء كانت سبب قتلي . فقال الربيع والله يا عمارة لقد حملتنا امراً كنا عنه في غنى واحوجتنا ان نعادي هذا العبد الذي ليس هو من مثلنا . والان لا نقدر على هذه الجارية الا ان كان ابوها ياخذ بيدك فاطلعه على امرك وكاشفه بسرك ورغبه في المال وكثرة النوق والجمال وان كان يخاف من عنتر فانا ادبر على هلاكه واريحه من ارتباكه فطاب قلب عمارة بهذا الكلام واظهر الضحك والابتسام وانطفأ عنه ما كان يجده من نار الغرام واقام الى الغد ولبس الفخر ملابسه وتطيب وركب جواده وقد ظنَّ انه يبلغ من عبلة مراده وانفذ عبداً من عبيده يدعو اباها واخاها فاقبلا من ساعتهما اليه وسلما عليه وقال مالك لعمارة مـا حاجتك ايها الامير والسيد الخطير . قال ياعماه اعلم انني ما دعوتك الا حتى ارى ان كان طاب قلبك بتسليم الدرة المكنونة والحرة المصونة الى راعي ابلها وسايق مواشيها

الذي زاحم سادات العرب على معاليها . فقال ولده عمر وحق اله السماء لو قطعوني اربًا اربًا ما طاوعته على ذلك وان سلمت اختي الى هذا العبد الزنيم فلا اكون ابن مالك . فقال ابوه والله ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء ابغض اليّ من عنتر فانه عدوي الا كبر لولا انا تخدمه السعادة وتطاوعه المشيئة والارادة لما كان نال هذه المنزلة من الملك زهير حتى الحقه بالنسب وجعلهُ من سادات العرب . ولولا ذلك لما كان لهذ كرٌ لانني انا واخي ما الحقناه الا ضحكاً عليه حتى يساعدنا في القتال وما كان قولنا له الا على سبيل الزور والمحال واقد اخطأنا نحن بافرارنا قدام الملك زهير وسادات العشيرة انني قلت له وقد سبيت ابنتي وخلصها وهي لك زوجة ففعل ذلك وسلم من المهالك وقد صارت له الحجة علينا ولاجل ذلك ضاقت علينا المسالك . ولكن انا ادبر اجود التدبير وانتظر له المقادير . فقال عمارة يامالك اما خوفك من زهير واولاده فهذه حجة فارغة كيف يقدرون ان يغصبوك على زواج ابنتك بغير اختيارك ولو كنت اقل من في العشيرة ولاسيما ان مثلي خلفك يرد عنك شر من ناواك ويكون معك في شدتك ورخاك وانا واخوتي اليوم اقرب من كل احد الى الملك زهير لان ولده قيس قد تزوج بالمدللة بنت اخي الربيع وقد شاهدت انت زفافها عليه ولذلك صرنا اهله واحب الناس اليه . فاذا احضرنا غداً في مجلس الملك اقوم اليك واخطب منك ابنتك واغلظ معك في المقال فاجبني الى ذلك واطلب من المهر ما اردت من النوق والجمال ودعني بعد ذلك لعنتر ولكل من يعارضك من البشر . وانا اقود لك المهر الف ناقة سود الحدق حمر الوبر والف راس من الغنم وعشرين راساً من الخيل بلاماتها ومائة ثوب اطلس احمر واربعة عقود جوهر ومائة ثوب من الديباج المدنر ومائة زق من الخمر تصنع بها الوليمة ومائة عبد ومائة امة والف دينار من الدنانير القديمة . فقال له عمر اخو عبلة وقد فرح بذلك ياوهاب والله نحن ما قصدنا في مالك ونوالك ولا في نوقك وجمالك . ولا نريد الا حسبك ونسبك وكمالك وادبك وماذا نصنع نحن بذلك العبد الاسود الذي ليس له حسب ولا نسب ولا ذكر يذكر بين سادات العرب . قال الراوي فلما سمع عمارة ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً واستبشر وانفصل الامر بينهم على ان عمارة يكفيهم مؤنة عنتر ومن يتعصب له عند الملك زهير من البشر وعول مالك على ان يحتج ببني زياد و يغدر بعنتر بن شداد وحدث عمارة اخاه الربيع بما جرى له مع مالك وكيف عول ان يغدر بعنتر فوعده بالمعونة على ذلك ولما كان الغد وجلس الملك زهير اقبل عمارة في جماعة من بني زياد وقد كبروا العمائم وضيقوا

الشام واقبلت بنو قراد وفيهم عنتر ابن شداد فنهض الملك زهير قائماً على قدميه وسعى اليه وقبله بين عينيه واشار بالسلام عليه وضحك في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً ومرحباً بابن العم وكاشف الهم والغم ثم اجلسه الى جانبه بين اولاده واقاربه هذا وقد اخذت الفرسان مقاماتها وجلست كما كان من عاداتها قال الراوي فعند ذلك التفت عمارة بن زياد الى مالك بن قراد وقال له يا شيخ اتعرف في نسبي او في اهلي واخوتي ارتياب او فينا ما يعاب . قال مالك لا والله يا ولدي بل انتم اشرف العرب واصحاب المعالي والرتب قال عمارة ولماذا تهاونت في حقي بعدما انعمت لي بزواج ابنتك وتغافلت عني وانا راغب في مصاهرتك . فان كان في قلبك عذر او سبب فاظهره لي فانني من الحق لا اغضب ولا اخرج عن سنة الادب ولا عما تحكم فيه العرب قال مالك ابو عبلة يا عمارة ما انا غادر ولا لي باطن ولا ظاهر قال عمارة الآن مضى ما مضى وها انت في حضرة هذا الملك الكريم والسيد العظيم وقد جئتك خاطباً وفي كريمتك راغباً فافرض عليَّ من المهر ما شئت من الفضة والذهب واشهد عليَّ وعليك هولاء السادات من ذوي الرتب قال الناقل فلما سمع عنتر هذا الكلام علم ان عمه كاذب وفي عمارة راغب فخاف عنتر ان ينقطع المهر كما جرت العادة وتثبت على الاثنين الشهادة فقال عنتر لعمارة يا ابن زياد لا تزال على هذا التعدي ولا تترك التخطب من الرجل ما لا يملكه فقال عمارة اسكت يا عنتر والزم موضعك فما انا اتكلم معك ثم عاد عمارة الى مالك بالكلام وقال له ماذا تقول في ما سمعت من اخس العبيد فانا لا اخالفك في كل ما تريد بل اشهد عليَّ هذا الملك اني اسوق اليك مهر ابنتك كل ما تعينه من المال والنوق والجمال و بعد هذا كله انا عمارة بن زياد الذي افتخر بالاباء والاجداد وهولاء الامرا اخوتي وهذا الملك صهري ومن يكون افخر مني في الحسب واعلى في النسب . قال الراوي فزاد بعنتر الحنق والملال وظهر له من عمه المحال فقال اونتم ماذا لكم في عبلة حتى تأمروا عليها ان عبلة لمن خلصها من مخاليب فرسان العرب لما اشرفتم كلكم على العطب . قال عمرو اخو عبلة والله يا عنتر لو امر الملك زهير بقتلي ورايت السيوف تنهبني ما سلمت اختي اليك ولا جعلتها في حوزتك وطوع يديك ولا اترك العربان تتحدث عنا في كل مكان ويقولون ان بني قراد زوجوا ابنتهم بعنتر ابن شداد . قال الربيع يا عمرو ومن الذي يغصبك على هذا الامر الشديد لان اختك تحت حكمك تزوجها بمن تريد ولا يقدر احد ان يلزمك بان تعطيها للعبيد قال فلما سمع عنتر هذا الكلام قام الى جواده وركبه وكان سيفه مع شيبوب فاخذه واستلبه ونادى وقد احمرت عيناه وطلع

الزبد على شدقيه وما بقى ينظر ما بين يديه وقال يا سادات العرب ها انا وانتم في حضرة هذا الملك العظيم الشان العالي المكان وقد خطر ببالي كلام اريد ان اقوله قدام هذه السادات الكرام وهو مما يصدقني عليه الخاص والعام. انتم تعلمون اني قد سالت ابي الف مرة ان يلحقني بالنسب فما فعل ولا ازال عني رق العبودية واوصاه بي مولاي مالك فما قبل الوصية وما اقرّ لي اني ولده وما قال يا ابني حتى احتاج اليّ وانتصرت بسيفي هذا على الاعداء وخلصت حريمكم كلكم من السبي والعناء. وهذا عمي سبيت ابنته وسلبت نعمته فقال لي يا ابن اخي خلص بنت عمك المكرمة وانا لك عبد وهي لك امة ففعلت فعالاً تعجز عنها صناديد الرجال ورميت نفسي الى الهلاك والوبال وخلصت الغنائم من بني طي والعيال طمعاً مني في ذلك الوعد والمقال واليوم حين قرّ قراره يقول انه يزوج ابنته بمن يريد ويحسبني من جملة العبيد واما عمارة فقد جرى لي بالامس معه ما جرى وعاد الى التعرّض لي مرة اخرى وانتم تعاونونه عليّ طمعاً فيما ترونه من انقيادي اليكم وخضوعي بين يديكم وانا افعل ذلك لاجل القرابة والنسب والا لو كان غيركم كنت تركته مثلا بين قبائل العرب والان فقد كان الذي كان واريد منكم العدل والانصاف ان كنتم تزعمون انكم سادات واشراف وان لم تنصفوني فما انا عن اخذ حقي جبان ولا ايدي قصيرة عن الضرب والطعان بل انا مهلك الفرسان والجبابرة الشجعان ومن حاد عن طريق رددته اليه بهذا الصارم اليمان لاني لا اصبر على الذل والهوان . ثم ان عنتر اومأ الى الملك زهير وقال له وانت ايها السيد الفاضل لا تلمني على ما انا فاعل لانك ادرى بما نحن فيه واخبر بما نظهره ونخفيه. وهذا عمارة قد اراد ظلمي وزاحمني على بنت عمي . فدعه يبرز الى الميدان ويقارعني عليها بين الفرسان فاينا غلب وقهر كانت عبلة له على رغم انف الآخر وان كان يفتخر عليّ بماله ونوقه وجماله فهذا اهون الامور عليّ فقل لعمي يقترح عليّ ما اراد من الاموال والنوق والجمال حتى آتيه بها بلا مطال ولا يحتج عليّ بغنى عمارة وفقري ويفتح عينه ويعرف قدري لان عمارة لا يملك الا الذي بيده وانا اموال العرب كلها لي ان شئت اخذتها نهباً وغزواً وان شئت تركتها حلماً وعفواً وان لم يسمع مني عمي هذا الكلام رحلت عنكم الى مكة واقيم هناك اعبد رب البيت الحرام واغزوكم في كل عام حتى افني اعدائي بالحسام واتركهم موعظة لسائر الانام لاني احسنت اليهم فجحدوا الاحسان وحلمت عنهم فقالوا هذا جبان واريد من اليوم ان اعرفهم من هو احق بالذل والهوان واعلموا اني ما تكلمت بهذا الكلام ولي عندكم نية في المقام ولا اريد منكم نسباً

ولا ذماماً ولا اباًولا اعماماًالاني لا اريد اباً غيرهذا الحسام ولا عماً غير هذا الرمح المعتدل القوام وان زوجوا بنت عمي باحد حضرت اليه وخطفت روحه من بين جنبيه وان تعرض لها كسرى انوشروان ركبت اليه واخربت على راسه الايوان ٠ ثم انشد وجعل يقول

اذا جحد الجميل بنو قرادٍ ... وجارت بالفعال بنو زيادِ
فهم سادات عبس اين حلوا ... كما زعموا وفرسانُ البلادِ
فلا عتبٌ عليّ ولا ملامٌ ... اذا اصلحت حالي بالفسادِ
لان النار تضرمُ من جمادٍ ... اذا ما الصخرُ كرَّ على الزنادِ
و يرجى الوصل بعد الهجر حيناً ... كما يرجى الدنو من البعادِ
ومن يركبِ الاخطار امسى ... بقيةِ الذل في اسرِ الاعادي
حلمت فما عرفتم حق حلمي ... ولا ذكرت عشيرتكم ودادي
ساجهل بعدهذا الحلم حتى ... ارى يقى دمَ الحواضرِ والبوادِ
و يشكو السيف في كفي ملالا ... و يشكو عاتقي حملَ البجادِ
وقد شاهدتمُ في يومَ طيٍّ ... فعالي بالمهندةِ الحدادِ
رددتُ الخيل خالية حيارى ... وسقتُ جيادها والسيف صاد
ولو ان السنانَ لهُ لسانٌ ... حكى كم شكَّ درعاً في فوادِ
وكم داعٍ دعا في الحرب باسمي ... ونادا ني فخضت حشى المنادي
لقد عاديتَ يا ابن العمّ ليثاً ... هزبراً لا يملُّ من الطرادِ
يردُّ جوابهُ قولاً وفعلاً ... ببيض الهند والسمرِ الصعاد
فكن ياعمرُ منهُ على حذارٍ ... ولا تملأْ جفونك بالرقادِ
فلولا سيدٌ فينا مطاعٌ ... كريمُ القدرِ مرتفعُ العمادِ
اقمتُ الحق بالهندي قهراً ... واظهرت الضلالَ من الرشادِ

قال الراوي فتعجب كل من حضر من حدة خاطر عنتر فالتفت شداد لاخيه مالك وقال له يا اخي اتريد ان تجعلنا مثلاً لكل قائل وتشتت شملنا في كل القبائل فاما ان تزوج ولدي عنتر بابنتك عبلة والا رحلت عنكم انا في الجملة وكذلك قال زخمة الجواد اخو شداد واما مالك بن زهير صديق عنتر فابدى غضبه واظهر محبته لعنتر وتعصبه ٠ ثم التفت الى ابي عبلة وقال له يا مالك اذا كان لابن اخيك في قلبك هذه البغضة والضغينة لما الحقته بالنسب وقلت خاص ابنتي عبلة وهي لك قرينة واليوم لما قرت بنتك في قرارها

وامنت في ديارها صرت تبعده وتهينه وتطرده فلو ان عنتر هلك لاجل ذلك هل كنت انت تنفعه يا مالك والله ان عبلة لعنتر على رغم انفك وانوف اعدائه الجميع الرفيع منهم والوضيع اولهم عمارة وآخرهم الربيع . قال ولما اتم مالك كلامه ساعده بعض المحبين لعنتر وعلموا ان كلامهم يرضي اباه فلاموا ابا عبلة مثله واكثر فتلهب بنار غيظه وحنقه وقال من شدة قلقه انا لا اسمع ولا اطيع ولا ازوج ابنتي الا لمن عاهدته في الاول وهو عمارة اخو الربيع فقال الملك زهير يامالك هذه حجة قاصرة لانقبلها ولا نترك مثل هذا الاسد الذي ناره في الحرب لاتخمد . وان كان خوفك من عمارة والربيع فانا اساله ان يهب لنا هذه الجارية و يعدل عن هذا الامر الشنيع واسأل اخاه الربيع ان يعيننا عليه و يطفى هذه النار التي تصل حرارتها اليه . فلما سمع الربيع هذا الكلام التجم من الخرس بلجام وقال من شدة مكره ايها السيد الهمام وحق مالك علينا من سوابغ الانعام ان اخي عمارة لا يذكرها ولو هلك لاجلها من الغرام ولا انادي عنتر الا كما انادي بني الاعمام . ثم انفصل الامر على هذا الحال و تفرقت الابطال وعاد عمارة خائباً يتحسر و باذياله يتعثر ولم يزل كذلك الى ان وصل الى ابياته وبكى بين يدي اخيه الربيع مثل بكاء الثكلى على ولدها الرضيع وقال وحق اللات والعزى ياربيع ان اخذ عبلة هذا العبد الزنيم فاعلم ان اخاك عمارة يموت من حسرته و يقاسي العذاب الاليم . فقال له الربيع والله يا عمارة لقد انشيتنا في امر يقلع اثارنا ويخرب ديارنا وعاديت بيننا و بين من ليس هو من نظرائنا ولا يعد من اكفائنا وما وقع الفناء في بنات عرب البادية حتى تزاحم هذا العبد على هذه الجارية . قال الراوي ودخلت عليه امه فاطمة فوجدته يبكي بين يدي اخيه الربيع فسألته عن حاله فاخبرها بما جرى له مع عنتر من الصنيع فقالت له والله ياعمارة انا ما اردت انك تتعرض لهذا العبد وتلح عليه اللجاج لانه فحل الهياج وهو مع شجاعته عاشق كالسكران لا يبالي بسادات العرب ولا بكسرى انوشروان وان رجعت وذكرت عبلة فما آمن عليك من جهله لانه والله جبارٌ عنيد ولا يقدر احد ان يفعل كفعله ولقد رأيت من انه الهما اذهل بصري وحير نظري لانه حطم ذلك الجيش الذي عجزت عنه الالوف و بدد تلك الجماهير والصفوف . ولو لم يخلص من ايديهم السبايا لكنا الان في ديار بني طي نقاسي البلايا . فقال عمارة يا اماه لا تزالين تعظمين هذا العبد الزنيم وانا والله ان لقيته في الحرب اتركه كالعظم الرميم واعلمي يا اماه انه ان اخذ عبلة بنت مالك فاني لا شك هالك . قال الربيع يا عمارة انا لا اتركك تموت بحسرتك بل ادبر لك على هلاكه بكل سبب وارميه في مهاوي العطب حتى نستريح منه نحن وسائر العرب

قال وكان للربيع صديق من بني عبس قد افنى عمره في الغزوات والهب العرب بالغارات لا فبرح غائباً عن الاوطان ولا يستقر في مكان وكان يصطاد السباع من الدحال ويصادم الابطال وينهب الاموال ويفرقها على صعاليك الرجال وهو عروة بن الورد الذي يلقب بعروة الصعاليك لانهم كانوا يجتمعون اليه وكان معهم في امواله كالشريك . وكانت العرب تتحدث بعطاياه وفضائله وحسن اخلاقه وخصائله وهو لا يقر من الغارات ولا يهدا من الغزوات وكان مع شجاعته حلو الخطاب حسن الاداب يفتخر على العرب بالفصاحة والكرم والسماحة وحسن الشيم ومن جملة ما نقل عنه من الاشعار انه لما كانت امه تنهاه عن كثرة الاسفار وتلومه على ارتكاب الاخطار انشد وقال في ساعة الحال

اقلي يا اميمة من ملامي — وعذلي في الرحيل وفي المقامي
فمن طلب العلا امسى كمياً — واصبحَ جائلاً تحت القتامِ
ولاقى كلَّ جبارٍ عنيدٍ — بطعن الرمح مع ضربِ الحسامِ
وسنا ما يلذ بهِ فؤادي — محادثة الضيوفِ على الطعامِ
وبذلُ المالِ نحو جياعِ قومٍ — حيارى بين اطنابِ الخيامِ
وناري دائماً في الليل تهدي — الى الطارقين دجى الظلامِ
واني فارسٌ في كل حربٍ — منيع في الطعان وفي الصدامِ
ويطربني صرير الرمح حتى — اشبهه بآنية المدامِ
حياة لا يكون العز فيها — حرامٌ في حرامٍ في حرامِ
فعش في العز والاقبالِ يوماً — ولا تحت المذلةِ الفَ عامِ

قال الاصمعي وكان هذا عروة قد سمع بحديث عنتر بن شداد ولكن ما اتفق له ان يراه في قتال ولا طراد ولما جرى لعمارة ما جرى مع عنتر في هذه المرة شكا الى اخيه الربيع ما به من الحسرة كان عروة بن الورد حاضراً في الحلة في تلك الايام فاستحضره الربيع وبالغ في الاكرام ثم حدثه بحديث اخيه عمارة وما جري له مع عنتر من العبارة وطلب من عروة قتل عنتر لانه قد طغى وتجبر فقال له عروة وهل بلغ قدر عنتر هذا العبد الى هذا الحد ونسي ما كان فيه من رعي الجمال وجمع الحلة من بين التلال قال الربيع اي وحياتك يا ابا الابيض خرج علينا منه شيطان مريد وعبدٌ لا يقاس بالعبيد وقد رفع الملك زهير قدره وعظم امره ولقبه بحامية بني عبس وفارس كل من طلعت عليه الشمس ودعاه بابن عمه وكاشف غمه والان نريد منك يا ابا الابيض ان تعيننا عليه لعلك تصرم عمره وتكفينا

شره قال وكان عمارة حاضراً وقد لعب به سلطان الهوى وزاد به الوجد والجوى فطلب من عروة النصر على عنتر وقبله بين عينيه وبكى من شدة حرقه بين يديه فقال له عروة لا تبكِ يا وهاب فانا اقتله ولو صعد الى السحاب قال عمارة يا ابا الابيض ان قتلته فانا اعطيك فرسي اليعسوب ومائة ناقة حلوب قال عروة انا ما اريد منك مالاً ولا نوالا ولا نوقاً ولا جمالاً ولا بد ان اغتاله في بعض المواضع واقتله حيث لا ناظر ولا سامع فاشرب وطيب قلبك واشرح صدرك لان الله قد يسر امرك فعند ذلك شرب عمارة وطاب قلبه وخف كربه وداخله السرور والفرح واتسع صدره وانشرح قال واما ما كان من عنتر فانه لما اصبح الصباح واتت الفرسان الى خدمة الملك زهير والسلام عليه اتى في الجملة وجلس بين يديه وبعد ذلك قام مالك بن زهير وقصد ابياته واخذ معه عنتر واباه وابا عبلة واقاموا ذلك اليوم في دعوته وفرح عنتر بقضاء حاجته وجعل يشكر عمه ويصف مكارمه وحلمه ويقول له بالله يا عماه لا تضيع خدمتي لك وتعبي ولا تترك عمارة يشمت بي فقال له مالك بكره والله يا ولدي لا اعدك من اليوم الا عمدتي وركني وانت عندي في منزلة ابني فلا تظن ان كلامي كان لك في ذلك اليوم الا حياء من بني زياد لانهم بيت رفيع العماد فما امكنني اجاوبك قدامهم الا على طبق المراد والان فقد صار الملك يخاصم عنا بني زياد ومضى ما بيننا من العناد وقد صفت القلوب من الاحقاد فشكره عنتر على ذلك المقال وايقن ببلوغ الامال وقال والله يا مولاي ما اغضبني ذلك اليوم الا قول ولدك عمرو والله لو قتلني الملك زهير ما سلمت اختي الى بعض خدمها وراعي ابلها وغنمها قال له عمه يا ولدي ان ابني رغب في نعمة بني زياد وامل ان يختلط بهم ويعيش في ظلهم وليس على كلامه اعتماد وهذا الامر انا الي مرجعه والذي ادبره انا فهو بالضرورة يتبعه قال له مالك بن زهير يا مالك اقبل سؤالي في عنتر وبلغه المراد وانا اكفيك مؤونة بني زياد واريك ما افعل بعمارة الكشحان واحرمه ان يذكر ابنتك عبلة بشفة ولسان فشكره مالك على ذلك واتموا بقية يومهم بالسرور والافراح وتناول الاقداح الى ان اقبل الظلام فركب شداد ومالك ابو عبلة الى الخيام هذا وعنتر قد استوى على جواده وسار في ركاب عمه كانه بعض اجناده وكان عمرو اخو عبلة قد بات تلك الليلة غضبان لما راى اباه قد اتى من عند مالك بن زهير وهو سكران وعلم ان عنتر كان معهم في الجملة وانه انعم له بزواج عبلة فتركه الى ان صحا وقال له يا ابتاه عرفني ان كنت صادق الكلام في تسليم اختي الى هذا العبد الاسود حتى ارحل عنك بسلام وحق الركن والمقام ان كان هذا الامر صحيحاً

لا عدت ترائي ولا في المنام قال يا بني طب نفساً وقر عيناً وحياتك لاقتلنه اشرّ قتلة واعدمه الحياة واجعله عبرة لمن يراه فطاب قلبه وما صدق ان الصباح يصبح حتى مضى الى عمارة واعلمه بما جرى بينه وبين ابيه من العبارة فحدثه عمارة بحديث عروة بن الورد الذي ضمن له قتل عنترة ففرح بذلك واستبشر هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عروة فانه بقي متفكراً يتبصر في امر عنترة وصار يقول في نفسه انا رهنت لساني مع بني زياد ولا بد لي ان انجز هذا الميعاد وما لي الا ان اترصده واغتاله في الصيد والقنص واكمن له واجرعه الغصص ثم ارسل بعض عبيده يرصده حين يخرج الى الصيد لكي يتم ما نواه من الكيد قال الاصمعي يا سادة وكانت عبلة تحب عنتر وتريد قربه وتراسله وتطيب قلبه وتعلمه بكلما يجري من ابيها وما يدور بينه وبين اخيها ولما اخبر عمارة اخاها بخبر عروة بن الورد اتى يسعى الى ابيه مالك واخبره بذلك وقال يا ابتاه لك البشرى جاءنا الامر كما نريد من هلاك هذا الشيطان المريد قال وكيف ذلك يا ولدي فحدثه بما عرفه به عمارة من حديث بن الورد وقال له ان شاء الله عن قريب يتم هذا الوعد وكانت عبلة كلما اختلى ابوها واخوها تجيء خفية عنهما وتسمع كلما يقولان ترسل تخبر عنتر بما سمعت منهما فاتت تلك الساعة وسمعت ما دار بينهما فارسلت من ساعتها الى عنتر تقول له يا ابن العم اوصيك انك لا تغتر بكلام ابي واخي وخذ لنفسك الحذر ولا تخرج الى الصيد الا وانت غارق في الحديد فان عمارة بن زياد قد عاهد عروة بن الورد على قتلك وضمن له كما يريد فخذ حذرك ودبر امرك ولا تضيق من قبلي صدرك فاني لا املك نفسي لغيرك ولو كان كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان فطاب قلب عنتر بهذا الكلام وسال عن عروة بن الورد فقيل له انه اخذ رجاله وسار من امس الى ارض بني مذحج يغير عليهم ويأخذ ما امكنه من الاموال والانعام وكان لعروة مائة فارس من بني عبس تركب لركوبه وتنزل لنزوله وتحل في مكان حاوله فاخذهم واكمن لعنتر في شعب يقال له شعب الاواد وقد ترك على عنتر الارصاد الى ان خرج يوماً من الايام وشيبوب معه يعدو كظليم النعام فاثار له الصيد ورد له الوحش حتى اشرفا على ذلك الشعب فخرج عليهم فارس طويل القامة عريض الهامة كانه دعامة واطلق عليهم عنانه وقوم سنانه قال وكان هذا الفارس عروة بن الورد وقد غير لباسه واقام في الكمين وهو يسحق على عنتر اضراسه حتى راه قد اشرف عليه فخرج وبرز اليه بعد ان قال لاصحابه يا بني عمي اعلموا ان هذا العبد قد شاع ذكره بشدة البأس وسمعت عنه بالشجاعة ما لا اسمعه عن سائر الناس وقد ضمنت لعمارة قتله ورهنت

لساني معه وانا اريد ان احمل عليه واقرعه فلا يكن فيكم من يقاتله حتى تروه وقد استظهر عليّ فعند ذلك اركضوا اليّ وابذلوا فيه الصفاح وارفعوه على اسنة الرماح وان رأيتموني انا الظافر فيه فدعوني واياه اقتله واوفي عني هذا الضمان وتكون قد عرفت منزلتي عند الفرسان وبعد ما فرغ من ذلك الكلام خرج على عنتر وصدمه صدمة الاسد الضرغام ولما رآه عنتر عرفه وناداه ويلك من تكون من الفرسان وما الذي اوقعك في هذا المكان فما ردّ ولا اجاب ولا نطق بسلب ولا ايجاب فقال عنتر ويلاه من هذا الفارس فانه جريء الجنان ولكنه اخرس اللسان فقال شيبوب ويلك يا ابن الام اقتله ودعه يكون اي من كان وان لم تقتله دعني اشك هذه النبلة في صدره او صدر الحصان ولو انه النمرود بن كنعان قال عنتر يا شيبوب انني اريد الانصاف وانا كفوء له ولو ان معه خمسة الاف وان صدقني حذري فما هو الا عروة بن الورد الذي ضمن لعمارة نهاية امري فلما سمع عروة هذا الكلام وعلم انه عرفه كشف عن وجهه اللثام وقال نعم انا عروة بن الورد يا عبد السوء ولقد كنت لك في الانتظار حتى اقتلك واتركك مطروحاً في هذه القفار لانك قد خرجت عن رتبتك وحدك ولم تنظر الى قدرك وسواد جلدك وعاديت بني قراد ونسيت ما كنت فيه من رعي الجمال في كل شعب وواد وصرت تفضل نفسك على بني زياد واريد اليوم ان اصرم عمرك واصرف عنهم شرك فقال عنتر اخرس يا كلب العرب اين كنت في وقعة بني طي ولماذا لم تهاجمهم وتستخلص حريمك التي سبوها مع نساء الحي فقد كانت الفروسية ذلك اليوم عندما وقعت اموالكم ونسائكم في ايدي القوم والان تريد ان تكافي الذي صان حريمك بان تجعله غريمك فهذه اخلاق السادات الكرام الذين يعرفون الجميل ويحفظون الذمام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وانحط عليه انحطاط صاعقة الغمام وزمجر في وجهه كما تزمجر الاسود في الاجام وتطاعنا بالرماح خلافاً ووفاقاً وطلع الغبار حتى بنى عليهما رواقاً. هذا وشيبوب قد تركهما في القتال وعدا نحو الشعب مثل الغزال لينظر هل كان فيه احد من الرجال فغاب ساعة وعاد كانه ريح الشمال وهو ينادي ويلك يا اخي خذ حذرك فقد اتتك الابطال فلما سمع عنتر هذا المقال هدر مثل اسد الرئبال وصدم عروة صدمة تزعزع الجبال وقلب الرمح وطعنه في جنبه فالقاه على الرمال وكان قبل ذلك يلاعبه في القتال مثل ما تلاعب اللبوة الشبال وحينئذ تركه مشتغلاً بنفسه وطلب فم الواد واذا بالخيل خرجت كانها نار الزناد فتلقاها بطعن يخطف البصر وضرب لا يبقي ولا يذر وهو يهمهم كانه اسد قسور فقدّ المغافر والزرد ونثر الرجال مثل

شر البرد واراد شيبوب ان يعينه يرمي النبال فراى الرجال بين يديه ممددة على الرمال وهم من حوله ذات اليمين وذات الشمال فصار يربط من فيه الروح ويترك المقتول والمجروح حتى وصل الى عروة بن الورد فشدَّهُ كتافاً وقال لها ايها السيد لا تواخذ العبد وعاد الى اخيه فرآه يكردس الرجال حتى صاروا تلالاً فوق التلال وما زال كذلك الى ان تعالى النهار فطلبت اصحاب عروة الفرار وقد رات ما حير منها الابصار وكان قد هرب منهم ثمانية وخمسون فارساً الى البر الاقفر من قدام الامير عنترة وقتل احد عشر وامر واحد وثلاثون رجلاً ثم امر عنتر اخاه ان يشد الاسارى على خيولهم عرضاً فشدهم وساقهم بين يديه وعروة نادم مما جرى عليه وذهبوا وهو يعض البنان ويلعن عمارة بكل شفة ولسان وسار عنتر عراض شيبوب وهو ينشد ويقول

اعبلة لولا ان قصدت فكرما	تركت جميع القوم بالسيف جثما
خرجتُ الى صيد الوحوش فثار لي	غبارٌ وفيه عروة قد تلثما
فدافعتُ بعض القوم عني وقد غدوا	الى الحي مهزومين كي يقبلوا الحمى
ولولا الحيا من آل عبس تركتهم	طعاماً لوحش البرّ لحماً واعظما
ففي واسألي يا عبلَ منهم يخبرّوا	لقد حقّ لي في الحرب ان اتقدما
اخوض لظاها اسوداً ثم انثني	من الدم محمراً وقد كنت ادهما
اعروة دع مكرَ الربيع وغدره	فما بيننا ثارٌ ولا بيننا دما
وان طاب هذا الكحل عندك عدغدا	وبادر اليه ان تكن تشتهيه العما

قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد فانه ركب في ذلك اليوم هو وعمارة وقد طاب قلبهما بعروة بن الورد وهما ينتظران منه البشارة وكان الملك زهير قد ركب يفتقد المراعي في سائر اولاده وخواصه واجناده فتقدم الربيع الى شاس واعلمه بما دبر وكيف ضمن له قتل عنتر ففرح شاس بذلك واستبشر ولما رجع الملك زهير الى الحي اخذ الربيع اخاه عمارة وشاس وقال اريد ان نلحق عروة بن الورد ونرى ما جرى له مع هذا العبد وانا ارجو ان اراه قد شرب كاس العطب لان عروة معدود من جبابرة العرب ثم انهم ساروا حتى قربوا من ذات الجرعاء واذا باوائل المنهزمين فالتقاهم الربيع وصاحباه وهم يركضون ويلتفتون الى وراءهم مندهشين فقال لهم شاس يا ويلكم ما ورائكم وما الذي دهاكم فقالوا يا ملك وراءنا عنتر وقد اسر مقدمنا وقتل نصفنا وا كثر ثم انهم قصوا قصتهم لديه فكاد من شدة الغيظان يغشى عليه واما الربيع وعمارة

فانهما دابت اجسادهما وتفتتت اكبادهما . قال الراوي هذا وعمارة يقول وحق ذمة العرب
ان ملك الموت لا يقدر ان يقتل هذا الشيطان الذي شابت من فعاله رؤوس الولدان ولا
بد ان يأخذ عبلة و يملكها دوني واموت من حسرتي وتفقدوني قال الربيع نحن نفرغ جهدنا
في كل ما نقدر عليه واما الان فنجتهد في خلاص عروة من يديه قبل ما يصل الى
الحي وهو يساق كالبعير لديه ثم ساروا وهم يتشاورون في هذا الشان واذ قد خرج عليهم نحو
ثلثمائة من الفرسان يقدمهم فارس امرد وعليه جوشن منضد مقلد بسيف مهند ومعتقل
برمح مسدد وعلى راسه بيضة تتوقد وجال عليهم جولة الاسد الدرغام وانقض على شاس
انقضاض الباز على فرخ الحمام وخطفه من سرجه وسلمه الى اجناده وعطف على الربيع وطعنه
فقلبه عن جواده وصاح بعمارة فاذهله وضربه بالسيف صفحًا على راسه فكاد يهدمه من
اساسه ثم ربط الجميع بالحبال وقطرهم كما تقطر الجمال . قال وكان هذا الفارس من بني معن
يقال له الهجام بن جابر وهو من سادات العرب الاكابر وكان سبب قدومه الى تلك الديار
ان الملك زهيرًا لما سار الى قتال المتغطرس ووجده قد خالفه في الطريق وكان السابق
المتغطرس فوجد حلة بني عبس خالية من الرجال لانهم ساروا مع الملك زهير وكان ذلك
له من احسن التوفيق فقتل من قتل واسر من اسر ولحقه عنتر وقتله وخلص الاسارى كما
تقدم الخبر واما الملك زهير فانه لما علم ان المتغطرس قد خالفه في الطريق لم يكن له هدو
ولا قرار مالم يرجع طالبًا الديار فجاءت طريقه على حي بني معن فقتل لهذا الغلام اخًا وسبى
عيالهم ونهب اموالهم وكان هذا الغلام غائبًا فلما قدم من غيبته وعلم بما جرى على عشيرته
صار في هؤلاء الفرسان يطلب حلة بني عبس وعدنان لياخذ ثاره ويخمد ناره فالتقى بشاس
والربيع وعمارة كما سبقت العبارة ولما عرفهم قال لاصحابه يا بني عمي ها قد اخذنا ابن
الملك والربيع بني زياد واخاه عمارة واخاف بعد الربح من الخسارة والراي عندي ان
نرجع الى ديارنا ونقتلهم هناك اولى من ان نلقي انفسنا بين قومهم ونتعرض للهلاك فقالوا
له لقد اصبت في ما به اشرت ثم عولوا على العودة راجعين وقد شدوا شاسًا وعمارة والربيع
على خيولهم معارضين وما ساروا بهم ساعة من النهار حتى طلع من بين ايديهم الغبار فتاهبوا
للقتال واخذوا رماحهم الطوال وكان هذا غبار عنترة بن شداد القادح النار من غير
زناد ولما تقاربوا تقدم الهجام بين ايدي اصحابه وصاح بعنتر صيحة تصدع الحجر وقال
له ويلك من تكون من البشر قال له عنتر بل الويل لك يا كلب العرب انا عنتر بن
شداد الذي شاع صيته في البلاد فقال الهجام مرحبًا يا ابن السوداء انت والله غاية المطلوب

هلمَّ لكي اقرنك الى ساداتك و يكون معهم انصرام حياتك قال له عنترة ومن يكون هولاء الاسارى من الناس قال ويلك هذا الربيع بن زياد واخوه عمارة وابن ملكهم شاس قال له خابت والله امالك واليوم تترمل عيالك هذا وشاس وصاحباه يقولون ليت الاعداء تنهبنا بسيوفها ولا يكون خلاصنا على يد هذا العبد الكشحان فاننا نبقى عتقاء سيفه طول الزمان هذا والهجام تقدم الى عنتر وحمل عليه فحمل عليه عنتر كانه من عناريت منفر وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من علائقه فلما رأى اصحابه ذلك حملوا على عنتر فتلقاهم بصدر جواده الابجر وصار ينثر رؤوسهم مثل الاكر واكفهم مثل اوراق الشجر وشيبوب يرمي خلفه بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال ولم تزل السيوف عاملة والخيول جائلة والاعناق مائلة والرؤوس زائلة والرماح خارقة والاجال متسابقة والارواح في سوق المنايا نافقة والغربان على بني معن ناعقة كانها وقعت عليهم الصاعقة فوقعوا في الندم وحال وجودهم الى العدم وماجوا كالبحر اذا التطم وشابت من هول تلك الوقعة اللمم وكان لهم يوماً سمع بمثله في سالف القدم وما نجا منهم الا من كان جواده طياراً ففاز بنفسه وانهزم . قال فعند ذلك ترجل عنتر عن جواده وقبل يد شاس وقال له الحمد لله على زوال البأس ثم حله من وثاقه وامر شيبوب ان يسوق في الحبال بقية رفاقه ثم ان عنتر اخذ السوط من اخيه شيبوب ونزل على عمارة الوهاب حتى هشم منه الاوصال والاجناب فصار يعوي مثل الكلاب وقال له ويلك يا عمارة السوء هذا جزاء من يعادي الرجال ولا يساوي قطبةً من النعال اين اخوك الربيع يدفع عنك هذا العار الشنيع واين صاحبك عروة بن الورد يكف عنك سوط هذا العبد ويجمع صعاليكه الشداد ويقتل لك عنتر بن شداد . قال الراوي فصعب على شاس كيف ان عنتر اخرق بعمارة هذا الاخراق ولكنه اظهر الجلد واخفى الكمد وقال يا ابا الفوارس ما هذه الفعال التي تفعلها ببني عمك وهم على كل حال من لحمك ودمك فقال عنتر يا مولاي ان بني زياد قد لزموا معي العناد ورتبوا لي عروة ورجاله حتى يقتلوني وقد نصرني عليهم الاله العظيم رب زمزم والحطيم وهذا عروة قد اسرته مع رجاله وقتلت بعض ابطاله وهذا عمارة واخوه الربيع لا بد ان احضرهما بين يدي ابيك حتى يرى فعلهما الشنيع واظن انه ما فاتك خبر هذه الحيلة التي صنعوها وصرت معهم لكي تتمموها فجاء الامر بخلاف ما كنتم حاسبين وصرتم مغلوبين لا غالبين قال شاس يا ابا الفوارس ارجوك ان تطلقهم هذه الكرة وتقبل سوالي فيهم هذه المرة قال عنتر اذا كان الامر كذلك فاحفظ لي هذا

الصنيع وانا اطلق لك عمارة والربيع واجيب سوء المك في الاثنين واما عروة الصعاليك فاني اقسمت اني لا اطلقه الاَّ بين يدي ابيك قال اطلق الربيع وعمارة كما ذكرت وانا ابلغك ما به اشرت ولكن بشرط انك لا تعلم بذلك احداً ولا تطلعه على ما اصابنا ابداً قال عنترة لا ومالك الممالك لا اطلع احداً على ذلك ثم ان عنترة اطلق الربيع وعمارة واعطاهما خيلهما فانطلقا الى الحي من وقتها وهما في حال الذل والانكسار لا يعرفان الليل من النهار ويخشيان ان يكون العدو قد دقتاها وما وقعا في هذا العار هذا وسار عنتر على اثرهما كانه كسرى او قيصر او احد ملوك بني الاصفر وعروة مشدود على ظهر الجواد وهو يلعن عمارة والربيع بن زياد . قال الراوي ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الديار ودخلوا على زهير فتقدم عنترة اليه وقبل الارض بين يديه ثم حدثه بتلك القصة فاخذت عمارة واصحابه الغصة وامر الملك ان يحلوا وثاق عروة فجلس بين يديه كالارنب او كالجمل الاجرب فقال له الملك زهير ويلك يا ابا الابيض انت تدعي العقل والكرم والمروءة وحسن الشيم فما الذي دعاك الى معاداة عنترة الذي تخشى معاداته عفاريت منفر وهو حامية بني عبس وعدنان الذي خاطر بنفسه وخلص حريمك من بني قحطان قال عروة يا مولاي ليس الامر كذلك ولكن انت تعلم انني كثير الاسفار شهراً اغيب ويوماً في الديار. وفي هذه النوبة اخذت رجالي وطلبت مذحج فلما وصلت الى ارض الدوم وانا اتحدث مع القوم سرح عن يميني قطيع من الوحوش والغزلان وعن شمالي قطعة من البوم والغربان فصارت الوحوش تزعق والغربان تنعق وانا اعلم ان الطير والوحوش لا يجتمعان الا على قتيل فقصدت ان اكشف الخبر واذا انا قد التقيت بعنترة وكان في قلبي منه امرٌ عظيم لما سمعت عنه ولكنني ما عاينت قط قتاله ولا شاهدت نزاله ولما رأيته منفرداً اردت ان اجرب نفسي معه واختبر حاله وقلت ان ظفرت به نلت عند العرب المنزلة العليا وفزت بالذكر بين جميع اهل الدنيا وكان في قلب الرجل خلاف ما في قلبي فتلقاني وقتل رجالي وشدني واوثق عقالي واتهمني بالزور والمحال في ما لم يخطر لي ببال فقال عنتر وحق ذمة العرب لقد كذب هذا الثعلب وما كان الا مكمناً لي في ارض الدوم ينظرني يوماً بعد يوم وقد جعل عليَّ العيون والارصاد طمعاً في رشوة بني زياد وهذا عمارة اخس الرجال الذي ضمن له على قتلي المال ثم ان عنتر التفت الى عمارة وقال له ويلك يا ابن زياد ان هذا ذل لك واهانة وعجز وجبانة كيف تطلب من الناس قتل عبدك الزنيم وانت السيد الكريم صاحب الشرف العظيم ان كنت من الرجال فالبس عدة الجلاد وابرز اليَّ انت واخوتك وجميع بني زياد وانا ما القاكم بسيف ولا قنا

وما اقاتلكم الا بهذا العصا . قال الراوي فلما سمع عمارة كلام عنتر قال له و يلك يا عبد السوء انت اذل مما ذكرت واحقر وان اردت ذلك فسوف تراه اسرع من لمح البصر ولا بد ان اسقيك كاس الحمام واقطع راسك بهذا الحسام فقال عنتر لماذا لا تعجل بالقيام حتى ننظر افعال الوهاب الذي يستعير الناس لقتل عبيده اللئام الذين يرعون جماله و يخدمون جلاله . ثم اشار اليه وانشد يقول

تهددُ يا عمارة بانزالِ ... شجاعًا دأبه طعن العوالى

عمارة لو صدقت وقلت حقًا ... عدلت من المقالِ الى الفعالِ

ولكنَّ الذليل اذا تمادت ... به الامالُ مالَ الى المحالِ

ايا ابنَ زياد قد عاديت ليثًا ... صبورًا في الملمات الثقالِ

بياض فعائلي وسواد جلدي ... امر عليك من ضرب النصالِ

فمت كمدًا كما قد عشت حزنًا ... حسودًا لي على ذات الجمالِ

ساحويها ولو ان المنايا ... تميلُ عليَّ في صور الرجالِ

وقد عاينتني في يوم طيٍّ ... فان انكرتني جرب قتالي

قال الراوي ولما فرغ الامير عنتر من شعره قام اليه الربيع بدهائه ومكره وقال له وذمة العرب يا ابا الفوارس لقد كذب الذي اخبرك عن عمارة هذا الخبر فدع عنك هذه الاوهام وحقق النظر واعلم ان اخي عمارة من اليوم الذي امره هذا الملك في السكوت عن هذه الجارية ما ذكرها بشفة ولا لسان ولا حدث عنها طول الزمان واما هذا الرجل عروة فالقبيلة كلها تشهد له بالكرم والمروة وحسن الشيم وتعرف ما يفعله نحو الضعفاء والارامل و الايتام ولقد طالما يطلب لهذه القبيلة الذكر الجميل بين الانام فلا تدخل يا ابن العم في امر يوقع فيك ملامًا ومضرة على بني الاعمام وماهو الا صادق في الكلام ولكنه طوح نفسه في التجارب فتأدب وصار يعرف مقام نفسه بين سادات العرب . قال الراوي ولما راى الملك النوبة مشكلة من سائر الجهات لم يرى اصوب من الصلح بينهم لان الربيع شيخ بني عبس و كبيرهم ومدبرهم في كل الامور ومشيرهم . وعروة عند الناس مشكور وعنتر محسود لانه لم يزل على اعدائه منصور فاصلح الملك زهير بينهم صلحًا غير مقبول لان احقاد العرب تزداد ولا تزول و بعد ذلك تفرقوا الوتيرة وقد شاع خبرهم في العشيرة وسمع بذلك شداد ففرح واستبشر بسلامة ولده عنتر واما عمه مالك وولده عمر فعظم عليهما ذلك الامر واشتعل في قلوبهما الجمر وقال مالك هذا شيء لا ننال به مقصود . ولا نقهر به حسود ولا نقدر ان

تهلك هذا العبد السوء ان لم نبعد به عن الديار ونطرحهُ في الاخطار والا افتضحنا في سائر الاقطار قال وبقي مالك ابو عبلة يفتكر فيما يعمل وقد ضاقت به الحيل والربيع بن زياد اشتد عليه الامر وزاد واما عمارة فانفطرت منه المرارة وتجرع الغصص ولم يجد له من قيد الهوى مناص ولما كان من الغد خرج عنترة واخاه شيبوب للصيد والقنص وتسويغ الغصص فانفذ الربيع خلف مالك وولده عمرو ليتفاوضوا في ذلك الامر فركبا اليه وركب معهما عمارة وساروا وهم يتحادثون في هذه العبارة قال الربيع لمالك ان اردت هلاك عنترة فاسمع مني ما به اشير لاني ما طلبتك الا لاجل هذا التدبير قال مالك وكيف ذلك قال من اليوم فصاعداً اظهر له المحبة والوداد وافعل معه كما تفعل الاباء مع الاولاد ولا تمنعه عن دخول الخباء واظهر له محبة الاهل والاقرباء وبعد ذلك طالبه بالصداق واذا قال لك ما الذي تريد قل له الف ناقة من النوق العصافير التي للمنذر ملك العراق حتى تفتخر بها ابنتي على سائر بنات العرب وتحوز انت اعلى المنازل والرتب وانا اعلم يا مالك انه يسير الى بني شيبان ويتعرض للمنذر بن النعمان فلا تسمع به ما تبقى من الزمان ويكون عذرك واضحاً عند الملك زهير وسائر العربان فيقولون مضى حتى يأتي بمهر ابنة عمه فاغتالته طوارق الحدثان قال ولما سمع مالك ذلك الخطاب رآه عين الصواب وخف عن قلبهُ الالتهاب وقال عمارة وحق ذمة العرب يا اخي لقد فتحت لهذا الاسود نعم الباب وبمثل ذلك فاه عمرو اخو عبلة لما سمع هذا الخطاب وما عادوا الى المضارب والخيام الا وقد ايقنوا بان عنتر قد شرب كاس الحمام وعند المساء عاد عنتر من صيده فتلقاه مالك بالابتسام وامر العبيد فاخذوا ما كان معه من الصيد ثم مضى به الى بيته وحادثه حتى واج الطعام ففرح عنترة بذلك ورآه من اعظم الانعام واقام عنده ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اراد الانصراف فقال له عمه يا ابن اخي ان عبلة اليوم امتك وكل عشيرتها خادمتك فكن طيب الخاطر قرير الناظر فلما سمع عنترة كلام عمه زال ما كان من همه وغمه ومن عظم وجده وشدة غرامه ما وجد شيئاً يكافي به عمه على كلامه الا ثيابه التي على جسده فخلعها عليه وشكر فضله وقبل يديه وكانت ثيابه عظيمة لها قدر وقيمة وما تبقى عليه شيء يستتر به غير القميص فنظرته عبلة وهو عريان مثل فحل الجاموس وجسمه مثل الابنوس وفيه ضربات السيوف وخدشات الرماح واثار الجراح فصارت تتعجب من صورته وتضحك من هول جثته فلما نظر الى ضحكها انشد يقول

ضحكتْ عبيلة اذ رأتني عارياً ... وبجانبي من الرماح خدوشُ

لاتضحكي بل فاعجبي مني اذا　　دارت عليَّ مواكبٌ وجيوشُ
ورأيتِ رمحي في الصدور محكمًا　　وعليَّ من سيل الدماء نقوشُ
الق صدور الخيل وهي عوابسٌ　　وانا ضحوك نحوها وبشوشُ
اني لاعجب كيف ينظر صورتي　　يوم الطعان مبارزٌ ويعيش

ولما فرغ عنتر من ابياته قامت اليه عبلة وقالت والله يا ابن العم ما ضحكت الا فرحًا برؤيتك وتعجبًا من حسن صورتك لانيلما نظرت هذه الجراح ضحكت من شدة العجب لا من قلة الادب ففرح عنتر بكلامها واحضروا له ثيابًا فلبسها وذهب ولم يزل كذلك وعمه يزيد له كل يوم في الاكرام الى ان دعاه الى منزله في بعض الايام واقام معه في مطارحة الكلام وشرب المدام الى ان جنَّ الظلام ومال عليه بالشراب ولده عمرحتى لعب براسه الخمر فقال له عمه مالك يا ابا الفوارس ماذا تريد ان نقدم لعبلة فقد منعت عنها الطلاب وقطعت الخطاب اتأخذها بلا مهر ونتركها معيرة طول الدهر قال عنتر لا والله يا مولاي حاشا لتلك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة ان تسام بهذه المسامة الرديئة او تطلع عنها هذه السمعة الدنية وما كنت منتظرًا الا كلامك فقل ما تشاء واطلب ما تريد الا ما تعجز عنه فرسان الصناديد ولا يقدر عليه احد من ملوك الزمان ولا يكون انقاد في مهر قبل الان الى بنت من بنات ملوك العربان قال مالك والله يا ولدي ما اطلب منك الا ما جرت به سنة العرب لانها لا تطلب في الصداق الا الجمال والنياق وانا اريد منك الف ناقة من النوق العصافيرية التي للملك منذر صاحب الدولة العربية لانها لا توجد عندنا في ارض الحجاز فنحن نفتخر بها ونعتز غاية الاعتزاز وتنال انت بها العز والفخار وتحظى بعبلة على رغم انف الكبار والصغار فلما سمع عنترة ذلك الكلام داخله الفرح وابدى الابتسام ولعبت بعقله بلابل الغرام فاستهون شرب كاس الحمام فانعم واجاب وصفا عيشه وطاب وقال انني بعد قليل من الزمان اتيك بها وهي محملة من خزائن الملك النعمان ولو تعصب له كسرى انو شروان فعاهده مالك على ذلك واعطاه يده والغدر قد ملا قلبه وكبده قال وقام عنتر الى منزل امه ونام تلك الليلة بالفرح والسرور ولم يعلم ما اضمر له عمه من المكر والغرور ولما تنصف الليل نهض ونبه اخاه شيبوب وقال له قم وشد الابجر فاني عازم على السفر قال الى اين تريد تمضي يا ابن امي قال انني سائر في طلب مهر ابنة عمي قالت له امه زبيبة هل رضي عمك بذلك قال نعم يا اماه قد ذهب من قلبه الكيد والنفاق وازوجني وطلب مني الصداق قالت له اذهب ياولدي اعانك

رب السماء ونصرك على الاعداء فشد له شيبوب على جواده وقام عنتر ولبس عدة جلاده وركب وخرجا تحت ظلام الليل وامهما تبكي على فراقهما بدموع كالسيل

قال له شيبوب يا اخي اي الطرق تريد ان تركب واي المذاهب تريد ان تذهب قال يا ابن الام الى ارض العراق فانها كثيرة الجمال والنياق قال الراوي فاخذ شيبوب يقطع قدامه الارض حتى غابت عنهما الديار وتضاحى عليهما النهار واذا هم بغبار قد ثار حتى حجب الابصار ثم ظهر من تحته فرسان كانهم العقبان على خيول اخف من الغزلان ولما قربوا من عنتر عرفوه وصاحوا عليه وطلبوه ونادوا الى اين تذهب يا هجين في هذه الروابي والقفار ونحن لك في الانتظار واعلم يا عبد السوء انه قد حان منك الدمار واليوم نجعلك طعام الوحوش والاطيار قال فلما سمع عنترة هذا الكلام احمرت اماقي عينيه وظهر الزبد على شدقيه وحرك الابجر واستقبل الخيل برمحه الاسمر وزعق من شدة الغضب وانقض على القوم كانه ساهب وقال ويلكم يا اوغاد وطلب مقدم القوم كانه النار ذات اللهب واراد ان يطعنه في صدره واذا به قد اسفر اللثام عن وجه كانه البدر التمام ونادى لا تفعل يا حامية بني عبس فانا الحارث بن الملك زهير وقد اردت ان امازحك فما في الامر الا الخير وكان هذا الحارث طريد اخيه مالك الذي يحب عنترة ويتعصب له في كل محضر وكان السبب في ملتقاه بعنتر انه كان في وليمة عند صديق له في بني غطفان سار اليها في جماعة من الفرسان ولما عاد منها التقى بعنتر فاراد ان يلاعبه وجرى بينهما ما جرى كما تقدم الخبر فلما عرفه عنترة رمى نفسه عن جواده واسرع اليه وقبل في الركاب قدميه وقال له يا مولاي ما هذا الحال لقد خاطرت بنفسك وبهولاء الرجال لاني وحق الركن والحرم لو فرط مني امر لكنت قتلت نفسي من الندم فضحك الحارث وقال لله درك يا ابا الفوارس اين تقصد في هذه السباسب التي لا يركبها الا كل مخاطر او هارب قال ايها الملك انت تعلم ان من اراد النفيس يخاطر بالنفوس وعبلة بنت عمي قد قاسيت لاجلها ما قاسيت من الشقاء والبؤس حتى انعم لي ابوها بزواجها وطلب مني مهرها وقد خرجت في طلبه لكي انجز امرها قال الحارث ارجع معي ولا تبعد عن الحلة ونحن نعطيه ما يريد فليس في اموالنا قلة واني لاعجب كيف تركك ابي واخي تسير وانت وحيد فريد ولو اعطاك ما تريد قال عنترة لا والله يا مولاي ما علموا بمسيري ولا اطلعت احدًا على امري قال الحارث والله لقد اخطأت يا ابا الفوارس فارجع معي وانا اعطيك كل ما املك من النوق والجمال والذهب والملابس فشكره عنتر وقال له والله يا مولاي لقد اكرمت وافضلت

واحسنت واجملت ولكن عمي طلب مني شيئاً لا يوجد في ارضنا وقد ضمنت له ما طلبه ولا اقدر اعود الا به كما تقتضي شيم العرب قال الاصمعي فقال له الحارث اذا كان الامر كذلك فانا اسير معك ولا ادعك تخاطر بنفسك في طرق المهالك قال عنترة وحق ذمة العرب لا اطاوعك على ذلك ابداً ولا اخاطر بمثلك في خوض هذه المسالك قال له الحارث فان كان لا بد من ذلك فاذهب مصحوباً بالسلامة وعسى ان تعود بالعزة والكرامة ثم ودعه هو ورجاله وصاروا طالبين الاحياء وسار عنترة في طريقه يطارد الوحش وشيبوب يرده عليه حتى امسى المساء فمال عن الطريق يطلب بعض الغدران واذا هو قد اشرف على بيت مضروب في ذلك المكان فقصد اليه فظهر له شيخ قد انحنى من الكبر ومضى عليه الزمان وعبر فالتقاهما وقال لهما اهلاً وسهلاً بكما نزلا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فلما سمع كلامه عنتر نزل عن الابجر واضرم ذلك الشيخ النار وصنع لهما الطعام واكل معهما وجعل يحادثهما بالكلام و بعد ذلك سأل عنتر الى اين هو سائر ومن اي العشائر فاخبره بقصته من الاول الى الاخر فقال له الشيخ قاتل الله عمك لقد بالغ في التدبير وانفذك الى الهلاك والتدمير قال عنتر و كيف ذلك يا شيخ قال يا ولدي هذه النوق العصافير لا توجد الا في بني شيبان وهي للملك يقال له المنذر بن ماء السماء اللخمي سيد قبائل العربان و خليفة كسرى انو شروان وهي عشرة الاف ناقة اذا سارت تكاد ان تطير ولذلك يقال لها النوق العصافير . ومنزلها حول الحيرة وارض النجف وانت وحق الكعبة سائر بنفسك الى الهلاك والتلف لانك ان اردت تاخذها جهراً شربت كاس العطب وان اخذتها خطفاً فاين تغدو بها ومن يقدر ان يحميك من قبائل العرب . واعلم يا ولدي انني قد نصحتك لاجل اكلي معك الطعام فلا تطرح نفسك الى لهوات الحمام . فقال له اخوه شيبوب والله يا اخي ان هذا الشيخ قد نصحك فاقبل النصيحة وارجع ولا تعرض نفسك للفضيحة واطلع الملك زهير على ذلك فانه يبلغك المراد رغماً عن عمك وبني زياد قال عنتر ويلك يا شيبوب دع عنك هذا الكلام فاني لا اسمعه ولا ادع عمي يراني بعين عاجز عما اصنعه و يلك هل اعود الى عمي بعد خوض البلاد واقول له عجزت عن مهر ابنتك فزوجها لابن زياد والله ما فعلت ذلك ولو مالت عليّ الجبال في صور الرجال . ثم انهما باتا عند ذلك الشيخ ولما اصبحا ودعاه وصارا يضربان في الافاق قاصدين ارض العراق وقد حمل عنتر نفسه على ارتكاب الخطر . وحب عبلة قد اعمى منه البصر ولما طال عليه المسير انشد يقول

بارضِ الشربةِ شعبٌ ووادي رحلت وسكانه في فؤادي
يحاونَ فيه وفي ناظري وان ابعدوا في محلِّ السواد
اذا خفق البرقُ من ارضهم ارقتُ وبتُّ حليفَ السهاد
ايا عبلَ مُنّي بطيف الخيال على المستهامِ وطيبِ الرقاد
عسى نظرة منكِ يحيا بها حشى ميتٍ بالجفا والبعاد
ايا عبلَ ما كنت لولا هواكِ قليل الصديق كثير الاعادي
وحقكِ لازال ظهرُ الجوادِ مقيلي وسيفي ودرعي وسادي
الى ان ادوسَ بلاد العراقِ واسبي حواضرها والبوادي
اذا قام سوق لبيع النفوسِ ونادى واعلن فيه المنادى
واقبلتِ الخيلُ تحتَ الغبارِ بوقعِ القنا والسيوفِ الحدادِ
هنالكَ اصدمُ فرسانها فتمضي ممددةً كالعمادِ
وارجعُ والنوق موقورةٌ تسير الهوينا وشيبوب حادِ
وتسهرُ لي اعينُ الحاسدينَ وترقدُ اعينُ اهل الودادِ

قال الراوي وما زال عنتر وشيبوب يقطعان القفار والفدافد حتى اشرفا على ديار بني شيبان وقد بقي بينهما وبين الحيرة يوم واحد فابصرا بلاداً عامرة وخيرات وافرة وانهاراً دافقة واشجاراً باسقة ومواشي بعدد النمل وحبات الرمل فلما راى عنتر ما في تلك الديار من الخلائق ما بين صامت وناطق داخله الهول والارتباك وعلم ان عبده بعثه اليها الا وقد اراد له الهلاك غير انه ثبت عزمه المتين وسلم امره الى رب العالمين وقال لشيبوب يا ابن الام انطلق وانظر لي هذه النوق وارجع الي بالخبر حتى استريح هذا اليوم لا بجر فاخذ قوسه وكنانته والتى العصا على اكتافه وسار الى المراعي وهو بصفة راعي من ... والمواشي تنشق شحماً ولحماً لخصب تلك الارض وهي قد انتشرت في تلك السهول فملأتها بالطول والعرض فلما راه العبيد ترحبوا به واكرموه واخرجوا له من الزاد الذي معهم ... ثم سالوه من يكون من العبيد وكيف اتى الى تلك البلاد وماذا يريد . فقال لهم يا بني الخالة انا من عبيد بني زبيد لي مولى جبار عنيد لا يرحم عبداً ولا امة . ولا له على احد مكرمة فهربت من بين يديه وابعدت عن الديار حتى لا يلتقيني احد ويردني اليه فقالوا له يا ابن الخالة اقم عندنا بقية عمرك فانك تكون في امان من حوادث الزمان ونحن نقول لمولانا الملك المنذر ان يزوجك ببعض اماه وتكون عندنا في حماه . فشكرهم شيبوب على ذلك التدبير واقام عندهم

بقية يومه حتى عرف النوق العصافير فوجدها من عجائب الزمان لانها كانت بيض الالوان ولها او بار ناعمة كريش النعام واسنمة كالقبب العظام وقوائم كاعمدة الرخام وعيون سود الحدق تسبح من خلق . فتعجب من حسن منظرها البديع غير انه داخله من اخذها الهول المريع ثم انه جلس مع العبيد على الطعام وساق الال معهم حتى قرب من الاحياء وخيم عليهم الظلام فعاد عنهم وقد اشتغلوا عنه وانطلق يعدو كالظبي النافر او الطير الطائر حتى وصل الى اخيه وانباه بالخبر وحدثه بما سمع ونظر وقال له يا اخي وحق ذمة العرب ما نحن الا في مقام الخطر الا ان يسعدنا الرب القديم فننجو من هذا الهول العظيم . قال عنتر ويلك يا شيبوب اما تعلم انه من لا يصبر على النوائب لا ينال اعلى المراتب . ثم انه اقام الى وقت السحر وشد له شيبوب على جواده الابجر وافرغ على جسده الحديد فصار كانه البرج المشيد وسار الى المراعي ولبث ساعة واذ قد اشرفت النوق العصافير كقطع الجبال وكل عشرة من العبيد مع الف ناقة تسوقها حتى لا تزاحمها فحول الجمال فلما رآهم عنتر امهلهم حتى قربوا من المرعى وسرحوا مواشيهم تسعى واخذوا في حديثهم ولعبهم ولم يلتفتوا الى عنتر لانهم اعزة انفسهم لا يبالون باحد من البشر . قال عنتر ويلك يا شيبوب اذهب وامسك الطريق من جهة الحلة على العبيد ولا تمكن احداً من الهزيمة حتى لا يثور علينا الصائح الا ونحن قد صرنا في مكان بعيد فركض شيبوب حتى صار خلف العبيد وافرغ كنانته بين يديه واوتر قوسه وجثا على ركبتيه والعبيد عنه غافلون وهم في لعبهم مشتغلون . فلما علم عنتر ان اخاه قد وصل الى الطريق حرك جواده وخاض في وسط النوق وقطع برمحه الف ناقة اسرع من نار الحريق وصاح في العبيد ويلكم سوقوا النوق وسيروا بها قدامي ولا خضبت من دمائكم حسامي قال فعند ذلك ثاروا الى وجه عنتر وقد اذهلهم مرآه وصاح بهم المقدم عليهم دونكم اياه ثم بدر اليه وقال له ويلك من انت ايها الجاهل المغرور الذي سعى برجليه الى الهلاك والثبور اما علمت ان هذا النوق للملك المنذر بن النعمان خليفة كسرى انوشروان . فتلقاه عنتر بقلب اقوى من الحجر ثم علاه بضربة على عاتقه اطلع السيف يلمع من علائقه . فلما رأت العبيد تلك الضربة وقعت في قلوبهم الرعبة وساقوا النوق انخرعت اكبادهم وانصبغ بالصفرة سوادهم وعلت الضجة في المراعي فسار بعضهم خلف عنتر فعاد اليهم ومددهم على الثرى وترك اكثرهم للوحش قرى وقصد بعضهم الحلة فالتقاهم شيبوب بنباله وردهم الى الوراء وجعل يرمي صدورهم ونباله لا تخطي ابداً حتى ما بقي منهم احداً ثم لحق اخاه وعدل بالعبيد والجمال واستقبل مهب

الشمال وغاص في القفار والسباسب وقد ساق سوق الخائف الهارب وتاخر عنتر حامية له عَلَى الاثر الى ان تنصف النهار واذ قد طلع من خلفهم الغبار حتى سدّ مناقس الاقطار ثم ظهرت من تحته الفرسان من ابطال بني شيبان ولمعت الصفاح و برقت اسنة الرماح حتى اشرفوا عَلَى عنتر والغنيمة سائرة بين يديه فتدفقوا من كل جانب عليه وهم ينادون يا كلاب العرب اين تنجون من سطوة بني شيبان ومن سيف الملك المنذر بن النعمان ٠ وكان الصايح قد وصل الى الملك المنذر وهو قد خرج للصيد في ظاهر الحيرة ومعه جماعة من رجال العشيرة فقال لولده النعمان وهو الاكبر انظر ما لهؤلاء العبيد وعد اليَّ بالخبر فتقدم اليهم فاخبروه ان خيلاً اغارت على المراعي واخذت الف ناقة من النوق العصافير وجدت في المسير فلما سمع النعمان ذلك حرك الجواد وتجارت خلفه الفرسان الجياد وتبعته بنو شيبان حتى لحقوا بعنتر كما سبق الايراد ولما رآهم عنترة حمل عليهم حملة الاسد القسور وانصب عليهم انصباب المطر فاطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وعلت منهم الضجة والرنة فلما نظر عنتر الى تتابع الخيول ولمعان النصول تلقى الفوارس والخيل كما تتلقى الارض العطشانة وابل السيل وطعن في الصدور واجرى الدماء من انابيب النحور وكانت الرجال تتابع اليه وهو ينكسها على الارض و يطرح بعضها فوق البعض الى ان كثر عليه العدد وتزايد المدد وعدم الصبر والجلد فخاض معهم تحت الغبار والهبهم بالصارم البتار وكان اذا طعن ضلعاً دقهُ وان ضرب راساً شقه وكلما ازدحمت عليه الابطال صاح فيها و بددها وكرّ على الخيل فشردها هذا وشيبوب مشتغل عن معونته بالنوق والعبيد قويت قلوبها بقدم مواليها فتاخرت عن السوق ولما راى النعمان عنتر وشيبوب وحدهما وليس في المعركة غيرهما قال لقومه اذلكم الله من بين الفرسان فارس واحد من العبيد يفعل بكم هذه الفعال وانتم في هذا العدد من الابطال فانعطفت جماعة منهم الى شيبوب واطبق الباقون على عنترة فانفرد شيبوب الى ناحية ور بض كانه الذئب الاغبر ونادى و يلكم يا انذال العرب وحق الكعبة ان تقدم احدمنكم ضربته بنبلة في صدره واطلعها تلمع من ظهره واما عنترة فانه قاتل حتى كلت يداه وخدر ساعداه وفاض عليه الجمع وزخر وخيم الغبار فوقه وانتشر وقصر من تحته الابجر وما تبقي له سبيل ان يتقدم ولا يتاخر فكبا به الجواد فترجل وقد ايقن بحلول الاجل وحينئذٍ قصدته الرجال مثل السلاهب وتدفقت عليه من كل جانب فضرب فيهم ضرباً لا يبقي ولا يذر ونثرهم فوق بعضهم كورق الشجر وقاتل فيهم قتال من استقتل وما تبقى له في السلامة امل فتكردست القتلى فوق الرمال حتى ما تبقي للخيل من كثرتها

مجال و بينما هو يفرق الشجعان و ينكس الفرسان اذ عثر بقتيل فوقع على وجهه فادركته الرجال و بركوا على صدره واوثقوه بالحبال واخذوهُ اسيراً في حال الذل والهوان الى بين يدي النعمان واما شيبوب فانه من حينما غاص اخوه بين هذا العسكر الجرار ما رآه لانه كان مشتغلاً بالنياق والعبيد والفريق الذي تلقاه و بينما هو كذلك اذا بالجواد الابجر وهو خالي السرج من عنتر فايقن انه قد قتل واندثر نفاض الدمع من عينيه وانطلق يعدو على قدميه فانطلقت خلفه الفرسان وتبادرت اليه كالعقبان وهو يعدو في البر كالغزال النافر او الطير الطائر وغاص في البر بقوة عصبه والخيل تلح في طلبه فلا هو يفوتها ولا هي تدركه وتظفر به بل دام الامر كذلك من الظهر حتى اقبل الظلام وانسدل القتام فوصل الى كهف جبل فيه غلام من رعاة الغنم و بين يديه نارٌ تضرم فلما رآه شيبوب ناداهُ يافتى اجر عبدك الطريد الذي صار اذلَّ العبيد فقال مرحباً بك قد دعوت غلامك الذي يبذل نفسه قداءك فدخل شيبوب الا انه ما استقر حتى وصلت اليه الخيل وهي تتدفق مثل السيل وقالوا للغلام و يلك اخرج لنا هذا الشيطان الذي قتل فرساننا وخيولنا و بلبل عقولنا فقال الغلام ياسادات العرب هبوه لي واقبلوا فيه كلامي فاني قد اجرته وصار في ذمامي قالوا لا كنت ولا كان ذمامك اخرجه لنا لكي نقتله والاقتلناك قبله لان اخاه قتل من بني عمنا اكثر من ثلثمائة فارس وقد لقينا من هذا الشيطان مالا نقدر عليه الجن والابالس فارحم نفسك وسلمه الينا سريعاً والا قتلنا كما جميعاً قال لهم ياوجوه العرب اذا لم تسمح انفسكم بتركه فابعدوا عن باب المغار مقدار اربعين ذراعاً وانا اخرجه لكم وحينئذٍ دونكم اياه ولا تجعلوا ذمتي تذهب ضياعاً قالوا له قد قبلنا سؤالك فافعل ما بدالك فعندها دخل على شيبوب وقال له يافتى قد سمعت ما جرى لي مع هولاء اللئام الذين لا يعتبرون الذمام وانا قد رضيت باتلاف مهجتي ولا اضيع حرمتي فاخلع الثياب التي عليك والبس ثيابي وخذ مزودي وعصاي بيديك واذا صرت على باب المغار قل لهم ياوجوه العرب دخلت اخرجه لكم فما رضي ان يخرج معي وانا قد نزلت لاجلكم عن ذمامي فدونكم اياهُ وانا ذاهب حتى لا يكون قتله امامي واذا رايتهم دخلوا الي فاطلب لنفسك النجاة ودعني ايامهم حتى يسقوني كاس الحمام ولا اعيش مفسوخ الذمام فعندها لبس شيبوب ثياب الراعي واخذ مزوده وعصاه وخرج من المغار وسواد الليل قد اخفاه وقال لهم كما علمه الغلام وانطلق يعدو تحت الظلام فعند ذلك دخل القوم الى المغار واخرجوا الغلام فعرفوه ولاموه على ذلك وعنفوه فقال يا وجوه العرب انه قد استجار بي فاجرته

واعطيته الذمام واذ لم اقدر على حمايته رضيت ان اشرب كاس الحمام ولا اعيش ساقط الحرمة بين الانام وها انا قد صرت بين يديكم فان مننتم عليّ بالإطلاق شكرتكم في جميع الافاق والا فافعلوا بي ما شئتم فقد فوضت امري الى الخلاق قال فتعجبوا من تلك المروة العظيمة التي لم يسمع بمثلها في الاعصار القديمة ولم يروا على انفسهم ان يقتلوه ويرجعوا بالخزي والمذمة ويفوز هو بالكرم وحفظ الذمة فرجعوا عنه خائبين ومن قصته متعجبين واما ما كان من شيبوب فانه نجا بنفسه وسار حتى اصبح عليه الصباح وهو يذكر ما جرى لاخيه و يندب دموعه على خديه تسكب وكان اشد المصائب عليه دخوله الى الحي ونعيه لاخيه وشماتة الاعداء فيه ولا سيما عمه مالك وولده عمرو والربيع بن زياد واخوه عمارة القواد ولما تمادى به المسير التهبت في قلبه نار السعير . فانشد وجعل يقول

يافارسَ الخيل ما للخيل تبكيكا ... ما عادة السمر تخلو من اياديكا
لا كان يومٌ رأيتِ الطعن مستبقاً ... اليك يهوى واطراف القنا فيكا
فما حياتي بعد اليوم طيبةٌ ... ولو قدرتُ بروحي كنتُ افديكا
سقاك عمك كاساً من خديعته ... فلا سقى الغيث يا ابن الام ساقيكا
واليوم تعلمُ عبسٌ حق ما فقدت ... اذا اتيتُ الى الاحياء ناعيكا
ويشمتُ ابن زياد بعد غصته ... ويشتفي لا شفى ربي اعاديكا
وبنتُ عمك تضحى وهي جاريةٌ ... لا ولو عشت لم ترضاهُ مملوكا
يافارس الخيل ما ابقيت لي جلداً ... ولا فؤادي مدى الايام يسلوكا
والمهرُ يصهلُ بين الخيل ملتفتاً ... اليك كالمرأة الثكلى يناديكا
لهفي عليك وقد امسيت منطرحاً ... مضمخاً بالدما والنقع يعلوكا
سقى ثراك الحيا في كل باكرة ... وازهر الروض لا زالت تحييكا

قال الراوي هذا ما كان من شيبوب واما ما كان من عنترة فانهم اخذوه اسيرًا الى بين يدي النعمان وهو مع ذلك يدمدم كالاسد الغضبان وعيناه تقدحان الجمر كوافد النيران فتعجب من شدة جسارته وهول صورته فقال للقوم سيروا به الى ابي لكي يتفرج عليه و يفعل به حسب ارادته فساقوه الى بين يدي المنذر وكان ذلك اخر النهار والكتائب قد احدقت به ودارت حوله كالاسوار وكان قد خرج الى الصيد وهم ان يرجع الى الاوطان فظهر عليهم اسدٌ من ارض يقال لها خفان وطلبهم وهو يدمدم فيقلب الوديان . قال ولما ظهر ارعب القلوب والاكباد ونفرت الى ورائها الخيل الجياد فتبادرت نحوه الابطال واكثرت

الصياح من اليمين والشمال واتفق في ذلك الوقت وصول النعمان بعنتر فقدمه الى ابيه واخبره بالخبر فعجب المنذر من اعماله واندهش من هول منظره وشدة اوصاله وقال لهُ من اي العرب انت ياعبد السحس قال يامولاي من بني عبس قال هل تكون عبدهم ام نزيلا عندهم قال يا مولاي ان النسب عند الرجال الطعن بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال والصبر في معمعة القتال وانا طبيب بني قيس اذا اعتلت وحاميها اذا ذلت وحافظ حريمها اذاولت قال فتعجب الملك المنذر من فصاحته وقوة قلبه ووقاحته قال وما الذي حملك على التعرض لاموالي وقتل رجالي فقال ظلم عمي وغدره وخبثه ومكره لاني ربيت في نعمته وضيعت عمري في خدمته طمعاً في زواج ابنته فطلب مني مهرها الف ناقة من النوق العصافير فساقني اليك المقدير والآن ان شئت تقضي عليَّ او تغنم الاجر والشكر بالاحسان اليَّ وانا اكون عبدك على طول الزمان وخادمك الذي يغنيك عن كثير من الجنود والاعوان فان العفو بعد المقدرة ومن شيم الكرام قبول المعذرة لان عمي قد طلب مني هذا الطلب وغلب عليَّ الجهل لشدة رغبتي في ابنته فوقعت في هذا العطب فقال له وانت في هذا العقل والادب كيف ركبت هذا الغرور وخاطرت بنفسك لاجل جارية من بنات العرب قال عنتر اي والله يامولاي ان الهوى يحمل الرجال على ركوب الاخطار والاهوال واي بلية تحمل النفوس على الهلاك والقتل ولا تكون النساء فيها فرع والاصل والله يا مولاي ما اوقع الرجال في مثل هذه المواقع الا النظر الى ما تحت البراقع ثم فاضت عيناه بالدموع وتنفس من فؤاد مصدوع . وانشد يقول

جفون العذارى من خلال البراقعِ	احدُّ من البيض الحداد القواطعِ
اذا جردتْ ذل الشجاع واصبحت	محاجره قرحى بفيض المدامعِ
سقى الله عمي من يد الموت جرعةً	وشلت يداه بعد قطع الاصابعِ
كما قاد مثلي بالمحال الى الردى	وعلق امالي بذيل المطامعِ
لقد ودعتني عبلة يوم بينها	وداع يقين انني غير راجعِ
وناحت وقالت كيف حالك بعدنا	اذا غبت عنا في الاراضي الشواسعِ
وحقك لا حاولت في الدهر سلوةً	ولا غيرتني عن هواك مطامعي
فكن واثقاً مني بحسن مودة	وعش ناعماً في غبطة غير جازعِ
خلقنا لهذا الحب من قبل خلقنا	فما يدخل التفنيد فيه مسامعي
فيا نسمات الريح بالله خبري	عبيلة عن رحلي باي المواضعِ

ويابرقُ بلغهـا الغداةَ تحيتي ... وحيي دياراً كان فيها مراتعي
و ياصادحات الايك ان متُّ فاندبي ... على تربتي بين الطيور السواجعِ
ونوحي على من مات ظلماً ولم ينل ... سوى البعد عن احبابه والفجائعِ
و يـا خيلُ ابكي فارساً كان يلتقي ... صدور المنايا في غبار المعامعِ
وامسى بعيداً في هوان وذلة ... وقيدٍ ثقيل من قيود التوابـعِ
ولستُ بباكٍ ان اتتني ملمةٌ ... ولكنني اهفو فتجري مدامعي
وليسُ بفخرٍ وصفُ بأسي وشدتي ... وقد بان فخري في جميع المجامعِ
بحق الهـوى لا تعذلوني واقصروا ... فمذلكم ما مر لي بـالمسامعِ
وكيف اطيق الصبر عمن احبه ... وقد اضرمت نارُ الهوى في اضالعي

قال الراوي فتعجب الملك المنذر من فصاحته وشجاعته وقوة جنانه و براعته وعلم انه غريق في بحر الغرام لايدري ماله او عليه من حوادث الايام و بينما هو كذلك اذا بالرجال تقدموا اليه وقالوا ايها الملك قد سطا علينا الاسد فكان الشجاع منا من فر من بين يديه ونظر من بعيد اليه وقد اهلك منا جماعة ولم نقدر عليه لان الرماح لا تعمل له في جسد ولا يجسر عليه احد فقال الملك بادروه بالنبال قبل ان يلتجيء الى بعض احاقيف الرمال و يقطع الطرق والمسالك ونعير في سائر القبائل بذلك. قال الراوي فلما سمع عنترة كلام الملك انفتح له باب الامل وطمع في تاخير الاجل وقال ياملك قل لاصحابك يرموني بين يديه فان افترسني تكون قد بلغت مني المرام وان قتلته تعاملني بما استحقه من الاحكام فاجاب الملك سواله واشتهى ان يرى افعاله فقال لحجابه حلوا يديه ورجليه حتى نرى ماذا يعمل ونتفرج عليه قال لا وحق ذمة العرب لاتحلوا الا يدي ودعوا رجلي في الوثاق حتى لايكون لي منه براح ولا فراق فتعجب الملك من مقاله واشتهى ان ينظر الى اعماله فحلوا يديه من عقاله وعند ذلك اخذ عنترة سيفه وذهبوا به اليه وتبعه من بعيد الملك ومن حواليه فعجل عنترة نحو الاسد وقد هاجت في راسه النخوه فانشد

دونك يا كلب البطاح والربى ... اليوم اسقيك بكفي العطبـا
وسوفَ تأتي فارساً غشمشماً ... حلاحلاً عند اللقا مجربـا
لقد هزمت الخيل ياوحش الفلا ... فاينَ تبغي اليوم مني الهربا

انتهى الجزء الرابع من قصة عنترة بن شدّاد ويليه الجزء الخامس

الجزء الخامس

من سيرة

عنترة بن شداد

خذ هذه الضربة بالماضي الذي عن الصخور الصم قط ما نبا

بكف عبل الساعد بن فاتك يجعل كل سبع غاب ثعلبا

قال الراوي ثم تقدم عنترة الى الاسد فصرخ الاسد عليه صرخة تفلق الحجر الجلمد فاجابه عنترة بصرخة اعظم من صرخته واستتر منه بجحفته فوثب الاسد على عنترة والقى نفسه عليه فابتدره بضربة بين عينيه طلع السيف من بين فخذيه ووقع الى الارض شطرين فمسح عنترة سيفه في جلده ورجع وهو يحجل في قيوده كانه قاتل ارنباً في وكره او طفلاً في مهده وقد اقشعرت جلود الناس من هول تلك الضربة ووقعت في قلوبهم الرعبة وقالوا والله ان قتل هذا الرجل حرام فانه فارس ما سمحت بمثله الايام هذا والملك المنذر قام وهو يقول والله ان هذا الفارس لا يقاس بالفرسان ولا ينتج مثله الزمان وما بقي له عندنا الا العفو والاحسان فاشار اليه عنتر يقول

ترى علمت عبيلة ما الاقي من الاهوال في ارض العراق

طغاني بالربا الغدر عمي وجار عليَّ في طلب الصداق

فخضت بمهجتي بحر المنايا وسرت الى العراق بلا رفاق

وسقت النوق والرعيان وحدي وعدت اجدُّ من نار اشتياقي

وما ابعدت حتى ثار خلفي غبار حوافر الخيل العتاق

وطبق كلَّ ناحية وفجّ واشعل بالمهندة الرقاق

وضجت تحته الفرسان حتى حسبت الرعد محلول النطاق

فعدت وقد علمت بانَّ عمي دهاني بالمحال والنفاق

وبادرت الفوارس وهي تجري بطعن في الصدور وفي التراق

وما قصرت حتى كلُّ مهري وقصر في السباق وفي اللحاق

نزلتُ عن الجوادِ وسقتُ جيشاً بسيفي مثل سوقي للنياقِ
وفي باقي النهار ضعفتُ حتى اسرتُ وقدوهيَ عضدي وساقي
وفاضَ عليَّ بحرٌ من رجالٍ بامواجٍ من السمرِ الدقاق
وقادوني الى ملكٍ كريمٍ عظيمٍ قدرهُ في العزِ راقِ
وقد لاقيتُ بينَ يديهِ ليثاً شديد الملتقى مرَّ المذاقِ
بوجهٍ مثل دور الترس فيهِ لهيبُ النارِ يشعلُ في الاماقِ
قطعتُ وريدهُ بالسيف جزراً وعدتُ اليهِ اعجلُ في وثاقِ
عساه يجود لي بمراد عمي وينعمُ لي بهاتيك النياقِ

قال الراوي فلما سمع المنذر شعر عنتر قال لحجابه وحق مفرق الاديان ان هذا الرجل عجوبة في هذا الزمان لانهُ حوى الفصاحة والشجاعة والقوة والبراعة والجسارة والاقدام على الامور العظام وبهِ افتخر عند كسرى انو شروان وابين فضل العرب على العجم عباد النيران وانهُ يستحق ان يطلق اسره ويعفى عنهُ ولو كان قتل لنا خمسمائة من الابطال لانهُ يسوى الوفاً من الرجال ولا يليق ان يرفع عليه السلاح ولا يعجوبه الا كل جاهل لا يعرف المساء من الصباح . ولا بد لنا ان نبلغه ماطلب وننعم عليه بما اتى لاجله وكان لمعرفتنا السبب .
قال الراوي ثم ان ناموس الملك خطر على باله واستنكف من اخراق عنتر لحرمته وقتله لرجاله فامر بالترسيم عليه لينظر ما يؤول امره اليه فوضعه في حجرة واقام جماعة يحافظون عليه بدون اهانة ويقدمون له ما يحتاج اليه بتمام الامانة . قال الراوي وكان كسرى ملك الفرس يحكم على بلاد العراق وملوك الحيرة كانوا نواباً له في تلك الافاق وكان الملك المنذر يتردد اليه في اكثر الاحيان وهو يكرمه وينعم عليه ويبالغ في الاحسان اليه فحسده بعض الحجاب وقال لتلك كسرى ياملك الى كم تكرم هذا البدوي عابد الحجر وترفع قدره ان غاب او حضر وهو اقل من هذا واحقر لان العرب رعاة الاغنام والبقر لا يفتخرون الا بالسرقة والغارة وعبادة الحجارة وكان ذلك الحاجب عزيزاً عند كسرى وتحت يده عشرون الفاً من الفرس والديلم وكان اسمه الخسروان بن جرهم وما زال يحدث كسرى بالكذب والمحال حتى تغير قلبه عن مودة المنذر واستحال واتفق ان الملك المنذر حضر الى زيارة كسرى في تلك الايام فقال الحاجب لكسرى ساريك جهل هذا البدوي لتعلم ما يستحق من الاكرام فلما جلس على الطعام واياه وضع الحاجب قدام كسرى تمراً منزوع النوى وقدام المنذر تمراً بنواه فصار كسرى ومن حوله ياكلون التمر ولا يرمون شيئاً منه

فظن المنذر ان هذه عادة لم فصار ياكل مثلهم وكان ابتلاع النوى يتعسرعليه فصاروا كلهم يضحكون عليه فخجل المنذر وقال مالكم تضحكون فاظهر له كسرى ذلك السر المكنون فغضب المنذر وقام عن الطعام ثم انصرف الى بلاده وهو يلعن الفرس والاعجام ولما وصل الى الحيرة اعلم العربان بما جرى بينه وبين كسرى في المدائن وامرهم ان يغيروا على بلاده والقوافل التي تاتي اليها ففعلوا حتى حرموا الطير ان يطير نحو تلك الاماكن فارسل كسرى الى المنذر يامره ان يردع قومه عن هذا الطغيان والا اخرب بلاد العرب الى آخر الزمان. فلما وصلت الرسالة الى المنذر ارسل الى كسرى يقول له ايها الملك ان العرب قد سمعوا بما جرى لي عندك حين اطعمتني التمر واضحكت علي الحجاب فظنوا اني صرت مسخرة فتركوا طاعتي ولم يعد لي عندهم هيبة ولا حساب وان اردت يعودوا الى طاعتي فارسل الي الحجاب الذين ضحكوا علي مقيدين بالاصفاد حتى ادوس رقابهم بقدمي على رووس الاشهاد واشهرهم بين قبائل العربان في جميع هذه البلاد وحينئذٍ تعود العرب الى طاعتي وتسمع كلامي فلما وصل هذا الجواب الى كسرى هاج به الغضب وقال لقد طمع فينا المنذر حاكم العرب واخبر الحجاب بما ارسله من الجواب فقال الحاجب خسروان انا ايها الملك اسير اليه واخذ روحه من بين جنبيه واخرب تلك الديار واشتت اهلها في الاقطار. قال نعم فاركب اليه برجالك ولا تقتله اذا ظفرت به بل احضره الي اسيراً لكي اقابله على سوء ادبه. فركب خسروان في رجاله وهم عشرون الف عنان وقصد الحيرة على بركة النار ذات الدخان. وكان عنتر في تلك الايام قد قصد ارض العراق لاجل اخذ النياق وجرى له ما جرى مع الملك المنذر كما تقدم النسق. واما المنذر فكان يركب كل يوم ويبعد عن الديار يتنسم الاخبار فبينما هو كذلك ذات يوم اذ طلع عليه غبار من ناحية بلاد العجم واسود الجو منه واظلم ثم انكشف جمهور من الفرسان كانهم مردة الجان وقد هزوا السيوف واعمدة واشهروا العدد وسطع عليهم بريق الزرد فقال المنذر هذه والله مواكب عباد النيران فخذوا يا بني عمي اهبتكم للضرب والطعان ومن ساعته انفذ النفير الى قبائل العربان وتبادرت اليه بنو شيبان وانعقد الغبار الى العنان وتقدمت فرسان الاعجام حتى التقت العين بالعين وانتشب القتال بين الطائفتين واشتعلت بينهم نار الحرب ودارت سوق الطعن والضرب حتى انعقد عليهم الغبار واظلم منهم ضوء النهار وفتك خسروان عابد اللهب بقبائل العرب وقصد رايات المنذر فنكسها واباد فرسانه ودرسها وكان جيش الملك المنذر اثني عشر الف فارس فما استطاعوا على الثبات فانهزموا وتشتتوا في الفلوات

والفرس في اعقابهم ينادون باسم النيران وهم يقتلون ويامرون من ادركوا من الفرسان ثم عادوا عنهم وقد صارت الارض من دمائهم مثل ثوب الارجوان وبعد ذلك نزلوا وضربوا الخيام وقال خسروان لاصحابه يا قوم احتفظوا على الحيرة وامسكوا الطرقات حتى لا يهرب المنذر في الظلام فاني اريد ان آخذهُ اسيراً واقوده الى كسرى ذليلاً حقيراً فداروا بالبلد من جميع الجهات وحفظوا المنافذ والطرقات واما الملك المنذر فانه دخل الحيرة وهو يعض انامله من الندامة وقد قامت عليه القيامة ثم احضر اولاده الثلثة وهم النعمان والاسود وعمر وجميع خواص اجناده للمفاوضة في ذلك الامر وقال والله لقد انفتح علينا باب لا يسد ووقعنا في بلية لا ترد · والان لا ينجينا الا القتال والصبر على الاهوال ولكن نريد ان نحصن النساء والبنات في بعض الجهات ونترك الديار خاليه والمنازل خاوية ونلفت من خلف اعدائنا فنجمع قبائل العربان ونرجع الى قتال عباد النيران · و بينما هم في ذلك الكلام دخل بعض العبيد الموكلين بعنتر وقال يا مولاي هذا الفارس العبسي سمع اليوم الصياح وسالنا عن الخبر فحدثناه بما جرى لنا من العظائم وكيف كسرتنا الاعاجم فقال احضروني الى ملككم فان لي معه كلاماً عسى ان يكون له نافعاً ولاعدائه دافعاً · قال المنذر احضروه حتى نسمع كلامه ونعرف مرامه فاحضروه بين يديه وقد حلوا يديه ورجليه فدخل وقال ايها الملك العظيم وحق زمزم والحطيم لقد كاد قلبي يتفطر في هذا اليوم لما سمعت بما حل بكم من هولاء القوم · قال المنذر يا عبدي وماذا تفعل الرجال وقد حمل عليها اضعافها وبليت بمن لا يهاب قتالها ولا يخافها · فقال عنتر تصبر عند الاجتماع وتقطع من الحياة الاطماع ولا تخاف ولا ترتاع لان الشجاعة هي صبر ساعة · قال المنذر ياعبسي كيف التدبير وقد جرت المقادير · قال يا ملك ان ضمنت لي ما طلبه عمي من النوق العصافير انا ضامن لك كسر هولاء الطناجير · قال المنذر يا عبسي ان وفيت بضمانك لاحكمنك في اموالي وجميع نوقي وجمالي · قال عنتر ياملك اعطني سلاحي ومهري والفين من فرسانك تحمي ظهري حتى اريك ما تتحدث به الاعجام والعربان على طول الزمان فاعطاه ما طلب وحينئذ ركب ونزل حومة الميدان ولما راته الاعجام حملت عليه من كل مكان فتلقاها وطعن الاول رماه والثاني القاه والثالث دحاه والرابع اعدمه الحياة والخامس الحقه برفقاه والسادس مزّق احشاه والسابع اقام عزاه · قال وكانت عساكر العجم قد دارت بالحيرة من كل الجهات طمعاً في نهب الاموال وسبي المخدرات فحمل عليها عنتر وبددها وفرّق جموعها وشردها ودام الامر كذلك حتى انتصف النهار وهم في قتال

اشدّ من لهيب النار والتجات العجم الى خيامها واطنابها وقد نظرت من العرب مالم يكن في حسابها وباتت اكثر الخيل خالية من ركابها وهي تدوس على وجوهها واجنابها ولبث مقدمها خسروان تحت الاعلام بعيداً عن موقف الصدام ونظر الى اصحابه وقد صاروا بعد الربح الى الخسران وبعد الزيادة الى النقصان فقال لبعض المنهزمين ويلكم مابالكم تسابقتم الى الفرار وغضبت عليكم النار قالوا يامولانا فدا اتيت بنا الى هذا المكان لكي نحارب الانس ولا نحارب الجان لاننا بلينا بفارس لا يخطي اذا ضرب ولا يدرك اذا انطلب ولا يولي الهرب · ان طلب موكباً فرقه وان طعن فارساً خرقه وان صدم جيشاً محقه وان دارت به الرجال صرخ فيها ودمدم وساق الفرسان بين يديه سوق الغنم ولا ندري من اين اتى هذا الفارس ولا نعلم هل هو من الجن ام من الابالس فلما سمع خسروان ذلك شق الامر عليه فطار الشرر من عينيه فخرج من تحت الاعلام وطلب الغبار والقتام وفي يده عمود ثقيل وهو على جواده مثل الفيل فقاتل الى ان اختلط الظلام وبات تلك الليلة لا يذوق الطعام ولا يعرف المنام وباتت العجم تحدثه عن قتال عنتر وما راوا من هوله المنكر فقال لهم انا رايته لعنة الله على سواده وعلى ابائه واجداده وقد طلبته فاختفى عني خوفه مني ولكن غداً افتحوا انتم باب الحرب حتى يبرز اليكم وانا ابرز حينئذ بغتةً اليه ولا اتركه يجول مني جولة حتى اضربه ضربة تطير راسه من بين كتفيه ومتى قتلت لكم هذا الاسود اللعين يهون عليكم امر الباقين فتهلكونهم اجمعين فقالوا نعم يا مولانا هذا الاسود هو الذي اهلك الخيل والرجال ولكنه لا يثبت قدامك في المجال فمتى قتلته نكر على الشيطان الاخر الذي يرمي بالنبال فان نبلته لا تخطي ولا تمنعها الزرد وهو اسرع من النسيم لا يقدر ان يدركه احد ومتى اكتفينا شر هذين الماردين تصير عرب العراق قدامنا مثل الكلاب قدام الذئب هذا ما كان من هولاء . واما الملك المنذر فانه لما لاح له وجه الظفر بقتال ابي الفوارس عنتر امر باخراج الخيام الى ظاهر المدينة ولما عادوا من الحرب نزل مضاربه وجمع اولاده وجلس معهم واجلس عنتر الى جانبه وقد صار من اعز اولاده واقار به وجعل يباسطه في الكلام ويزيد له في الاكرام ويعده باعطاء كل ما طلب ولو كان وادياً من ذهب ثم ان عنتر اقام عند الملك المنذر الى نصف الليل واراد ان يتولى حرس الرجال والخيل فحلف عليه المنذر ان لا يفعل فذهب الى مرقده ونام الى الصباح فبرز الى الحرب والكفاح · وقد صار بوسط الميدان اشار الى الاعجام وانشد يقول

• نفسوا كربي وداووا عللي وابرزوا كلّ شجاع بطلِ

وانهلوا من حد سيفي جرعاً علقماً مثلَ نقيعِ الحنظل
واذا الموتُ اتى في جحفل فاتركوني للقاء الجحفل
يا بني الاعجام ما بالكمُ عن نداءي كلكم في شغل
من يكن منكم لقتلي طالباً حيثُ يسقيني شراب الاجل
قدموه وانظروا ما يلتقي من سناني تحت ظل القسطل

قال الاصمعي وكان عنتر يقول هذا المقال والخسروان يتأهب للقتال ثم نزل الى الميدان كأنه الاسد الغضبان وتحت فخذه اربع حراب كأنهنَّ الشهاب وبيده عمود من الحديد صدمته تهد البرج المشيد ولما صار في الميدان صاح انزلوا يا كلاب العرب وابشروا بالهلاك والعطب واراد ان يحمل عَلَى عساكر الملك المنذر فاعترضه عنتر وقال له الى اين يا ابن الف قرنان وانا لك في الطلب من دون الفرسان وحينئذ حمل بعضهما على البعض وقد رضت حوافر فرسيهما جنادل الارض وراى الخسروان من عنتر ما لم يكن له ببال وعلم انه كان مغروراً بالمحال فاخذه الانبهار وصار ينقل عموده من اليمن الى اليسار . وقاتل بالحراب الى ان فرغت وما اصابت لانه كلما زجَّ واحدة منها انحرف عنها عنتر فخابت وحينئذ استلب العمود وهجم على عنتر هجمة الاسود واطلقه من يده الى صدر عنتر وهو يزمجر كأنه الجزار اذا هدر فالتقى عنتر الرمح من يده وخطفه اسرع من لمح البصر ثم اطلقه على الخسروان فوضع الترس على صدره فوق الدرع واستتر فوقع العمود فوق الترس فخرقه الى احشائه فسقط الى الارض يختبط في دمائه فثارت عساكر العجم ارتبكت في امورها وتقطعت ظهورها وبربرت باختلاف لغاتها وحملت على عداتها فالتقتها فرسان العرب بقلوب اقسى من الحجر وقد اشتدت عزائمها بالامير عنتر واعملوا بالفرس رماحهم الطوال وسيوفهم الصقال وشيبوب يدور حولهم كالولب ويرميهم بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال وعنتر يزعق فيهم كالرعد القاصف ويخرق صفوفهم كالبرق الخاطف ويقد بسيفه المغافر والدرع ويدق برمحه الترائب والضلوع وهو ينادي انا عنتر العبسي فارس العرب وقد ارسلتني النار على روءوسكم جمرة الغضب . واشتدت به قلوب جماعة العربان فانقضت من خلفه كالعقبان والحبت عباد النار بالضرب والطعان فظنوا ان السماء عليهم قد اطبقت او الارض تزلزلت بهم وصعقت فقالوا الفرار الفرار من هول هذا الجبار الذي لا يصطلى له بنار وصاروا يتسابقون على الهزيمة وهي عندهم اعظم غنيمة وتركوا رحالهم واسبابهم وغنمت العرب خيلهم وسلاحهم واسلابهم وعادوا من خلفهم كانهم مردة الجان وهم يثنون على عنتر

بكل شفة ولسان و يقولون هكذا تكون الفرسان وكان المنذر قد اركبه مهرة صفراء فعاد بها مخضبة حمراء وهو سائر قدامهم كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل فتذكر ما جرى له في ارض العراق ولعبت به لواعج الاشواق فانشد يقول

سلي يا ابنة العبسيّ رمحي وصارمي ... ومـا فعلا في يوم حرب الاعاجمِ
سقيتهما والخيل تعثر بـالقنا ... دمـاء العدى ممزوجةً بالعلاقمِ
وفرقت جيشًا كان في جنباته ... هماهم رعدٍ تحتَ برق الصوارمِ
على مهرة منسوبة عربية ... تطير اذا اشتد الوغى بـالقوائمِ
وتصهل خوفًا والرمـاح قواصدٌ ... اليهـا وتنسل انسلال الاراقمِ
فحمت بها بحرَ المنايـا فحمحمت ... وقد غرقت في موجه المتلاطمِ
وكم فارس يا عبلَ غادرت ثاويًا ... يعض على كفيه عضة نـادمِ
يقلبه وحش الفلا وتنوشه ... من الجوّ عقبانُ النسورِ القشاعمِ
احب بني عبس ولو هدروا دمي ... لاجلكِ يا بنتَ السراة الاكارمِ
واحملُ ثقلَ الضيمِ والضيمُ جائرٌ ... واظهرُ اني ظالمٌ وابنُ ظالمِ

ولما قرب عنتر من الملك المنذر قام له على اقدامه وقد تعجب من فصاحة كلامه كما تعجب من قوة قلبه وشدة طعنهِ وضربه وقوي عزمه على مخاصمة عباد النار ولو كانوا بعدد رمل البحار وقال له يافـارس العرب جميع ما نهبته رجالنا هذه المرة فهو لك غنيمة لانك كنت السبب في هذه النصرة العظيمة و بعد ذلك اعطيك النوق العصافير وعليها الهدايا والمال الكثير ولكن ياولدي من الراي ان اكتب الى سائر القبائل واجمع العرب من الاحياء والمناهل واتاهب لحرب كسري فانه لابد ان يعود الينا و يسطو بعساكره علينا . واول ما ارسل الي قومك بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان وسائر بني غطفان ولاازال حتى اقيم دولة العرب واذل عباد النار واللهب . فقال عنتر افعل ياملك ما تريد فانا لك من جملة العبيد ثم دعا له وقام وانصرف الى مضجعه بالسلام ولما طلع الصباح جلس الملك المنذر على سرير مملكته ودارت حواليه سادات عشيرته وعول على ان يكاتب العربان ويتاهب لحرب عباد النيران واذا ببعض حجابه دخل عليه وقبل الارض بين يديه وقال ايها الملك لك البشارة الجميلة بقدوم وزيرك عمر بن نفيلة وكان هذا الوزير قد عاش كثيراً من الاعوام وهذبته الليالي والايام وكان رجلاً عاقلاً خبيراً اولهُ كرامة عند العرب والاعجام وفي تلك المدة كان قد توجه الى زيارة البيت الحرام فلما دخل على الملك المنذر

باداه بالسلام وقام له على الاقدام وقال لهُ ما اتيت الا في وقت الحاجة اليك لاني نادمٌ
على ما سبق لي من العمل وحائرٌ في ما افعل ثم اخبره بما جرى وما عزم عليه وفوض الراي
والتدبير اليه فقال الوزير يا ملك الراي عندي انك وتلزم الادب وتعدل عن مكاتبة
العرب حتى اسير انا الى المدائن وادخل على الموبذان واستحلفه بحرمة النيران ان يخمد ما في
قلب كسرى من الغضب ولا يخرب بلاد العرب فقال له المنذر افعل ما بدا لك من التدبير
والتوفيق بالله القدير . وبعد ذلك اقام عمر بن نفيلة ثلاثة ايام حتى استراح وسار طالباً
مدائن كسرى في اليوم الرابع عند الصباح وقد اوصى الملك المنذر بالاحتراز على عنتر
وان لا يمكنه من العودة الى اهله قبل انفصال هذا الامر المنكر لان المنذر كان قد حدثه
بما فعل في حومة الميدان وكيف اهلك عباد النيران وقتل حاجب كسرى الخسروان .
قال ولما وصل الوزير الى مدائن كسرى دخل على الموبذان بعد الاستئذان فاستقبلهُ
احسن استقبال وعاملهُ بالاكرام والاجلال وقال له ما الذي اقدمك علينا بعد ما جرى
بيننا وبينكم من القتال . قال كنت غائباً في هذه الايام في زيارة البيت الحرام ولما بلغني
ما جرى من الفتنة بعد اكل التمر بت تلك الليلة على مقالي الجمر وبادرت من الغد لعلي
استدرك هذا الامر فما وصلت حتى وقعة الوقعة وفاتت الفرصة النافعة والان فقد مضى
ما مضى وما بقي لي الا الخضوع واستعطاف الرضى فاتوسل اليك بحرمة النار ذات الاشعة
والانوار ان تستعطف خاطر الملك العادل بالعفو عن جهل العرب الذين تربوا بين
الجمال والمواشي فاين الادب . فلما سمع كلامه الموبذان رق قلبه ولان وقال انا الى الان
ما اطلعت الملك على هذا الشان والا اعلمته بانكسار عسكره بقتل الخسروان لاننا في هذه
الايام في شغل من اهم الاشغال فما اردت ان ازيد على قلب الملك الاثقال . قال الوزير
ما الذي جرى حتى اشغل قلب الملك ياترى . قال ان قيصر ملك الروم كان يرسل كل
سنة الى الملك كسرى الهدايا والاموال الجزيلة والمماليك والسراري الجميلة ففي هذه السنة
وصلت الاموال بزيادة كما جرت به العادة ولكن حضر معها بطريق جبار يطير من عينيه
الشرار ولما دخل على كسرى في الايوان قال له على لسان الترجمان اعلم ايها الملك ان
معي في هذه النوبة هدايا لا يصفها لسان ولا نظر مثلها انسان ولكن ما اسلمها لخزائنك الا
ان يكون عندك فارس من جياد الفرسان يلقاني في الميدان كما امرني قيصر العظيم الشان
قال الراوي وكان هذا الجبار قد خرج من جزائر البحار يريد زيارة البيت المقدس ويتبرك
مما حوله من الاثار وسمع بلطائف دمشق الشام فاتى اليها وقضى فيها ايام وبارز عساكر

بني غسان وقهرهم في الميدان فعظم في عين الحارث ملك دمشق واخبر الملك قيصر عنه واثنى عليه واعلمه انه يريد ان يرسلهُ اليه فارسل الملك قيصر الجواب بالقبول والايجاب فلما حضر لاقاه بالاكرام وانزلهُ في دار الضيافة ثلاثة ايام وبعد ذلك نزل الى الميدان وفاز بجميع ابطال قيصر واقام على ذلك مدة من الزمان حتى صار له عند الملك اكبر قيمة وجعله في منزلة عظيمة فلما كان بعض الايام دخل على قيصر فرآه يجهز اموالاً وتحفاً فساله عن الخبر فاخبرهُ ان تلك عادة عليه كالخراج لكسرى الملك الاكبر فقال له لا تفعل ياملك فانا اسير اليه واغلب كل من عنده من الابطال واخفف هذه الاثقال فقال لهُ قيصر من الراي ان تسير انت مع الاموال وتبارز من عنده من الرجال فان غلبتهم ترفع الخراج وترجع بالاحمال وان غلبوك فقد وصل اليه معتاده وانفصل الحال فرضي بذلك وسار حتى دخل على كسرى في الايوان وبلغه المقالة على لسان الترجمان فغضب كسرى من ذلك الكلام ولكن خاف ان ابى ان ينسب العجز لابطال الاعجام فصار البطريق ينزل الى الميدان ويفوز بالشجعان واباحهم دمه ان وصلوا اليه وحرّم دمهم عليه واقام خمسة عشر يوماً على ذلك الحال حتى فاز بجميع الابطال وما ثبت قدامه الا فارس الديلم بهرام فانهُ طارده ثلثة ايام ثم استطال عليه فالحقه بمن تقدم وهابت مبارزته فرسان العرب والديلم وفي اثناء ذلك وصل عمر بن نفيلة العدوي ودخل على الموبذان فاخبره عن هذا البطريق العظيم الشان فلما سمع عمرو هذا الكلام تعجب من تقلبات الايام وقال للموبذان لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فان اليوم عند الملك المنذر فارساً من بني عبس لا يقاس به كل من طلعت عليه الشمس وهو الذي قتل حاجبكم وكسر عساكره بالامس وارجو ان يكون انفصال هذه النوبة عن يديه اذا برز هذا البطريق اليه ثم حدثه بحديث جسارته على اخذ النوق العصافير وفتكه بعرب العراق وقتله الاسد وهو مقيد في الوثاق وكيف التقى عساكر الفرس وهي عشرون الف عنان ولم يسمح بان يقاتل معه احد من العربان فلما سمع الموبذان بذلك داخل قلبه السرور والفرح وعلم ان الامر قد اصطلح وقال ان هذا الحديث يجب ان يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وانا اقول انه يزيل عن قلب كسرى ما به من الغضب ويكون لاصلاح الشان بين الفرس والعرب . ثم وثب وقال له لا تبرح من هذا المكان حتى اعود اليك واقص مايجري عليك ومن ساعته دخل على كسرى فامر لهُ بالجلوس وقال له اردت ان ادعوك لانظر ما ترى في تدبير هذا الوقت العبوس فان هذا الجبار قد تمرد وان لم نقهره اخرق حرمة دولتنا الى الابد والان نريد ان نكتب الى خراسان

وتامر الولاة ان تاتيا بالفرسان عسى ان يقع لنا ما يذل هذا الشيطان . فقال الموبذان ومن يكون هذا الكلب حتى تزعج لاجله مملكة كسرى ونحرب معهُ الفرسان مرة بعد اخرى . قال كسرى وكيف الراي هل نذل لقيصر ملك الروم ونخلي له الخراج المعلوم قال الموبذان لا ولكن الرايُ عندي ان تكتب الى نائبك على العربان وتامره ان ينفذ اليك بعض الفرسان لان اهل العراق والحجاز اجول من الفرس في مثل هذا البراز قال كسرى ان ملك العرب غضبان لاجل ما جرى بينه وبين الحاجب خسروان وقد سار اليه بالعسكر والى الان ما اتانا منهُ خبر . قال الموبذان ايها الملك تبقى انت بعد العساكر فان خسروان قد مضى كما مضى امس الدابرُ ورجع جيشهُ منهزماً من خمسة ايام وهو لا يعرف الطريق وانا كتمت عنك هذا الامر خوفاً على صدرك ان يضيق وما رايت ان احملك هماً فوق هم البطريق . فلما سمع كسرى ذلك اشتعلت في قلبه النيران وقال من قتل الخسروان وهو فارس الزمان فقال قتله فارس من بني عبس وعدنان ثم حدثه بما سمع من عمر بن نفيلة عن عنتر وقال ان هذا البطريق ليس له الا هذا البطل الذى يقدر ان يخرب ملك قيصر ويكون لك بذلك الفخر الاكبر لانهم يقولون ان بطريق الروم قد قهره عبدٌ من عبيد دولتك وتصير كل الممالك ترتعد من صولتك والراي عندي انك ترسل الى الملك المنذر خلعة الامان وتأمره ان يرسل بهذا الفارس الى هذا المكان وذلك يحسب لك من الحلم والاحسان وانا ضامن لك ان هذا الفارس يقهر هذا الكشحان لانه لا يلبث قدامه احد ولو انه ملك الجان واننا متى جمعنا بينه وبين البطريق فايهما قتل كان لنا بقتله السعادة والتوفيق . قال له كسرى افعل كما تريد على بركات النار عسى ان نقهر هذا الجبار ونرفع عنا الذل والعار . فعندها ذهب الموبذان الى الوزير عمر بن نفيلة واعلمه بما جرى بينه وبين الملك كسرى فسر بذلك سروراً عظيماً وكتب من ساعته الى الملك المنذر يأمره بالقدوم واعلمه بما جرى بين كسرى والبضرموت فارس الروم وانه ضمن عن عنتر قتل هذا البطريق المشوم ثم انفذ الكتاب مع نجاب واقام ينتظر الجواب . واما ما كان من البطريق فانه نزل باكر الى الميدان وبرزت اليه الرجال واخذت معه في الجال وكان افرس الجماعة لا يثبت قدامه اكثر من ساعة ومازال كذلك الى اخر النهار فعاد وقد نال الشرف والافتخار . ولما كان في الغد برز اليه مقدم من مرازبة العجم يقال له بهرام بن بهران وكان من اعظم الابطال والفرسان فنازل البطريق طول ذلك النهار وانفصلا على غير نهاية ولا قرار . قال الراوي ولما انفصلا عن بعضهما عاد كل منهما الى مكانه فسالت الاعجام مقدمها

بهرام فقال ان هذا الرجل فارس جبار وبطل مغوار ولكن غدا يصير الانفصال لان قتالي اليوم كان معه على سبيل الاختبار ولا بد ان اقتله ببركة النار قبل ان يتعالى النهار وكان مع البطريق جماعة من الاروام فسألوه عن خصمه بهرام فقال لهم لو كنت اريد قتله لقتلته عندما برز الي ولكنني طلبت اسره لانني محرم دمهم علي وان شاء الله غداً لا بد ان اخذه اسيراً واقوده ذليلا حقيراً ولما اصبح الصباح برز كلاهما للكفاح فالتحق بهرام بن سبق وزاد عند الملك كسرى الجزع والقلق وتاخرت الفرس عن نزال البطريق وصارت انفسهم في غاية الكرب والضيق وما زالوا كذلك وهم ينظرون الى ناحية العراق حتى راوا الغبار قد طبق الافاق ثم انكشف عن الملك المنذر ومعه مائة فارس يقدمهم حية بطن الواد الامير عنتر بن شداد كانه ارم ذات العماد فلما عرفوهم خرجوا الى ملتقاهم وادخلوهم بفرح عظيم الى الملك كسرى وهو لا يصدق ان يراهم ففرح الملك بحسن طاعة المنذر وتلقاه بالابتسام واكثر له من الاعتزاز والاكرام ثم اخبره عن ذلك البطريق وما كابدوا الاجله من الضيق . فقال عنتر للموبذان يامولاي اضمن انت عني للملك الاكبر قتل هذا البطريق ولو كان من عفاريت منفر . قال له كسرى وقد تبسم في وجهه وان لم نقم بضمانك فماذا تصنع من شانك . قال اجعل غايتك يسحبوني الى بيوت النيران و يجعلوني كالقربان فضحك كسرى من كلامه وامل ان يحصل منه على مرامه . قال و بعد ذلك امرلهم بالراحة الى ثاني الايام فقال عنتر لا وحق البيت الحرام لا اكلت لكم طعاماً ولا ذقت مناماً حتى اقتل هذا الطنجير واريح منه الضمير . فاعجب الملك هذا الكلام وقال ابرز اليه عسى ان تنال منه المرام . قال الراوي وكان البطريق حينئذ في الميدان وهو يطلب براز الفرسان وقد استوى على جواده كانه قصر غمدان او جبل من جبال نعمان ومنظره يرعب اسود خفان والناس قد تاخروا عن نزاله وانكسرت عزايمهم لما راوا من اهواله فما دري الا وعنتر قد وثب اليه وزعق عليه فارتاع من هول زعقته ومهابة خلقته غير انه ثبت عزمه وحمل وهو يهدر كالجمل فالتقاه عنتر وهو ينادي يا كاب الروم قد اتاك سبع العرب فودع اصحابك هذا النهار وايقن بالعطب . وحينئذ اطبق كل واحد على صاحبه والناس قد شخصوا اليهما بالابصار وخافوا على عنتر لما يعهدون من اهوال هذا الجبار ودام القتال بينهما ساعة من الزمان ثم تاخر عنتر الى ورائه فارتعد قلب كسرى واصحابه خوفاً من الخذلان وصاروا يتعوذون بالنيران من شر هذا الشيطان واما البطريق طمع في عنتر لما راه قد تاخر فحمل عليه وزعق وطعنه طعنة الحاق فصبر حتى فار به الرمح فتناوله

بيده واستلبه بقوة ساعده وطعنه بعقبه فكاد يخرج روحه من جسده وغاص معه في الطراد وكسرى يتبسم مسرورًا وقد طمع في نيل المراد . قال الراوي ونظر بهرام فارس الديلم الى فعال عنتر فحسده على ما بدا منه وظهر وعوّل على قتله حتى لا يبقى له ذكر يذكر . هذا وعنتر والبطريق يلتقيان ويفترقان وينفصلان وينطبقان حتى مضى نصف النهار وملت الناس من الانتظار ورأى بهرام فرصة عند اشتغال عنتر بالبطريق فانقض عليه حتى صار بين يديه وهز حربته وصوبها اليه وقال له خذها يا ابن اللئام من يد المقدم بهرام وزجها اليه فخرجت من يده كصاعقة الغمام . فانحرف عنها عنتر حتى مرت به فخطفها اسرع من لمح البصر واطلقها الى صدر البطريق فطلعت من ظهره ولها زفير وشهيق اقوى من حجر المنجنيق وكان البطريق قد التهى ببهرام لما خرج الى عنترة فما شعر الا بالحربة وقعت في صدره ارسلته الى قبره فعندها نادى عنتر يا لعبس لا شقيت انا عبد الملك كسرى ما بقيت ثم استل الحسام وعاد يطلب المقدم بهرام هذا وقد ضجت مواكب العجم وقالت وحق النار ان هذا جبار الجبابرة في جميع الامم ورفعوا اصوات التهاني والسرور وضربوا الطبول والزمور وخرجت المخدرات من داخل الخدور وتهتكت الحجب والستور وقالوا يعيش الامير عنترة بن شداد الذي رفع العار عن هذه البلاد ولما عاد عنترة الى المقدم بهرام نادى كسرى يا ويلكم ردّوه عنه وابشروه بالغنى والانعام والا سقاه كاس الحمام فعندها تبادرت النقباء وحالوا بينهما واتوا بعنتر الى قدام الملك كسرى وهو كأنه من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان ولما صار قدام كسرى قبل الارض بين يديه فقبله كسرى بين عينيه وقال حيتك النار يا سبع الفلا مثلك تكون الرجال والا فلا ثم خلع عليه خلعة كسروية من الديباج المدنر مزركشة بالذهب الاحمر وقال للموبذان قدم للامير عنتر جميع ما اتى مع البطريق من الاموال والجواري والخيل الروميات والحلل والتحف القيصريات وانزله في افخر المنازل حتى نحضره معنا على الطعام ونغمره بالانعام وندخره لطوارق الليالي وحوادث الايام فتولى الموبذان امر عنتر وقدم له كل ما اتى من عند الملك قيصر وانزله في اعز مكان مع المنذر ملك العربان ثم قام الموبذان وفتح الصناديق التي جاءت من عند قيصر واعرضها على عنتر وكانت مشحونة بالاموال والتحف التي تدهش البصر وقال له هذه كلها لك وسيزيدك فوقها الملك الاكبر ثم احضر الجواري التي حضرت من هناك وكانت احسن من كواكب الافلاك وقال هذه ايضاً جواريك ولا يستحقها احد سواك فلم يلتفت اليهن لان حب عبلة قد غلب عليه وملأ قلبه حتى سد الطريق على

غيرها فلا يصل احدٌ اليه ولكنه قال ابن عينك يا عبلة ترى ما يساق اليك من الاموال التي لا تساوي نظرة من وجهك الجميل والجواري التي تقوم بخدمتك وترفع شانك الجليل ثم امر الموبذان باحضار الطعام واواني المدام فحضرت اطعمة شتى من لحوم الغزلان والطياهيج والقبج والدراريج وحضرت بعدها الحلاوات كالفالوذج والقطائف واللوزينج فقال عنترة للمنذر يا مولاي ما لي لا ارى شيئاً من لحوم الجمال والتمر وحاليب النياق وهل هذه الاطعمة طيبة المذاق قال يا ابا الفوارس هذه اطيب من تلك ولكن لا تعرفها العرب في الحجاز والعراق فتقدم عنتر الى السماط وهم ان يتناول بيده كما جرت عادة اهله وبلده فقال له المنذر لا تفعل يا ابا الفوارس فانهم يضحكون عليك في هذا الامر كما ضحكوا عليَّ في اكل التمر وذلك ما احدث هذه الفتنة ورمانا في هذه المحنة ولكن كل كما اكل انا فانني عاشرتهم وعرفت كيف العادة هنا قال جزاك الله خيراً يا ابا النعمان فاني جاهل عادة هذا المكان ثم اكلا حتى شبعا من الطعام وارتويا من المدام حضرت الات الطرب ورنت الالحان فكانت ليلةً من ليالي الزمان واقاما تلك الليلة على مهد السرور والافراح والفرس يدعون لعنتر ويفدونه بالارواح حتى اصبح الصباح فارسل كسرى يدعوهما للخروج الى الصيد في تلك المروج فركب عنتر والملك المنذر ومن معه من الفرسان وركب معه جماعة من الفرس حتى لحقوا بكسرى انو شروان وبين يديه السعاة والجنود والبزاة والشواهين والصقور والكلاب والفهود فترجلوا وسعوا اليه وهمَّ عنترة ان يقبل رجله في الركاب فمنعه من ذلك وحلف عليه وامر الحجاب فقدموا له فرساً من جنايبه واخذه الى جانبه وسار معه وهو يحدثه ويباسطه بالكلام وعنترة يدعو له وللدولة الكسروية بالدوام حتى وصلوا الى مكان الصيد فتنافرت بين ايديهم الغزلان ووقع الصياح من كل جانب ومكان ووثبت الفهود والكلاب في تلك السهول وتجارت الرجال على سوابق الخيول ووقف كسرى يتفرج والصيد يأتي اليه ويوضع بين يديه وكان عنتر قد تبع عانةً من الوحش وابعدبها في الارض واوسع في ذلك البر بالطول والعرض فبينما هو كذلك اذا بفارس قد انقض عليه وضربه بعمود حديد من ساعد شديد فوقع بين اكتافه فزعزعه وكاد ان يصرعه ونادى خذها من بهرام الديلمي يا كلب الحجاز وان كان قد بقي فيك رمق فدونك البراز ولا بد لي من قتالك كما قتلت ابن عمي خسروان وافتخرت علينا بقتل البطريق في الميدان وكان ذلك لما دخل في قلبه من الحسد لعنترة ولانه قتل ابن عمه الخسروان كما ذكر وكان لما نهاه كسرى عن معارضته لعنترة قال لاصحابه ان مضى هذا العبد سالماً من هذه الديار

لا تبقى لي قيمة ولا مقدار ثم ترك عليه العيون والارصاد حتى خلا به في الصيد والقنص فقال في نفسه هذا وقت انتهاز الفرص وتقدم الى عنترة على غفلة منه وضرب به واذا رآه ثابتاً على جواده وسل سيفه واستقبله عنترة وهو يهمهم من شدة الغيظ والحرد كما يهمهم الاسد وقال له خاب والله املك يا عابد النار اتريد ان تقتلني باغدار ولكن ابشر بعدها بالويل والدمار وخراب الديار ثم اطبق عليه وقلب سنان الرمح وطعنه بعقبه فالقاه عن مركبه ولولا حرمة الملك كسرى كان ارحله الى الدار الاخرى فحملت الديلم على عنتر من كل جانب وقد سلوا السيوف القواضب وصار عنترة يدافع عن نفسه حتى كلت يداه وخدر ساعداه و بينما هو كذلك اقبل الملك كسرى بجنوده وهم يصيحون على الديلم و يهزون لهم الصوارم وهم يقولون قد اتاكم كسرى يا كلاب الاعاجم وكان قد وصل اليه الخبر بما فعل بهرام مع عنتر ولما راوا الملك تفرقوا وهم يقولون هذا العبد قد قتل بهرام كما قتل الخسروان ولا بد لنا من قتله على اي وجه كان فقال لهم المو بذان تكذبون يا انذال الديلم فان هذا الرجل يجب ان يكرم لانه فعل في حقنا ما لا نقدر عليه العرب والعجم ثم احضر عنترة الى حضرة الملك كسرى وساله الملك عن ذلك فحدثه بما جرى فغضب الملك وامر بقتل الذين ارادوا قتل عنترة وقال هذا يفدى بالوف من البشر و يستحق ان يكرم و يعتبر فعند ذلك ترجل عنترة وخضع بين يديه وقال له يا مولاي بالله لا تفعل فان احسانك قد سبق والعفو بك اليق وانا في هذه الايام قد عزمت على الرحيل وما اشتهي ان احداً يذكرني الا بالجميل له قال الراوي فتعجب كسرى من حسن ادبه وكان قد غضب فتبسم بعد غضبه وقبل فيهم سؤاله وعفا عنهم واطلقهم لاجل ما قاله ورفعوا بهرام وهو من طعنة عنترة قد صار مرضوض العظام وعاد كسرى من صيده ودخل بستان كان له خلف الايوان حافلاً بالاشجار والازهار المختلفة الالوان وفيه قصر رفيع مشيد الاركان كأنه بقعة من بقع الجنان ونصبوا لكسرى فيه سريراً من الذهب الوهاج وحوله كراسي من الابنوس والعاج فجلس وامر المنذر وعنترة بالجلوس وحضرت الاطعمة التي روائحها تنعش النفوس والخمرة التي تشرق بنورها الكؤوس فاكلوا جميعاً وشربوا حتى اكتفوا من الطعام والمدام ثم شكر المنذر الملك كسرى على هذا الاحسان وقال لعنترة انشدنا يا ابا الفوارس شيئاً من الشعر في مديح ملك الملوك مولانا كسرى انو شروان فانك شاعر العرب كما انت فارسها في هذا الزمان فقال اللهم نعم فانشد يقول

يا ايها الملك الذي راحاته ... قامت مقام الغيث في ازمانه

يا قبلةَ القصادِ يا تاج العلى — يا بدر هذا العصر في كيوانهِ
يا مخجلاً نوء السماء بجودهِ — يا منقذَ المحزونِ من احزانهِ
واذا سطا خافَ الانام جميعهم — سطواته والليثُ عند عيانهِ
المظهرُ الانصاف في ايامه — بخصالهِ والعدلَ في بلدانهِ
يا ساكنينَ ديارَ عبس انني — لاقيت من كسرى ومن احسانه
ماليس يوصف او يقدر او بفي — اوصافه احدٌ بوصف لسانهِ
ملك حوى رتبَ المعالي كلها — بسمو مجدٍ حلَّ في ايوانهِ
مولىً به شرفُ الزمانُ واهله — والدهرُ نال الفخرُ من تيجانهِ
فغدوت في ربع خصيب عدهُ — متنزهاً فيه وفي بستانهِ
ونظرت بركته تفيض وماؤها — يحكي مواهبه وجود بنانهِ
في مربع جمع الربيع بربعه — في كلِّ فنٍّ لاحَ في افنانهِ
وطيورهُ من كل نوعٍ انشدت — جهراً بان الدهر طوع عنانهِ
ملكٌ اذا ما جال في يوم اللقا — وقف العدوّ محيراً في شانهِ
والنصر من جلسائه دون الورى — والسعدُ والاقبال من اعوانهِ
فلاشكرن صنيعهُ بين الملا — واطاعن الفرسان في ميدانهِ

قال الراوي فطرب كسرى ومن حضر في ذلك المكان وقال له المنذر حياكَ الله ياشاعر الزمان الذي لا يقاس به امرء القيس ولا نابغة بني ذبيان وبعد ذلك دارت الالحان على العيدان حتى كاد يرقص ذلك البستان لان الفرس هم الذين وضعوا هذه الصناعة ولهم فيها المهارة والبراعة وباصطلاحهم تسمى اصول النغمات في اكثر اللغات كالرصد والدوكاه وغيرهما كالجهاركاه هذا وعنتر عن كل ذلك في غفلة لان قلبه عند عبلة فكان يشرب ولا يطرب ولسانه يتكلم وقلبه يتالم ثم طمحت عليه الاشواق وتذكر ما قاساه من لوعة الفراق فانشد يقول

فؤاد لا يسليه المدامُ — وجسم لا يفارقه السقامُ
واجفان تبيت مقرَّحاتٍ — تفيض دماً اذا جن الظلامُ
وهاتفة شجت قلبي بصوتٍ — يلذُّ به الفواد المستهامُ
شغلت بذكر عبلة عن غناها — وقلت لصاحبي هذا المرامُ
وفي ارض الحجاز خيام قوم — حلالُ الوصل عندهم حرامُ

وبين قباب ذاك الحي خودٌ ... رداحٌ لا يحلّ لها لثامُ
لها من تحت برقعها عيونٌ ... صحاحٌ حشو جفنيها سقامُ
وبين شفافها مسكٌ فتيقٌ ... وكافورٌ يمازجه مدامُ
فما للبدر ان سفرت جمالٌ ... ولا للغصن ان خطرت قوامُ
يلذُّ غرامها والوجدُ عندي ... ومن يعشق يلذ له الغرامُ
الا ياعبلَ قد شمت الاعادي ... بابعادي وقد امنوا وناموا
وقد لاقيت في سفري اموراً ... تشيب من له في المهد عامُ
وبعد العسرِ قد لاقيت يسراً ... وملكاً لا يحيط به الكلامُ
وسلطاناً له كل البرايا ... عبيدٌ والزمان له غلامُ
يفيض عطائه من راحتيه ... فما ندري البحرٌ ام غمامُ
وقد خلعت عليه الشمس تاجاً ... فلا يغشى معالمهُ ظلامُ
جواهره النجوم وفيه بدرٌ ... اقل صفات صورته التمامُ
ولولا خوفه في كل قطرٍ ... من الاقطار ما قرّ الحسام
وكل الناس جسم وهو روحٌ ... بها تحيا المفاصلُ والعظامُ
تصلي نحوه من كل فجٍ ... ملوك الارض وهو لها امامُ
بنو نعش لمجلسه سريرٌ ... عليٌ والسماوات الخيامُ
فدم يا سيد الثقلين وابق ... مدى الايام ما ناح الحمامُ

قال الراوي وكان كسرى خبيراً بلغة العرب فكان كلما انشد عنتر بيتاً يهزه الطرب ولما فرغ من هذه الابيات قال له كسرى يا ابا الفوارس وحق النار لو اعطيتك على كل بيت الف دينار لكان قليلاً في مقابلة اياتك الحسان لان عطايانا تنفد ومدحك لنا يبقى على طول الزمان فاطلب منا ما تريد واطلق في ميدان الطلب لسانك كما اطلقت في ميدان الحرب عنانك. قال وحق ذمة العرب اني قد بلغت يا مولاي آمالي بكرمك لا بفعالي وقد اكتفيت بجودك عن طلبي وسؤالي ولكن اذا كان الملك قد تلطف بذلك وتكرم انطلق لسان العبد وتكلم فاني قد بلغت من احسانك هذه الرتب العليا ولا اعود الا بما افتخر به على اهل الدنيا لانني متى اخذت ابنت عمي لا بد ان اعمل لها وليمة تفتخر بها على اهل الافاق و يسمع بها اهل الشام والعراق وقد اشتهيت ان يكون مثل هذا التاج على جبينها ليلة زفافها تفتخر به على نساء ملوك العرب واشرافها وانا ما طلبت هذا الطلب الا

وقد علمت اني اسأت الادب ولكن بحر حلمك يغرق فيه جهل جاهلية العرب فتبسم وقال وحق النار يا عبسي لقد تلطفت وما اسرفت ثم كلم بعض الاعوان فمضى ثم عاد ومعه اربعة غلمان يحملون قبة من الفضة على رأسها بازٌ من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ورجلاه من الزمرد الاخضر وذيل القبة مكللٌ بالجوهر ومعها تاج مرصع بالحجارة الكريمة لا يعرف له ثمن ولا قيمة فقال كسرى يا عنتر هذه القبة تكون لابنة عمك تجلس تحتها ليلة تزينها وهذا التاج تلبسه على جبينها وان كان قد بقي لك حاجة فاطلبها مني ولا تكتمها عني فقبل الارض عنتر مرارًا بين يديه وانعكف على تقبيل قدميه ودعا لدولته بالدوام على مر الايام وقال له يا مولاي انا قصير اللسان عن شكر هذا الاحسان ثم ان عنتر قال له يا مولاي لقد غمرتني بالاحسان وما بقي لي حاجة غير سرعة العودة الى الاوطان فقال كسرى قد اذنت لك بالرحيل بعد ثلاثة ايام ولكن على شرط ان تزورنا في كل عام. قال الراوي وكان عند كسرى مصارع من جبابرة العجم اسمه رستم وكان هائل المنظر طويل الباع لا يثبت قدامه احد في الصراع وكان له عند الملك كسرى جملة اعوام يصارع بين يديه وهو يهبه ويخلع عليه وقد صار له غلمان واقطاع واملاك وضياع فبلغه ذلك اليوم ما قد اخذه عنترة من التحف والاموال وما نال من الرفعة والاجلال وقيل له يا رستم ان من اعظم العار ان يعود عبد من ارضنا بهذه الاموال والنعم و يقول انا قهرت فرسان العجم وجبابرة الديلم ومازالوا يحرضونه حتى اشتعلت في قلبه نار الحسد فوثب وثبة البعير اذا شرد وسار الى ذلك البستان ودخل على الملك كسرى بغير استئذان وقال يا مولاي كيف رفعت قدر هذا العبد وجعلته لك من الجلاس وجعلت ذلك عارًا علينا بين الناس لانهم يقولون انه قهر جبابرة الاعجام واستحق من الملك هذا الانعام وانا اشتهي ان تأمره ينهض اليّ حتى اكسر راسه واخمد انفاسه ولا ادعه يعود الى اجلاف العرب و يقول اخذت تاج كسرى وامواله وقهرت فرسانه ورجاله قال فلما سمع كسرى هذا الكلام علم ان ذلك من شدة الحسد الذي قطع منه الكبد وقال له اسمع مني ولا لهذه الامور فتقع في المحذور فان هذا الرجل ليس كمن تعرف من الرجال ولا مثل من تعهد من الابطال هذا وحق النار جبل من الجبال وليس له نظير بين الناس في قوة العزم وشدة الباس وانت تعرف كيف كسر عساكرنا في العراق وقتل الخسروان وكيف قهر البطريق الذي قهر جميع ابطال خراسان وانا اعلم انك لا تجول معه جولة الا لقاك على الارض وان شاء الله يدخل طولك فى العرض فيكون ذلك عارًا علينا فوق عار وفضيحة

في جميع الاقطار فاقبل مني النصيحة ولا تعرض نفسك للفضيحة قال رستم وحق نور الشمس المشرق وشعاع النار المحرق لا بد لي من صراع هذا الاسود حتى اريك من انفاسه تحمدومن يذم ومن يحمد والا فلا اقيم بهذه البلدولو فارقت روحي الجسد قال كسرى لعنترةبالعربية يااباالفوارس اتدري في اي شيء نحن وماذا يقول هذا الرجل العابس قال عنتر لاوذمة العرب لانه يتكلم بالفارسية وانا لا اعرف غير العربية ولكنني ارى رجلاً كالغول ولا ادري هل هو من الخصيان ام من الفحول قال كسرى صدقت فيما نطقت وهو قد دخل في هذا الوقت وطلب ان يصارعك ويجرب نفسه معك قال عنتر يا مولاي اني اخاف ان احتاج معه الى قتله بحضرتك فيكون ذلك سبباً لازعاج سرك واخراق هيبتك فقال له كسرى اذا صارعته اتقتله ام تذله وتخذله قال يا مولاي ان قدرت ان اصرعه سالماً صرعته واذللته وان تعاصى عليّ قتلته فضحك كسرى وعاد الى رستم وقال له اقبل مني واقطع من صراع هذا الرجل امالك فانني خائف عليك ان تغضبه فيقتلك قال رستم وحق النار يا مالك لا بدلي من صراعه وان لم تفعل دنوت اليه ولطمته على وجهه وفقأت عينيه وان تطاول عليّ قتلته لا محال ولوقتلتني بعده في ساعة الحال قال له كسرى اخلع ثيابك وثبت قدمك وانا اقول له ان يصرعك وابيح له دمك قال فعندها خلع رستم ثيابه فبانت عن اكتافه كحجارة المنجنيق وصدر كانه كركرة الجمل الفنيق وحينئذ اقبل كسرى على عنتر وقال له يا ابا الفوارس اريد ان تصارع هذا الرجل المعجب بنفسه الذي تسوقه قدمه الى رمسه فانه قد طمع فيك واستهواه الغرور الى الوقوع في هذا المحذور فصارعه وان احتجت الى عدمه فاقتله فانت بريء من دمه قال فعند ذلك قام عنترة وهو يقول والله يا مولاي انه يشق عليّ هذا العمل ولكن العبد اذا امره سيده طاع وامتثل ثم قام وتمشى وفي يده باقة من الريحان وهو يتمايل كانه نشوان غير مفتكر بهذا الشان فتهيا له رستم وتعدد وتقبض و تمدد وعيناه مثل الجمر تتوقد فتقدم عنتر اليـه ورمى زهرة الريحان من يديه وشمر عن ذراعيه وقال لرستم تقدم ايها الجبار لكي تنال المختار وتلبسني ثوب العار وكان رستم قد انحنى كانه قنطرة وهو يضرب بيديه على افخاذه فيسمع لها اصوات مذعرة فتطاولت من الاعجام كل رقبة واملوا بالفوز والغلبة هذا وقد تلاحم الرجلان في الصراع واعتركا كالفحول في القراع وطمع رستم في عنترة وهو يظنه مثل غيره من البشر فهجم عليه واراد ان يزعزعه فرآه مثل البرج المشيد والسد من حديد وعنترة ثابت قدامه ينظر اليه و يضحك عليه ثم عاد ثانية الى عنتر وظن انه استرخى وفتر فوجده

لم يزل كطود الاطواد اوقصر عاد بن شداد فانثنى عنه الى الوراء هم ان يعود اليه مرة اخرى فكره عنتر معه تطويل المجال فاقتحم عليه كانه اسد الرئبال وزعق فيه زعقة ارعدت جميع حواسه ومكن يده من منطقته ورفعه فوق راسه واراد ان يحمله الى الملك كسرى سالماً و يضعه قدامه بحضرة القوم لكي لا ينزعج قلبه و ينهي المصارع عن التعرض لاحد بعد هذا اليوم واما ذلك اللعين فانه رفع يده وضرب عنترة على راسه كاد يذهله عن حواسه فخنق عنترة وجلد به الارض فادخل بعضه في البعض وارقده رقدة لا يقوم منها الى يوم العرض فلما رأت اصحابه ذلك هجموا على عنترة ليقتلوه فصاح الموبذان ودفعتهم عنه الخدم والغلمان وحملوهم رستم واخرجوهم من البستان وعاد عنترة الى مكانه وقبل الارض قدام كسرى ودعا له بدوام عزه وارتفاع شأنه قال ففرح به كسرى وهناه بالسلامة وقال له انا اعلم ان خصمك قد بغى عليك وما عاقبة البغي الا ندامة فنعم مافعلت به وجازيته على جهله وسوء ادبه قال عنتر والله يا مولاي لو اردت قتله من قبل ان ارفعه من الارض لقتلته في ساعة الحال وانما اردت ان احمله الى بين يديك سالماً حتى حتى تزجره عن التعرض لصراع الابطال قال كسرى لقد ازدجرته فما ازدجر وانذرته فما اعتبر فعلمت ان اجله قد حضر ثم عادوا الى ما كانوا عليه من الطرب والسرور وشرب كاسات الخمور حتى جن عليهم الظلام وغابهم سلطان المنام وتفرق اكثر الناس وانصرفت الجلاس فاشار الملك المنذر الى عنترة فقام ودعا للدولة الكسروية بالدوام وانصرف و بين يديه الغلمان والخدم حتى دخل الى مضجعه ونام فلما اصبح الصباح اتى الموبذان الى باب الدار ودعا الملك المنذر وعنترة فخرجا اليه وركب كل منهما وسار وفي اثناء ذلك قال عنترة للموبذان يامولاي اشتهي ان ادخل بيوت النار لانظر مافيها من الانوار واحدث به قومي متى رجعت الى الديار قال الموبذان ياوجه العرب لا يسوغ لي ذلك لانك تدخل اليها على سبيل الاستهزاء لا على سبيل الاحترام والاعتبار واني اخشى عليك منها لهذا السبب ان يهيج فيها الغضب فتلقي عليك اللهب وترميك في العطب ولكن اذا قابلتها بالوقار والسجود كما يليق بالاله المعبود فانا ادخلك اليها وهي تلقي بركاتها عليك اذا القيت سلامك عليها قال عنتر والله يا مولاي لا ادخل اليها الا بقلب سليم لاني اعلم انها من آلات الرب العظيم وافعل كل ما تأمرني به من السجود والتسليم قال فلما سمع الموبذان هذا الكلام من عنتر سار به الى المعبد الاكبر فراى رجالاً قياماً عراة الابدان وفي ايديهم المداري ومقامع الحديد يقلبون بها النيران و يزمزمون حولها بكلام المجوس و يتلونه باصوات خاشعة

تسلب النفوس وشيخهم الكبير جالس على وسادة من جلود الاسود وهو يهمهم و ينود و يومي اليها بالسجود فلما دخل عليه المو بذان باداه بالسلام فرد عليه بالاجلال والاكرام ثم كشف راسه وسجد للنار ودار حولها سبعة ادوار فرآه عنتر فعل ما فعل فجاراه في ذلك العمل فسرّ المو بذان بذلك وقال له الان قد افلحت وتيسرت امورك ونجحت وقد حلت عليك بركة هذه الربة المعظمة وصارت انوارها تهديك في الدياجي المظلمة فدم على تعظيمها في كل مكان تامن من اهوال الزمان وطوارق الحدثان قال عنترة يا مولاي ومن اين لنا نار مثل ناركم هذه التي تضرمونها بالعود وافاويه الطيب فيظهر لها هذا النور واللهيب و يفوح منها هذا النسيم الذي ينعش القلوب و يفرج الكروب ونحن نضرمها في بلادنا ببعر الجمال وذبل البقر وجرائم الشجر الاخضر فيفوح منها دخان يخبل الدماغ و يعمي البصر قال فضحك المو بذان من هذا الكلام وعلم ان العرب لا تحول عن عبادة الاصنام ثم دار بعنتر حواليها سبع مرات وهو يسجد لها و يقول سبحانك لا اله الا انت فاشملينا بالرضى والبركات و بعد ذلك مضى المو بذان الى بين يدي الملك كسرى واخبره عن تعبد عنترة للنار و كيف سجد لها ودار حولها بالخشوع والوقار ثم قال ان هذا الرجل قد غلب عليه الشوق الى بلاده وصارت هنا على خلاف مراده لان الغريب لا يطيب له غير اوطانه ولا سيما اذا كان الهوى قد تملك فؤاده فان شاء الملك فليأذن له بالرحيل وهذا عنده اعظم الاحسان والجميل قال الملك ذلك مفوض اليه وانا قد امرت له بكل ما اريد ان انعم به عليه . قال الراوي و بعد ذلك خرج المو بذان من عند كسرى وجمع كل ما امر به لعنتر فكان لا يحصى ولا يقدر ثم دعا عنترة اليه واخبره بما انعم الملك عليه وانه قد اذن له بالمسير الى الديار على بركة النار فحمد عنتر وشكر ودعا للدولة الكسروية بالنصر والظفر وقال والله يا مولاي ان بلادكم افضل البلاد كما انتم افضل العباد والذي رايته عندكم ما رأيته في مكان ولا اراه طول الزمان ولكن انت تعلم ان الغريب تغلبه الاشواق وتقف في لهواته غصة الفراق ثم تنفس الصعداء وتنهد واشار الى المو بذان وانشد

هاج الغرام فدر بكاس مدامِ	حتى تغيب الشمس تحت ظلامِ
ودع العواذل يطنبون بعذلهم	فانا صديقُ اللوم واللوّامِ
يدنوا الحبيبُ وان تناءت دارهُ	عنى بطيف زارَ في الاحلامِ
فكأن من قد غاب جاء مواصلي	وكانني اومي له بسلامِ
طال البعاد واطنب الهجر الذي	ما زال يلبسني ثياب سقامِ

ولقد لقيتُ شدايداً واوابداً حتى ارتقيت الى اعز مقـامِ
وقهرت ابطال الوغى حتى غدا جرحي وقتلي من ضراب حسامي
مـا راعني الا الفراق وجورهُ فاطعتـه والدهرُ طوع زمامي

قال الاصمعي ولما فرغ من انشاده رق له قلب الموبذان وقبل عذره في ما هو عليه من شدة الهيمان فاخذه ودخل به على الملك كسرى وكان جالساً في الايوان فرحب به وادناه وقربه وحياه وبش في وجهه واحسن ملتقاه و بعد ذلك قام عنتر على قدميه واستأذن الملك بالرحيل فاذن له وعاهده بان لا يزال يتردد اليه ثم عاد عنترة الى مضجعه والخدم والمماليك بين يديه واخذ يتجهز للمسير وفي قلبه من الاشواق نار السعير فجاش الغرام في نفسه فانشد يقول

يا عبلَ قد سلبَ الغرام منامي والشوق اصبح في فوادي نامي
يا عبلَ هل من نظرةٍ تطفي بها ناري و يشفي باللقاء سقامي
يا عبلَ ما شيء يروق لناظري في الارض غير جمالك البسام
يا عبلَ قد طال الفراق فما الذي يرضاه مني غاصب الايامِ
يا عبلَ هل تدرين ما انا واجد من مدمع يهمي كصوب غمامِ
اني لاصفيك المودة ناصحاً واصد عن عذل وقول ملامِ

قال فما فرغ عنترة من هذه الابيات الا وقد وصلت اليه الانعامات وكانت مبلغاً عظيماً من الاموال والملابس والتحف النفائس والحلي والجواهر والخيول الضوامر والاسلحة الفارسية والخلع الكسروية فصار اغنى من ملوك الزمن واعظم من مناذرة العراق وتبابعة اليمن وافتخر بنفسه على ابناء جنسه حتى صار يظن انه يتناول الثريا بيديه ويسحق الحصى بقدميه هذا وان الموبذان قال له يا ابا الفوارس قد بقي لنا منك ثلثة ايام لكي نستوفي حق الوداع و بعد ذلك تمضي بالسلام قال يا مولاي ليكن كما تريد فانا لك من جملة العبيد قال وقام عنتر مع الموبذان ذلك اليوم باوفي السرور واطيب الحبور و بات عنده تلك الليلة كانه في جنان الحور وكان عند كسرى مرزبان يقال له مهران وهو اخو خسروان الذي قتله عنترة في العراق كما تقدم السياق فلما راى عنترة قد نال هذه النعم والاموال عزم على الارتحال تقدم الى بين ايادي كسرى وقال له ايها الملك ماذا تقول عنك ملوك الزمان اذا اتحفت هذا العبد الكشحان بهذه النعم التي لا يستحقها الا سيد عظيم الشان وقد قتل حاجبك خسروان و كسر جيشك الذي كان عشرين الف عنان وما تقول الملوك الا انك

خفت من سيفه والسنان وربما يطمع فيك قيصر ملك الروم فيجري معك على غير اسلوبه المعلوم والراي عندي انك تاخذ ما اعطيته من الاموال وتجازيه على ما فعله مع حاجبك ومن معه من الرجال فقال له ويلك يا مهران وما الذي يكون عذري بين ملوك الزمان اذا قالوا ان الملك كسرى لحقه الندم ورجع فيما اعطاه من النعم مع ان هذا الرجل وحرمة النار يستحق اكثر مما اعطيناه لانه رفع عنا العار وازال عنا طمع القياصرة واهل تلك الديار وهو لعمري فارس الفرسان وجبار الجبابرة لا نظير له في مملكة الا كاسرة ولا ولا في جزائر القياصرة قال مهران اشتهي ان تحضره الان وتطلب منه ان يقتل الاسد الذي عندك كما يقولون انه قتل الاسد في ارض خفان وهو مقيد الرجلين مطلق البنان فان اجاب وقتله يكون قد استحق هذا الانعام وان قتله الاسد لا تكون اموالك قد ضاعت ولا عتب عليك ولا ملام فلما سمع كسرى كلام المرزبان افتكر في نفسه حصة من الزمان وقد علم ان كلامه حسد وطغيان ولكن اراد ان يظهر ذلك للعيان فامر الموبذان ان يرد عنتر و يامره بالحضور الى بين يديه لاجل امر قد عرض لديه فعندها عاد الموبذان الى عنتر وامره بالحضور الى ديوان الملك في تلك الساعة فقال عنترة سمعاً وطاعة وسار مع الموبذان حتى حضر بين يدي كسرى في الايوان فقال له يا ابا الفوارس انني سمعت من الملك المنذر انك قتلت قدامه اسداً في ارض خفان وانت مقيد الرجلين مطلق البنان وعندي اسد ربيته شبلاً صغيراً والان صار اسداً كبيراً وقد طغى وتمرد حتى لا يقدر ن يقابله احد لانه يقطع السلاسل والقيود و يهجم على المرازبة والجنود فاريد ان تصرم عمره وتكفينا شره فقال عنترة يا مولاي قد سهلت علي الامر ودفعت الشر لانني احسب السباع من كلاب البر وكنت قد ظننت انك رددتني اليك لاجل امر عظيم او خطب جسيم والان فاحضر لي هذا الاسد الكرار وانا استعين عليه بسعادتك وقدرة النار فامر الملك باحضار الاسد الى بين يديه وكان ذلك الاسد كبير الجثة هائل المنظر من رآه يتعوذ بالاله الاكبر فاقبلوا به وكانوا عشرين نفراً من الصناديد ماسكين كل عشرة بجنزير من الحديد و بايديهم دبابيس حديدية تسحق ضربتها الجلاميد وهم يقودون اسداً عظيم الهامة طويل القامة عريض الصدر احمر الوبر غاير المحجر افطس المنخر يطير من عينيه الشرر وله انياب كانها الحراب ومخالب مثل الكلاليب و كبد مثل كركرة الجمل وشدق يسع الحمل وهو يمشي فيكاد يخسف الطريق و يزمجر فيهدر صوته كالجمل الفنيق ولما وصلوا به الى قدام الايوان ارتعدت منه فرائص الشجعان وتعوذ بالنار من هول منظره

الذي يرجف القلوب والابدان فلما رآه كسرى اشار الى عنترة وقال له يا شيزسان اشتهي ان تريني قتلك لهذا الاسد الغضبان ولا تخلي في قلبي هاجساً مما ذكيت عنك العربان قال عنترة سمعاً وطاعة وعسى ان تنشرح انت والجماعة ثم نهض غير محتفل كانه قائم لمبارزة ثعلب او لاقتناص ارنب واستقبل الاسد والابتسام يلوح من جبينه واخذ الدرقة بيده اليسرى والسيف في يمينه وتقدم الى ذلك الاسد المهول وهو ينشد و يقول

يا ليث احذر ان تكون جزوعا　　واحمل عليَّ فلست منك مروعا

اقبل اليَّ فانني لا انثني　　عن قتل مثلك او اكون هلوعا

ان كنت تزعم انّي وجهك عابس　　فانا العبوس ولا اكون شنيعا

اليوم تضحى في الفلاة مجندلا　　وتخرُّ في هذا المكان سريعا

قال فلما سمع كسرى من عنترة هذه الابيات وراى منه ذلك الثبات علم انه لا يبالي بالسباع ولا يهال قلبه ولا يراغ فامر الغلمان ان يطلقوا الاسد من السلاسل لينظروا من يكون القاتل فعندما اطلقوه من تلك الزناجير وهو في قدر الفيل الكبير فعندما اطلقوه دنا اليه الامير عنترة وزعق عليه زعقة تفلق الحجر فاجتمع الاسد ووثب اليه واراد ان يلقي بنفسه عليه فالتقاه عنترة وفي يده سيفه الابتر وجاوله حتى استمكن من ضربه واهوى بسيفه عليه فوقعت الضربة بين عينيه فطلع السيف من بين فخذيه فصاح الملك كسرى احسنت يا شيرسان وحق النور والنيران انك جبار الانس والجان ثم طلبه اليه وقبله بين عينيه وقال له انت في الحقيقة اسد الغاب والاسود قدامك كلاب وكان المرزبان مهران حاضراً في الايوان وكان قد تحقق عنده الامل لما راى ذلك الاسد قد اقبل ان عنترة لا بد ان يقتل فلما ظفر عنترة بالاسد تمزقت احشاؤه من الكمد وتمنى انه لم يولد وحينئذ قال له كسرى خسيت ايها اللعين وامر بضرب عنقه من ذلك الحين فضربوا عنقه قدام الايوان وامر بضبط كل ما في داره من الاموال والتحف الحسان وقال لعنترة ان هذا الخبيث اشار عليَّ باسترجاع ما اعطيتك من الاموال ومبارزتك للاسود وذلك كله لما في قلبه من الطغيان والحسد فاردت ان اظهر شجاعتك على رؤوس الاشهاد واخذل الاعادي والحساد وهذا اللعين قد لقي عاقبة بغيه واجتنى ثمرة سعيه وقد اضفت اليك ما عنده من الاموال تخذها فوق ما اعطيتك من الانعام وارحل الى ديارك بالسلام فقبل الارض بين يديه وشكره واثنى عليه وامر الملك اجناده بالركوب لوداع عنترة وخرج هو والموبذان والحجاب وجماعة من العسكر وانتشروا في تلك الارض حتى ملأوها بالطول والعرض

وبعد ذلك ترجل عنترة وقبل رجل الملك في الركاب وودع الموبذان والوزراء والحجاب فقبله كسرى بين عينيه وامره ان يتردد اليه في كل عام ووعده بمواصلة الهبات وسار في ذلك الموكب الامير عنتر كأنه الملك قيصر او احد ملوك بني الاصفر والى جانبه الملك المنذر وهو مسرورٌ بتلك النعم التي اظهرت فضل العرب على العجم وكان عنترة حينئذ هو الملك في الحقيقة والمنذر عنده كبعض الخدم وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الحيرة وقد انتشرت قدامهم الاحمال والخيول فملأت تلك الفلوات والسهول وخرجت اولاد الملك المنذر لاستقبالهم في جنودهم ورجالهم وانبهرت العرب من ذلك الموكب العظيم ونظرت من تلك الهدايا والتحف ما لم تنظره في الزمان القديم ولما استقر الملك المنذر في اوطانه اخلى لعنتر مكان يليق بشأنه فقال يا ملك وحياتك لا اقدر على المقام اكثر من ثلاثة ايام فضربوا له الخيام بظاهر الحيرة وصنع الملك المنذر وليمة كبيرة واخذ الناس في اكل الطعام وشرب المدام ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلب عنترة الاذن بالمسير فاجابه الملك المنذر بذلك وامر له بالف ناقة من النوق العصافير محملة من هدايا العراق وظرائف تلك الآفاق وقال له يا ابا الفوارس خذ من عساكري ولو مائة خيال حتى يوصلوك الى اهلك باليمن والاقبال فقال عنترة يا ملك انا لا احتاج الى غفير و باسمي ينادي كل كبير وصغير واذا كان معي فرسان فانا غفيرها وحاميها وحافظها وراعيها ثم ودعه وشكر فضله وقال له والله يا مولاي ما اعد هذا الذي وصل اليَّ الا من نعمك ولا انا ايها الملك من اليوم فصاعداً الا من عبيدك وخدمك لانك اطلقت لما امرت وعفوت لما قدرت وجدت وما قصرت فلا زالت سيوفك على اعدائك مسلولة واموالك للقاصدين مبذولة وسار عنترة وهو يقطع المراحل و يشتهي ان ينهب الطريق ليقرب وصوله الى المنازل

قال الراوي وما زال عنترة يقطع القفار و يواصل سير الليل بالنهار و يطلب المنازل والديار حتى توسط الطريق فوصل الى ارض يقال لها ذات المناهل وكان عنترة قد سبق العبيد وتركها تسوق الجمال وتقدم لينظر لها المراتع والمياه فلما وصل الى تلك الارض راى خمسة عبيد في ذلك المكان ومعهم هودج على راسه هلال من الذهب الاحمر ومن داخله شخص ينادي من فواد مقروح وقلب مجروح واذلاه من بعدك يا عنتر اين عينك تنظر ابنة عمك مسبية في هذا البر الاقفر لعنة الله على ابي مالك ولا نجاه من المهالك وشل الله اليد التي ارتفعت عليك و يا ليت عيني تغمضت قبل عينيك ثم اخذت

في البكاء والشهيق وتارةً يغشى عليها وتارة تفيق وهي تنشد وتقول

اين عيناكَ يا ابا الفرسانِ ... تراني في ذلة وهوانِ
مع انلس لا يحفظون ذماماً ... لا ولا يرجون للرحمانِ
ليت لا كنت في زمان خؤون ... غادر في مذلة قد رماني
قصر الله مـدتي بعـد ليث ... كان حامي الحريم والاوطانِ
فسقى الله قبره وبل غيث ... هاطل دائم مدى الزمانِ
فلقد كان فارساً يقهر الاسـ ... ـد و يغزو الابطال في الميدان

قال الراوي فوقف عنتر و بقي في ذلك الهودج وقد خفق قلبه وانزعج واراد ان يعلم من هو هذا المنادي باسمه وقد قلق لما سمعه من كلامه ونظمه فتقدم حتى قرب من العبيد ونادى و يلكم لمن هذه الخيام ومن هو الذي يريد النزول في هذا المقام ومن هذه الجارية التي تبكي وتتحسر وتنادي باسم عنتر فاقبل عليه بعض العبيد وقال له اذهب يا وجه العرب ودع عنك الفضول قبل ما يشرف عليك طارقة الليالي فيامرك و يضيفك الى من معه من الفرسان. قال عندها خفق قلب عنتر من هذا الخبر ووقف وقد انذهل وتحير واذا بسجف الهودج قد ارتفع وظهر منه جارية نحيلة صفراء نحيفة غبراء قد ذبلت من الهزال وذابت حتى صارت كالخلال فلما رأته شهقت شهقة كادت تقضي عليها وصفقت بيديها وقالت يا ابن العم وانت في عدد الاحياء اكون انا في ايادي الاعداء ثم رمت بنفسها الى الارض وهمت ان تقوم وتتعلق بركابه فلم تقدر على القيام وطفح السرور على قلبها فاغمي عليها وانعقد لسانها عن الكلام فتفرس فيها عنتر واذا هي بنت عمه عبلة التي لاجلها كانت هذه الرحلة. فصاح بملء راسه صيحة تصدع الحجر وقال الله اكبر ماهذا يا ابنة العم الكريمة وماذا القاك في البلية العظيمة. ثم هم ان يترجل اليها واذا بالعبيد قد ركبوا وصاحوا به و يلك يا عبد السوء لا تتعرض لنساء الموالي هذه زوجة سيدنا طارقة الليالي وحق ذمة العرب لقد سقت الى منيتك قدمك وستندم حيث لا ينفعك ندمك خلّ يا و يلك عن الجارية وانجُ بنفسك والا فابشر بحلول رمسك فعندها تقدم عنتر اليهم وهمهم وزعق ودمدم واطلق نحوهم العنان وقوم السنان واستقبل الاول منهم بالطعنة في صدره اطلع الرمح من ظهره واعترض الاخر وضربه بالسيف على عاتقه فاطاحه يلمع من علائقه فلما راى اصحابه ذلك عادوا على الاعقاب وطلبوا رؤوس الروابي والشعاب ورجع عنتر كانه الاسد اذا خرج من الغاب او الصاعقة اذا شقت اذيال السحاب

قال الراوي وكان السبب في ذلك انه لما وصل شيبوب ونعى اخاه عنتر كما تقدم الايراد ضج الحي بالبكاء والعويل وقامت الافراح عند بني زياد ودارت البشائر عند بني قراد ومن يجاريهم من الاعداء والحساد وكان ذلك اليوم كيوم البعث الموعود او يوم اخذ الصيحة لقوم عاد وثمود حتى زهقت من القوم الارواح وكادت الارض تتزلزل من شدة الصياح . وكانت اشد الناس لوعةً بنت عمه عبلة فانها خرجت من خدرها وهي تلطم على وجهها وصدرها وقد تهتكت ونشرت ذوائب شعرها فكانت كانه اصابها مس من الجنون وصارت تهذي بما يكون وما لا يكون ولا سيما ان ذلك قد اصابه من اجلها فكانت تشتهي لو ان ما اصابه جرى عليها وعلى اهلها . ولما شاع الخبر بقتل عنتر استدعى الملك زهير اخاه فاخبره بما جرى وقال قد قتل حامية بني عبس وتمدد على ذلك الثرى فقل لعمارة بن زياد يحمي بعده الحي كما حماه في وقعة بني طي . فتاسف الملك زهير كما تأسف الناس وكذلك ولده مالك بخلاف اخيه شاس واما ابو عبلة واخوها فانهما كانا غائبين في ذلك الحين وكثر في نسائهما التعنيف والملام من بني عبس المحبين فارتحلن ومعهن خمسة عشر فارساً من بني عبس حتى وصلوا الى بني كنانة وهم بحالة الذل والنكس وكان مالك وولده عمر قد وصلا ذلك الحي بالامس وكان فارس بني كنانة واقد بن مسعر غضبان على قومه ومنفرداً وحده فوقع ببني عبس وقاتلهم فقتل منهم خمسة رجال واسر الباقين وطالبهم بالفدى واكثر عليهم في طلب الاموال وكانت احدى العجائز قد رات عند وصولهم الى تلك البلاد فقالت له ان لهذا الشيخ الذي يسمى مالك بن قراد بنت ما لها نظير بين العباد اطلبها منه فداء وفداء ابناء عمه فانها افضل من ملك فرعون ذي الاوتاد . فطلبها منه فاجاب وسلمه اياها وخلص بني عمه من الاسر والعذاب هذا وعبلة تصيح وتنادي وليس لها مجير ولا فادي وسار بها طالباً دياره وهو مسرور بذلك التوفيق لانه ابتهج بمنظرها الجميل وقوامها الرشيق فالتقاه طارقة الليالي في الطريق ولما رأى عبلة وقعت من قلبه موقعاً عظيماً وحلت منه محلاً كريماً فحمل على واقد وقد انتشب بينهما القتال فما جال معه جولة حتى القاه قتيلاً على الرمال واخذ عبلة وارسلها مع عبيده الى المنهل حتى اوصلوها اليه ووجدتها عنترة عليه وكان العبيد الثلاثة الذين سلموا من سيف عنتر انطلقوا الى سيدهم طارقة الليالي واخبروه بالخبر لانه ارسل مع العبيد ونزل يستريح في مكان بعيد . وكان عمارة بن زياد وعروة بن الورد في بلاد اليمن وقد اغارا على قوم من تلك

الدمن فاخذا بعض ثيابهم وساروا بها في ذلك القفر فمرا في طريقهما من هذا المكان
ورايا طارقة الليالي قد اسر ابا عبلة واخاها عمر فعند ذلك تقدم عروة بن الورد اليه
واراد قتله وخلاص عبلة وابيها واخيها من يديه فاسره طارقة الليالي وامر بشد وثاقه
وحمل عمارة ليقاتل قدام عبلة فاسره ايضاً واضافه الى رفاقه وارسله مع عبلة الى
الغدير وترجل لكي يستريح من حرّ الهجير . وفي ذلك الوقت وصل عنتر وقتل العبدين
كما سبق الخبر واما عبلة فلما نظرت عنتر عاشت روحها بعد الممات وعادت اليها الحياة
وحدثته بما جرى عليها كما حدثها بما جرى عليه وهو يتأسف ودموعه تسيل من عينيه
ثم اخبرها بما اتاها به من الاموال والتحف وما تنال به بين النساء من الفخر والشرف .
فقالت له يا ابن العم بالله عليك خذني وخذ هذه الاموال وارجع بنا الى الملوك الذين
نلت منهم هذا النوال ودعنا نعيش عندهم باقي عمرنا ونستريح من هذا العنا فتبسم
عنتر من كلامها وقال لها والله لا اخرج من هذه البلاد حتى آخذك رغماً عن الاعادي
والحساد واشفي قلبي وقلبك من اهل البغي والفساد واجعل تحت قدميك رووس بني
زياد وبني قراد وفي اثناء ذلك اقبلت العبيد والابطال ومعهم الاموال والرحال فامرهم
عنتر بالنزول في ذلك الصعيد واوصى بعبلة بعض السادات والعبيد وتقدم لكي يلتقي
طارقة الليالي بقلب لا يهاب ولا يبالي وكان طارقة الليالي سائراً على اثر اصحابه واذا
بالعبيد يتراكضون اليه وهم يصرخون عليه فقال لهم ياويلكم ما وراكم وماذا دهاكم
قالوا ان شملنا قد تبدد والجارية قد اخذها عبد اسود فلما سمع هذا الكلام هدر
وزمجر وطار من عينيه الشرر وانعطف راكضاً نحو الغدير حتى التقى بعنتر فصاح فيه
ويلك يا ابن الامة المقذرة انت الذي قتلت عبيدي واخذت جاريتي المخدرة فقال له
عنتر بل الويل لك يا ابن الزانية ويلك متى صارت عبلة بنت مالك العبسية لك جارية
وانا قد قاسيت الاهوال لاجلها ولولا غربتي في طلب مهرها لما قدرت ان تنظر الى نعلها
فدع ما انت فيه من الهذيان ودونك الضرب والطعان . قال جهينة اليماني وعندها
انطبق عنتر على خصمه كصاعقة الغمام واخذ معه في الصدام حتى لاحت له فرصة
فضربه بالسيف على راسه فظل السيف يهوي الى تكة لباسه فاقشعرت من تلك
الضربة الابدان ونادت عبلة لا شلت يداك يافارس الفرسان ثم ركض عنتر الى
الاسارى العبسيين فحلهم من وثاقهم وسلم على عمه وقال له ابشر يا عماه بالخلاص من
الهلاك واعلم ان جميع ما اصابك جزاء ما قدمت يداك لانك زوجتني ابنتك وارسلتني

في طلب الصداق وارميتني الى بحر المنايا بارض العراق لاجل طلب النياق ونكثت العهد والميثاق وزوجتها بفارس بني كنانة وضيعت المروة والامانة فلقاك الله عاقبة الخيانة · فقال ياولدي لا تعتب علي فاني معذور لانه لما اتى اخوك شيبوب ونعاك وقطع رجانا من بقاك اتفق انني وقعت انا وولدي عمرو ومعي جماعة من اخواني في قبضة يد واقد ابن مسعر الكناني وكنا قد اشرفنا على ضرب الاعناق حتى وصفت له امرأة عجوز ابنتي فطلبها مني فدى ارواحنا فاعطيناه اياها ومن علينا بالاطلاق ثم اخذها وطلب دياره فوقع مع طارقة الليالي فقتله واخمد ناره واسرنا واخذ عبلة حتى اتيت وعجلت دماره والان نحمد الله على سلامتك ورجوعك الى الاوطان وجبر قلب ابنة عمك التي لا يليق لها غيرك يا فارس غطفان قال عمارة اي والله يا ابا الفوارس انه قد رجع الحق الى اصحابه والسيف الى قرابه فالحمد لله الذي اعادك اليها سالماً من كيد اعداك والويل لمن يطلبها سواك · وقال عروة صدقت ياوهاب انه لا يليق لعبلة الا عنتر ولو كان من تبابعة بني حمير لان الله قد قسم له بها فلا يليق ان يتعرض لها احد من البشر واما عنتر فكان يعلم ان ذلك منهما على سبيل المكر والمحال ولكنه شكرهما وعادبهما الى محط الرحال · قال صاحب الحديث فلما راوا تلك التحف والاحمال اخذهم الانذهال فقال مالك لعنتر يا ابن اخي لمن هذه الاموال والنعم لعل احداً انزل في هذا المكان من ملوك العجم قال عنتر لا وذمة العرب ياعماه هذا جميعه لعبدك عنتر الذي ارسلته ليأتيك بالنوق العصافير وهذه هي النوق ومعها هذه الاموال التي توزن بالقناطير ثم نزل بهم في بعض الخيام وامر العبيدان تذبح النوق والاغنام واخذيقص على عمه ما جرى له مع الملك المنذر وكسرى وفارس الاروام وما اعطاه الله من الرفعة وعلو المقام هذا وعمارة بن زياد يسمع وقلبه يذوب ويتقطع وما انتهى عنتر من الكلام حتى كان راج الطعام وتقدمت به العبيد والخدام وكان عنتر كلما تقدم اليه احد من الغلمان حتى يخدمه يقول له اخدم هولاء السادات الاماجيد لانهم الموالي ونحن العبيد وكان عمارة واصحابه كانهم ياكلون من شجرة الزقوم ويشربون من ماء الصديد لشدة ما نابهم من الغم والكمد وما لذع اكبادهم من نيران الحسد و بعدذلك دخل عنترعلى عبلة وقال لها ابشري يابنت العم بالسعادة والاقبال في خدمتك جميع هذه الجواري والاموال وهذه الملابس والتحف الفاخرة وهذا التاج الذي هو من ذخائر الاكاسرة · قالت عبلة والله يا ابن العم ان سلامتك عندي احب الي من كل

ما ذكرت وما ارى العز الا اذا حضرت فان عودتك الي تسوى الدنيا ومافيها وبدونك لا خير في الدنيا ولا في اهاليها . قال الراوي ثم ان عنتر ركب بعض الجنائب وخرج للحرس خوفاً من طوارق الظلام وكان عمه مالك قد استحى منه فقام هو وولده عمر وعروة بن الورد وارادوا ان يتولوا الحرس فردهم واقسم عليهم باعظم الاقسام وقال لا وذمة العرب الاماجيد لا يمكن ان الموالي تخدم العبيد لا سيما وانتم لكم عدة ليال لا تلذذتم بطعام ولا تهنئتم بمنام هذا كله يجري من عنتر وهو ليس له عندهم قدر ولا قيمة لان البغضة في قلوبهم قديمة . ثم انهم باتوا تلك الليلة على مقالي الجمر ولا سيما مالك وولده عمر لانهم كانوا قد اطمأنوا على هلاك عنتر فرجع سالماً وهو صديق الملك المنذر والملك الاكبر ونال منهما تلك النعم التي لا تحصى ولا تقدر هذا وعمر اخو عبلة يقول والله يا ابتاه ما بقي لي اقامة في هذه البلاد لان عيني لا تقدر ان تطيق ان عبد احتي قد ملك زمامها ونال منها المراد فقال له ابوه ياولدي لا يقدر الانسان ان يعاند اله البرايا فاننا احتلنا عليه وانفذناه الى بحار المنايا فسلم منها واتى ومعه هذه الاموال والهدايا فعند ذلك قال عروة بن الورد وذمة العرب ياعمر لئن وصل عنتر الى بني عبس ومعه هذه الاموال وفرقها على الرجال ملك المملكة قهراً وعزل زهير عنها جزراً فلما سمع عمارة هذا الكلام بقي مما حل في قلبه من الالام وقال واذلاه يا بني الاعمام . لقد انفطرت مرارة الامير عمارة من هذا العبد السوء الذي اسعده الزمان بعد ما كان يرعى النوق والفصلان فوالله لو ان طارقة الليالي ذبح عمارة لكان اهون عليه من ان يسمع ان عنتر عاد وهو سالم ومعه هذه الاموال والغنائم قال وما زالوا على مثل ذلك حتى اصبح الصباح وما فيهم من نام ولا استراح ولما طلعت الشمس اتى عنترة وشاور عمه في الرحيل الى ديار بني عبس فقال ذلك اليك ونحن كلنا في يديك فعندها صاح عنترة في العبيد وامرهم بالارتحال فقوضوا الخيام ورفعوا صناديق الاموال وسائر الاحمال على ظهور النياق والجمال وقدموا عمارية الفضة الى عبلة وهي مرصعة بالجوهر واخرج لها حلة من حلل الملك الاكبر ما لبس مثلها نساء الملك قيصر ولا بنات ملوك بني الاصفر ثم وضع على رأسها ذلك التاج وهو يلمع كالكوكب الوهاج فزادت جمالاً على جمال وزاد عمارة خبالاً على خبال وقال في نفسه ويلك ياعمارة انت من الساعة قد وقعت في هذا الحال فكيف اذا رايت قد دخل عليها راعي الجمال هذا وعنترة قد سلم عبلة الى ابيها وقال له ياعم تسلم ابنتك وهذه الاموال وافعل معي ما انت له اهل

من الاعمال فدعاله عمه وشكره وقد اظهر لهُ خلاف ما اضمره وقال له يا ابن الاخ ما عبلة من اليوم غير امتك ونحن عبيدك وفي خدمتك . فعندها اشار عنترة اليه وانشد

ان لم تكن لي مسعفاً من مسعفي | او لم تكن لي منصفاً من منصفي
او لم تكن توفي بوعدك للذي | خاض البلاء والمنايا فمن يفي
يامقصد القصاد يا كهف الرجا | يا جابرَ القلب الكسيرِ المدنفِ
كن لي بحقك مسعداً ومساعداً | فعسى ارى نيران قلبي تنطفي

قال فشكره عمه ووعده بكل جميل وزاد له في الاكرام والتبجيل ولم يزالوا سائرين في تلك الفدافد حتى ما بقي بينهم وبين بني عبس الا يوم واحد فطلبوا عمارة فما وجدوه ولم يكن عند احدٍ عنه خبر ولا ظهر له عين ولا اثر فقال مالك ابو عبلة يا ابا الفوارس ما اقول الا ان عمارة قد سبق الى اهلنا يبشرهم بسلامتك ويعلمهم باقبالك وسعادتك قال عنترة ياعماه مالي عند عمارة هذه المنزلة الجليلة ولو كان كذلك لكان خرج الملك زهير واولاده الى لقائنا وجميع القبيلة قال يا ابن الاخ انا اشتهي ان امضي الان واشرف على العشائر والتقي في الحي البشائر قال له ياعماه افعل ما تريد فانا لك من جملة العبيد وان شئت تأخذ ابنتك معك فان الاولى بها ان تتبعك قال لا والله يا ابا الفوارس ما تكون ابنتي الا عندك فذلك احفظ لها وانت اشفق مني عليها لانك قد صرت بعلها ثم سار هو وولده عمرو وعروة بن الورد وزوجته شريحة وقد ركبوا من خيل عنترة المستريحة وتقدموا وهم يتشاورون في هلاك عنتر ولا يدرون باي حيلة يتيسر هذا وعمرو اخو عبلة يقول والله ماهذا الا غبن عظيم من هذا العبد الزنيم لان عمارة ما هام على وجهه الا من اجله فياليتني كنت فعلت مثل فعله وكنت اصحب الوحش بقية عمري واموت وانزل في قبري ولا ارى هذا العبد صهري فقال له ابوه مالك ياولدي لاتضيق صدرك ولا تزعج فكرك فانا اذا عجزت عن هلاكه اقتل اختك بيدي في الليل واريح نفسي من هذا العناء والويل لان العرب قد فعلوا ذلك قبلي في جميع الاعصار وقتلوا النساء والبنات واستراحوا من العار ثم انهم جدوا في سيرهم حتى اصبحوا في ديار بني عبس عند طلوع الشمس فعندها قصد مالك بيوت بني قراد حتى انتهى الى خيمة شداد وهو يقول والله العظيم ان موتي اهون عليَّ من قدومي مبشراً بسلامة هذا العبد الزنيم ثم انه دخل على اخيه شداد وقال له قم يا اخي الى استقبال ولدك الذي عاديتني من اجله وقلت اني كنت السبب في قتله فانه قد رجع وهو سالم ومعه اموال وغنائم فقال شداد حقاً تقول يامالك قال نعم وحق مالك

المالك فعند ذلك نهض شداد وركب متن الجواد ولبس لباس الافراح بعد لبس الحداد ولم يبق في البيوت امة ولا حرة مكرمة الاوخرجت وهي تنادي بالافراح بعد الاتراح وضربت الدفوف والمزاهر وقامت في جميع الحي البشائر وبلغ الخبر الى الملك زهير فقال للعبيد انظروا ما الخبر قالوا جاءت البشائر بقدوم عنتر فانهُ اتى ومعه غنائم واموال قد ملات السهول والجبال

قال الملك زهير والله ان هذا من اعجب العجب لانه ما سمع بمثله بين العجم والعرب ثم نهض من ساعته ومعه اولاده وعشيرته واجناده وكان افرح الجميع بذلك ولده مالك وساروا وتركوا البيوت خالية ولم يبقَ في الحي الا شيخٌ كبير ضعيف عن القيام اوطفل صغير لا يعي حوادث الايام قال وكان عنترة بعد مسير عمه اقام الى نصف الليل ورحل على الاثر وهو يحادث عبلة و يلتذ منها بالحديث والنظر ومازال كذلك الى وقت الظهر وعند ذلك قال لعبلة اعلمي يابنت العم ان اباك يكون قد وصل الاحياء واعلم اهلنا بقدومنا فخرج لملتقانا اهل الحي من الرجال والنساء ولا بد ان يكون معهم الملك زهير واولاده وعشيرته واجناده وانا لااريد ان اكلفهم المسير الى مسافة طويلة والراي عندي ان انقدم والتقيهم قريباً من الحي على مسافة قليلة و بعد ذلك تقبلون علينا الاني قد امنت عليكم من حوادث الزمان فان هذه ارضنا ومنازل ابي عدنان ومن هناك سار عنترة والبر لا يسعه من شدة الفرح الى ان تضاحى النهار واذا بالغبار بين يديه قد ثار ثم انكشف فظهرت من تحته بنو عبس و بين ايديهم الاماء والحرائر وهنَّ يضربن بالدفوف والمزاهر وقد لمعت عَلَى اكتافهم اسنة الرماح والرايات على رؤوسهم تخفق مع هبوب الرياح والملك زهير بين ايديهم وعلى راسه راية العقاب واولاده من حوله كانهم الاسود الخارجة من الغاب فلما رآه عنتر ترجل عن جواده الابجر ولما قربوا منه وعرفوه صاحوا باصوات الافراح حتى ازعجوا البر بالصياح وتجارت اليه الفرسان كانهم اسود البطاح هذا وعنترة يقبل الارض الى ان صار بين يدي الملك زهير فترجل وعانقه وقال الحمد لله الذي ارانا وجهك بسلامة وخير وصار هو والملك زهير واولاده وهم يقولون يا ابا الفوارس لا اذاقنا الله فقدك فلا خير في الدنيا بعدك وصار الملك زهير يساله عن سفره وهو يحدثه عما جرى له مع الملك المنذر والملك الاكبر والبصرموت الذي ارسلهُ الملك قيصر قال وكانت امه زبيبة قد خرجت مع النساء وهي قد ذابت حتى صارت كالشبح وصارت تقبله وتحمد الله وهي لاتدري ما تقول وهو لا يفهم ما تقول لان لسانها انعقد من شدة الفرح واخواه جرير

وشيبوب يصفقان ويدوران حوله ويرقصان ومافرغ عنترة من حديثه مع الملك زهير حتى اقبلت عبيده تسوق النوق العصافير وقدامهم الاحمال على متون الجمال كانها بعض الجبال وقد لبست المماليك افخر الملابس كانهم العرائس وبين ايديهم الجواري الروميات والسراري الفارسيات واقبلت عمارية الفضة المرصعة بالجواهر المثمنات وقدامها الجنائب القيصريات والخيول الكسروية ولما قربوا من مولاهم عنترة داروا به من اليمين والشمال وانتشرت حولهم الجمال وعليها صناديق التحف والاموال ثم ان عنترة قاد الى الملك زهير عشرة جنائب بمراكبها وجلالها وخمسة جمال بصناديقها واموالها وفرق التحف والاموال على جميع اهل الحي فكان اكرم من حاتم طي ولم يبق احد من النساء والرجال الا غمره بالعطاء والنوال وما زال يبذل ذلك العطاء الكثير حتى لم يبقَ له الا النوق العصافير فسلمها الى عمه مع ما كان له من التحف والملابس والاسلحة والدنانير فكان حمده على السنة الجميع يتلى وكادوا يسجدون له كما يسجدون للهبل الاعلى هذا والملك زهير قد انذهل من كثرة ما راى من الاموال التي تدهش الابصار وتحير الافكار وامر الناس بالعودة فعادوا طالبين الاوطان وعنترة الى جانب الملك زهير يحادثه كانهما اخوان ولما وصلوا الى الحي طلب كل واحد منهم منزله وعاد عمر اخو عبلة وهو يقود العماريات التى فيها اخته الى مضارب بني قراد وقد كاد من الغم ان يقضي اجله ثم تقدم وكشف سجف العمارية لكي ينزل اخته وقال لها انزلي يا عبلة فقد زالت عنك الدبلة فلم يجبه احد بكلمة ولا جملة فرفع الستر ونظر فلم يجد احداً فعندها طاش عقله وكاد ان يموت كمداً وانطلق من ساعته الى عنترة وسأله عنها فقال والله يا ابن العم فارقتها وهي في العمارية من السحر فاخبره عمه بالخبر وقال له لك الراي والنظر فلما سمع ذلك الكلام عنتر اصفر لونه وتغير وصرخ بصوت ارعب به قلب كل من حضر وقال لهو يلك انا من السحر تركتها في العمارية ووكلت بها العبيد وسبقت حتى لا ازعج خاطر الملك زهير بسفرٍ بعيد فماذا جرى عليها ومن قدر ان يصل اليها فقال والله لا ادري انا كنت معكم وقد حرت في امري فتحير عنتر وعظم ذلك لديه وخيل له ان الارض انطبقت جميعها عليه فجمع اليه العبيد وسالهم عنها فما وقف احد على خبرها ولا وقع على اثرها فانذهل لذلك وتحير وفاض دمعه على خديه وانحدر واحس بان قلبه قدا نفطر وشاع الخبر في الحي فانقلبت تلك الافراح الى الغموم والاتراح وسرت الاعداء والحساد

انتهى الجزء الخامس من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء السادس

الجزء السادس

من سيرة

عنترة بن شداد

وقالوا جعل الله طريقها مهلا وجمع له بها شملاً وسمع الملك زهير بذلك فركب ومعه ولده مالك وتجارت خلفهم الفرسان وطافوا تلك الارض في الطول والعرض فلم يقعوا لها على اثر ولا وقفوا على خبر وعاد عند المساء بالخيبة عنتر فطار من عينيه الشرر وفاض دمعه وانحدر مثل سح المطر فقال له الملك زهير لا تضيق صدرك يا ابا الفوارس فوحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا بد لي من كشف اخبارها ولو انها خلف سد الاسكندر فقال عنترة يا مولاي والله قد كان الخطا مني اول الحال لانني تركتها وسعيت الى ملتقاك لئلا يبعد عليك المجال ثم انه طلب بيت امه زبيبة وهي في الانتظار وفي قلبها من اجله لواعج النار وكان عروة بن الورد قد حدث بني زياد بحديث اخيهم عمارة كيف خلصه عنترة من الاسر والوثاق لما كان عائدًا من ارض العراق وجاد عليه بالاطلاق وكيف فقد منهم في الليل ولم يعلموا اين ذهب من بين تلك الخيل فقال الربيع وحق ذمة العرب ان اخي قد شرب كاس العطب وما قتله الا هذا العبد الذميم والوغد اللئيم وانا لا اطلب ثاري منه ولا اطلبه الا من الملك زهير فان سلمه الينا والا رجلناه عن جواده واخذنا ثار اخينا بيدينا قال فباتوا تلك الليلة ينتظرون السحر ولما اصبحوا دخل الربيع واخوته على الملك زهير واخبروه بامر عمارة وطلبوا منه عنترة فقال لهم بالله عليكم يابني زياد اتركوا هذا الرجل ودعوا عنكم البغي والعناد ولاسيما انه اليوم غارق في بحار الوسواس وعنده شغل شاغله عنكم وعن جميع الناس ولو كان يريد ان يقتله كان قبل الان اهلكه لانه ظفر به مرارًا وتركه ولكن اذا ثبت انه قتل اخاكم فانا اسلمكم اياه واعينكم عليه حتى تعدموه الحياة قال الربيع ياملك انه يشق علينا ان يكون دم عبد شداد ابن الامة لقاء دم اخينا ابن الحرة المكرمة ثم خرج هو واخوته من عند الملك زهير بحالة الكمد وقد اشتد بهم الغضب والحرد قال وكان السبب في

فقد عبلة امرًا من اغرب العجب وحديثًا من اظرف الاحاديث التي جرت في ايام الجاهلية العرب وذلك ان عنترة لما فارق عبلة في الليل واوصى عليها العبيد وبقية القوم حتى يلتقي الملك زهير وبني عبس اخذها النوم فنامت في العمارية والعبيد تسوق الجمال وسارت الاماء بجانبها عن اليمين والشمال وقد اخذهنَّ الكرى من طول السرى فصارت المطايا تقصر عن المسير وصار بينهم وبين السابقين بعد كثير وما زالت كذلك الى ان ابيض مفرق الشمس وبدا الصبح ينشق فانتبهت عبلة ونظرت الى ما حولها من الجهات فلم تجد احدًا في تلك الفلوات فقالت للامة ويلك اين الاظعان فاني لا اري احدًا في هذا المكان فطار النوم من راس الامة وقالت يا مولاتي ما عندي منه علم ولا خبر لان النعس قد اعمى مني البصر ولكن ما عليك خوف ولا حذر لاننا ما ضللنا عن الطريق ونحن سائرون على الاثر وحس العبيد بين يدينا واصواتهم واصلة الينا قال فلما سمعت عبلة طاب قلبها ونزلت من العمارية لتقضي حاجة لها وقالت للامة سوقي فها انا على اثرك فساقت الامة وسارت قبلها قال فبينما عبلة كذلك اذا هي بفارس قد اقبل من جانب القفر وكان قد انشق ذيل الفجر فلما رآها صاح وافرحاه بعد ترحاه وحق ذمة العرب لقد انتبه الزمان من رقدته وافاق من غفلته وقد ظفرت يا عمارة بالبدر المنير واشتفى فؤادي من ذلك العبد الطنجير قال وكان هذا الفارس عمارة بن زياد لاننا ذكرنا ما جرى له مع عنترة بن شداد وما اصابه من نار الحسد ومرض الفواد لما رآه قد عاد وهو سالم ومعه تلك الاموال والغنائم وانه قد تمكن من الدخول والخروج على عبلة وهو مطرود عنها في حال الهوان والمذلة فلم يقدر على المقام فخرج في الليل من الخيام وهام على وجهه بين الربى والاكام واستمر ليلته لا ينام ونهاره لا يذوق الطعام وكان يسير تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال ويتبع اثار النوق والجمال ولما تمادى به السير انشد وقال

اسيرٌ وقلبي في البلاد اسيرُ	وارجو يسيرَ الوصلِ وهو عسيرُ
وابكي على ذلي وقد كنت سيدًا	اليَّ صناديد الرجال تشيرُ
ولولا صروف الدهر ما انحط ماجدٌ	ونال العلا عبد وذلَّ اميرُ
اهيم واشكو في الفلا حرقة الجوى	وبين ضلوعي للغرام زفيرُ
وتجذبني الاشواق يا بنت مالكٍ	اليك على رغمي فاين اسيرُ

قال الاصمعي فبينما عمارة ينشد هذه الابيات اذ نظر الى عبلة في تلك الجهات فلما عرفها

غاب عن رشده من شدة السرور وانقض عليها انقضاض النسور واخذ بيدها وشالها وراءه وأغار بها في اقطار الفلاه وهي تصبح ويلك يا عمارة تسبيني وانا بنت عمك وقطعة من دمك ولحمك فقال لها اي والله اسبيكِ ولاموت قتيل هواكِ ومادمت في الحياة لا اترك عنترة يراكِ فقالت له لا والله ثمرك ما تنال مني غرضاً ولا تزيل من قلبك غصةً ولا مرضاً وبعد ذلك ان كنت لا اقدر ان منع مثلك عن مثلي فلا سلمت ولا رجعت الى اهلي فقال عمارة الامر اليك يا بنت الكرام وليس هذا موضوع الكلام ثم اركض فرسه وهي وراءه طالباً ارض بني طي وعول ان يستجير بنجم ابن حنظلة الطائي ويقيم عنده في ذلك الحي وما زال يقطع الفلاه حتى وصل الى بعض المياه فنزل هناك واذا بغبار بين يديه قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن ثلاثمائة فارس كانهم الاسود العوابس وهم يطلبون ذلك الماء وبينهم فارس كانه العمود او من بقايا قوم عاد وثمود وعلى راسه عمامة خضراء وعليه حلة حمراء وهو متقلد بسيف ابتر وعلى عاتقه رمح من اعمال سمهر وكانت هذه الخيل من بني طي والمقدم عليها معرج بن همام وكان من ابطال العرب العظام وانه نظر الى عبلة وما عليها من الحلى والحلل فقال لقومه ابشروا فقد اتانا التوفيق من اقرب طريق فأن هذه الجارية لا شك من بنات الملوك وقد وقع بها هذا الفارس الصعلوك فدونكم اياه خلصوها منه وان مانع عنها فاقطعوا راأسه واخمدوا انفاسه فعندها تجارت الفرسان الى عمارة وداروا حواليه بالخيل والمهارة وقالوا له قم يا كشحان الى خدمة الفارس الهمام الامير مفرّج بن همام فلما سمع عمارة هذا الكلام زهقت روحه حتى كادت تخرج من جسده وانقطعت علائق قلبه وكبده وعرف انه ان مانع خذل وان قاتل قتل واراد ان يسلم نفسه للعدى ويضمن لهم الفدى فمنعه الحيا وحمله الهوى على ان يرمي نفسه في البلا وخاف ان تراه عبلة بعين النقصان فيكون عندها بمنزلة الهوان فقال لها لا تجزعي يا بنت العم فاني امانع عنك الاعداء بالسيف والسنان وابذل نفسي دون محبتك وافديكِ من طوارق الزمان وان كانت قد حانت منيتي على يدك ورجعت الى احياء بني عبس وعدنان فانا استحلفك باللات والعزّى والهبل الكبير الاعلى ان لا تمكني ذلك العبد من نفسك ولا تتزوجي الا من ابناء جنسك فلما سمعت عبلة من عمارة ذلك الكلام صارت تعض على بنانها وزنودها وفاضت دموعها على خدودها وقالت يا عمارة لا عمر الله بك الاوطان ولا نجاك من نوائب الزمان كما اوليتني الخوف بعد

الامان واذقتني بعد العز الذل والهوان وما اتمت عبلة كلامها حتى دارت بها الفرسان من كل جانب ومكان وحملوها الى قدام مفرج بن همام وهي تلوح كالبدر التمام ولما رأى مفرج حسن صورتها خفق فواده وهام بمحبتها وتألم لبكائها وذلتها فقال لها لا تخافي يا غزالة عفان فقد وقعت في يد من يعرف قدرك وتكونين عنده عزيزة مرفوعة الشان ثم ضربوا له خيمة كانها من مقاصير الجنان وعوّل ان يبات في ذلك المكان واما عمارة فانه ما زال يمانع عن نفسه حتى انجرح وقتل جواده فسقط على الارض وانطرح فاخذوه اسيرًا الى الامير مفرّج فلما مثل بين يديه سل سيفه وقام على قدميه وهم ان ياخذ روحه من بين جنبيه فصاح عمارة وقال له لا تفعل يا وجه العرب واطلب مني الفدى مهما اردت فانا احمله اليك لاني امير ذو حسب ونسب وان كنت لا تعرفني فانا عمارة بن زياد العبسي اخو الربيع شيخ بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان فقال مفرج خسيت يا قرنان بما ذكر ولا نخر فيما به افتخرت وحق ذمة العرب لا تخلص من يدي بجميع ما تملكه من النوق والجمال والخيل والاموال والا والله قطعت كل يوم عضوًا من اعضاك وابصرت مني عذابًا ما ابصرته قط عيناك ثم شده الى عمود الخيمة وهو يأن من الم الجراح وكان الليل قد بسط عليهم الجناح فاكلوا الزاد ولم يطعموه وصاروا يهينونه و يشتموه وكلما اشتكى اليهم لطموه واقاموا ينتظرون الصباح وعبلة طول الليل لا تفتر عن البكاء والنواح وكان مفرّج قد امر ان يحمل اليها شيء من الطعام فابت ولم تاكل شيئًا ولا عرفت عينها المنام بل باتت تندب المنازل وتنوح نوح الثواكل وتدعو على عمارة بالقتل والعذاب وطرح لحمه للكلاب وتقول اين عينيك يا عنترة الفرسان ترى عبلة في السبي والهوان قد ضاع التعب الذي تعبته لاجلها والهدايا التي جلبتها لها ولاهلها ومن ترى يبلغك الخبر قبل ان تقتل نفسها وتسكن رمسها. قال الراوي هذا ومفرج يسمع كلامها ولا ينكر عليها بل يزيد اكرامها وقد اوجع قلبه بكاها ورق لشكواها وظن انها تستأنس به اذا طالت الصحبة وتنقلب بغضتها الى المحبة فلما طلع الصباح رحل يطلب دياره والاطلال وقد عارض عمارة على بعض الخيل وشال عبلة على بازل من الجمال وسار من اول النهار يقطع الارض والقفار وقال لاصحابه يا بني عمي قد جعلت لكم جميع ما يأتي من هذا العبسي من الاموال والنوق والجمال وانا ارضى بهذه الجارية التي ملكت فوادي ونفت عني رقادي قالوا له نحن ما نزاحمك عليها ولا ننظر اليها لاننا جميعنا نعيش في انعامك ونمتز بجاهك وارتفاع مقامك ثم ساروا

يقطعون القفار الى ان وصلوا الى الديار فامر مفرّج العبيد ان يضربوا لعمارة اربع سكك من حديد و يحطوا في عنقه اثقل زنجير و يربطوه مثل الخنزير و يصلبوه بين تلك السكك و يعذبوه العذاب الثقيل حتى يفدي نفسه بالمال الجزيل قال فعند ذلك ندم عمارة غاية الندم وقال هذه عاقبة من بغى وظلم وعسى ان تكون هذه الجارية مشومة على ذلك العبد كما هي مشومة عليّ و يا حبذا اذا حرم منها ولو خرجت من يديّ ولما لم يعد له طاقة فدى نفسه بخمس مائة ناقة وخمسين راساً من الخيل بعددها ولاماتها والفين راس من الخيل برعاتها وقال له ايها الامير انعم عليّ بعبد من عبيدك يسير الى اخوتي بعلامة مني لهم لياتوك بالمال واخلص من الاعتقال وان لم يكن لك ارب في هذه الجارية وطلبت الفدى فانا انفذ الى قومها وهم يفدونها بالوف من الاموال وقطعان من النوق والجمال وكان كلام عمارة معه على سبيل الاختبار ليعلم ما عنده من نحوها من الاعتبار قال فلما سمع مفرّج كلامه وقال وذمة العرب يا حمارة بني عبس لم تخلص هذه الجارية من يدي ولو فدوها باموال قارون او كنوز سليمان وكل من جاني في طلبها شككت قلبه بهذا السنان لانها قد سلبت عقلي وفوادي وسكنت جوارحي وملكت قيادي وقد اشتريت قسم اصحابي بالف ناقة وجمل وما انصفتهم في العمل وهبتك لهم ياخذون منك ما تفدي به نفسك اللئيمة ورضيت بهذه الجارية وحدها من الغنيمة ولولا ذلك حملتك الى من يضرب عنقك و يشرب دمك كزلال الماء وهو ملجم بن حنظلة سيد بني طي الملقب بشارب الدماء الذي قتل عنترة صهره نافد بن الجلاح وسبي ابنته اميمة وهي الى الآن لم تزل في البكاء عليه والنواح لو تتمنى ان يقع في يدها رجل من بني عبس حتى تشفي منه غليلها وتشرب من دمه اقداح وانا ما طرقت دياركم في هذه النوبة الا في طلب عنترة بن شداد واردت ان اسوقه اليهم في القيود والاغلال لكي يعذبوه اشد العذاب ثم يقطعوا راسه و يرموه للكلاب فوقعت بك و بهذه الجارية البديعة التى اشغلتني عن تلك الصنيعة قال الراوي و بعد ذلك امر مفرّج بن همام بعض عبيده ان يمضي الى بني عبس فشد على ناقة من النوق وركبها وسار عند طلوع الشمس واوصاه عمارة ان يدخل الى فريق بني زياد و يعلم اخوته بما جرى عليه سراً عن جميع العباد واعطاه علامة لهم لكي يصدقوا كلامه و يعطوه مرامه و بعد ذلك التفت مفرّج الى عبلة واخذ في مدارها وملاطفتها وملاطفاتها وصار كلما تقرب اليها ولاطفها في الكلام ضجرت وكلما امرها بالجلوس نفرت وكلما قدم

لما الطعام تاخرت وكلما ضحك في وجهها عبست وقطبت وكلما اجتهد في مرضاتها غضبت
فقال لها في بعض الايام و يلك الى كم هذا النفار اتظنين ان لك سراح من هذه الديار
او خلاص من مفرج الجبار قالت له والله لو انني تحت الارض السابعة او فوق السماء
الرابعة لا بد ان ياتيك من لا ينام عن كشف اخباري ولا بد له ان يقتفي اثاري وترى
والله فارس لا يلين له فى الحرب جانب ولا يسلم من بين يديه محارب ولو كان من
مردة الجان او من عفاريت سليمان قال فلما سمع مفرّج من عبلة ذلك الكلام دب
الغضب فى وجهه كدبيب النمل في حنادس الظلام وقام اليها ضاربًا بالسوط على
جسدها الرطيب فصاحت واخذت في البكاء والنحيب وهي تقول اين عينيك تراني يا
حامية عبس الذي كنت تغار عليّ من حرارة الشمس وتخاف على بدني من النسيم ان
يزعجه باللمس فاتت امه على صياحها ودخلت عليه وخلصتها من يديه وقالت له بعد ما
سكنت غضبه يا ولدي لقد عذبت قلبك مع هذه الجارية التي اشابت منك الناصية واذابت
العافية وقد سلمت قيادك الى من لا يحفظ ودادك فاشتغل يا ولدي عنها بغيرها من
بنات عمك الابكار فان فيهن من تكون هذه في مقابلتها كالليل في مقابلة النهار والراي
ان تتركها عندك خدامة وتذلها لانها لا تعرف الكرامة لان من النساء لا تلين الا
اذا رات الهوان ومنهم من تستعبد بالاحسان . فلما سمع مفرّج ذلك الخطاب علم ان
امه اشارت عليه بالصواب فخلع جميع ما كان على عبلة من الحلي والحلل والبسها
جلبابًا من الصوف وقابلها بالمنكر بعد المعروف وصارت امه تستخدمها في حلب اللبن
والاعمال التي تضني البدن وكانت عبلة تقضي النهار في الخدمة والعذاب والليل في البكا
والانتحاب وهي تنوح على الوطن وتدعو على عمارة بالبلاء والمحن وعمارة يسمع كلامها
ولا ينكر ملامها وصار خائفًا من عنتر اذا وصل الخبر اليه فياتي و يخلصها او يقضي عليه
هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الذي ارسله عمارة الى بني عبس ليأتي بالاموال
فداء عن النفس فانه سار طالبًا ديار بني عبس حتى وصل اليها واستدل على بيوت
بني زياد فدلوه عليها وكان الربيع قد نزل بواد قريب من بني عبس يقال له وادي
الثقلين وتبعه من فرسان العشيرة نحو مائتين لانه لما طلب من الملك زهيران يسلمه
عنترة ليقتله بدعواه انه قتل اخاه ولم يقبل ان يسلمه اياه خرج من عنده غضبان وفي
قلبه لهيب النيران ومن هناك رحل باخوته الى ذلك الوادي وقال والله لا رجعت
جاورت عبسًا طول الزمان ما دام ملكهم قد اختار علينا هذا العبد الكشحان ولم يزل

الزبيع هناك الى ان قدم عليه العبد الذي انفذه عمارة من عند مفرّج بن همام وطلب منه فداء نفسه من الحمام وحدثه بحديث عمارة وما فعل بعبلة ووقوعه في الوثاق وطلب منه الفداء من الخيل والغنم والنياق فقامت عليه القيامة وانفذ الى جميع اخوته وقص عليهم ما سمعه من الكلام واعلمهم انه في اسر مفرّج بن همام وقال والله لقد افتضحنا في جميع الاقطار بسبي اخينا لبنت عمه عبلة والله ان هذا شيء ما فعله احد اصلا وقد تركنا بين العرب مثلاً وان فديناه بالمال يكون عارًا علينا لان يقال ان بني زياد فدوا اخاهم بالنوق والجمال وعجزوا عن خلاصه بالقتال فقال له اخوته فما الراي عندك يا ربيع وكيف تعمل في هذا الامر الشنيع فقال لهم الربيع يا اخوتي الصواب اننا نسير في مائتي فارس ونلقي رماحنا في بني طي ونبذل المجهود في ذلك الحي واذا وصلنا الى فريق مفرّج بن همام ورابنا فيه مطمعاً كسبناه وخلصنا اخانا من اسره و بلاه والا اكمنا له في تلك الجهات يوماً بعد يوم حتى نراه او يقع في ايدينا احد من قومه فنفدي به اخانا و يكون قد مضى وهو مكتوم وحالنا غير معلوم لان الملك زهير ان علم بهذا الامر تصير له الحجة علينا حتماً و يقول لنا ان اخاكم عمارة سبى زوجة الرجل وانتم تطالبونه بدمه ظلماً ولا سيما اذا علم عنترة بن شداد بذلك فانه يلقينا في اكبر المهالك فقالوا لقد صدقت فافعل ما بدالك و بادر قبل ان ينكشف الحال ونصير حديثاً للنساء والرجال ثم قبضوا على العبد الذي اتاهم بالخبر من عند مفرّج بن همام لاجل قبض المال وساروا بقية يومهم يطلبون الجبلين اجا وسلمى ومعهم مايتان من الابطال وكان عروة بن الورد من الجملة وهو متعجب من قصة عمارة وعبلة هذا وعنتر باكي العين في الليل والنهار ومن عظم وجده ما يقر له قرار وارسل اخاه شيبوباً يدور الحلل وسائر القبائل و يأخذ الاخبار من اهل المياه والمناهل واقام عنترة ينتظر قدومه وهو كالمجنون لا ينتبه على نفسه ولا ما كان ولا ما يكون ولازم الخبا كالمخدرات والنوح والبكاء كالثاكلات وهو لا يلتذ بطعام ولا تذوق اجفانه المنام وصار نحيلاً كالخيال حتى لو التقاه اقل صعلوك من الرجال لاستطاع قتله بلا محال وهو يقول كلما قعد وقام يا ليت شعري كان ملتقاها في المنام ام اضغاث احلام يا ليت شعري من هو الذي اخذها في ذلك النهار هل جني خطفها وسار ام طائر حملها وطار ام وحش افترسها في القفار ماذا اصابك يا مهجة الفواد واين انت من البلاد وا اسفاً على ذاك الجمال و يا ضيعة ذاك الدلال وا حسرتاه على ما قاسيت لاجلك من الاهوال وما جلبت لك من التحف

والاموال ٠ يا ليتني كنت اعرف موضعها لاقصده ونعيش او نموت معاً ثم شب في قلبه الاشتعال فانشد وقال

دموعٌ في الخدود لها مسيلُ　　وعينٌ نومها ابداً قليلُ
وصبرٌ لا يقر له قرارٌ　　ولا يسلو اذا جدّ الرحيلُ
فكم ابلى بابعاد وبين　　وتشجيني المنازل والطلولُ
وكم ابكي على الف شجاني　　وما يغني البكاء ولا العويلُ
تلاقينا فما اطفى التلاقي　　لنا لهباً ولا برد الغليلُ
طلبت من الزمان صفاء عيش　　وحسبك قدر ما يعطي البخيلُ
وها انا ميت ان لم يعني　　على جور الهوى الصبر الجميلُ

قال وبقي عنتر على ذلك الحال والتعب يقاسي من الاهوال كل شدة ونصب وهو لا يا كل ولا يشرب ان لم يحضره الملك زهير ويحلف عليه ويطعمه ويسقيه بيديه ولم يزل في تلك الهموم والكروب الى ان قدم عليه اخوه شيبوب فوجده في بلاء ايوب وفي حزن يعقوب فلما دخل عليه خفق فواده وقال له ويلك يا ابن امي هل وقعت لعبلة على اثر ام الخيبة بلا خبر قال له شيبوب لا والله يا ابن الام بل اتيتك بالخبر اليقين متوكلاً عَلَى رب العالمين فعندها صحا من سكر الغرام وقال هات ما معك من الكلام فقال شيبوب يا اخي اني درت كثيراً من البلاد الى ان دخلت ارض اليمن ولقيت ما ينسي الاطفال رضاع اللبن فرايت عبلة في قبضة مفرّج بن همام وقد جعلها من اقل الخدام وخلع ما عليها من ثياب الحرير اللطاف والبسها الجافي من الاوبار والاصواف وهي في الخدمة الليل والنهار والشتايم عليها مثل سيل الامطار وتنادي باسمك كلما زاد عليها العذاب ثم يقولون لها اين كابك الاسود يخلصك من اسود الغاب فلما سمع عنترة ذلك اخذته الرعدة والخفقان غيرةً عليها وقال ويلك يا شيبوب ماذا القاها في قبضة مفرّج بن همام وكيف وصل اليها فقال شيبوب كان السبب في ذلك الفساد عمارة بن زياد ثم قص عليه القصة بالتمام واخبره بجميع الظروف والاحكام فقال عنترة وكيف اطلعت انت على هذا الخبرة ال يا اخي لما وصلت الى الجبلين بت في كل فريق ليلة وليلتين واخر ليلة كان رقادي في ابيات مفرّج بن همام عند عبد يقال له مبشر بن خزام فاضافني واكرمني وسالني عن نسبي فانتسبت الى جلهمة وهي قبيلة سعد ابي حاتم الطائي فقال لي اكرمت انه نعم النسب العربي ولما كان نصف

الليل وقع في اذني صوت عبلة وهي تقول واحسرتاه من قلة المنام وفراق الاحبة واشوقاه الى العلم السعدي وارض الشربة وفي اثناء ذلك تنادي باسم عنترة بن شداد وتدعو على عمارة بن زياد . ثم انشدت تقول

شوقي شديد ووجدي زايد المدد	خففوا الم التعذيب عن جسدي
وسايلوا حسرةً بالقلب كامنةً	تخبركم عن لهيب النار في كبدي
حملتوني على ضعفي بقوتكم	ما ليس يحمله صبري ولا جلدي
يا طائرًا بات طول الليل منتحبًا	على الحبيب الذي ولىّ ولم يعدِ
هذا بكاك وقد امسيت منطلقًا	فكيف حال اسير الشوق والكمدِ
ويا نسيم الصبا مري على وطني	وبلغي خبري للضيغم الاسدِ
لآل عبس وحاميها اذا طلعت	مراكب الخيل بالابطال والعددِ
وها انا ارتجي من خالقي فرجًا	على يديه ولا اشكو الى احدِ

فقلت للعبد الذي انا في ضيافته يا ابن الخالة ما لهذه المراة لا تنام في هذا الليل وهي باكية بحال الذل والويل فقال لي يافتى هي جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد وقع بها اميرنا مفرّج بن همام مع عمارة بن زياد ولما سالها الاقتران به اغلظت له في الكلام وهددته بابن عم لها يقال له عنترة بن شداد ولما سمع منها ذلك كبرت عليه نفسه نخلع عنها جميع ما كان عليها من الجواهر والحلل وجعلها من ادنى الخدام واني يا ابن الام لما سمعت هذا الكلام طار من عيني المنام فما صدقت بالصباح ان يصبح حتى اعود اليك واقص القصة عليك واني في عودتي رايت بني زياد سائرين الى ديار القوم يريدون الغارة طالبين خلاص عمارة وكنت متجنبًا عن الطريق فما نظروني ولا التفتوا اليّ ولا عرفوني . هذه جملة ما عندي من الخبر وعليك التدبير والنظر قال فلما سمع ذلك عنترة غاب عن الوجود وبقي حاضرًا في صفة مفقود وقال والله لا بد لي ان اكافي بني زياد واحرمهم كما حرموني لذيذ الرقاد وارمل النساء وايتم الاولاد ثم انه انفذ خلف مالك ابي عبلة وولده عمرو واطلعهم على هذا الامر وشاع الخبر في ابيات بني قراد فعلا الصياح وازداد وكثر النوح والتعداد وقام عنتر الى مضارب الامير مالك واخبره بذلك فلما سمع مالك تلك القصةَ من عنتر مضى به الى ابيه زهير واعلمه بالخبر فقال له عنترة يا ملك انت تعلم ان الربيع بن زياد اتهمني بقتل اخيه عمارة الذي ارتكب معي هذه الشنعة بعد ما خلصته من الاسر والوثاق لما قدمت من

ارض العراق وسعيت له بالاطلاق قال الراوي فلما سمع الملك زهير هذا الكلام قال لعنة الله على بني زياد اللئام فان اخاهم سبى عبلة وهي ابنة عمه وهرب وكسانا العار بين قبائل العرب والان يا ابا الفوارس طب نفساً وقر عيناً فاننا نسير معك الى تلك البلاد ونجتهد في خلاص عبلة ونجازي عمارة بن زياد على هذه الوقاحة والفساد وخرج عنترة والامير مالك بعد هذا الكلام فقال له عنترة والله يا مولاي لا اقدر على المقام بعد ما شاع خبر مفرج بن همام واخاف ان يبطش بها يوماً من الايام فيبقى علينا العار بين الانام ولا بد لي ان اتسبب في خلاصها ولو سقيت من اجلها كاس الحمام وربما اسير هذه الليلة تحت غياهب الظلام واصطلى هذه النوبة بنفسي ولا اتعب اباك ولا اكلفه المسير الى هناك قال لا والله لا تذهب الا وانا امامك ومعي جماعة يسيرون خلفك وقدامك فقبل يديه وشكره واثنى عليه ومن ساعته انفذ اخاه شيبوباً الى الابيات يعلم الفرسان واباه شداد وعمه مالك بن قراد واخذ عنتر اهبته ولبس لامته وامر عبيده ان تنادي في جميع فرسانه وعشيرته بالركوب فما تضاحي النهار حتى صار ظاهر الخيام موكب من الفرسان كاطباق الغمام وساروا وعنترة بين ايديهم على جواده الابجر وقدامهم شيبوب دليل على الطرق في عرض البر الاقفر والى جانبه مالك بن زهير وقد ا تبشر بالنجاح والخير وكان عنترة قد سمع من اخيه شيبوب ان عبلة تنادي باسمه الليل والنهار فصار كلما تذكر يقول لبيك يابنت العم قد سمعت نداك على بعد الدار

قال الراوي وكانوا قد قطعوا بعض الطريق فقال لمالك والله يا مولاي ما هذه الا غنيمة عظيمة اني سائر الى اعدائي اعينهم على خلاص اخيهم وقد علمت انهم لو قدروا على الحي لا كاوه او على دمي لشربوه ولولا اكرامي لعين لاوقعت على رؤوس الجميع غراب البين قال يا ابا الفوارس انت ورايك في ما تختار فما عليك ملام . ولكن سوف ترى ما يجري لبني زياد مع مفرج بن همام . ثم ساروا يقطعون الجبال والوهاد وهم لا يصدقون ان يصلوا الى تلك البلاد . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عبلة ومفرج بن همام فان مفرج اقام ينتظر المال والفدا ويداري عبلة ويقول لعلها تطاوعني اليوم او غداً . وشاع هذا الحديث في بني طي فسمعت بذلك ام ناقد بن الجلاح الذي قتل عنتر ولدها وكانت لم تزل مداومة النوح والتعداد ولابسة السواد وهاجرة الرقاد فلما سمعت بامر عبلة بنت مالك بن قراد وعمارة بن زياد ركبت ناقتها وسارت في جماعة من عبيدها تطلب انها تاخذ منهم بالثار وتكشف عنها الذل والعار . فلما وصلت دخلت على مفرج بن همام وبكت

وجهه بدموع سجام وطالبته باخذ ثارها وكشف عارها . فقال والله يا خالتاه اناما اقنع
من بني عبس بهولاء الرعاة ولا انثني عنهم حتى افنيهم واترك ديارهم فلاه واذبح ساداتهم
على قبر ولدك حتى يروي ظماه واقود اليك اسودهم الاعين وتحكمين فيه ما تريدين . وهذا
عمارة ما طلبته بالفداء الاوانا اعلم ان المال يجي مع ساداتهم فاقبض على الجميع واصنع
بهم اقبح صنيع . وانا اعلم انه لا بد ما يسمع اسودهم بينت عمه عبلة فيسوقه اجله الى خلاصها
واسلمه اليك فنكون نحن قد ربحنا المال وانت قد بلغت الامال . فلما سمعت ام ناقد ذلك
طاب قلبها وزال عنها كربها وقالت يا ولدي اريد ان اعذب هذا الاسير الامين الى ان
يقع لنا غيره من قومه القادمين فقال لها افعلي ما بدالك فاني لا ارد سوءالك فنهضت ام
ناقد في ساعة الحال مثل اللبوة الفاقدة الاشبال واخذت سوطاً بيدها من السياط
واتت من خلف عمارة وضربته به فنزل عليه مثل صاعقة الغمام فصاح يا سيدتي لا تعجلي
فانا الامير عمارة بن زياد وقد فديت نفسي من الامير مفرج بن همام وهي ترفع السوط
وتضرب به على راسه وعلى جسده اينما اتفق حتى ساح الدم من بدنه واندنق وهو مشدود الى
الاوتاد لا يقدر ان يميل الى اليمين والشمال وفي عنقه ذلك الزنجير وفي رجليه القيود والاغلال
ولم تزل تضرب به حتى كلت يدها وخدر ساعداها والقت السوط من يدها وبركت عليه
كالبعير وجعلت تنهش لحمه باسنانها وتمزق جلده بالاظافير وهو يستغيث فلا يجاب ويخاطب
ولا يرد له جواب بل تقول له ويلك يا ابن الف قرنان انت تفدى نفسك بالاموال
والنوق والجمال انظن انك تسلم من الانتقام لا وحق البيت الحرام لو اتيت بجميع اموال
بني عبس وجمال كل من طلعت عليه الشمس ما خلصت من الردى . لا قبلنا لك فدى .
ولاذبحنك ذبح الاغنام واشرب من دمك مثل شرب المدام ولا بد ان يقع في يدنا عبدكم
الطنجير فاقطعه الف قطعة واشرب من دمه الف جرعة ثم انها عرفته نفسها وبما حدثها
مفرج ان الرسول الذي انفذه لياتي بالاموال ما كان الا على سبيل الزور ولحل حتى
تأتي من بني عبس الرجال ويسقيهم كاس الوبال . قال فلما سمع عمارة ذلك تقطعت منه
الاوصال وندم على ما صدر منه من الاعمال وقال وحق البيت الحرام وما فيه من الالهة .
والاصنام ما بقى لي فرج ان ياتي لي ذلك الرجل المظلوم الذي تجنيت عليه بسبي عبلة
ويخلصني معها من الجملة والا ليس لي نجاة من هذه الكربة والدبلة واني والله استحق
اكثر من هذا العذاب لاني ظلمته وفعلت ما الام عليه واعاب وبعد ذلك اعاهد نفسي انني لا
ارجع اتعرض له ابداً ولو مت من العشق كمداً قال واقام عمارة يقاسي تلك المرارة ومفرج

بن همام ينتظر عودة عبده بالاموال والانعام هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع بن زياد فانه سار كما ذكرنا ومعه جماعة من فرسان الحي يقطع الارض نهباً حتى قارب ديار بني طي وقال لمن معه اعلموا يا بني عمي انا حصلنا في ديار الاعداء وما بقي في الامر الا حسن التدبير قبل ان تعلم بنا هذه القبيلة وتنهض علينا الجماهير ونحتاج ان نقاتل حتى يقتل منا الصغير والكبير فقال له اخوته يا ربيع انت اخبر منا بهذه الامور وابصر بعواقب الدهور قال لهم الربيع سيروا وطيبوا قلوبكم فاني ما رحلت من بني عبس الا وقد دبرت امرًا لا يخطر منكم على بال و به نخلص اخانا من الاسر والاعتقال ونعود كلنا سالمين غانمين بلا حرب ولا قتال قالوا انت نعم المشير يا ربيع فماذا يكون الصنيع قال لهم ننزل هذه الليلة على غدير ذات الجرعى و نريح خيلنا ونتركها ترعى واذا كان عند الصباح نرسل منا فارس الى مفرج بن همام يقول له اركب ايها الامير واستقبل بني عبس فقد اتى منهم عشرة فرسان ومعهم النوق والاغنام وقد التقاهم في ارضكم رجال اخذوا ما معهم وساروا وهم من ذلك قد احتاروا لانهم لم يريدوا ان يقاتلوا قوماً تحت زمامك لئلا يقعوا تحت ملامك وانا اعلم انه يركب الينا في نفر قليل لاجل شجاعته وجهله ونكون نحن مفترقين في موضعين او اكثر فننطبق عليه وعلى من معه فناخذهم اسارى ونعود الى الديار ونفدي بهم اخانا ونكتشف عنا العار قال الراوي فلما سمعوا من الربيع هذا المقال عجبوا من دهائه وعلموا ان اخاهم يخلص ان تمّ هذا الحال وقالوا لله درك يا ربيع ما اعقلك واحكم رايك واحيلك وساروا ذلك اليوم الى المساء ونزلوا على ذلك الغدير وهم قد اطمانوا على ذلك التدبير ولما اصبح الصباح ارسل الربيع اخاه انس الى مفرج بن همام فسار انس الى حي مفرج بن همام وسال عن اياته فدلوه عليها واتقدم حتى وصل اليها وكان مفرج مع ام ناقد في الحديث وهي قد دخلت عليه تستأذنه في ضرب عمارة بن زياد كما جرى لها المعتاد لانها كانت كل يوم تدخل اليه وترفسه برجلها وتضربه بالسوط وتارة بنعلها واذا ببعض المولدات دخلت عليه وقالت له يا مولاي على الباب فارس صعلوك وهو يناديك و يدعوك فنهض كانه الاسد الخادر واذا انس اخو الربيع على صهوة جواده وهو منكسر الخاطر فقال له حياك الله يا وجه العرب هل لك حاجة او طلب فاعاد عليه انس القصة التي جرت والحيلة التي تدبرت فلما سمع مفرج ذلك الخبر ثار وهو يهمهم همهمة الاسد وافرغ على جسده الزرد وقال لبعض العبيد ويلك شد على الجواد الادهم ولا تدع احداً يعلم فوالله لاسرت الا وحدي بغير صاحب ولو ان الرجال بعدد الكواكب فقالت ام ناقد يا ابن العم اخبرني بما انتهى

اليك وما سمعت من هذا الفارس الوارد عليك فاخبرها بما سمعه من الاخبار وعيناه تشتعل في ام راسه مثل النار قال وكانت هذه سلمى من ادهى نساء العرب وافضلهن في العقل والادب وقد لاقت الاهوال وعركت الامور والاحوال فلما سمعت كلام مفرج بن همام استغرقت في الضحك حتى خرجت عن الاحتشام وقالت لله درك ايها الامير صاحب الراي والتدبير مثلك من يكون اميراً على العشائر ويدبر الامور ويصلح السرائر وحق الكعبة والحرام وما عليها من الالهة والاصنام ان جميع ما سمعت من هذا الفارس زور ومحال ومكر واحتيال وان سرت معه وصدقت المقال وقعت في الذل والوبال ويخلص هذا العبسي بلا مال ولا نوق ولا جمال وكذلك عبلة التي تقيدت في هواها بقيد لا تحمله الجبال . قال الراوي فلما سمع مفرج ذلك الكلام انحلت عزيمته وقلت همته وقال لها يا خالتاه كيف خطر لك هذا الخاطر الذي لا يخطر لي ببال فاعادت عليه جميع ما دبره الربيع بن زياد من المحال حتى كانها كانت حاضرة عنده تسمع جميع ما قال ثم قالت والله يا ولدي وما اتى اليك اقل من مائتين من الفرسان وهم يكمنون لك كل فرقة في مكان حتى تصل اليهم فيصطادونك صيد الغزلان والدليل على ذلك ان عبدك الذي انفذته ياتيك بالعدا ما عاد وما هم الا قد امسكوه عندهم وحضروا الى هذه البلاد ومتى قبضوا عليك ذهبوا بك الى تلك الناحية يتهددونك بالقتل او تفدي نفسك بهذا الرجل وهذه الجارية ويعذبونك فتحتاج ان تفدي نفسك وتصير انت من الخاسرين وهم من الرابحين وربما طمعوا فيك فيطالبونك فوق ذلك بمال ونوق وجمال فاعرف على اي شيء تكون وامسك العقل واترك الجنون فراى مفرج كلامها عين الصواب وقال يا خالتاه كيف يكون الجواب قالت الشيء عليك ان تقبض على هذا الفارس الذي اتاك بهذه العبارة وتتركه مقيداً عند ابن عمه عمارة وتركب بعد ذلك في ابطال قومك الذين تعتمد عليهم في الشدائد وتسيرون كلكم في موكب واحد وحين تشرفون عليهم ابذلوا فيهم سيوفكم واستاسروا من قدرتم عليه والذي يدافع عن نفسه خذوا روحه من بين جنبيه فلما سمع مفرج خرج من ساعته الى انس ابن زياد ورجلوه عن الجواد وقال للعبيد احملوا هذا الشيطان الى المضرب الذي فيه ابن عمه عمارة الخوان واتركوه عنده في العذاب حتى ناتي ينهش رنقاه الكلاب ونضرب من جميعهم الرقاب وصاح بعد ذلك في رجاله وانتخب منهم ثلثمائة فارس من كل مدرع ولابس وسار بهم يقطع البر وهو متاهب للكر والفر . قال الراوي وكان عمارة في ذلك الوقت قد نام لان ام واقد كانت قد اطارت نومه في ذلك الليل من كثرة

العذابات والالام فانتبه واذا اخوه انس الى جانبه ممدود في اثقل القيود فلما عرفه شهق شهقة كادت روحه تخرج من بين جنبيه واحس ان الدنيا انطبقت عليه وقال له ويلك يا اخي ما الذي اوقعك في الاعتقال وانا منتظر منك حمل المال فاخبره عما دبره الربيع من الاحتيال وكيف عرفت العجوز ذلك المحال فقال عمارة وهو يبكي والله لقد كانت نوبة مشومة وسفرة مذمومة تقع الجمرة بها في رؤوس بني زياد وشمت بنا الاعداء والحساد ولا بلغت من عبلة مراد ولا اخمدت بوصلها نار الفؤاد فقال له انس ويلك يا حمارة بني زياد كم نهيناك عنها فما انتهيت ولازلت في لجاجك حتى ابكيتنا وبكيت وان قتلت في هذه النوبة فرسان زياد او قتل الربيع ماذا يكون الصنيع فقال عمارة والله لقد صدقت يا اخي ولكن اذا زلت القدم لا ينفع الندم على انه يهون عليّ كل هذه الثقلة اذا خرجت من هذا الامر وحظيت بعبلة فقال انس لعنة الله عليك وعليها والله ان سلمنا من هذه النوبة لابد ان نخصيك ونطردك عنا ونقصيك حتى نستريح من بلاياك ودواهيك. هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الربيع فانه بعد ما ارسل اخاه الى مفرج بن همام قسم الفرسان الذين معه ثلاثة اقسام واخفى كل فرقة منهم الى مكان وترك منهم عشرة ظاهرين للعيان وقال لهم اذا رايتم مفرج بن همام اقبل مع اخي فنادوه ايها السيد قد اتيناك بالمال لنفدي به ابن عمنا من الاعتقال وفي هذه الارض التقتنا جماعة من الرجال واخذوا مناجميع ما صحبنا من النوق والجمال وها نحن نهديك على الطريق فسر معنا وبالله التوفيق ثم سيروا بين يديه وادخلوا بين هذه الاودية والتلال حتى نخرج عليه الرجال من المكان وناخذه بلا تعب ولا قتال. قال فبينما هم في الكلام اذا وفد مفرّج بن همام ومعه اصحابه وقد جردوا الصفاح وهزوا الرماح وقد اقلب صهيل خيلهم تلك البطاح فلم يمهل عليهم ان يسمع منهم خطاباً ولا يردلهم جواباً بل شن عليهم الغارة فجرح منهم سبعة رجال وانهزم من بين يديه ثلاثة الى مكان اصحابهم في تلك القفار فلما دلوهم ظنوا انهم من اصحاب مفرّج فخرجت اليهم الفرسان من كل جانب ومكان وتصايحت يالعبس يا لعدنان واطلقوا عليهم النبال فسقطوا عن خيلهم في الحال وسمع مفرج الصياح فتحقق عنده كلام ام واقد بن الجلاح فحمل عليه القوم وهو مثل اسد الغضبان وصار ينثر الفرسان ويجندل الاقران والربيع بن زياد ينادي في طائفة بني عبس وينخيها للقتال ويقول والله يا بني عمي لقد كانت الحيلة محكمة لا يخطر مثلها لاحد على بالي ولكن اكثر ظني انه قبض على اخي انس وعاقبه فاقر علينا وعرفه جلية الحال والآن لا ينجينا الا ضرب السيوف والصبر على شرب كاسات الحتوف

والا شمتت بنا الاعادي والاضداد ولاسيما عبد شداد ثم حمل واقتحم الغبار ودام عمل الحسام البتار حتى طار الشرار من حوافر الخيل على الاحجار وبكت الارواح على فراق الاجساد وطارت الجماجم بشفار السيوف الحداد وما زالوا على ذلك المرام حتى ولى النهار واقبل الظلام فافترقوا وقد خسرت بنو زياد في القتال والتجأت الى احقيق الرمال وقتل منهم خمسون فارساً في ذلك النهار وانجرح اكثر من ذلك المقدار وبات مفرج وهو يقول لاصحابه والله ان هذه العجوز حاذقة البصيرة ولولاها لكنا وقعنا في خسارة كبيرة وفي غداة غدٍ ابرز الى هولاء الانذال وانزل بهم الذل والخبال وان اتى عبدهم عنترة كان لنا السرور الاعظم والفرح الاكبر لاني اريد ان اهبه الى هذه العجوز واهبها اياه تحكم فيه بما تريد وتهواه وتأخذ منه ثار ولدها وتطفي علة كبدها ثم اقام ينتظر الصباح وبات الربيع واصحابه في البكا والنواح وما راى على نفسه العودة والهرب لانه خاف من معيرة العرب ولما طلعت غرة الصباح ثارت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وقد اصطفت الصفوف واشهرت السيوف ووقف مفرج الى ما بين الصفين واشتهر الى ما بين الفريقين ونادى برفيع صوته ويلكم يا بني زياد ان شرف الرجال بالحرب والقتال لا بالغدر والاحتيال فابرزوا الينا ان كنتم من الابطال واتركوا الزور والمحال فنزل له اخو الربيع بن زياد وكان يقال له قيس الجواد فحمل عليه واخذ معه في الطراد وخيم عليهما الغبار حتى حجبهما عن الابصار فخرج مفرج من ساحة الميدان وهو ينادي يا قحطان واذا به قد اسر قيس الجواد وسلمه الى عبيده فربطوا يديه ورجليه وارسلوه الى جانب اخويه ثم ان مفرج طلب البراز فبرز اليه طالب الدراك وكان فارس بن زياد في القتال والعراك فصدم مفرّج بن همام صدمة الاسد الضرغام واخذا في الافتراق والالتزام حتى خيم عليهما القتام هذا والربيع قد ارتبك في هذا الشان وهو لا يدري ما يفعل به الزمان فقال لقومه لقد وقعنا في امر منكر وذلك كله لاجل معاداتنا لعنتر وعسى ان يكون علم بمكان عبلة فيأتي يخلصها ويخلصنا معها لانه رجل سليم القلب سهل المراس وهو افضل منا عند الناس ولكن لعنة الله على عمارة الذي رمانا في هذه الخسارة وعادى هذا الرجل الذي ليس كفوّ المعاداة مثله ولا يساوي قطعة من نعله ولا سمعنا ان الكلاب تقاوم اسود الغاب قال وما اتم الربيع كلامه الا ومفرج قد اخذ طالب الدراك اسيراً بعدما جرحه جرحاً كبيراً ثم سلمه الى بعض العبيد فشده شدّاً وثيقاً والقاه مجتمعاً على الصعيد كالكلب الباسط ذراعيه بالوصيد وعول على الخروج اليه فعض الربيع على كفيه واسودت الدنيا في عينيه فسبقه عروة بن الورد وزعق بصوت

كالرعد وكان عروة من الفرسان المعدودين في الحرب وله بصيرة في مواقع الطعن والضرب فحمل على مفرّج والتحما في الميدان واخذا بالجولان وقد سمحا بفراق الارواح للابدان وطلع عليهما الغبار وجرت بينهما معارك تذهل الابصار وسطا مفرّج على عروة سطوة جبار وهجم عليه هجمة الاسد الكرار وقبض على اطواق درعه واجتذبه وضرب به الارض فكاد يدخل بعضه في البعض فهجمت العبيد عليه واوثقوه واضافوه الى صاحبه وعلت على بني زياد الصيحات وطلبتهم فرسان بني طي من سائر الجهات وحمل الربيع بن زياد واشتد بينهم الكر والطراد وكان خبر تلك الوقعة قد شاع في تلك القبائل فقصدتها العرب من كل فارس وراجل وكثر على بني زياد العدد وزاد المدد الى ان خيم عليهم الليل فانفصلوا وقد وقع الربيع واصحابه في الذل والويل فالتجاء بهم الى جبل هناك وقد بقي معه نحو سبعين من اصحابه والباقون منهم من وقع في الاسر ومنهم في الهلاك وصاروا يتندمون على حضورهم مع الربيع ويلعنون عمارة على ذلك الصنيع فقال الربيع هذا ما جرت به المقادير حتى وقعنا في هذا الامر العسير وما لنا الا انني ارسل الى مفرّج بن همام واطلب منه الاجارة والذمام ونقيم عنده في الاعتقال الى ان نشتري ارواحنا منه بالمال ثم باتوا تلك الليلة وهم يتمنون من شدة الظماء ان يبلوا حلوقهم بجرعة من الماء ولما اصبح الصباح انفذ الربيع بن زياد الى مفرج بن همام يقول له اعلم ان العرب الكرام يفتخرون لى الاعجام بالوفاء وحفظ الذمام ونحن قد اعترفنا بالخطاء وسمحنا بالعطاء وقد عجزنا عن القتال وعدمنا التدبير وهلكنا من العطش في هذا الحر والهجير فنريد منك الذمام على دمائنا حتى نسلم انفسنا اليك ونأتيك من الغد بما يقر عينيك وان لم تفعل فمكنا من ورود الماء وانصفنا من اللقاء ان كنت من العرب الذين يخشون على انفسهم العار ويطلبون العز والفخار حتى اننا نبذل المجهود ونموت تحت ظل الرايات والبنود او ننال المقصود . قال فلما وصل الرسول الى مفرج بن همام وقال ويلكم يا بني زياد ما بقي لكم ذمام بعد ما كذبتم في الكلام فوحق زمزم والمقام لا ينجيكم من ضرب الحسام لا ان كنتم ترمون سلاحكم وتترجلون عن خيولكم وتاتون الى بين يدي حتى اجز نواصيكم واحلق اذانكم واجدع انوفكم واحلق لحاكم وبعد ذلك امكنكم من ورود الماء واطلق سبيلكم لوجه الالهة والاصنام فقال له الرجل العبسي الذي اتاه رسولاً وكان اسمه جيلا يا مولاي افعل ذلك بي خذ فرسي وجذ ناصيتي واجدع انفي واحلق لحيتي ودعني ابل من الماء غلتي فعندها ضحك مفرج ووهبه نفسه واعطاه امانه وسمح له ان يشرب ويسقي حصانه وقال له اعلم انك صرت في

ذمامي دون اصحابك لكن على شرط ان لاتقاتل بل تمضي الى ديارك والمنازل واما بقية اصحابك فان قاتلونا بذلنا فيهم السيوف والقنا والا طاولناهم بالجوع والعطش حتى يدركهم الفنا وناخذهم ونضيفهم الى اصحابكم الاسارى الذين عندنا واصلبهم كلهم في يوم واحد حتى تشتفي بهم قلوب الذين لهم عليهم الثار وتنطفي من قلوبهم النار فعندها عاد الرسول الى الربيع بن زياد واخبره بذلك المقال فتقطعت قلوب الرجال ووقع فيهم الانذهال فقال الربيع ماذا لنا يا بني الاعمام الان تموتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً لان قطع النواصي والاذان عار لا يمحى مدى الزمان قال جميل والله يا ربيع ان سلامة الانسان وعيشه بلا اذان احسن من ان تاكل لحمه الوحوش والعقبان ولا سيما في هذا المكان ثم حدثه ان مفرج بن همام اعطاه الامان وانه معول على المسير الى الاوطان و بعد ذلك سار جميل وهو لا يصدق بالنجاة اما الربيع واصحابه فانهم برزوا يطلبون القتال وهانت عليهم الاجال فصبحتهم الابطال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وما تنصف النهار حتى اخذوا الجميع وقتل منهم جمع كثير وقبضوا الربيع واقرنوهم في القيود والاصفاد وعادوا بهم الى حي بني طي وقد سبقتهم البشائر والتقتهم وجوه العشائر و بين ايديهم الاما بالدفوف والمزاهر وكان اعظم الناس فرحاً سلمى ام نافد بن الجلاح لانها صارت تلطم وجوه السادات من بني زياد وتقول لهم وحق رب السماء لابد ان اشرب دماكم في قحوف جماجمكم كما يشرب الظمآن بارد الماء ولا بد لي ان افني بني زياد و بني عبس مادامت الالهة تحفظ لي الامير مفرج بن همام . قال الراوي وانفذ مفرج بن همام الى قبائل بني طي يبشرهم بما فعل و بما عليه قد حصل ومن شدة فرحه نحر النوق والاغنام واحضر المدام واخذوا في اللهو والطرب و بنو زياد تفتت اكبادهم وقد اشرفوا على العطب وما زالوا يبكون على انفسهم ويلومون عمارة وهو لا يبدي خطاباً ولا يرد جواباً هذا وعبلة قد خف كربها وذهب عنها بعض همها وما برحت منتظرة قدوم عنتر ابن عمها ولما مضى اكثر الظلام وسكر مفرج بن همام وتفرقت الناس الى الخيام دخل الى مضربه وقال لامه وحق ذمة العرب لا انام الليلة ولا يقر لي قرار حتى ابلغ من جارية العبسية ما احب واختار والا قتلتها بعدما اذبح بين يديها خمسين رجلاً من بني عمها الاجواد واكلهم بعمارة والربيع بن زياد فعندها خرجت امه الى مضرب المولدات ونادت بعبلة الى بين يديها وقالت لها اعلمي ان مولاك الليلة قد غرق في سكرة المدام وقد اقسم بالبيت الحرام انه لا ينام الاوانت ضجيعته عند المنام والا ذبحك وذبح من بني عمك خمسين رجل من السادات الكرام فاقبلي مني واجيبيه وقد نلت منه كل ما

تشتهيه ولملك اذا نزلت في قلبه بالمكان الرفيع تشنفين في قومك وتخلصين الجميع فقالت عبلة وحق من رفع السماوات لو قطعني الف قطعة وسقاني من كؤوس الموت الف جرعة وذبح اهل الدنيا ما رآني له ضجيعة ولا سامعة ولا مطيعة فلما سمعت ام مفرج ذلك من عبلة شتمتها ودار بها الغيظ فلطمتها وقالت لمن حولها من العبيد اسحبوها على وجهها حتى توصلوها الى سيدها يفعل بها ما يريد فداروا بها وصاروا يجرونها وهي تصيح يا لعبس يا لعدنان اما من معين اما من مجير اما من نصير على العدى اما لهذا الامر من فدا اما من رجل كريم يكون له نخوة وغيرة على الحريم ولم تزل كذلك حتى سمع اساري بنو عبس فقالوا الليلة كابن عليهم يا وجوه العرب ما بال بنت عمنا عبلة تصيح في هذا الليل فقد سمعناها تنادي بالحرب والويل فقال لهم بعض العبيد ان سيدنا مفرج بن همام قد اقسم بحق الكعبة والحرام انه لا ينام هذه الليلة الا ان يبلغ من عبلة المرام وان لم تطعه على مراده لا يبقي منكم شيخ ولا غلام فقال عروة بن الورد انا اسال رب السماء ان عبلة تزيد عليه في تغليظ الجواب فلا له يغضب و يضرب منا الرقاب و يريحنا من العذاب والله لو قبل مني ما تعرض لها لانها وحق ذمة العرب مشومة على كل من خطبها ونحس على كل من طلبها قال المصنف وما فرغ عروة من كلامه حتى سمع صوتاً يصدع الحجر و يصم اذان الدب الذكر والصياح من جوانب الحلة قد علا حتى زلزل الجبال والسيف قد عمل في اطراف الحي فتهار بث الرجال فاصغوا الى تلك الاصوات واذا بها تنادي يا لعبس لعدنان وزعقات عنترة بن شداد قد اقبلت الجبال والوديان واذا الرجال تنافر بين الخيام والاطناب وتصادم بعضها وتطلب الهرب والذهاب

قال الراوي وكان عنترة لما سار من الديار ومعه مالك بن الملك زهير وهم يقصدون ديار مفرج بن همام ساروا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ثار من بين ايديهم غبار وانكشف عن خمسمائة فارس كرار يقدمهم فارس كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل يقال له مسعود بن الغيداق من بني بارق وكان صاعقة من الصواعق وكان السبب في قدومه ان عنترة كان قد قتل اباه قديماً و ربي هذا الغلام يتيماً فلما كبر طلع آفة من الآفات وبلية من البليات فعيرته العرب بترك ثاره فاتى بهذه الفرسان طالباً ارض بني عبس وعدنان ليقتل عنترة بثار الغيداق فوقع به على سبيل الاتفاق ولم يكن يعرفه فارسل فارساً من قومه فعاد اليه على الاثر واعلمه ان هذا عنتر ففرح واستبشر وحمل عليه كالاسد القسور فحمل عليه عنتر وقال يا ويلكم من تكونون من انذال العربان فقال انا مسعود الغيداق البارقي الذي

قتلته في سالف الزمان وانا سائر اليك حتى اقتلك وآخذ ثاري واكشف ذلتي وعاري فقال عنترة مرحباً بك يا ابن الكرام فابشر بكشف العار ورفع الملام وها قد دفعت نفسي اليك ولا ابخل بها عليك ثم تقدم اليه عنتر واخترط الضامي الابتر وما تركه يجول حتى ضربه على وريديه فاطار راسه من بين كتفيه وحمل على اصحابه فهربوا وكان معهم غنيمة من اموال بني غطفان ومعهم جملة اسارى من العبيد والفرسان فردهم سالمين الى ديارهم بالامان واخذ في مسيره يطلب ديار بني قحطان . قال الراوي ولم يزل عنترة والفرسان سائرين حتى قربوا من الديار فاراد عنترة ان يرسل اخاه شيبوب يكشف له الاخبار واذا هو بجميل العبسي الذي اخذ الذمام من مفرج بن همام قد التقى بهم في تلك القيعان وكان سائرًا يطلب الاوطان فرمى نفسه الى الارض وصار يحثو التراب على راسه وينوح على اهله وناسه فتقدم اليه عنترة وساله عما جرى للربيع واخوته مع مفرج بن همام وعشيرته فقال جميل والله يا حامية عبس لقد اسرت رجال بني زياد وعن قريب يصلبون كلهم على الاعواد فقال عنترة والله لقد عوقبوا باعمالهم وجازاهم الله على سوء افعالهم وانا قد عزمت ان اباغت القوم في الظلام واروي من دمائهم هذا الحسام واقيم في ديارهم المناحة والصياح واخلص عبلة قبل الصباح ثم ساروا يطوون الارض حتى وصلوا الى ديار بني طي فمد عنترة نظره فراى النيران قد خمدت بعد الوقيد ونامت السادات والعبيد فقال لمالك بن زهير خذ يامولاي عن يسار القوم واتركني وحدي لميمنتهم وانظر ما يجري عليهم بعد غفلتهم ثم اعطاه مائة وخمسين فارساً واخذ معه خمسين وهجموا على المضارب من الشمال واليمين وبذلوا السيوف في الشيخ والشاب ورووا من دمائهم التراب ونعق فيهم الغراب ونادى على ديارهم بالخراب قال وكان مفرج في انتظار امه حتى تقدم عليه بعبلة فلما سمع الصياح طار السكر من راسه وانتبه بعد الغفلة وقال لعبيده يا ويلكم قدموا الي الجواد وآتوني بعدة الحرب والجلاد عسى ان تكون المقادير قد اتتني بعنترة بن شداد وزين له الجهل وجه المحال لاجل وقوعه في الهلاك والوبال قال وسمعت عبلة صوت عنترة يدوي مثل الرعد القاصف فسكن قلبها وانجلت عنها المخاوف ونادت باعلى صوتها اتاك يا ابن همام البطل الهمام وفاتك ما كنت ترجوه من طيب الوصال بوصول قاطع الاوصال والليلة ترى بعينيك ما كنت تسمعه باذنيك ولا بد له ان يطير راسك من بين كتفيك قال فلما تكلمت بهذا الكلام لطمتها ام مفرج على وجهها وقالت لها اسكتي يا بنت اللئام تظنين ان مفرج بن همام مثل سائر الرجال الذين لاقاهم هذا العبد الطنجير فسوف ترين امعاء عبدك تندلق وراسه يطير ثم وثبت

الى ولدها فراته قد ركب الجواد وهو لا يقدر على الثبات من خمار الشراب نخافت عليه من غوائل الطعان والضرب وردته عن الركوب فانثنى الى خيمته وراى ان ذلك منها بالصواب هذا والسيف يعمل والصياح قد زعزع السهل والجبل وشيبوب يضرم النار في الخيام و يرمي من صادمه بالسهام فنفرت النوق والجمال من شدة الزعقات والاهوال وداست في بطون النساء والرجال وتفرقت بين الروابي والتلال وما زال الامر كذلك حتى ذهب الليل واقبل الاصباح فانقطع الصراخ والصياح لان رجال الحي تركوا الديار وطلبوا النجاة والفرار واسرع شيبوب الى اسارى بني عبس فراهم في القيود الثقال وقد هلك منهم عشرة رجال تحت دوس الجمال وكانت ام ناقد قد نظرت الى ما حل بقومها من البلاء فركبت جواد من خيول القتلى واخذت سيفاً من العدد المطروحة على وجه الفلاء وقالت وحق اللات والعزى لا اخرجن من هنا حتى اشفي فؤادي من هؤلاء الاسارى اولاد الزنا ثم هجمت عليهم وكان شيبوب عندهم قد حل منهم عشرة فرسان فلما رآها طالبة قتلهم صرخ فيها ونادى يالعبس يا لعدنان فعندها هربت العجوز في جملة من هرب وكاد فؤادها ان يطير من شدة الغضب وما اصبح الصباح المنير و بقي في حي بني طي الا قتيل او اسير وكان شيبوب قد عاد الى عبلة فنظرها تخوض في بطون القتلى وهي تنشد وتقول

انعشوا روحي وداووا كمدي	وخذوا نحو ابن عمي بيدي
قل صبري وتشفى حاسدي	ولقيتُ الذل بعد الاسودِ
جسدي يضعفه ريح الصبا	كيف يقوى للعذاب المجهدِ
قرّبوني من حمى عنترةٍ	ليس يحمي الظبي غيرُ الاسدِ
واخبروه انني من بعدهِ	لم ازل في حيرةٍ لا اهتدي
وردُ خدّي الذي تعهدهُ	غيّرتهُ ادمعٌ كالبَرَدِ
وجفوني زال عنها حسنها	وشكتْ طولَ البكا والرمدِ
غربة دائمة عند العدى	وعذابٌ فاقَ طورَ الجلدِ
لو لقي بعضَ الذي لاقيتهُ	جلدٌ ذاب فؤادُ الجلمدِ

قال الراوي فوثب شيبوب اليها كالذئب الاغبر واوصلها الى اخيه عنتر فوجد درعه مغرقاً بالدماء واكمامه تقطر مثل قطر الماء ولما نظرها عنتر ترجل اليها وهناها بالسلامة مما جرى عليها وقال لها والله يا ابنة العم يعزّ عليّ ان تقاسي هذه المقاساة وانا في قيد الحياة ثم قال لاخيه شيبوب خذ عبلة وادخل بها الى بيت مفرج واجلسها على سريره كما كان يشتهي في

ضميره وابقى عندها حتى التقي انا بمالك بن زهير ورجاله واقف على جلية حاله فاخذها شيبوب وادخلها الى بيت مفرج فراه خالياً من النساء والرجال فنظر فيه الى اليمين والشمال فراى الثياب التي كانت على عبلة والتاج الكسروي والحلى فسلم ذلك جميعه اليها وقال لها البسي فان الله قد دفع عنك البلى وسار عنترة طالباً مكان مالك واصحابه واذا هم يركضون بين الخيام والمضارب و يهزون الرماح والقواضب ومالك في اوائلهم مثل العقاب وقد انزل على الاعدا صواعق العذاب ورجع وهو ينشد و يقول

شكا صارمي في غمده شدة الظما فقلت اصطبر حتى ارويك بالدما
فجردته بالكف اسود عابساً وقد عاد نحوي احمراً متبسما

فقال له عنترة والله يا مولاي انك لصادق في مقالك وهذا اقل فعالك ثم قبل قدميه في الركاب وهناه بسلامته وشكره على علو همته وساله عن ليلته فقال مالك والله يا ابا الفوارس انها ليلة تعد بليال لانها كانت عظيمة الاهوال ولكن بهيبتك انتصرنا وبلغنا الامال ثم انتقد ومن معه من الفرسان فوجد قد فقد منهم ثلاثة ابطال ومن اصحاب مالك خمسة رجال واما ارض الحي فكانت مفروشة بالقتلى في جميع الجوانب والحي منقلب من انين المجروحين واصوات النوادب وعدتهم فرسان عنترة فكانوا ار بعمائة رجل عادوا وقد عزموا على الارتحال فتلقاهم الربيع بن زياد واخوته ومن معه من الرجال وكان قد بقي منهم نحو مائة وعشرين فركبوا من الخيول الشاردة واخذوا السلاح من بيوت المنهزمين وتقدم الربيع بخبثه ومكره و بكي امام عنترة وقال يا ابا الفوارس والله مافينا من له وجه يقابلك به لاجل فعالنا الذميمة ولاجل ما فقد اوليتنا من الايادي الجسيمة ولكن يا ابن العم الخطا من شيم الانسان وكل يطلب لنفسه الزيادة و يكره النقصان والان قد بين الله فضلك وجمع بنت عمك شملك وها نحن بين يديك مثل العبيد فافعل بنا ما تريد لاننا بهيبتك نجونا من التلاف و بهمتك فرج الله عنا الوثاق والكتاف ففرج الله عنك الشدائد وجعل تحت اقدامك كل عدو حاسد قال الراوي ثم ان عنترة عاد الى عمارة وحياه بالسلام وهناه بالخلاص من اسر مفرج بن همام ثم نزلوا في الخيام يطلبون الراحة وعنترة يقول لهم والله يا بني عمي لولا هذا الخلف الذي اشمت العدى ما كان ذل عبسي ابدا والان قد رزقنا الله النصر وخلصناكم من الامر ونحن اليوم في بلاد بني قحطان وقد عادينا جميع ما فيها من العربان وان هولاء القوم الذين هربوا من بين ايدينا لا بد ان ينفروا الينا الفرسان والصواب اننا ناخذ الراحة ونا كل الزاد ونرحل من هذه البلاد ومن لحقنا

منهم كان له مايدبره رب العباد ثم ذبحوا الاغنام واضرموا النيران وروجوا الطعام . قال الراوي وكان الذين سلموا من بني طي قد تعلقوا في رؤوس الجبال ومعهم النساء والاطفال وصار مفرج يا كل كفيه ندما على ما جرى عليه وكان قد ومى على نفسه عند اقبال النهار وصحا من سكرة العقار ونظر الى اصحابه والفرسان ممدين على تلك القيعان واما بنو عبس فاخذوا لهم راحةً وا كلوا الطعام ثم رحلوا قبل انقضاء النهار وساروا طالبين الاهل والديار وهم يقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار وفي ذلك الوقت وصلت بنو جديلة قبيلة حاتم الطاءي في خمسمائة فارس تطلب الفرجة على بني عبس فرات الديار في حالة التعس والنكس والتقاهم مفرج بن همام بالبكاء والنحيب واخبرهم بما جرى عليه من البلاء والتعذيب فلما سمعوا كلامه قالوا لا بد ان تلحق الاعداء ولو وصلوا الى اخر البيداء ولا نعود حتى نخرب ديارهم ونقلع اثارهم وبينما هم كذلك اقبل بنو نبهان في الف وخمسمائة فارس كانهم الاسود العوابس يتقدمهم المهلهل بن فياض وفارسهم جابر بن غلاثة الطامة الكبرى والمصيبة العظمى فاشتد قلب مفرج بذلك الشان وانجلت عن قلبه الاحزان واخبرهم بما جرى عليه من الحال فنالهم اشد منال وقال جابر لمفرج وكم كان مع عنترة بن شداد حتى فعل بكم هذه الفعال الشداد فقال مفرج وذمة العرب ما كان معه اكثر من مايتي فارس ولكن باغتونا تحت الليل الدامس وكنت انا والفرسان الذين اعتمد عليهم سكارى نياماً فبلغ مناما اختار ومن ساعته هرب يطلب اهله والديار قبل ان نفيق من الخمار فقال جابر وا ذل بني طي بين العربان وا حرباه من هذه المصيبة مني ما سمع بمثلها في الزمان والله لا نزلت عن ظهر الحصان حتى اقتل هذا العبد الكشحان واقلع منه الاثار ومن قبيلته الاشرار وانفي عن بني طي العار ثم سار من وقته يقطع القفار وعينه تقدح مثل الشرار واخذ بني عمه واصحابه وقد اصابهم مثل ما اصابه وجمع مفرج بقية قومهِ والتجا الى بني جديلة وساروا جميعاً على اثار بني عبس وهم في الفين وثلاثمائة فارس فادركوا عنترة ورجاله قبل غياب الشمس فقال مفرج لجابر يا ابن العم الراي عندي ان نهجم عليهم قبل الصباح ونبهيهم باسنة الرماح فقال جابر ما هذا صواباً لانهم عصابة يسيرة ونحن طائفة كثيرة وان اختلطوا بنا ضاعوا في ظلام الليل فيقتل بعضنا بعضاً ويلعب السيف في اصحابنا طولاً وعرضاً ونكون قد طلبنا الربح فنوقع في الخسران وقادتنا العجلة الى طريق الذل والهوان والراي عندي ان تاخذ الف فارس وتطلب المقدمة وتمسك على القوم طريق ديارهم وابقى

لنا في الف وثلاثمائة فارس على اثارهم واذا اصبح الصباح انطبقنا عليهم و بذلنا فيهم
السيوف وسقيناهم كاسات الحتوف ونكون قد عرفنا الاصحاب من المدي وبان لنا
الضلال من الهدى فقال مفرج هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب وكان جابر
رجلاً خبيزاً وبامور الدهر بصيرًا وهو ابو وَزَر الملقب بالاسد الرهيص الذي يجرى
له مع عنترة حادث يذكر . قال الراوي ثم ان مفرج بن همام اخذ معه الف فارس وتقدم
يطلب المقدمة اعتمادًا على ذلك الكلام واما بنو عبس فسمعوا الصياح وابصروا لمعان
اسنة الرماح وبريق الصفاح فقال مالك لعنتر ما عندك من الراي يا ابا الفوارس
فقد ادركتنا قبائل بني طي في هذا الليل الدامس وربما حملوا علينا في ظلام الليل
واذاقونا الحرب والويل فقال عنترة يا مولاي لا تخف من هذا الامر لانهم لو فعلوا
ذلك خسروا وربحنا وفسد امرهم واصطلحنا لان العصابة القليلة يسترها ظلام الليل
الاسود ولا سيما اذا اختلطت بكثرة العدد وهذا لا يفعلونه ان كان فيهم رجل خبيز
بالحرب وبصير بابواب الطعن والضرب فقال مالك اراهم قد انقسموا علينا قسمتين
وافترقوا فرقتين والفرقة الواحدة تقدمت لتملك علينا راس المضيق وتقف لنا في الطريق
فقال نعم خافوا ان نهرب منهم في الليل اذا راينا كثرة الرجال والخيل وانا وحق من
نوّر الهلال وارسى شوامخ الجبال لا اترك الصباح يصبح حتى اكون فصلت النوبة
وعرفتهم الحق من المحال فقل لاصحابك ياخذون الاهبة للقتال ولا ينزلون عن ظهور
الخيل حتى اريك ما افعل بهولاء الانذال فقال الربيع بن زياد على ماذا عولت يا فارس
عدنان قال عنترة عولت ان اترك القوم حتى ينزلوا و يامنوا على انفسهم واحمل بكم على
الفرقة التي بين ايدينا واخوضها كما يخوض الفارس فى الميدان وانا اعلم ان الصياح
يقع علينا وتطمع فينا الفرقة التي ورانا وتاتي الينا ولكن انتم تفرقوا وقت الحملة في
الحرب واطلبوا المقدمة وبادروها بالطعن والضرب ثم تفرقوا في الارض واتركوا بعضهم
يفتك بالبعض واول حملتكم نادوا بانسابكم وافتخروا باحسابكم واذا اختلطنا بهم فاصمتوا
حتى لا يعرف العبسي العدناني من الطاءي القحطاني . قال فلما سمع الربيع كلامه رآه
عين الصواب واوصى به رجاله والاصحاب فقال عمارة لعروة بن الورد يا ابن العم والله
هذه ليلة عظيمة الخطر واريد ان اغتنم فيها قتل عنترة واذا قتلته يقال في الحي انه
قتل من بني طي فقال عروة والله يا عمارة ما هذا الراي الا فاسد وكلام جاهل حاسد
فوالله لو قتل في هذه النوبة عنترة ما سلمنا نفر ولا من يخبر بخبر فدعنا بالله عليك من

هذا المذيان الذي لا يسمعه انسان ثم اخذوا الاهبة في انفسهم للحرب واعتدوا للطعن والضرب فصبر عنترة حتى نزلت الطوايف وامن قلب كل خايف ونام منهم الاكثر واظلم الليل واعتكر فقال لشيبوب كن انت الليلة محافظاً لعبلة ولا تبرح بها على اثري عند الحملة وكان قد اركبها على جواد سابق والبسها صدرية من الزرد مضاعفة العيون كثيرة العدد خوفاً عليها من غائلة تصيبها في المجال عند اشتغاله عنها بالقتال ثم نبه مالكاً بن زهير ورجاله وايقظ الربيع وابطاله فانضم بعضهم الى البعض وحملوا حملة تزلزل الارض وهزوا بايديهم الرماح وانتشروا في تلك البطاح وانطبقوا على مفرج بن همام انطباق الغمام وسمع جابر فارس بني نبهان فزعق على الابطال والفرسان وقال للمهلهل لقد اصاب عنترة واصحابه في هذه الفعال وعملوا عمل الرجال وما هي الاخبرة بامور القتال فان حملنا لمعونة اصحابنا ضاع القوم بيننا فكنا نحن الخاسرين وان تركناهم كسروهم وخرجوا من هذه الديار سالمين فقال المهلهل ما هذا الكلام ياجابر كيف يخفي العبسي العدناني من الطاءي القحطاني فاحمل بالناس ودع عنك التواني ثم حمل جابر والمهلهل وقصدوا الصياح وحملت الرجال من خلفهما وقد هزوا في ايديهم الرماح واختلط الجموع تحت غياهب الظلام وقام الحرب على ساق وقدم وهمهم الشجاع وتقدم وحار السيف لما حكم وانهل الدمع وانسجم وتغيرت الاحوال والشيم وعمل عنتر في تلك الليلة عملاً اعمى النواظر واذهل الخواطر وقاتل في تلك الليلة قتال من كره دنياه ورمى نفسه الى الاعداء وطلب الوفاة لما علم ان عبلة وراه وفرق الكتائب ونكس المواكب واظهر الاهوال والعجائب وطعن في الصدور والترائب ونكس من الاعداء جانباً بعد جانب ثم انسل بجواده بين الاعدا واتسع في البيدا وكذلك فعلت اصحابه وانتشروا في تلك الارض وتركوا القوم يفتك بعضهم بالبعض وما زالوا كذلك الى وقت الصباح فعرفوا بعضهم وتركوا الكفاح وقتل من بني طي و بني قحطان في تلك الليلة سبعمائة فارس او اكثر واكثرها من سيف عنترة وقد قتل من بنو عبس ثلاثون فارساً وانجرج الامير عمارة جرحاً اشرف منه على الخطر ولما انفصل الناس بعضهم عن بعض وعولوا ان ينزلوا على الارض خرجت سلمى ام نافذ بن الجلاح الى مواكب بني قحطان وعليها ثياب السواد كانها بعض الغربان وزعقت وا ذل بني طي الى الابد من فعل هذا العبد الاسود يا للعرب اما فيكم فارس ياخذ لي بالثار من هذا العبد ويطعمني قطعة من لحمه ويسقيني جرعة من دمه ثم انها بكت حتى ابكت العيون وهمت ان ترمي

نفسها على بني عبس مثل الهائم المجنون فقفز اليها مفرج وقال لها ارجعي يا خالتاه واقلعي من النوح والتعداد فانا الملك المراد واقود اليك عنترة بن شداد بعد ما افني بني عبس و بني زياد واجعلهم مثلا بين العباد لان ثارنا اليوم اعظم من ثارك وعارنا اشد من عارك ثم انه صال وجال وطلب الحرب والنزال ونادى ويلكم يا بني عبس قد صار بيننا و بينكم في هاتين الليلتين ما صار والان قد بان النهار الذى تبان فيه منازل العلو والافتخار وشيمة العرب الانصاف وهي من شيم الاشراف فابرزوا الينا فارس لفارس وشجاعاً لشجاع حتى نتلاطم في مقام القراع ولكن لا يبرز لي الاَّ من نسبه مثل نسبي وحسبه مثل حسبي حتى اذا اخذنا بالثار من السادات الاماجد عدنا الى قتال العبيد ولما فرغ مفرج من هذا الكلام خرج الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فخرج اليه عنترة مثل الاسد الغضنفر وهو يقول له ثكلتك امك يا كاب العرب من هو انت حتى تطلب براز السادات وتعد نفسك من اولاد الحرائر العربيات ها انا اقل العبيد لبني عبس اقلع اثارك واخرب ديارك واخمد بين العرب نارك و يلك يا مفرج لا فرج الله لك شغلة سبيت بنت عمي عبلة واوقعتني في الهم والدبلة وكاني راض بمن قتلت لكم من الابطال ومن يتمت من الاطفال فوالله لا خرجت من هذه الديار حتى احصد كباركم والصغار وافني العبيد والاحرار ثم انشد يقول

اذا خصمي تقاضاني بدينٍ	قضيت الدينَ بالرمح الرديني
وحد السيف يرضينا جميعاً	ويحكم بيننا طوراً و بيني
جهلتم يا بني الانذال قدري	وقد عرفوه اهل الخافقينِ
علوت بصارمي و بسعد جدي	الى اعلى السهى والفرقدَينِ
وكم من فارس خليتُ ملقى	عفير الخد مخضوب اليدينِ
واخرَ هارباً من هول شخصي	وقد اجرى دموع المقلتينِ
وما هدمت يد الحدثان ركني	ولا مدَّت اليَّ بنان بيني
وكيف اخاف من خصمي وسيفي	صقيل المتن دامي الشفرتينِ
فسوف ابيد جمعكم بسيفي	وتخمد لوعتي وتقر عيني

قال ولما فرغ عنتر من شعره التحما في المجال وانتشب بينهما القتال وجرى بينهما عجائب واهوال تحير صناديد الرجال وما زالوا كذلك الى ان كل مفرج ومل وهان بعد عزه وذل واراد ان يشير الى قومه و يطلب منهم نجدة فما امهله عنترة بل اطبق

عليه اطباق الغمام وضربه بالحسام فوقع السيف الى راسه شقه الى تكة لباسه ووقع الى الارض يخبط بدمه ويفحص بقدمه فعندها صاحت فرسان بني عبس من شدة الفرح ووقع في بني طي الحزن والترح وعولت بنو طي ان تحمل في مرة واحدة فمنعهم جابر فارس بني نبهان وقال لهم ان حملتم خسرتم مع هذا الشيطان وان لم يقتل ما تنالون غرضاً ولا تشفون مرضاً لانه قد داخله فيكم الطمع ووقع في قلوبكم منه الفزع وانا قد بان لي منه عند قتاله امر ما بان قبلي لطالب وعرفت من اين تنزل عليه المصائب واريد ان اكفيكم شره واصرم لكم عمره ثم انه قام يطلب عنتر وهو مثل الاسد القسور وجال معه ساعة حتى عرف مقدار ما فيه من الشجاعة وكان جابر مزدرياً بعنتر حتى وقف معه في الميدان فراه جيد الخبر في مواقف الطعن والضراب فعند ذلك ضاق صدره وندم عَلَى نزوله الى عنتر وصار يريد ان يتقهقر ولكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد الى ان اختلف بينهما طعنتان وكان الاسبق فيها عنترة فوقع سنانه بين صدر جابر ونحره فطلع يلمع من فقارة ظهره فوقع قتيلاً وصار على الارض جديلاً فعندها صاح المهلهل في بني نبهان وقال ويلكم دونكم هذا الشيطان فعندها تصايحت الفرسان وتبادرت الشجعان وطلبوا عنتر من كل جانب ومكان وحمل الامير مالك في طائفة بنو عبس والتقى نفسه في الميدان وكثر الصياح والضجيج في الاقطار وطلع القتام والغبار وعمل الصارم البتار وقصرت الرجال طوال الاعمار وتصادمت الابطال مثل موجات البحار واندهل الجبان وحار وتساوت العبيد والاحرار وطلب عنترة قوم بني نبهان فنثر الفرسان والشجعان بتواتر الضرب والطعان وراى المهلهل بن فياض حملاته على المواكب وتفريقه لها من كل جانب فخاف ان يلحقه بجابر بن غلاثة ومفرج بن همام ويسقيه كاس الحمام فولى وطلب الانهزام وتبعته فرسانه من كل جانب ومكان وثاق في اثرها بنو عبس كالعقبان وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان ومازالوا وراهم حتى اطلعوهم من تلك الارض المقفرة وساقوهم خمسةً خمسةً وعشرةً عشرة ثم عادوا عنهم وعنترة في اوائلهم مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان ولما قرب من عبلة راها متبسمة من افعاله ومبتهجةً باعماله فجاش الشعر في خاطره وانشأ يقول

يا عبلَ ان كان ظل القسطل الحالكِ ... اخفى عليك قتالي يومَ معتركي
فسايلي ابجري هل كنتُ اطلقه ... الا على موكب كالليل محتبكِ

وسايلي الرمح عني هل طعنت به ... الا المدرعَ بين النحرِ والحنكِ
وسايلي السيف عني هل ضربت به ... يوم الكريهة الا هامة الملكِ
اسقي الحسامَ واعطي السيف نهلته ... واضرب القرنَ لا اخشى من الدركِ
لي همةٌ عندَ وقع السيفِ عاليةٌ ... وعفة عند وقع الطير في الشركِ
يا عبلَ ان تجهلي حربي وما فعلت ... يدي قفي وانظريني كي يبين لكِ
كم ضربة لي بحد السيف قاطعة ... وطعنة شكتِ القربوس بالكركِ
لولا الذي ترهب الافلاك سطوته ... جعلت ظهر جوادِي قبة الفلكِ

قال الراوي فلما انشد عنترة هذه الابيات صفقت عبلة طربا وتمايلت على جوادها عجبا وقالت صدقت يا ابن العم انك فوق ذلك وهكذا فعل الامير مالك واما ابو عبلة و بنو زياد فذابت منهم الاكباد وشكروه في الظاهر وفي الباطن انشقت منهم المرائر قال ولما نزلوا في الخيام اكلوا ما راج لهم من الطعام قال لهم عنترة يا بني عمي خذوا الراحة الى نصف الليل واركبوا بعد ذلك على صهوات الخيل واقطعوا بنا هذا الطريق قبل ان يلحقنا لاحق او يعيقنا عايق ثم قام يريد ان يتولى الحرس الى الغلس فقال الامير مالك والله يا ابا الفوارس ما ادعك تتكلف هذا الامر وحدك لانك لقيت من الحرب في هذا النهار ما كفى وقد تعبت جهدك فاستحى الربيع وركب بجماعة من بني زياد وركب عروة بن الورد ومالك بن قراد وما فيهم الا من هو محترق بنار الحسد ذايب الروح والجسد وكل منهم يتمنى قتل عنترة ولاسيما عمارة فانه العدو الاكبر ولما خلوا بانفسهم صاروا يشتمون عنترة بكل شفة ولسان و يتشاورون فيما يفعلون بعد وصولهم الى الاوطان فقال مالك ابو عبلة والله يا بني عمي ما لي عين تقدر ان تراه ولا اقدر ان اجاوره ما دمت في قيد الحياة واريد ان اسير بابنتي في الليال الى مكان يقيني من هذا الحال واعيش عزيزاً عند الغربا ولا اكون ذليلاً بين الاقربا فقال له الربيع بن زياد والله يا ابن العم ما نمكنك من هذا الامر الذي يشمت بنا الاعدا والحساد ولكن انا اشير عليك بامر ان فعلته تبلغ المراد ولا تبالي بعنترة بن شداد ولا باحد من العباد قال مالك وبماذا تشير يا ايها الامير قال الربيع هو انك تصبر حتى نصل الى الديار فادخل على الامير شاس مسلماً عليه وامسك بذيله واطلب منه الذمام وسلم ابنتك اليه وقل له هذه ابنتي امتك واريد ان تجعلها تحت يدك وتزوجها بمن تريد حتى لا يطمع فيها احد من العبيد واذا صارت ابنتك عند الامير شاس

امنت عليها من جميع الناس و بعد ذلك ننتظر لعنترة الفرص حتى نظفر به في بعض الاوقات ونطرحه في لهوات الافات قال ولم يزالوا على مثل ذلك حتى تنصف الليل فاجتمعوا ورحلوا يطلبون الديار وفي قلوبهم من عنترة شعل النار وما زالوا سائرين الى ان تنصف النهار و بينما هم كذلك التفتوا الى خلفهم فراوا الوحوش جافلة في الاقطار وظهر لهم من خلفها غبار قد سد منافس الاقطار فقال بعضهم لبعض هذه خيول بني طي قد نفرت الينا واقبلت علينا فردوا رؤوس الخيول وتاهبوا للقتال واصبروا على ملاقاة الاهوال فقال لهم عنترة لا تخافوا يا بنى عمي فلا يقتل الا من دنا اجله وحان مرتحله ثم ان عنتر حرك الجواد وتبعه ابوه شداد ومالك بن زهير وتمام العشرة من ابطاله الشداد واسرعوا يكشفون الاخبار فلم تكن الا ساعة حتى ظهر من تحت ذلك الغبار جيش جرار قد ملا تلك القفار وماجت الخيل من تحته كما يموج البحر اذا لعبت به عواصف الرياح وانقلبت الارض بالضجيج والصياح ونشرت رايات الحروب و بنوده وهممت اسوده و كثرت بروقه ورعوده وتزاحمت جنوده وكان المقدم على ذلك الجيش العديد ملجم بن حنظلة واخوه يزيد لان مفرج بن همام كان قد ارسل اليهم يخبرهم بامر بنى زياد وانه يريد قتلهم وصلبهم على الجزوع والاعواد ففرحوا بذلك لانه كان عندهم غاية المراد ومن الغد وصلت اليهم اخبار المباغتة التى جرت في الحي وما فعل عنترة بن شداد في بنى طي فقال ملجم لاخيه يزيد و يلك كيف نخلي بنى عبس يدخلون الديار و يفعلون هذه الفعال و يرجعون سالمين من الدمار ونحن ملوك الزمان وسادات بنى قحطان ثم ان الملك ملجم ارسل الرسل الى جميع حلله تنذر الرجال فعند ذلك ركبت الابطال وركب كل واحد منهما في الفين من الفرسان وساروا يقطعون الفيافي والقيعان حتى وصلوا الى ديار مفرج بن همام وراوا القتلي مثل قطعان الاغنام فزاد بهم الغيظ والغضب واستمروا في سيرهم وقد خافوا من معيرة العرب ولم يزالوا مجدين يقطعون الفيافي والقيعان الى الا التقوا بالمنهزمين من الوقعة التى قتل فيها مفرج بن همام وجابر بن غلاثة فارس بنى نبهان فجمع ملجم ساداتهم وسالهم عن الخبر فحدثه المهلهل عما فعل بهم عنترة فصار الملك ملجم يطيب قلبه وهو يقول له و يلك يا ملجم عوقتني عن المسير وسرعة التشمير والساعة ياتينا عنترة فيهلكني انا واياك ولا تظن انه يعفو عنك اذا لاقاك فليس لحصود الرؤوس عنده قيمة ولا تنجي من بين يديه الهزيمة قال ملجم ذل هذا الكلب الاسود والله ان لقيته لاطيرن راسه بهذا المهند ولا اتركه

يجول معي حتى اطرحه على الارض كالجذع الممدود وانا اشتهي ان ابارزه لتعلم
الناس الشجاع من الجبان ولكن اخاف ان لا يتجاسر على مبارزتي في الميدان فلا اشفي
قلبي وقلوب بني قحطان ثم ساروا من اول الليل فالتقوا ببني عبس ضحى النهار وكانوا قد
اكتملوا عشرة الاف فارس كرار وابصر بنو عبس كثرة العدد ولمعان البيض والزرد
فحاروا في امورهم وتقطعت سلاسل ظهورهم فقال عمارة لمالك ابي عبلة جاءك والله يا مالك
ما كنت تومله واليوم يقتل عنترة ويقضي اجله فقال عروة بن الورد وذمة العرب يا عمارة
ان قتل عنترة ما يسلم منا من يخبر بخبر فقال له صدقت يا عروة والراي اننا نرد رؤوس
خيولنا ونطلب الهرب فذلك خير لنا من ان نشرب كؤوس العطب قال عروة ويلك
يا مالك اتريد ان تسبي ابنتك ويملكها بنو قحطان قال دعهم يملكوها ولا يملكها هذا
الشيطان قال الربيع يا بني عمي لولا ان مالك بن زهير تقدم حتى يكشف الخبر كنا
فعلنا ذلك ونجونا بانفسنا من المهالك ولكن نخاف من عتب الملك زهير ان يقول لنا
انتم من بغضكم لعنترة تركتم ولدي في مقام الخطر والراي عندي ان نثبت الى ان
تدور بنا المواكب وتقصدنا من كل جانب فنقاتل ساعة ونصيح الهرب ونخلي عنترة
يلاقي وحده القوم ويلقي نفسه في العطب وانا اعلم انه لا يخلي عبلة ويطلب الهزيمة
فلا بد ان يقتل ونستريح من تلك الصورة الرجيمة وربما يتبعنا مالك بن زهير فيكون
لنا في ذلك تمام الخير وبينما هم كذلك غشاهم الغبار الحالك وراوا عنترة وهو قد تلقى
الجيش مثل الاسد الفاتك وتبعه ابوه شداد وعمه مالك والتهب الطعن المتدارك
وانتشر الجيش حتى سد المسالك وحمل الربيع واصحابه بنية فاترة وعزيمة قاصرة ثم عادوا
الى الاعقاب وطلبوا رؤوس الروابي والشعاب وتبعهم من كان عرف ذلك الحال
ووقف سائر الرجال وبذلوا نفوسهم لاسنة الرماح الطوال وبقيت عبلة حيرانة
قلقة ودموعها مندفقة وهي تنادي عنترة باعلى صوتها وترتعد من شدة النزع وهو يحمل
ويعود ويلقي الفرسان قطعاً على قطع واما مالك بن زهير فانه ذلك اليوم استقتل
فقاتل قتال من ايقن بحلول الاجل وفعلت رجاله مثلما فعل . قال الراوي وكان الربيع
وعمارة وعروة بن الورد قد نجوا بانفسهم في خمسين فارساً وطلبوا الهرب وتركوا بقية
قومهم تحت العطب الا ان بني زياد ما ابعدوا من مكان الحرب وخلصوا من غاية
الطعن والضرب حتى ثار من بين ايديهم غبار قد اقبل عليهم وتقدم اليهم فقال عروة
هذا جيش من الاعداء قد مسكوا علينا الطرقات وضيقوا علينا من سائر الجهات والصواب

اننا نميل على اليسار ونبالغ بالفرار . ثم انهم لووا رؤوس خيولهم وطلبوا الفلاة وهم لا يصدقون بالنجاة و بينما هم كذلك اذ بغبار آخر طلع من قدامهم فجعل ضوء النهار مثل الليل وقام من تحته صهيل الخيل فقال عروة الى اين نهرب يا ربيع ها ان الطرق قد انسدت علينا من كل جانب ولقينا شؤم نياتنا في جميع المذاهب ومن طاوعك ومشى معك وقع في المصائب ثم انهم وقفوا حتى انقشع الغبار وظهر للابصار فرأوا من تحته جماعة من الفرسان على خيول اخف من الغزلان وعليها رجال مثل السباع الجياع لا تفزع من الموت ولا ترتاع وكلهم ينادون من فرد لسان يا لعبس يا لعدنان . ثم انهم اطلقوا الاعنة وفوّهوا الاسنة وطلبوا معمعة الحرب واستعدوا للطعن والضرب ولما ابصر الربيع واصحابه ذلك عاشت ارواحهم و بدا صلاحهم وطلبوا الفرسان المقبلين واخبروهم بما فعلوا في ديار بني طي وكيف يتموا البنات والبنين وقالوا لهم ادركوا مالك بن زهير ومن معه من الرجال فما هذا وقت شرح الحال فعندها حملت الفرسان وتبادرت الشجعان واقتحموا الغبار وطعنوا في صدور الرجال وكشفوا بني طي عن ساحة المجال وكان عنترة في تلك الساعة قد ايقن بالهلاك لان الاسنة قد اثخنته بالجراح وقلت قواه من شدة الكفاح . قال الراوي و بينما كان عنترة قد اشرف على الهلاك اقبلت بنو عبس ودارت بالفرسان من كل مكان فانفرجت عن عنترة المواكب وخفت عنه المصائب قال وكان مع هذه النجدة قيس بن الملك زهير واخوه شاس بالفين من الفرسان ذوي الصولة والبأس لاننا ذكرنا انه لما سار عنترة ومالك في تلك الغارة كان الملك زهير في دعوة بدر بن عمه سيد بني فزارة وما عاد الملك زهير الا بعد ثلاثة ايام فاخبروه بالخبر عن مسير ولده مالك مع عنترة فلما سمع بذلك خاف على ولده مالك فقال لولديه قيس وشاس اني اخاف على اخيكما مالك من سطوات ملحم بن حنظلة واخيه شارب الدماء وعلى فارسنا عنترة بن شداد قاهر الاعداء فخذا ألفي من الفرسان وانظروا ما جرى لهما في ذلك المكان ففعلا كما امرهما ابوهما في الحال وساروا من يومهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولما قربوا من ديار بني طي قال قيس لاخيه شاس اعلم يا اخي ان قدامنا الربيع بن زياد واخي مالك وعنترة بن شداد واخاف ان سرنا على طريق واحد ان يتخالف في الطريق فنعدم التوفيق والصواب ان تسير انت بالف فارس شمالاً وانا اسير بالف فارس يميناً ونجعل ملتقانا في مروج الفصلان لانها اول ديار بني قحطان فقال شاس افعل ما بدا لك فانا اتبع افعالك ومن

هناك انقسموا فرقتين حتى التقوا بالربيع بن زياد واصحابه وابصروا غبار الحرب والجلاد فعند ذلك حملوا وكشفوا الخيل عن عنترة بن شداد واعملوا السيوف الحداد في الهامات والاجساد وافتخر الشجاع وساد وامتلات الارض بالابراق والارعاد واتسع المجال على عنترة بن شداد وركب غبر الابجر وكر على الخيل وسقى الرجال كاسات الويل قال الراوي وكان ملجم بن حنظلة واخوه شارب الدما واقفين تحت الاعلام وما فيهم من قاتل ولا خاض القتال حتى راوا طوائفهم تبددت وراوا بني عبس قد طمعت فيهم وتشددت فعند ذلك حمل ملجم واخوه وباشرا القتال واخذا يجولان في معمعة النزال وطال معهما الكر والفر حتى غطى غبارهما جوانب البر والتقى عنترة بشارب الدما وهو ينخي الابطال ويردها الى حومة القتال فصاح فيه عنترة صيحة تفلق الحجر وانقض عليه كالعقاب وطعنه طعنة لو لم يردها الدرع لاسكنته التراب وكان ملجم قد راى من عنتر اهوالاً لم تخطر له على بال فعلم ان ظنه كان فاسداً لانه راى منه ما لم يكن راه من غيره من الرجال فانهزم وتبعه اخوه يزيد وبنو طي وقحطان ونفروا كما تنفر الغزلان وما زالت بنو عبس تضرب في اقفية الابطال حتى اقبل الليل ونشر اجنحته على الروابي والتلال فعادت وقد نالت الافتخار وبلغت من اعدائها ما تختار وهنأ بعضهم البعض بالسلامة ونيل العز والكرامة وافتقد عنترة صديقه مالك فرآه مجروحاً جراحات بالغة فصعب عليه ذلك ثم عدل الى قيس وشاس وترجل لهما عن الجواد وشكرهما على قدومهما ودعا بعد ذلك لابيهما فتبسم قيس من عذوبة كلامه وشكره على اهتمامه واما شاس فانه قال له اهلاً يا ابن زبيبة ولك الهنا بالسلامة من هذه المصيبة لانه كان عظيم التكبر كثير التجبر فما احتفل عنترة بخطابه ولا اعتنى برد جوابه . قال ثم نزلوا جميعهم للاكل وطال بينهم الكلام وحدثهم شاس عن سبب قدومه وكيف كان وهناهم بالسلامة من ذلك الهوان وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان وقد اشتفت قلوبهم من بني قحطان ولما كان الغد ساروا يطلبون الاوطان ولم يزالوا سائرين ثلاثة ايام في تلك القفار وفي اليوم الرابع وصلوا الى ارضهم وامنوا على انفسهم في الديار فنزلوا للمبيت ودخل مالك ابو عبلة على شاس بن زهير وقبل يديه ورجليه وبكى وانتحب بين يديه وقال له يا مولاي انك قد اوليتنا من الاحسان ما يقصر عن وصفه اللسان لانك خاطرت بنفسك لاجلنا وارجعتنا سالمين الى اهلنا واريد منك ان تتم هذا الشان وتمنع عن ابنتي هذا الاسود الكشحان وتأخذها

الى بيتك عند وصولنا الى الاحياء وتستخدمها كما تستخدم الاماء لانه قد عظم شانه وكثرت اعوانه وانا عجزت عن دفع هذا العار وما لي اقامة في هذه الديار وها انا قد فوضت امري اليك وجعلت اعتمادي عليك فان قدرت على نصرتي فافعل والا فقل لي حتى اخذ ابنتي وارحل وانزل على بعض ملوك العربان واطلب الحماية والامان واقول له ان ملك بني عبس قد عجز عن عبده ولاجل ذلك رحلت من عنده قال له شاس وقد رق قلبه عليه مما تذلل وتواضع بين يديه يا مالك طب نفساً وقر عيناً هذا امر لا اتركه يتم عليك ابداً ولا ادعك تحتاج احداً ولا بد لي ان اهلك هذا العبد واسقيه كاس الردى وبعد انصراف مالك من عنده انفذ خلف عنترة واحضره الى بين يديه وقال له يا عنتر ان البغي يورث الندم ومن طلب ما ليس له فقد ظلم واسم ان مالك ابا عبلة كان الساعة عندي وشكا لي حاله وقد اعطيته اماني وذمامي ورهنت عنده كلامي وقد صارت ابنته عبلة من جملة حريمي وصار غريمه غريمي وانا اشير عليك ان لا تذكر عبلة لا سراً ولا جهراً ولا تقل بها لا شعراً ولا نثراً والا اكون انا خصمك من دون الناس وانت تعلم ما عندي من شدة الباس ونحن اولاد الملك زهير احد ملوك الزمان وسيد بني عبس وغطفان لو طلبنا ابنة اقل رجال القبيلة وابى ما تعرضنا له ولا اغتصبناه ولا نقدر ان ناخذها الا برضاه وهذا الرجل ما يريدك لابنته فاتركه يمضي لحال سبيله ويفعل ما يريد في كريمته وانت تقول انك لا تقبل المذلة فكيف تذل لاجل هذه الجارية وتقع في هذه العلة فقال له عنترة ايها الملك انت تعلم ان اباها اطمعني فيها ووعدني بها وتعلم كم مرة خلصتها من السبي والقيت نفسي في المخاطر بسببها ولما طلب مني النوق العصافير اتيته بها محملة جواهر ودنانير وزد على ذلك ما اتيته به من انعام الملك الاكبر وتحف الملك قيصر والى الان انا مخاطر بنفسي لاجل هذه الجارية وهذه جراحي لم تزل دامية ولا سيما ان هذا الخبر قد شاع بين جميع العربان واشتهر في كل مكان فلا يمكنني ان اتركها ما دام لي راس على جسد واترك نفسي معيرة عند كل من قام وقعد وانا اعلم انه ما فعل هذا العناد الا بتدبير الربيع بن زياد حتى يأخذها لاخيه عمارة وانا والله لا بد ان اترك ربحه خسارة واجعلها عليه انحس تجارة وان تزوج بها او ذكرها بكلام قتلته ولو كان

انتهى الجزء السادس من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء السابع

الجزء السابع

من سيرة

عنترة بن شداد

في البيت الحرام او اجتمعت لملوك العرب والاعجام واضع السيف في سائر بني زياد واجعلهم مثلاً بين العباد ثم انه قام من قدام شاس وهو شاهق الانفاس متكدر الحواس ثم دخل على اخيه مالك واخبره بذلك فصعب ذلك عليه وقال له يا ابا الفوارس لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فانا اعرف سماجة شاس والربيع واذا وصلنا الى الحي ارغم انوف الجميع حتى يذل كلهم و يطيع فدعا له عنترة و قبل يديه واثنى عليه وحمده ولما جن الليل واقبل الظلام وطابت العيون المنام قال عنترة لاخيه شيبوب قم سير الابجر واوسع به في البر الاقفر فانه قد استراح وخف عنه بعض الم الجراح فامتثل شيبوب امر اخيه واخذ الجواد وهو يلاطفه ويداريه وبعد ساعة اقبل عنترة وقد ركب جنيباً من جنايب الامير مالك وخرج للحرس الى ان ابعد في البر واجتمع باخيه شيبوب هنالك فركب جواده وقال له سر بنا يا ابن الام وابعد عن هولاء القوم اللئام واطلب بنا البيت الحرام لانني ما بقي لي عندهم مقام فقال له شيبوب وكيف ذلك يا ابن الام فقال انا اعلم اننا اذا وصلنا الى الحلة يلح شاس في معاندتي واخوه مالك لا يتخلى عن نصرتي فتقع في الحي الفتن و يتشتتون عن الوطن وانا لا اريد ان احمل احداً ما لا يطيق بل اداري مرضي بصبري في كل شدة وضيق واقيم في البيت الحرام ولا ابرح من هناك حتى يدركني الحمام او تساعدني على مرادي الليالي والايام فقال له شيبوب وهل لك صبر عن عبلة قال نعم ما دامت في بيت ابيها مخباة وان بلغني ان احداً تعرض لها سقيته كاس المنية ولو كان تبع صاحب قصر غمدان او كسرى صاحب التاج والايوان ثم استمر عنترة في مسيره يطلب البيت الحرام وهو يشكو من شدة الوجد والغرام ولما تمادى به المسير افتكر بما جرى عليه من الامر العسير فانشد يقول

اذا كنتَ في الاحزانِ يا دمع مسعدي اعني عسى تطفي لهيب توقدي

ويا قلبُ ان لم تصطبرْ يوم بينهم — فمت كمدًا موتَ الغريبِ المشرّدِ
الى كم اردُّ الحادثاتِ والتقي — صروف الرزايا بالحسامِ المهندِ
واخدمُ اقوامًا تكنُّ صدورهم — خلافَ الذي يبدونهُ من تودُّدِ
انا عندهم في الحربِ سيدُ قومهم — وفي السلمِ لا اسوى قلامة اسودِ
عدمتُ هوى العينينِ كيف اذلني — وهدَّ قوى صبري واوهى تجلدي
ساطلبُ بيتَ الله اشكو ظلامتي — الى حاكمٍ في حكمه غير معتدِ
رحلت وقلبي في هواكِ مقيد — سائلتكِ رفقًا بالاسير المقيدِ
ستذكرني قومي اذا الخيل اقبلتْ — يخبُّ بها يوم اللقا كلُّ سيدِ
هناك يبونُ الفخر يا بنتَ مالك — صريحًا اذا عضَّ الجبان على اليدِ

قال الراوي وما زال عنترة سائرًا على حاله يقطع القفار و يسلي نفسه بنشيد الاشعار ويلهي قلبه بتمويه الكلام مدة سبعة ايام و في تلك المدة كلها ما نظروا في طريقهما الاسارحة ولا بارحة ولا غادية ولا رائحة فقال له شيبوب يا اخي انا قد سرنا كل هذه الايام فما راينا الا راجلاً ولا راكبا ولا قادمًا ولا ذاهبًا قال عنترة يا اخي لا باس فانني لا اريد ان نلقى احدًا من الناس لاننا والله يا اخي لا نلقى من يحسن الينا بل من يطرح شرهُ علينا وانا والله قد ضجرت من مقاسات الحرب وملَّ قلبي من هذه الايام التي لا يطيب فيها قلب ثم اشار اليه وانشد

اخلو بنفسك واستأنس بوحدتها — تلقي الرشاد اذا ما كنت منفردا
ليتَ السباع لنا كانت مجاورةً — وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
انَّ الاسود لتهدى في مرابضها — والناس ليس بهادٍ شرُّهم ابدا

فقال له شيبوب يا اخي لماذا لا تسير الى ارض العراق وتقيم عند الملك المنذر ملك العربان او تقطد المدائن فتدخل على كسري انوشروان وتشكو الى احدهما فهو يبلغك الارب وتخلص من التعب قال له عنترة ويلك يا شيبوب كاني لا اقدر ان ابلغ مرادي من العدى واضع فيهم السيف حتى لا ابقي منهم احدًا الا بمساعدة المنذر او كسرى او اصحاب الدول الاخرى حاشا ولكنني اخاف على قلب عبلة لانني لو قتلت اباها او اخاها تكدرت عيشتها بعد صفاها ولو قتلت احدًا من بني زياد تكدر الملك زهير ووقع في العشيرة الفساد واما مسيري الى الملك المنذر او كسرى فانني جئت من عندهما في رتبة الملوك والان ارجع اليهما في حالة صعلوك واشكو لهما جور هولاء اللئام والعجز عن بلوغ مثل هذا المرام فهذا لا يكون ابدًا ولومتُّ من ظلامتي كمدًا · قال وما فرغ عنترة من هذا المقال

حتى سمع مناديًا ينادي في ذلك الليل الهادي وقائلة تقول يا للعرب اما في هذا البر من يسمع ندانا و يرحم ذلنا وشكوانا و يجير قومًا قد هلكوا في القفار و يخلص البنات الابكار من غلبات الاشرار واذلاه وا قلة ناصراه ثم اخذت تنوح بهذه الابيات

يا عينُ جودي واهملي بدمعك المنهملِ
على بنات ما لها من ناصرٍ ولا ولي
متهتكات في الفلا فوق الجمال البزّلِ
يبكين من فرط الجوى على ربوع المنزلِ
والشيخ من جراحهِ في غاية التململِ
وقد غدت اولاده طعم الرماح الذبلِ
والام من احزانها انفاسها في شغلِ
ومن لهيب نارها تطلب قرب الاجلِ
ياسائرين في الدُجا تحت ظلام المسبلِ
لعل فيكم بطلاً من نسل ليثٍ بطلِ
مجربٍ يوم اللقا تحت غبار القسطلِ
يسعدنا على العدى قبل انقطاع الاملِ
ويربح الشكر من ال رب القديم الازلِ

قال فلما سمع عنترة هذه الابيات قال لاخيه شيبوب هذه والله امراة مظلومة قد قتلت الاعداء رجالها وسبوا بناتها وتركوها تتقلب بحسراتها وانا اريد من اليوم ان اعين كل مظلوم عسى ان ينتقم من ظالمي مسير النجوم ثم انه حرك جواده نحو ذلك الصياح وهو متألم مما به من الجراح ونادى ما حالك ايتها الامراة الصايحة الباكية النايحة اخبريني ان كان احد عليك اعتدى حتى انتصف لك من العدى فقالت المراة وقد تحول بكاءها فرحًا بمن اجاب نداءها وقالت اي والله يافتى قد اعتدى عليّ الزمان ورمى قلبي بسهام الاحزان وقد افقدني اولادي وتمكنت مني اعداءي وسبوا بناتي واحرقوا فوادي وانجرح شيخ عشيرتي وبعلي وبقيت فريدة في هذا المكان ونازحة عن اهلي ولي ثلاثة ايام انادي في هذا المكان ولا اجد احداً يجيبني سواك ياسيد الفتيان فبالله عليك ان كنت من اهل المروة والنجدة والفتوة تخلصنا من هذا البلا واربح الشكر والثنا ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت تقول

اعطاك ربك ما ترجوه من املِ وجاد ارضك صوب العارض الهطلِ

يا فارس الخيل يا من لا شبيه له — عند اشتباك القنا والطعن بالاسل
اعداكَ كل صباح منك راجفة — تخاف ارواحها من سرعة الاجل
وحاسدوك لهم في كل ناحية — قلبٌ يقلب بين النار والشعل
وانت تزداد سعداً كلما حسدوا — وحد سيفك في الهامات والقلل

فقال لها عنترة من اي الناس انتم ومن سباكم من العربان . وماذا اتى بكم الى هذا المكان قالت يا مولاي نحن من بني كندة وقد قحطت ارضنا وخفنا من الهلاك . فرحل بنا الشيخ الذي لنا يطلب بني الحارث لان لنا ابنة متزوجة هناك فقلنا نقيم عند القوم في ديارهم ونقضي هذا العام في جوارهم فعارضنا في الطريق شيطان من شياطين العرب يقال له الصدام بن سلهب ومعه عشرة فوارس فقتلوا لي ثلاث اولاد وجرحوا شيخنا الاشعث بن عباد وسبوا البنات وهنَّ ثلاث ابكار كانهن الاقمار وهم سائرون بنا الى جبال بني طي يفرقوننا على اهل الحي فعندها قال عنتر لاخيه شيبوب خذ انت هولاء حتى اتقدم انا وابصر من يكونون هولاء الانذال الذين فعلوا هذه الفعال ثم انه حرك جواده الابجر وكان الفجر قد انفجر فما غاب شيبوب غير قليل حتى ابصر الفرسان وهي مقبلة مثل الاسود وفي اوايلهم الصدام كانه العمود فلما راه عنترة اطلق نحوه العنان وقوم السنان بين اذان الحصان وهو يقول الى اين تذهبون يا اوغاد وقد اتاكم عنتر بن شداد ثم صرخ فيهم صرخة دوت لها البطاح فوقفوا وهزوا الرماح وزعق الصدام الا ما ابركه من صباح هذا والله رزق هني قد وافانا من اول النهار وساقته الينا الاقدار فليخرج واحد منكم يساله عن حسبه ونسبه و يقتله و يأتينا بجواده وسلبه فما اتم كلامه حتى قفز الى عنترة فارس يقال له الهجام وكان فارساً مقدام فلما قرب الى عنتر قال له و يلك انت من اي العرب انتسب ان كان لك نسب والا فسلم جوادك والسلب قبل ان يحل بك العطب . قال الراوي فبينما هو مع عنترة بالكلام ما شعر الا والرمح قد وقع في صدره فطلع يلمع من نقارة ظهره وقال له هذا حسبي ونسبي وهذا امي وابي فلما رآه اصحابه انطبقوا على عنترة من كل جانب وتبادروا اليه مثل السلاهب وبقي الصدام ينظر اليهم وهو واقف من بعيد لانه كان قد احتقر عنترة وكبرت نفسه ان يقاتل العبيد وصار منتظراً اصحابه ان يأتوا به اسيراً او يتركوه في دمه عفيراً فطال بينهم القتال وراوا من عنتر الاهوال فطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن الابصار وجال عنترة فيهم بالطول والعرض ومدد اكثرهم على وجه الارض وصار يلتقط منهم الفارس بعد الفارس كما يلتقط الصقر الحجال فما تضاحى النهار الا وقد قتل العشرة

الرجال ولما راى الصدام ذلك علم انه بعد هلاك اصحابه لا بد له من طلا به فعند ذلك طلبه الصدأم وناداه يا وجه العرب من تكون من الفرسان والى من تنتسب من قبائل العربان فانا وذمة العرب لقد اعجبني قتالك وادهشني انه الك فاحببت ان اصاحبك واكون انا وانت ننهب الاموال ونسبي ربات الحجال ونتمتع بالبنات الابكار وتحمل الينا الغفارة من جميع الاقطار واول ما اساويك بهذه الغنيمة التي بين يدي لان فيها ثلاث جوار كانهن الاقمار والذين كانوا شركاءي قد اهلكهم الزمان على يديك يا فارس الفرسان وما بقي لي ولك معاند ومدافع ولا مطارد فقال له عنترة دع عنك هذا الهذيان يا اخس العربان ودونك الضرب والطعان واقطع طمعك من هذه الغنيمة فان الله قد ارسلني لاخذهم منك بالثار واطفي ما في قلوبهم من النار ثم حمل عليه عنترة حملة الاسد الغضنفر فعند ذلك زعق الصدام زعقة الحنق وصدم عنترة صدمة السيل اذا اندفق واخذا في الجولان وانتهاز فرص الضرب والطعان فضاق منهما النفس وصار النهار في اعينهما مثل الغلس وراى عنترة خصمه منيع الجانب خبير بالنوائب فجال معه حتى اتعبه وهجم عليه واكربه وطعنه بالرمح فاقلبه والى نار الجحيم اذهبه وبعد ذلك عاد الى اخيه شيبوب والشيخ المجروح والبنات وضمد له الجراحات فصاروا جميعهم يشكرونه و يثنون عليه و يقبلون يديه وقدميه ولما استقر بهم القرار في تلك الساحة واخذ عنترة الراحة اتت العجوز اليه ومعها شيء من الزاد فوضعته بين يديه ثم وقفت هي والبنات في خدمته وزادت في كرامته وشكر نعمته وكان عنترة من حين فارق عبلة ماشبع من الطعام ولا امتلات اجفانه من المنام فاكل ذلك اليوم حياء من القوم ثم قال للشيخ اين تقصدون والى اين تذهبون فقال الشيخ الى بني الحارث يامولاي لان لنا ابنة هناك وقد اجدبت ارضنا فرحلنا خوفاً من الهلاك فقال له عنترة اما من قتل فلم يبق فيه حيلة واما انتم فما بقي عليكم باس ولكم الامان من جميع الناس وانا اسير معكم الى قرب تلك البلاد واحميكم من جميع العباد ثم انه امر القوم بان يركبوا مطاياهم وامر شيبوب ان يرفق بهم و يتلافاهم وساروا والشيخ يسأل عنترة عن حاله وعنترة يحدثه بما جرى له وحدثه بحديث عبلة وما اصابه من اجلها ومــا ناله و كيف رحل عن بني عبس وهو غضبان وانه يريد ان يجعل مقامه في مكة ولا يرجع الى الاوطان فقال الشيخ وقد تالم قلبه والله ان قصتك قد احرقت فؤادي وقد انستني ماجرى عليّ من فقد اولادي وقد فعلت معي من الجميل ما لا يفعله خليل مع جليل وما لي شيء اكافيك به غير هذه البنات فان رايت ان تقنع باحداهن وتجعل مقامك عندنا حتى اخدمك انا وهذه العجوز

الى الممات فقال عنترة ومن لي بذلك لو امكنني فان قيد الهوى شديد وسلطانه عنيد ولو قدرت عليّ السلوان لكنت فعلت ذلك من اول الزمان ودفعت عن نفسي هذا العذاب والهوان

قال الراوي وما زالوا يقطعون الارض في الطول والعرض حتى قربوا من ديار بني الحارث وامنوا على انفسهم من الحوادث فعند ذلك ودعهم عنترة وساروا والعجوز تقول يا مولاي وهذه الخيول والاسلاب التي اخذتها بسيفك قد قسمها لك العزيز الجبار فقال لا والله لا اخذ منها مثقال حبة بل هي لكم تستعينون بها على الغربة هذا ما كان من عنترة وما جرى له في هذه السفرة واما ما كان من بني عبس فانهم باتوا تلك الليله التي فارقهم فيها عنتر وعند الصباح افتقدوه فما وجدوه وسالوا عنه فما وقعوا له على خبر فجرى على قلب مالك بن زهير من فقده ما لم يجرِ على قلب بشر واحس ان قلبه قد انفطر وكذلك اصاب اباه شداد واما عمه مالك وعمارة وشاس والربيع بن زياد فانهم كانوا افرح العباد . هذا وشاس يقول لعمارة ها قد اتاك الامر كما تريد وما بقي لك في عبلة معاند بعد ذلك الشيطان المارد والراي عندي اننا متى وصلنا الى الحي تحمل المهر الى ابيها وتأخذ زوجتك وتبلغ نفسك امانيها ثم ان شاس دعا بمالك ابي عبلة وقال له يا ابن العم عاهد عمارة واخلص معه نيتك واقطع عليه المهر وزوجه ابنتك حتى نقطع عنها جميع الاطماع ونستريح من التعب والصداع فقال مالك يا سيدي وكيف لي بذلك والله اني اشتهي ان تكون ابنتي امةً في بني زياد ولا تكون ملكةً في بيت هذا الطنجير عبد شداد ثم بعد ذلك اعتنقه وعاهده واعطاه يده وعاقده ثم ذهبوا وعروة يقول لعمارة على سبيل المزاح بارك الله لك في هذا الصباح وارجو ان تكون العاقبة الى خير وصلاح فقال الربيع يا ابا الابيض ما بقي عليه حذر ولا باسٌ ما دام قد تولى هذا الامر الملك شاس فقال عروة انا ما ارى الان شوم عبلة قد عم جميع الناس وما دام راس عنترة على بدنه كل من طلبها يصبح بدناً بلا راس فضحك قيس من هذا المقال وعلم ان كلام عروة صحيح ليس فيه محال قال و بلغ مالك بن زهير ذلك الخبر وهو سائر في اوائل الجيش والى جانبه شداد فقال شداد والله اني خايف على اخي مالك ان تعود عليه عاقبة هذا البغي والعناد فقال له مالك اني احلفُ لك باعظم الاقسام اني لا اترك عمارة يتهنى بعبلة ابداً ولو شربت كاس الحمام و بعد هذا انا متعجب منك كيف رايت ان الرجل زوج ابنته بعمارة وتركته ولم تطالبه بمال ولدك وما عليه من الخسارة

فانه لما جاء من ارض العراق اتى باموال ثلاثة ملوك من الاكاسرة والقياصرة والمناذرة واتى بالف ناقة من النوق العصافير محملة جواهر ودنانير ودفع ذلك كله الى اخيك وقال له اني اقدم لك اضعاف هذا ان كان لا يكفيك و بعد ذلك عاقده وعاهده واعطاه يده وازوجه بحضره ابي واشهده فيا شداد لو ان ولدك اراد ان يتزوج بهذه الاموال من بنات اكبر ما يوجد في ملوك البدو والحضر كان تزوج مائة بنت واكثروانا اقسم بالله العظيم رب موسى وابراهيم ان هذه الجواري التي اتى بها عنترة من بلاد العراق والمدائن كل واحدة منها تفوق عَلَى عبلة في الجمال والمحاسن ولكن الهوى غلب عَلَى عقله وقيده بسلاسل جهله هذا فضلاً عن كونه خلصها مرارًا من السبي ولولاه ربما كانت جارية لبعض الانذال او رعاة الجمال وكان ابوها في الاسر والاعتقال فقال شداد يامولاي طب نفساً وقرّ عيناً فاني اعلم ان اباها وعمارة في غرور وكل ما يتعاهدان به يذهب كالهباء المنثور لان عنترة ما دام حياً لا يمكن ان ياخذها احدٌ في الدنيا وما زال القوم سائرين من مكان الى مكان حتى وصلوا الى غدير يقال لهُ رمال الغزلان وكان شاس مغرماً بالصيد فراى الغزلان في تلك الارض تمرح في الطول والعرض فقال لاخيه قيس يا اخي سر بمن معك نحو الاحياء حتى اتصيد انا في هذه الارض واعود اليكم في وقت المساء ثم اخذ معه عشرة فرسان وعدل عن الطريق يطارد الوحوش والغزلان والخيل تردها عليه من كل مكان الى ان تعب هو والخيل التي معه من شدة الطراد وكانوا قد اصطادوا شيئاً من الغزلان فنزلوا عن الخيل ليأكلوا الزاد وبينما هم يأكلون اجتاز بهم صاحب تلك الارض وكان اسمه ميسور بن هلال فحمل عليهم وحملوا عليه فقتل من بني عبس سبعة رجال لانه كان فارساً شديد الباس وكان معه اخ له فقتله شاس فلما راى ميسور اخاه قتيلاً هجم وقتل الثلاثة الباقين من الفرسان واسر شاس ورجع به في الذل والهوان طالباً دياره والاوطان وقال له ويلك يا كلب العرب من تكون من الفرسان والى من تنتسب من العربان فقال لهُ ويلك انا شاس ابن الملك زهير بن جذيمة بن رواحة بن الوضاح العبسي سيد بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان وقد قتلت من بني عمك جماعة فافعل بي ما تختار وخذ لبني عمك بالثار وان طلبت الفداء بالمال فعلي اضعاف ما تطلبه من نوق وجمال وان طلبت قتلي فانت تعرف كم خلفي من القبائل والابطال فقال ميسور والله يا فتى ما بقيت ترى اهلك ولا تنظر الاوطان لانك فجعتني باخي شيبان وتركتني ابكي عليه

طول الزمان ثم ان مبسورًا قال لمن بقي معهُ سيروا بنا نطلب الديار فساروا وشاس معهم يتقلب عَلَى مقالي النار هذا ما جرى لشاس واما ما كان من بني عبس فانهم وصلوا الى الحي وهم مسرورن بالظفر والغلبة عَلَى بني طي وما منهم من نزل عن جواده ولا خلع عدة جلاذه بل حضروا جميعًا قدام الملك زهير فسلموا عليه وقبلوا يديه وحدثوه بما جرى لهم في ذلك السفر فقال لهم واين شاس وعنترة فاخبروه بقصة عنترة مع شاس ومسيره في القفار وان شاس فارقهم في طلب الصيد ومعه عشرة فوارس عَلَى انهُ يعود اخر النهار فلما سمع الملك زهير ذلك المقال تأسف على ذهاب عنترة على تلك الحال ونظر الى ولدهِ مالك فاذا هو مجروح وقد بقي كانهُ جسد بلا روح وهو يريد ان يتكلم والدموع تذرف من عينيه وعلامات الغضب لائحة عليه فقال له ابوه ما بالك يا ولدي تكلم واظهر ما تخفيه وانا اقابل الظالم على افعاله واجازيه فقال مالك ماذا اقول يا ابي لعن الله الظلم ومن تبعه ومن راى الحق ولم يكن معه ثم حدثه بما فعل عنترة مع بني زياد وكيف بذل نفسه دونهم وخلهم من الاصفاد وقص عليه القصة التي جرت من اولها الى اخرها واطلعه على ما في باطنها وظاهرها فعند ذلك احضر الملك زهير عمارة وقد صعب عليه فقد عنترة وقال والله يا كلب العرب وقليل المروءة والادب كل ما جرى على عنترة وعلى ولدي شاس عاقبة بغيك يامشؤم الناصية فلا اعطاك الله عافية ولا ابقى لك باقية ولا حيي الله عنتر الذي خلصك من الاسر والعذاب وكان ينبغي ان يقطع راسك ويطرحهُ للكلاب ولكن هذه مروءة السادات اصحاب لانساب والاحساب وانا قلبي يحدثني ان ولدي شاس وقع في مصيبة من تعصبه لك يا اشر الناس وانت لا ترجع عن هذا البغي والعناد وسوف انك تكون سببًا لقلع اثار بني زياد فقال عمارة وانا يا ملك ما ذنبي حتى نسبتني الى هذا الكلام والله لقد جرى عليَّ في هذه النوبة ما لا يحتمله احد من الانام والله سلمني من شرب كاس الحمام فقال الملك زهير ياليتها كانت القاضية وليت المنية كانت اليك ساعية ولا كنا نري هذا الوجه المنحوس الذي هو اشأم من ناقة البسوس فوحق من رفع الخضراء وسطح الغبراء ان هلاكك كان افضل من نجاتك وموتك احسن من حياتك ويلك متى سمعت ان احدًا من العربان سبى ابنة عمه التي يلزمه عارها وابعدها الى اقصى مكان ويلك يا نذل العرب اهذا جزاء عنترة منك وقد خلصك من الاسر عند عودته من ديار كسري بعد ما جرى لك معه ماجرى ثم ان الملك زهير امر عبيده بالقبض

على عمارة فقبضوه وامرهم بتكتيفه فكتفوه وقال للعبيد ابطحوه ونهض قائماً واخذ السوط بيده وشقط بالضرب عليه حتى كلت سواعد يديه فالقى السوط من يده وامر العبيد ان يضربوه ضرباً اليماً حتى يتركوه هشيماً فصار يعوي مثل الكلب و يدعو ولا يجاب ومازالت السياط تقع عليه مثل وابل المطر حتى تخدشت اعضاؤه وسال الدم منها وانفجر الناس يقولون هوذا العريس قد برز بـاللباس الاحمر وكان اخوه الربيع حاضرًا فكان واقفاً يتألم ولكن لا يجسر ان يتكلم وكان عروة ينظر و يتبسم وهو يقول هذه اول بركات زواج عبلة فتلذذ ياوهاب وتنعم ولما راى الملك زهير ان عمارة قـد اشرف على التلف من شدة الالام امر العبيد ان يشدوا كتافه و يلقوه في بعض الخيام فتقدم بعد ذلك شداد الى الملك زهير وقال له يامولاي اريد من اخي مالك الاموال التي ساقها اليه ولدي عنترة لانه زوج ابنته بعمارة وترك ولدي عليها يتحسر فلما سمع عمارة من شداد هذا الاحتجاج ناداه باعلى صوته العاقبة لك ياشداد ان تتزوج مثل هذا الزواج فتبسم زهير من كلام عمارة وقال الاولى بهذا اللئيم ان يتزوج بحمارة ٠ قالـــ الروي وجاء بعد ذلك عروة بن الورد يمازح عمارة و يقول له زفاف مبارك ايها الامير والله ان هذه الانعام التي حزتها تشتري حمارة من احسن الحمير ولكن هذا قليل لانني اعلم ان زوج عبلة لا بـد ان يصيح وهو قتيل وعمارة يسمع هذا الكلام ويحسبه امرّ من ضرب الحسام ثم ان الملك زهير احضر مالك بن قراد وقال له ويلك يا شيخ السوء انت اليوم صرت شيخاً من مشائخ العشيرة وجميع بني عبس يقتدون برايك لانهم يظنون انك من اصحاب البصيرة فكيف تستطيع الغدر وتاخذ من ابن اخيك المهر ثم تزوج ابنتك بغيره بعد ما القيته الى لهوات المنايا ورميته في المخاطر والبلايا وخلصك انت واياها من الاسر والهوان وجازاك على قبيح فعلك بالجميل والاحسان ولولاه كانت ابنتك مسبية مع اوباش العربان ويبقى ذلك عارًا عليك طول الزمان و يا ترى من يفضل عمارة على عنترة الذي له ذكر في بلاط الملوك يذكر ومن يعرف عمارة من الناس واي كلب بالاسد يقاس وماذا ينفعك عمارة اذا شنت عليك الغارة ولو لم يكن عمارة من نسل قوم كرام من كان يرد عليه السلام ولعمري ان عنترة اشرف منه عند العرب لان عمارة ورث النسب من اجداده وعنتر انشأ لنفسه الحسب والنسب وصار من ارباب المناصب والرتب ٠ فوالله انك تستحق الرجم بالحجارة او ان نفعل بك كما فعلنا بعمارة ٠ فقال مالك يامولاي انا ما غدرت ولا عوجت

سبلي ولكن قلت في نفسي ان ولدك شاس ملك وابن ملك والذي يعرفه شاس لا لا يعرفه من هو مثلي . فسلمته ابنتي وقلت له انت ملكينا وابن ملكنا واصوب منا قولا وفعلاً فهذه ابنتي مسلمة لك فزوجها بمن تراه لها اهلاً . فقال شاس هذه ابنتك لا تصلح الا للامير عمارة بن زياد فزوجه بها فيصطلح الفساد فقلت له وكيف ذلك يا مولاي وابن اخي قد حمل الي مهرها وقد زوجته وفوضت اليه امرها وابوك عون له على ذلك ومحبه وصديقه اخوك مالك . فقال شاس انا اكفيك مؤنة الجميع وامنعهك عنك وعنها اكراماً للربيع . ثم ان ولدك شاس احضر ابن اخي عنتر وكلمه بما شق عليه وقام وهو غضبان من بين يديه وفارقنا وكان نصف الليل قد انقضى ولا ندري الى اين مضى وقلبي من اجله على جمر الغضا وها ابنتي في بيتها فزوجها ايها الملك بمن تريد واحسب انها من بعض امائك وانا لك من جملة العبيد . فلما سمع الملك زهير ذلك المقال قال هذه نوبة لا تنفصل حتى يحضر عنترة واقف على حقيقة حاله واقابل المعتدي على قبيح فعاله وكذلك ان اتى ولدي ولم يعترف بمقالك فاني اقابلك على كذبك ومحالك . ثم بعد ذلك افترق الناس وامسى المساء وما عاد شاس فضاق صدر الملك زهير واقام الى الصباح وفرّق الخيل في الروابي والبطاح . قال الاصمعي ودارت الخيل في البراري والقفار تفتش على شاس الى اخر النهار . ثم عادوا عند المساء وقالوا ايها الملك ما وقعنا له على خبر ولا وقفنا له على اثر فزادت بالملك زهير الهموم والفكر وقال هلك ولدي واندثر وهلكه بغيه على عنتر فان صح هلاكه ضربت رقبة عمارة بن زياد وصلبت مالكا بن قراد . ولاازال بجميع بني زياد حتى اهلك شيخهم الربيع . لانه هو الذي كان السبب في هذا الصنيع . ثم ان الملك زهير انفذ العبيد ثاني مرة الى احياء العرب تقتفي الاثار واقام منتظراً ما يجد من الاخبار وهو يتقلب في الغموم والاكدار وزوجته تماضر تبكي الليل والنهار . وكذلك بقية اولاده لا يطيب لهم عيش ولا يقر لهم قرار . هذا ماجرى لهولاء الناس واما ما كان من حديث شاس فان الرجل الذي اسره سار به حتى وصل الى بني الحارث وقد جرعه في الطريق غصص البلايا والكوارث فكان تارةً يضربه وطوراً يلطمه و يعذبه ولما وصل الى قومه قال لهم يا بني عمي انتم تعلمون ان هذا العبسي قتل اخي شيبان وانا لا بد لي من قتله لاطفي من قلبي لهيب النيران فخذوا انتم جواده واسلابه ودعوني اشتفي منه كما اريد ومن ساعته ضرب له اربع سكك من الحديد وربطه

بها الرباط الشديد وقال له وذمة العرب انا لا اقتلك حتى اعذبك انواع العذاب واجعلك عبرة لمن حضر او غاب . وصار ميسور ان خرج يرفسه وان دخل يلطمه وان اكل لا يطعمهُ ولا يترك احداً يخدمه او يرحمه . وشاع حديث شاس في الحلة عند جميع الناس وصارت تتهدده جميع النساء والرجال بالقتل والصلب على رؤوس الجبال وبلغ خبره سيد العشيرة وكان يقال له موهوب بن يزيد وكان صاحب راى سديد فدعا ميسوراً اليه ولامه وعتب عليه وقال له يا ابن العم هذا الذي تفعله باسيرك ليس بصواب ولا يستحسنه احد من ذوي الالباب لانه من ارباب المناصب والرتب وابوه ملك من ملوك العرب وانا لا امكنك من قتله حتى نمضي الى ملكنا عبد المدان وتشاوره في امره وتعلمه بانه قتل اخاك شيبان فان اذن لك بقتله فقد بلغت الارب والا فكف عنه لانك تعلم ان قومه من بني عبس يعدون من جمرات العرب ولا بد لابيه من كشف خبره والوقوف على اثره واذا سمع بقتله اتانا ببني عبس وغطفان وفزارة وذبيان وان انفذنا الى الملك وطلبنا منه نجدة يقول لنا انتم لما قتلتم ابن هذا الرجل ما اعلمتموني ولا التفتم اليَّ ولا شاورتموني فافعلوا بانفسكم ما تريدون ودبروا برايكم ما تشتهون . وانا الراي عندي ان تخفف عذاب هذا الانسان وتمضي وتشاور الملك عبد المدان والا فتحت علينا باباً لا يغلق والحقتنا بمن سبق . قال فلما سمع ميسور هذا المقال عظم عليه وهاج في قلبه البلبال الا انه احتاج ان يفعل هذا خوفاً من حلول العاقبة وخاف ان يقع من اجله في نائبة . فدعا شاس وحل يديه ورجليه ووطأ تحته واحسن اليه واراحه من ثقل الحديد واوصى عليه عشرة عبيد وركب بعشرين من الفرسان وسار يطلب الملك عبد المدان فعند ذلك قال شاس لزوجة ميسور يا مولاتي هل يكون لي من هذا الامر فرج او ياتيني من هذا الضيق مخرج . قالت لا والله الا ان يكون في الاجل تاخير او ترزق يد غالبة تخلصك من المقادير او تبذل المال الكثير . فعند ذلك قال لها شاس يا حرة العرب ان لي اليد الطولى والايسار ولكن من يوصل خبري الى اهلي على بعد الديار قال وبينما هما في هذا الكلام دخلت عليه جماعة من النساء كبدور التمام وكان معهن امراة كبيرة كانها الناقة الوجناء فسلمت على صاحبة الخباء وقالت لها يا بنت العم من يكون هذا الفتى ومن اين اتى قالت لها هذا ابن الملك زهير سيد بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان فلما سمعت المراة ذلك نظرت الى شاس وقالت له انت ابن زهير ابن جزيمة قال نعم ايتها الحرة الكريمة

قالت لله در امك ما انجبها فانتم عشرة اخوة اشقاء . قال شاس نعم يا سيدة النساء قالت له وكيف وصل القوم اليك وقدروا عليك وارى الشجاعة لائحة بين عينيك قال لها شاس والله ما قدروا عليَّ الا وانا تعبان وما كان معي غير عشرة من الفرسان فاخذوني بعد ان قتلت منهم عشرة شجعان . قالت الله يسبب لك الخلاص يا وجه العرب لانكم قوم موصوفون في الشجاعة وعلو النسب الا انه ليس عندكم شيء من الفصاحة وفن الادب . قال لها شاس يا حرة العرب وانتم من عندكم من بني قحطان حتى تعيري بذلك بني عبس وعدنان قالت نحن عندنا امرء القيس الذي قصيدته على البيت الحرام يسجد لها كل من يدعى النثر والنظم وفصيح الكلام . وهي التي في مطلعها الاول وقف واستوقف وذكر الحبيب والمنزل حيث يقول

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وله بعد افصح منها التى اولها

خليليَّ مرَّا بي على ام جندب   لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

الم تر ياني كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً وان لم تطيب

فقال لها شاس يا خالتاه نحن لنا عبد يرعى الجمال وهو فصيح اللسان قد الحقناه بانسابنا وشاركناه في احسابنا يقول من الشعر مالم يسبقه اليه احد من ارباب هذه الصناعة ولا يقدر ان يضاهيه في الفصاحة والبراعة ولو كنا نعرف قدره ونضعه في مكانه لكان ساد وافتخر على جميع العرب بفصاحة لسانه وقوة جنانه وكان يصيِّر اوحد زمانه قالت وقد اظهرت الفرح من كلامه وما الذي قاله عبدكم من نظامه انشدني منه شيئاً حتى اقابله بشعر غيره من العرب وارى هل يستحق ما ادعيت له من الرتب فانشد

لعوبٌ بالباب الرجال كانها   اذا سفرتْ بدرٌ بدا في المحاشد

شكت سقماً كيما تعاد وما بها   سوى فترة العينين سقما لعائد

من البيض لا تلقاك الا مصونةً   وتمشي كغصنِ البانِ بين الولائدِ

كانَّ الثريا حين لاحت عشيةً   على نحرها منظومة في القلائدِ

منعمة الاطراف خودٌ كانها   هلالٌ على غصنٍ من البان مائدِ

حوى كل حسنٍ في الكواعب شخصها   فليس بها الا عيوب الحواسدِ

قال الاصمعي فلما انشد شاس هذه الابيات تمائلت النسا طرباً وتبسمت العجوز

عجباً وقالت ان هذا من كلام ظرفاء العشاق . ولقد جمع هذا العبد بين الالفاظ الفصيحة والمعاني الرقاق فلعل هذا الكلام من شعر عنترة بن شداد الذي يحب عبلة بنت مالك بن قراد . قال شاس اي والله ياخالة واراك عارفة به قالت نعم لاني سمعت به في هذه المدة وانا عند قومي في بني كندة فهل تزوج بعبلة ام لا . قال شاس لا والله انا منعته منها وبغيت عليه . فوقعت بهذه النكبة جزاء ما اسأت به اليه وقد عاهدت الله انني ان سلمت من هذه النوبة كنت عوناً له على ما يشاء واقبل يديه ورجليه في في الصباح والمساء . قالت العجوز قاتل الله الظلم ما اسرع مجازاته واعظم مكافاته واذا كنت على هذه النية فلا تيأس من الحياة ولا تفزع من حلول الوفاة ثم خرجت العجوز من عنده بعد ما اوصت زوجة ميسور عليه واقام يعلل نفسه بلعل وعسى الى ان مضى النهار وامسى المسا . وكانت هذه العجوز هي العجوز الكندية التي خلصها عنترة هي وبناتها الثلاث من سبي الصدام حينما كان سائراً الى البيت الحرام وكان الحي الذي اوصلهم اليه هو حي هذا ميسور الذي شاس عنده ماسور وكانت العجوز قد سمعت بحديث شاس فدخلت عليه وتحدثت معه بذلك الكلام الرقيق وعادت وفي قلبها من اجله نار الحريق لانها سمعت منه كل ما كان عنتر حدثها به في الطريق فدخلت الى مضربها ودعت زوجها الاشعث بن عباد واخبرته بالخبر وقالت له قد وجدنا شيئاً نكافي به عنترة لان هذا الرجل العبسي ان تخلص على ايدينا اعانه على زواج بنت عمه عبلة وكشف عنه ما شكاه الينا من الهم والذبلة فقال الاشعث صدقت فانك نعم المشير ولكن كيف يكون التدبير فقالت تركب ناقتك وتطلب مكة وتعلم بهذا عنترة بن شداد واتركه يدبر بعقله كيفما اراد قال الشيخ لقد قلت الصواب واحسنت الجواب ثم ان الشيخ ركب ناقته وسار من اول الليل فاندفقت به مثل السيل وبقيت العجوز بعده خائفة يجول في قلبها الوسواس من ان يعود ميسور من عند الملك عبد المدان ومعه الاذن بقتل شاس قال وبعد ثلاثة ايام قدم ميسور ومن معه من الفرسان وحضر معه عشرة فوارس ايضاً من خواص الملك عبد المدان وكان ميسور بغاية الفرح والسرور لانه لما وصل اليه وشاوره على قتل شاس قال اقتله وخذ منه بالثار واذا قدرت على سائر بني عبس لا تبق منهم من ينفخ النار فعند ذلك عاد ميسور وقد زال عن قلبه الباس ومعه عشرة فوارس قد اتوا معه يتفرجون على قتل شاس ولما نزل ميسور في ابياته امر عبيده بذبح النوق والاغنام وتصفيف اواني المدام

واخذ في طعامه وشرابه مع خلانه واصحابه ودعا سيد الحلة موهوباً بن يزيد وجمع السادة والعبيد وقدم شاس الى بين يديه وصار ميسور يشرب و يصب الفضلة عليه وشاس يبكي من شدة الذل والهوان لانه ملك من ملوك الزمان وكان ميسوراً كلما راه يبكي يقول له ويلك لما طعنت اخي في صدره فاطلعت سنان رمحك من ظهره مارحمت بكاء عياله ولا شفقت على تيتم اطفاله والله لاتركنك تمام الاسبوع وانت مصلوب على الخشب تتفرج عليك جميع العرب والاماء حولك تضرب بالدفوف والمزاهر حتى يعتبر فيك كل غائب وحاضر هذا والعجوز الكندية تسمع وقلبها يتقطع ودام الامر كذلك حتى اظلم الظلام وتحكمت في القوم كؤوس المدام وتفرق اكثرهم الى المضارب والخيام وذهب موهوب سيد العشيرة الى ابياته وحوله جماعة من عبيده واماته ونام ميسور بعد ما شرب حتى انقلب وكذلك الذين معه من رجال العرب وانطرحت العبيد من شدة التعب و بقي شاس وهو فريد وحيد وقد ذاب قلبه من الذل والغم الشديد فاخذ في التعديد والنواح لانه ايقن بالقتل عند الصباح فانشد يقول

ترى في ظلام الليلِ مثل محيرٌ	غريب على اوطانه يتحسرُ
وعند ضياء الفجرِ تنهبه العدى	ببيض حدادٍ او يقاد فينحرُ
فيا نسمات الريح بالله عرجي	على اهلِ السعدي عسى منك مخبرُ
يخبرُ قيساً والربيع ومالكاً	بحالي فلي عهد مع القوم يذكرُ
لعلي ارى منهم معيناً وناصراً	يخلصني ان كان قتلي يؤخرُ
ظلمت بجهلي ابن عمي فقادني	الى الظلم جبار الى الظلم اقدرُ
فان كان لي عمرٌ غسلت بادمعي	اسافلَ رجليه ولا اتكبرُ
ترى يا بني الاعمام اسمع في الدجى	منادٍ ينادي او بشيراً يبشرُ
بانَّ غبارَ الخيل قد ثار نقعه	عجاجاً ومن تحت العجاجةِ عنترُ
وتصبح ارض القوم ترجف خيفةً	لهيبته والجوُّ اقتم اغبرُ
علالة قلبي لا تصح وانما	اعللُ نفسي بالمحال واصبرُ

قال جهينة يا سادة و بقي شاس يحن حنين الثكلى و ينتظر الفرج من الرب الاعلى فبينما هو يحدث نفسه وقد انفطر وذاب اذا هو بشخص قد اقبل وهو يحبو على يديه ورجليه وعليه ثياب سود مثل لون الغراب وهو يقول ابشر بالخلاص من هذا العذاب ثم تقدم

اليه وفك القيود من رجليه وقال قم واتبعني ياعبسي فاني اليوم افديك بنفسي · قال الراوي فلما سمع شاس هذا الكلام ظن انه في المنام ومن ساعته ثبت نفسه وقام وصار يتبع الشخص الذي قدامه وقد ستره الليل بالظلام حتى وصل الى اطراف البيوت وهو حائر مبهوت فادخله الى بيت كبير هناك فاحله فيه وقال له ابشر بالسلامة من الهلاك هذا وشاس قد بقي حائراً من هذا الحال لا يدري من فعل معه هذه الفعال ولما سكن روعه تفرس في ذلك الشخص فاذا هو العجوز الكندية التي دخلت عليه وناشدته الاشعار فقال لها شاس وقد حار واخذه الانبهار يا حرّة العرب جزاك الله خيرًا ولا اراك سوءا ولا ضيراً وانا اشتهي ان ارجع سالماً الى الاوطان حتى اكافيك على بعض هذا الاحسان فقالت له اما انت ياشاس فمابقي عليك من خوف ولا باس واما الجميل الذي تريد ان تعمله معي فاعمله مع ابن عمك عنترة بن شداد وساعده حتى يملك عبلة بنت مالك بن قراد وهذا عهدعندك من الله رب العباد انك اذا اجتمعت به تقبل عني جبينه ويديه وتجازيه بالجميل الذي تقدر عليه ثم حدثته بما اصابها مع الصدام بن سلهب في تلك القفار وما فعل عنترة معها ومع زوجها من الجميل وكيف خلصها هي و بناتها من السبي والاسار ثم اعلمته انها ارسلت زوجها الى مكة يعلم عنترة بما هو فيه حتى يدبر على خلاصه من الدمار لكن لما علمت انه سيقتل من الغد لم يعد لها اصطبار فاحتالت هذه الحيلة وسرقته قبل ان يطلع النهار· قال فلما سمع شاس ذلك الكلام بكى ندماً على فعله مع عنترة وهو قد فرح بالخلاص واستبشر · وقال في نفسه انظر ياشاس هذا صنيع عنترة وهو ابن امة معنا ومع العرب ونحن نفعل معه هذه الافعال وندعي الحسب والنسب فما هذا الاراي فاسد وعمل ظالم وحاسد والان احسب ان امي ولدتني من جديد واترك ذلك الراي الباغي العنيد و يلك يا شاس هل يوجد رجل مثل عنتر لقد نظر ابوك موضع النظر فانه يستاهل ان ياخذعبلة واختي المتجردة ولا نكبر عليه ملكة ولا سيدة ولو رضي بالمتجردة عوض عبلة لخاطبت ابي في ذلك واعطيت مهرها من مالي وعملت له وليمة من نوقي وجمالي ولكن ان ساعدتني الاقدار لا بد لي ان ابذل في قضاء حاجته المجهود وارغم كل انف مبغض وحسود · قال الراوي ومن ذلك الوقت زالت بغضة عنترة من قلب شاس وصار عنده اعز الناس ثم ان العجوز اتته بشيء من الزاد فاكل وطاب قلبه وخف كربه والبسته بعد ذلك ثياب النساء و برقعته واجلسته بين بناتها في داخل الخبا · قال الراوي ولما انشق الفجر انتبه

ميسور وهو مخمور وقام من منامه وعاد الى مقامه ودعا من عنده من المولدات وامرهن
بنقر الدفوف والمزاهر ورخامة الاصوات وطلب من العبيد احضار شاس حتى يعذبه قبل
قطع الراس فتبادروا الى المكان الذي كان فيه شاس موثوقاً فما وجدوه ثم عادوا الى
سيدهم ميسور واخبروه فلما سمع ميسور ذلك تنغص عليه صبوحه وكادت ان تخرج روحه
وانقلبت مقل عينيه وكاد ان يغشى عليه ثم انه ركب وصاح في الرجال فتفرقوا في
جميع الطرق بين السهول والجبال وغاصوا في اقطار القفار ثم عادوا في اخر النهار وما
فيهم من وجد المفقود ولا نال شيئاً من المقصود فلطم ميسور على وجهه حتى ادماه وصاح
من شدة حرقته واذم اخاه. قال وكان في الفرسان الذين اتوا معه من عند عبد المدان
رجل شيطان في صورة انسان خبير بنوائب الزمان يقال له الشريد بن هامان فقال له يا ميسور
قم فتش على غريمك في هذا اليوم فانه مازال في هذا الحي بين ابيات القوم واما الصواب
انك تفتش العشيرة ولا تدع في جميع بنات الحي لا صغيرة ولا كبيرة فتكون انت تفتش
الرجال ونساؤك تفتش النساء والبنات وتكشف براقع المخدرات فلا بد ان تجد الغريم
بين الرجال والحريم وتذكرني بهذه التدابير في جميع الاقطار وتؤرخها في الكتب والاسفار
فاستصوب ميسور هذا الراي السديد واستاذن مقدم العشيرة موهو بابن يزيد واقام الى
ان اصبح الصباح فبدا التفتيش في البيوت والمنازل وقال له الشريد فتش وانت دعني
آخذ اصحابي واقف بهم على الطرقات واجعل عيني لكل خارج وداخل فقال له ميسور
افعل ما بدالك وتمم احسانك وافضالك ثم ان الشريد اخذ في مكان قد عزم عليه من
ربط الطريق واخذ اصحابه واوصاهم باليقظة وحسن الملاحظة بالتدقيق فعلمت العجوز
بما فعل فالتهب قلبها واشتعل ودخلت على شاس واعلمته بذلك فارتجفت اعضاؤه وايقن
انه هالك وقال كيف يكون التدبير ياخالتاه قالت اصبر ياشاس فترى العجب ولا تيأس
من السلامة ولا تخف من العطب ثم ان العجوز جاءت برجل كبير وغلت فيه شيئاً
من العقاقير وعرّت شاس من لباسه ولطخته من قدمه الى راسه فاذا هو اسود بصاص
كانه عمود من الرصاص والبسته زي العبيد واخرجته معهم امامها وامرتهم بسوق
المواشي قدامها وسارت بهم كانها طالبة المراعي وهي تجد كالساعي وكان اول من التقاها
في الطريق الشريد بن هامان فلما رآها عدل اليها وهو يسعى على قدميه كالغزلان
فالتقته العجوز وهي تقول لله درك ايها السيد وحق ذمة العرب لقد احسنت التدبير
وعملت عملاً ما سبقك اليه احد من الحكماء والمشاهير وانا ارجو ان الله يظفرك بهذا

العبسي الملعون حتى اشفي منه غليل قلبي المحزون لانه ما البسني السواد الا بني عبس الاوغاد ثم ان العجوز مرت على حالها طالبة المرعى والابل قدامها تسعي وقالت لشاس يا فتى ان الحرس الذي كنت تخاف منه قد هرب ونجوت من المخاوف والحذر فانج الساعة بنفسك واطلب البيت الحرام واذا اجتمعت بعنتر فاقرا مني عليه السلام · قال الراوي فعند ذلك ودع شاس العجوز وسار هائماً على وجهه في الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة وجد في المسير وقد امسي عليه الليل وقد تعب مما قاساه وقلت منه القوى والحيل فقعد ساعة وقام وعدل عن الطريق ونام حتي مضى اكثر الظلام فقام يسعى بطلب البيت الحرام الى ان تضاحي النهار وقد امن على نفسه من الاخطار واذا بعشرة فوارس قد اعترضته وتفرقت حواليه وتقدم المقدم على القوم اليه وتفرس في وجهه وقال يا بني عمي هذا هو السلال الذى كان يدور حول الاطناب وسرق جوادي سكاب ثم ان المقدم قبض على شاس وترك الحبل في عنقه كالاسير وصار يقوده كالبعير ويقول له ويلك يا عبد السوء ما قنعت بالذي سرقته اول مرة حتى كررت ثاني كرة وحق الكعبة الغراء وابي قبيس وحراء لانحرنك من قفائك ولاطيلن اليوم عذابك وبلائك ويلك اين مضيت بالفرس التي سرقتها تحت الغلس فقال له شاس يا وجه العرب والله ما انا سلال ولا عبد ولا محتال ولا اعرف هذا المقال انا شاس ابن الملك زهير سيد بني عبس وغطفان وقد وقعت في هذه الارض ولقيت ما لقيت ما لا يوصف بلسان وبهذه الحيلة تخلصت من نوائب الزمان ثم انه حدث القوم بما تم عليه في تلك السفرة وكيف تخلص من القتل بحيلة العجوز وعناية القدرة · قال وما تمم شاس كلامه حتى وثب اليه فارس يقال له غابق بن كليب ولطظه على وجهه فكاد ان يطير مقل عينيه ويعمي ناظريه وقال لاصحابه يا بني عمي هذا ابوه زهير قد قتل ابي وتركني يتيماً وانا صبي وقد سهل الله علي اخذ ثاري وانا قريب من دياري فخذوا كل ما تملكه يدي وسلموني هذا العبسي لكي اكشف بقتله عاري · فبينما القوم في الكلام اذا بالغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن رجل يجري كانه السحاب المرسل او القضاء المنزل وظهر من بعده فارس بالحديد غاطس كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل والى جانبه شيخ كبير راكب مطية تسبق الرياح المغربية فلما نظروا القوم ذلك تاهبوا للقتال ووقفوا ينظرون الى الرجل وهم يتعجبون من خفة جريه الذي لا يقدر عليه الغزال فلما قرب منهم تفرس فيه شاس فعرفه انه شيبوب والفارس الذي وراءه اخوه عنتر البلاء المصبوب

وذلك الشيخ هو زوج المراة الكندية التي خلصت شاس من قبضة المنية فلما راى شاس هذا المنظر فرح واستبشر وايقن بالسلامة من الخطر ونادى ويلك يا شيبوب ادركني فانا ابن ملككم شاس وقد ضاقت مني الانفاس ٠ فلما سمع شيبوب صياح شاس صاح على اولئك الرجال ورماهم بالنبال وناداهم ويلكم يا اولاد اللئام الانجاس خلوا عن الملك شاس قبل ان يدور عليكم ملك الموت بالكاس ولا يبقي منكم ذنب ولا راس ثم نادى اخاه عنترة وقال له يا اخي الحقني فقد قرب الله علينا الطريق واراحنا من التعب والتعويق قال وكان السبب بمجيء عنتر هو الاشمث بن عباد الكندي زوج العجوز الكندية التي دبرت لشاس هذا التدبير وخلصته من البلية وذلك ان الشيخ لما قصد عنترة بقي سائرًا حتى وصل الى البيت الحرام واخذ يسال عن عنترة فارشده الناس اليه فلما اجتمع به قص قصة شاس عليه وكان عنترة قد نزل بوادي الحرم وقطع رجاه من بني عبس ومن سائر الامم وصار يتسلى بالليل باخيه شيبوب وفي النهار بالصيد والقنص ويخفف ما بقلبه من الهموم والغصص وما زال كذلك حتى وصل اليه الشيخ واخبره بما جرى لشاس وانه خلاه على حالة اليأس فقال شيبوب الى حيث القت رحلها ام قشعم ٠ فانه لاخي عنترة العدو الاعظم فلا خلصه الله من هذه الضربة ولا فرج له كربة قال عنتر لا تقل هكذا يا شيبوب فان شر الناس من حقد والظلم اخره الندم فلا يامن عواقبه احد قال فلما سمع شيبوب من عنترة هذا المقال قال لله درك ما اطول هذا البال الى كم تحمل هذه الاحمال الثقال وتطوح نفسك في تخليص اعداك الذين احبهم اليك يتمنى لك الهلاك فاقعد وارح نفسك من هذا التعب فقد كفاك ما انيت من الاهوال وما حصلت الاعلى كثرة الاعداء ولا سيما من هولاء القوم الانذال والى كم تذل نفسك هذا الاذلال والى كم تحتمل هذا الاحتمال ويلك اليس لك قلب ولا مرارة وليس في بدنك حمية ولا حرارة كم هذه المقاساة التي تذيب الحديد وتفلق الجلاميد فعندها ضحك عنترة من شيبوب فقال يا اخي الامال لا تنال الا بالصبر لان من صبر قدر ومن لج عثر اذهب قدامي وانظر ما افعل فوحياتك لاتركن كل اعدائي اصدقا لي بفعالي وادع صغيرهم وكبيرهم يقبل على رغم انفه نعالي فتعجب الشيخ من سعة صدره وايقن بنجاح امره وسار الشيخ وعنترة وشيبوب يقطعون الارض حتى التقوا بشاس على تلك الحالة في ذلك المكان وقد وقع مع اولئك القوم وكانوا من بني الريان ولما رآهم شيبوب رماهم بالنبال فمالوا اليه بالرماح الطوال وقصدوه من اليمين والشمال فصاح عند

ذلك الى اخيه عنترة واعلمه بالخبر فحرك جواده الابجر وقوم بين اذنيه الرمح الاسمر وصرخ صرخةً تفلق الحجر وحمل مثل الاسد الغضنفر وما وصل اليهم حتى كان شيبوب رمى منهم ثلاثة بالنبال وطرح عنتر في طرفة عين ستة رجال ولم يسلم من القوم سوى فارس واحد لانه كان تحته حجرة سابقة ففرت به كالغزال الشارد واشتغل عنترة بشاس وترجل اليه وحل كتافه ونزع الحبل من عنقه وانكب على قدميه هذا وشاس مطاطىء الراس من شدة الحيا وقد غلبه البكا ولا يدري هل كان في ارض ام في سما فقال له عنترة ما بالك يا مولاي لا اشغل الله لك سرًا ولا ضيق لك صدرًا فما خلقت الرجال الا لمقاساة الاهوال قال شاس لا والله يا ابا الفوارس ما انا منزعج من اجل هذا الحال ولكن من اجل ما قابلتك به من قبيح الفعال فوحق البيت والاركان ان قتلي كان اهون عليَّ من هذا البغي والطغيان ولكن اقسم باللات والعزى والهبل الاعلى ان لم تمكني مما اريد قتلت نفسي بيدي وانهب بالحسام جسدي قال عنترة قل يامولاي ما بدالك حتى ابلغك امالك قال شاس اريد ان اقبل قدميك حتى اكون قد وفيت نذري الذي نذرته ان اوصلني الله اليك ثم انه انكب على اقدام عنترة يقبلها ويتذلل وعنترة يقسم عليه ان لا يفعل وينهاه فلا يقبل هذا وشيبوب يقول له يا شاس نحن ما نريدك ان تقبل قدميه بل نريدك ان تزف عبلة عليه قال شاس اذا وصلنا الى الحي سالمين فعلت ما قدرني عليه رب العالمين ثم ان شيبوب مال به الى بعض الغدران واغتسل من ذلك السواد وعاد به فالبسه عنتر من بعض ثيابه وقدم له جوادًا من خيول بني الريان ومشى في ركابه كما يمشي الجندي في ركاب السلطان ثم اقبل عنترة على الشيخ وقال له يا مولاي خذ انت بقية هذه الخيول والاسلاب وعد الى اهلك جزاك الله خيرًا على جميل فعلك ولا بد ان تقرا سلامي على تلك العجوز التي ليس لها نظير وتقدم لها الشكر على ما صنعته مع مولاي شاس من حسن التدبير فشكر الشيخ افضاله وودعه ودعا له ومضى طالبًا عياله وعاد عنتر وشاس يطلبان الديار وشيبوب يدلهما على الطريق وهو منطلق قدامهما كالحجر المنجنيق وعنتر يحدث شاس ويسليه وشاس يحدث عنتر بما كان يقاسيه قال ولم يزالوا يقطعون الارض حتى تنصف النهار واذا الغبار من خلفهم قد ثار ثم انكشف عن خيل بني الريان يقدمهم اميرهم حسان وكان سبب قدومهم الفارس الذي سلم على حجرته ونجا من دون رفقته فانه وصل الى بني الريان وهو خافق الفواد واخبرهم بما جرى على اصحابه من سيف عنترة بن شداد فعند

ذلك صاح حسان بالرجال فركبوا وغاصوا في القفار واقتفوا خلف بني عبس الاثار حتى ادركوا شاس وعنترة فاستبشروا بنوال الظفر ولما وقعت العين على العين صاح حسان وطلبهم بمن معه من الفرسان ونظر شاس الى تلك الكتايب فايقن بحلول النوائب وقال في نفسه كم اهرب من الموت وهو لي طالب فلما سمع عنتر كلامه تبسم وقال يامولاي لا تزعج سرك ولا تضيق صدرك فلو كانوا الفين واكثر فرقهم عبدك عنتر ثم ان عنتر اشار الى شاس وهو ينشد ويقول

دع الخوف يامولاي عنك وطب قلباً ... فدونك عبداً اسوداً يقحم الحربا
وحقك لو كانوا الوفاً لقيتهم ... وفرقتهم شرقاً و بددتهم غربا
انا صورة الموت الذي بدت له ... ولو في منام مات من خوفه رعبا
تطيع سيوف الهند كفي لانني ... اذا اشتد يوم الروع اشبعها ضربا
وسمر القنا عند العدى تشتكي الظما ... وعندي تروى حين اغشى الوغا شربا
علام اقول السيف يثقل عاتقي ... اذا انا لم اركب به مركباً صعبا
ساحميكم حتى اموت ومن يمت ... كريماً فلا لوماً عليه ولا عتبا
انا عنتر العبسي فارس قومه ... اذا انتضت الفرسان اسيافها الحدبا
اكرّ على الابطال في حومة الوغى ... اهز بكفي الرمح والصارم العضبا
حصاني وقلبي كالجبال كلاهما ... وسيفي ورمحي ينهبان العدى نهبا

قال فلما فرغ عنترة من هذه الابيات اطلق عنانه وقوم سنانه واستقبل الخيل بطعن خارق وضرب اشد من نزول الصواعق وصارت الفرسان يتبع بعضها البعض وعنترة يفرقها في الطول والعرض ويبكسها عن ظهور الخيل الى وجه الارض هذا وشيبوب من ورائه يرمي بالنبال ويكفكف الابطال وفي اثناء ذلك وقع عنترة بحسان بن صفوان مقدم بني الريان وهو ينخي الابطال ويصيح في الرجال ويقول ويلكم ما هذه البلية التي طرقتكم من فارس واحد والعار لذي لبستموه عند كل قائم وقاعد وبينما حسان يقول لرجاله هذا المقال لم يشعر الا وعنتر قد ادركه مثل القضاء النازل وصاح فيه صوتاً كانه الرعد القاصف فارتجت منه المفاصل فلم يلتفت الى الصايح حتى كان عنترة طعنه في صدره اطلع السنان من ظهره وقال لشيبوب خذ هذا الجواد لمولاك شاس وبشره بالنصر وزوال الباس ولما نظروا بني الريان الى الطعنة التي طعنها عنترة لفارسهم حسان نطا بقوا عليه من كل جانب وقصدوه بالسيوف البارقة والرماح الخارقة وهو

يبري بسيفه الرماح ويلتقي بترسه ضربات الصفاح ويخطف الارواح ويبدد الاشباح وشاس ينظر الى فعاله ويتعجب من شدة قتاله فوصل اليه شيبوب بالجواد وبشره ببلوغ المراد فركبه وابتدر الحرب و باشر الطعن والضرب وكان شاس من الفرسان المعدودة فاقتحم الغبار وخاض في الاعداء خوض البطل الجبار هذا وعنتر قد اقام الحرب على قدم وساق وطوق بالدما الاعناق ولم يزل كذلك حتى اظلمت الدنيا واسودت الافاق وعاد وقد اهلك منهم مائة بطل وشتت الباقين بين السهل والجبل وقال لشاس يا مولاي ما كان هنا امر نتعب به نفسك ونتعرض للخطر فوحياة راسك لو طال النهار ساعة اخرى ما تركت منهم من يخبر بخبر فتبسم شاس من كلام عنتر وعلم انه يقدر على ما يقول واكثر وكان عنتر قد عول على النزول في تلك الساحة للمبيت واخذ الراحة فقال شيبوب لاخيه عنتر لا تنزل هنا يا اخي لاني خبيرٌ بهذه البلاد ومنها سباتا ابوك شداد وقدامنا اذا طلبنا اهلنا على هذا الطريق تعب شديد وضيق وانا خايف من بني الريان الذين سلموا ان ينفروا علينا القبائل ويدركونا بالجحافل وربما سبقونا الى باب المضيق و يبلونا بما لا نطيق والصواب ان تتبعني حتى اسير بك في عرض البر ونطلب بلاد اليمن ونسلم من البلايا والمحن ونعود الى ديار بني زبيد ونكمن في شعابها ونقضي الليل في رمالها وهضابها الى ان نخرج من اطراف ارض غباغب ثم نركب الطريق الاعظم ونعبر بين جبلي الخشاخش والتناصب وننحدر الى ديار بني ربيعة ومن هناك الى ديار بني عبس وعدنان ونستريح من حوادث الزمان فلما سمع عنترة هذا الخطاب سمع واجاب وكانت الخيل معهم كثيرة فصاروا يغيرون الخيل ويقطعون الارض في ظلام الليل فما اصبح عليهم الصباح الا وهم قد ابعدوا عن بني الريان ولاح لهم وجه الامان وصار شيبوب يسير بهم في عرض السير على غير طريق الى ان عبر المضيق فركبوا الطريق الواضحة وجدوا المسيرَ وامعنوا في الجد والتشمير هذا وعنتر متعجب من معرفة شيبوب في البلاد وخبرته بالشعاب والوهاد فلما كان في الليلة السادسة نزلوا على مياه بني غباغب واكلوا الزاد ولذ لهم الرقاد ولما كان السحر افاق عنترة وهو يتنهد ويتحسر فساله شاس عن حاله وما سبب انزعاج باله فقال يا مولاي قد زار ني طيف عبلة في الظلام فنفى عني لذيذ المنام ثم عبثت به بلابل الغرام وجاش الشعر في خاطره فانشد يقول

زارَ الخيال خيال عبلة في الكرى لمتيم نشوان محلول العرى

فنهضت اشكو مالقيت لبعدها   فتنفست مسكاً يخالط عنبرًا
فضممتها كيما اقبل ثغرهـا   والدمع من جفنيَّ قد بل الثرى
وكشفت برقعها فاشرق وجهها   حتى اعاد الليل صبحاً مسفرا
عربيةٌ يهتز لين قوامها   فيخاله العشاق رمحاً اسمرا
محجوبة بصوارمٍ وذوابلٍ   سمرٍ ودون خبائها اسد الشرى
يا عبل ان هواك قد جاز المدى   وانا المعنى فيك من دون الورى
يا عبل حبك في عظامي مع دمي   لما جرت روحي بجسمي قد جرى
ولقد علقت بذيل من فخرت به   عبسٌ وسيف ابيه افنى حميرا
يا شاس جرني من غرامٍ قاتلٍ   ابدًا ازيد به غراماً مسعرا
يا شاس لولا ان سلطان الهوى   ماضي العزيمة ما تملك عنترا

قال فلما سمع شاس هذه الابيات جالت في عينيه العبرات وندم عَلَى ما فات وقال له يا ابا الفوارس طب نفساً وقر عيناً فوحق البيت الحرام وما فيه من الالهة العظام لاخذن لك عبلة ولو انها تحت الارض السابعة او فوق السماء الرابعة و بعد ذلك ركبوا وساروا يقطعون الروابي والاكام مدة عشرة ايام فوقعوا في ارض يقال لها ذات الاعلام فراوا بها ستة هوادج على ستة جمال وفوق كل هودج منها هلال وعليه ثياب الديباج مرصعة بالذهب الوهاج وحولها زمرة من العبيد وكلهم بالدرق والسيوف الصقيلة وعليهم الثياب الجميلة وقدام الجميع فارس عظيم الهيكل كانه قطعة من جبل وهو يختـال على فرسه كانه احد الاكاسرة او بعض القياصرة فقال عنترة لشاس انظر يا مولاي الى هذا الفارس الغاير في هذه الارض وهو يقطعها في الطول والعرض وليس معه غير عبد واحد فما هو الا فارس مارد قال شاس والله يا ابا الفوارس لا يخلو هذا الفارس اما ان يكون عالي النسب من ارباب المناصب والرتب او جبارًا من جبابرة العرب الذين لا يخافون من العطب ولولا انه مقدم على عظائم الاهوال ماسار وحيدًا في هذه الرمال احتقارًا منه بالرجال وثقةً بنفسه عند لقاء الابطال والراي عندي انك ترسل اخاك شيبوب يسأله عن حاله و يسمع ما يبدي من مقاله هذا وعنتر قد تطلع الى جنبات البر فرأى تلك الهوادج ترفل من خلفه و يلتفت اليها و يهتز عجباً من عطفه فقال لشاس يا مولاي ان هذا الفارس قد ركب الغرور والجهل قد اعماه حتى اطفا من عينيهِ النور فان مسيره فريدًا يدل على احتقاره الرجال واستخفافه بالابطال وهذا

مما لا تقبله انفس الجبابرة ولو كان صاحبه من ملوك المناذرة ولا بد لي ان اتعرض له وارغم انفه وان تمرّد اهلكته واخذت هذه الهوادج التي خلفه ثم قال لشيبوب تقدم اليه بالانذار وقل له يسلم نفسه قبل الهلاك والدمار فعند ذلك اطلق شيبوب ساقيه للريح وطلب عرض البر الفسيح وكان هذا الفارس قد نظر الى شاس وعنترة وانكر مسيرها وخدها في البر الاقفر ورأى شيبوب لما انفرد عنهما في طلبه علم انه قادم اليه ليسأله عن حسبه ونسبه فقال لبعض عبيده ويلك انطلق الى هذا العبد المقبل الينا واعلمه مَن انا من فرسان العرب ولا تتركه يدنو الى الهلاك والعطب واستخبر منه ان كانت اصحابه من فقراء العرب يحضر بهم اليّ حتى اهبهم شيئاً من الفضة والذهب وان كانوا من اهل البغي والطمع فقل له يردهم الى الوراء ولا يعرضوا انفسهم لسوء المصرع فعند ذلك تقدم العبد حتى قارب شيبوب وصاح عليه الى اين ايها الساعي الى حتفه برجليه والطامع في ما لا يصل اليه فقال له شيبوب ارجع الى من ارسلك وقل له يسلم ما في يديه قبل ان يتمكن الحسام من وريديه ويرى اسهم المنايا نافذة من الدرع الذي عليه فقال له ويلك يا عبد اللئام لقد اسأت الادب في الكلام واليوم تشرب كاس الحمام من يد هذا الفارس الذي تضرب به الامثال وترتعد من هيبته فرائص الرجال فقال له شيبوب ويلك والى من ينتسب هذا الغلام ومن يقال له من السادة الكرام والى اين انتم سائرون بهذه الهوادج العظام فقال العبد اما نسب فارسنا فرفيع وجانبه منيع واسمه روضة بن منيع واما قصده يا ابن الخالة فانه طالب ديار بني عبس يريد ان يخطب عبلة بنت مالك بن قراد ويقتل ابن عمها عنترة بن شداد ويغمر قومها بالنعم والاموال الكثيرة ما وصف له فيها من الحسن والجمال . قال الراوي وكان هذا الفارس شجاعاً وقرماً مناعاً وكان ابوه منيع لما مات خلفه صغيراً وترك له من المال شيئاً كثيراً فربي فيه الى ان بلغ مبالغ الرجال وضيع اكثر امواله على الابطال وكان له ابن عم يقال له الاسموع بن دارع وكان يبغضه لانه كلما راه يطلب الفروسية يحسده ويشتهي ان يقتل في بعض الوقائع وكان روضة كلما ذكروا له الاماره بعد ابيه يقول انا ما اريد الا ان التقى فارساً يقهرني في الميدان حتى اكون عبداً له على طول الزمان فسمعه ابن عمه الاسموع فصار يعرض له بذكر حديث الفرسان حتى اوصله الى حديث عنترة بن شداد وعشقه لعبلة بنت مالك بن قراد وما قال فيها من الاشعار التي سارت بها الركبان الى جميع الاقطار وما في هذه الجارية من

الحسن والجمال الذي يسبي عقول النساء فضلاً عن الرجال ويقول له من قهر عنترة واخذ عبلة فقد افتخر وساد على جميع العباد فوطن نفسه وشدد عزمه على ذلك واتى بامه واخواته حتى يخطب عبلة بنت مالك واخذ معه كثيرًا من الاموال والهدايا والتحف الغوال ولما نظره عنترة انفذ له اخاه كما ذكرنا ليستقصي منه الخبر فعاد شيبوب وهو ضاحك يصفق بيديه ويفحص في الارض برجليه واعاد ما سمعه من العبد عليه فضحك عنترة حتى استغرب وقال يالالعجب وحق ذمة العرب ان هذا الحديث يستحق ان يورخ ويكتب على صفائح الفضة بماء الذهب فقال شاس والله يا اباالفوارس ان لكل منية سبب ومنية هذا الغلام سببها الجهل الذي قاده الى المعطب ثم ان عنتر قفز بالجواد حتى قاربه وناداه دونك يا وجه العرب ان الله قد قرب عليك الطريق واعطاك السعاده والتوفيق فلما سمع روضة كلام عنترة تبسم وحرك الجواد نحوه وتقدم ولما صار بازائه راى الشجاعة لائحة بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه فقال له ايها الفارس من تكون من فرسان القبائل فاني ارى للشجاعة عليك دلائل قال عنترة انا الفقير عنترة بن شداد الذي تريد ان تقتلني وتاخذ ابنة عمي مالك بن قراد فلما سمع روضة كلام عنترة عاد نحو الهوادج وهو يقول يا اماه ابشري فقد بلغت المآرب وتيسرت عليَّ المطالب هذا وعنترة بن عم عبلة قد لقيته هنا وببركة دعاكِ قد بلغت المنى فما اتمَّ الكلام حتى رفع سجف الهودج الاكبر واخرجت امه راسها ونظرت الى عنترة فقالت من يكون هذا العبد الطنجير حتى يتعرض لبنات الحرير العربيات وهل يستطيع ان يلتقي مثلك من كرام السادات فارجع اليه واقطع راسه بضربة واحده والحقه بدوارس العرب البايده قال نعم انني اعجل اليه اقدامي قبل ان يفرَّ من امامي وفي الحال رجع الى عنترة وحمل عليه وهو ينشد و يقول

لما رآني زماني لانَ جانبهُ	وذلَّ وانصرفت عني نوائبهُ
ولو يعاندني عممتُ مفرقهُ	بمرهفِ الحد لا تنبو مضاربهُ
انا الذي سجدت سمر الرماح لهُ	وسابقتهُ الى جيش يحاربهُ
وصاحبتهُ سيوف الهند جاهدةً	كانهنَّ بنوه او اقاربهُ
كم جحفل من حسامي فرَّ منهزماً	وحار في سعة الارضين هاربهُ
وكم قتيل تركت الطير عاكفةً	على دماه ووحش البر طالبهُ
يا عبلَ سعدكِ وافى فابشري بفتىً	يفنى الزمان ولا تفنى مناقبهُ

يا عبلَ عبدك قد حانت منيته ... على يدي وقد قامت نوادبه
فليفرحنَّ ابوك اليوم مبتهجاً ... و يرقدُ الليلَ ماسارت كواكبهُ

قال الراوي فلما سمع عنترة شعر روضة زاد به الغيظ والحرد حتى كاد يفتق ما عليه من الزرد وقال له قاتلك الله ما أجهلك وما ابعد املك لعن الله بطناً حملك ثم قفز بالحصان اليه وصمم بالحملة عليه واجابه على شعره يقول

كم يبعدُ الدهرُ من ارجوا اقار به ... عني و يبعث شيطانـاً احار بهُ
فياله من زمان كلما انصرفت ... صروفه فتكت فينا عواقبه
دهرٌ يرى الغدر من احدى طبائعه ... فكيف يهنا به حرٌّ يصاحبهُ
جربته وانا غرٌّ فهذبني ... من بعد ما شيبت راسي تجار بهُ
كم ليلةٍ سرت في البيداء منفرداً ... والليل للغرب قد مالت كواكبهُ
سيفي انيسي ومهري كلما نهمت ... اسد الدحال اليها مال جانبهُ
وكم غديرٍ مزجت الماء فيه دماً ... فجاء وحش البراري وهو طالبهُ
يا طامعاً في هلاكي رُح بلا طمعٍ ... ولا تردْ كاسَ حتفٍ انت شاربهُ

قال الراوي وما اتمّ عنترة كلامه حتى صدمه روضة وصال معه وجال فاستقبله عنترة احسن استقبال وقال اهلاً بخاطب البنات وقاتل الرجال وطاوله ساعة واظهر قدامه الكسل فطمع فيه روضه وظن ان ذلك من باب الضعف والفشل فمد الرمح اليه وحمل وهو يقول انزل عن الجواد يا عبد السوء وترجل قبل ان تشرب شراب الاجل هذا وعنتر قد وقف بعيداً حتى قار به فالتقى الرمح من يده وجذب سيفه من غمده ولما رآه روضة قد رمى الرمح ظن انه يريد ان يسلم نفسه فتلقاه بطمنة ظن انها تسكنه رمسه وقال خذها من يد روضة الفرسان والان قد ظهر الشجاع من الجبان فجذب عنترة السيف اسرع من ارتداد طرفه وضرب به رمح روضة فبراه من نصفه وانقض عليه حتى حك الركاب بالركاب وقال عيب عليَّ ان اشهر سلاحي على الكلاب ثم لطمه بقفا يده على صدره فالقاه عن جواده على ظهره فغاب من تلك اللطمة وما افاق على نفسه حتى كان شيبوب قد شد كتافه واوثق سواعده واطرافه وساقه الى بين يدي اخيه عنترة كالثعلب قدام الاسد الغضنفر فقال له بارك الله لك في هذا الزفاف ياروضة الزمان و يهنيك قتل عبد بني عبس وعدنان والله لا اقتلك الا بهذه العصا فانك لست اهلاً للسيف والسنان فعند ذلك رمت اخواته الخمس وامه انفسهن

من المواذج وكشفن البراقع عن وجوه مثل البدور الطوالع واكثرن من الصياح والبكا والنواح وقلن لعنتر يافارس الزمان بحرمة جدك عدنان ارحم تذللنا ووقوعنا في هذا المكان وان اردت ان تقتل هذا الفتى فاقتلنا قبله حتى لا ترى عيوننا قتله ثم تقدمت ام روضة اليه وجعلت تقبل يديه ورجليه وانشدت تقول

يافارسَ الخيلِ باللّه ارحم الحرُما ... وكنْ لنا من تصاريف الزمان حمي
وانْ عزمت على ما انت فاعلهُ ... من قتله فاسقنا من قبله العدما
حاشاك تفجعنا في فارس سمحتْ ... به الليالى وتبكينا عليه دما
لاقاك ظلماً فعاد الظلم يتبعه ... فارحمْ صباه وسامحهُ بما اجترما
انت الشجاع الذي ان سلَّ صارمه ... يوم الوغى نثر الاعناق والقمما
يا فارس الخيل يا من لا نظيرَ لهُ ... ارحمْ مذلتنا يا خيرَ من رحما
ولو تفاخر اهل الارض كلهم ... كانوا جميعهم ارضاً وانتَ سما

ثم انعكفت اخواته الخمس على اقدام عنترة وهنَّ منشورات الشعور ينادينَ بالويل والثبور ويلطمنَ الوجوه ويقرعنَ الصدور وينشده الاشعار المبكية ويقدمنَ له الاستعطاف والترضية فذرفت من عينيه العبرات واستحى من العجوز والبنات لانه كان مع شدة باسه رقيق الفواد وكان حليماً لا يصبر على الغضب والعناد فامر باطلاق روضة وقال له من الان اعرف مقدار نفسك بين الرجال ولا تظن عنترة بن شداد مثل من تعرفهم من الابطال قال الراوي هذا كله يجري وشاس قد اذهله حسن تلك البنات الابكار وتعجب من مروة عنترة وقال في نفسه والله ان هذه مروة السادة الاماجيد وحرام على عنترة ان يدعى من العبيد هذا وروضة قد تقدم الى عنترة وقبل يديه وتاخر وهو من ذنبه قد استحى واعتذر وقال له ياحامية بني عبس وعدنان ان الزمان يعطي الانسان كل يوم عقلاً جديدًا ويردعه عن الطغيان وانا كنت بجهلي سائرًا الى خطيبة بنت عمك الكريمة لاني لم اعرف مقدار سطوتك العظيمة والان قد انضح البرهان وعرفت انك فارس لا تقاس بالفرسان ولا يثبت قدامك مردة الجان وقد عولت انى اعود الى الاوطان وابث مكارمك في كل مكان وانا اريد ان تقبل مني ما احضرته معي هدية على اسم عبلة وانا احسب قبوله منة لك عليَّ من الجملة ثم ان روضة قام الى بعض الجمال فابركه وانزل عن ظهره حقيبة واخرج منها ثلاث حلل من الديباج وفي كل حلة عقد من الجوهر يضيء كالكوكب الوهاج فقال شاس يا ابا

الفوارس اقبل منه هذه المدية وخذها لمن اتت برسمها فانهـا الا تليق الا لعبلة التي حضرت على اسمها فقبلها منه وشكره واثني عليه وقبله بين عينيه و بعد ذلك ودع كل واحد منهم صاحبه وعاد راجعاً الى بلاده وقد ارغم عنترة انوف جميع اعدائه وحساده ولما ابعدوا في البراري والقفار اقبل عنترة على شاس وقال له الا ترى يـا مولاي ما قد شاع لعبلة من الاخبار وكيف تكاثرت عليها الخطاب وتواردت اليها الطلاب وذلك كله من البغي والعناد الذي وقع عليَّ من بني زياد فلو كانت دخلت في يدي لم يتعرض لها احد من العباد وكنا استرحنا جميعنا من هذا التعب والجهاد قال له شاس ابشر يا ابن العم بقرب الاجتماع وزوال الهم والصداع فقبل عنترة يدهُ واثني عليه وحمده وساروا بقية يومهم وليلتهم الى طلوع الشمس فاشرفوا على حمى بني عبس فقال شاس لعنترة يا ابا الفوارس انفذ اخاك شيبوب يبشر اهلنا بقدومنا جميعاً وانا اعلم انهُ لابد ما يركب ابي واخوتي و بقية العشيرة و يخرجون لملتقانا سريعاً ولا بد ان ينثروا الدراهم والدنانير عليك اذا علموا ان خلاصي كان على يديك ويعلو قدرك عند العشيرة و يكون لك بذلك المنزلة الخطيرة فاجابه عنترة الى ذلك الخطاب وقد علم ان رايه صواب وامر اخاه شيبوب بذلك فسار حتى اشرف على الديار ونادى باعلى صوته بين الناس و بشرهم بقدوم اخيه والامير شاس وطلب مكان الملك زهير والعرب خلفه متبادرة وعلى اثاره سائرة وكان الملك زهير قد لحقه على ولده شاس الوجد العظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وكذلك ولده مالك فانه حزن على فقد عنترة اكثر من فقد شاس اخيه الاكبر وكان اذا خلا بنفسه عند المساء يعدد عنترة كما تعدد النساء . قال وكان الربيع قد توسل الى الملك زهير لاجل اخيه عُمارة وتردد عليه مرارًا عديدة حتى اطلقه مما كان فيه من الحبس والضيقة الشديدة وصار عمارة يقول وحق ذمة العرب لولا فقد شاس من الحلة كنت بلغت ما اريد من عبلة وفي اثناء ذلك قدم شيبوب على الملك زهير وسلم عليهِ وقبل الارض بين يديه وقال له يا مولاي قد وصل اخي عنترة ومعه سيدي الملك شاس وقد تخلص من القتل والاسر بعد الاياس فلما سمع الملك زهير هذا الكلام طار فواده من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وقال احق ما تقول يا شيبوب قال اي وحق علام الغيوب قال فعنـد ذلك ركب الملك زهير واولاده وحاشيته واجناده بعد ما خلع عَلَى شيبوب خلعة فاخرة واعطاه العطية الوافرة وسار وهو يقول وحق البيت والاستار من خرج اليوم بلا نثار قابلته بما لا يختار فان اليوم

قد عاد ملك بني عبس من جديد وقرت عيون الموالي والعبيد لولا حرمة الملك التي تجلت عليّ ما كنت التقيتهما الا ماشياً عَلَى قدمي قال وشاع ذكر شاس وعنترة بين الخيام والمضارب وانقلب الحي من كل جانب وخرجت الحراير والاموات ورقصت الوصايف والمولدات وقامت الافراح في ابيات شداد ونزلت الخمدة عَلَى بني زياد ومالك بن قراد هذا وعمارة يقول لا مرحبا بالقادمين ولا اهلاً بالراجعين عاد والله هذا العبد الطنجير سالماً من الاخطار واتى بوجهه الكالح الى الديار وما يقنع زهير بعودته حتى يامرنا ان ننثر عليه النثار ثم ان عمارة ركب خوفاً من الملك زهير وهو يقول لا بشرك الله يا شيبوب بخبر وما ابعد القوم عن الحي حتى اقبل شاس والى جانبه عنترة كانه احد تبابعة بني حمير وكان اول من تقدم اليهما مالك بن زهير وهو يقول يا قوم هنئوني بهذا اليوم ثم اعتنق اخاه شاس وعاد الى عنترة فسلم عليه وصافحه وقبل راسه وبين عينيه وهو يقول مرحباً بك يا ابا الفوارس وصدر المحافل والمجالس لا عاشت الدنيا بعدك ولا ذاقت بنو عبس فقدك هذا وعنترة يقبل يد مالك وقد تزاحمت الناس عليه وعلى شاس ونثرت الدراهم والدنانير من الاردان والاكياس وكان عمارة لما ركب اخذ معه شيئاً من الذهب واوصى عبيده ان يكونوا كلهم بين يديه ولا يفارقوه وقال لهم اذا رايتموني قد نثرت المال عليه اسبقوا انتم اليه وخذوه فاجابوه وامتثلوا وكما امرهم فعلوا ثم ان عمارة تقدم الى شاس وعانقه واظهر انه فرح بعودتهما واستبشر ثم اشار بيده يسلم على عنتر وقال تهنيك العودة الى الاوطان والسلامة من حوادث الزمان ثم ان عمارة بعد هذا الكلام نفض كمه من الذهب وكان فيه فضلة باقيه فالتقاها بيده الثانيه وكان شيبوب ملاحظاً له فصار يقول لله درك يا وهاب مثلك من ينثر المال على الاقارب والاحباب فقال له عمارة هذا قليل في حقك وحق اخيك عنترة ولو بذلنا لكم مال كسرى وقيصر ثم ان عمارة قال في نفسه كلما كسرنا انفسنا لهولاء العبيد كنا نحن الخاسرين وكانوا علينا رابحين ولكن لا بد ما ندبر حيلة انا واخي الربيع ونسعى في هلاك الجميع قال وبعد ذلك تقدم مالك ابو عبلة الى شاس وصافحه وحياه وبالسلامة هناه فقال له شاس ان كنت يا مالك مسروراً بخلاصي كما تقول تزف عبلة عَلَى عنترة والا وحياة الملك زهير افلق راسك بهذا الحسام الابتر واتركك موعظة للبشر فتبسم مالك تبسم الخجل وقال يا مولاي لا تحتاج الى هذا العمل لانه ما بقي له في قلبي بغضة ولا عناد ولا يرى مني الا المحبة والوداد فاني من بعده ما ارتفع لي

راس ولا صار لي قدر بين الناس فابنتي له امة على حسب ما يريد وانا له من جملة العبيد وان شئت في هذه الليلة زففتها عليه وسلمتها اليه ثم ان مالكاً ترجل بعد ما انتهى من مقاله وسعى الى عنترة بجثته ومحاله فلما رآه عنترة رمى نفسه عن الجواد اليه وضمه الى صدره وقبل يديه فقال له مالك يا ابن اخي انت اليوم باعنا الطويل وسيفنا الصقيل وما كنت افعل في حقك ذلك العناد الا من وساوس الاعداء والحساد وسعي ارباب الفساد واما الان فقد مضى ما مضى وان شاء الله نبذل الغضب بالرضى وكان مالك في هذا الكلام يظهر الوفاء والوداد ويخفي الغدر والاحقاد وكذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد هذا وزبيبة ام عنترة تعدو بين يديه وتتمزوهي تقول ما اريد لك ياولدي هذه الحال ولا اريدك الا نصب عيني ترعى النوق والجمال فان ذلك اهنأ على قلبي من هذه الفروسية التي ترميك كل يوم في المخاطر والاهوال ولما عادت الناس الى الخيام وامر الملك زهير بنحر الجمال والاغنام وترويج الطعام وصنع الملك زهير وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وجمع اليها الحي من الخاص والعام واشبعهم من الاطعمة والمدام وما زالوا على ذلك مدة ثلاثة ايام ولما كانت الليلة الرابعة كان مالك ابو عبلة عند شاس فقام شاس على قدميه قبل انصراف الناس وقال يابني عمي اعلموا إني من غداة غد اريد ان اهتم في عرس عنترة فمن كان له قرابة او صديق يدعوه يحضر وانا شاس ابن الملك زهير عتيق سيفه وامين خوفه وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر لا تركت شيئاً من مالي الا واحضره الى بين يديه وما هو الا من بعض احسانه الينا ولا نمن به عليه . قال فلما سمعت اهل العشيرة من شاس هذا المقال قالوا كلهم مثلما قال فقال عنترة يامولاي هذا لا يسرني لاني لا اريد ان اكلف عشيرتي فان عندي من انعامكم ما يقوم بحاجتي وقد بقي تحت يدي من انعام الاكاسرة والمناذرة ما يقوم بعرس احد القياصرة قال الراوي ولما انقضت الوليمة عاد عنترة مع ابيه واعمامه وقد البسه شاس حلة جهرمية واركبه على فرس من جياد خيله العربية وتفرق الناس الى المضارب والخيام وكل منهم قد هان عليه بذل ما في يده من الاموال حتى يبلغ عنترة ما يريد من المرام قال وكان عمارة كلما سمع هذا الكلام يذوب من قهره وتشتد به الالام وزاد بعبلة غرامه فصار يهذ بذكرها الليل والنهار ولا يقر له من اجلها قرار وكان اذا دخل عليه اخوه الربيع يشكو اليه حاله وبلواه ويتنهد متحسراً في شكواه فيقول له الربيع والله ياعمارة مالك في الفرج على يدي امل الا ان كان في التدبير

والحيل وهذا العبد وحق دمة العرب ابغض الناس اليّ واود لو اني اشوي على النار لحمه واشرب عوض الماء دمه ولكن اعيتني فيه الحيل والتدابير وليس لي قدرة عليه الا ان كانت تساعدني المقادير على اني لا ازال اراقب الفرصة في انقطاع اجله ولا ادعه يبلغ ما يروم من امله ولما كان عند الصباح ركب الملك زهير واولاده ليفتقدوا المراعي والغدران ولما صار بظاهر الخيام تجارت خلفه الفرسان فافتقدوا عنترة فما وجدوا له خبر ولا وقعوا له على اثر فقالوا لا شك انهم مالوا عليه بشرب العقار وقد عقبه من ذلك خمار ثم انهم ساروا الى ان حمي الحر وهوجر البر فعندها عاد الملك زهير الى المضارب والخيام وتفرقت الناس لاجل الراحة واكل الطعام وكان شاس واخوه مالك قد اشتغلت قلوبهما لغيبة عنترة ولم ياخذهما قرار حتى انفذا الى ابياته بعض العبيد لكي يكشف الخبر فعاد الرسول وهو يقول والله يامولاي ما اصبح للرجل في الحي لا عين ولا اثر وقد سالت عمه عنه فقال انه مضى من عندي الى ابياته بقرب السحر وعند الصباح طلبته انا واخوتي للركوب فما وجدناه لا هو ولا اخوه شيبوب وسالنا عنه امه فقالت اتى الى بيتي فجلس حتى خمدت النيران ونام كل نعسان فنهض ونادى باخيه شيبوب فشد له على الجواد وركب واخذ اخاه وسار ولا ادري الى اي بلاد وسالته الى اين يريد الذهاب فما رد علي ولا اجاب قال فلما سمع شاس من عبده ذلك الكلام قال لعنك الله يا مالك ما اكثر محالك وما اخبث اعمالك فلا بلغك الله امالك فقال اخوه مالك يا اخي ماذا تقول في ذلك قال اظن ان عمه اظهر لنا خلاف ما اضمر حتى اغتر به عنترة ولما رآه قد اطمأن اليه وجعل اتكاله عليه انفذه الى بعض الاقطار واسلكه مسالك الاخطار حتى ابعده عن الديار فقال مالك لعله مضى لكي ياتي بما يتقوى به على وليمة عرسه لانك تعلم شرف نفسه فلا يريد ان يكلف احدًا من عشيرته وابناء جنسه قال شاس وانت تعلم شهامة عنترة فانه لا يبغي على احد الا ان يكون مالك قد كلفه ما لا يتيسر عندهُ ولا يوجد او يكون قد عيره وطغاه حتى غير عادته وهواه والصواب اننا نعلم ابانا بمسيره وننظر ما يكون من تدبيره قال وشاع هذا الخبر في الحي فشمتت الاعداء والحساد واشتفت قلوب بني زياد

قال الراوي وكان السبب في غيابَ عنترة من الحلة عمه مالك ابو عبلة لانه من حينما وصل عنترة مع شاس صارت اصدقاءه جميع الناس فما امكنه ان يعصى امر الملك زهير واولاده ويخالف بقية اعوانه واجناده فاظهر الفرح والسرور واضمر الكر

والغرور ثم قال لابنته عبلة البسي بعض الذي اتى به ابن عمك عنتر وتزيني بعقود الجوهر فانك تزفين عليه في هذه الايام لان الامر قد بلغ المنتهى وما بقي لنا حجة ولا كلام ففعلت ما امرها به ابوها وصارت كلما دخل عليها عنتر تقوم اليه وترحب به وتقبل بكليتها عليه وتضحك في وجهه وتلاعبه بنية صادقة لانها في محبته غارقة وكان عنتر اذا اتاها وهو سكران من المدام تزيده سكرًا بطيب الحديث والكلام ودام الامر كذلك الى الليلة التي عاد فيها من عند شاس فجاء الى بيت عمه واتته عبلة بالكاس والطاس ولما خلا بعنترة ابوها وامها واخوها شرعوا في ذكر عرسها ومتى يكون الزفاف وماذا يصنعون فيه ومن يدعون من الاصحاب والاحلاف . فقال مالك لعنترة يا ابا الفوارس انني قد بلغت بك المنازل العالية وما بقيت اكتم عليك سرًا ولاعلانية فانا قد اوجع قلبي كلام الملك شاس بحضرة القيام والجلاس وقوله اعمل الوليمة من اموالنا وانحر فيها من نوقنا وجمالنا وانا لا اريد هذه السمعة والرنة ولا اشتهي ان يكون لاحد عليك فضل ولا منة فانا انحر جمالي وجمال اخوتي حتى لا نبقي لنا من ناقة ولا بعير ونزيد على ذلك النوق العصافير ولا نقف تحت جميل احد من اهل الزمان ولا يقال ان عنترجبواله وليمة عرسه من العربان فقال له عنتر ياعماه قد سمعت مني جواب شاس فان عندي ما يغنيني عن مساعدة الناس قال ياولدي لا تغتر بما عندك من الاموال فانك لا تدري كم تحتاج من المواشي والجمال وكم يجتمع عندك من احياء العربان الذين تدعوهم والذين ياتون يهنونك من كل جانب ومكان فوالله انهم يحتاجون ذبائح تملاء الجبال والوديان وخمرًا يملاء الصهاريج والغدران فلا يكفيهم ما عندك وما عندنا ونحتاج الى منة العشيرة والجيران وقد سمعت بعض الناس يقول ان الاجدر بعنترة ان يذهب ويأتي بغنيمة تكفي هذه الوليمة العظيمة ولكن نخاف عليه من سوء العاقبة الذميمة لان الانسان لا يستوثق كل مرة ان تكون عاقبته سليمة وانا حين كانت نيتي خبيثة عليك كنت اريد ان القيك في مهالك الاسفار واما الان فانني صرت اخاف عليك من ركوب الاخطار قال فلما سمع عنترة هذا الكلام انقلبت عيناه في ام راسه وتكدرت جميع حواسه وقال ياعماه لو كان لعنترة قلب يعرف الفزع لما كان يرمي نفسه بين الالوف ويتلقى بصدره الرماح والسيوف وانا والله لو كانت الرجال مثل الجبال واجتمعت معها الجن والاغوال لاقتحمت الجميع بسيفي الابتر ودستهم بحوافر حصاني الابجر واذا كان هذا الظن قد وقع عليَّ فلا بد ان اخوض بحار المنايا بقدمي لكي انفي عني هذه

الظنون او اشرب كاس المنون قال عمه ياولدي قد اعجزتني عن الكلام فلك الخيرة في ما تفعل والسلام قال وكان عمه قد علم عبلة كلاماً تقوله لعنتر فقالت له يا ابن العم لا لا اجتمع بك الا ان تقضي اربي وتبلغني طلبي . قال عنتر ما الذي تريدين وماذا تطلبين قالت اريد ان تفعل معي من المفاخر كما فعل خالد بن محارب مع بنت عمه الجيداء بنت زاهر قال لها ابوها بمكره وخبثه دعي عنك هذا الهذيان وشقشقة اللسان من اين سمعت بهذه الخرافات التي تتحدث بها العربان . قالت سمعت هذا الخبر من النساء التي جاءت تهنيني بقدوم ابن عمي عنتر . قال لها وقد تبسم وما الذي سمعت ياقرة العين والروح التي بين الجنبين قالت يا ابن العم لما حضرت النساء عندي جرى بينهن ذكر الاعراس والولايم التي تصنعها الناس قالت احدى النساء ما عمل احدٌ وليمة وافتخر بها على البوادي والحواضر الا فارس بني زبيد خالد بن محارب لما زفت عليه الجيداء ابنة زاهر لانه نحر في عرسها الف ناقة ومائة سبع ومائة لبوة اصطادها بيده من الاغوار والانجاد ودعي لذلك بنى زبيد وبني خثعم ومراد واقاموا ثلثة ايام ياكلون الطعام ويشربون المدام وما فيهم من حضر قدامه شيء من لحم النوق والجمال الا وبينه قطعة من لحم الاسود بين مشوي ومسلوق وكانت النوق والجمال كلها من مال غشم بن مالك بن همام الملقب بملاعب الاسنة العامري ولما زفت عليه الجيداء كان القائد بزمام ناقتها ليلة عرسها بنت معاوية بن النزال صاحب بلاد اليمن الحميري . فقال عنتر ياعبلة ان كان هذا يحسب عندك انه امرٌ عظيم فوحق زمزم والحطيم ورب الخليل ابراهيم لا جعلت القائد بزمام ناقتك ليلة عرسك الا الجيداء بنت زاهر وراس خالد بن محارب معلق في عنقها كقلادة الجواهر حتى لا يبقى احدٌ في العرب يعادلك ولا يفتخر عليك ولا يناضلك . قال له ابوها يا ابا الفوارس والله لا طاوعتك على هذا الحال ومن هو هذا الخبيث المحتال الذي نطق بهذا المقال دعها تهذي ولا تتحرك ساكناً حتى ينجز امرك ويتم عرسك وينشرح صدرك لانني ما بقي لي طاقة بالملك زهير واولاده واذا غبت عن الحي ساعة طالبوني بغيبتك وعاد امري بعد صلاحه الى فساده ثم ان مالك مال على عنتر بشرب المدام وما زال يسقيه حتى انقضى اكثر الظلام ورقد كل من في الحي ونام وقبل الصباح سار عنتر الى بيت امه زبيبة فما قر له قرار لان ذلك اضرم في قلبه شعل النار فايقظ

انتهى الجزء السابع من سيرة عنترة بن شداد العبسي ويليه الجزء الثامن

الجزء الثامن

من سيرة

عنترة بن شداد

اخاه شيبوب وامره ان يشد الابجر فشده وقدمه الى بين يديه فركب وسار وشيبوب في ركابه وهو لا يعلم بما قد عول عليه ولما خرج من الحي وابعد عن الخيام طارت من راسه كؤوس المدام فقال له اخوه شيبوب الى اين عولت ان تقصد يا اخي في هذا الصعيد فقال له اقصد بنا جبال طويلع ومنازل بني زبيد وخذ بنا في اقرب طريق ليكون وصولنا غير بعيد فقال شيبوب يا اخي وماذا تجدد في هذا الليل حتى خرجت اليوم وماذا تريد من اولئك القوم فحدثه عنتر بما سمع من الكلام وشرح له القصة بالتمام فلما سمع شيبوب هذا المقال قال له قاتل الله عمك واخزاه ولا حفظه ولا رعاه والله ما علم عبلة هذا الكلام الا هذا الخبيث والا فمن اين لعبلة معرفة بهذا الحديث. قال الراوي وكان السبب بهذا التدبير مالك بن قراد والربيع بن زياد لانهما كانا يتراسلان في هلاك عنتر الليل والنهار ويعملان التدابير والاشرار فعلم الربيع اباعبلة هذا المقال واباعبلة حدث ابنته به واغراها بالمكر والمحال لانه اظهر ذلك رفعة لشانها وشرف لمكانها وهو على عنتر اهون من صيد الارانب وايسر من اقتناص الثعالب هذا وان عنتر سار وفي ركابه شيبوب وهو مستبشر بقضاء المطلوب ولا يعلم بما حكم به علام الغيوب ولما ابعدوا في البيداء قاصدين بني زبيد والجيداء طاب لهم المسير في تلك الصحاري في جوانب تلك البراري وتذكر عنتر عبلة فهاجت بلابل افكاره وصار يتنشق رائحة النسيم التي تهب عليه من دياره فجاش الشعر في خاطره وباح بما انطوى في ضمائره فانشد يقول

اطوي فيافي الفلا والليلُ معتكرُ	واقطع البيدَ والرمضاء تستعرُ
ولا ارى مؤنساً غير الحسام وان	قلَّ الاعادِي غداة الروع او كثروا
فحاذري يا سباع البر من رجلٍ	اذا انتضى سيفه لا ينفعُ الحذرُ

ورافقيني ترى هاماً مفلقة والطير عاكفة تمسي وتبتكر
ما خالد بعد ما قد سرت اطلبه بخالد لا ولا الجيداء تفتخر
ولا ديارهم بالاهل آنسة ياوي الغراب بها والذئب والنمر
يا عبل يهنئك ما يأتيك من نعم اذا رماني على اعدائك القدر
يا من رمت مهجتي من نبل مقلتها باسهم قاتلات برؤها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة ونار هجرك لا تبقي ولا تذر
سقتك يا علم السعدي غادية من السحاب وروى ربعك المطر
كم ليلة قد قطعنا فيك صالحة رغيدة صفوها ما شابه الكدر
مع فتية نتعاطى الكاس مترعة من خمرة كلهيب النار تزدهر
تديرها من بنات العرب جارية رشيقة القد في اجفانها حور
ان عشت فهي التي ماعشت مالكتي وان امت فالليالي شانها العبر

قال الراوي ولم يزل عنتر سائرًا حتى وصل الى ديار بني زبيد واكمن في بعض الاودية وانفذ اخاه شيبوب يكشف له الاخبار ويرى من هو حاضر في الحي من العبيد والاحرار فمضى شيبوب وعاد عند المساء اليه وهو يقول له يهنيك يا ابن الام فقد تيسر ما انت طالب لان خالد بن محارب غائب ومعه اكثر فرسان العشائر وما في الحي اكثر من مائة فارس مع الجيداء بنت زاهر فقال كفى يا اخي فانها هي المطلوب وغاية المقصود والمرغوب ولكن اما علمت اين سار خالد والى اين قاصد قال بلى سالت عنه بعض العبيد فاخبروني انه سار الى بني عامر ومعه معدي كرب فارس بني زبيد وقد صحبهم قيس المكشوح المرادي في بني مراد وخلفوا الجيداء في مائة فارس حامية الحريم والاولاد وهي تركب كل ليلة في عشرين فارساً وتفتقد الطرقات وتدور حول الحي من جميع الجهات وما تعود الى الصباح خوفاً على المكان ان يدركه طارق من العربان فلما سمع عنتر كلام شيبوب انجلت عن قلبه الكروب وقال بلغت وذمة العرب غاية المطلوب وفي هذه الليلة اخذ الجيداء ان خرجت كما ذكرت الى البيداء وما اريد منك يا شيبوب الا اذا وقعت بها ورأيتني حملت عليها ان تمسك الطريق على فرسانها حتى لا يهرب منهم احد ويخبر بخبرها ويدل اهل الحي على اثرها وان قدم عليك احد من الفرسان فاضربه بنبلة في فواده نكسه عن ظهر جواده وان فاتك احد واخبر اهل الحي بواقعة الحال قطعت يمينك بعد الشمال فتبسم شيبوب من ذلك المقال وقال ابشر يا ابن السوداء فانك تعلم ما عند اخيك من

كيد الرجال ثم اقاما في ذلك المكان حتى مضى النهار واظلمت انواره فخرجا من ذلك المضيق وسارا على غير طريق حتى قاربا الحلة واذا بخيل الجيداء قد اقلب ركضها تلك البيداء والجيداء قدام الخيل وهي تذكر فعلها وافتخارها على ابناء جنسها وتنشد في في مديح نفسها وتقول

غبارُ الخيل البيداء كحلي وطعن صدورها في الحرب شغلي
وصيد الاسد في الغابات فخرٌ وتعظيمٌ لغيري لا لمثلي
لاني كل يوم في فلاها اروّع لبوة بفراق شبلِ
وقد علمت جميع العرب اني الاقي في الكريهة الف فحلِ
وقد شهدت رماح الخط اني افوق بها على من كان قبلي
فمن يقوى عليَّ اذ رآني اخوض الليل في وعرٍ وسهلِ
حويت الفخر دون الناس وحدي باقدامي وافعالي وبعلي

فلما سمع عنتر كلامها عرفها فقال لاخيه شيبوب هذا وقتك يا ابن السوداء خذ انت في عرض البيداء حتى اهجم انا على الجيداء فعندها اطلق شيبوب قدميه وسعى في عرضهم حتى فاتهم وصار من جانب ارضهم وركض عنترة بالجواد حتى ادرك الفرسان وزعق فيهم زعقة ادوت لها الوديان وصمم عَلَى الجيداء وكانت قد سمعت صوته فاستعدت وطلبت مكان الصوت وجدت فما شعرت الا وهو قد عارضها وقابل جوادها وحاذاها ثم طعنه وترك الرمح مصلبًا في حشاه وتركها مشغولة بنفسها وسل سيفه وانصب على اصحابها انصباب السيل ومال عليهم كل الميل وفي دون ساعة قتل منهم اثنى عشر وعولت الثمانية على الهرب فتلقاهم شيبوب بالنبال ونادي الى اين تذهبون يا انذال العرب ثم رمى الاول في فواده فنكسه عن جواده وعارض الثانى فاقلبه والثالث فكبكبه والرابع فاعطبه ومازال يدور حولهم كاللولب حتى اهلك الثمانية ولم يترك لهم باقية واما ما كان من الجيداء فانها وقعت الى الارض لماسقط جوادها وبقيت ساعة مغشيًا عليها وقد انصدع فؤادها ولما فاقت الى نفسها قامت على اقدامها وسلت قائم حسامها وقوت جنانها وهرولت تطلب اوطانها وهي من اثر الوقعة مخبلة الاوصال وتشتهي ان تعرف من فعل بها تلك الفعال وما ابعدت عن موضع الوقعة حتى نظرت خيل اصحابها شاردة فعلمت انهم هلكوا وما حصل لهم فائدة فركبت بعض تلك الخيل وعادت تطلب الحي تحت ظلام الليل ولم تزل كذلك في هربها حتى ادركت عنتر وهو عائد في طلبها وهو يقول لاخيه

شيبوب ادرك الجيداء قبل ان تقوم وتركب من الخيل الشاردة وترجع الى القتال والمجاهدة فلما سمعت الجيداء هذا المقال علمت انه هو الذي فعل بها تلك الفعال فقالت هيهات يا كلب البيداء خابت والله امالك من الجيداء وها هي قد عادت تسقيك كاس الحمام وتجعلك عبرة للانام ثم نهمت كما تنهم اللبوة الفاقدة اشبالها وصرخت صرخة الاسود في دحالها وهجمت عليه تحت الظلام واشهرت في يدها الحسام وتضار با اشد ضراب وتصادم اعظم صدام واشتد بينهما القتال وتزلزلت الارض بالزلزال وتفصلت منهما الاوصال وكل عما جرى بينهما وصف الوصاف وخدرت منهما المناكب والاكتاف وايقن كل واحد منهما بالتلاف وجاز بالطعن والضرب حد الاسراف هذا وشيبوب يدور حول اخيه وعيناه من ناحية الحلة خوفاً من خيل تفاجيه وما زال عنترة والجيداء في حرب وكفاح الى ان اشرق الصباح وكلت الجيداء وملت وقلت قوتها واضمحلت غير انها اظهرت الجلد واخفت الكمد وهي ترى انها تقتل ولا تسلم نفسها من شدة عزيمتها وقوة همتها ولم يزل عنتر يقاتلها و يراوغها و يحاولها حتى هجم عليها هجوم القضا وقبض على اطواقها وجذبها عن الجواد فالقاها على وجه الفضا وضربها بالسيف صفحاً فادارت يديها الى الكتاف وقد استرخت منها المفاصل والاطراف فقال شيبوب لعنترة مر بنا يا اخي قبل ان يتعالى النهار و يصل الخبر الى المنازل فيتبعنا الفارس والراجل قال عنترة و يلك يا شيبوب اين اغدو وانا فارس السهل والجبل وكيف اعود الى بني عبس ولا ناقه معي ولا جمل فاصبر حتى تسرح اموال القوم وناخذ حاجتنا ونعود ونكون قد بلغنا المقصود ثم انه صبر حتى انبسطت الشمس على المراعي وخرجت المواشي تسعى فدخل عنترة في وسط المال وساق منه الف ناقة وقطعة من الجمال وصاح في رعاتها وطرح السيف في اقفية حماتها وامر شيبوب ان يسوقها في الفلاة ووقف عنترة حامياً لما وراه قال وعادت العبيد تصيح في جنبات القبائل فركبت الفرسان على الخيول الصواهل ونفر منهم الفارس والراجل وقالوا يا و يلكم اين الجيداء قالت العبيد اما الجيداء فما نعلم لها خبر واما الاموال فقد ساقها فارس اسود اللون اغبر كانه من عفاريت منفر بعدما قتل جماعة من الرجال ووقف ينتظر من يقبل اليه من الابطال ونقول انه املاك الجيداء وتركها طريحة في البيداء فقال لهم فارس من بني زبيد يقال له جابر بن المحتال و يلكم ما هذا المقال ومن يقدر ان يقاوم الجيداء في القتال وحق البيت الحرام لو وقعت الجيداء بالف فارس مارد ما تركت ان يصل اليها منهم فارس واحد وما هي الا قد اوسعت في البراري

تطلب صيد الغزلان ونقتنص الاسود من الجبال والوديان والصواب انا نكفيها مؤنة هذا الشان وتبركها تتنزه في المروج والغدران ثم اطلقوا الاعنة متتابعين فاشرفوا على عنترة من عشرة وعشرين فراوه متكئاً على رمحه الاسمر يحدق اليهم بالنظر وهو ينتظرهم كما تنتظر الارض العطشانة وابل المطر فصاحوا به و يلك من انت ايها الساعي الى الهلاك برجليه والطامع في ما لا يصل اليه و يلك هذه اموال الشجاع الغالب والليث الواثب الامير خالد بن محارب فارس المشارق والمغارب الذى اذل بسيفه فرسان الاعاجم والاعارب اسلم بنفسك قبل ان تسمع بك الجيداء فتتركك طريحاً فى البيداء فلم يرد عنتر عليهم جواباً ولا ابدي خطاباً لكنه قلب الرمح بيديه وتلقى به صدورهم وطعن بسنانه نحورهم وكانوا ثمانين فارساً صناديد ومعهم جماعة من العبيد فما تعالى النهار حتى بدد عنتر اكثرهم وسقاهم من المنايا كاساً فاسكرهم وانهزم الباقون فى تلك القيعان وهم يقولون لا شك ان هذا مارد من الجان وعاد يركض على اثر اخيه شيبوب خوفاً عليه والدما تسيل من منكبيه فبينما هو كذلك اذا بغبار قد ثار من بين يديه حتى حجب بصر عينيه فقال في نفسه جاءت والله العساكر التي للقوم وستظهر مراتب الفرسان في هذا اليوم ثم اطلق عنان الابجر وخرج يكشف الخبر واذا بشيبوب من قدامه يجري كانه السهم اذا انطلق او البرق اذا برق فارتاع من ذلك واستهال وصبر حتى قاربه فقال له و يلك اين الجيداء والاموال فقال يا ابن اشغلني عن ذلك هذا الغبار الذي تراه قد ثار والعبيد الذين كانوا معي لما ابصروا هذا القتام وقفوا عن السوق وصاحوا وطلبوني وهم يقولون الى اين تأخذنا يا ابن اللئام وقد جاءتك فرسان بني زبيد وخالد بن محارب الصنديد وارادوا القبض عليَّ فنفرت منهم ورميت منهم ثلاثة بعدما ابعدت عنهم ولا شك ان هذا الغبار يدل على جيش عديد وانت فى هذه البلاد رجل وحيد ولقد كنت عن هذا التعب كله في غنى لان قصدك الجيداء وقد حصلت لك ولو طاوعتني ما كنا وقعنا في هذا العنى وانا اعلم ان طمعك لا بد ما يرميك في بحر ما له قرار وابقى انا متحسرًا عليك الليل والنهار والان قد ظهر لنا هذا الغبار الذى تحته فرسان بني زبيد وخالد بن محارب الذي اسرت زوجته واحرقت مهجته وان قتلت الجيداء وملكت السلاح واجتمعت مع قومها في الكفاح فماذا نقول هل نطير مع الطيور في السحاب ام نغوص تحت الارض في التراب قال له عنترة و يلك يا ابن الانذال وانت من هذا الحساب خليت الجيداء والاموال والله لار ينك في هذا اليوم حرباً تذكر الى يوم المحشر ثم اركض

حصانه الابجر بقلب اقوى من الحجر وسل في يده سيفه الابتر وسار الى ان اشرف على المال والجيداء فراى العبيد قد حلو كنافهم وتبددوا في اقطار البيداء وهم ينادون يا آل زبيد ادركونا وخلصونا من هولاء العبيد هذا والجيداء قائمة على ظهر الجواد وهي خالية من السلاح موثوقة بالجراح فلما رأي عنترة ذلك صرخ في العبيد ويلكم يااولاد الانذال ما لكم والقتال ها قد اتاكم قابض الارواح الذي لا يحمي منه السلاح ثم ادركهم فطعن واحداً منهم في صدره والثاني في نحره والثالث القاه على ظهره فلما نظرت بقية العبيد هذا الحال اجتمعوا وساقوا الجمال وهم ينادون الامان يا فارس الزمان ولما رات الجيداء ذلك اطلقت العنان وطلبت ذلك الغبار تروم منه المعونة والانتصار وتبعها عنترة كالعقاب وعزم ان يخوض ذلك البحر العباب واقتحم نحوه بقلب لا يخشى ولا يهاب هذا والجيداء قد قاربت ذلك الغبار واملت منه الفرج لانها ظنت انه موكب من حيها قد خرج واذا هو ينادي من فرد لسان يا لعبس يالعدنان وكان هذا الجيش من بني عبس والمقدم عليهم الملك زهير واولاده وحوله سادات قومه واجناده وكان السبب في ذلك الامير شاس واخوه مالك لانهما لما فقدا عنترة تنغص عيشهما وتمرمروسالا ابا عبلة عنه فما اعطاهما خبر فدخلا على ابيهما واعلماه بما جرى فضاق صدره غاية الضيق واشتد بقلبه اللهيب والحريق وفي الحال دعا بشداد سراً وساله عنه فقال والله يا مولاي ما عندي منه خبر ولا يطلعني على احواله من اثر بل مالكه اخي لاجل محبته لابنته وانا اعلم انه لا يزال به حتى يسقيه كاس منيته وقد حرت والله في امري وضاق لاجل ذلك صدري فقال الملك زهير وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ان اصابه امر لاصلبن اخاك وولده عمرو واشوي لحومهما على لظى الجمر فشكره شداد على ذلك الكلام وعاد من عنده طالباً المضارب والخيام ثم انفذ الى زبيبة ام عنتر وقال لها اذهبي الى بيت اخي مالك واكشفي لي الخبر واقام في انتظارها بعد ذلك لترجع وتخبره بما تسمع فسارت زبيبة تطلب ابيات عبلة الى ان دخلت عليها وجلست بين يديها ثم سالتها عن عنتر فاعادت عليها القصة من اولها الى اخرها واطلعتها على باطنها وظاهرها فلما رجعت زبيبة اعلمت شداد بذلك فاستشاط غضباً على اخيه مالك وقام من وقته ودخل على الملك زهير فرأى عنده اولاده الجميع وهم حواليه كانهم زهر الربيع فاخبره بما سمع وبكى بين يديه وقال له وذمة العرب يا مولاي ما بقيت ارى ولدي على طول المدى وليس له خلاص من مخالب العدى قال شاس قاتل الله اخاك اللعين فانه اخبث من الشياطين وانا وحق

البيت الحرام ما تركت ينفذ له مرام ولا بد ان اسير خلف عنترة برجال لا يعرفون الموت ولا يخافون حلول الفوت واخذ ثاره وان كان قد شرب كاس الردى واجازي اخاك الخبيث على ماظلم واعتدى وان كان في الامر كنت له الفدى فقال الملك زهير وانا ايضاً لا اسير الا في جميع بني عبس وغطفان واعين ذلك الفارس الذي يدفع عنا البلايا طول الزمان ثم ان الملك زهير امر العبيد ان ينبهوا على الفرسان باخذ الاهبة للمسير الى ديار بني زبيد ففعلت العبيد كما امر واجابته الفرسان كلها الى ما ذكر فركب الملك زهير الى ارض البلقاء ونشرت على راسه الرايات وتلاحقت به الابطال والسادات ٠ قال الاصمعي وكانت جريدة بني عبس اذا طلبوا الغزوات اربعة الاف فارس فركب معه الفان وترك مع ولده ورفاء الف فارس تحفظ النساء والصبيان وكان الالف الاخر غائباً عن الاوطان وكان لما هم الملك زهير بالمسير تقدم اليه مالك ابو عبلة وقال ايها الملك ما هذا النفير والى اين تقصد في هذا المسير فقال له زهير قد عولنا على المسير الى هذه العقدة التي عقدتها عسى ان نحلها ونخدمك ياشيخ النار الذي يستحق الصلب والرجم بالاحجار ويلك الى كم تحلف لنا وتكذب في الاقسام وترمي هذا الرجل في المخاطر العظام ولكن ان رجعت سالماً فلا بد ان اجازيك على اعمالك واقابلك على سوء افعالك ولا سيما ان كان قد قتل فاني اقطعك الف قطعة واشرب من دمك الف جرعة قال مالك ايها الملك وانا ما ذنبي وما كان مني وماذا بلغك عني فان هذا الذي ذكرته له عبلة ماسمعت به انا قبل الان ولا فاه به لسان ولكن النساء لعبن بعقلها حتى تكلمت بهذا الكلام وانا من ذلك الوقت اضربها واتهددها بالعذاب والانتقام قال شاس وحق ذمة العرب يا مالك لقد كذبت في ذلك وعبلة ما طابت منه هذا الطلب الا بتدبيرك يا كلب العرب وانا اقسم بالله العظيم رب زمزم والحطيم لولا هيبة ابي وقلب عنترة لكنت اخذت راسك من بين كتفيك واعدت شوم تدبيرك عليك ثم نهض شاس واخذ السوط بيده ونزل على اكتاف مالك واجنابه حتى كاد يطحن عظامه ويقطع جميع اعصابه وعرف الملك زهير ان ذلك الصنيع كان بتدبير الربيع فنهض واخذ السوط بيده وضرب الربيع حتى غاب عن رشده وسالت الدماء من خدوش جلده وكل من كان حاضراً من الجماعة خاف من غضب الملك فما تجاسر ان يقدم فيه شفاعة وكان بنو زياد قد تجهزوا للسفر ومعهم مالك بن قراد فردهم الملك زهير وقال اقيموا في الحي لاجل المحافظة على النساء والاولاد ٠ قال الراوي وبعد ذلك سار الملك زهير في من معه كما ذكرنا قبل الان

وعاد مالك والربيع الى الحلة وهما يبكيان ويتحبان وكان مالك يبكي مما جرى عليه ويلطم وجهه بيديه ويقول والله ما بقي لنا بين هولاء القوم مقام ولابد لي من الرحيل الى بلاد الشام واسكن هناك عند من يكرمون الصلبان واترك عبادة الاصنام والاوثان ولا اقيم عند قوم اذل عندهم واهان قال عمارة والله ان اقامتنا في القيود والاغلال اهون من اقامتنا هنا عَلَى هذا الحال قال الربيع هذا كله فعله بنا زهير لاجل هذا العبد الادهم فنحن نرحل عنه ونترك له الحي ونريه كيف يندم اذا نزلت به القدم ثم ان الربيع واخاه عمارة ومالك بن قراد وطائفة بني زياد اجمعوا رايهم عَلَى الارتحال فجهزوا الاحمال وجمعوا المواشي والاموال وامروا العبيد ان تسوق الجمال فرحل مع القوم سبعمائة بيت بالاموال والرجال والنساء والاطفال لان الربيع شيخ بني عبس وكبيرهم ومدبرهم ومشيرهم كان يقارب الملك زهير في الشرف وعلو الشان وقضى زمانه بالكرامة ولم يلحقه ادنى هوان ورحل مالك بابنته عبلة ومن يحالفه من اهل الحلة ورحل معهم عروة بن الورد في فرسانه واحلافه وخلانه وهم الذين كان يلتقي بهم المصائب ويرد بهم النوائب ومشي عَلَى اثر الجميع الربيع بن زياد وهو سخين العين منكسر الفواد واما عمارة فلما راى عبله قد خرجت في الجملة تعلقت اماله بالنجاح ونسي الحي وكل ما فيه وشكر الله عَلَى نكبة ابيها واخيه وما زال الربيع سائرًا بهم تلك الليلة المقمرة حتى اصبح الصباح فنزلوا للراحة واخذوا في المشورة فقال مالك ابو عبلة الراي عندي اننا ننزل في ديار بني عامر بجوار خالد بن جعفر لان جيشه كثير العدد وارضه خصيبة جميلة المنظر قال الربيع بل الصواب ان ننزل على بعض المياه حتى نسمع خبر عنتر وما جرى له مع الجيداء وابن عمها خالد بن محارب فان سلم كانت احياء العرب قدامنا والطرق مفتوحة من كل جانب وان هلك فانا اعلم ان زهير يندم علينا فيرسل بطلبنا لانه لا بد ان يحتاج الينا ويقدم رسوله علينا واكثر ظني ان تلك الاسود لا يسلم من تلك البلاد ولو كان معه الجبل الاعلى وجن الارض السفلى قال عمارة بشرت بالخير يا ربيع وحق اللات والعزى ان اصابته مصيبة او نكبة قدمت نصف مالي الى الكعبة قال الراوي ثم ان القوم ساروا الى ان دخلوا بين جبلين في ارض تسميها العرب ذات الخرجين وكان ذلك المكان كثير المراعي والمياه فنزلوا فيه وسرحوا الاموال في نواحيه هذا ما جرى لهولاء واما ما كان من الملك زهير فانه سار بذلك العسكر حتى اشرف على عنترة وكانت الجيداء قد هربت من قدامه لما رأت ذلك الغبار وهي تظنه من الاعوان والانصار فلما سمعت نداء بني

عبس علمت انهم قد حضروا نجدةً لعنترة في تلك الديار فعندذلك سلمت اليه وطلبت
منه الذمام فاذم لها على نفسها من القتل والاعدام وامر شيبوب فبادر بالكيتاف وشد
منها السواعدوالاطراف و بعد ذلك ترجل عنترة الى خدمة الملك زهير واولاده وقبل
الارض امامهم وشكر فضلهم وانعامهم وعنايتهم واهتمامهم وقال للملك يا مولاي ماهذه
المشقة الشديدة الى هذه البلاد البعيدة قال الملك يااباالفوارس قد دعانا اليهامسيرك
وحدك الى بلاد العدى وخوفنا عليك من اسباب الردى ولو كنت اطلعتنا على هذا
السبب ما كنا احوجناك الى هذا التعب بل كنا عكسنا على عمك حيلته وزففنا عليك
ابنته وان ابى سلبنا مهجته وكان الواجب عليك ان تشاورنا ولا تشغل بغيبتك خواطرنا
فقال ايها الملك ان ابنة عمي اقترحت عليَّ امرًا هينًا وقد قضيته و بلغت المراد واخذت
الجيداء على رغم الاعادي والحساد وما هذه السفرة الا سفرة محمودة العواقب ميسورة
المطالب لاني بسعادتكم اينما توجهت افلحت وكل امر سعيت فيه نجحت لاني لما وصلت
الى هذه البلاد رايتها خاليه من الرجال فبلغت الامال وملكت الجيداء التي وعدت عبلة
بها ومرت في طلبها قال و بعد ذاك نزل الملك زهير في تلك المروج وسرحوا خيولهم
بها فاخذت كالبحور تموج ثم ان الملك زهير مدَّ بصره الى تلك التخوم فراى الابيات
منتشرة كالنجوم والمواشي كانها قطع الغيوم فقال يا ابا الفوارس حيث اتينا الى هذه
الاقطار فلا بد ان نلقي هيبتنا على اهل هذه الديار وقدخطر لي ان نسير الى هذه القبائل
نغتنم اموالها ونسوق نوقها وجمالها لان خالدًا قد سار الى بني عامر واتكل عند مسيره على
الجيداء بنت زاهر وما علم انها تقع في مخالب الاسد الكاسر فقال عنترة يا مولاي الامر
لك واليك وليس لاحد اعتراض عليك فامر الملك زهير بالغارة وعند ذلك تبادرت
الفرسان وانطلقت كالطيور الطيارة ولمعت الاسنة في ايديهم كالكواكب السيارة فلم
يتركوا في تلك الديار غير التلول والاثار واخذوا الرجال اساري والاماء والعبيداذلا
حيارى وكان الملك زهير قد اوصاهم ان لا يسبوا الحراير والبنات بل العبيدوالاموات
ولما رأى كثرة المال والاسرى مصفدة بالقيود تهلل وقال والله ما عنترة الا رجل مسعود
وكل من يعاديه مكمود واقام الملك زهير في تلك المنزلة ثلاثة ايام ينحر الابل والنياق
وفي اليوم الرابع رحل طالبًا الديار والاموال ماشية بين يديه تنساق وقد سدت بكثرتها
الافاق وعنترة يحادث الملك زهير و يناشده الاشعار وهم يقطعون الروابي والقفار
هذا والجيداء على جمل بازل وزمام جملها بيد شيبوب وهو يحدو لها حد المتصبب

الطروب وما زالوا سائرين علي ذلك المرام حتى تبقى بينهم و بين ارضهم ثلاثة ايام فعندها اصبحوا فى بر واسع وقفر شاسع كثير الغدران والمنافع خصيب المراعي والمرائع فقال عنترة للملك زهير يا مولاي ما احسن هذه المواضع للقتال وجولان الخيول تحت الرجال قال زهير يا ابا الفوارس هذا يصلح للماكل والمشارب وصيد الغزلان والارانب قال عنترة يا مولاي انا ما الفت الا على القتال وملاقاة الابطال وصيد السباع من الدحال فلا يخطر لي غير هذا ببال ثم اشار اليه بهذه الابيات يقول

اسمعاني تحمحمَ الصافناتِ وصريرَ الرماح في اللباتِ
وحفيف النبال من كبد قوسٍ تقذفُ الموت من اكفّ الرماةِ
كل من طاش عاش عمرًا ذليلا تحت ظل الغبار والمرهفاتِ
ليس من همتي المجالس القصف وليس الخمور من غاداتي ٠
انما لذتي حسامي ورمحي وحصاني وخوذتي وقناتي
ولقاء الكماة في كل حربٍ تصطلي نارها قلوب الكماةِ
ليس يغني لبس الرجال حريرًا تنطوي تحته قلوب البناتِ
ان فخري لبس الحديد الى ان يلبسوني الاكفان عند المماتِ

قال فلما سمع الملك زهير ذلك الكلام اخذه الطرب والهيام وقال لله درك يا فارس الخيل وخايض الليل ثم انهم ساروا في تلك القفار ساعة من النهار واذا هم بغبار من قدامهم قد ثار حتى سد الاقطار ولاحت من تحته اسنة الرماح و بريق الصفاح و بين ذلك عويل وصياح و بكاء ونواح فقال الملك زهير يا ابا الفوارس ها قد اتاك ما انت طالب ولاشك ان هذا عسكر خالد بن محارب وهذا البكاء والنواح السائر هو من سبي بنى عامر وما تبقى غير الصبر عَلَى ضرب السيوف البواتر والهجوم على هذه الاسود الكواسر التي اهلكت سادة بني عامر وفيهم مثل ملاعب الاسنة والربيع بن عقيل وجندح ابن البكا وغيره من حماة العشائر وقد نظرت فرسان بني عبس الى هذه العساكر التي سدت الافاق فايقنوا ان لم يبق لهم من قيد الموت اطلاق فعندها قال عنترة للملك زهير ايها الملك لاتضيق صدرك ولا تظن الا الخير فسوف ناتيك بالفرسان الى بين يديك تساق واعاديك فى ذلة الاسر والوثاق ونحن ما فينا من يتاخر عن طعن القنا وضرب البواتر ولو انقلبت الدنيا علينا بالخيول الضوامر ٠ قال الراوي ثم ان بني عبس كتفوا العبيد الغربا الذين سبوهم من ديار خالد ووكلوا بهم عشرين نفرًا من

الابطال حتى لا يشغلوا قلوبهم وقت القتال وتقدم عنترة بين ايادي الفرسان وهو منتظر الضرب والطعان كانه الاسد الغضبان فقال له الملك زهير يا ابا الفوارس تسلم انت امر القتال ورتب الرجال وكن من نحونا طيب القلب فما فينا من يتاخر عن الطعن والضرب ولو انقلبت علينا الجبال في صور الرجال . قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك المقال وراه متاهباً للقتال تقدم اليه وقبل الارض بين يديه وقال لا وحياة راسك ايها الملك ما خليتك تباشر قتالاً ولا تحضر معنا حرباً ولا نزالاً ثم حلف عليه ورده ورد روس الخيل والجمال وسف الرجال عن اليمين والشمال وتقدم بين يدي الفرسان كانه مارد من الجان وكان هـذا الجيش المقدم ذكره جيش بني زبيد والمقدم عليهم خالد بن محارب وهو في جمع غفير من الابطال والصناديد منهم قيس المكشوح المرادي ومعدي كرب فارس الخيل وخائض الليل فتحصن بنو عامر منه في الجبال ورفعوا اليها المواشي والجمال وجمعوا النسا والامتعة والموادج في رمال يقال لها رمال عالج وكان هذا من تدبير ملاعب الاسنة غشم بن مالك لانه وقع في قلبه من خالد هيبة عظيمة لما جرحه في النوبة الاولى وجرى بينهما ما جرى هنالك فصار يترك عليه العيون والارصاد وينفذ الجواسيس الى دياره ويتوقع استماع اخباره ويتحذر منه في ليله ونهاره ولما طرق خالد في هذه النوبه ديارهم وراهم على انفسهم محترزين خشي ان يرمي نفسه بينهم فينخذل ولا يكون من الظافرين فعند ذلك استشار بني عمـه فقال لهُ بعض مشايخهم يا خالد ان اردت ان لا تقضي ايامك بالباطل ولا تعود بالحرمان فاطلب ديار بني عبس وعدنان وقد اغنيت رجالك من النوق والجمال والامتعة والاموال لانهم اكثر العرب مالاً واحسنهم حالاً قال فلما سمع خالد من ذلك الشيخ هذا الخطاب راه عين الصواب فرحل من ساعته وسار طالباً ديـار بني عبس حتى وصل الى ذات الخرجين وهو المكان الذي نزل فيه الربيع بن زياد وعروة بن الورد ومالك بن قراد ومن تبعهم من اهل الحي الذين كانوا معهم في الالفة والوداد وكان اشرفهُ عليهم نصف النهار فراى خالد تلك المضارب والخيول والجنايب فتعجب من ذلك غاية العجب وقال لمعدي كرب يا ابن العم وحق ذمـة العرب وحرمة شهر رجب اني طرقت هذه الارض مراراً وما رايت بها دياراً وقد اشتهيت ان اعلم من نزل فيها من العربان واتخذها لهُ داراً فبينما هم كذلك اذا خيل بني عبس قد ركبت واطبقت من كل مكان وهي تنادي يالعبس يالعدنان وفي اوايلهم الربيع بن زياذ واخوته ومالك

بن قراد وعشيرته وعروة بن الورد وجماعته وكانوا جميعهم سبعمائه فارس من الابطال الاشاوس وانبسطوا في الصحرء ونادوا ذلك النداء فلما سمع خالد ذلك النداء مال بجيشه اليهم وكرَّ بصولته عليهم وهو ينادي يا اولاد اللئام انتم القصد والمرام فهذا اليوم عليكم اخر الايام ثم انه بادرهم بالقتال ودارت بهم من اليمين والشمال وسالت عليهم الرجال مثل العارض المطال وعملت الصوارم الصقال في المناكب والاوصال ونفذت من الصدور الرماح الطوال وصال خالد عليهم واستطال وقاتل الربيع بن زياد اشد قتال لانه كان من الفرسان الذين تضرب بهم الامثال وكذلك عروة ومن معه من الابطال وبذلوا ارواحهم للاسنة العوال وايسوا من العودة الى الاطلال فما امسي المساء وغابت الشمس حتى هلك نحو ثلثمائة نفس من اصحاب الربيع و باقي بنى عبس واخذوا الباقين اسارى في القيود والاغلال وسبيت النساء والبنات والاطفال وعلا منهم البكا وكثر الانين والاشتكا وكان العويل والتعداد عند عبلة بنت مالك بن قراد لانها ندمت على فعلها وعلمت ان اباها اراد قتل عنترة لاجلها وبان لها ان اباها كان يحتال حتى القاها الى الهلاك والوبال والقى عنترة في المخاطر والاهوال . قال الراوي وكانت عبلة من حين نزلوا في ذلك المكان ما تناولت طعام ولا تهنأت بمنام لانها سمعت ان اباها يريد ان يزفها على عمارة بن زياد عن قريب فصارت تندب الليل والنهار وتقضي ايامها بالبكا والنحيب هذا وخالد قد راى عبلة وهي اعظم النساء حسرة واشدهن بكاء وزفرة فسالها عن حالها فنادت باسم عنترة وهي تتلهف عليه وتتحسر فقال خالد من تكون هذه الجارية ومن هو ابن عمها عنترة الذي هي باسمه داعية فعند ذلك اطلعوه على جليه الخبر وقصوا عليه قصة مسير عنترة وقالوا انه ذهب لياتي بالجيداء خادمة لعبلة ليلة زفافها عليه وقايدة بزمام ناقتها اليه ومن اجلها وقعنا في هذه البلية واصابنا هذا العنا لان الملك زهير غضب على ابيها فطرده ونحن خرجنا معه ونزلنا هاهنا وسار الملك زهير واولاده في بني عبس اليه خوفاً منك ان تسطو عليه لانهم يعلمون شده باسك وكثرة اناسك . قال فلما سمع خالد هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقال ياويلكم وزهير الساعة في ديارنا ونحن قد ابعدنا عن اقطارنا قال الربيع نعم قد مضى ليكشف عن عبده عنترة والقى نفسه واولاده لاجله في الخطر قال خالد ومن في دياركم من الرجال لاجل حماية العيال قال له هناك ورقاء بن زهير في الف فارس قد اقام بهم هناك كحارس فعند ذلك اشتعلت في خالد نار الغيظ والغضب وقال وحق

ذمة العرب ان هذا الحديث ينبغي ان يكتب بماء الذهب وما قدّره الله الا ليكون لقلع بني عبس اعظم سبب ثم انهُ استدعى معدي كرب فارس بني زبيد وضم اليهِ الف فارسٍ صناديد وقال له يا ابن العم اقصد ديار بني عبس واقتل فرسانها واجنادها واستاسر حريمها واولادها ولا تترك في احيائهم من المضارب الا اوتادها حتى اسيرانا الى زهير بن جذيمة واجعله مع اصحابه لوحش البر وليمة · قال الراوي فعند ذلك سار معدي كرب طالبا ديار بني عبس وعدنان وسار خالد طالباً للملك زهير ومن معه من الفرسان · قال وما زال خالد يجد السير في الليل والنهار ولا ياخذه قرار ولا هدو ولا اصطبار وكلما تذكر قول مالك بن قراد لعنترة بن شداد انه لا يزف ابنته على عبده الطنجير الا والجيداء قايدة بزمام البعير يضرب به بالسوط على راسه واكتافه وينثني على ولده عمرو لانه من احلافه وعمارة يرى ذلك المصاب ويحسب لنفسه الف حساب وكان الربيع قد انجرح ثلاثة جروح مشبعة لانه قاتل قتالاً عظيماً في تلك المعمعة وكذلك عروة بن الورد كان مجروحاً ودمه قد خضب سرج الجواد وحلف انهُ ان سلم لا يصاحب بني زياد · قال وكان عروة كلما سمع مالك بن قراد يصيح من ألم الضرب يقول لهُ تستاهل هذه الشدائد هذا جزاء من يزوج ابنته كل يوم بواحد لا فرج الله عنك واراح الدنيا منك فانك قد صرت سبباً لخراب بني عبس وعسى خالد ان يقطع راسك قبل طلوع الشمس وكان خالد بن محارب كلما تذكر كلام مالك وسوء فعله يشتد غضبه فيضرب به على راسهِ تارة بالعصا وتارةً بنعله واذا ترجل يلطمه بيده ويرفسهُ برجله حتى رضّ المفاصل منه والضلوع وتلبدت لحيته مما سال عليها من الدموع هذا ومالك يلتفت الى عبلة ويقول لها ياخناه هذا كله قد اصابنا لاجلك وقد جلبت العذاب على ابيكِ واهلكِ فقالت بل انت جلبت العذاب علينا وعليك بغدرك وخبثك ومكرك وخروجك عن سجايا الانسانية حتى كانك من وحوش البرية وكيف تعاند من لا تساوي حصاة تحت رجله ولا قطبة في نعله وله صيت يفلق الحجر عند كسرى وقيصر ولو التقاك انت وجميع بني زياد بالعصا لكان يفتتكم بعصاه كالحمي وياخذني رغماً عن انوفكم ولا يخاف من رماحكم وسيوفكم ولكن عزة نفسه تمنعه من ذلك فكان يلقي نفسه في المهالك هذا ولما اشتفى قلب خالد من مالك سار طالباً ديار قومه يقطع البيداء وجد في المسير وقلبه على الجيداء وكانت الاسارى والسبايا تساق بين يديه كقطعان الجمال فجاش الشعر في خاطره وقال

اذا ما النقع ثـار على الجبالِ　　واجفلتِ الكماة عن القتالِ
ابدتْ مراتها في كل قفرٍ　　وخلفتُ النواح على العيالِ
جلبتُ الخيل شعثاً ثم غبراً　　ثقالاً بالحديد وبالرجالِ
عليهـا كلُّ جبارٍ عنيدٍ　　شديد البأس مفتولُ السبالِ
فولوا عند اقبالي وفروا　　فرارَ الوحش من اسد الدحالِ

قال الراوي وكانت عبلة اكثر السبايا حسرةً واعظمهنَّ بكاءً وزفرة وهي تنادي واحسرتاه وا ابن عماه لا ابعد الله دارك ولا غيب عنا اثارك فصاح فيها خالد وقال ويلكِ ومن هو ابن عمكِ الذي باسمهِ تنادي وقـد صدعت بصياحك فوادي فلا كنت ولا كان ذلك العبد الطنجير الذي مشفرهُ كمشفر البعير وانا اسال الله ان يجمعني بهذا العبد الطنان حتى اضربهُ ضربةً اطير راسه الى ديار بني عبس وعدنان واجعلكِ خادمةً لابنة عمي الجيداء تسقينها الحليب في الصباح وتقدمين لها الطعام في المساء قالت عبلة سوف ترى من تخدم الاخرى اذا بقيت حياً بعد ان تلتقي بعنترة وسلمت من ضربت سيفه الابتر قال فعند ذلك اعرض عنها ولم يلتفت اليها وسار وهو يضحك عليها وما زال سائرًا حتى اشرف على جماعة الملك زهير وعنترة فعند ذلك ارسل الملك زهير فارساً من قومه يكشف لهم الخبر فاطلق ذاك الفارس العنان في ذلك البر الاقفر ولما راى خالد انفراد ذلك الفارس قال اني عمه يابني عمي ها قد انفذ الملك زهير يطلب منا الامان ويسالنا في اطلاق النساء والصبيان وانا وحق ذمة العرب الكرام ما اجيبه الى ما يريد ولا بد لي ان افني هذه القبيلة بآن غير بعيد ومن اسرته منهم تركته مع جملة العبيد الا ان يكون عنترة عبد شداد فاني اصلبه على رؤوس الاشهاد غير اني اخاف ان يهرب من امامي فلا ابلغ منه مرامي ولكن انتم لا تزالوا تراقبونه اذا هرب حتى تسدوا عليه كل مذهب ولا تقتلوه فاني اريد ان اعذبه اشد العذاب ثم اصلبه على الاخشاب واطرح لحمه للكلاب ليكون عبرة للناس الى يوم الدكة والحساب ثم قال لبعض فرسانه يابني عمي يتقدم منكم فارسٌ الى هذا العبسي ويسمع ما يقول وان كان هو من الحي الينا رسول فاسالوه عن الجيداء ان كان عندهم عنها خبر لاني علمت انهم ما وصلوا الى الاموال والنعم الا والجيداء قد اصابها الضرر . قال ولما انتهى خالد من كلامه وثب واحد من فرسانه كحجر المنجنيق حتى التقى بذاك العبسي في نصف الطريق وقال لهُ ما بالك ايها الجاني على نفسك والساعي الى حلول رمسك قل ما بدا لك قبل ان اقطع

اوصالك فقال العبسي يا وجه بني زبيد ما الحاجة الى هذا التهديد والوعد والوعيد فانا ما اتيتكم الا مستخبراً ومبشراً ومحذراً ومنذرًا فقال له الزبيدي بماذا تبشرنا وتحذرنا قال العبسي اما بشارتي لكم فاننا غزونا دياركم وسبينا نساءكم وعيالكم واخذنا نوقكم وجمالكم واغتنمنا ذخائركم واموالكم واما تحذيري لكم فمن سيوف لا تنبو وخيول لا تكبو ورجال لا يهابون الموت الاحمر منهم سلطان الفوارس عنترة الذي يقد سيفه سد الاسكندر واما استخباري الذي انا من اجله انا حاضر فعن هذا السبي من اين وصل اليكم وانتم كنتم في بني عامر فقال الزبيدي وصل الينا من توفيق الكريم الواهب وسعادة سيدنا خالد بن محارب ثم ان الزبيدي حدث العبسي كيف انهم ساروا الى بني عامر وكيف تحصنوا منهم في الجبال والكثبان وكيف ساروا طالبين بني عبس وغطفان وكيف وقعوا بالربيع بن زياد واخوته ومالك بن قراد وابنته وعروة بن الورد وجماعته ومن قتلوا ومن اسروا من الفرسان وكيف سار معدي كرب في الف فارس الى ديار بني عبس وعدنان ثم قال وبعد هذا اسالك هل عندك من الجيداء خبر وهل وقفت لها على اثر قال له العبسي هي اسيرة معنا تقاسي الذل والعنا وجراحها تذرف بالدما قال الزبيدي ومن اسرها من الناس وهي تقارب ابن عمها في شدة الباس قال العبسي امرها حية بطن الواد عنترة بن شداد الذي يقطع سيفه ارمَ ذات العماد وتزلزل زعقاته السبع الشداد وكانت قدامه كالارنب قدام سبع الغاب ولو اراد قتلها كان اهون عليه من جرعة كاس الشراب ولكنه قصد ان يامرها لغاية في نفسه ستعلمونها عند مباشرة عرسه وهو قد طرق دياركم وحده والجيداء كانت مراده وقصده ولما علمنا بمسيره لحقناه واسرعنا في المسير حتى ادركناه وبسيفه نهبنا اموالكم وخربنا دياركم وسبينا حريمكم وقلعنا اثاركم وتركنا ارضكم خاوية تحوم فيها الذئاب الضارية واخذنا الجيداء بنت زاهر وسابقة بنت عبد اللات وكلثوم بنت عمير وخرجنا تحت ظل سيف الامير عنترة وراية الملك زهير فلما سمع الفارس الزبيدي ذلك المقال من الفارس العبسي وقعت عليه الجمدة والخبال ثم رجع كلٌ منهم في طريقه واخبر اصحابه بما سمع من رفيقه وكان السابق منهما العبسي فرفع صوته بالبكاء والانتحاب وحثا على راسه التراب

قال الراوي فلما سمع بنو عبس هذا الخبر ركبتهم الاهوال واخذوا في البكاء والاعوال وكان اشدهم لوعة عنتر لما اصاب عبله من الامر المنكر الا انه فرح بما جرى على ابيها وعلى عمارة واخيها هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من بني زبيد فان فارسهم وصل اليهم وهو

يلطم راسه وقد مزّق لباسه واخبرهم بما سمع من الامر الشنيع وما اصاب حيهم من الامر الفظيع فضجوا في البكاء والعويل وندموا على ذلك الرحيل واما خالد فانه هدر وزمجر ونهم وبربر وطار من عينيه الشرر وصاح صيحة تصدع الحجر والتفت الى بني زبيد وقال يابني عمي اريد اليوم ان افرغ من هولاء اللئام ولا ابقي منهم على شيخ ولا غلام فمن وقع منكم بعبسي لا يلبث ان يقتله ومن نهب منكم شيئاً من اموالهم فهو له قال فعندها تقدم اليه رجل من مشايخ بني زبيد وقال يا خالد الصواب انك تنفذ الى زهير رسولاً ان يرد السبايا والاموال وينصرف بلا حرب ولا قتال فلئن اجابك الى ما تقول نسامحه بما فات لانه ما سبى احدا من الحرائر العربيات وان ابى علينا فالقتال قدامنا وبين يدينا قال فاستحسن خالد رايه ودعا بشيخ عاقل من مشايخ بني زبيد اسمه خالد ويلقب بطارد الوحش لانه كان صاحب باس شديد وقال له يا خالد اذهب الى الملك زهير وقل له ان خالد بن محارب يسلم عليك ويقول لك انكم ظلمتم وما انصفتم وجرتم واسرفتم وقتلتم وما ابقيتم ونهبتم وما خليتم وسبيتم وما استحيتم والان قد تعادلنا ورضينا ان نتساوى في الميزان وتكونوا عوناً لنا ونكون عوناً لكم على نوائب الزمان ولكن على شرط ان تخلوا ما في ايديكم من السبي والمال ونحن نطلق اموالكم ومن لكم في الاعتقال وكل فريق منا يعود الى دياره والسلام ونكتفي شر النزاع والخصام وانظر يا خالد ما يبدى زهير من الكلام واسرع في العودة لانني من امري على عجل ولاجل ابنة عمي الجيداء على وجل . قال فعندها ركب خالد جواده وجد السير حتى وصل الى الملك زهير فحياه وسلم واطلق لسانه برسالته وتكلم فعندها قال زهير يا بني عمي اسمعوا واشيروا بالصواب فسكت القوم ولم يكن عند احد منهم جواب فعندها تقدم فارس بني عبس الادهم وبطلها المعلم عنترة بن شداد نادرة الزمان الذي جمع بين السيف واللسان وقال للرسول عد الى صاحبك وقل له اننا قد اجبناه الى مراده كرماً منا لا خوفاً من عساكره واجناده ولكن على شرط اني لا اطلق الجيداء حتى ادخل على بنت عمي عبلة ونقود بزمام ناقتها ليلة زفافها وبعد ذلك انفذها اليه عزيزة مكرمة مصحوبة ببعض سادات العشيرة واشرافها وان ابى فدونه الميدان حتى اصحبه معها اسيراً الى ديار بني غطفان او اتركه طعاماً للنسور والعقبان ثم انشد يقول

الا كن مبلغاً اهل الجحود مقال فتىً وفيٍّ بالعهودِ

انا البطل الذي ترتجّ مني لدى الهيجاء اكباد الاسودِ

ساخرج للبراز خليّ بالٍ بقلب قدّ من زبرَ الحديدِ
واطعن بالقنا حتى يراني عدوي كالشرارة من بعيدِ
اذا ما الحرب دارت في رحاها وطاب الموت للرجلِ الشديدِ
ترى بيضاً تشعشع في لظاها موصلةً باعضاد الزنودِ
لاقتحمنها ومعي رجالٌ كان قلوبهم حجر الصعيدِ
بخيلٍ عوّدت خوض المنايا تشيب مفرق الطفل الوليدِ
ومملكةٍ عليها تاج عزٍ وقومٍ من بني عبس شهودِ
يعادل مجدهم فلك الثريا ويحرق فعلهم قلب الحسودِ

قال الراوي فعاد الرسول الى خالد بن محارب وابلغه ذلك الجواب فغاب عن الصواب لما سمع عن الجيداء الذي لم يكن له في حساب وعند ذلك نادى في بني زبيد بالحملة فحملت الفرسان وتناخت الشجعان وركب خالد جواده وهو يرغي ويزبد ويبرق ويرعد وقد تغيرت احواله وقد ركب جواده وركب بنو زبيد لركوبه وقد تقلدوا بالصوارم الرقاق واعتقلوا الرماح الدقاق وهدروا كالسباع وزلزل صياحهم البقاع حينئذٍ التقتهم بنو عبس كاسود الغاب بقلوب لا تخاف ولا تهاب وفي مقدمتهم عنتر كانه مارد من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان ومنظره يرعب الابدان ويجعل قلب الشجاع اضعف من قلب الجبان ثم بعد ذلك انطبق الجيش على الجيش واخذ الجميع الدهش والطيش فعندها التفت شاس الى عنتر وقد ارتاع مما رأى وتحيز وقال يا ابا الفوارس ما هذا الا يوم شديد تلين من هوله الجلاميد قال له يا مولاي ان الاعمار لا تنقص ولا تزيد وانا لمثل هذا اليوم كنت اشتهي واريد فان يوم الحرب عندي ابهج من يوم النيروز وهجيره ابرد من ايام برد العجوز وان كان القوم قد اخذوا اموالنا فانها وديعة استردها منهم وانتزعها من ايديهم رغماً عنهم ولو اجتمعت اليهم مشارف بني قحطان وكتائب الملك النعمان ثم اشار الى الملك شاس يقول

اذا قنع الفتى بذميم عيشٍ وكان وراء سجف كالبناتِ
ولم يهجم على اسدِ المنايا ولم يطعن صدور الصافناتِ
ولم يقرِ الضيوف اذا اتوه ولا يروي السيوفَ من الكماةِ
ولم يكسب بضربِ السيف مجداً ولم يك صابراً في النائباتِ
فقل للناعيات اذا بكته الا فاقصرنَ ندب النادباتِ

ولا تندبن الا ليث غاب ... شجاعاً في الحروب الثائرات
دعوني في الحروب امت عزيزاً ... فموتُ العز خير من حياتي
لعمري ما الفخار بكسب مال ... ولا يدعى الغني من السراة
سنذكرني المعامع كل وقت ... على طول الحياة الى الممات
فذاك الذكر يبقى ليس يفنى ... مدى الايام في ماضٍ وآتي
واني اليوم احمي عرض قومي ... وانصرُ آل عبس على البغاة
واخذ مالنا منهم بحرب ... تخرُّ لها متون الراسيات
واترك كل نائحةٍ تنادي ... عليهم بالتفرق والشتات

قال الراوي فلما سمع شاس هذه الابيات قال له لله درك يافارس الفرسان واشعر بني قحطان وعدنان لحقاً لقد فقت على ابناء هذا الزمان بالشجاعة كما فقت على عليهم بالفصاحة والبراعة هذا والقبيلتان تموجان كانهما البحر العجاج اذا تلاطم بالامواج ونظر خالد بن محارب الى بني عبس فراهم كالاسود الكواسر وخيولهم كالنسور الطوائر واسنة رماحهم كالنجوم الزواهر وقد غاصوا في الحلق حتى ما يبان منهم غير الحدق فعند ذلك زعق في بني زبيد وقال دونكم يا بني عمي القتال وعليكم بالصبر على الاهوال وكل من وقع في يده عبسي يقتله ولا يصبر عليه ولا يمهله والذي يأتي براس عبدهم الاسود اعطيه ما يغنيه الى ولد الولد فاني لا اريد ان اضيع مقام نفسي بمبارزتي للعبيد واظن ان لا يجسر ان يبارزني خوفاً من بأسي الشديد ثم امر فرسانه بالحملة بعد ما حمل وكذلك امر عنتر وفعل فانتشب بين الفريقين القتال ودارت رحى المنايا والاهوال وفي دون ساعة صار النهار ضباباً والقتام حجاباً واختلطت المواكب اختلاط البحر اذا كان عباباً ووقعت السيوف خطاء وصواباً وامطرت السماء على القوم عذاباً وانشبت الاسنة في الارواح مخلباً وناباً وصارت الدماء لبيض اللحى خضاباً وشابت الرجال من الاهوال بعدما كانت شباباً وسقاهم القضاء من المنية شراباً وخرست السن الفصحاء فلم ترد جواباً وقال الجبان ياليتني كنت تراباً وما امسى المساء حتى اهلك عنتر جانباً من ابطال بني زبيد وبني مراد ومددهم على الوهاد وكان القتال من ناحية السبايا لان عنتر طلب خلاص عبلة فلم يمكنه الوصول لما بينه وبينها من الرجال والخيول واما خالد بن محارب فانه ادهش بقتاله النواظر وحير الخواطر وكان طلبه الجيداء بنت زاهر لانه كان يقول في نفسه انه اذا حمل لا يثبت بين يديه العساكر وكان يظن ان اهل الارض في قبضته وان الجبال تهتز من هيبته ولما وقع ذلك اليوم في بني عبس

راى منهم ما كان يعهده وما كان يقتل فارساً منهم الا يتعب معه و يرى منه ما يروعه
و يجهده وعند المساء وقع في موكب الملك زهير فاهلك منهم جماعة في اقل من ساعة
وانجرح شاس واخوه مالك من اولاده وخاض السيف في بحور ابطاله واجناده ولما نظر
الملك زهير الى فعاله حمل عليه وقاتله حتى تصرم النهار والبست الشمس حلة الاصفرار
ثم عادت الجيوش عن القتال وقد جرى الدماء من الطائفتين عن اليمين والشمال فلما
استقرت الناس في الخيام وشرعوا في اكل الطعام حدث الملك زهير عنتر بحديث خالد
بن محارب وما جرى له هنالك وكيف انجرح شاس واخوه مالك فقال عنتر لما سمع
حقاً يا مولاي ما اشغلني عنه الا طلبي خلاص عبلة ولولا ذلك ما غفلت عنه هذه الغفلة
وكنت قتلته شر قتلة ولكن غداً اكون اول من يخرج الى القتال وادعوه الى النزال
واجعله معه يوم الانفصال فان قتلته او اسرته بلغنا الامال واما قومه فقد زال من
رؤوسهم الطمع ودخل فى قلوبهم الخوف والجزع فانهم راوا من حربنا ما لم يخطر لهم
ببال لانهم كانوا يظنون اننا لا نثبت بين ايديهم ساعة واحدة في المجال . فقال زهير
والله يا حامية عبس انني غير خائف من هولاء المحاربين لانني اعلم اننا نكون نحن
الظافرين ولكنني خائف من معدي كرب الزبيدي الذي ذهب الى الاوطان وما فى
الحلل غير ولدي ورقا في نفر قليل من الفرسان واخاف ان ينتصر عليهم و يسبي الحريم
والصبيان وان لم نصبح عند الصباح بالقتال خسرنا غاية الخسران قال ثم انهم اخذوا
فى الراحة من الكفاح واقاموا ينتظرون الصباح وكان جواد عنتر قد امسى تعبان فتركه
يستريح وركب بعض الخيل وخرج يطلب الحرس فى ظلام الليل واخوه شيبوب فى
ركابه وهو يتلهف كيف لم يظفر بخالد بن محارب ولا يخلص عبلة من انياب النوائب
وشق عليه كلام الملك زهير وخوفه على اهله واولاده واتباعه واجناده فتضجر عنتر من
انزعاج الملك وهو شاكر لفضله لانه يعلم ان ذلك كله جرى من اجله فقال لشيبوب يا
اخي انا اسير وحدي لقضاء الحاجات وارمي نفسي فى البلايا والافات حتى لا يكون
لاحد عليَّ منة ولا جميل وفى الاخر لا اخلو من هذا الحمل الثقيل وانا قد فعلت اليوم
هذه الفعال ولكن ما بلغت الامال ولا خلصت عبلة من الاعتقال لانها فى غاية
الاذلال مما تحمل قلبها من الاثقال فقال شيبوب وذمة العرب لقد صدقت يا اخي
وانا اليوم رأيتها فما كدت اعرفها من الضعف والهزال وهي تنادي باسمك وتلتفت الى اليمين
والشمال قال عنترة واين رايتها يا اخي قال رأيتها بين السبايا لانني لما رايت القتال قد

انصل وكل واحد بنفسه قد اشتغل اوسعت في عرض البر من بعيد وسرت في عراض جيش بني زبيد ودخلت بينهم في زي العبيد فرايت الربيع واخوته ومالك وولده وعروة بن الورد مشدودين عَلَى خيولهم بالعرض وهم ينظرون الى جوانب الارض عسى ان ياتيهم من يخلصهم من تلك الوثاقات والنسوان من حولهم نادبات باكيات وعبلة بينهنَّ تنثر من جفونها سواكب العبرات وهي تنادي يا قوم اما فيكم من يقص عَلَى ابن عمي قصتي لعله يخلصني من السبي و يذهب عني غصتي ورايت حولهم يا اخي مائة فارس كانهم الابالس يردونهم في البر كلما شردوا مثل رد الغنم وانا يا ابن الام لما رايت ذلك زاد بقلبي الالم وما زلت من حولهم ارمي بالنبال حتى انفصل القتال وعدت وقد قتلت خمسة رجال عدا ما جرحت من الخيل والابطال وكانوا كلما طلبوني بالخيول اوسعت في البر بالعرض والطول وكلما عادوا الى القتال عدت اليهم مثل الغزال واما قولك يا اخي عن مسيرك وحدك فان القوم والله قد نفعونا عَلَى كل حال وماذا تظن يا اخي هل تقدر ان تلقى اليمن بما فيها من الرجال وكيف تصنع بهذه المواكب والكتائب اذا انصبت عليك من كل جانب فاحسب حساب العاقل اللبيب ودبر التدبير الراشد المصيب قال فلما سمع عنترة ذلك المقال من شيبوب هطلت الدموع من عينيه وهانت المنية عليه ولما اصبح الصباح ثارت الطائفتين للحرب والكفاح وصفت بنو عبس صفوفها ورتبت الوفها وجردت سيوفها وانتظر الملك زهير عنترة فما سمع لهُ بخبر ولا وقف له على اثر فعند ذلك قلق الملك زهير وانذعر وشاع الخبر في بني عبس فانهد عزمهم وانكسر وقالوا في انفسهم اليوم يفتك فينا خالد بن محارب وتخطفنا الاسنة من كل جانب وعول الملك زهير ان ينفذ فارساً الى بني زبيد و يسالهم عن عنترة عسى ان يكون له عندهم خبر فبينما القوم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف عن الف فارس كالاسود العوابس يتقدمهم فارس عظيم الهيكل كانه القضاء المنزل فتبينوه واذا هو معدي كرب الزبيدي في سبايا بني عبس وهم على اشد ما يكون من رداءة الحال وضيق النفس لأنَّا قد ذكرنا انه انفذه خالد بن محارب لاجل هذا السبب في الف فارس منتخب فلما وصل الى حي بني عبس لم يجد غير ورقاء ابن الملك زهير في نفر قليل فانقض عليهم واخذ الاموال واستاق النوق والجمال فلما وقع الصياح في الحلة ركب اليهم ورقاء بمن عنده من فرسان بني عبس الاشاوس فارتد اليهم معدي كرب فقتل من الفرسان مائة فارس وانهزم الباقون وقد اسر منهم من اسرُ وساق ما تيسر من الخيل

والمهار ومن وقع في يده من البنات الابكار وعاد يقطع البر عدواً حتى اشرف عَلَى القوم وهم على تلك الحال وكان الفريقان قد عزما على الحرب والقتال وقد ابصر الملك زهير الى ذلك فضاقت في وجهه المسالك وقال هذا والله ما كنت اتوقعه واخشاه واما الآن فليس لنا الا الضرب بشفار الصفاح والطعن باسنة الرماح ومال معدي كرب الى بني زبيد ففرحوا باقباله وسالوه عن حاله فحدثهم بما جرى له وسالهم عن خالد ابن محارب فقالوا له انه من نصف الليل غائب فقال لهم يا بني عمي اذا كان خالد غائباً فانا اكون في غيابه نائباً وانا ما قلت الا اني الحقكم بالمنازل والابيات وقد قضيتم ما في انفسكم من الحاجات ثم انه بعد ذلك المقال حمل الى الحرب والقتال واشتبك القوم بين طعان وضراب وثار الغبار حتى اعد كالسحاب وطاب كاس الموت للشجاع الابي فثبت في الهيجاء وصبر ومرّ للجبان السافط فولى وادبر وما ارتفع النهار حتى تفرقت ميامس بني عبس وعمل فيهم الحسام الفاصل وبقي الملك زهير في الميمنة يدافع عن نفسه ويقاتل وحوله بنوه وجماعة من فرسان القبائل وبان لهم من الموت علائم ودلائل فانخلعت قلوبهم من شدة ذلك الهول وايقنوا بحلول العول وذهبوا في تلك القفار هذا والملك زهير ينادي فيهم ولكن كانه ينفخ فى رماد قال الراوى وقد حلت فيهم المهالك وضاقت عليهم المسالك ودارت بهم المواكب وعمل السيف فيهم من كل جانب وضاقت في وجوههم المذاهب وفي ذلك اليوم عزم الملك زهير ان يترجل و يقاتل عن نفسه الى ان يقتل . قال الراوي وما زال الملك زهير يقاتل الى ان استغلقت في وجهه ابواب الحيل وظن انه قد انقلب عليه السهل والجبل فبينما هو يحدث نفسه بالنزول كما قدمنا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف من خلف الاعداء عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان كانهم العقبان عَلَى خيول اخف من الغزلان وموكب كبير اوفى من الف وخمسمائة فارس ابطال اشاوس كالاسود القناعس وهم ينادون بفرد لسان يا لعبس يا لعدنان يتقدمهم فارس بالحديد غاطس كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل او سخط الله اذا انحدر ونزل وامام الخيل رجل قد انقض انقضاض العقبان وارتفع فوقه الغبار الى العنان وفي يده رمح طويل قد علق رأساً بسنانه وهو ينادي في ذلك البر بملء لسانه و يصرخ من قلب قد احرقه اللهب واستطاره الطرب يا ويلكم يا بني زبيد قد جاءكم البلاء من كل جانب فاقطعوا امالكم الكواذب واطلبوا اقرب الطرقات والمذاهب فان اسعدكم الهارب وهذا راس سيدكم خالد بن

محارب . ثم انه رفع بيده رمحاً طويلاً عالي السنان وعليه راس كانه راس ثعبان ورمى به امام اولئك الفرسان فتبينوا ذلك الفارس واذاهو الصل الاغبر والحسام الابتر البطل المرهوب الامير شيبوب وذلك البطل القسور هو ابوالفوارس الامير عنتر وانقضوا عَلَى بني زبيد فاذاقوهم البلاء الشديد وعملوا فيهم بالعضب والسنان واشتد الضرب والطعان وادارو عليهم نوبة النحوس وجرعوهم امر الكؤوس وطلع بعد ذلك موكب من النساء والغلمان والاماء وقد اقبلوا على النجب والمهاري وضجت باصواتهم تلك البراري هذا وعنتر يطعن في الاعداء ويضرب وينثر الفرسان عن ظهور الخيل فتنقلب وقد عاشت ارواح بني عبس بعد الممات ونادى الملك زهير يا بني عمي في مثل هذه الاوقات يكون الصبر والثبات فدونكم الخيل والرجال ولا ترهبكم كثرة الابطال وابشروا بالنصر بعد الانخذال هذا حاميكم عنتر ابو الشدائد والاهوال الذي يقد بعزمه الجبال . قال الاصمعي واما خبر قتل خالد بن محارب فان عنتر لما تولى حرس العسكر كما ذكرنا وجرى بينه وبين اخيه شيبوب ما جرى من العتاب كما اخبرنا وما كان من حديث عبلة وما يتعلق به حسبما قررنا وسمع عنتر ان عبلة تنادي باسمه في ليلها و نهارها ولا تزال تذكره في اشعارها حتى غاب رشده وقال له ويلك اوسع في البر الاقفر واقصد مكان السبايا لعلنا انقدر على خلاصهم قبل السحر واعلم انه حيثما وقع بصري على عبلة او سمعت لها خبراً في مكان فلا بد لي ان اخلصها ولو كان حولها عشائر الانس وطوائف الجان فقال شيبوب سمعاً وطاعة ثم سار بين يدي اخيه عنتر واوغلا في ذلك البر الاقفر حتى انقطع عنهما الصوت في تلك البيد وطلب شيبوب مكان بني زبيد قال الراوي وقد ذكرنا ما جرى على قلب خالد بن محارب لما سمع بحديث الجيداء ابنة زاهر وما كان من الاحوال وكينا اخبرنا انه عند اقبال الليل تولى حرس بني زبيد ولم يأخذ معه غير دامس السلال وكان هذا دامس من اعز الناس عليه واحبهم اليه لانه كان منفرداً في الدهاء والمكر واساليب الحيل والغدر اذا استعمل الخباثة والختل اخذ الفارس البطل واذا عمد الى الكحل استله من بين اهداب المقل وكان يومئذ قد غير زيه وسار الى احياء عبس فاختلط برجالها وتحدث مع الجيداء فشكت اليه ما تجده من العذاب واخبرته عن حقيقة حالها وارته جراحها وهي تنزف بالدماء فشق عليه ذلك واراد ان يدبر حيلة في خلاصها بما عنده من الاحتيال والدهاء فلم يمكنه ذلك نهاراً ولا استطاع في الليل استتاراً فعاد وفي قلبه التهاب واشتعال وصبر حتى انفصل القتال وعاد خالد من المجال فاخبره

دامس بما كان وقال له يا مولاي انا اقدر ان اخلصها في هذه الليلة اذا كنت انت معي ترعاني وترد عني شر من يغشاني فخرج معه خالد وقد سرّ بذلك يعلم من جراءة دامس وجسارته ولما يعتقد بما في نفسه من قوته وشجاعته وقد وثق بقضاء حاجته وكان حديث الجيداء قد قطع قلبه وسلب لبه فلما وصلا الى البر اوغلا في المسير تحت ذيل الليل العاقد وجدا في قطع تلك السباسب والفدافد وخالد يقول لعبده ويلك يا دامس ما كنت احب الان اظفر هذه الليلة بعنترة ابن شداد واريه طرق الحرب والجلاد واشرب دمه مثلما اشرب الماء لاجل ما فعل بينت عمي الجيداء . قال وما اتم خالد هذا المقال الا وشبح قد ظهر عليه كانه بعض الجبال فمال اليه وقال لمن انت من انذال العرب والى اين انت سار تحت هذا الغيهب فلما سمع دامس السلال هذا الكلام هرول الى خالد وقال له يا مولاي ها قد قضي الله مأربك وساق اليك عن كثب مطلبك فهو ذا عنتر فدونك اياه في الحال و بادره بحد الفيصل الفصال فعند ذلك صاح خالد بعنترة اليك يا ولد الزنا ونتيجة الخنا قد كنت سائرًا لاقطع راسك واخمد انفاسك فاوقعك الله في يدي وهذا هو غاية قصدي ثم انه انحط عليه انحطاط الليالي والايام فتلقاه عنترة بضرب كانه رسل الحمام فترك شيبوب اخاه عنترة وخالد يتحاربان ومال على دامس السلال واشتغل كل واحد بصاحبه واقبل يخادعه و يحاربه وقد انبهر خالد من عنتر كما انبهر دامس من شيبوب وكان شيبوب مع دامس اذا تقاربا تضاربا بالخناجر واذا تباعدا تراشقا بالسهام على الحس والكلام هذا وعنتر مع خالد في عراك وصدام وطعن يسبق رسل الحمام وقتال تتعوذ منه الجن في براريها وتبهت له الكواكب في مساريها وقد صار بينهما كرٌّ وفر وملال وصبر وهمهمة كهمهمة الاسود ودمدمة كدمدمة الرعد وكانت ليلة سوداء مظلمة مدلهمة مقتمة ولم يزالا بين قتال وكفاح حتى انبجس نور الصباح وقد تقصفت في ايديهما قطع الرماح فعمدا الى البيض الصفاح وابصر خالد من عنترة ما اذهله من شدة الباس وقوة العزيمة في القتال وشهد انه ابو الفوارس وسيد الابطال وكذلك دامس وشيبوب اصبحا وقد ملاً من المصادمة وكلاً من المقاتلة والمهاجمة وتعبا من الجري في تلك الفلوات وعطبت ارجلهما من الوثبات وتقرحت اقدامهما من صدم الحجارة عند العثرات وفرغت كنانتهما من النبال فعمدا الى الخناجر في القتال واستمرا بين انفصال والتحام واشتباك واصطدام و بينما هم على ذلك واذا بصيحة من نحو عنترة وخالد ضجت لها تلك الفدافد وقائل يقول يا لعبس لا شقيت انا حبيب عبلة ما

بقيت وكان الصايغ عنترة الاسد القسور لانه راى من خصمه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فعند ذلك هجم عليه هجمة الاسد اذا اذعر وضربه ضربة لا تبقى ولا تذر اطار راسه مع زرد المغفر ونظر دامس الى ذلك فارتعد وعول على الهزيمة فادركه شيبوب باشد عزيمة وضربه بالخنجر بين ثدييه اطلعه من بين كتفيه وعاد الى اخيه وهناه بالسلامة و بشره بنيل الكرامة وساله عن حاله فقال له شيبوب يا ابا الفوارس ما لك عليّ فضل هذه النوبة في قتلك خالداً فان كل واحد منا قد قتل احداً قال عنترة وحياة عبلة ما لقيت عمري من الفرسان افرس من خالد ولا اصبر منه على الشدايد ثم ان عنتر ركب جواد خالد لان جواده كان قد اعيي من شدة المكافحة والجريان واما شيبوب فانه قطع راس خالد بن محارب وعلقه بالسنان وحمله وعاد يطلب مكان القتال فرأى بني عبس وقد انكسروا واذاقهم بنو زبيد الوبال واعملوا فيهم السيف الفصال واسارى عبس ليس عندهم اكثر من مائة فارس من خفير وحارس فلما نظر عنتر الى ذلك اشتعلت النار في فؤاده وخاف على الملك زهير واولاده فصاح في الاماء والعبيد العبيد العبسية ويلكم يا بني الزواني وانتم كلكم وقوف تحفظون الاموال خوفاً من مائة فارس وتخلون اموالكم مع هولاء الشياطين الاباليس ياويلكم حلوا مواليكم من الوثاق والاعتقال حتى نلحق اصحابنا قبل الهلاك والوبال ثم ان عنتر حمل على المائة الفارس الذين كانوا يحفظون الاسارى والسبايا ففرقها يميناً وشمالا واذاقها اشد البلايا وحلت العبيد مواليها من الاعتقال وانطلقت النساء والرجال وركب الجميع الخيل والجمال وصاحوا صيحة واحدة وطلبوا المعمعة والقتال وفي ايديهم اعمدة البيوت الطوال والعصي الثقال وكان بعضهم يرمي بالحجارة والنبال ويقول دونكم هولاء الانذال وشردت النوق والجمال واسودت النواحي من اليمين والشمال وطعن عنتر في بني زبيد طعناً يسابق الاجال وفتك في الفرسان والابطال ورفع شيبوب راس الرمح وعليه راس خالد بن محارب وقال ذلك المقال وفرح الملك زهير و بنو عبس غاية الفرح ببلوغ الامال وقد جادوا عند ذلك في الكفاح والنصال وضربوا بالسيوف الصقال وحل باعدائهم الوبال وولوا يطلبون الديار والاطلال وتفرقوا في الشعاب والتلال ونهبت ارواحهم الرماح الطوال وما زالوا على تلك الحال حتى ذهب النهار واستحال وعادت طائفة بني عبس عن القتال وقد بلغت المراد والامال وتفرقت فرسانهم فى البر لجمع الاسلاب والاموال وعاد عنترة ليهنئ الملك زهير بذلك النصر بعد الانخذال فجاش الشعر

في خاطره . فانشد وقال

لقدْ وجدنا زبيداً غيرَ صابرةٍ يوم التقينا وخيلُ الموت تستبقُ
اذ ادبروا فعملنا في ظهورهم ما تعملُ النارُ في الحلفى فتحترقُ
وخالدٌ قد تركتُ الطيرَ عاكفةً عَلَى دماه وما في جسمهِ رمقُ
خلقت للحرب احميها اذا بردتْ واصطلي بلظاها حيثُ احترقُ
والتقي الطعنَ تحت النقع مبتسماً والخيل عابسة قد بلها العرقُ
لو سابقتني المنايا وهي طالبةً قبض النفوس اتاني قبلها السبقُ
ولي جوادٌ لذى الهيجاء ذو شغب يريك سيل الغوادي حين ينطلقُ
ولي حسامٌ اذا ما سلَّ في رهجٍ يشقُّ هام الاعادي حين يمتشقُ
انا الهزبرُ اذا خيلُ العدا طلعتْ يوم الوغى ودم الابطال يندفقُ
ما عبست حومة الهيجاء وجه فتى الا ووجهي اليها باسمٌ طلقُ
ماسابقَ الناسُ يومَ الفضلِ مكرمةً الا بدوت اليها حيثُ تستبقُ

قال الراوي ولما انتهى عنتر من هذه الابيات طاب الملك زهير وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان فقبل ركاب الملك زهير وشكرهُ على فعاله وهناهُ بالسلامة وسأله عن حاله فحدثه بما جرى له مع خالد بن محارب من القتال وكيف اورده كاس الوبال وما جرى لشيبوب مع دامس تحت ذلك الدامس فتعجب الملك زهير وقال له لله درك يا ابا الفوارس والله اننا كنا قد اشرفنا على الهلاك ووقعنا في اشراك الارتباك وهذا كله حتى يرضى عمك القرنان لا عمرت بـه الاوطان فدعا لهُ عنترة بطول البقا والنصر والدوام في حال المجد والفخر وقال له يامولاي بحلمك واحسانك تصفح عن عشيرتك وغلمانك فمثلك من صفح وغفر واسبل ذيل العفو وستر قال وكان شداد ابو عنترة قد ركب جواده الابجر ولما نزلوا للراحة وقد اقبل الليل طلب عنترة عبلة فلم يقف لها على خبر وطلب عمه مالكاً وولدهُ عمراً فما وقف للجميع عَلَى اثر فقلق لفقد عبلة وتحير وشعر ان ظهرهُ قد انكسر واخبر الملك زهير بذلك فجرى على قلبه ما لم يجرِ على قلب بشر وقال الملك زهير والله ان هذا الرجل قد خلع عنهُ ثياب الانسانية وتردى بثياب البغي واستتر وما ارى الا ان نقتله ونمحو منه الاثر ثم ان الملك زهير سال عمن كان تخلف في المنزلة وقت الحملة الكبرى فقيل له لم يتخلف في المنزلة الا الربيع بن زياد ومعهُ اخوه عمارة وعروة بن الورد لان الربيع كان مثخناً

بالجراح لشدة ما قاسى من الكفاح لا يستطيع على غدو ولا رواح قال فلما وصل الربيع وصار قدام الملك زهير وقال له الملك زهير والله ياربيع ما قصرت فيما اوصيناك به من حفظ المنازل والابيات ولاشك ان رب السماء قدعاقبك من اقرب الطرقات لانك تركت المنازل نهباً للعدى وتبعت اخاك عمارة حتى وقعت بنا هذه الخسارة قال الربيع والله يامولاي ان لمتني فما تكون انصفتني وان عتبت عليَّ تكون ظلمتني لانك عند رحيلك طردتني وخفضت قدري واهنتني وفي قضية عنترة وعمه مالك اشركتني ومنعتني من المسير معك وابعدتني والحال ان ابا عبلة عندرحيلك عول على الرحيل من دون الناس لاجل ما اهانه ولدك شاس وقال لا بد لي من المسير الى بلادالشام واقيم هناك الى ان يدركني الحمام فخفت ان يتوجه في مسيره فيبقى علي الملام وقد احتججت فرحلت معهُ لما سمعت منه تلك الاقسام ورددته وانزلته معي في ارض ذات الخرجين وطيبت قلبهُ وقلت له يا ابن العم لا ترحل الى مكان فان الملك زهير لا يغفل عنا مقداراً طويلاً من الزمان فاقم بنا ههنا حتى يعود الملك من سفرته ويكون ابن اخيك عنترة في صحبته وانا انفذ الى اولاد الملك زهير وادعهم كلهم يسيرون اليك ويقبلون ما بين عينيك ويعيدونك الى ارضك في العز والاكرام ويغمرونك بالاحسان والانعام ثم اننا بعد هذا الكلام ما اقمنا غير ثلاثة ايام حتى جرت علينا هذه المصائب العظام التي ما جرى مثلها على احد من الانام فقد فتك فينا الرمح والحسام ودارت علينا كؤوس الحمام قال لهُ الملك زهير وقد علم ان كلامه زور ومحال دعنا ياربيع من هذا المقال وحدثنا بما جرى من مالك ابي عبلة وولده عمرو من الفعال فعند ذلك حلف الربيع ان ما عنده من امرهما خبر ولا وقف لهما على اثر وقال الربيع ايها الملك لما حلتني العبيد من الوثاق كانت روحي قد بلغت التراق وانا مطروح في الصحراء وجراحي تنزف بالدماء فلما سمع الملك زهير ذلك قال وحق الذي تحت حكمه جميع الممالك ان مماتك من العشيرة خيرٌ لها فما جرى ما جرى الا من دواهيك وفعالك واما ابو عبلة فلا بد لي ان اقابله على ما فعل واريه اننا اقدر على المكر والحيل فقال عروه بن الورد يا قوم ما في العرب من لهُ بنت ولم يرد ان يزوجها الا مالك فقال شاس بلى ياعروة كثيرٌ من العرب من فعل ذلك الا هذا القرنان فانه كل يوم يزوجها بشيطان ويسوق الينا البلايا والمهالك وانت تعلم انه زوج عبلة بعنترة مراراً عديدة ورماه في كل داهية شديدة واشهدنا عليهِ بقبض المال ثم نكث في المقال ثم ان القوم اقاموا في ذلك المكان ثلاثة ايام وارتاح الجميع

من جهد التعب الا عنتراً فانه ما ذاق المنام ولا التذ بطعام بل انه بات عند مالك بن زهير بين الغبن والغم والاسف والهم فجعل مالك يسليه ويقول له يا ابا الفوارس لا تشمت بنا الاعداء من بني زياد واصبر صبر الرجال الاماجيد حتى نسمع بخبر عمك وعلى ما نزل من العرب ونتوصل اليه فنبلغ منه اقصى الارب وما زال مالك بن زهير يسليه حتى مضى الظلام وقام اولاد الملك زهير الى المنام وخلا عنترة بنفسه فبكى وانتحب وفاض دمعه وانسكب واشتعل قلبه والتهب فعند ذلك نطق لسانه بالادب كما جرت عادة العرب فانشد وقال

اذا كان دمعي شاهدي كيف اجحدُ ... ونارُ اشتياقي في الحشى تتوقدُ
وهيهات يخفى ما اكنُّ من الهوى ... وثوبُ سقامي كلَّ يومٍ يجدَّدُ
اقاتل اشواقي بصبري تجلداً ... وقلبي باغلال الغرام مقيدُ
الى الله اشكو ظلم عمي وجوره ... اذا لم اجد خلاً على الظلم يسعدُ
خليليَّ امسى حب عبلة قاتلي ... وبأسي شديدٌ والحسام مهند
حرامٌ عليَّ النوم يا ابنة مالك ... ومن فرشه نارُ الغضا كيف يرقدُ
سأندب حتى يعلم الطير انني ... حزينٌ ويرثي لي الحمامُ المغردُ
والثمُ ارضاً انتِ فيها مقيمةٌ ... لعلَّ لهيباً حلَّ في القلب يبردُ
رحلتِ وقلبي يا ابنة العمِ تائهٌ ... على اثر الاظعان للركب ينشدُ
واني على ما تعهدين من الولا ... فهل لم تزالي مثلما كنتَ اعهدُ

قال الراوي ولما اصبح الصباح رحل الملك زهير يطلب ارض الشربة والعلم السعدي وقلبه عَلَى من بقي من الحريم والعيال والانعام والاموال وانفذ عنترة اخاه شيبوب يكشف له اخبار عبلة ويبصر عمه وينظر ماذا فعل وعلى اية القبايل قد نزل ومن قد اجاره من اهل الحلل ثم ركب عنترة الى جانب ابيه شداد في موكب بني قراد وسار اولاد الملك زهير حواليه يحادثونه ويطايبونه وعن ذكر عبلة يشاغلونه واما بنو زياد فان ذلك اليوم كان عندهم من افضل ايام الاعياد لاجل بغضهم لعنترة بن شداد ولما كان وقت المساء نزل بهم الملك زهير على بعض الغدران ليستريح الرجال والاطفال والنسوان قال وكانت بنو زياد تنزل عن يمين الملك زهير وبنو قراد عن شماله فعارض عمارة عنترة عند النزول وعنترة في حالة العدم وجيش الغم قد نزل به وخيم وقال له وقد اظهر الشماتة والحسد ما حالك يا اسود الجلد لقد ظهرت عليك علائم الغرام

وتيمك الوجد والهيام وما زلت على لحاجتك حتى احرمتني واحرمت نفسك حاجتك فلما سمع عنترة من عمارة هذا الكلام زاد بة الالتهاب والاضطرام غير انه اظهر الجلد واخفى الكمد وقال له ويلك يا ابن زياد أتعيرني بسواد لوني الذي ستره بياض فعلي حتى تود كل انثى في ابياتكم ان تكون حاملةً مثلي او ما تعلم ان جميع القبائل تشهد انني رب السيف ومقصد الضيف وجالي الغياهب وكاشف النوائب وصاحب الضرّ والدفع ومثير النقع وذو اليد البيضاء والعجاجة السوداء في الهيجاء وسل من شئت عن عنترة فارس الابجر يخبرك انني الاسد القصور والسد الغضنفر فقال عمارة كذبت في المقال يا ابن الانذال وسوف تري صدق هذا الكلام ولتقعنّ مني بليث ضرغام و بطل همام فلما سمع عنترة كلام عمارة قال له والله يا عمارة انـك اذل واحقر من ان تضرب كلباً على باب عنترة او تنظر اليه بلمح البصر وانشأ يقول

احولي تنفضُ استك مذرويها   لتقتلني فهـا انا ذا عمارا
متى ما تلقني فردين ترجف   روانف اليتيكَ وتستطارا
وسيفي صارمٌ قبضتْ عليهِ   اشاجعُ لا ترى فيها انتشارا
حسامٌ كالعقيقة فهوَ امضى   سلاحي لا افـلٌ ولا فطارا
واسمر من رماح الخطِ لدنٍ   تخالُ سنانهُ في الليل نارا
وخيلٌ قد زلفت لهـا بخيل   عليها الاسد تهتصر اهتصارا
ستعلم اينا للموت ادنى   اذا دنيت لي الاسل الحرارا

قال ثم ان عنترة قال لعمارة واما قولك انى حرمت الاجتماع بابنة عمي وتعيرني بحزني وهمي فوحق من رفع السماء وعلم ادم الاسماء لاخذتها على رغم انف الجميع من الاعداء من بين الحرائر والنساء والاماء ولو كان دونها من الفرسان ما تضيق عنه البيداء . قال وعاد شاس ايضاً وقال لعمارة ويلك الا تشفق على نفسك من حلول رمسك وكم تقبح على من لا تقدر عليه بمضرة وقد خلصك من الهلاك الف مرة على انك والله ما انت من اقرانه ولا تستطيع الثبات على ضربه وطعانه قال فعند ذلك قال عمارة بصفقة الخاسر وقلب الحاسر وسمع اخوه الربيع بما جرى فقال له ويحك يـا عمارة دعه ولا تعارضه في الكلام وخله يموت بالوجد والغرام فان نفسه عنده قد هانت وما يعارضه الا من تكون منيته قد جانت . قال وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح اشرفوا على الاحياء فلاقتهم الغلمان والنساء ووقعت الافراح وعلا الصياح وتباشرت

الاحباب بالاحباب وسر المقيمون بقدوم الغياب وزادت نار عنترة استعارًا لما رأى دار عبلة ومنازلها قفارًا فعند ذلك اتكأ على رمحه وبهت الى الديار وصار ينظر الى الرسوم والاثار ودموعه على خديه مثل وابل الامطار فانشد وقال

هل غادرَ الشعراءُ من متردم ... ام هل عرفت الدار بعد توهمِ
اعياكَ رسمُ الدارِ لم يتكلم ... حتى يكلمك الاصم الاعجمِ
يا دارَ عبلة بالجواءِ تكلمي ... وعمي صباحًا دارَ عبلة واسلمي
دارٌ لانسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المتبسمِ
اوقفت فيها ناقتي وكانها ... فدنٌ لاقضي حاجة المتلومِ
وتحلُّ عبلة بالجواء واهلها ... بالحزن فالصمان فالمتثلمِ
حييت من طلل تقادم عهده ... اقوى واقفر بعد ام الهيثمِ
وتحلُّ عبلة فى الخدورِ تجرها ... واظل فى حلق الحديد المبهمِ
حلت بارض الزائرين فاصبحت ... عسراً على طلابك ابنة مخرمِ
علقتها عرضاً واقتل قومها ... زعماً لعمر ابيك ليس بمزعمِ
ولقد نزلت فلا تظني غيرهُ ... مني بمنزلة المحب المكرمِ
اني عدانى ان ازورك فاعلمي ... ما قد علمت وبعض ما لم تعلمِ
حلت رماح بني بغيض دونكم ... وزرت خوافى الحرب كل مُلمِ
يا عبلَ لو ابصرتني لرأيتني ... فى الحرب اتدم كالهزبرِ الضيغم
كيف المزار وقد تربع اهلها ... بعنيزتين واهلنا بالغيلمِ
ان كنت ازمعت فانما ... زمت ركابكم بليل مظلمِ
ما راعني الا حمولة اهلها ... وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة ... سودًا كخافية الغراب الاسحم
اذ تستبيكَ بذي غروب واضح ... عذب مقبله لذيذ المطعمِ
وكان فارة تاجرٍ بقسيمةٍ ... سبقت عوارضها اليكُ من الفم
او روضةً انفاً تضمنَ نبتها ... غيثٌ قليل الدمن ليس بمعلمِ
نظرت اليك بمقلة مكحولةٍ ... نظرَ الملول بطرفه يلتقسمِ
وبحاجب كالنون زين وجهها ... وبياهدِ حسنٍ وكشح اهضم
ولقد امر بدار عبلة بعد ما ... لعب الربيع بربعها المتوسمِ

جادت عليها كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

قال الراوي وهذه القصيدة هي التي علقها عنترة في البيت الحرام ولما فرغ عنترة من انشادها برد ما عنده من الضرام واقبل اليه اولاد الملك زهير وقد تعجبوا من مقالته وطربوا من فصاحته وقالوا والله يا ابا الفوارس ماسبقك الى هذه المعاني احد في هذا الزمان وانت ورب الكعبة فصيح بني عبس وعدنان ومن يكون هذا المقال مقاله وتلك الفعال فعاله كيف يذل لسلطان الهوى و يخظع لما يجد من الصبابة والجوى فابعد هذا عن قلبك واشرح صدرك فان عمك هو الخاسر في تدبيره وحيثما مضى فالى هذا المكان اخر مسيره قال عنترة يا مولاي ما دخل الهوى بقلبي باختياري و بغيتي ولا تمكن مني بارادتي حتى ازيله من فكرتي ثم ان عنتر نزل في ابيات ابيه شداد وعاد اولاد الملك زهير الى ابيهم واخبروه بما ابدى عنترة من البراعة في الانشاد فطرب الملك زهير وامر اخاه اسيد ان يكتبها ليفاخر بها اهل الفصاحة والادب و يتباهى على جميع شعراء العرب . قال الراوي ومن الغد اتى الشيخ بدر ابن عمر سيد بني فزارة ومعه اولاده حذيفة وحمد ووجوه قبيلته وهنأوا الملك زهير بسلامته وقال له الشيخ بدر لا تظن ايها السيد اننا توانينا عن معدي كرب لما ساق اموالكم واسر ولدك ورقاء بل لما وصل الينا الخبر ركبنا على الاثر وسقنا يومين وليلة فما حظينا بظفر قال الملك زهير يا ابن العم ما كان الا الخير ثم حدثه بما جرى واعاد عليه ما تم وطرأ وامر العبيد بذبح النوق والاغنام وعمل لهم وليمة مدة ثلاثة ايام وكان عنتر اذاحضر يرفع الملك زهير مكانه و يعظم قدره وشانه و يجلسه عن يمينه مع الشيخ بدر واولاده فيستحي منهم عنتر و يظهر الجلد و يخفي الكمد و يأكل و يشرب ونار الشوق في احشائه تلتهب فلما فرغت الوليمة عاد الشيخ بدر الى دياره ودعا ابنه حذيفة اولاد الملك زهير واخذهم معه ودعا شاس عنترة فاجاب دعوته وطاوعه فصاروا كلهم حتى وصلوا الى ارض بني فزارة فنزلوا على مرج أفيح وكان ذلك الوقت زمان الربيع والارض تنقشت بالوان زهرها البديع ونشرت حللها الملونات على الصحاري والربوات وفاح بها الزهر من سائر الجهات ونظر حذيفة تقصير عنترة في اكله وشربه وقوة نشاطه عند لهوه ولعبه فقال له يا ابا الفوارس الى كم يكون هذا الغم والكمد اما تعلم ان هذا يهدم مجدك الذي بنيته وعلاك الذي عليته والله ان عمك هو الخاسر في هذه الفعال وسوف يرجع اليك بالخضوع والاذلال فقال عنترة والله يا امير ما انا متاسف الا على الجميل الضائع والخاطر في ركوب الاخطار وخوض

المطامع واخيراً تشمت بي الحساد وتتكلم في عرضي اللئام الاوغاد قال وعند ذلك جالت الدموع في اجفان عنتر وتحسر من عظم ما جرى عليه وتفكر ومنعه الحياء من البكاء فقام واوسع في الفلا ليسلي نفسهُ من ذلك البلا واذا بسرب حمام قد تساقطن على اغصان الشجر وتجاوبن بالنوح كما تجاوب النساء الثاكلات فاجرين من اجفان عنترة العبرات وتصاعدت من انفاسه الزفرات فجاش الشعر في خاطره وباح بما انطوت خفايا ضمائره فانشد يقول

ياطائرَ البان قد هيجتَ اشجاني	وزدتني طرباً يا طائر البانِ
ان كنت تندب الفاً قد فجعت به	فقد شجاك الذي بالبين اشجاني
زدني من النوح واسعدني على حزني	حتى ترى عجباً من فيض اجفاني
وانظر الى نار وجدي لا تكن جفلاً	واحذر على الروح من انفاس نيراني
وطر لعلكَ في ارض الحجاز ترى	ركباً على عالج او دون نعمانِ
يسري بجارية تنهلُّ ادمعها	شوقاً الى وطنٍ نـاءٍ وجيرانِ
ناشدتك الله ياسرب الحمـام اذا	رأيت يوماً حمول القوم فانعاني
وقل طريحٌ تركناهُ وقد فنيتْ	دموعه وهو يبكي بالدم القاني
ويسأل الريح من اي الجهات اتت	عنكم سوالَ سليب العقل حيرانِ
اقسمت لو كان فوق الشمس منزلها	اوفوق اعلى السهى او ظهر كيوانِ
لابد اشفي غليل القلب من رجلٍ	بغدره عن بلوغ القصد اقصاني

قال وكان عنتر لما قام من المجلس تبعه مالك بن زهير وتمشى وراه وهو لا يدري حتى باح بسر هواه وسمع شعره وشكواه فجرح قلبه وبكى لبكاه ثم ان عنترة بعد هذه الابيات كفَّ دموعهُ السجيمة وعاد الى الوليمة واما مالك بن زهير فانه حدَّث اولاد بدر بما سمعه من عنترة في لبلواه كل من حضر وقال حذيفة قاتل الله العشق فما اقتلهُ للعشاق وما اذله للاعناق ثم ان القوم عادوا الى ما كانوا عليه وحذيفة يوسع لهم في الشراب والطعام ويزيد لهم في الاكرام تمام سبعة ايام ولا يمضي يوم الا ويسمعون من عنتر ما يطربون به من النثر والنظام وفي اليوم الثامن عاد اولاد الملك زهير وعنتر الى حي بني عبس وقد زاد به الوجد والغرام وبانت عليه علامات الضر والسقام وما كان يفرج عنه الهموم والكروب الا قدوم اخيه شيبوب فان قلبه كان معلقاً بقدومـه اليه لكي يقص ما عنده من الخبر عليه قال وما زال عنتر ينتظره تمام الاربعين يوماً وقد زاد

به القلق واشتعلت في قلبه نيران الحرق واراد ان يسير في طلبه ليكشف حقيقة خبره ويعلم ما تم عليه في سفره قال فبينما عنتر يحدث نفسه بالمسير في اثر اخيه شيبوب واذا به قد اقبل ودخل عليه على عجل فنظر اليه عنتر فلم يعرفه لان قدومه عليه كان في الليل وكان قد اصابه الذهول والحيرة حتى صار في حال الذل والويل فقال له شيبوب ويلك يا عنتر ماذا جرى عليك حتى صرت مثل الولهان وانت لا تعي على انسان قال فلما عرفه عنتر كاد قلبه ينفطر واذا به شيبوب فقال له يا اخي اخاف ان تكون بعد هذه المدة عدت بلا فائدة وما وقعت لعمي على خبر ولا طلعت لعبلة على جلية اثر قال شيبوب حقاً يا اخي ما جئتك الا بالخبر اليقين لذي عاينته والصواب المبين وها انا اعرفك ان عمك نزل على بني شيبان عند قيس بن مسعود صاحب العساكر والجنود واستجار به فاجاره واعطاه الزمام وزوج عبلة بولده بسطام واختار هناك المقام فلما سمع عنتر ذلك قلق وهام ولم يترك ان يتم اخوه الكلام احس ان روحه انسلت من جسده من شدة الغرام وقال ويلك ادخل عليها ذلك الشيطان ابن الالف القرنان قال شيبوب لا يا اخي اسمع هذه القصة واترك عنك هذه الغصة اني لما فارقتك سرت الى ديار بني قحطان ودرت حللاً كثيرة من حلل العربان حتى سمعت ان عمك نازل في ديار بني شيبان فسرت الى القوم وقد ضيقت لثامي وغيرت كلامي ودخلت في الليل الى الحلة والقوم عني في غفلة فرايت قيس ابن مسعود قد ركب عند الصباح في موكبه وعمك وولده الى جانبه ثم اني رصدت مضرب عبلة حتى خلا ودخلت عليها فرايتها تبكي من شدة الشوق الى الديار والاطلال وقد تغير منها ذلك الحسن والجمال . فلما رأتني وثبت اليّ ودموعها تنحدر وقالت لي ويلك ياشيبوب اين اخوك عنتر . فقلت لها هو مقيم في بني عبس يقاسي التعس والنكس وانا درت عليك جميع الحلل وعملت جميع الحيل فما وقفت لك على اثر ولا اطلعت على خبر فقالت حقاً اني كنت خائفة عليه وليس عندي احد يوصل خبري اليه وانا قد غرقت في بحر الهموم والفكر لان ابي قد ازوجني ببسطام بن قيس وطلب منه مهري راس ابن عمي عنتر وقد اتفقوا جميعهم على ذلك وما بقي الا ان ينصبوا لاخيك اشراك المهالك فارجع اليه واعلمه بالخبر وقل له ان يكون من امره على حذر ثم بعد ذلك ودعتني وقد زاد بكاها وعظمت شكواها وتلهبت بنار حواها وقد

انتهى الجزء الثامن من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء التاسع

الجزء التاسع

من سيرة

عنترة بن شداد

ارسلت لك معي ابياتاً حلفتني ان انشدها عليك وهي

ايا بنَ العمِّ قد طال انتزاحي | وذبتُ لفرطِ وجدي والتياحي
ولو اني قدرتُ لطرتُ شوقاً | الى تلك الديار مع الرياحِ
ولكن حول ابياتي رجالٌ | تهزُّ اكفها سمرَ الرماحِ
وقد اصبحت مثل الطير لكن | يدُ الايام قد قصت جناحي
فبالله كيف يباعُ مثلي | رخيصاً للعدى بيع السماحِ
ويرغبُ فيَّ غريبٍ اجنبيٌّ | ويزهدُ فيك ياليث الكفاحِ
وحقكَ لا نقضتُ العهد يوماً | ولو قطعت بالبيض الصفاحِ
فدبر ما ترى فيه صلاحاً | فانك انتَ اخبرُ بالصلاحِ

قال ولما فرغ شيبوب من اداء الرسالة التي من عبلة الى اخيه عنتر توقدت عيناهُ حتى كاد يطير منهما الشرر وقال وحق ذمة العرب وشهر رجب لاجعلن بسطام و بني شيبان احدوثة في هذا الزمان تتحدث بها جميع العربان واجازي عمي عَلَى هذا الغدر حتى يرى كيف عاقبة المكر . ثم قال عنتر واين هم نازلون فقال شيبوب بارض العرينين والدهناء وهم في اقل من الف فارس من بني شيبان لان اكثرهم في هذه الايام على المروج والغدران ولكن هيبة قيس وبسطام تحرسهم من طوارق الحدثان . قال وكان السبب في فقد مالك ابي عبلة ونزوله على بني شيبان هو انه لما فرغ عنتر من نوبة خالد بن محارب وحمل طالباً معونة الملك زهير واولاده على قتال بني زبيد وحملت خلفهُ من بني عبس الفرسان الصناديد وخلا المكان من الاحرار والعبيد قال مالك للربيع اما ترى ما اعظم سعادة هذا العبد الاسود الذي قد طغى وتمرَّد وكلما رميناه في تهلكة يسلم منها ونقع نحن فيها فيحوجنا الدهر اليه و يكون خلاصنا على يديه والله ان شرب

كاس المنية اهون علينا من هذه البلية والان ما بقي لي من يده خلاص ولا بد ان ياخذ ابنتي بالعنف والاقتناص ولا اعلم كيف يكون التدبير في امر هذا العبد الطنجير فقال له الربيع اعلم يا ابن العم ان الناس الان مشغولون بالحرب فاركب انت بجميع اهلك على هذه الجنائب والمهاري واقطع بهم القفر والبراري واطلب ارض بني شيبان فما ينفصل الحرب الا وانت في ابعد مكان واذا نزلت على قيس بن مسعود وشكوت اليه حالك فلا بد ان يبلغك امالك لانه ملك مطاع وله ولد اسمه بسطام تخاف منه السباع فاقم تحت ظله وهو يقتل لك عنتر ويخلصك من هذا العار الاكبر فلما سمع مالك كلامه رآه غاية الصواب وركب من المهاري والنجب التي اتى بها معدي كرب واخذ جميع اهل بيته ومن يتعلق به من الاصحاب حتى وصل الى الملك قيس بن مسعود واستجار به فاجاره واعطاه الزمام وطاب له هناك المقام . قال الراوي وكان هذا الملك قيس ملك بني شيبان والحاكم على تلك العربان وكان يقال له قيس ذو الجدين لانه اصيل في النسب ورفيع المجد والحسب وكان له ولد اسمه بسطام ترتاع من هوله اسود الاجام وكان قد سمع الملك النعمان به فارسل بخلعة اليه وطلبه ليبارز الفرسان بين يديه فحضر عند النعمان وبارز الفرسان وقارع الشجعان وبطح الاقران في حومة الميدان واقام عنده مدة ايام وعاد طالباً ديار بني شيبان وقبل وصوله ارسل عبده واخبر اباه واهل الحلة فخرجوا الى لقائه وكان في جملة من خرج مالك ابو عبلة فسلم عليه وقبل يديه وبعد وصوله الى الحي سال عن مالك وعشيرته فقالوا يا امير هؤلاء القوم من بني عبس وقد نزلوا على ابيك مستجيرين به من عبد نشأ عندهم وقهرهم بشجاعته واحتاج ملكهم الى سيفه وحمايته واراد ان يغصب هذا الشيخ على ابنته فانف الرجل من ذلك والتجا الى ابيك واستجار به فاجارة واعطاه الزمام والان له عندنا جملة ايام وفي غضون ذلك وصفوا له حسن عبلة وملاحتها وادبها وفصاحتها فاشتغل قلبه وخلا بامه وقال لها يا اماه هل رايت هذه الجارية العبسية التي اتت مع هذا الشيخ قالت نعم وما رايت احسن منها فما الذي تريده بسوالك عنها قال وهل هي من الحسن كما قيل لي عنها قالت نعم باولدي واكثر لانها فتنة لمن يراها ومنية لمن تمناها . قال فلما سمع الامير بسطام هذا الكلام اشتد به الغرام وقال لامه يا اماه لقد كان من نيتي اني لا اذكر النساء واما الان فقد وقع في قلبي من هذه الجارية نار لا تخمد ولوعة لا تهمد ولقد اشتهيت ان اراها قبل ان اخطبها لان كل عين لها نظر قالت وكيف تقدر

عَلَى هذا وهي مخدرةٌ لا تراها شمس ولا قمر قال بسطام يا اماه متى حشر ابوهاواخوها الى مجلس ابي فادعي انتِ امها واكرميها وطاوليها في الحديث ولاطفيها حتى التف بكساء واذهب الى بيتها بزي سائلة لعلي اراها اذ لا عيب على الانسان اذا سعى في حاجة نفسه وقضاها فاجابته امه الى ذلك حتى كان الغد وحضر ابوها واخوها الى مجلس ابيه وانفذت ام بسطام الى ام عبلة فحضرت واكرمتها ولاطفتها في الحديث وشاغلتها فلبس بسطام ثياب امرأة فقيرة وخرج يطوف في الحلة حتى وصل الى بيت مالك ابي عبلة وكانت عبلة في ذلك الوقت سافرة رافعة النقاب وقدلاح وجهها كالقمر اذا انكشف عنه السحاب فبينما هي كذلك اذا بسطام قد وقف على باب الخبا وقال لها ياحرة العرب الله يبلغك مراد قلبك سدي جوعي وكفي دموعي فاني امرأة فقيرة الحال كثيرة العيال قليلة الرجال فدخلت عبلة الى الخبا ثم خرجت ومعها رغيف وشيء من التمر وقالت خذي يا خالة واعذرينا بهذا المقدار لاننا غرباء في هذه الديار . هذا و بسطام قد غاب عن الوجود من عذوبة كلامها وحسن منظرها واعتدال قوامها ثم عاد الى امه وهو قد غاب عن الصواب وخلع عنه تلك الثياب وقال لها يا اماه لا تسالي عن حالي فما بقي لي سمع ولا بصر بعد هذه النظرة التي تدهش النظر فقالت له طب نفساً وقر عيناً لانك اليوم سلطان بني شيبان وانا اخاطب اباك في هذا الشان ثم حدثت اباه بالقصة واعلمته بما وقع في قلب بسطام من الغصة فقال لها يا ابنة العم انني سادعو اباها وابذل له ما يريد من المال والنوق والجمال واجمع بهذه الجارية شمل بسطام ولا ادعه يكابد لواعج الغرام ثم دعا ولده بسطام وطيب قلبه بنوال المرام ودعا بمالك ابي عبلة وقال له اعلم ياوجه العرب انني اقول لك قولاً لك فيه الصلاح وان كنت توافقني فتحت لك ابواب النجاح قال قل ايها الملك ما بدا لك فانني لا اخالف مقالك قال اريد ان تزوج ابنتك بولدي بسطام الذي هو سيد بني شيبان وحامي بلاد النعمان واطلب ما تريد من المال والنوق والجمال حتى اسوقه اليك في الحال . فلما سمع مالك هذا الكلام رآه طبق المرام فكاد قلبه يطير من السرور وقال يا مولاي ما انا لديك الا عبدٌ مامور ولكن ياسيد العرب انت تعلم ما تمَّ لي من السبب واني ما اتيت اليك الا لكي استجير من ذلك العبد الطنجير وقد حلفت بالبيت الحرام وما فيه من الالهة والاصنام انني ما ازوج ابنتي الا لمن ياتيني براسه لانهُ ما دام في قيد الحياة لا استامن على نفسي من بلاه وعند ذلك ازوجه ابنتي من غير مهر ولا صداق فلما سمع

بسطام ذلك الكلام طاب قلبه وانفرج كربه وقال له يا شيخ ان هذا الامر عندي من اهون الامور فلا بد ان احضر براسه اليك حتى تدوسه برجليك وانفي عنك الهم والغم والعار واطفي ما بقلبك من النار وبعد ذلك اعطيك ما تريد من المال والجمال والعبيد فتصير انت وابنتك من ارباب النعم واصحاب المماليك والخدم وعند ذلك اعطى مالك يده لبسطام وانفصل الامر على هذا المرام ونهض بسطام والدنيا لا تسعه من شدة الافراح وايقن بالتوفيق والنجاح

قال الراوي وبعد ذلك خلا بسطام بابيه فقال قيس والله ياولدي ان هذا الذي ضمنته امرٌ عظيم وخطر جسيم لاننا ان جمعنا حال بني شيبان ومضينا الى بني عبس وعدنان ثارت بيننا الحروب ونصير بين غالب ومغلوب وتقول عنا العربان اننا ما قدرنا على قتل عبد بني عبس حتى جمعنا علية بني شيبان وما ثارت بيننا هذه الفتن الا من اجل جارية غريبة مشردة عن الوطن وان سرت وحدك وبذلت المجهود ما اظنك تنال المقصود وربما تلقي نفسك في الخطر ويحكم القضا والقدر فقال بسطام يا ابتاه ما هذا الكلام ومن هم بنو عبس الانذال حتى اسير اليهم بالخيل والرجال وانا اقسم بالركن والحجر والهبل الاكبر انني لا اسير اليهم الا وحدي ولافعلنَّ بهم فعالاً تتحدث بها الناس من بعدي واعود وراس عبدهم معي ويرتفع قدري وموضعي ولكن اريد ان تكتم عني هذا الحال ولا تطلع عليه احدًا من النساء والرجال ومن سال عني من العربان فقل له مضى الى بلاد النعمان وان اطلعت على امري احدًا قتلت نفسي ولا تراني ابدًا فاني اخبر الناس بعواقب الدهور واعرفهم بحوادث الامور وانني اخبرك بما اريد من العمل وما عزمت عليه من الحيل فاني اذا وصلت الى ارض بني عبس وعدنان اختفي بين الرمال والكثبان فلا بد لعنترة ان يخرج يتصيد في ذلك المكان فاقطع راسهُ واعود به الى الاوطان قال الراوي فلما راى ابوه منه ذلك العزم الشديد اطاعه على ما يريد وقال اذهب بحفظ الالهة العظام وعسى ان تحظى بنيل المرام ثم ان بسطام صبر حتى ولى النهار وانصرم واقبل الليل بجيوش الظلم فتاهب وخرج من الخيم يطلب الذي عليه قد عزم . قال الراوي وجعل بسطام يضرب في البراري والقفار وقد لعبت به لواعج الغرام وصار يلتفت الى المضارب والخيام وانشد يقول

زودبني يا عبلَ منك السلاما ۔ واحفظي حرمتي وارعي الذماما

قد تملكتِ صيدًا وهمامًا ۔ كان لا يعرف الهوى والغراما

فارس تسجد الفوارس في الحر ب له قبل ان يسل الحساما
ان قلبي في دار عبلة من بعد رحيلي عن الديار اقاما
يالقومي قتلت بالاعين النجل وامسيت مغرماً مستهاماً
وجفوني قد حللت سهر الليل وبــانت ترى المنام حراما
قد رمت مهجتي فتاة لعبس بلحاظ قد ذقت منها الحماما
عجبي من لواحظ فاترات كيف ترمي الى القلوب سهاما
خطرت فاستعار منها قضيب الا بان ليناً والخيزران قواماً
ورآها الهلال فاقتبس الانو ار من وجهها فعاد تمامــا
وظلام الدجا تحير لمــا اسبلت شعرها فزاد ظلاما
صورة لو بدت لنا كل يوم مــا عبدنا من بعدها اصناما
فدع العشق يا ابن شداد واسلى عن هوى عبل والتقي بسطاما

قال الاصمعي وجعل بسطام يجد السير في السهول والاكام وهو سكران من خمرة الغرام كما يسكر شارب المدام فما افاق على نفسه الا وقائد الهوى قد اعدمه التوفيق وسائق العشق قد ضل به عن الطريق لانه اراد ان يطلب وادي ذي قار فبات في ارض الدمايث وتلك الاقطار وهي ارض واسعة الجنبات دارسة الطرقات كثيرة الافات موحشة الفلوات فوقف ينظر ذات اليمين والشمال ويتامل في تلك الروابي والتلال واذ بغبار من بين يديه قد ثار واظلم منه ضوء النهار ثم انكشف عن سبعين فارساً مسربلين بالحديد وبين ايديهم فارس كانه الحصن المشيد ولما رآهم بسطام حرك نحوهم الجواد واراد ان يستخبرهم من اي العرب هم ومن اي البلاد وكانت ايضاً الفرسان لما نظرته حركت نحوه الخيل وطلبته مثل اندفاق السيل وقفز مقدمها اليه وقال له يافتى من تكون من فرسان العرب انتسب عسى ينجيك النسب فلما سمع بسطام ذلك الكلام زاد به الغضب واشتد به السخط والتهب وقال له ويلك انا بسطام ابن الملك قيس بن مسعود الكريم الاباء والجدود وان كان لا ينجيني النسب نجاني هذا الحسام المشطب وهذا الرمح المكعب وانت من تكون من اوباش العرب قال فما اتم بسطام هذا الكلام حتى ابدى ذلك الفارس الابتسام وهز في كفه ذلك الرمح المعتدل القوام وقال اهلاً وسهلاً بك يا ابا اليقظان فان لي بانتظارك مدة من الزمان فما احسن هذا الاتفاق الحلو المذاق الذي يستحق ان يسطر في الاوراق والحمد لله الذي قرب علي الطريق

وخلصني من المهلة والتعويق فقال له بسطام وكيف هذا الكلام هل لك عندي دين تستوفيه ام ثارٌ تقتضيه قال لهُ ذلك الفارس والله يا بسطام لا اقدر ان اعود الى اهلي الا ان اقطع راسك بهذا الحسام حتى لا يبقى علي عتب ولا ملام فقال له بسطام وكيف هذا الكلام يارجل اطلعني على معناه حتى اعرف ما وراه قال اعلم اني خطبت سعدى بنت شهاب اليربوعي سيد بني يربوع الذي جرحته انت وكسرت منه الضلوع فقالت لي امها انها حلفت ان لا تزوج بنتها الا لمن يأتيها براس الذي جرح اباها واركبه العار في سائر الاقطار وتركه لا ينتفع بنفسه في الليل ولا في النهار فقلت لها ومن يكون هذا الرجل من العربان قالت هو بسطام بن قيس سيد بني شيبان فدخلت انا تحت هذا الشرط واخذت يدها عليه وخرجت في هذا الطلب الذي يسر الله لي قرب الوصول اليه واما سوالك عن نسبي فانا طرفة بن رافع صاحب الغارات والوقائع واذا قطعت راسك اعود واخذ زوجتي بلا صداق معدود ولا مال منقود على اني ما ابغي عليك ولا اخلي احدًا من قومي يدنو اليك فخذ الان حذرك ودبر امرك . ثم اشار اليهِ وانشد

دونك ليثاً بطلاً فضاحا ... بسيفه يختلس الارواحا
لخل كمي يحمل السلاحا ... ولا يمل الحرب والكفاحا
ويكسر الاسياف والرماحا

قال الراوي فلما سمع بسطام هذا الكلام قال والله ياطرفة لقد ساقك الموت برجليك الى سوء المصرع واليوم ترى اسدًا لا يلتقي ولا يدفع وانا ما اريد منك غير الانصاف وان لم تنصف احمل علي انت وقومك اجمعكم فانكم عندي مثل الغنم الرتع اذا وقع فيها الاسد الادرع فقال لهُ وما الذي تريده من الانصاف اعلمني به حتى اطيعك من غير خلاف قال بسطام تمهلني حتى انزل عن جوادي واريحه قليلاً في هذا المكان وبعد ذلك اعود الى ظهره ودونك القتال في الميدان فقال له طرفة افعل ما بدالك فاني لا اخيب سوالك ثم ان طرفة عاد الى رفقته واعلمهم بما اتفق لهُ مع بسطام ففرحوا بقضاء حاجته وبعد ذلك نزل بسطام عن جواده وحل عنه الحزام واخرج من فيه اللجام وصبر حتى اخذ الراحة للمجال لانهُ كان سار من اول الليل الى وقت السحر وهو على ذلك الحال فلما اخذ الراحة عاد الى ظهره وجال وصال في الميدان وتفكر في حوادث الزمان فانشد يقول

انصف الدهر وبالحق حكم ... ولعمري يا لقومي ما ظلم

سرتُ ابغي دم من لاهانني فاتاني من يطالبني بدمْ
عاشق يشكو صبابات الهوى وبه مثل الذي بي من سقمْ
قصة يعجب من يسمعها ثم تبقى مثلاً بين الامم
يابني شيبانَ قلبي ضائعٌ فانشدوه بين اطناب الخيم
خدعته ظبيةٌ في طرفها صائدٌ يصطاد اسادَ الاجمْ
من بنات العرب حازت بهجةً ففضحت بالحسنِ ابكار العجمْ
قسماً لو برزت من خدرها ما عبدنا بعد روياها صنم
هيَ شمسٌ طلعت وقت الضحى او هلال سارَ في جنح الظلمْ
يا ابنة العبسيِّ اني ضيغم اترك الشجعان رزقاً للرخمْ
لو نظرتِ اليوم طعنى بالقنا يا مني قلبي وضربي القممْ
ما تاسفت على عنترةٍ لا ولا قستِ الموالي بالخدمْ

قال الراوي ولما فرغ بسطام من شعره حمل على تلك الخيل ونزل عليها نزول السيل في هدو الليل والتقي الرجال بضرب يقرب الاجال ويقصر الاعمار الطوال · قال فلما نظر طرفة الى بسطام وهو قد حمل على القوم كانه الاسد الهجام وقتل منهم جماعة بضرب الحسام زعق عند ذلك في بسطام وحمل عليه وتقرب منه حتى وصل اليه ورد قومهُ عن قتاله خوفاً منه على رجالهِ فالتقاه بسطام بضربٍ يقرب الحمام وطعن لا تدركه الاوهام وتحاربا ساعة من النهار حتى انعقد عليهم الغبار وعميت منهما الابصار وتحيرت منهما الافكار ونظر بسطام من طرفة عين التقصير وشرفة نظر من بسطام ما اهالهُ فندم على ما فعل من سوء التدبير ولكنه اظهر الجلد واخفى الكمد ولم يزالا في قتال ونزال وطعن بالسمر العوال وضربا بالسيوف الصقال حتى اخذت الارض من تحتهما الزلزال ولاح لبسطام فرصةٌ من خصمه فضايقه ولاصقهُ وسد عليه طرقه وطرايقهُ وضربهُ بالسيف على عاتقه فاطلعه يلمع من علايقه فلما رات اصحابه ما حل به من البوار وعلموا ان ليس لهم على حرب بسطام اقتدار ولوا الادبار واركنوا الى الهرب والفرار هذا وبسطام لما فعل ما فعل راى لنفسه علو المقدار وزاد به الفرح والاستبشار وايقن بالغلبة عَلَى عنترة والانتصار فلم يتبع احداً من المنهزمين في البر والقفار ونزل في ذلك المكان وقرَّ به القرار وبعد ذلك ركب جواده وسار طالباً ديار بني عبس وتلك الاثار حتى وصل الى ارض الصريعة ومنازلها القديمة وسقط على ديار بني مرة وغشم

بن مالك فبينما هو على ذلك اذ طلع عليه فارس بين يديه وراجل يسعى ويقطع الارض قطعاً. قال الراوي وكان هذا الفارس عنترة بن شداد والراجل شيبوب وهو يهمز في البرا قدام ذلك الجواد وكان سبب قدومه الى تلك الارض ان شيبوب لما اعلمه بقصة بسطام صار الضياء في عينيه ظلام وسار خفيةً من الحي في ظلام الليل وشيبوب يندفق قدامه اندفاق السيل حتى التقى ببسطام وقد عرف كلٌّ منهم صاحبه بالصفة من دون تحقيق ولا معرفة فصاح عنترة الى اين يا ابا اليقظان وماذا اتى بك الى هذا المكان قال بسطام اليك يا ابن شداد حتى اقطع راسك واغتنم ظبية الصياد قال لهُ عنترة وقد زاد قلقه وانحدر عَلَى جبهته عرقه وهل نظرتها يا ابا اليقظان قال نعم قد نظرتها فوجدتها تصلح لمثلي لا للعبيد السودان واخذت يد ابيها واشهدت عليه بشرط اني احضر براسك اليه فقال مرحباً بك يا ابا اليقظان لقد طلبت امرًا اسهل من جرعة الماء عند العطشان وقد كان ينبغي ان ترسل الي بعض عبيدك ولا تتعني انت ياسيد بني شيبان وهذا راسي امامك لا يحتاج اكثر من ضربة واحدة وتعود الى اهلك بالغنيمة الباردة فلعب الطمع براس بسطام ودمدم كاسد الاجام وتقدم وهو يقول والله ياعبد السوء ما القتال معك الا عار لان العبيد لا تقابل بالاحرار ثم انه صال وجال على فرسهِ ذات النسور وانشد يقول

حادثات الدهرِ تاتي بالبدع ... ترفعُ العبدَ وللحرِّ تضع
خل عنك الحرب يالون الدجى ... واتبع الحق ودع عنك الطمع
ما ركوب الخيل نوق في الفلا ... كنت ترعاها اذا الصبح طلع
لا ولا عبلة مع بعض الاَما ... مثلها مع مثلك الدهرُ جمع
فاسلُ عنها قد حواها سيدٌ ... سيفه لو ضرب الصخر انقطع
يلتقي الابطال في يوم الوغى ... بجنان لا يدانيه فزع
يا بني شيبان قد نلتُ المنى ... وانجلى همٌّ فوادي واندفع
وغدا اخبركم عن عنتر ... انه قد شرب الموت جرع

قال الراوي فلما سمع عنترة من بسطام كلامه وما ابداه من نظامه عرف انه معجب في نفسه وصباه وان العشق قد اغراه فجال عنترة عليه وامال واجابه على شعره وقال

يا ابا اليقظان اغراك الطمع ... سوف تلقى فارساً لا يندفع
رمتني تطلب مني غفلةً ... مثل ذيب في المواشي قد رتع

يا ابا اليقظان كم صيدٍ نجا خالي البال وصياد وقع
ان تكن تشكو لاوجاع الهوى فانا اشفيك من هذا الوجع
بحسام كلما جردته سجد الموتُ لهُ ثم ركع
ويك اني عنترٌ الليث الذي يصدم الخيل اذا النقع ارتفع
نسبتي من سيف رمحي وهما يؤنساني حين يشتد الفزع
يا بني شيبان عمي ظالم وعليكم ظلمه اليوم رجع
ساق بسطاماً الى مصرعه عالقاً منه باذيال الطمع
وانا اقصده في حيكم واجازيه على ما قد صنع

قال الراوي ولما فرغ عنترة من شعره اخذ مع بسطام في معاناة الحرب والصدام ثم انهما لعبا بالرماح وطلبا الجد وتركا المزاح وقصدا بالاسنة مقاتل الارواح وكانا فارسين كاسدين زايرين او بحرين زاخرين وما زالا كذلك حتى اقبل عليهما المسى وهما بين لعل وعسي الى ان بسطام كل ومل وضعف عزمه وانحل وندم على ما فعل وعلم ان الفرسان تتفاضل وان عنتر بطل لا يقابل فعند ذلك طلب بسطام الاقالة لكي يرتاح الى وقت الصباح فاجابه عنترة الى ذلك وعلم ان بسطام ما بقى له من يده براح فطلب بسطام بعض الروابي ليبات هناك وقد اشرف من التعب على الهلاك واما عنترة فانه نزل عن الجواد واتاه شيبوب بشيء من الزاد وقال يا اخي كيف رأيت خصمك في هذا النهار فقال يا شيبوب انه فارس مغوار و بطل كرار قال له شيبوب اني وحق البيت الحرام عزمت على قتله مرارًا بالسهام ولكن خفت من الملام قال يا شيبوب دعه يعض انامله بانياب الندامة وانا قد تبين لي منه عند المساء ان ليس فيه رجا السلامة غير اني اريد ان اخذه معي اسيرًا الى بني شيبان ليكون قد حضر ومعه راسي الذي عقد عليه العهود والايمان ثم امر شيبوب ان يتولى حفظه للصباح و يضيق عليه في تلك البطاح فطلع شيبوب الى اعلى الجبل وصار يتردد امام بسطام فلما راى بسطام خياله ارتاع منه وقال له من تكون في هذا الظلام فقال له شيبوب انا من ملوك الجان قد استوطنت في هذا المكان وقد اتيت هذه الليلة اليك حتى اجعلها شر الليالي عليك فارتاع بسطام وقال له اتركني ايها الجبار فقد كفاني الشيطان الذي وقعت في حربه هذا النهار فقال والله لا ارجع عنك حتى اشفي فوادي منك قال الراوي وما زال شيبوب معه في اقبال وادبار ورجم بالحصى والحجار حتى طلع الصباح فانحدر من

علي الراية الامير بسطام وقد سل في يده الحسام وكان في تلك الليلة ما نام وهو يفتكر في تقلبات الايام ويتعجب كيف قاده الغرام الى هذه المهالك العظام فندم على مخالفة ابيه التي اوقعته في ما لا يعنيه . قال الاصمعي وبعد ذلك انطبق الفارسان على بعضهما واخذا في الحرب والجلاد والكر والفر والطراد وحمل بعضهما على البعض وجالا في الطول والعرض حتى ارتجت منهما تلك الارض واستطال عنترة على بسطام حتى كل ومل وضعف عزمه وانحل فبينما هما على ذلك اذا بغبار قد ثار من ناحية بني عبس وتلك الديار ثم انكشف عن مائة فارس كرار على خيول تسير كانها الاطيار ولما قربوا من مكان الحرب وحققوا النظر الى بسطام وعنترة نادوا كلهم يا لعبس يا لزياد وهموا ان يطلقوا الاعنة للحرب والجلاد فارتعد بسطام واراد ان يفلت من يد عنترة بن شداد ويفر امامهم في تلك الوهاد واذا بغبار اخر من ناحية بني شيبان قد احتبك مثل قطع الدخان وامتد في تلك الاقطار وبان لاعين النظار عن ثلثمائة فارس كرار مثل شعل النار . قال الراوي وكان كل فريق من القادمين طالباً قتل عنتر وليس عندهم علم من بعضهم ولا خبر وكان السبب في قدوم العبسيين ان مالك بن قراد ارسل خبراً بقصة بسطام الى الربيع بن زياد ويقول له يا ابن العم انه قد حصل لي من القوم اكرام عظيم ولكن قلبي يحن الى وطني القديم وانا خايف ان يختلف نسبي ببني شيبان ونحترم من عودتنا الى الاوطان والان فقد سار بسطام ليقتل عنتر في جوار الحلة ويرجع فياخذ عبلة وانا التمس من نخوتكم ان تعينوه على ذلك اعله يسقيه شراب المهالك ويعود الشمل الى الاجتماع ويتصل الحبل بعد الانقطاع ففرح الربيع بهذه البشارة واعلم بذلك اخاه عمارة فزاد طمع عمارة في عبلة فقال لاخيه كيف يكون التدبير قال الربيع من الراي ان تترك على هذا العبد العيون والارصاد حتى يغيب الى غير هذه البلاد ونتبعه بماية فارس ونقتفي اثره وناخذ من الحلل خبره فان ادركناه في الحرب مع بسطام ساعدناه الى ان يقتله ويسقيه كاس الحمام والا اكمنا له على طريق بني شيبان واذا غير علينا خرجنا عليه بالرجال والفرسان ولا ندعه يخرج من ذلك المكان قال عمارة والله لا سار اليه الا انا ولا بد لي ان انهب جسده بالصوارم والقنا ثم دعوا عروة بن الورد في عاجل الحال واتفقوا معه على هذا المنوال وبقوا يرصدون عنترة في الليل والنهار الى ان غاب عن الحلة وعلموا انه سار الى خلاص بنت عمه عبلة فعندها ركب عمارة وعروة بن الورد ورجاله وتتابعت خلفهما الفرسان

وطلبوا ديار بني شيبان وعمارة يقول وحق ذمة العرب ان قلبي يحدثني بنوال المرام واني عولت ان اقتل عنترة و بسطام واسقي الاثنين كاس الحمام حتى لا يبقى من يعاندني في عبلة حبيبة فوادي الذي منعت من عيني لذيذ رقادي فقال له عروة والله ياعمارة ليس عبلة مشومة على بسطام وسيجعله عنترة موعظة للعربان لاني اعرف قتال عنترة ومنزلته بين الفرسان واني والله ما سرت معك الا موافقة لك لكيلا تقول عروة صديق في السراء لا في الضراء فقال عمارة على كل حال نكون نحن رابحين وما نكون معنا مثل هولاء الفرسان ونكون خاسرين لان خيلنا جياد ورماحنا مداد وسيوفنا حداد وسواعدنا شداد ونحن سادات بني زياد فان راينا عليه فرصة بادرنا اليه وقتلناه واذا رايناه وقع في داهية عدنا عنه وخليناه ولم يزالوا سائرين خلف عنترة حتى ادركوه عند الصباح وهو مع بسطام في الحرب والكفاح واما الغبار الثاني الذي ظهر من ناحية بني شيبان فكان السبب في قدومهم الى ذلك المكان هو ان الملك قيس افتكر في امر ولده بسطام ومسيره وحده خلف عنترة وراى امه قد التهب قلبها عليه وهي لا تزال تبكي وتتحسر فارسل هولاء الفرسان وقدم عليهم ابن عم له يقال له نجاء وكان مذكوراً بالشجاعة يوم الحرب والجلاد وامره ان يتبع اثر ولده بسطام ويكون معاضداً له ويخبره عما تم له من الاحكام فسار الى ان اشرف على عنترة و بسطام وهما في الصدام وحينئذ عرف عنترة ان الجميع اخصام له وان كلهم يريدون قتله فهجم على بسطام وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعنه بعقب الرمح في صدره القاه على ظهره وامر شيبوب ان يشده بالحال و يحتفظ عليه حتى يرى كيف يكون نهاية الحال فلما راى ذلك نجاد مقدم بني شيبان قال لمن معه يا ويلكم شيلوا هذا الاسود على اسنة الرماح ودونكم هولاء العبسيين الذين اتوا ليعينوه وانهبوا منهم الاجساد والارواح وانا اقول ان بسطام ما ضعف قدام هذا الاسود الا خوفاً من هولاء الفرسان واظن ان هذا العبد هو عنتر الذي سار بسطام اليه فالتقى به في هذا المكان و بعد ذلك حمل يطلب عنترة في خمسين فارس من فرسانه وحمل الباقي منهم على عمارة واصحابه مثل السلاهب وداروا بهم من كل جانب وتفرقوا عليهم كراديس وكتايب فعند ذلك لزم بني عبس القتال والمدافعة عن انفسهم خوفاً من الوبال. قال الراوي وندم عمارة على سوء رايه الوخيم وانقلاب مرامه الذميم لانه اتى ليفتك بعنترة فصار من اعوانه وانصاره واحتاج ان يقاتل معه بغير اختياره واراد ان يهرب ولكن ما قدر على ذلك

لان بني شيبان مسكت عليهم جميع المسالك فاحتاج ان يقاتل ويبذل المجهود وقد زعقت عليهم الفرسان والجنود وهم مثل الاسود وتواثبت الرجال مثل الفهود وقدحت حوافر الخيل النار من الجلمود وخيم الغبار على رؤوسهم حتى كان مثل الروق الممدود وتقطعت مما جرى في ذلك اليوم القلوب والكبود وايقن عمارة انه هالك ومفقود ونوي في نفسه ان سلم من هذه الوقعة لا يرجع الى معاداة عنترة ولا يعود فالتفت ذلك الوقت الى عروة وقال له اطلب النجاة قبل ان نفقد الحياة ثم ان عمارة لوى عنان جواده وطلب الهرب وهو لا يصدى بالنجاة من العطب فتبعه عروة وبقية الفرسان فتبعهم بنو شيبان وقد اقلبوا بصياحهم الوديان حتى صاروا في ابعد مكان وافتقدوا اصحابهم فوجدوا انه قد قتل منهم خمسون فارس وساروا وعروة يقول لعمارة بارك الله لك في هذه العروس التي هي ابرك العرايس وعسى ان يهلك لاجلها جميع بني زياد ولا يبقى احد من بني قراد . قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من عنترة بن شداد فانه التقى بنجاد ومعه اولئك الفرسان الشداد فابتدرهم بطعن يسبق لمح البصر واندفق عليهم كهاطل المطر اذا زخر وما انكسرت بنو شيبان حتى قتل من خيار فرسانهم ثلاثون وانكسر الباقون منهزمين وهم يقولون والله ان هذا الاسود من الجن او الشياطين والتقى بنجاد مقدم بني شيبان وهو يجول في حومة الميدان وينخي الابطال والشجعان فتقدم اليه وضيق المجال عليه حتى ما بقي يعرف يديه من رجليه وطعنه بالرمح في جانبه الايسر اطلع السنان من الجانب الآخر فوقع قتيلاً على الارض يختبط بعضه في البعض فعند ذلك حملت على عنترة بقية الفرسان من بني شيبان وهم يقولون شل الله انامك وقطع الله مفاصلك ودارروا به من اليمين والشمال فراوا منه طعناً يشيب رؤوس الاطفال فعند ذلك ولوا الادبار وطلبوا الفرار هذا وبسطام قد حار وانبهز من قتال ابي الفوارس عنترة وكان شيبوب قد توكل ببسطام حتى عاد اليه عنترة وهو مخضب بالدماء مثل الشقيق الاحمر وقال له شد بسطام على ظهر جواده ولا تبرح من هذا المكان حتى اشفي فوادي من الذين يرجعون عن بني زياد من بني شيبان ولولا ما بيني وبينهم من العداوة والهوان ما تخليت عنهم ولكن من بغيهم علينا سلط الله لهم هذا الانتقام ثم انه نزل عن الابجر في تلك الساحة وصبر عليه حتى اخذ الراحة فهم ان يركب ويطلب ثار بني شيبان واذا بهم قد عادوا مثل العقبان ومعهم اسلاب بني زياد وهم طالبون مقدمهم نجاد لانهم كانوا يظنون انه قتل عنترة وخاص بسطام ولم يعلموا ان

عنترة قد سقاه كاس الحمام وكان قتل من بني زياد نحو سبعين وا كثر السالمين منهم كانوا مجرحين الا انهم قتلوا اكثر من مائة فارس من بني شيبان وجرحوا منهم جماعة من الشجعان وعند عودتهم تلقاهم عنترة بطعن يقرب الاجال وضرب يقصر الاعمار الطوال فتقاتلوا ساعة من النهار الى ان علموا ان مقدمهم قتل وابصروا الرجال الذين كانوا معه ممدودين في تلك القفار فقال بعضهم لبعض يا ويلكم دونكم الفرار والاما بقي منكم ديار ولا من ينفخ النار ثم انهم عطفوا روس خيلهم وطلبوا الديار وعنترة في اثرهم ينهب الارواح والاعمار وما عاد عنترة من ورائهم حتى ملا الارض من قتلاهم ورجع يركض بجواده الابجر وسنانه يقطر من الدم الاحمر حتى وصل الى اخيه شيبوب وهو مثل الاسد الغضوب فقال له شيبوب ماذا عولت يا اخي ان تصنع فقال له نسير الى ارض بني شيبان ونجعلها خراباً لا يأوي فيها الا البوم والغربان واعرفهم شوم طلعة عمي مالك وانزل بهم الذل والمهالك واخذ عبلة في اهون سبيل لاني اعلم ان فرسان بني شيبان المنهزمين يخبرون الملك ان ولده معي اسير يقاسي العذاب المهين فيجمع العساكر ويسير الى ارضنا حتى يخلص ولده وتبقى حلته خالية من الرجال فادهمهم انا على غفلة واقتل من يثبت امامي وانهب الاموال واخذ عبلة وارجع بها الى الديار والاطلال فلما سمع بسطام هذا الكلام قال ما تحتاج يا ابا الفوارس ان تكلف نفسك ما لا تطيق فاصطنعني واتركني لك طول الدهر بمنزلة عبد رقيق حتى اني وحق ذمة العرب اسير معك الى الديار وابلغك ما تريد وتختار وما ادع عمك اسير من ديارنا حتى يزف ابنته عليك وانا احمل اليه الخيل والاموال والاماء والعبيد واعطيه من عندي جميع ما يشتهي ويريد واقر عند جميع الناس اني عتيق سيفك وامين خوفك فقال عنترة يا ابا اليقظان لعلي عاجز عن قضاء حاجتي حتى استعين بها على غيري من الفرسان فوحق الملك الجبار لاتركن ارضكم كالقفار واعلق راسك في رقبة عمي الغدار حتى يتوب عن اطواره ولا يتغرب عن دياره ثم قال لشيبوب سر بنا في عرض البر على غير طريق حتى لا يرانا عدو ولا صديق ففعل شيبوب ما امره عنترة وصار يقطع البر الاقفر حتى قربوا من ديار بني شيبان فقال لشيبوب ويلك يا ابن الام ابصر لنا مكاناً نختفي فيه الى حين تنقضي حاجتنا ونعود ويبان لنا ما فعل الملك قيس بن مسعود وما دبر بعد سماعه من المنهزمين الخبر فعدل عن الطريق مسافة ميل ودخل بهم الى وادٍ يقال له وادي الفيل فقال عنترة لشيبوب يا ابن الام اتركني في هذا المكان واطلب

انت ابيات بنى شيبان واكشف لي اخبارهم وارجع بالخبر اليقين لعلك تجد لي فرصة اشفي بها داء الدفين فتركهم شيبوب ومضى وغاب عنهم ساعة وعاد وهو منزعج القلب والفواد فقال له اخوه ما لك يا شيبوب اراك قد عدت على عجل وانت مرعوب فقال اني لما سرت من هذا المكان غدوت حتى اشرفت على منازل بنى شيبان فرايت الدنيا منقلبة لفقد بسطام لان المنهزمين اتوا الى ابيه واخبروه بما جرى عليه من الاحكام وسمعت يا اخي اصوات النساء قد ضجت بالبكا والاعوال وهن يندبن من قتل لهن من الرجال ورايت الخيل تركض حول الحلة من كل جانب والناس يدخلون و يخرجون من الخيام والمضارب تخفت على نفسي من نوائب الايام ووقفت على بعدمن الخيام وخفت ان يعلم بي عمك مالك فيسلمني الى الملك قيس فيسقيني شراب المهالك واني عند عودتي اليك سمعت راعياً يقول لراعٍ اخر روح غنمك الليلة لان اهلنا غداً يرحلون و يتركون الحي ويخرجون وفي اي ارض ندخل فقال في ارض دارة جلجل وهذا المنزل من جملة منازل العرب الشهيرة وفيها مراعٍ ومياه غزيرة وقد ذكرها امرء القيس في معلقته حيث يقول

الا ربَّ يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجلِ

قال الاصمعي ثم قال شيبوب لاخيه ففرحت انا يا اخي بهذا الرحيل لاننا نتصل الى عبلة على اهون سبيل فقال عنترة وكيف ذلك قال اذا كان القوم محملين وراحلين تكون عبلة على ظهر البعير فاخذ بزمام ناقتها واسير واطرد انت الخيل عني ولا تدع يصل اليَّ منها لا قليل ولا كثير فقال عنترة اي وابيك يا ابن السوداء انا ارد عنك الخيل ولو انها مثل عارض السيل فلما سمع بسطام من عنتر هذا الكلام تحير في امره وانزعجت جميع حواسه ونسي الفروسية وطار العجب من راسه وايقن ان الزمان يأتي بكل عجب وينقلب باهله اي منقلب وزاغ عقله من فارس وراجل يتحدثان بان ياخذا عبلة من وسط قبيلة بني شيبان ثم قام عنتر وشيبوب وانطلقا حتى اقتربا من تلك الديار اخر النهار ودخلا بالوادي بين تلك القفار وهما يتستران خوفاً من عيون النظار و يطلبان من يسمعان منه الاخبار فبينما هما على تلك الحال اذا باغنام سائرة في تلك الاكام ومن خلفها راعٍ على كتفه عصاه وهو يسير في تلك الفلاة و يبكي و يقول واسفاه عليك يا بسطام كيف غدرت بك الايام وسلمتك الى عبد لا رتبة له ولا مقام فلا بارك الله في عبله ولا في ابيها ولعن اياماً رايناها فيها ثم ان الراعي تنهد وكفكف

دموعه وانشد

فجعنا فيك يا بدر الكمالِ ... ويا ليث الوغى عند النزالِ
ويا حامي الحريم بكل ارضٍ ... اذا ذلت صناديدُ الرجالِ
لقد عدمت بنو شيبان سيفاً ... يقدُّ بحده صمَّ الجبالِ
وذلت بعد ما كانت بعزٍّ ... تذل لسيفها اسد الدحالِ
رماه زمانه في اسر عبدٍ ... قريب العهد من رعي الجمالِ
ولولا الغدر في الايام طبعاً ... فما انتصر العبيد على الموالي
الا يا عبلَ لا لاقيتِ خيراً ... ولا وقيت حادثة الليالي
ولا زالت ديار ابيك قفراً ... خراباً من احبتها خوالي

قال الراوي فلما سمع عنتر هذا الكلام من العبد سائق الاغنام زاد غضباً على غضبه وارسل شيبوب في طلبه فانقض شيبوب على ذلك العبد الراعي كانه الباشق الجسور اذا نزل على اضعف العصفور وجذب اطواقه فكاد يطير احداقه ولما اوقفه قدام عنتر اخذته الرعدة واستولت عليه الخمدة فطيب عنتر قلبه وسكن رعبه وقال له من تكون من عبيد بني شيبان فقال يا مولاي انا من عبيد بسطام بن قيس عامل الملك النعمان ونحن غداً راحلون لاننا خائفون من بني تميم ان يسطو على الاموال والحريم لانه بلغنا انهم استضعفوا حالنا من اجل فقد حاميتنا بسطام ونريد ان نجمع حلفاءنا ونأتي بهم الى هذا المقام ونجد في خلاص سيدي من اسره ونجازي الذي امره بقتله وانطفاء ذكره فقال له عنتر ومن الذي امر سيدكم الذين تزعمون انه فارس الفرسان واشدهم في الضرب والطعان وانه حامية بلاد النعمان وسيد بني شيبان فقال العبد والله يا مولاي ما امره من له قدر ولا شان بل عبد من عبيد بني عبس وعدنان فقال له وما الذي اوصله الى عبد بني عبس وعدنان حتى وقع في الاسر والهوان فعندها حدثه العبد بحديث مالك ابي عبلة وما جرى له مع سيده بسطام وقص عليه قصته على التمام ثم قال لعنترة يا ابن الخالة من اين انتم ومن اي العرب تكونون فقال نحن من بلاد السكاسك والسكون وقد غضب علينا ملكنا ذو الاذعار فخفنا منه وهربنا واتينا الى هذه الديار قاصدين حماية سيدك الملك الجبار وانت الان من هذا الخبر قد اوقعتنا في الاياس ونخاف ان يطلبنا ملكنا فلا يحمينا احد من الناس فقال العبد يا ابن الخالة لو كنت اتيت اليه قبل هذه الايام لكان يعطيك الحماية والذمام وكان يشتريك من سيدك

ولو طلب في ثمنك سبعة جمال وتكون عنده من اعز الرعيان والخدام فتبسم عنترة لما سمع من العبد هذا الكلام ثم ذهب به الى باب المغار الذي فيه بسصام وقال له انظر هذا الاسير ان كان يشبه مولاك حتى نطلقه لاجلك وتعود به الى اهلك فلما نظر اليه خرس لسانه عن الكلام وعجزت رجلاه عن القيام وخفق فواده واشعر بان الذي يكلمه هو عنتر فعند ذلك قال يا مالك لا قرب الله دارك ولا ادني مزارك ما كان انحس يوم رايناك فيه فانه اشر ايام الدهر ولياليه ثم ان العبد بكى من فواد قريح وصار يقبل اقدام مولاه بسطام و يصيح فبادر اليه شيبوب وسد سد فاه وشده كتافاً ورماه عند مولاه ثم خرج وقصد ديار بني شيبان لينظر متى يكون رحيلهم من ذلك المكان واقام عنتر في انتظاره الى اخر النهار فما حضر ولا بان منه علم ولا خبر فخاف عليه من هذه الغيبة ان يكون قد وقع في ريبة و بينما هو على ذلك الحال واذا به قد طلع من بين تلك الرمال وهو يهمز همزات الغزال حتى وصل والدمع يجري من عينيه ولونه قد تغير مما جرى عليه فقال له عنترة ماذا جرى لك وما الذي غير حالك قال ان القوم قد اتاهم يد غالبة لا تدفع ولا تصد ولا تمنع فانهم كانوا قد عزموا على المسير وشدوا على كل ناقة وبعير وانا عزمت ان اعود اليك واعلمك بالخبر وقد بشرت نفسي بالفوز والظفر واذا بالبر قد امتلا مواكب وكتائب وسد الغبار المشارق والمغارب ودارت الخيل بالحلة من كل جانب والفرسان تنادي يا لتميم وقدامهم فارس كانه نار الجحيم وقد مال على بني شيبان فقتل الفرسان وقلع البيوت بما فيها من الاولاد والنسوان ونظرت الى عبلة بين النساء المسبيات وهي تساق في جملة البنات وسمعتها تنادي يا لعبس يا لعدنان اين الفارس الغيور على الحريم اين من يفعل فعل الرجل الكريم واغربتاه وا قلة ناصراه وا شوقي اليك يا ابا الفوارس اين عينك تنظر ماذا لقيت بعدك فلا اذاقني الله فقدك فلما سمع ابوها نداها حمل يطلب خلاصها فانقض عليه ذلك الفارس وخطفه من سرجه وحذفه الى وراء ظهره فتلقته منه العبيد وكتفوه وشدوا اطرافه حتى كادوا ان يتلفوه واراد ولده عمر ان يحامي عنه فانقض عليه وطعنه بعقب الرمح في صدره القاه على ظهره فانقض عليه بعض العبيد فشد كتافه واوثق سواعده واطرافه واخي يا ابن الام سمعت ذلك الفارس ينادي اني قد بلغت مرادي وحويت بدور منية فوادي فما عرفت حقيقة مرامه ولا من هي التي يعنيها بكلامه . قال الراوي فلما اعاد شيبوب على عنترة هذا الخبر فاض دمعه وانحدر وقال يا مالك لا نجاك الله من المهالك وهم ان يخرج من

الوادي و يتعلق باذيال المطامع فى اثر الاعادي واذا ببسطام يبكي وينادي واذلاه وغبينة الانسان من شماتة عداه والله ان ضربات السيوف الحداد اهون من شماتة الاعادي والاضداد فلما سمع عنتر منه ذلك ظن انه يتاسف على عبلة بنت مالك فدخل عليه وقال له ما بالك يا بسطام اراك تتحسر من شدة الهوى والغرام وتتأسف على سبي هولاء القوم اللئام فقال له بسطام لا والله لم يبق في قلبي من بنت عمك اثر ولا لي فيها ارب ولا وطر وما اسفي الا على هتك حريمي واعاقتي عن دفع غريمي وان لي اختاً اسمها بدور قد خطبها سادة بني قحطان وخطبها ايضاً جماعة من بني نبهان ولم اسمح بها لاحد من العربان وكان من جملة من خطبها قنعث بن غياث الذي اغار علينا فرددته خائباً وكرهت ان يكون لها بعلا وصاحباً اذ بلغني انه بخيل يا كل وحده و يحرم عبده فمضي وهو غضبان و بلغني انه صار يتوعد لبني شيبان ويقول لا بد لي ما اجمع عليهم العربان ولا شك ان هيبتي كانت تحمي منه هذا المكان و تحترمني العرب لاجل منزلتي عند الملك النعمان الى ان جرى معك ما جرى فاظنه قد سمع بقصتي فاغتنم الفرصة في غيبتي فانه هتك حرمتي وتحكم في اختي وشقيقتي التي كنت اغار عليها من نظر مقلتي ثم ان بسطام زاد في بكاه وتحسره وشكواه وقال يا ابا الفوارس بحق ذمة العرب مكن مني حسامك واعطني ذمامك واعلم اني قبل هذا اليوم كنت من اهل السطا والان قد اعترفت بالظلم والخطا ولو قتلتني لما لامك احد لاني انا الباغي الظالم فردني الله وانا خاسر نادم وان المرء لا يحمد و يثني عليه الا اذا احسن لمن اساه اليه وانت تعلم ان لك في هذه القضية اعظم سبب لان بنت عمك عبلة قد وقعت بين انذال العرب والقوم الذي تريد ان تخلصها منهم خلق كثير وجمع غفير وانت فريد وحيد ليس لك معين ولا ناصر ولا تقدر وحدك على مقاومة هذه العشاير فاجعلني لك مساعداً واتخذني معيناً وعاضداً فسر بنا من هنا حتى نجتمع بمن نصادفه من قومنا ونبذل نفوسنا لاطراف القنا لعل الله يبلغنا المنى . قال الراوي فلما سمع عنتر من بسطام هذا الكلام رق قلبه وتقدم اليه وقبله بين عينيه وسلمه ما كان له من السلاح وعاد الامر بينهما الى الصلح والصلاح فقال شيبوب لعنتر وهذا العبد السوء الا نقتله ونحل به الوبال لاجل ما سمعناه من غليظ المقال قال عنترة ويلك يا ابن السوداء انطلق السادات الاماجيد ونقتل العبيد ولا سيما ان بيننا و بينه نسباً في السواد فينبغي ان نحفظ معه المروة والوداد فتبسم بسطام لما سمع من عنتر هذا الكلام وقال له لله

دوك يا ابا الفوارس فقد كملت في كل الخصائل وجمعت كل المحامد والفضائل فاطلق شيبوب العبد وركب عنترة و بسطام الى جانبه كانه من اهله واقاربه وجعلا يتحادثان بعضهما مع البعض وشيبوب يجري قدامهما في فسيح تلك الارض وهما قاصدان الديار وقلوبهما متعلقة بما كان من الاخبار. قال الاصمعي ولم يزالا سائرين وهما يركضان حتى اشرفا على ديار بني شيبان فابصرا الديار خالية الابيات والقتلى مطروحة في سائر الجنبات فلما راى بسطام ذلك انهملت من جفونه العبرات وندم غاية الندم على مافات ثم امر عبده ان يذهب ويجمع له السالمين من فرسانه المنهزمين و يعلمهم بما جرى بينه و بين عنتر و يعرفهم انه عاد سالماً الى الديار وجاء يطلب الثار و يكشف عنهم العار قال وكان الذي جرى عَلَى القوم هو من قنعب بن غياث فانه كبس الحي في ثلاثة الاف فارس من بني تميم و رياح وفعل بهم هذه الفعال واسر الملاك قيس بعد ان اثخنه بالجراح ووضعت رجاله في بني شيبان عوامل الرماح وتركوهم اشباحاً بلا ارواح لان بني شيبان كانوا الف فارس فقتلوا منهم ثلثمائة واسروا مائتين وانهزم من سلم منهم الى الجبال والوديان وتشتتوا في كل جانب ومكان ولما علموا بقدوم بسطام قدموا عليه من جميع الاقطار وفرحوا بسلامته من الاسر والاخطار وقالوا يا امير ما نال منا العدو ما تمنى الا لغيبتك عنا . فقال يا بني الاعمام ان تدبيري كان غير محمود وعاقبة البغي عَلَى اهلها تعود ثم اخبرهم بما جرى له مع عنتر من الاتفاق وكيف اسره ومن عليه بالاطلاق فلما سمعوا ذلك الكلام طابت انفسهم بمصادقة عنتر واملوا بالنصر والظفر وساروا على اثر الاعداء حتى ادركوهم عند اقبال الظلام وكان قنعب قد نزل الى الراحة والمنام وامر بضرب الخيام وكانت السبايا الى ذلك الوقت على ظهور الجمال وصراخهن قد زلزل الجبال فقال بسطام الراي يا ابا الفوارس أن تبيت العدى وتصبحهم بالحرب غدا . فقال لا وذمة العرب ما نزلت عن ظهر جوادي حتى اخلص الحريم واكشف هذا العار العظيم واروي هذه الارض من دماء بني تميم وكان عنتر قد سمع صوت عبلة فعرفه فاشتعلت في فواده النار ولم يعد له جلد ولا اصطبار بل صاح وحمل وانصب عَلَى القوم انصباب القضاء المنزل وشيبوب يهتز في عراضه مثل البرق اذا خطف او الريح اذا عصف وحمل بسطام من الجانب الاخر وقد اشتد فواده وحملت خلفه فرسانه واجناده وكان بنو تميم قد هزأوا بهم عند اقبالهم ولم يعبأوا بهم ولاخطروا على بالهم ولما راوهم قد حملوا وضربوا في جوانبهم تصلبوا للقتال واخذوا معهم في الحرب والنزال وصار يطعن

فيهم طعناً يخرق الجبال و يضرب ضرباً يطير الجماجم الى ثلثة اميال واخوه شيبوب يحامي عنه وعن جواده بالنبال و يفرق ما بين يديه الى اليمين والشمال وبسطام ينادي ابشروا يابني تميم بشرب كاس الحمام فقد اتاكم عنتر و بسطام ودام الامر عَلَى هذا النسق حتى ارخى الليل سدول الغسق وراى قنعب جيشه قد تفرق وعدد رجاله قد تمزق فاخذه الوسواس والقلق وصاح في من معه وامره بتقديم جواده حتى يركب وقد زاد به الحنق والغضب واذا بخاله الاخضر بن جدعان قد اقبل وقال له يا ولدي اصبر وتمهل فهذا بسطام بن قيس ومعه رجال يقاتلون خلاف القتال الاول وقد قتلوا منا الى هذه الساعة اكثر من ثلثمائة فارس فاصبر حتى يصبح الصباح وننظر بما نتدبر ولا نخالط القوم في هذا الظلام فنخسر فقال قنعب يا خالي انت تعرفني اخاف من بسطام او من خوض الظلام حتى تفدني بهذا الكلام اما رايت فعلي قبل هذه الايام وهجومي على الاساد في الاجام قد بلي ياولدي وانا لااخاف عليك من بسطام ولكن من فارس رايته بين يدي بسطام وهو يحمل على الفرسان حملات الاسد و ينثر الجماجم نثر البرد فظننته من مردة الجان او من عفاريت سيدنا سليمان وانا يا ولدي قبل خروجي معك في هذه السرية اوصتني عليك امك وصية وقالت لي يا اخي لا تفرط في هذا الولد ولا تدعه يقاتل عبد اسود فقد رايت له حلماً وانا خائفة منه عليه واخشى ان تصل عاقبته اليه فقلت وما الذي رايت يا اختي لولدك وهو فارس قحطان وما سار قط الى مكان ورجع خسران قالت رايته وقد اصطاد صيدة واذا عقاب اسود قد انقض عليه واخذ صيدته من يديه فاراد ان يستخلصها منه فانقض عليه وخطف راسه من بين كتفيه وصار مثل الكرة في مخليه ورايته طائرًا به الى مكان بعيد وانا من ورائه اصيح وصياحي لا يفيد والان يا ولدي بعض المنام قد تصور عندي فان هولاء القوم قد هجموا الى ناحية السبايا والاموال ومعهم الاسود الذي يصطاد الرجال كما يصطاد الباشق افراخ الحجال وانا خائف عليك من هذا الحال . قال الراوي فلما سمع قنعب كلام خاله تبسم من مقاله وقال له يا خالاه وانا اصبر الى غد كما تريد واريك ما افعل ببسطام وبهذا العبد الذي هو اخس العبيد حتى تعلم ان فروسيتي ما عليها من مزيد و بعد ذلك امر الفرسان ان تدور بالسبي من كل جانب و يمسكوا عليهم من كل الطرقات والمذاهب . قال الراوي واما ما كان من عنتر فانه ما زال في حملته وهو يجندل الابطال حتى وصل الى الحريم والعيال وفعل بسطام فعال الشجعان هو ومن معه

من الفرسان وقد استولوا على اموالهم واجتمعوا باولادهم وعيالهم وقال عنتر لبسطام ادخل انت وحل اباك وقومك واقرباك واترك عمي مالك وولده في الاعتقال لان عمي خبيث الطبع رديء الفعال وان اطلقته اخذ عياله وهرب ونرجع معه الى التعب وانفذ شيبوب الى عبلة يطيب قلبها و يخفف رعبها واقام عنتر يحفظ المضايق من سارق او طارق . قال وكان مالك قد سمع صوت عنترة فقال لولده هذا صوت العبد الزنيم والليلة يفني بني رياح وبني تميم ونرجع معه الى الهوان والعذاب الاليم وما ادري كيف يقطع الفلا و يأتينا بالبلا فيا ليت الاعداء كانت سقتني شراب المنية ولا رايت تلك الصورة الشيطانية فقال له ولده لعل النوائب تلقيه بين هذه المواكب وتصرم لنا عمره وتكفينا شره قال و بعد ذلك وصل بسطام الى ابيه وعشيرته وحلهم من الكتاف بعد ما كانوا اشرفوا على التلاف وحدث اباه بما جرى له مع عنتر واطلعه على جلية الخبر ففرح ابوه واستبشر وقال يا ولدى ان هذا الانسان لا يوجد مثله في الزمان ولا نقدر ان نكافيه على ما صنع معنا من الجميل والاحسان والصواب اننا نعينه على ما هو فيه من ملاقاة العدى ونجعل ارواحنا لروحه فدى ونبذل جميع اموالنا بين يديه ولا نمن بها عليه ونكلف عمه ان يزف ابنته عليه و يعتذر من فعاله اليه وانا اقسم يا ولدي بحق البيت الحرام وزمزم والمقام انه لو كان يطيعني و يسلو بنت عمه عبلة لكنت زوجته اختك بدور التي هي احسن من البدور ولا اخذ منه مالاً ولا نوقاً ولا جمالاً ثم امر بحل بني عمه من الاعتقال وتركوا مالكاً وولده مربوطين بالحبال وعاد بسطام الى عنترة في الحال ليعينه على سهر الليالي وحفظ العيال وكان شيبوب وصل الى عبلة وطيب قلبها وحدثها بما فعل عنترة وسكن رعبها وأنزلها في ابيات الملك قيس عند ام بسطام ففرحت بها واكرمتها غاية الاكرام وقالت لها يا عبلة يكون لك مثل هذا الاسد وتهربين منه من بلد الى بلد فقالت يا حراير العرب اني وحق من في غيبه احتجب ما اهرب منه ولا اريد ان افارقه وانما ابي واخي قد ابغضاه ونحن لم نزل في الذل الى ان نراه . قال الراوي ولم يزالوا على ذلك حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فعندها ثارت بنو تميم و بنو رياح تطلب الحرب والكفاح وظهر الملك قيس في رجاله الذين كانوا مأسورين في القيود وهم يزمجرون كالاسود ولما رآهم عنتر قادمين ترجل وخدم الملك قيس بلطف وادب وقال يا مولاي ما كان يحتاج الامر الى هذا التعب وانا عبدك كنت ابلغك الارب فقال الملك قيس يا ابا الفوارس وحق ذمة

العرب وشهر رجب ما في بني شيبان اليوم الا من هو امين خونك وعتيق سيفك فقبل عنتر يديه وشكره واثنى عليه ثم عاد بعد ذلك الى جواده وراى بني تميم تريد الحملة فبادر اليها وسبقهم عليها وحمل على ميمنتهم وطعن فيهم طعناً يخطف البصر وضرب ضرباً لا يبقى ولا يذر وقال الملك قيس لولده بسطام يا ولدي ينبغي ان نبتدىء بالاعداء قبل ان يبتدوا بنا فاحمل وساعد الامير عنتر ولا تدعوا منهم من يخبر بخبر فاطاعه وحمل في الحال على الاثر . قال الراوي كان قنعب بن غياث في ذلك الوقت يلبس درعه وسلاحه وهو متكل على نفسه وقد عول ان يبارز بسطام وعنترة في مرة واحدة لكي يظهر لخاله شدة باسه وبعد ذلك استوى على ظهر جواده وحركه الى مقدمـة العسكر حتى يكفي فرسانه شر بسطام وعنتر واذا بعنترة قد حمل على يمينه وهو يدمدم كالاسد الزاير و يهدر كالجمل الفاطر وكان قد قتل الى حين التقى بقنعب خمسة وعشرين فارساً من بني تميم ورجع الى بني شيبان من خوفه على الحريم فصدمه في تلك العودة قنعب وقد لعب به الحنق والغضب وقال له ويلك يا عبد السوء اما سمعت بفعالي اما بلغك صفة قتالي حتى اتيت اليّ حتى تخلص بزعمك غنيمتي من يدي فوالله لاجعلن لحمك طعاماً للذياب ودمك شراباً للكلاب فقال له عنتر اما الغنيمة فمن اول الليـل خلصتها و باتت البارحة في ذمامي وتحت ظل حسامي فخذها انت اليوم يا سيد بني تميم من يد هذا العبد الذميم . قال الراوي و بعد ذلك اطبق كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه واصطدما والتحما وهمهما ودمدما وانعقد عليهما الغبار حتى اظلم ضوء النهار وتقدم خال قنعب في جماعته من بني تميم وقال لهم خذوا اهبة الحرب في هذا اليوم العظيم ففعلوا كما قال وتأهبوا للحروب والقتال هذا وقد اشتدت الاهوال وتزلزلت الاودية والجبال وتصايحت نساء بني شيبان خوفـاً من رجوعهنّ الى السبي والهوان وجرت دموع عبلة من الاجفان وصارت تنادي بالويل والاحزان خوفاً على ابن عمها عنترة من الهلاك وعلى نفسها من السبي والانهتاك وهي تنادي وا غربتاه واقلة ناصراه وا ذلاه ان اصابتك نوائب الزمان يا فارس عدنان وسمع ابوها واخوها نداها وهما في الاعتقال فقالا والله لا جمعنا بينكما ما دامت الايام والليال هذا وقد دام بين عنتر وقنعب القتال وابصرت الفرسان منهما الاهوال وكان بسطام قد حمل على الميسرة كما حمل عنتر على الميمنة وطلب الكفاح وقتل في حملته تسعة فوراس من بني رياح والتقى بمقدمهم عاصم بن وشاح واخذ معهُ في القتال ولكن ما طال بينهما المطال حتى

طعنه بسطام فالقاه ممدداً على الرمال وعاد الى ناحية عنترة يخب بجواده الى ان وصل اليه وقد خيم الغبار عليه فوقف ينظر واذا بصيحة زلزلت الاقطار وامتدت اليها الاعناق وشخصت نحوها الابصار وقائل يقول يا لعبس انا عنترة الجبار فنظروا واذا ابو الفوارس عنترة قد اقبل وفي يده راس قنعب كانه راس عفريت من عفاريت منفر وهو ينشد و يقول

اذا لم ارقِ صارمي من دمِ العدي ويصبح من افرنده الدم يقطرُ
فلا كحلت اجفان عيني في الكري ولا جاءني من نحو عبلة مخبرُ
انا الموتُ الا انني غيرُ صابرٍ على انفس الابطال والموتُ يصبرُ
اذا منادي الحرب نادى اجبته وخيل المنايا بالجماجم تعثرُ
سلِ مشرفيّ الهنداويّ في يدي يخبرك عني انني انا عنترُ
انا قابض الارواح بالقضب والقنا انا البطل الندب الهمام الغضنفرُ
اذا ما لقيت الليث عممت راسهُ بسيف على شرب الدما يتجوهرُ
الا فليعش جاري عزيزاً و ينثني عدوي ذليلاً يختشيني و يحذرُ
قهرت تميماً ثم جندلت ليثهم وعدت وسيفي من دم القوم احمرُ

قال الراوي ونظر خال قنعب مصرعه ومصابه فقال وحق ذمة العرب هذا المنام الذي راته امه وحسبت حسابه وفي عاجل الحال مزق ثيابه وصاح وحمل في من بقي من بني تميم على بني شيبان وحملت بنو شيبان وفي اوائلهما بسطام وقد اطلق العنان وقوم السنان وطلع على راس الطائفتين الغبار والقتام وتنكست الرايات والاعلام وصبرت الكرام وفرت اللئام هذا وعنتر قد حمى الطعن والعيال كما يحمي الاسود الاشبال وفعل افعالاً تشيب الاطفال حتى كلت منه المناكب والاوصال وكان بسطام قد ركب جواداً غير ذات النسور فقتل ذلك الجواد فصار يقاتل وهو راجل حتى كلت منه السواعد والمفاصل وتطابقب على عنترة الفرسان وصاح فيهم الاخطل بن جدعان وجعل ينادي ياويلكم يا بني تميم اشفوا فوادي من هذا الابيض الزنيم وفوزوا بالمال والحريم هذا وعنتر صابر لوقع المضارب وشيبوب يدور حول جواده من كل جانب و يرمي بالنبال في الصدور والترايب قال الراوي فبينما القوم على ذلك الحال واذا باربعين فارساً ظهروا من تلك الرمال متقلدين بالصفاح معتقلين بالرماح فداروا بعنترة وهم يقولون اتاك والله الفرج يا ابا الفوارس فابشر بالنصر على العدى وكن لميناً من اسباب الردى فنحن من بني عمك ومن لحمك ودمك

قال الراوي وكان هولاء الفرسان من بني عبس الاطايب والمقدم عليهم غياض بن ناشب وكان السبب في قدومهم ان عمارة بن زياد لما عاد منهزماً من قدام بني شيبان وعاد الى بني عبس بالذل والهوان دخل على اخيه الربيع واخبره بما تم عليه من ذلك الامر الفظيع فقال الربيع هذا الامر ما كان لي في حساب واني ما دبرت التدبير الصواب ولكن لا اقدر ان اعلم ما يحدث في الغيب من عروض الاسباب فدعه الان يا عمارة وانتظر له حوادث الايام لعلك تبلغ المرام فلما سمع عمارة هذا الكلام زاد في قلبه الاضطرام وفي عاجل الحال استدعى بغياض بن ناشب وكان يعد من الشجعان وكان بينه وبين عنترة حقد واضغان من حينما اخذ منه الغنيمة واشترى بها الجواد الابجر وحدثه عمارة بما جرى له في بني شيبان وما تم عليه من اجل عنترة وطلب من غياض المعونة عليه وان يقتفي منه الاثر وقال له يا ابن العم عسى ان يكون اجله قد اقترب على يديك واعطيك ما يسر خاطرك و يقر عينيك فاجاب غياض هذا السوال طمعاً منه في المال وسار بالار بعين فارساً حتى وصل الى بني شيبان ومن هناك اخذ اخبار بني تميم ففرح وقال عسى ان يكون قد ساعدنا الزمان ثم اجهد نفسه في السير على الاثر حتى اشرف في ذلك الوقت الذي ذكرناه على عنترة وابصره وهو يقاتل في بني تميم و يحامي عن العيال والحريم وقد دار به ذلك الموكب العظيم وهو ينادي باسم بنى عبس وعدنان و يفتخر بهم على العربان فانقلبت نية غياض في ذلك الوقت من البغضة والعناد الى المحبة والوداد وقال لاصحابه يا بني عمي ان النصرة لهذا الفارس الذي انشأ لنا فخراً بين العرب افضل مما يعطينا عمارة والربيع من الفضة والذهب فوالله لاعينن هذا الرجل المظلوم ولا ارتكب هذا الامر المذموم ثم حمل وتبعته رجاله وكشفوا عن عنترة فاتسع عليه مجاله ولم يزل يطعن في الصدور و يقطع الجماجم والنحور حتى ولت بنو تميم الادبار وار كنوا الى الهرب والفرار وتبعتها بنو ر ياح وهي لا تصدق بنجاة الارواح وعاد عنترة و بسطام وغياض بن ناشب يخبره بما فعل له عمارة من الاكرام و كيف وعده بالمال والنوق والجمال وقال له في اخر كلامه والله يا ابا الفوارس لا سرت في هذا اليوم الا في صحبتك واكون انا ورجالي في خدمتك فشكره على ذلك عنتر ووعده بالحظ الاوفر وساروا حتى وصلوا الى الظعن فتلقتهم الاكابر والسادات والنساء والبنات وجعلوا يشكرون عنترة و يثنون عليه بكل شفة ولسان ثم نهضوا طالبين ارض بني شيبان الى ان وصلوا الى ارضهم وضر بت لهم المضارب والخيام وسرحت الخيل والجمال والاغنام وضرب الملك قيس لعنترة بيتاً بجانب ابياته وانزل فيه عبلة وامر امراته ان تجعلها كاحدى بناته ثم اخذ في اصطناع

الطعام وتصفيف المدام وعمل لعنترة وغياض مائدة عظيمة لها قدر وقيمة وكان مالك قد تقدم الى عنترة وبكى بين يديه واستعبر وطلب الصفح واعتذر فقال له يا عماه ان الصفح من الكرام كما ان الغدر من شيم اللئام والان قد مضى ما مضى فلنرجع الى حال السلامة والوفا وبعد ثلاثة ايام قال له يا عم ان الضيافة فرغت وانقضى الزمان وقد ثقلنا على القوم فاعزم بنا على الرحيل الى الاوطان فقال له اعلم يا ابن اخي ان ما بقي لي وجه ان ارجع الى بني عبس ولا بد ان ينحط شاني اذ لم يحضر احد من اولاد الملك زهير يترضاني والراي عندي يا ولدي انك تمضي الى الديار وتخبر الملك زهير بما صار وتطلب منه ان يرسل بعض اولاده الى الملك قيس ابن مسعود لكي يترضاني و يطلب عودتي الى الديار فارتضي واعود وان كنت لا تثق بقولي فخذ بنتي عبلة معك ودعني انا واخاها هنا حتى يتم الامر فتتبعك واشهدوا عليّ يا سادات بني شيبان انني زوجته بنتي عن يقين وهذه يدي لك قدام الحاضرين فاجابه الى ذلك المرام واشهد عليه الملك قيس وولده بسطام ثم ودعهما وسار يقطع الجبال والوديان طالباً ديار بني عبس وعدنان ودام على ذلك السير ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ظهر عن يمينه غبارٌ كانه قطع الغمام ثم انكشف عن فرسان ينادون يالضباب والمقدم عليهم عمرو بن شهاب وهو قد سار في الف فارس من ارض بني قحطان طالباً ارض بني عدنان ليغير على بني عامر ابن غطفان فاتفق انه التقى بعنترة في ذلك المكان فنادى على قومه بالله عليكم ايها الفرسان اشفوا قلبي من هذه الشرذمة فانها من بني عدنان لانني اذ قد وصلت الى هذا المكان لا بد لي ان اقلع اثر من فيه من العربان فعند ذلك انفرد منهم مائة فارس وطلبوا بحملتهم ابا الفوارس فلما راى قصدهم اليه وانصبابهم عليه قال لغياض بالله عليكم لا تقاتلوا معي في هذه النوبة بل احموا ظهري حتى اريكم كري وفري ثم استقبل اولئك الفوارس بوجه مثل وجه الاسد العابس وقوم اليه سنان رمحه الخطار كانه شعلة نار . قال وكان احد الفرسان قد سبق اصحابه وقوم سنانه وارخى عنانه فما خلاه عنترة يصل اليه حتى طعنه بين ثدييه فاخرج السنان من بين كتفيه وادرك الثاني بطعنة في صدره فانفذها من ظهره وصرخ في اصحابه وتلقاهم بطعن يذهل الام عن اطفالها واللبوة عن اشبالها فلم تكن الا ساعة حتى انكشف الغبار عن ثلاثين فارساً مقتولين وسبعين منهزمين ولما راى الملك عمر ما جرى اردفهم بمائة اخرى فحملت المائة الثانية على عنترة وطلع عليهم الغبار الاكدر فاستقبلهم وحمل عليهم بقلب اقوى من الحجر وهاج عليهم كما يهيج البحر اذا زخر فانطبقوا عليه وداروا حوله كالسلاهب وحاطوا به من كل جانب وهو يطعن

فيهم ذات اليمين الشمال و يزعق عليهم زعقات تزعزع الجبال ولم يزالوا على ذلك الى نصف النهار حتى انكشف عن رؤوسهم الغبار واذا بعنترة يصول عليهم وقد قتل منهم تمام السبعين جمل الباقي منهزمين فعند ذلك اشتعلت النار في قلب الملك عمر وخرج من تحت الاعلام واشار الى قومه بالحملة على عنترة فحملوا جميعاً الى حومة الميدان وداروا بعنترة من كل مكان فاستقبلهم بقلب اقوى من الصوان وحمل معه غياض ومن معه من بني عبس وعدنان وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام واخذوا في الكفاح والصدام حتى خيم عليهم الغبار وحجبهم عن الابصار فما كنت ترى الا راساً طائراً ودماً فائراً وجواداً غائراً ونصالا تلمع تحت ظل الضباب مثل زرق النجم تحت السحاب هذا وشيبوب قد دار حولهم كاللولب وهو يرميهم بالنبال فيصيب بها مقاتل الرجال و بينما هم على ذلك الحال التقى الملك بعنترة فاخذ معه في القتال وجرى بينهما حرب تشيب الاطفال وما زال عنترة معه في الكفاح ساعة من النهار حتى لاحت له فرصة فابتدره بضربة من سيفه البتار واذا براسه قد طار فوقع الى الارض يختبط بعضه في البعض ومن بعده وقعت الحمدة على بني الضباب وطلبوا رؤوس الروابي والهضاب وهم يبكون على ملكهم عمر بن شهاب ونزل عنترة واصحابه في ذلك المقام لاجل الراحة واكل الطعام الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فامر عنتر اخاه ان يجمع الخيل المتروكة والسلاح وقال لغياض هذه الغنيمة لكم وهي اكثر مما وعدكم به عمارة بن زياد وازدد ثم عليها الصالح والوداد يا عنترة بن شداد فضحك غياض لما سمع ذلك الكلام من عنترة وقد فرح واستبشر وقال والله يا ابا الفوارس لا عدت فارقتك في سفر ولا في حضر وبعد ذلك ركبوا وساروا يطلبون الديار وعنترة قدامهم كالاسد الهدار الى ان قاربوا الحي فانفذ عنترة اخاه يخبر بقدومه اباه شداد وعمه زخمة الجواد وشاع في الحلة الخبر بقدوم عنترة ففرحت اصحابه واصدقاؤه وانخذلت حساده واعداؤه وكان ذلك اليوم عند الملك زهير واولاده من اعظم الايام لانهم كانوا قد خافوا عليه اذا انقطعت عنه الاخبار والاعلام ولما علموا بقدومه وركبت الخيل الى ملتقاه وركب الملك زهير وخرج وهو لا يصدق ان يراه وكان خروج الملك ذلك الى عنترة في موكب عظيم وخلق جسيم فالتقاه على بعد من الديار وهو في غاية الفرح والاستبشار ولما تقارب بعضهم الى بعض ترجل عنترة الى وجه الارض ومشي الى بين يدي الملك زهير وخدم ودعاله بدوام العز والنعم قال الراوي فتلقاه الملك زهير بالبشاشة والاكرام وسلم عليه احسن السلام ثم امره ان يركب جواده واخذه الى جانبه وسار يساله عن سفرته و يهنيه بالعودة الى اهله وعشيرته

يحدثه بجميع ما تم له في بني شيبان وما جرى بينه و بين عمه مالك من العهود والايمان حتى وصل الى حديث عمه وقوله اني لا اعود ما لم يحضر احد و يترضاني ليرتفع قدري وشاني فقال الملك زهير اعلموا يابني عمي ان الرجل قد ندم على افعاله وذاق طعم الغربة لانها معادلة للامر واثقاله ولو امكنه كان عاد لكن خاف من شماتة الاعادي والحساد وانه والله قد افتقد موضع الافتقاد والراي عندي اننا نبلغه المراد حتى نقضي مع ابن عمنا عنترة برهة من الزمان ونروي اشواقنا منه بعد هذه الغيبة من الاوطان ثم ساروا حتى نزلوا في الابيات وعملوا الولائم والدعوات وضج الحي بالافراح من سائر الجهات وكان معهم في هذه الوليمة كل من في الحلة الا بني زياد ومن يوافقهم من الاعادي والحساد فان قلوبهم كادت تنفطر من رجوع عنترة وعاتب عمارة غياض بن ناشب ونال له و يلك ياغياض ارسلتك الى عدوي لتأخذ منه ثاري وتطفي لهيب ناري ولما وصلت اليه انقلبت نيتك وصرت من حزبه انت ورفقتك فقال غياض اي والله يا عمارة ان عنتر يستاهل الفدى بالاموال والارواح لاجل ما فيه من المروة والسماح ثم لوى وجهه عن مخاطبته وتركه يتوهج بحسرته قال الراوي و بعد ذلك ثم راي اولاد الملك زهير ان يسيّروا مع عنترة بن شداد لكي يتراضوا عمه مالك بن قراد واخذوا في الاهتمام والاستعداد فبينما هم على ذلك الحال وقد عزموا على الترحال اذا بعبد اسود قد اقبل بين الروابي والكثبان من ناحية ديار بني شيبان فلما وصل سال عن عنترة فهدوه اليه حتى اوقفوه بين يديه فقال يا مولاي سيدي بسطام يسلم عليك و يقبل يديك و يقول ان عمك فد فعل فعل اللئام وما اقام بعد رجوعك من عندنا الا ثلثة ايام وفي اليوم الرابع طلبناه فما وجدناه وسالنا عنه فما وقعنا له على خبر ولا وقفنا له على اثر وهو الان قد ارسل الرسل يكشفون خبره ليعلم اين هو نازل من احياء العربان و يعلمك بالخبر اليقين ويكون في خدمتك هو وجميع بني شيبان فلما سمع عنترة من العبد ذلك الكلام صار الضيياء في عينيه ظلام ومضى الى الملك زهير واعلمه بالخبر فاغتم لذلك وتكدر وقال لا باس يا ابا الفوارس كن طيب القلب والنفس فاننا لا بد ان ندركه ولو وصل الى مغرب الشمس فقال عروة بن الورد وقد اظهر النصيحة لعنترة و يلك يا عنترة كم تطلب من لا يطلبك وترغب من لا يرغبك فاسمع مني وازهد في من هو فيك زاهد وارح نفسك من هذه الشدائد ولا تقبح على مواليك الذين تربيت بين حريمهم واولادهم فما يكون جزاءهم منك الا التشتيت عن اوطانهم و بلادهم فقال عنترة والله يا عروة انك تتكلم بلسان ناصح من قلب شامت كاشح فسوف ترى كيف تدور الدوائر على

اهل الغدر والعنادوماذا يصيب الاعادي والحساد فقال الملك يا ابا الفوارس طب نفساً وقر عيناً فما بقي لعمك خصمٌ الا اناوسوف ترى ما افعل به من الانتقام حتى تبلغ المنى قال الراوي وفي ذلك الوقت انقلبت الافراح الى ابيات بني زيادوانقلب الحزن الى ابيات بني قراد وكان كلام عروة على عنترة امرٌ من ضرب الحسام واشد من وقع السهام فقال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام اما سمعت كلمات عروة المرة ورايت افعاله معي المرة بعدالمرة فاجعل عينك عليه اذا اطلع من الحلة حتى اطلع خلفه واشفي فؤادي منه قبل ان اسعى في طلب عبلة فقال شيبوب السمع والطاعة انا ارصده من هذه الساعة . قال الراوي ومن عجيب الاتفاق ان عروة له اخت تسمى سلمى ام حسان وكانت متزوجة في بني غطفان وكان عروة يحبها و يزورها في اكثر الاوقات واتفق ان عروة خرج يزور اخته في تلك الايام فعلم به شيبوب واعلم اخاه عنترة فطلع خلفه يريد له الهلاك واكمن له خلف جبل هناك وكان عنترة قد سبق فانتظره حتى يعود لما في قلبه عليه من الضغاين والحقود واما عروة فلما وصل الى بني غطفان وجد اخته متغاضبة مع زوجها وقد اوقعها بالذل والهوان ولما رات اخاها بكت في وجهه وشكت حالها اليه واعادة قصتها عليه وقالت له يا اخي بحرمة الاحشاء التي تربينا فيها ، ردني الى ديار قومي واجعلني من بعض عيالك او من جملة الصعاليك الذين تنفق عليهم اموالك ودعني اعيش عندك عزيزة جليلة ولا اعيش في غير وطني مقهورةً ذليلة وزادت في وجهه النحيب والبكاء حتى حركته النخوة العربية والحمية الجاهلية فعند ذلك ركب جواده واجلسها في هودجها واخذ بزمام ناقتها وسار وهي لا تصدق ان تصل الى الديار وما زال سائراً حتى وصل الى الجبل الذي عنترة مكمن فيه وقد اتاه الامر كما يشتهيه واذا بعشرة فرسان سوابق وقدامهم فارسٌ طويل في تقاطيع النيل وجواده قد اقلب البر بالصهيل ولما راى الناقة والهودج صاح الاما ابركها صباح وعدل الى عروة وقال له ويلك من تكون من الفرسان والى من تنتسب من العربان فقال يا ويلكم انا عروة بن الورد العبسي الذي اقري الصعاليك بمالي وابذل دونهم نفسي فاغدوا في طريقكم والا تحرموا توفيقكم فلما سمع الفارس ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال مرحباً بك يا ابا الابيض هل تعرفني وانا لي عندك غرض فقال عروة ليس لي بك معرفة يا اخا العرب ولا اعرف ان لك عليَّ طلباً فقال له انا قيس بن جدعان وانت يا عروة قتلت لي اخاً من افرس الفرسان وكنت انا غائباً في بعض غزوات العربان والان قد التقيت بك في هذا المكان فلا بد لي من طلب الثار لكي اكشف العار واخمد ما بقلبي من النار ثم بعد

كلامه صال وجال وطلب القتال وهو يهدر كفاطر الجمال فتاهب عروة لقتاله واخذ معه في الضرب والطعان والكر والجولان حتى انعقد عليهما الغبار واحتجبا تحته عن الابصار وكان عنترة ينظر اليهما من الجبال وينتظر ان يرى كيف ينتهي بينهما الحال فما كانت الا ساعة من الزمان حتى سطا قيس على عروة وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعنه بعقب الرمح في صدره فاقلبه على ظهره وتقدم اليه بعض الفرسان فشده كتاف واوثق منه السواعد والاطراف وتقدم قيس واخذ بزمام الناقة وابركها وكشف الهودج فراى سلمى فقال يالها من طريق ما ابركها والتفت الى اصحابه وقال لهم اضربوا لي خيمة في هذا المكان حتى انزل فيها واتمتع بجمال ام حسان وبعد ذلك اقتله واخذ بثاري واكشف عني عاري فعندها صاحت اخت عروة وافضيحتاه واقلة رجالاه يالعبس يالعدنان اين انتم عن جاريتكم التي وقعت مع هذا الكشحان . قال الراوي فلما سمع عنترة هذا النداء وقد كان لها ولاخيها من جملة الاعداء فحركته الهمة العربية والنخوة الجاهلية فهبط من الرابية وتقدم الى الخيل ونزل عليها نزول السيل ونادى باعلى صوت لبيك يا ابنة العم ابشري بزوال الهم فقد استجاب الله نداك وبعثني الى حماك . قال الراوي فلما سمع قيس من عنترة هذا الكلام صرخ في وجهه صرخة الاسد الهجام وحمل عليه وهو يصول فلم يتركه عنترة يجول حتى ضربه بالضامي فاطار راسه كحجر المنجنيق واطبق على الخيل التي معه وهو يهدر كالفنيق فقتل ستة فرسان وهرب الاربعة وهم يقولون نعوذ بالله من شر هذا الشيطان وبعد ذلك عاد عنترة الى عروة فسلم عليه وحل وثاق يديه وترك عقال رجليه فعند ذلك انزلت سلمى من هودجها وتقدمت اليه والقت نفسها على قدميه وصاحت لله درك من فارس ناصر فلا خلى الله منك العشاير . قال الراوي وعاد عنترة بعد ذلك الى عروة وقال له يا عروة ما برئ قلبي من كلامك ولا خرجت من الحي الا لاسقيك كاس حمامك وانما الزمان اتى بشيء ما كان في الحساب ولما رايتك في هذه الحالة نسيت جميع ما اضمرت لك من العذاب ولما رايت حالة اختك سلمى صعب علي هتك سترها بعد الحجاب فبكى عروة بين يديه وانتحب وقال العفو منك يا فارس العرب واريد ان تقبل مني التوبة وتتخذني صديقاً بعد هذه النوبة وان رايت مني ما لا يسرك من القول والفعال فدمي لك حلال وكذلك اخته سلمى تقدمت اليه وقبلت يديه ورجليه ولم تزل تساله فيه وتتذلل لديه حتى حل قيده من رجليه فقال له عروة والله ان مثلك لا يوجد في الانام ولا تسمح بمثلك الايام والله لا سرت الا بين يديك ولا تروح روحي الا بين قدميك . قال الراوي فشكره عنترة

عَلَى ما ابداه من الكلام وعاد معه الى القبول والاكرام وبعد ذلك جمعوا اسلاب القتلى وخيلهم التي كانت مبددة في الفلا وعادوا راجعين الى الديار واذا هم باعرابي يهيم ويخب في ذلك البر كانه ظليم فلما رآه عنترة قال وحق ذمة العرب لا بد لهذا الاعرابي من سبب واقول انه من بني شيبان اتى يعلمنا بنا جدّ لعمي من الشان فاسرع يا شيبوب اليه واتبع اثره واحضره حتى نعلم خبره فانطلق شيبوب مثل الريح المبوب حتى لحق ذلك الاعرابي وصرخ عليه وتقدم حتى صار بين يديه فتعجب الاعرابي من سرعة عدوه في ذلك البر الاقفر وهو كانه ذكر النعام اذا انفرد فقال له شيبوب يا ابن الخالة اراك حائداً عن الطريق فلمن انت قاصد ومن اين انت وارد فقال اعلم يا وجه العربان اني من بني شيبان وقاصد عنترة في بني عبس وعدنان اعلمه ان خبر عمه قد ظهر لان العبيد الذين ارسلهم سيدي بسطام يقتفون مَن مالك الاثر عادوا الى مولاي واعلموه انه في بني كندة وقد ارسلني بهذه البشارة الى عنترة و بينما هما في الكلام اذا عنترة قد وصل وسال الاعرابي عن قصته فقصها عليه من اولها الى آخرها واطلعه على باطنها وظاهرها قال له في اخر الكلام سيدي يسلم عليك و يقول لك ان اردت يحضر اليك بطائفة من بني شيبان و يكونون لك من جملة الانصار والاعوان . قال الراوي هذا وشيبوب قد انطلق طالباً ارض بني كندة واخوه عنترة على اثره وقد اراد الانفراد والوحدة فسار وقد هاجت الى عبلة اشواقه وسالت بالدموع اماقه ثم جاش الشعر في خاطره فباح بما انطوى عليه مكنون ضمائره وانشد يقول

لمن طللٌ بالرقمتين شجاني	وعاثت به ايدي البلى فحكاني
وقفت به والشوق يكتب اسطرًا	باقلام دمعي في رسوم جناني
اسائله عن عبلةٍ فاجابني	غرابٌ به ما بي من الهيمانِ
ينوح عَلَى الفٍ له واذا شكا	شكا بنحيب لا بنطق لسانِ
ويندب من فرط الجوى فاجبته	بحسرة قلب دائم الخفقانِ
الا يا غراب البين لو كنت صاحبي	قطعنا بلاد الله بالدورانِ
عسى ان نري من نحو عبلة مخبرًا	باية ارض او باي مكانِ
وقد هتفت في جنح ليل حمامة	مغردة تشكو صروف زمانِ
فقلت لها وكنت مثلي حزينة	بكيت بدمع زايد الهملانِ
وما كنت في دوح تميس غصونه	ولا غضبت رجلاك احمرقاني
ابا عبل لو ان الخيال يزورني	على كل شهرٍ مرّةً لكفاني

فان غبت عن عيني يا ابنة مالك   فشخصك عندي ظاهر لعيان
غدًا تصبح الاعداء بين بيوتكم   تعض من الاحزان كل بناني
فلا تحسبوا ان الجيوش تردني   اذا جلت في اكنافكم بحصاني
دعوا الموت يأتيني على اي صورة   فاني اريه موقفي وطعاني

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذه الابيات سار هو وشيبوب يقطعان البر والفلوات الى ان وصلا امياه عطبول وعولا هناك على النزول واذا بغبرة من خلفهم قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبان من تحتها فرسان سائرة على عجل والغبار على رؤوسهم قد انعقد وتسطل فوقف عنترة واخوه ينظران اليها وقد تاهبوا للحملة عليها واذا بها قد انكشفت عن مائة فارس بالحديد غواطس وبين ايديهم فارس شديد كانه البرج المشيد فحقق النظر اليهم عنترة واذا هم من بني عبس وعدنان والمقدم عليهم عروة بن الورد وقد اتى خلف عنترة مكافاة لما فعل معه من الجميل والاحسان لانه لما فارقه ما زال سائرًا الى ان وصل اخته الى الديار وجمع من له من الرجال والانصار وقال لهم اعلموا يا بني عمي انه ما كان احد ابغض الي من عنترة والان هو عندي اعز من السمع والبصر لانه خلص اختي من السبي والانهتاك وخلصني من الهلاك بعد ما قبحت عليه الف مرة وطلبت له الهلاك واريد ان اكون انا وانتم من جملة اصحابه واينما سار سرنا في ركابه لانه رجل بالسعد مسعود وعدوه مقهور مكمود وانا اعلم اننا اذا سرنا معه وصاحبناه صرنا تحت كنفه وحماه وان هذه القبيلة لولاه ما ارتفع لها راس ولا ابتنى لها من المجد اساس وقد فارقته وهو سائر وحده الى بني كندة لكي يخلص ابنة عمه وينزل عليهم البلا والشدة وقد حدثته نفسه ان يخرب ديارهم و يقلع اثارهم لاجل انهم اجاروا عمه مالكًا ومن كان في مثل هذه الشجاعة والقوة لا يجوز ان تتخلى عنه بنو عمه حتى يقع في المهالك لانه يصطلي نار الحرب لنفسه ولا يتخلى عن ابناء جنسه فاطاعوه جميعًا على ما يريد وتحالفوا انهم يكونون لعنترة مثل العبيد ومن يومهم تاهبوا للمسير وخرجوا الى ظاهر الحي على ذلك التدبير واتفق ان عمارة بن زياد علم بالحال وان عروة بن الورد سائر من الحي في من له من الرجال فخرج عمارة اليه وتذلل بين يديه وقال له الى اين تذهب يا ابا الابيض وانا لك في الانتظار حتى تقلع من ذلك العبد الاثار وتخلي منه الديار لانه قد فقد من الحي من ثلاثة ايام وانا اقسم باعظم الاقسام ان عاونتني انت ورجالك عليه اعطيك ما تريد من المال والانعام فقال عروة والله يا ابن العم ليس عندي منه خبر وانا سائر الى اليمن فان لقيته بذلت في هلاكه المجهود وقلعت

منه الاثر قال عمارة واحسرتاه على صحة هذا المقال فوحق ذمة العرب ان بشرتني بهلاكه اعطيك كل ما املك من المال وافضلك على جميع من لي من الرجال فقال له عروة ابشر فلا يكون الا ما تريد واكون انا لك في هذا الامر اطوع من العبيد ٠ قال الراوي و بعد ذلك سار عروة في اثر عنترة ولم يزل هو ورجاله سائرين في ذلك البر الاقفر حتى لحقوا عنتر وقدامه شيبوب وهو يجري مثل ريح الجنوب فلما وقعت العين على العين في تلك الارض دنا بعضهم من البعض فقال عنترة يا ابا الابيض نحن ما عملنا شيئاً يوازي اعمالك حتى اتعبت نفسك انت ورجالك فقال عروة يا ابا الفوارس ما بقينا نفارقك ولا نعتمد الا عليك ولا نتوجه الى مكان الا ونحن بين يديك فتقدم عنترة اليه واعتنقه وقبله بين عينيه وشكره واثنى عليه وفعل ذلك مع بقية الرجال ووعدهم بالغنايم والاموال ثم ساروا وقد تمادت عليهم الطريق واشتعلت الشعاب من وهج الحريق فقال عنترة لاخيه ويلك ياشيبوب اذهب قدامنا واكشف لنا هذا البر الاقفر وانظر هذه الارض الى اين تسلك وارجع الينا بجلية الخبر فقال شيبوب السمع والطاعة وانطلق في الحال والساعة فما غاب الا شيئاً يسيرا وعاد اليهم مثل الطير الذي يطير فقال عنترة ما الذي رايت ونحن في اي مكان قال له نحن في ارض بني غيلان وهي شديدة الحر كالنيران والماء عنا من الجانبين بعيد والوصول اليه صعب شديد فلما سمع عنترة من اخيه ذلك الكلام التفت الى عروة وقال له انزل انت ورجالك حتى امشي انا واخي شيبوب ونكشف هذه البراري والقيعان فقال عروة نحن احق بهذه الخدمة انا ومن معي من الفرسان قال عنترة والله يا ابا الابيض انا اولى بمثل هذه المهمات فانني عبد وانتم السادات قال له لا والله يا ابا الفوارس انما انا عبدك وعتيق سيفك ولذلك اخجل من هذا الكلام وطاعة لامرك اقيم في هذا المقام فاخذ عنتر شيبوب بين يديه وتبطن تلك القفار ولم يزالا يجدان المسير الى نصف النهار فما وقعوا باحد في تلك الديار فقال عنترة ويلك يا شيبوب انا كنت اعهد هنا غديراً فتقدم بنا اليه لعلنا نعثر عليه فما سار الا قليلا حتى اشرفا على ذلك المكان واذا هو واد اخضر فيه اشجار باسقه وغدران دافقة واطيار ناطقة ـ قال الاصمعي فلما دنا عنتر من ذلك الماء الخرار واراد ان يستظل بظل تلك الاشجار سمع رجلاً خفي الانين يتاوه من قلب حزين وقائلاً يقول قاتلك الله يامالك ولا نجاك من المهالك فلما سمع عنتر ذلك الكلام سكر من غير مدام و بقي كانه في منام ووقف يسمع وقلبه يتقطع واذا هو

بصوت اقوى من الصوت الاول ورفع وصاحبه يتاوه ويتوجع وينشد ويقول

يــا امّ داوي كبدي ... بالماء من حرّ الظما
وابكي عليّ انني ... قد ملّ جسمي السقما
قد كان دمعي منجدي ... واليوم قدْ صارَ دمــا
وزاد جسمي سقماً ... وذاب قلبي الما
حمامة الوادي اهتفي ... وساعدي المتيما
نوحي عليّ واسعفي ... على بلاءي ماتمـا
بحرمة العهد الذي ... حفظت فيه الذمـا
ان سالتكِ عبلة ... قولي لهــا قد عدمـا
واليوم يقضي نحبه ... شوقاً الى ذاك الحمى
يــا عبلَ ماخلى الهوى ... من رسم جسمي علمـا
والجسم مني قـدْ وهى ... والصبرُ مني انصرمـا
لما رايت عبلةً ... مسبيةً سبي الاما
لكن بهذا قد قضى ... في حكمهِ ربُّ السما

قال الراوي فلما سمع عنترة ذلك الكلام غرق في بحار الاوهام والتفت الى اخيه وقال له ويلك ياشيبوب هل نحن في منام ام اضغاث احلام والله لقد احرق فوادي سماع هذا المنادي ولا بد ما اكشف خبر هذا الوادي ثم حرك جواده وطلب ذلك النهر فراى على جانبه امةً سوداء كانها الليل اذا اعتكر وبين يديها غلام يشابهها في الزي والمنظر وهو تارةً يغمض بعينيه وتارةً يشير بيديه والامة قاعدة الى جانبه تبكي عليه وهي تقبل عارضيه وبين عينيه فتقدم اليه عنترة وقال يا امة الله انتم اي الناس وما بال هذا الفتى خامد الانفاس ولا يسمع مقالاً ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً فقالت له الامة والله ياوجه العرب ما كانت هذه الصفة صفته ولا الحالة حالته وما كان الا فارساً من الفرسان المذكورة وبطلاً من الابطال المشهورة وانما غدرت به الايام وتواترت عليه الاسقام حتى وصل الى هذا المقام فقال ومن يكون هذا الغلام وما جرى عليه من الاحكام فقالت هذا يقال له عنترة بن شداد وانا امه واسمي زبيبة وامورنا عجيبة غريبة وانا اشرح لك بعضها وابين ابرامها

انتهى الجزء التاسع من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء العاشر

الجزء العاشر

من سيرة

عنترة بن شداد

من نقضها وذلك ان اباها سباني من بعض الاحياء واوقعني في الصحراء فعلقت منه بهذا الولد ووضعته في ابياته ما بين اهله واموانه وربيته حتى كبر وصار يقدر ان يسعى فاخرجته معي الى المرعى فصار يركب الخيل ويخوض بها في النهار والليل حتى اعطاه الله القوة والحيل ورزق التوفيق والسعادة باذن صاحب المشيئة والارادة فكبرت نفسه على رعي الجمال وصار يغزو احياء العرب وينهب الاموال و يزعزع العرب من اماكنها و يشتتها عن مواطنها وما زال على هذا الحال حتى نزل عليه القضاء وعشق بنت عم لهُ يقال لها عبلة وهي التي نزل على قلبه من اجلها هذه الدبلة وكان يخدمها كما تخدم العبيد بنات سادات العرب فلما ظهرت نجابته الحق نفسه بالنسب وطمع ان ينال من زواجها الارب فصار يتقرب الى قلب ابيها بكل ما يقدر عليه من الهدايا والاموال و يخلصهُ من كل ما يقع فيه من الاهوال حتى ازوجه بها ولكن على سبيل المكر والمحال وصار ولدي يغير على احياء العرب و يبذل له ما يقع في يده من الفضة وعمهُ يهرب بابنته من مكان الى مكان حتى وقع به فارس العرب المذكور و بطلها المشهور يقظان بن جياس بن مزاحم صاحب الوقائع والملاحم فقتله واخذ عبلة منه وهو مقيم في هذا الوادي الذي اختاره وطناً واتخذه لنفسه سكناً فبقي ولدي هذا يهيم في القفار و يقتفي منه الاثار حتى انحله هواها وهو يطلب ان يملك نفسه مناها وقد عرف ان عمه قتل وان هذا الجبار اخذ بنت عمه وسباها فبقى عندي وهو مطروح يبكي عليها و ينوح ثم حمله الهوى والهيمان حتى طلبها وسعى خلفها الى هذا المكان وقد وصلنا الى هنا وانا انهاه وهو لا يسمع وارده فلم يرجع وما زال حتى رمى نفسه على هذا الغدير وقد اهلك نفسه من كثرة الحزن وقلة الاكل والمنام ولنا ثلاث ليال في هذا المقام لم يذق الطعام وهو لا يقدر على الدخول الى هذا الجبار ولا انا اقدر ان ارده الى الديار و بقي طريحاً كما

تراه وقد اشرف على الهلاك من مكر عمه ودهاه

قال الراوي فتعجب عنتر من هذه القصة العجيبة والمشابهة الغريبة وقال و يلك يا شيبوب انظر هذه الامة كانها الا امنا زُبيبة ولكن اسأَلها هل لها ولد اسمه شيبوب قالت ليس لي الا هذا الحزين المكروب · قال وكانت قصة هذا الغلام مثل قصة عنتر ولكن عنتر كان اقوى منه واقدر واحمل للبلايا واصبر وكان له سعد وتوفيق بامر القضاء والقدر هذا وان عنترة لما سمع هذا الكلام رق قلبه لشكواها وعزم على كشف بلواها فقال لها يا مولدة العرب والآن اين الذى سبي عبلة بنت عم هذا الغلام وفعل معكم فعل الاوباش اللئام قالت له يا ولدي انه في هذا الوادي مقيم ونحن علَى غاية الخوف العظيم لانه لو كان يظهر من الوادي و يرانا لكان قتلنا وشرب دماءنا فعندها أَلوى عنان جواده الابجر وهو على ملاقاة هذا الفارس يتحسر وشيبوب بين يديه كانه الذئب الاغبر وكان هذا الفارس جباراً من جبابرة العرب وفتاكها الذين لا يسترون حرمة ولا يرعون ذمة لا يعرف الا سفك الدماء وهتك المخدرات وارتكاب الفجور وخطف البنات من الخدور وما له همٌّ الا مالٌ ينهبهُ او فسق يرتكبه او زق خمر يشربه او فارس يعجل عطبه و ياخذ سلبه وهو لا يصغي الى مقال ولا يسمع ملامة العذال ولا يرجع عن هذه الفعال وهو الذي كان السبب في خراب تلك الارض وفرار اهلها الى رؤُوس الجبال خوفاً على الحريم والعيال لانه كان يرسل العجاز الي الحلل القريبة منه لتعطيه صفة البنات الموصوفات بالجمال واذا سمع بامرأَة مليحة او بنت صبيحة لا يزال يشن على اهلها الغارات حتى ياخذها مسبية من وسط البيوت و ياتي بها الى هذا الوادي يتمتع بها الى ان يسمع بغيرها فيذبحها ذبح الاغنام و يشرب من دمها ما يتحصل ثم يشوي لحمها على الجمر فيا كله و يشرب عليه زقاً من الخمر وكان الذي اضراه على اكل لحوم الناس اكل لحوم السباع لانه يهجم عليها و يصطادها من كل غابة وقاع ولما علم ان العرب كلها تطلبه اتخذ هذا المكان سكناً وجعله له وطناً وكان ذلك الوادى كثير الغابات وفيه كثير من السباع واللبوات والافاعي والحيات فداوم السباع بالاكل حتى كاد يفنيها لانه قتل اكثرها وهرب باقيها وكان قد اختار له عشرة من الاشبال ورباهم كما يربي الراعي السخال وصار يطعمها من يده و يربيهم حتى صار الواحد منهم كالبعير ومثل الثور الكبير لانهم تربوا على لحوم الضان والفصلان وكان يطعمها من لحم البنات والنسوان وكان الواحد منهم اذا لطم البعير قتله وان ربض عليه اكله وكان ذلك

الجبار اذا قعد دارت به السباع من كل جانب واذا نام حرسته من كل طارق وطالب
واذا غاب تحرس الوادي حتى لا يطمع به احد من الاعادي فسمته العرب ابا الاشبال
وخافت منه جميع الابطال فلا يقرب هذا الوادي الامن قربت منه الاجال ولما وقعت
عبلة في يده ودخل بها الى هذا الوادي ولم تسلم نفسها اليه وصارت تمتنع وتشمخ عليه
وكانت تجاوبه باغلظ الجواب وهو يتبسم من كلامها ويتخذه من كلام الاحباب ويطول
روحه عليها مثل ما تفعل الاصحاب بالاحباب ولما دخل عنترة الى ذلك الوادي وقف
الابجر وشخر ونخر وتاخر لانه شم رائحة السباع فارتعدت فرائصه وارتاع فترجل عنتر وقال
لشيبوب خذ انت الابجر واخرج به الى خارج الغاب لانظر ماذا يجري بيني و بين هذه
الكلاب فقال شيبوب والله يا اخي لا افارقك لاني ما ادري ما يجرى عليك وها انا من
خلفك و بين يديك ثم ان شيبوب ربط الابجر في بعض الاشجار وتقدم امام اخيه في
تلك الادغال وهو قد هيأ القوس والنبال واخوه اخذ سيفه باليمين ودرقته بالشمال
وما زالا يشقان ذلك الغاب حتى وصلا الى مكان خال من الاشجار فنظر عنتر واذا هو
مكان واسع فيه عيون ومنابع وخيم مضروبة ونار مشبوبة وفرس ملجم ورمح مقوم وسيف
معلق وابو الاشبال جالس وله هيئة اذا نظر الى الحجر انفلق و بين يديه حمار وحش
وهو يقطع منه ويلقي على النار وزق خمر كانه الناقة العشار والجارية قدامه وهي تبكي
بدموع غزار وكلما لج عليها في الطلب تهم ان تلقي نفسها في النار وتقول له الى كم هذا
الجور يا ابن الانذال هل تقدر على شيء اكثر من ان تقتلني وتاكل لحمي انت وهولاء
الاشبال فوالله لاخنت ابن عمي عنتر ولو تقطعت على عدد اوراق الشجر . فلما سمع
منها هذا الكلام امتلا غيظاً وغضباً وعزم على افتراسها مغتضباً . قال الراوي فلما علمت
ذاك صاحت واصيبتاه وا قلة ناصراه اين عيناك يا عنتر . وما زالت على ذلك الصياح
وهي تزيد في البكاء والنواح حتى خيل لعنترة انها بنت عمه عبلة فغاب عن صوابه
وما بقي يعرف اعداءه من اصحابه فصرخ صرخة دوت لها الجبال ونظرت اليه الاشبال
فصارت تهدر كالجمال فقال لها اخرسي يا كلاب البرفان السباع كالارانب والجبابرة
كالثعالب ثم استقبلها بسيفه الضامي المصقول ومال فيها في عرض وطول وتبعه شيبوب
يرمي النبال وصار يقصد بها الاشبال عن اليمين والشمال . قال الراوي فلما سمع
الضجة ابو الاشبال اشتغل عن الجارية واحتسب من وقوع الداهية مما كان فيه من
ذلك الحال فصاحت به الجارية قد انتقم الله منك يا كشحان وارسل لك من يردك

عن الفساد والطغيان فقال يا لخنا من يقدر ان يأتي الى هذا القاع ففي هـذه الساعة ترينه نهباً لانياب السباع . ولما علت الضجة طلع يكشف الخبر في الحال فراى قد قتل سبعة وبقي ثلاثة من الاشبال وكان من جملتها سبع احمر افطس المنخر فلما نظر الى صاحبه كشر عن ناب كانه خنجر ووثب في عاجل الحال الى عنتر فاستقبله بالضامي الابتر الذي ضربته تفلق الحجر فجاءت الضربة بين عينيه واذا بالعيف قد طلع يلمع من بين نخذيه فلما راى ابو الاشبال تلك الضربة ارتاع ووقعت في قلبه الرعبة وزعق على الاسدين الباقين وردهم الى الغاب خوفاً عليهما ان يلحقا باصحابهما ثم تقدم الى عنتر وقال له ويلك يا عبد السوء اظنك جاهلاً بخبري حتى تماديت هـذا التمادي ودخلت هذا الوادي فاين بقي لك من يدي فرار ولا بد ان يكون اخر ايامك هذا النهار ثم اشار الى عنتر يقول

انا ابو الاشبال ليثُ الوادي والبطل المعروفُ بالفسادي
لحم السباع ماكلي وزادي والدم يروي بعده فؤادي
كم قد تركت حرمةً تنادي وما ترى من العذاب فادي
وقد فتكت اليوم في اولادي وساقك الموت بغيز حادي

قال الراوي فلما سمع عنترة منه هذا الكلام المرذول اجابه على شعره يقول

ان كنت طبع الشر والفسادِ فالخير طبعي والصلاح زادي
والحفظ للحريم والاولادِ وقتلُ اهل البغي والعنادِ
وصارمي نارٌ بلا زناد يقدح في الارواح والاجسادِ
وقد فتكت في سباع الوادِي وانت قد وقعت في اصفادِ
وسوف تبقى عادم الرشادِ وليس تاتي من يديَّ فادِ

قال الراوي ثم انطبق بعضهما على البعض حتى رجفت من تحت اقدامهما تلك الارض وزاد بينهم الصياح والزعاق حتى طبق الافاق وكانا متساويان في ذلك الجولان كانهما افرس الفرسان فافترقا ساعة في تلك الساحة لياخذا لانفسهما راحة ثم رجعا الى الكفاح فاعتركا وتصادما وتقابضا وتهاجما فما طال بهما المطال حتى لحق ابا الاشبال الضجر والملال فقال لعنتر ويلك يا ابن السوداء اني لاقيت الابطال ومارست الحرب والقتال فما رايت اعظم من صبرك على الاهوال فهل لك في الصراع على هذه البقاع قال اي وابيك لم اكن في الحرب الا منصفاً وفي العطاء والبذل الا مسعفاً ومخلفاً ثم

طرحا السيوف وخلعا الدروع واخذا في الصراع بقوة المتن والذراع وصاح كل واحد منهما في وجه صاحبه وزعق وتهافت عليه وانطبق فاغتاظ عنتر من طول مقامه في الصراع وتمكن منه بالباع والذراع ورفعه على ساعديه حتى بان سواد ابطيه وضرب به الارض فادخل طوله في العرض وعاد الى سيفه وضرب به على راسه فشقه الى حد اضراسه فنادت الجارية لا شلت يداك يا فارس العرب وفارج الكرب وكان شيبوب قد رمى بالنبال الاثنين الباقين من الاشبال وطرحهما على الارض في عاجل الحال ودخل على الجارية فحلها من الوثاق و بشرها بابن عمها عنتر انه في جانب ذلك الوادي يتقلب على نيران الاشواق فشكرته واثنت عليه وقامت الى عنتر وقبلت يديه وانطرحت على قدميه وقالت له لله درك يا فارس الفرسان وقاهر جبابرة الزمان فوالله لقد فعلت ما لا نقدر عليه مردة الجان ولا عفاريت سيدنا سليمان وقد ارحت الناس من شر هذا الشيطان جزاك الله بالمنة والاحسان . فقال لها يا حرة العرب ان شيمتي صنيع المعروف واغاثة الملهوف ولذلك يسهل الله لي الطريق ويعطيني السعادة والتوفيق و بعد ذلك امر اخاه شيبوب ان يجمع ما في ذلك الوادي من الحطام واخرجه الى حيث كانت الامة والغلام فوجدها تعلله وتخبره بما جرى وهو كانه غارق في المنام وللمارات عبلة قد ظهرت وظهر من خلفها عنتر وهو راكب صهوة جواده الابجر فكاد قلبها من شدة الفرح يتفطر ثم قامت اليه واستقبلته وقبلت يديه فترجل وقعد عند راس الغلام وقال لبنت عمه كليه فيذهب عنه اللهيب الذي هو فيه فاني اعرف ان مرض العشاق لا يبرا الا بنظر الحبيب فانه للمحب ترياق فدنت الجارية من ابن عمها واقامته وضمته الي صدرها وكلمته فعند ذلك استفاق الغلام وعدت ورودت روحه الى الجسد فامر عنتر ان يأتوه بشيء من الطعام وصار ياكل و يطعمه و بنت عمه تلقمه في الحال اشتد عزمه وزال عنه وجده وسقمه وصار يقبل يد عنتر وقدميه و يشكره و يثني عليه وقال له يا مولاي اريد ان تتخذني لك من بعض الغلمان لاخدمك على طول الزمان لانني لا اقدر على فراقك ابدًا بعد ان احييتني وخلصت لي بنت عمي من امر ذلك الشيطان فقال له عنترة يا اخي اذهب الى حلتك وادخل على بنت عمك بين اهلك وعشيرتك ولك ما حييت مني العهد والذمام على مدى الليالي والايام ولكن يا اخي بالله عليك ان لا تسمي نفسك بهذا الاسم بين قبائل العرب فانني اخاف عليك من العطب لان هذا اسمي ولي اعداء كثيرة من العربان فيغلطون عليك وانت لا

تقدر مثلي على مقاومة الفرسان • فقال يا مولاي انظر لي اسماً استأمن به ولا اخاف
قال اسميك عطافاً فقال سمعاً وطاعة وليكن هذا اسمي من هذه الساعة • ثم امر عنتر
اخاه ان يعطيه قطعة من النوق والجمال الذي كانت في ذلك الوادي لابي الاشبال
وودعه عنتر وسار وهو كثير الافتكار في ما اتى عليه من تصاريف الاقدار ووجد في المسير هو
واخوه شيبوب في ذلك البر الاقفر واذا بغبار ثار من بين يديه حتى قرب منهم وظهر فبان من
تحته ثلثون فارس معهم غنيمة كسبوها من تلك البلاد فقال شيبوب لاخيه عنتر هذه
غنيمة ساقها الينا رب العباد قال عنترة ياشيبوب لا تتعرض لها فربما يكونون من فقراء
العرب وقد نالوا هذه الغنيمة بعد المخاطرة والتعب وربما يكون قتل بعضهم حتى ملكوها
وان اخذناها منهم لا يصادفون لهم غنيمة مثلها ليدركوها • ثم عدل عن الطريق وتنحى
عنهم فلما راوا ذلك ظنوا انه قد خاف منهم فتقدم فارس منهم اليه وقال له انزل عن
جوادك وسلم لنا نفسك قبل ان تسكن رمسك فقال له عنتر اخس يا كلب العرب فاني
ما تركت لهم هذه الغنيمة الا شفقة عليكم فتكون قد صارت احساناً مني اليكم فامضوا
في طريقكم بالسلامة قبل ان تحل بكم الندامة فلما سمعوا كلامه تبادروا اليه وهم يضحكون
عليه فلما راى عنتر ذلك قال وذمة العرب الكرام لا بد ما ابدل ضحككم بالبكاء
يا اولاد اللئام ثم حمل عليهم وطعن الاول الذي كان يكلمه فقتله والثاني الحقه به وما
امهله والثالث جندله فعند ذلك تصايحوا عليه وتبادروا كلهم اليه وهم ينادون البدار
البدار الى هذا العبد الجبار • هذا وعنتر يجول من قدامهم وخلفهم ويطرح واحداً بعد
واحد حتى اهلك اكثر من نصفهم فلما راوا منه ذلك الهول العظيم قالوا له شل الله
اناملك يا ايها العبد الزنيم فلا شك انك مارد من الجان في صورة انسان فضحك عنترة
من كلامهم وصاح فيهم ويلكم يا اوغاد اما تعلمون اني عنتر بن شداد • فلما عرفوا ان
الذي يقاتلونه هو عنتر تطايروا في ذلك البر الاقفر خوفاً من مضارب سيفه الابتر وقالوا
لبعضهم ان وقفنا قدامه فما يصل منا من يخبر بخبر فعند ذلك امر شيبوب اخاه ان
يجمع النوق والجمال التي كانوا سائرين بها اولئك الرجال واضافها الى الغنيمة التي
اغتنمها من ابي الاشبال • قال الراوي وبعد ذلك سار حتى وصل الى عروة بن الورد
ورجاله فتواثبت اليه الفرسان والتقوه من كل جانب ومكان والتقى عروة بن الورد
بعنتر بن شداد وهنأه بالسلامة واثنى عليه بحسن الوداد وساله عما جرى له من الاحوال
فحدثه بما جرى له في الوادي مع ابي الاشبال والاتفاق العجيب الذي وقع له مع ذلك

الغلام وقص عليه جميع ذلك بالتمام فتعجب عروة من ذلك الاتفاق وقال يا ابا الفوارس ان هذا الحديث مما يجب ان يسطر في الاوراق فلا زال ركابك مقرونًا بالسعادة وسعدك في النمو والزيادة فشكره على ذلك المقال واعطاه هو ورجاله اوفر نصيب من تلك الجمال ونزل هو واخوه في تلك الساحة يأخذان لها راحة ومن الغد ساروا يطلبون حي بني كندة وعنترة بين ايديهم راكب على جواده الابجر وعروة بجانبه مثل الاسد القسور قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من مالك ابن قراد فانه لما هرب من ديار بني شيبان سار يطلب من يجيره من قبائل العربان فصار يطوف في البلاد واي قبيلة نزل عليها يطردونه خوفًا من عنترة بن شداد لان خبره شاع في جميع بلاد العرب وعرفوا اموره فلم يقبل احد منهم ان يجيره ولم يزل سائرًا حتى نزل على بني كندة وكانوا من اصحاب القوة والنجدة فقصد ابيات الملك عمرو المقصود واناخ على ابوابها وشد ذيله باطنابها وكان الملك حينئذ غائبًا في الصيد فتلقته رجال العشيرة فطلب منهم الذمام والجيرة واقام ينتظر قدوم الملك حتى حضر فسلم عليه وقبل الارض بين يديه وشكا حاله اليه فرحب به واعطاه الذمام واقامه في ضيافته ثلثة ايام وفي اليوم الرابع امر باحضاره الى بين يديه وساله عن نسبه وعما جرى عليه فقال له ايها الملك انا من بني عبس الكرام الذين يقال لهم فرسان المنايا والموت الزؤام ولكن نشأ فيهم عبد يسمى عنترة بن شداد وهو ابن اخي من امة سباها في بعض غزواته من تلك البلاد ولما انتشأ تعرض لابنتي يريد ان يأخذها زوجة له وانا استنكفت ان اصاهر عبدًا مثله فصرت اهرب بها من مكان الى اخر والتجيء الى قبائل العربان فقال له الملك ولماذا ما استجرت ببني عمك وهم امنع العرب جارًا واشدهم سطوة واقتدارًا فقال مالك انه فارس جبار لا يصطلى له بنار ولا لاحد عليه قدرة ولا انتصار فما وسعني الا انني اخذت ابنتي واتيت بها الى هذه الديار واستجرت بكم فانكم نعم الجوار . قال فلما سمع الملك عمر المقصور منه ذلك الكلام علم انه من اهل النخوة وارباب المقام فامر ان يضرب له بيت بجانب ابياته وحكمه في امواله وعبيده وامواته واقام مالك عنده وقد آمن على نفسه من سطوة عنتر وظن ان نزوله على هولاء القوم يبلغه الوطر ولا عاد يأكل ويشرب الا معهم وبعد ذلك بايام خرج مالك من ابياته فراى الحي يموج بسكانه وقد ركبت فرسانه وترا كضت نسوانه فسأل عن ذلك فقيل له قد اتى الى زيارة الملك ابن اخته الامير مسحل بن طراق الملقب بالعقاب لانه لا يوجد مثله في جميع الافاق

والناس قد خرجوا الى ملتقاه وتباشروا برؤياه فعند ذلك ركب مالك وولده عمر مع الفرسان الى ملتقى هذا الانسان وما زالا يركضان حتى لحقا الملك واذا بالامير مسحل قد اقبل و بين يديه سبعمائة فارس كانهم ثنية جبل والعبيد قدامه بالقسي العربية والسيوف المنديه والحربات الجشيه وله هيبة تذهل البصر وهو يظن بنفسه انه اعظم من كسري وقيصر . فتقرب مالك من ذلك الفارس وحققه بالنظر فرآه غلاماً له وجه كالقمر وهو كانه الرمح الطويل وله اعضاء كانها ثقاطيع الفيل وعليه حلة من الديباج مرصعة بالذهب الوهاج وهو قادم بتلك الزينة والملبوس يتجلى كانه العروس الى ان دنا من القوم فازدحموا عليه وصارت اكابرهم تقبل يديه هذا ومسحل قد عظم قدر مالك واخذه الى جانبه وصار يتحدث معه دون اهله واقار به وقال له يا شيخ تشرفت بك الديار وطاب لك المزار . فقال له مالك حقاً يا مولاي ما عرف لي قدر ولا قيمة الا في دياركم ولا امنت على نفسي الا في جواركم ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى الخيام ونزلوا واستقر بهم المقام فعملوا الولائم فرحاً بقدوم الامير مسحل وصفت بين ايديهم جفان الطعام ودارت عليهم كؤوس المدام ولما دار بينهم الكلام قال الملك عمر لمسحل يا ابني كيف قدومك علينا في مثل هذه الايام فما هي زيارتك في سائر الاعوام قال الراوي وكانت عادة مسحل ان لا يأتي الا من العام الى العام وقدومه هذه المرة كان له اربعة اشهر تمام فقال له مسحل يا خالاه ان سبب قدومي الذي اتعبت به نفسي اريد خطبة بنت هذا الشيخ العبسي وانا اعطي اباها ما يريد من المال والنوق والجمال لانها وصفت بين يدي واخبروني بما هي عليه من الحسن والجمال وقد التهب بوصفها فوادي وطار من اجلها رقادي وما كان قدومي في هذه النوبة الا لاجلها واريد منك المعاونة والتحدث مع اهلها . قال الراوي فقال له خاله حقاً يا ولدي لقد وفقت بخطبتها غاية التوفيق وما اشار عليك بزواجها الا كل صديق لانه قبل قدومك كنت انا وزوجتي في وصفها وقالت لي كنت اريد ان يكون لي ولداً ذكر حتى يحظى بجمالها وظرفها . فقال مسحل يا خالاه انني قد اشتهيت ان ابصرها قبل خطبتها حتى لا يلحقني الندم بعد اتمام نوبتها فقال له يا ولدي وكانك تقدر ان تنظرها وهي في خدرها بين اهلها ولا يراها غير امراة مثلها فقال مسحل انا ادبر ذلك ان ساعدتني المقادير واعانتني زوجتك على حسن التدبير . قال اخبرني يا ولدي كيف تريد ان تفعل اني اخاف ان يكون قد زين لك الهوى وجه الطمع فتقع في سوء العمل قال يا خال انا

ما افعل شيئاً يكون عليّ فيه ملام ولكن انا اعلم ان النساء والبنات غداً تحضر الى زوجتك تهنيها بقدومي في هذه الايام وانا البس ثياب امراة واضع البرقع على وجهي واجلس الى جانبها في جانب المكان فلا بد ان تأتي عبلة وامها من جملة النسوان فقال له خاله ومن اين لنا امراة في طولك وعظم جثتك حتى تخفى حالك وتسلك صناعة حيلتك قال اعلم يا خال ان ابنتك ناجية تقارب بني في كبر الجثة وعظمها فالبس ثيابها واجلس الى جانب امها قال افعل ما بدالك فما هنا احد يخالف مقالك فعندها قام مسحل ودخل على امرأة خاله وعاد عليها ما دبره من احتياله فاجابته الى سواله ثم انها لبسته ثياب ابنتها ناجية واجلسته بجانبها الى جهة الزاوية و بعد ذلك وفدت عليها البنات والنسوان من كل جانب ومكان ودخلن المضرب عليها وتصففن من حواليها واتت عبلة مع امه من جملة البنات فصاحت بها امرأة الملك واجلستها الى جانبها وضحكت في وجهها وترحبت بها وكشفت لها البرقع عن وجهها وقبلتها بين عينيها واجلستها بين يديها واما مسحل بن طراق فانه قد انبهرت منه الاحداق وقد اشتغل خاطره وتبلبلت ضمائره وهم ان يصيح مما لحقه من شدة الغرام وانعجم لسانه عن الكلام وهانت نفسه عنده بعد العز والوقار ونسي ما هو فيه من الهيبة والافتخار وما صدق ان تنصرف النسوان حتى نهض من ذلك المكان وخلع عنه ثياب الاحتيال وخرج الى خاله في عاجل الحال وقد اشتعلت به لواعج البلبال وكان عنده جماعة من سادات العشيرة ومن جملتهم مالك ابو عبلة وولده عمرو وهما قد بلغهما ما قصده الامير مسحل من ذلك الامر فلما اقبل عليهم مسحل قام كل من كان في المجلس ووقفوا بين يديه وهم ابو عبلة ان يقوم فمنعه الملك عن القيام وحلف عليه وقال له وحق ذمة العرب انت يا امير مالك احق ان تخدم واولى ان تحترم وتكرم فعظمت عند مالك نفسه لما سمع من الملك ذلك الكلام وارتفع شأنه عند الجلوس والقيام ثم اقبل عليه مسحل وقال له مرحباً بك يا وجه العرب فقد شرفت الديار وطاب لك المزار وانك تستحق الاجلال والاكرام ورفع المنزلة والمقام فعند ذلك التفت الى ولده عمرو وقال له سراً انظر يا ولدي تودد هذا الغلام ولتبجيله لنا من غير معرفة في هذا المقام وانا اشتهي ان يخطب اختك فانه يصلح لها بخلاف ذلك العبد الزنيم الذي كانه الشيطان الرجيم وهو يحمينا منه لانه فارس صنديد وعنترة عنده من اقل العبيد. قال الراوي ثم اختلى مسحل بخاله وقال له يا خالاه اخطب لي بنت هذا الامير واضمن له عني كل ما يريد من الاموال والخيل والنوق والجمال فعند ذلك

التفت الملك الى مالك وقال له يا وجه العرب اعلم ان ابن اختي قدوقع لك في قلبه محبة ووداد من حينما اتى وابصرك عندنا في هذه البلاد وعرف انك من بنى عبس الكرام فصار لك عنده منزلة ومقام والبارحة كان عندي في هذا الحديث وقال لي ياخالاه اشتهيت ان هذا الشيخ وولده يذهبان معي الى بلادي حتى احكمهما في جميع اموالي واجادي واجعلهما يدبران مملكتي واشركهما في نعمتي وهو اليوم فارس الافاق واليه تحمل الغفارة من ارض اليمن الى العراق لانه بطل لا يقاس بالابطال واذا التقى بعنترة كان عنترة قدامه كالارنب قدام الاسد الريبال ومن جملة افعاله وقوة سواعده واوصاله انه اذا لكم بكفه بعيراً شارداً صرعه واذا ضم بفخذه على اجناب الجواد الشديد قطعه وقد حدثته بحديثك وقصتك وما تم لك مع عبدك وخطبته لابنتك وانك كبرت نفسك عن احتمال العار فاخترت الغربة والرحيل عن الديار فقل لي ياخالاه لولا زيادة نخوته ومروته ما كان تغرب عن وطنه لاجل حفظ حرمته واني اريد منك ياخالاه تخطب لي ابنته حتى يصير بيني وبينه علقة ونسب واحميه من هذا العبد وكل من تعصب له من العرب وانا اسلم جميع ما تحتوي يدي ولا امن بذلك عليه وانا اريد منك يا وجه العرب ان تجيبه الى ما طلب حتى ترى ما يفعل معك من الجميل والاحسان وما تصير اليه من علو المنزلة وارتفاع الشان فعندها قال جميع من حضر في ذلك المحضر والله يامالك قد نظرت موضع النظر لان ما يصلح لتلك الشمس الاهذا القمر فلما سمع مالك ذلك الكلام ايقن ببلوغ المرام ومن شدة الفرح الذي استولى عليه انهملت الدموع من عينيه وقال حباً وكرامة فليفعل الامير ما يريد وابنتي له امة وانا من جملة العبيد وهذه يدي لك يا ملك بالوفاء وخلوص النية والصفاء فاخذ يده مسحل بن طراق ووقع بينهما الاتفاق وفرحت بذلك العشائر ووقعت في بني كندة البشائر وجددوا الولائم والدعوات واغتنموا اللهو واللذات ولما كان المساء امتد سماط الطعام واصطفت بواطي المدام ودارت على القوم الكاسات ولعبت بعقولهم الطاسات ولما اراد مالك وولده الانصراف خلع عليهما الامير مسحل الخلع المذهبة وقاد قدامهم الخيول المجنبة ومشت بين ايديهما الجنود والاعوان فكانا كانهما من ملوك الزمان وكانت عبلة قد سمعت الاخبار ففاضت دموعها كالامطار وامتنعت عن الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب . قال الراوي وبعد ان انصرفت الناس خلا مسحل بخاله واستشاره في ما يقدم لعبلة من المهر فتم بينهما الاصطلاح انه يرحل الى ارضه عند الصباح وينفذ مهر عبلة الف ناقة محملة من ظرائف

اليمن واربعة الاف أس غنم وخمسين فرساً من الخيل الغالية الثمن والف ثوب من الديباج وثلثة الاف دينار من الذهب الوهاج واربعة عقود من الجوهر وخمسين نافجة من المسك الاذفر ومائة طبلة من العنبر وعند الصباح رحل بمن معه من العساكر الى بلاده وعند وصوله ارسل المهر مع خمسين فارساً من اجناده فساروا طالبين بني كندة وقد قاسوا في طريقهم من سوق الامال اعظم شدة ولما وصلوا الى ابيات الملك عمرو المقصور دارت بشائر الفرح والسرور وابصرت بنو كندة مامعهم من الاموال فانبهرت منهم الاحداق وقالوا طول عمرنا ما راينا احداً حمل مثل هذا الصداق وقالت النساء وحق ذمة العرب والبيت الحرام ما رأت قط جارية من بنات الملوك العظام مثل هذه العبسية من الا كرام ولكنها تستاهل اكثر من ذلك لانها فريدة لا يوجد مثلها في جميع الممالك . قال ولما استولى ابوها على مهرها اخذ في تجهيزها وانجاز امرها حتى بقي ثلثة ايام من الاجل الذي اجله لم مستحل وفي تلك الايام وصل عنترة بن شداد واشرف على ارض بني كندة وتلك البلاد فقال لعروة بن الورد اننا قد وصلنا الى هذه الديار واشتهيت ان اعلم ما جرى لعبلة من الاخبار واظن انها ما تخلو من زواج جديد لان اباها يزوجها كيداً لي ولو طلبها اقل العبيد قال شيبوب انا اريد ان ادخل هذه الديار واتيك بجلية الاخبار قال عنترة اخاف عليك من عمي ان يعرفك فيعجل تلفك قال شيبوب انا ما ادعه يعرفني ولو وقفت شهراً بين يديه فاني اتزيى بزي لا يهتدي احد اليه . وكان شيبوب يهوى جارية اسمها بانة و يأخذ ثيابها معه في السفر لكي يشم رائحتها و يلتذ منها بالنظر فوثب الى رجله واخرج منه تلك الثياب وارسل على وجهه النقاب وكانت تلك الجارية لشداد ابي عنتر فلما راه قال له و يلك ما هذا والله ما كانك الا بانة امة ابي شداد قال نعم فانها محبوبتي وانا اصحب ثيابها معي اينما سافرت من البلاد لكي اشم رائحتها واشفي منها غليل الفواد . قال عنترة وانت تعشق يا ابن السوداء قال اتظن ما احد غيرك يعشق النساء ولكن الفرق بين حبيبتي وحبيبتك كما بيني و بينك في قتال الاعداء قال عنتر لا والله يا ابن الام فانك ساعدي وزندي وعلى يديك يكون لي التوفيق والنجاح ولولاك كنت كالكف بلا ساعد وكالطير بلا جناح و بعد ذلك خرج شيبوب من عند عنتر وانطلق في تلك البطاح حتى وصل الى الحي عند الصباح وكان الملك عمر قد ركب في ذلك السحر وركبت معه الفرسان للصيد في ذاك البر الاقفر فقصد شيبوب ابيات الملك عمر وصار يهز عطفه ويثني

ردفه و يغمز من يراه بطرفه و يلوح على صدره بكفه ولم يزل على هذا الحال حتى دخل بين الابيات وراى القوم في انتهاز فرصة المسرات وقد تزينت البنات ورقصت المولدات وهنَّ يضربن بالدفوف والمزاهر والرقص داير من سائر الجهات وقد سكر الجميع من شرب المدام وليس فيهم من يعقل على كلام وكان لما دخل الحي تحدث مع بعض المولدات وسالها عن تلك المهمة لمن تكون من السادات فاصدقته المقال واخبرته بجلية الحال فتقدم وهو حائر لا يدري الى اين يقصد من الجوانب حتى يعرف عبلة في اي المضارب وبينما هو كذلك لاحت منه التفاتة فراى البنات داخلات الى مضرب جميل المنظر وعليه سجف من الذهب الاحمر فعلم شيبوب انه مضرب العروس لما عليه من الهيبة والناموس ولكن بقي حائرًا كيف يكون العمل لكي ينال الامل و بعد ذلك صاح واظهر الطرب ودار بين النساء والجواري دوران اللولب ورقص حتى اذهل النساء من حسن انعطافه ولين اعطافه فتعجبن من صناعته وعياقته واقبلن من كل جانب يتفرجن عَلَى خفته ورشاقته . فبينما هو في ذلك الرقص والطراب اذا ببعض المولدات قعدت تطلب الراحة من التعب وكان معها مزهر كبير فبادر اليها شيبوب وصاح فيها كانه القضاء المصبوب وقال لها وحياة مولاي مسحل قد قطعت حظنا عند ما طاب لنا العمل وتقدم اليها في الحال وخطف المزهر منها اخف من ريح الشمال وضرب به حتى ادهش الحاضرين وحير الناظرين وما زال شيبوب في رقص وغناء وميل اعطاف وهز اكتاف وتذبيل عيون وتنويع فنون حتى ادهش النساء والبنات وابطل حركات المغنيات والراقصات فعندها استقبل المضرب الذي علم ان عبلة فيه فلعلع بصوته وانشد يقول

ظبيه القناص راعيك اتى ... فابشري بالنصر من سيف الفتى
افرحي بالقرب يا كل المنى ... لا تقولي ما اتى ها قد اتى
وافهمي ما قلته من قصتي ... لمتى هذا التواني لمتى
حلت الافراح في ارضكم ... دائم الاوقات صيفاً وشتا

وكانت عبلة تسمع الغناء من داخل المضرب فعرفت الطلب وانشدت تقول

ايها الصائح ما بين الخيم ... دائرًا يرقص ما بين الخدم
بشر القناص والسبع الذي ... رابض ما بين كثبان الاجم
ذا غزال الحي ما بين الظبي ... يترجي البرء من فرط الالم
ان هذا وقت افراحي بكم ... فازيلوا ما بجسمي من سقم

هد حيلي بعدكم يا سادتي   فامننوا بالقرب اني في عدم

قال الاصمعي فلما سمع شيبوب من عبلة هذه الابيات عرفها حق المعرفه فاظهر التعب وجلس ياخذ له راحة بجانب المضرب وتفرقت من حواليه البنات والنساء المولودات واذا بعبلة قد طلعت من باب الخباء فنظرت الى شيبوب وهو جالس في زي الاماء فعرفته وقالت حقاً ما هذه الامة كندية وما هي الا عبسية شدادية فلما رآها اقبل عليها وهنأها بالزواج حرصاً عَلَى نفسه بهذا الاحتجاج وكان المكان قد خلا من النساء والاولاد فقال لها بمن تشبهيني يا عبلة فقالت ببانة مولدة عمي شداد فقال إي والله اذا لم اكن بانة مولدة شداد فانا شيبوب اخو عنترة فارس بني قراد ثم انه بعد هذا الكلام كشف عن وجهه اللثام فكادت عبلة تطير من الفرح لما حققت ذلك الخبر وقالت ويلك يا شيبوب واين اخوك عنتر فقال لها هو بالقرب منكِ مكمن في البر الاقفر ومعه عروة بن الورد ورجاله وهم مائة فارس تلقى الجن والابالس فعند ذلك اخبرته عبلة بان اباها زوّجها بمسحل بن طراق وانه ذهب الى بلاده وارسل المهر والصداق وقد بقي من الاجل ثلثة ايام حتى تساق اليه وتزف عليه ثم حلفت له باعظم الاقسام انه لو لم يحضر اليها قبل انقضاء المدة لكانت تقتل نفسها وتدفن في ارض بني كندة وقالت له ارجع الان الى اخيك عنترة واخبره بجلية الخبر ولا تمكنه من الهجوم عَلَى الحي لان فيه عساكر لا تعرف اول من آخر ولكن يترقبني يوم الزفاف حتى يراني في الهودج فيخرج اليّ ويقتل من يكون حواليّ وتقود انت بزمام ناقتي وتعرّج بي عن الطريق ومن تبعني فهو يلقاه بسيفه ويعدمه التوفيق وقل له ان وقع ابي في يده يقتله ولا يبقي عليه لاني قد كرهته واشتهيت الخلاص من يديه . قال الراوي فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام عاد طالباً اخاه وهو لا يصدق بالنجاة وكان قلب عنتر على مقالي النار وما زال يترقبه حتى تنصف النهار واذا به قد طلع وهو يهز عطفه واوصاله ويكاد يسبق خياله فلما قدم عليه تلقاه وفرح برؤياه وسأله عن جلية الامر وما تم له في ذلك السفر فقص عليه القصة بتمامها وما سمع من حديث عبلة وكلامها وكان عنتر يسمع وفؤاده يتقطع واجفانه تدمع وندم على ما كان يصنع في حق عمه الخوّان من الجميل والاحسان والى ذلك اشار في معلقته حيث يقول

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي   وتجسسي اخبارها لي واعلمي

قالت رأيتُ من الاعادي غرّةً   والشاة مكنة لمن هو مرتمي

يا شاة ما قنص بمن حلت به حرمت عليَّ وليتها لم تحرم
ويبيت عمي غير شاكر نعمتي والكفر مخبثة لنفسي لنفس المنعم

ثم قال لشيبوب ماذا ترى هل نهجم على الحلة ام ننتظر حتى تمر عبلة فقال شيبوب يا اخي الانتظار هنا اوفق لان القوم في جمع غفير وجيش كثير ونحن في مائة فارس لا غير فان هجمنا عليهم يهلكونا وتاكل لحومنا الطير ولا سيما ان ادركنا مسحل بن طراق عقاب الحروب الذي لا يطاق فقال عروة لقد صدق شيبوب في ما قال لانني سمعت عن هذا مسحل كثيرًا من الوقائع والاهوال وهو الذي اغار على بني عامر وجرح ملاعب الاسنة وقتل ابطالهم . وساق اموالهم والراي عندي اننا نقيم هنا حتى تخرج عبلة فناخذها من الطريق وهذا اقرب الى النجاح والتوفيق . قال فعند ذلك اقام عنتر حتى انقضت ثلاثة ايام الميعاد وما راوا احدًا ظهر من تلك البلاد فقال عنتر لاخيه ويلك اخاف ان يكونوا قد ساروا بها من غير طريق ونحن ننتظر هنا في هذا المضيق فقال له شيبوب يا اخي ما لهم طريق الا من هنا ولكن ربما يكون حدث لهم سبب يعيق قال الاصمعي وكان السبب في تلك العاقة ان عبلة كانت قبل ذلك قد هجرت الطعام والشراب ولازمت البكاء والانتحاب وما زالت كذلك حتى نجز امرها وحان وقت الزفاف فصار الامر معها بالخلاف لانها صارت تاكل وتشرب وتلبس الحلي والحلل التي ارسلها لها بعلها مسحل فكان ابوها يرى ذلك فينكر عليها سرعة الانقلاب وحسب في قلبه الف حساب فلما اشكل عليه الحال قال لاخيها انني انكرت حال اختك لما رايت من ضحكها ولعبها فان هذا يدل على طيب قلبها وانا اقول قد اتاها خبر من ابن عمها عنترة وانا خائف ان يقف لها في الطريق و يعدمنا السعادة والتوفيق وان رآني لا بد ان يقتلني على المكان لاني هدرت له دمي واشهدت عليَّ بني شيبان فقال عمرو كيف يقدر ان ياتي الى هذه الديار وكيف يمكن ان يستخلصها من بين هذا العسكر الجرار وان كنت خائفًا من هذا الحساب فارسل الى بعلها حتى ياتي و يستلمها و يسير بها الى دياره ويحميها بسطوته واقتداره فلما سمع مالك كلام ولده رآه عين الصواب وانفذ الى مسحل يعلمه بهذا الحساب و يقول له ايها السيد اعلم اني قد دهيت من ابن اخي جملة مرات قبل هذه الاوقات وانا الى الان خائف من هجومه عليَّ وقدومه الى هذا الحي فاحضر انت وتسلم زوجتك وخذها بالامان ولا تحضر الا ومعك جماعة من الفرسان فلما وصل الكتاب الى مسحل تبسم عجبًا ومال طربًا وقال هذا العبسي مجنون وهذا

العبد من يكون ولكن انا اسير اليه واتبع كلامه ولا اخالف مرامه وعسى الله يسوق هذا العبد الى هذه الديار حتى يرى ما يسره و يامن مما يضره ثم انه ركب في خمسمائة فارس كالاسود العوابس حتى قدم على خاله واعلمه بالخبر واراه الكتاب الذي بعثه له مالك فضحك متعجباً من ذلك وقال لمالك يا وجه العرب كيف انفذت الى ابن اختي هذه الرسالة وقابلته بهذه المقالة قال نعم لاني اعرف ان عنتر لا يعيقه احد من البشر وقد جرى عليَّ من اموره ما يشيب راس الطفل في سريره فقال له والله ان ابنتك في هذا الوقت لا يقدر عليها كسرى ولا قيصر ولا ملوك بني الاصفر وانت تخاف وهذا الفارس صهرك الذي اذل رقاب الفرسان وارعب قلوب الانس والجان قال الراوي و بعد ذلك عاد مالك الى ابياته وامر عبيده وامواته فقربوا النوق والجمال وشدوا الهوادج والاحمال وشد لعبلة هودجاً مرصعاً بالجوهر وعليه هلال من الذهب الاحمر ودارت حولها العبيد والاموات وحاطت بها الفرسان والسادات وجلست عبلة في هودجها وخرجوا من الحلة وتبعتهم جماعة من نساء بنى كندة وحريم الملك في الجملة ومشي العبيد امامهم بالحراب والسيوف والجواري تضرب بالمزاهر والدفوف والرجال من حولهم كتائب وصفوف وتقدم مسحل في اوائلهم ومن حوله الفرسان والعبيد والغلمان كانه اسكندر او سليمان او كسرى صاحب التاج والايوان فكان ذلك اليوم لا يقاس بالايام ولم يكن مثله في السنين والاعوام وكان ابو عبلة واخوها افرح الناس بهذه الامور وقد ظهر عليهم الفرح والسرور وصارت عبلة ترفع سجف الهودج وتنظر الى البر وتتفرج وكان هودجها قريباً من هودج امها فقالت لها يا عبلة ما كانت قبل الان تنشف لكِ دمعة واراك فرحانة بخلاف العادة فكيف انقلب هذا الحال بالسرعة فقالت لها يا اماه اني قد قطعت الرجا من ابن عمي ومن الرجوع الى الاوطان وانا متوجهة الى احسن مكان وصار زوجي ملكاً من ملوك الزمان وقد سلب عقلي بحسنه وجماله واعجبتني عظمة جاهه وماله وتسليت به عن عنتر لان نظرة منه بالف عبد واكثر ولاسيما انني ضجرت مما اقاسي من اجله واغضب ابي واخي لاجل عبد مثله وهذا بعلي اليوم احب اليَّ من كل احد لانني صحوت من سكري وعرفت فرق الملك المتوج عن العبد الاسود ٠ قال ففرحت امها بمقالها واعلمت بذلك اباها فناله من السرور ما نالها وقال من مثلك يا عبلة وقد صرت صاحبة هذه الارض في الطول والعرض وحق ذمة العرب انك قد صرت عديلة تماضر زوجة الملك زهير

واعظم منها في عظمة الشرف وكثرة الخير ثم ساروا الى ان قربوا من الشعاب وعبلة تلتفت الى اليمين والشمال حتى بان لامها منها المحال فقالت يا عبلة بحق اللات والعزى اليس عندك خبر من ابن عمك عنتر فقالت لها يا اماه من اين تاتيني الاخبار وانا غريبة وحيدة في هذه الديار وما تلفتي هذا الا لطلب الفرجة عَلَى هذه الارض لانها كثيرة الرياض والازهار والنبات والاشجار فسبحان خالقها الواحد القهار فقالت لها امها تكذبين يا ملعونة والله ما هذا الفرح العظيم الا لانك سمعت بخبر من ذلك العبد الزنيم قال الراوي وما زالت عبلة على مثل ذلك الحال وهي وامها في قيل وقال حتى وصلوا الى الشعب الذي فيه عنتر والرجال فابصرهم شيبوب وكان رقيباً لهم في رؤوس الجبال فصاح باخيه يا اخي قد اتاك الامر كما تريد فلا تعفو عن احرار ولا عبيد فشمر ساعدك الشديد وكان شيبوب قد راى مسحل بن طراق عند قدومه الى تلك الافاق فاعلم اخاه به وعرف الغاية التي لاجلها الزفاف انعاق ولما اخبره شيبوب بقدوم القوم فرح واستبشر وركب على جواده الابجر واراد ان يخبر عروة فناداه يا ابا الابيض هذه عبلة قد اقبلت والى نحونا وصلت فهل تريد ان تاخذ بزمام ناقتها وانا ارد عنك الرجال ام اخذها انا ثم اعود الى القتال فقال عروة لا والله بل دعني لحفظ عبلة وانت رد عنا الحملة فقال عنتر اي والله يا عروة انا لكاسها شارب ولهولها راكب ثم قال له تسلم انت ناقة عبلة وسربها الى الوادي ودعني انا القي الاعادي ولا يتبعني احدمنكم حتى تروا الفرسان قد اطبقوا عليَّ واجتمعوا بمواكبهم حواليَّ . ثم انه خرج من فم الوادي كهبوب الرياح وطلب هودج عبلة حتى قرب منها وصاح الا ما ابركه من صباح ياويلكم خلوا عن هودج عبلة والاقتلكم جملة ثم ضرب العبد الذي كان ماسك الزمام فاطاح راسه واجرى دمه على الاقدام ولما ابصره عمه مالك انقطعت سلاسل ظهره وحار في امره فعند ذلك تسلم زمام ناقة عبلة ورجع الى عروة فسلمه اياه ثم استقبل عمه فكاد يسقط ميتاً لما راه فقال له عنتر ويلك اين تنجو يا شيخ العار ومعدن الخيانة والله لاجازيك على فعلك المنكر واجعلك عبرة لمن اعتبر فعاد مالك طالباً مسحل بن طراق يعلمه بهذا الاتفاق وكان العبيد من حينما راوا ضربات عنتر التي لا تبقي ولا تذر تجاروا الى مسحل واكثروا بين ايديه الصياح والزعاق واخبروه بهذا الامر المر المزاق فازورت منه الاحداق واجرت منه الاماق وازبدت منه الاشداق وحرك هو وفرسانه على الخيول العتاق وهم ينادون اسرع يا فارس الافاق فان عبلة قد خلصها عبدها عنترة

ابن شداد وها هو يقاتل الفرسان والاجناد فلما سمع مسحل هذا الكلام غاب عن رشده وركض طالباً عنترة فادركه عَلَى باب المضيق وقد اشتعلت في قلبه نيران الحريق وكان عنتر قد سلم عبلة الى عروة وقال له انزل بها في هذا الوادي حتى اعود انا الى الاعادي واشفي منهم غليل فوادي ثم عاد الى مسحل وتلقاه مثل الجبل بقلب لا يعرف الخوف والوجل وكان مسحل قد خانه جلده وصبره لما سمع ان عنتر سبا زوجته فاستقبل عنترة بقلب اقوي من الحجر وهو ينشد و يقول

ايسبي زوجتي راعي النياق ويرشقني بسهم من فراقِ
ويلك ظبية امرت فوادي بسحرٍ في الجفون وفي الاماقِ
حرمت وصالها ان لم ازرها على خيل مضمرة عتاقِ
واسقي عبدها كاس المنايا بعسالٍ من السمرِ الدقاقِ
وافني بعده سادات عبسٍ باسيافٍ من البيض الرقاقِ
انا البطل الذي قدشاع ذكري بارض الشام مع ارض العراقِ

قال الاصمعي فلما فرغ مسحل بن طراق من كلامه اجابه عنتر يقول

امسحل دون ضمنك والعناقِ طعانٌ بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من كف ليث شديد الباس ممدود الرواقِ
انا البطل الذي يلقى المنايا اذا قامت على قدم وساقِ
اذا طعن الفوارس صدر خصم فطعني في النحور وفي التراقي
وان فخر الجبان بذخر مال فخري بالمضمرة العتاقِ
الا ان المنية راس رمحي وقائم صارمي للموت ساقي
الا ان الفخار عليَّ وقف وما من مرتق بعدي لراقي
واخبر آل كندة ما تراهُ قريباً من يدي وما تلاقي
واوصهم بما تختار منهم فما لك رجعة بعد التلاقي

قال الراوي فلما فرغ عنترة من شعره صاح مسحل ويلك يا ابن اللئام لمثلي يقال هذا الكلام وانا والله استحي ان اباء زك واجعلك لي من الاقران فتنحط منزلتي بين الفرسان ولكن اريد اجعلك قضيب ادب نتادب به جميع العرب حتى لا تعود العبيد والرعيان تتعرض للملوك الزمان قال الراوي فما اتم مسحل كلامه حتى قفز عنترة اليه والتى نفسه عليه فالتقاه مسحل وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القلل الى ان حامت

عليهما غربان الاجل وحمي الحر واشتد الوجل فابصر مسحل من عنترة ما ادهش منه النظر وحير الفكر واخذه الملل والضجر غير انه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد ونظر عنترة الى الخيل وقد ادركته من جانب البر فهاجم خصمه مهاجمة الاسد وطعنه طعنة الحنق والحرد فاخرق صدره مع الزرد فوقع يختبط بدمه ويبحث الارض بيديه وقدميه و بعد ذلك انطبق على الخيل فانزل بركابها الذل والويل وكان قد وقع في قلوبهم الرعب والوجل ولما نظروا ما فعل فهابوا ان يتقدموا اليه وراوا المنايا دائرة من حواليه فاوسعوا في ذلك البر بين يديه حتى اشرفوا على بني كندة وهم في شدة اي شدة فالتقتهم العشائر والزمر واتى الملك وسالهم عن الخبر فاخبروه بما فعل عنترة وقالوا له دونك ابن اختك المسكين فقد اهلكه هذا العبد اللعين فقال الملك لا تقولوا هذا المقال فان ابن اختي جبل من الجبال لا تهزه الخيل والرجال وانا اعلم ان هذا الاسود اذا وقع بين يديه يرجع وانما انتم تقولون هذا من شدة الفزع ثم انه سار حتى يكشف الخبر وقد تدفقت وراءه المواكب مثل البحر اذا زخر واذا هو باوائل الخيل التي كانت مع مسحل متفرقة في الافاق وهي تنادي واسفاه عليك يا مسحل بن طراق فسال الملك عن ذلك فتقدم اليه فارس واعلمه بالخبر وقال ان ابن اختك قد قتله عنترة فلما سمع الملك ذلك طار الشرار من عينيه وكاد ان يغشى عليه وتقدم وهو يقول ما انحس وجه هذا العبسي علينا وما هذه البلية التي ساقها الينا ثم انه صاح في تلك الفرسان وحمل بمن معه من الشجعان واطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وطلبوا تلك الروابي وهم ينهبون الطريق حتى لحقوا عنترة في ذلك المضيق . قال الراوي وكان عنتر بعد قتل مسحل قال لاخيه شيبوب اجمع هذه الخيول والاسلاب ومر بها قدامي الى عروة ومن معه من الاصحاب ثم انه نظر الى مسحل فراى الروح تتردد فيه وهو ملقى مثل ثنية الجبل فافتكر في زواجه بعبلة فالتهب قلبه واشتعل فسل سيفه من غمده وضرب به على وسطه فجعله دلوين وتركه قطعتين والى ذلك يشير في معلقته حيث يقول

وقتيل غانية تركت مجندلاً	تمكو فرائصه كشدق الاعلمِ
سبقت يداي له بعاجل طعنة	ورشاش نافذة كلون العندم
وتركته جزر السباع تنوشه	يقضمنَ حسن بنانه والمعصم
لما رآني قد نزلت اريده	ابدى نواجذه لغيرِ تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته	بمهند صافي الحديد مخذم

قال الراوي فلما راى عنترة ذلك الغبار ركب جواده واغار فراى الجيوش تلاحقت والابطال تسابقت والفرسان من اربع جهات الارض تزاعقت وهم يقولون قتلك الله ايها العبد اللعين لانك قتلت لنا ملكا يسوى بني عبس اجمعين فلما نظر عنترة لمعان الصفاح وبريق اسنة الرماح وهم ينادون كلهم باسمه ويتسابقون الى نهب روحه وجسمه دخل عليه الغيظ والحرد حتى كاد أن ينشق ما عليه من الزرد فوطن نفسه على الموت من ذلك اليوم المهول والى ذلك يشير في معلقته حيث يقول

لما رايتُ القوم اقبلَ جمعهم يتذامرونَ كرَرتُ غيرَ مذممِ
يدعونَ عنترَ والرماحُ كانها اشطانُ بيرٍ في لبانِ الادهمِ
يدعونَ عنتر والسيوف كانها لمعُ البوارقِ في سحاب مظلمِ
يدعون عنتر والنبالُ كانها طش الجراد على مشارعِ حوّمِ
يدعون عنتر والدروع كانها حدقُ الضفادع في غدير ديجمِ
والخيل عابسةُ الوجوه كانما تسقى فوارسها نقيعَ العلقمِ
ما زلتُ ارميهم بغرّة ابجرٍ ولبانهُ حتى تسربلَ بالدمِ
وازورّ من وقع القنا فزجرتهُ فشكا اليّ بعبرة وتحمحمِ
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

قال ثم انه حمل عَلَى الجيش بقلب اقوى من الحجر وانصبّ عليهم انصباب المطر وصار يبري بسيفه الرماح الردينيات ويتلقى ضربات السيوف المشرفيات وكلما تطابقت عليه الابطال وضاق عليه المجال يزعق في وجوهها فيردها الى وراءها باصحابها ويطعن في صدور الخيل فتنقلب بركابها ولم يزل عَلَى ذلك حتى قل من سواعده الحيل وصار النهار في عينيه مثل الليل وبعد ذلك تكاثرت عليه الرجال والخيل وزعق الملك عمرو في رجاله فارمت انفسها عليه وصوبت اسنتها اليه وعنترة صابر صبر جبابرة العرب وقد استد في وجهه كل مذهب واختار الهلاك والعطب ولا يكون عليه اسم الهزيمة والهرب قال فبينما هو كذلك واذا بعروة قد طلع كالعقاب من تلك الشعاب ورجاله بين يديه وهم قد خففوا الملبوس وكشفوا الرؤوس ووطنوا على الموت النفوس وصاحوا باصواتهم يا لعبس يا لعدنان وحملوا مثل كواسر العقبان واخذوا يطعنون في صدور الفرسان وكان عروة قد وكل بعبلة عشرة من رجاله وامرهم بالمحافظة عليها والقيام بين يديها ولما خاض بين القوم قال لرجاله يا بني عمي الان احملوا حملة صادقة بنيات موافقة ولا احدمنكم

يحدث نفسه بالهوب ولا يطلب النجاة وهذه اول نوبة قاتلنا فيها مع عنترة واعناه على اعداه فاذا كشفنا عنه هذه النوبة يعرفها لنا ما دام في قيد الحياة وكان قصد عروة ان يريهم وقعات عنترة ويعلمهم الثبات لوقت اخر فعندها داروا بتلك الابطال واجادوا الطعن في صدور الرجال وصبروا على الاهوال وصارت قلوبهم مثل الجبال وظن كل واحد منهم انه يلقى الفاً من الابطال وكان لحملتهم هيبة عظيمة فاظهروا القوة والعزيمة وكان بنو كندة قد ظنوهم جمعاً كثيراً فتاخروا عنهم فرسخاً كبيراً ولذلك هان عليهم القتال واتسع عليهم المجال وصار الواحد منهم ان ضرب قطع وان طعن صرع . قال الراوي وسمع عنترة صياح عمه مالك وهو ينادي بني كندة يا ويلكم اقصدوا هذا الاسود الذي قتل مخل ولا تهابوا الذين معه فلبسوا اكثر من مائة بطل فلما سمع عنتر كلام عمه مالك جعل قصده اليه فلم تكن الا ساعة حتى قتل كل من حواليه وادركه قبل ان يهرب فمسكه ورماه الى الارض واذا بشيبوب عليه قد انقض فشده كتافاً واي كتاف واوثق منه السواعد والاطراف فحمل عليه ولده ليسعى في خلاصه من بد قناصه حتى اقترب منه واراد ان يقاتل عنه واذا بشيبوب ضرب جواده بنبلة فقتله وادركه قبل ان يهرب فمسكه واعتقله ومضى بهما حتى اوصلهما الى بطن الوادي ورجع فنظر اخاه يقاتل الاعادي وامتد النفير في بني كندة فسارعت فرسانها ونفرت شجعانها وزاد على بني عبس العدد وكثر المدد واظهرت رجال عروة فحماها عنتر كما تحمي الوالدة الولد وما امسي المساء حتى اهلكوا اكثر الابطال واثخنوهم بالجراح فتشتتوا في تلك البطاح فلما دخل الليل اداروا حول بني عبس المواكب ومسكوا عليهم الطرقات والمذاهب لانهم كانوا مغرورين بقلة بني عبس وكثرة ما عندهم من الكتائب وبات الملك على راس المضيق وفي قلبه على عنترة نيران الحريق وقال وحق ذمة العرب ان ما فعله هذا العبد تعجز الجن عنه ونحن كنا نلوم عمه ونستهزي به اذا خاف منه وان خرج من ارضنا وهو سالم عيرتنا الناس ما قعد قاعد وقام قائم فقالت سادات بني كندة يطيب قلبك ايها الملك فوحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لا بد في غداة غدٍ ان ننهب جسده على اسنة الرماح ونقطعه شفار الصفاح ثم انهم باتوا وقلوبهم تغلي كالمرجل من شدة حزنهم على مسحل واما رجال عروة فانهم اخذوا يلوموا بعضهم بعضاً ويقولون والله قد ركبنا الجهالة وسلكنا طريق الضلالة لاننا اتينا بمائة فارس ونريد ان نلتقي اهل اليمن واهل صنعاء وعدن ولكن ما حسبنا

حساب تصاريف الزمن حتى وقعنا في هذه المحن وعنترة رجل عاشق وغارق في بحر هواه وقد هانت نفسه عنده لاجل بلوغ مناه ونحن لو كان لنا عقل ما تبعناه ولكن عروة غرنا بالمحال واطمعنا في نهب الاموال حتى القانا الى المهالك والوبال. قال وكان عنترة قد لحظ على حالهم وعلم انهم ندموا على مجيئهم ومساعدتهم له بقتالهم فاقبل على عروة وقال له يا ابا الابيض انا اعلم ان رجالك قد ندموا وآيسوا من السلامة وعادوا على انفسهم بالملامة والراي عندي انك تاخذهم وتنجوا بهم في هذا الليل وانا ارد عنكم من يتبعكم من الخيل ولا ازال اقاتلهم حتى اعدم السمع والبصر او اسلم واعود بعدكم على الاثر لاني اعلم ان الاجل اذا حضر لا يتقدم ولا يتاخر فقال عروة ما هذا الكلام يا ابا الفوارس فوحق الملك العلام وخالق الضياء والظلام ما بقينا نفارقك حتى تدوس الخيل رؤوسنا وتفارق اجسادنا نفوسنا وان كان من اصحابي احد واقعه الندم فهو بشانه اعلم قال الراوي ثم انهم بعد هذا الكلام قدموا شيئاً من الطعام وامر عنترة عروة ان يفتقد عمه وولده و يطعمهما شيئاً من الزاد و يطيب قلوبهما بالكلام وحفظ الوداد ثم قام عنترة الى نحو عبلة وبل شوقه منها بالنظر وصار يسالها عما لاقت في تلك الغربة والسفر فقالت له يا ابن العم اظن ما لاقت جويرية مثل ما لاقيت ولا قاست مثل ما قاسيت ثم انها حدثته بما كانت تلاقيه من الشوق الى الاوطان وما جرى على قلبها من الهموم والاحزان فقال لها والله يا ابنة العم لو علمت ان قلبك يصبر على البين والنوى ما كنت تركت اباك يستنشق الهوى ولكنني اعلم انني اذا فعلت ذلك تحتاجين الى لبس السواد وتواظبين النوح والتعداد وتشتفي بك اهل البغي والحساد واقل ما يقولون عنك ان عبلة قد اختارت قتل ابيها لاجل هذا العبد الاسود فتبسمت ضاحكةً من كلامه وقالت يا ابن العم قد بلغت هذه المنزلة العلية ورغمت انوف سادات الجاهلية ولا تمحو عنك اسم العبودية فقال عنترة لا والله ياقرة العين والروح التي بين الجنبين ما انكر اني عبد جمالك واسير دلالك قال فضحكت عبلة وقبلت يديه وشكرته واثنت عليه. قال الراوي و بعد ذلك قام من عندها وزال عنه العنا والتعب وحدثته نفسه انه يلقى جميع العرب وركب جواده وخرج يحفظ راس المضيق وشيبوب في ركابه وعروة وجميع اصحابه ولما اشرفوا على بني كندة وجدوا نيرانهم زائدة الايقاد والاوهاج وهم يموجون كالبحر العجاج اذا تلاطم بالامواج فقال عنترة والله ان قلبي يحدثني بالكبسة لهولاء الانذال في هذا الليل فنبليهم بالذل

والويل ونبادرهم بضرب الصفاح وانجاز الامر قبل الصباح لانهم اذا سمعوا الصياح ضرب بعضهم البعض وتشتتوا في اقطار الارض فقال عروة لا يا ابا الفوارس ما هذا صواب لانهم يعرفون قلة عددنا واذا حملنا عليهم يحسبون هذا الحساب وربما مالت طائفة منهم الى ورانا ويعودون يسبون عبلة ولا نعلم من سباها من الفرسان فيعود ربحنا الى الخسران · فقال صدقت يا ابا الابيض ومكثوا حتى مضى اكثر الليل واذا ببني كندة قد انطفت نارهم وركبت فرسانهم وعادوا يطلبون اوطانهم وهم لا يلتفت بعضهم الى بعض وقد اقلبوا بصياحهم وركض خيلهم جنبات تلك الارض وكان عنترة لما ركبوا ظن انهم ركبوا للقتال فلما رآهم راحلين تعجب من ذلك الحال وقال لشيبوب يا ترى ما بال بني كندة وقد عادوا راجعين فما هذا الا لانه قد اتاهم خبرٌ يشغل البال وانا لا بد لي ان اتبع اثارهم فقم ونبه على الرجال فقال شيبوب لا يتبعهم الا انا لاني اخاف ان تكون حيلة منهم فنقع في العذاب والعنا وعندها سار شيبوب وراهم حتى يكشف اخبارهم الى ان لحق بهم وهم قد قاربوا ديارهم فراى الصياح في بيوتهم من كل جانب ومكان ومناديًا ينادي في اواسطهم يالشيبان انا بسطام بن قيس فارس الفرسان فلما سمع شيبوب هذا الكلام اطلق ساقيه للريح في ذلك البر الفسيح فلما وصل الى اخيه اطلعه على الخبر وقص عليه جلية الاثر فلما سمع عنتر هذا الكلام قال والله ما اخلي احدًا يتمكن من الامير بسطام وبني شيبان ولا بد لي ان اسير على اثار بني كندة واعين ابا اليقظان والا لحقوهم بهذا الجمع الكثير وافنوا منهم الكبير والصغير فقال عروة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم ان عنتر امر عروة ان ينادي في رجاله و يسرع في ارتحاله واذا بغبار قد علا وارتفع وضربته الرياح الاربع فمهر من تحته فرسان كانهم العقبان على خيول تسبق الغزلان فحرك عنتر بالجواد نحوهم وساق في تلك البيداء وقد ظن انهم كمين من الاعداء وقال في نفسه لا شك ان القوم رحلوا من غير قتال لانهم تركوا خلفنا من يدهمنا اذا تبعناهم ويسقينا كاس المنايا مثل ما سقيناهم فقال شيبوب يا اخي اثبت مكانك حتى اتيك بخبر هذا الغبار وانطلق كالنعامة فى تلك القفار وما غاب الا قليلاً حتى اقبل وهو يقول ابشر يا ابن الام بالخير وتقدم وسلم على اولاد الملك زهير فقد جاءوا الى نصرتك بعسكر جرار مثل الجراد الطيار · قال الراوي فبينما شيبوب وعنترة في الكلام اذا بالغبار قد انكشف و بان عن الف فارس ينادون يا لعبس يا لعدنان والمقدم عليهم اولاد الملك زهير الشجعان

وهم شاس ومالك ونوفل والحارس ومعهم شداد واخوهُ زخمة الجواد ومن وراهم الف فارس من الابطال العوابس وكل فارس يقول انهُ يلقى وحده الف فارس منهم قرواش بن غالب وغياض بن ناشب وعامر بن الجلاخ وغيرهم من الابطال المعودين عَلَى الحرب والكفاح . قال الراوي وكان السبب في حضورهم على هذا القصد سلمى اخت عروة بن الورد لان اخاها لما رحل برجالهِ من ديار بني عبس وتبع اثر عنترة بن شداد خلاها في ابيات بني قراد واوصاها ان لا تعلم بمسيره احداً من العباد ففعلت ما امرها وبقيت كاتمة ذلك الحال الى ان رات لهفة النساء والرجال من اجل فقد عنترة واخيها ومن معهُ من الابطال وخافت عَلَى اخيها من الخطر في مرافقته لعنترة ومن شدة ما جرى على قلبها اعلمت شداد بان ولده سار الى ديار بني كندة في طلب خلاص عبلة من تلك البلاد فلما سمع شداد هذا الكلام مضى الى اولاد الملك زهير وبكى بين ايديهم وتحسر واخبرهم بمسير صديقهم عنترة وقال لهم اعلموا يامواليَّ ان عبدكم الذي عليتم ذكره ورفعتم قدره قد سار الى بني كندة وحدهُ وقد رمي الى الهلاك نفسه التي هانت من شدة الغرام عنده وانا خائف عليه من الملك عمر المقصور لانهُ ملك عظيم الشان كثير الجنود والفرسان وله ابن اخت يقال لهُ مسحل بن طراق لا يوجد مثلهُ في جميع الآفاق وهو فارس شرس الاخلاق مر المذاق اطعن اهل زمانه بالرماح الدقاق واضربهم بالسيوف الرقاق . قال الراوي فلما سمعوا هذا الحديث لعبت في جسمهم الحرق وزاد فيهم القلق فدخلوا على ابيهم فاخبروه بما سمعوا عن عنترة واستاذنوهُ في المسير الى بني كندة ليكونوا له نجدة فقال لهم خذوا معكم من بني عبس الف فارس وسيروا اليه واذا وقعتم به فسلموا عليه واعلموهُ اني مريض ولولا ذلك سرت معكم بنفسي الى نصرته وما توانيت عن نجدته فعند ذلك خرجوا من عند ابيهم واختاروا من بني عبس الف فارس كالاسود العوابس وفي الحال ركبوا وسار معهم شداد واخوه زخمة الجواد وجماعة من بني قراد وساروا يقطعون الارض في طولها والعرض حتى اشرفوا على ديار بني كندة فالتقاهم عنترة وعروة واصحابه وترجلوا وسعوا الى خدمة اولاد الملك زهير ودعوا لهم بالسعادة والخير وقال له شاس يا ابا الفوارس قد عتبنا عليك لانك تسير وحدك في اشغالك ولا تطلعنا على احوالك فقال عنترة واللّه يامولاي انا ما افعل هذا الا احتراماً لكم لاني لا استحق اهتمام مثلكم من ذوي الاقدار ولا اريد ان تقول العرب ان سادات بني عبس وعدنان سارت مع عبدها حتى صارت له كالانصار فقال

لهُ ابوه شداد وانت ياولدي لاجل هواك ترمي نفسك كل يوم في الهلاك وتبرك العرب كلهم اعداك فقال نعم يامولاي ان الانسان اذا بلي بظالم يحتاج ان يبذل في مكافاته المجهود ولا يرضي ان يشمت فيه العدو والحسود و بعد ذلك حدثهم بما جرى لهُ في بني كندة وكيف زوج عمه عبلة بمسحل بن طراق وكيف قبض المهر والصداق وكيف قتل مسحل وشتت قومه في الافاق فتعجبوا من ذلك الباس والشدة وسالوه عن مالك وعبلة وبني كندة فقال لهم اما مالك وابنته واخوها وزوجته فانهم تحت قبضتي في الاعتقال واما بنو كندة فانهم عادوا الى ارضهم والاطلال يطلبون خلاص الاهل والعيال من يد بسطام سيد بني شيبان الذي انا سائرٌ الى معونته لولا قدومكم الان فساروا معه الى مكان المعمعة واذا مالك وزوجته وولده قد اشرفوا على التلاف من شدة الوثاق والكتاف فقال شاس لمالك ويلك يامالك ما كان انحس ساعة نزلت فيها الدنيا اما كفاك صرت مثلاً بين الورى واحدوثةً لكل من يسمع ويرى ولكن هذا الهوان بك اولى لان الجاهل لا يفرق بين النعيم والعذاب ولا يعرف الخطا من الصواب فقال والله ياسادات بني عبس انني رجلٌ عزيز النفس وانا لا اسلم ابنتي اليه وفيَّ جارحةٌ تخفق ولا لسان ينطق الا ان كنتم نقتلوني وتاخذوها سبية حتى يكون عذري واضحاً في البلاد العربية قال شداد يا مالك وانا اخليك ان تاخذ اموال ولدي وتاكل خيره وتزوج بابنتك غيره فقال عنترة يا قوم اشهدوا عليَّ ان هذا عمي ان ستر بنته من الفضائح واستقر في دياره ولم يعرضها للزواج كل غادٍ ورائح لا اطلبها ابداً ولا اقيم في الاوطان واجعل مقامي في بني غطفان ولكن ان زوجها لغيري وانا في دار الدنيا فلا اتركه يعيش ساعةً ولا يحيى فقال شاس لما سمع هذا الكلام والله يا ابا الفوارس ما بقي عليك ملام ولا يقدر احد يدخل تحت هذا الشرط من الانام وفي قلبه بعض ما في قلبك من الغرام فقال مالك بن زهير يامالك اتريد اكثر من هذا الذل بين يديك وقد اجابك الى ما تريد بعد القدرة عليك فقال ياموﻻي انا ما اريد هذا الشرط يكون الا بين يدي ابيك حتى يقابل الذي يرجع عن هذا الكلام ويجرد عليه سيف الانتقام واما انت فاريد منك هذه الشهادة والاقرار متى عدنا الى الديار حتى يوفي بما اشترط على نفسه وقر عليه القرار فقال عنترة وانا ارضى بهذا الحكم ولو حملت نفسي الشماتة والعار ثم انه تقدم اليه وحل من الرباط يديهِ وقبله بين عينيه

قال الراوي هذا واولاد الملك زهير يتعجبون من عظيم مروءته وشدة احتماله ونخوته

ثم انه عول على المسير الى مساعدة الامير بسطام وقال لاولاد الملك زهير وانتم ياموالي اريحوا انفسكم في هذا المقام ولا تباشروا الحرب في هذه الايام فقال شاس لا والله لا نكون الا في اول الرجال ونقاتل بين يديك الابطال والا فعليك منا السلام ونحن نعود الى الديار والاطلال فعند ذلك قال عنتر لاخيه شيبوب اقصدلنا اثار خيل بني كندة حتى ننظر ما جرى الى الامير بسطام من الشدة فسار بهم شيبوب يقطع الربى والآكام وعنترة الى جانب شاس ينادمه بالكلام. هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير بسطام وسبب قدومه الى هناك في تلك الايام هو انه لما عاد رسوله اليه واخبره بان عنتر عزم على كشف اخبار عبلة وعلم ان اباها قد نزل بها في تلك الحلة قال والله لا قعدت عن هذه الخدمة لان ابا عبلة اخذها من عندي وهرب وصار يجب علي الطلب ثم انه انتخب الف فارس من بني شيبان واستأذن اباه في ذلك الشان فاذن له وقال له اذهب بحفظ الالهة والاصنام واذا وصلت اليه فاقرئه مني السلام وسار بسطام طالبًا ارض بني كندة وكان وصوله اليها بالاتفاق لما قارب زفاف عبلة على مسحل بن طراق وكان قد بقي لها من الاجل يوم واحد فاكمن في تلك البراري والفدافد وانفذ بعض عبيده ينظر ما يتجدد بالاخبار ويفحص ان كان عنترة طرق تلك الديار فسار العبد حتى وصل الى تلك الاطراف وعاد الى بسطام وقال له يا مولاي ان بني كندة مشغولون بمهمة الزفاف وهم عازمون عند الصباح على انجاز شغلها وانفاذها الى بعلها فقال بسطام وقد تاسف وتحسر خرجت والله عبلة من يد عنتر ولكن وحق ذمة العرب لا خليت بني كندة تتهنا بها ولا بد ما اسعى في خلاصها وابذل المجهود حتى اكون وفيت بالعهود فياليت شعري ما الذي عاق عنترة عن الحضور في طلبها وهو هالك بسببها ثم التفت الى عبده الذي اتاه بالخبر وقال له ارجع الى بني كندة ولا تبرح من الحي حتى تنظر عبلة قد خرجت من الحلة وارجع الي بالعجل حتى اريك ما افعل فعاد العبد الى بني كندة وبات عند الرعاة في تلك الفلاة ومكث هناك حتى اصبح الصباح فانقلب الحي بالسرور والافراح وركبت الفرسان على متون الخيل العوال ورفعوا الهوادج على ظهور الجمال وسارت النساء مع عبلة تودعها وخرجت البنات تشيعها فعاد العبد الى بسطام واخبره فكاد قلبه ان يتفطر لاجل انقطاع الخبر من نحو عنتر وقال لرجاله تاهبوا انتم للقتال حتى اريكم ما افعل بهولاء الانذال ثم سار برجاله حتى اشرفوا على المضارب واذا هم يسمعون اصوات النوادب والعويل من كل جانب فلما سمع ذلك بسطام

قال ان صدقني حذري فان عنترة اخذ العروس وصبح القوم صباح منحوس و بنو كندة ساروا خلفه وتركوا الاموال والعيال ونحن ما خطرنا لهم على بال فدونكم الان ونهب الاموال ثم انه كبس القوم باصحابه كما ذكرنا ونزل عليهم نزول القضا والقدر فقتل من قتل وامسر من اسر وعاد وهو يقول انا اعلم ان بني كندة لا بد ان يتفرقوا عن عنتر اذا سمعوا بهذا الخبر · قال الراوي وكان الحساب الذي حسبه بسطام صحيحاً لان الخبر كان وصل الى بني كندة وقت السحر فرحلوا وقد تفرقوا عن عنتر وطلبوا بسطام و بني شيبان فلحقوهم في ارض يقال لها ذات الجلاجل وهم قد اقلبو تلك الارض بالعساكر والجحافل وكان الملك عمر والمقصور سيد بني كندة قد تبعهم في اربعة الاف فارس جحجاح كانهم عوامل الرماح يهشون للقراع هشاشة الاطفال للرضاع فلما اشرف على بسطام امر العساكر بالحملة والصدام فالتقتهم فرسان بنو شيبان واصطدم الجيشان واتصل الضراب والطعان وفارقت الارواح الابدان وتمددت القتلى في ساحة الميدان وفعل بسطام فعل اولاد الحلال وردعن قومه المواكب والاقيال وجال على فرسه ذات النسور وهتك بسنان رمحه الصدور وقاتل قتال الخائف المذعور وكانت فرسان بني كندة قد ترقفت في القيمان فعادث على بني شيبان وخلصت منهم الاموال والنسوان وعاد ربح القوم الى خسران وما اشرف عليهم عنترة الا وهم في غاية الخذلان وكان بسطام قد ايقن بالهلاك والقلعان من ازدحام المواكب وكثرة الفرسان وهو يتلقى بصدرهِ عوامل الاشطان و يكثر من ذكر صديقه عنتر والقتلى من حوله مثل البدر اوكالجراد اذا طار وانتشر وهو يبكي و يتحسر و يترنم بهذه الابيات

في الحرب يفتخر الشجاعُ الضيغمُ	او ما تراني في الوغي اتقدمُ
بالله ياريح الشمال تخبري	لابي الفوارس كيف كندة تهزمُ
نادى منادى الموت فيهم معانآ	فغدا وجود القوم فيهم يعدمُ
لولاي لم يكنِ الحسام بقاطعٍ	دوماً وكندة كالدوافق تسجمُ
والخيلُ تعلم والفوارس انني	في ساحة الحرب العوانِ معظمُ
صبراً على الاهوال لا ابغي بها	فالصابرون على الوقائع تغنمُ

قال الراوي فقال عنترة من هذا كنت خائف على ابي اليقظان ثم انه حمل بفرسان عبس الشجعان الذين ما فيهم مقصر ولا جبان بل لهم الوقائع المذكورة في كل مكان وكان قد وقع لعنترة فى قلوب بني كندة هيبة عظيمة وشان ثم تقدم عنترة الى ناحية

بسطام وحياه بالسلام وانشد وقال

لله درك يا ابا اليقظان	من ضيغم صعب على الحدثان
صبراً اتاك ابو الحروب وليثها	ومثيرها بمثقف الاشطان
صبراً اتاك مغلل الاسياف في	قمم الملوك وقاتل الشجعان
يا آل كندة قد اتاكم فارس	قهر السراة الشم من قحطان
ما سل سيفاً مرهفاً في معرك	الا وقال الدهر منه كفاني
كم جهد اصبر والزمان يكيدني	ويزيد عمي ذلة بهوان
او ما ترى ان الاسود تذل لي	او ما ترى كل الورى تخشاني
فاليوم يومي والزمان يودني	والوقت وقتي والعلاء مكاني

قال الاصمعي فعند ذلك اجتمعت اكابر آل كندة واتوا الى الملك عمرو وقالوا له نحن في شدة واي شدة لان هذا الشيطان ما قصد هذا المكان الا وفي نفسه ما يبقي منا انسان ونخاف ان يكون بعضهم قد مال على اطلالنا وسبي حريمنا وعيالنا وان كان هذا الحساب صحيح فهو الهلاك والقلعان الى آخر الزمان فقال لهم عمرو والله ما نظرتم الا موضع النظر والراي عندي ان نعالج من دائنا المرض الاخطر ونميز بحسن التدبير الاقل من الاكثر قالوا وما هو قال اسير انا الى الاطلال واجمع ما بقي هناك من الفرسان والابطال وانتم تقاتلون ثم تتاخرون واياكم ان تنهزموا فعند ذلك يطمع فيكم عنترة واكون قد ادركتكم بباقي العسكر فنحيط به من كل ناحية ونقلع منه الاثر فاستصوبوا رايه واستحسنوه وظنوا انهم بواسطة ذلك ينالون ما يؤملون وفي دون ساعة شاع في بني كندة هذا الخبر فصارت تقاتل وتتاخر وقد اشتغلت قلوبها على الحريم والاولاد فقصرت عن الحرب والجلاد وعلم عنترة بذلك الحال فجرد الطعن في صدور الرجال وفعل بسطام ورجاله مثل تلك الفعال فصارت الهزيمة حقاً وتبددت جموع كندة غرباً وشرقاً وما وصل منهم الى البيوت الا كل ضامر مهزول على جياد الخيول وكان الملك عمرو قد سبقهم الى الخيام والمضارب فوجد بيته سالماً من النوائب فصاح على الرجال وامرها باخذ اهبة القتال بعد ما اخبرها بحقيقة الاحوال فكرّت الى معونة اصحابها واجادت في طعانها وضرابها وما زالوا يقتتلون بطعن الرمح وضرب الحسام حتى اظلم الظلام وخفيت مواقع الاقدام فعند ذلك تاخرت جموع كندة واضطرت الى الانهزام وتقهقرت الى الخيام وتحكمت فيها سيوف الانتقام فامر عنترة قومه بنهب الاموال وسوق النوق والجمال

واطلاق الحريم المخدرات والبنات العربيات ثم انه التقى بالامير بسطام فاعتنقه وشكره عَلَى فعاله واثنى عليه وعلى رجاله وقال له لقد تفضلت علينا يا ابـا اليقظان واوليتنـا الجميل والاحسان وما بقينا نقدر على مكافاتك ابدًا لانك تكرمت علينا بروحك وجعلتها لنا فدًا فلما سمع بسطام من عنتر ذلك الكلام قال وحق الملك العلام ياحامية آل عبس الكرام ان خدمتك واجبة عليَّ مدى الدوام لانك لما ملكت عتقت وبقيد الاحسان اوثقت ثم انه اشار يمدح عنترة بهذه الابيات

هناءٌ لا يزالُ على هناءٍ	يخصك في الصباح وفي المساء
فانتَ اجلُّ فرسان البرايا	واولى بالمديحِ والثنآء
فانَّ الله لم يخلقكَ الا	لباسٍ في الكريهة والعنـاء
فما حاذاك ليثٌ في قتـال	ولا سواكَ غيثٌ في سخاء
حويتَ مع الحيا علماً وفهماً	وصبرًا في الشدائدِ والعطاء
اضفتَ الى السخاء جميلَ فعلٍ	وكملت الفضائل بالنداء
فيعجب من يراك لما يراهُ	عليك من الجلالة والبهاء
ابا الفرسان انت لنا مجيرٌ	تكاد تجيرُ من صرف القضاء
فامرك مثل عزمك في نفاذٍ	وعزمكَ مثلُ سيفكَ في مضاء
فعشْ في نعمة ودوامِ عزٍ	بغير تغير وبلا فنـاء

قال االراوي ثم ان عنترة شكر الامير بسطام على شعره والنظام وحدثه بما كان في قلبه من نار الاحتراق لاجل زواج عبلة بمسحل بن طراق واعلمه بان عمه عليه غضبان وحلف انه لم يسكن في بني عبس وعدنان فقال بسطام وحق مكون الاكوان ومدبر الوقت والزمان انني ما ادعك تسكن عند احد من الخلان ولا تجعل مقامك الا عندي في بني شيبان لانى اولى بك من كل انسان لاجل ما لك عليَّ من الجميل والاحسان والفضل الذي لا يستوفي وصفه اللسان فلعن الله عمك الخائن القرنان فما اشد بغضته واعمى بصيرته فقال مالك بن زهير والله يا بسطام نحن ما نمكن ابن عمنا من الرحيل عنا الى غير ارضنا فلا تحلف عليه حتى نتلافى قصته وننجد نوبته ونرد قلب عمه بعد هذا الحقد اليه ونبذل نفوسنا بين يديه وان كان قد اقسم بان لا يجاوره حتى يرضى عليه فنحن نتركه في بعض اوديتنا ونقيم كلنا عنده حتى تنحل عقدته و يبلغ مراده وقصده لان ارضنا واسعة ومياهنا نابعة فقال شداد والله يا مالك ان مقام ولدي عند الامير بسطام

هو غاية القصد والمرام حتى لا تنفرق العشيرة وتنقسم الى شطرين فيتعب قلب ابيك لما يرانا حزبين ونبقى كل يوم في مقال وعتاب فتشمت بنا الاعداء وتحمل همنا الاصحاب واذا وصلنا الى الديار اخذت عبلة عندي واترك اباها يقطع منها الاياس والا جعلته احدوثةً بين الناس الا ان صالح ولدي وترضاه و بلغه قصده ومناه . قال الراوي ثم انفصل الامر بينهم على ذلك الحال و باتوا في تلك الاطلال فلما اصبح النهار وطلعت الشمس عوّل بسطام ان يقسم الاموال والغنائم على بني عبس وحلف انه لا ياخذ منها ما يساوي قيمة فلس فابوا وقالوا هذه تكون لابن عمنا عنترة الذي هو صديقك وجارك يستعين بها مدة اقامته في ديارك فتعجب بسطام من فرط مروءتهم وحسن اخلاقهم الكريمة واستحيي من اولاد الملك زهير بن جذيمة فامر رجاله بسوق الاموال وافترقوا على احسن حال فعند ذلك بكى شداد على فراق ولده عنترة وتاوّه من قلب حزين ويتحسر وهطلت دموعه على خديه كانها غزير المطر وعبلة تنادي وتقول الشمل مني تفرق وقلبي قد التهب واحترق فلما سمع شداد كلامها انشد يقول

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدرُ

وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو الليالي يحدثُ الكدرُ

قال الراوي وسار القوم من تلك الارض وهم يتحدثون مع بعضهم البعض وعاد عنترة مع بسطام وهو يشاغله بغير ذلك الكلام وعنترة يظهر الجلد ويخفي الكمد و يرفع راسه ويتنهد لانه كان محروق الفؤاد ولهان وهو خائف على قومه ان يقعوا بنكبة قبل وصولهم الى الاوطان فصار يلتذ باستنشاق النسيم الذي يهب من ناحية عبلة فينتعش به جسده و يزيل عن قلبه الغم والذبلة لان عشاق العرب والمتيمين كانوا ينتشقون الريح التي تهب من ارض الحبيب فتداوي امراض قلوبهم من العشق وتطيب ثم غلبت عليه كثرة الاشواق والاحزان وتذكر ما قاسى من حر الفراق والاشجان عند مفارقة الاحباب والخلان فصار بسطام يحادثه باخبار المتهمين والعشاق وما لاقوا من الهجر والفراق فقال عنترة يا بسطام ما اظن احد لاقى مثل ما لاقيت ولا قاسى مثل ما قاسيت ثم جاش الشعر في خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وافتكر بابنة عمه عبلة وما قاسى لاجلها من الغم والذبلة وكيف ان قومه تركوه في ذلك المكان وابعدوه عن الاهل والخلان فانشد وقال

اذا ريحُ الصبا هبت اصيلا شفت بهبوبها قلباً عليلا

وجاءتني تخبرُ انَّ قومي | بمن اهواهُ قد جدُّوا الرحيلا
وما عنوا على من خلفوهُ | بوادي الرملِ منطرحاً جديلا
يحنُّ صبابةً ويهيمُ شوقاً | اليهم كلما ساقوا الحمولا
ينادوني بعنترَ يومَ حرب | ويومَ السلمِ عبدهمُ الذليلا
الا يا عبل ان خانوا عهودي | وكان ابوكِ لا يرعى الجميلا
حملتُ الضيم والهجران جهدي | على رغمي وخالفتُ العذولا
ألفتُ السقم حتى صار جسمي | اذا فقدَ الضنا امسى عليلا
وعاداني غرابُ البين حتى | كاني قد قتلتُ لهُ قتيلا
وقد غنَّى على الاغصان طيرٌ | بصوتِ حنينهِ يشفي الغليلا
بكى فاعرتهُ اجفان عيني | وناحَ فزادَ اعوالي عويلا
وبات مقلقلاً لفراقِ الفٍ | يانُّ لفقدهِ الليلَ الطويلا
فقلتُ لهُ جرحتَ صميم قلبي | وابدى نوحك الداء الدخيلا
وما ابقيتَ في جفني دموعاً | ولا جسماً اعيشُ بهِ نحيلا
وما ابقى ليَ الهجرانُ صبراً | لكي القي المنازلَ والطلولا
ولو اني كشفتُ الدرع عني | رأيتُ وراءهُ رسماً محيلا
وفي الرسمِ المحيلِ حسامُ نفس | يفلُّ حدهُ السيفَ الصقيلا
ألفتُ نوائب الايامِ حتى | رايتُ كثيرها عندي قليلا

قال الاصمعي ولم يزالوا سائرين يناشدون الاشعار حتى تنصف النهار واذا بعنتر قد توقف في تلك القفار ونكس راسه الى الارض وزاد به الافتكار فقال له بسطام ما حالك وما الذي جرى لك ونالك وانت انشدت شعراً جاءت عبلة في بالك فقال عنترة والله يا اخي ان ذكر عبلة هو في جلدي لا يغيره الزمان ولولا الشعر الذي انطق به لهاجت في فؤادي النيران وهو احسن العلاج والدواء وبه اسلو نوعاً عن مرارة الوجد والهوى ولكن يا امير بسطام قد حسبت حساباً وانا خائف ان يتسبب منه اسباب فقال بسطام وما هو الحساب قال قلبي خائف من بني كندة ان يعلموا باحوالنا وانقطاعنا عن بني عمنا واهلنا فيطمعوا فيهم ويسير الملك عمرو خلفهم في جموعه وجنوده ويلحقهم بفرسانه وفهوده وان كل فريق قد سار منا في طريق وربما يهلك من اولاد الملك زهير احد فيلحقنا من اجله المضرة والنكد ويؤول امرنا بعد الربح الى الخسارة ويشمت بنا الربيع

واخوه عمارة فقال بسطام وكيف يكون الحال فقال عنترة الصواب انك تامر هذه الفرسان ان تسبقنا الى المنازل والاطلال ونحن نسير في عشرة من الابطال ونقتفي من بني عمنا الاثار ونرعاهم من بعيد حتى يبعدوا عن هذه الديار ونامن عليهم من نوائب الاخطار وبعد ذلك نعود الى ارضكم كما تحب وتختار فقال بسطام افعل ما بدالك فانا تابع مقالك ثم ان بسطاماً امر قومه بالمسير الى الاطلال وان يسوقوا قدامهم الغنيمة والاموال وانتخب من قومه عشرة من الابطال ممن يعرفهم بالشجاعة والاقبال وعادوا مع عنترة وشيبوب قدامهم يدلهم على الطرقات حتى فات بهم حال بني كندة وابعد بهم في الفلوات وما اصبح الصباح الا وقد قطعوا ارض بعيدة في تلك البطاح فتاملوا في تلك الارض وكان ذلك الوقت عند طلوع الشمس فلم يروا غير اثر حوافر خيل اصحابهم وهي راجعة الى ارض بني عبس فقال بسطام والله يا ابا الفوارس ان بني كندة عندهم شغل شاغلهم عن اتباع سواهم وقد القيت في قلوبهم خوفاً ما ينسوه في دنياهم فقال صدقت ولكن ما تكلمت الا بكلام عقلاء الناس وما في الاحتراز من باس ونحن نستريح اليوم ههنا ونرحل وقت السحر حتى لا يفوتنا من بني كندة خبر . هذا ما جرى لبني شيبان وعنترة واما ما كان من بني عبس فانهم لما ابعدوا في البر الاقفر حتى ضاقت صدورهم لفراق عنترة وما فيهم الا من تاسف وتحسر وقال شاس لمالك ابي عبلة وكان قد اجتمع به في خلوة يا مالك ها قد اتاك الامر كما تريد واصبح عنتر من اجلك وحيداً وفريداً وسار مع بسطام الى دياره والاوطان وهجر الاهل والخلان ولكن وحق الدائم بلا زوال لا بد ما تندم على هذه الفعال وتحسر من هذه الاعمال ثم انشد وقال

اعلم وحدّ عن موضع الاخطار	تلق النكال به عظيم النارِ
ان الخطوب اذا تعاظم قدرها	حكمت على الاسماع والابصار
يا قاطعاً سبلَ الرشادِ وقاسماً	قرب القرابة عشت ناء الدارِ
اني اخاف عليك مشتجر القنا	يوم الهياج وصولة الكرارِ
او مارات عيناك موقف كندة	والموت في كفيه والاخطارِ
لما غدوا صرعاً تنوش لحومهم	وحش الفلا ومخالب الاطيارِ
فلتندمن يا مالك ولتعلمن	سلم اللئيم سلالة الاشرارِ

قال الاصمعي فلما سمع ابو عبلة ذلك المقال قال له ايها السيد المفضال أاندم على صيانة

الحرم من العبيد والخدم فوالله لو ان لعنتر نسباً يرجع اليه لما بخلت بابنتي عليه ولكن حمل العار ثقيل وكلام الناس اشد من ضرب السيف الصقيل قال فلما سمع شداد ذلك المقال قال له ويلك يا مالك كم تطعن في نسب ولدي وتعيبه في سائر المواضع ونسبه اليك راجع · ويلك اما انت اخي وانا اخوك وامي امك وابي ابوك فقال مالك نعم يا شداد انت تسبي امة وتأتي منها بولد سفاح وتطلب مني ان ازوجه بعبلة سيدة الملاح التي تلفت في محبتها المهج والارواح ويلك يا شداد اتجعل شريحة بنت الوضاح معادلة زبيبة بنت السفاح ثم ازداد بينهما الكلام حتى آل الامر بينهما الى ضرب الحسام. قال الراوي فعند ذلك اتاهما مالك بن زهير وفرق بينهما وقال يا بني الاعمام لا تختصما في هذا المكان فليس هذا موضع خصام وانتما في بلاد الاعداء اللئام والذي تختصما لاجله قد رحل وطلب الانفراد واختار على قربكم البعاد حتى لا يتفرق شملكما ولا تبعدا عن اهلكما وقد قال مر يا امير مالك وان اراد عمي ان يزوج ابنته الى احد فلا تمنعوه من ذلك لاني ما بقيت ارجع الى هذه البلاد حتى اسمع ان صار لعبلة اولاد فان روحي قد ملت من ركوب الاخطار وانا اخدم اناساً في الليل والنهار وهم لا يعرفون لي قيمة ولا مقدار وانا اريد ان اجعل مقامي في بني شيبان ولا ارى بعيني الذل والهوان وما زال مالك على مثل هذا المقال حتى طاب قلب مالك بهذا الحال وسار القوم بعد ذلك طالبين الديار وفي قلوبهم لهيب النار وكان شاس في هذه النوبة نوى على قتل ابي عبلة من ما جرى عليه من الدبلة وما زالوا كذلك حتى خرجوا من ارض بني كندة وتلك الدكادك ووقعوا في البر الاقفر فزاد بشاس الهم والفكر ثم سار في اول العسكر ورافقه شداد ابو عنتر وما فيهم احد يشتهي ان ينظر ابا عبلة من سوء افعاله وغلاظة مقاله وتبقى مالك بن زهير في بقية الفرسان وجعل يسير بعبلة سير الامان ويترفق بها وباخيها وبامها وابيها دون كل انسان لانه اطول بالاً من اخيه شاس واكثر منه مدارة للناس فسار على اثر اخيه يوماً كاملاً في تلك الهضاب حتى اشرف على ارض يقال لها الرباب وكانت مليحة الجنبات طيبة النبات غدرانها دافقة وروائحها بالزهور عابقة ووحوشها راتعة وعيونها نابعة · قال الراوي وكان قد قل على القوم الزاد لبعد المسالك فشكا اكثرهم الجوع للامير مالك لانهم لما فارقوا

انتهى الجزء العاشر من قصة عنترة بن شداد ويليه الجزء الحادي عشر

الجزء الحادي عشر

من سيرة

عنترة بن شداد

عنترة واعطوا الي بسطام النوق والجمال ما زالوا سائرين لتقريب الاجال وكانوا يقتاتون من صيد البرية الى ان اشرفوا على تلك الارض البهية ونظروا الى كثرة وحشها السارح وزهرها الفائح فنزلوا هناك وقال مالك لاصحاب الخيول السابقة والجنائب غير المتلاحقة دونكم يا بني الاعمام هذا الصيد الوافر والخير الغامر فلا يعود احد منكم الا بما يكفيه ويكفي رفيقه ويعينه على قطع طريقة ثم ان مالك ركب حجرة من جنائبه السبق التي تسبق بسيرها لمعان البرق اذا برق وطلب بها عرض البر وصار يطعن الوحوش ويمددها على الرمال وجعل يجتهد في صيد الغزلان حتى ابتعد عن اهله والفرسان وقد اعجبه الصيد والقنص فاوسع في البر لانتهاز الفرص واذا به قد ثار من بين يديه ظليم وعدا من فزعه يطلب الروابي ويهيم فحد مالك في اثره وصاح فيه فاذعره فقصد الظليم البر الفسيح وطلبه مالك مثل هبوب الريح حتى غاب عن عينيه كذكر النعام واختفى بين الروابي والاكام فعندها وقف الامير مالك واخذ يلتفت ويتأمل في تلك البراري والدكادك فلم يجد له اثر فحار وانبهر واخذه القلق والضجر وقد طاب له الهلاك ولا يفوته من فريسته خبر فبينما هو على تلك الحال اذ ظهر عليه بدوي من بين احاقيف الرمال وقدامه ناقة عالية السنام قد ازعجت بصياحها البر والاكام ومن خلفه جارية كانها البدر التمام فلما رات مالك اومت اليه بيدها كالمستجيرة طالبة منه النصرة والمعونة فعلم مالك مطلوبها ولكن لم يجبها لقلة معرفته بها وقال في نفسه هذه زوجة البدوي واخته وقد ضربها السبب من الاسباب ورواحك اليه ما هو صواب ثم انه هم ان يرجع الى قومه خوفاً من فوات يومه فالقت الجارية من يدها المقود ولوحت في وجهه فشرد وهج في البر والفدفد وصاحت على البدوي يا وجه العرب الحق الجواد فقد هرب فعندها ترك البدوي الناقة وطلب الفرس بعدما لطم الجارية على صدرها كاد ان يعدمها النفس فلما ابعد اتت

الى مالك واستجارت به وطلبت منه النصرة والمعاضدة فقال لها من انتِ ومن يكون هذا الرجل حتى تطلبين عليه المعونة والمساعدة فهل هو بعلك او احد من اهلك فقالت حقاً يا مولاي ماهو لي بنسيب ولا قريب بل هو اجنبي وغريب وقد قتل ابن عمي الذى هو من لحمي ودمي وكنا راجعين من وليمة كانت في نبهان طالبين الاهل والاوطان فالتقانا هذا الشيطان فقتل زوجي وسباني وسار بي كما تراني وانا مستجيرة بك يا ايها السيد الكريم وليس لي احد سواك ان يخلصني من هذا البلا العظيم ثم انها تأوهت و بكت وانت واشتكت وانشدت تقول

كم حرةٍ عبثت بها الايام	يا فارساً خضعت لهُ الاقوامُ
يا ذا المكارم والايادي والعلي	نعليك من دونِ الانام سلامُ
يا من يرى سبي الحريم مهانةً	يا من لهُ بحرٌ يفيضُ غمامُ
اني رجوت الخيرَ منك فراسةً	ان الجميل له لديك مقامُ

قال الراوي فلما سمع مالك كلامها وماابدته في شعرها ونظامها ورای كثرة بكاها واذلالها شفق عليها وانتخى لها لانه كان من اهل الفتوة ومشهور بالنخوة والمروءة ومتصفاً بالصفات الحميدة وكرم الاخلاق مكتنفاً بالشمايل السعيدة التي تعطرت بها الافاق لا سيما انه من بني عبس الكرام الذين تدعوهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام فقال لها يا حرة العرب ابشري بالسلامة وزوال العطب فسوف اخلصك من يد هذا الاعرابي وادعه ملقى بين هذه التلال والروابي . قال فبينما هو مع الجارية في مثل هذا الحديث والايراد واذا بالبدوي قد عاد وهو علَى ظهر الجواد فنظر الى مالك والجارية بين يديه تشكو ماحل بها اليه فغضب وقامت في ام راسه مقل عينيه ثم انه قوم سنان رمحه وحمل عليه وهو يقول له ويلك يا انذل العربان من انت حتى تخاطب جوار الفرسان ومن هو الذي اتى بك الى هذا المكان والقاك في هذه البراري والقيعان اخلع يا ويلك ماعليك من الثياب والسلب وسلم نفسك قبل وقوع العطب فان كنت جاهلاً بي فانا اعرفك بنسبي ولقبي انا المعروف بالرعد القاصف والسحاب الواكف المسمى بغياض الخاطف وانشد يقول

يا جاهلاً بمكانة الشجعانِ	مهلاً ستبقى مأ كل العقبانِ
يا ابن اللئام اما سمعت بهمتي	وبصولتي وبحملتي ومكاني
او ما علمت بأنني اسد الوغى	لما غدت كل الورى تخشاني
او ما علمت بان مجدي قد سما	حتى علا شرفاً على كيوان

والدهر يرهبني و يعرف سطوتي وانا الصبور اذا الزمان غشاني

قال الراوي فاستقبله مالك بقلب قوي وجنان جري واجابه على شعره يقول

ثكلتك امك كيف تأتي ضيغماً متعوداً صبراً على الفرسانِ

كم من قتيلٍ قد تركت مجندلاً قد كان مثلك رايد الهذيانِ

يا ابن اللئام اما خشيت عقوبة الا صنام او غضباً من الديانِ

حتى غدوت معارضاً لحرائر اهل المكارم من نسا قحطانِ

من ذا الذي يحميك مني في الوغى وانا الكريم الاصل من عدنانِ

قال الاصمعي ثم ان مالكاً حمل على ذلك الفارس وهو يقول يا ابن الالف قرنان ولقد حدثتك نفسك بالزور والبهتان وساقك القضا الى هذا المكان حتى تبقى رزقاً للوحوش وكواسر العقبان لانك استننت في العرب سنة غير محمودة بسبيك الحرائر واليوم تصير مثلاً لكل مقيم ومسافر ثم انه هجم عليه وطعنه بالرمح طعنة قاتلة فانعزل عنها ذلك البدوي فراحت باطلة وقد اشتد عليه الغيظ والغضب وعاد الى ظهر جواده مثل السلهب وقاتله حتى اتعبه ثم طعنه بعقب الرمح اقلبه ونزل اليه فاخذه اسير وقاده قود الذليل الحقير وقد نظر الى جمال صورته وحسن لباسه وعدته فعرف انه جليل القدر عالي الذكر فقال له يا غلام من انت ومن تكون اصدقني قبل ان اسقيك كاس المنون فان الصدق اليق باصحاب المراتب والكذب يشين بالرجال الاطايب ثم انه سل حسامه بعد ما انتهى من كلامه فقال له مالك لا تفعل يا سيد الرجال فما انا ذري الحال ولا قليل المال والرجال انا مالك بن الملك زهير سيد بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان ومرة وغطفان فلما سمع البدوي كلامه احمرت عيناه وانفتحت شفتاه وقال انت والله غاية مطلبي ومنك ابلغ قصدي واشفي لهبي ثم انه شد كتافه وقوى سواعده واطرافه وعارضه على ظهر الجواد وقال حقاً ما بقيت تخلص من يدي الا ان كان والدك يسلمني اسودكم عنتر بن شداد حتى اذبحه ذبح البقر والجمال والافعلت بكم اشأم فعال و بلغت بقتلك غاية الامال فقال له مالك وما السبب في ذلك قال اعلم يا وجه العرب والابطال اني كنت هويت جويرية من ديارنا والاطلال و بذلت لابيها ما املك من المال والنوق والجمال فقال اني ما ازوج ابنتي الا لمن يأخذ بثاري و يكشف عني عاري و يطفي عني لهيب ناري و يأتيني براس الذي قتل ولدي ظلماً وعدواناً واورثني بذلك سقماً واحزاناً فقلت له يا عماه ومن هو غريمك حتى آخذ بثارك واكشف عنك عارك فقال لي هو عنتر بن شداد اسود بني عبس وحاميها وقت

الجلاد لانه كان فيما سبق قد اغار على ديارنا و الاطلال وقتل ولدي وهو يرعى النوق والجمال وسار من عندنا بعد ما اتتك بالابطال وقد حلفت بان لا ازوج ابنتي لاحد من البشر الا من يأتيني براس عنتر فلما سمعت منه هذا المقال ضمنت له قتل اسود كم ابن الانذال واعود اليه براسه وابلغ الامال وما خرجت من منازل قومي والاطلال حتى عاهدته على ذلك واعطاني يده على هذا الحال وصرت طالباً دياركم حتى اطفي ما بقلبي من لهيب الاشتعال فوقعت بهذه الجارية التي ابصرتها وكانت سائرة مع ابن عمها فقتلته واسرتها وبعد هذا وقعت انت في يدي وسوف ابلغ بك غاية قصدي وابرد حرارة كبدي ٠ قال الاصمعي فلما سمع مالك من الاعرابي هذا المقال اطمع نفسه في المحال وطلب الخلاص بالمكر والاحتيال وقال له يا وجه العرب اشكر المبلي الذي هون عليك الطلب وقرب عليك الطريق والسفر واراحك من تعب هذا البر الاقفر فان الذي تطلبه هو ههنا في ارض الرباب وما معه اكثر من عشرة رجال من الاصحاب وانا قد فارقته في هذا الصباح وهو يطلب صيد الغزلان فلاح لي ظليم من النعام فتبعته الى هذا المكان وقد وقعت بي وانا تعبان وجوادي قصر من الجولان ونصرت عليّ وبلغت مرادك مني فاشفي فوادك بقتلي او اصفح عني لانه لم يبق للاعذار مجال ولا للاستقامة مقال وما ثم طريق الا معاملتك لي بالاحسان والافضال واذا كنت كما ذكرت انك فارس نجيب فسر الى غريمك فانك منه قريب عن تنال منه حاجتك و تبلغ مأمولك ويمسي عنتر اسيرك ومقتولك فلما سمع كلامه صاح يا للعرب وقد اخذه الفرح والطرب وقال وحق الملك العلام ان كنت صادقاً فيما قلته من الكلام لك مني الاكرام والانعام فاذا وقعت عيني عليه اخذته اسير ولو كان معه الف فارس نحرير والصواب ان اخذ لنفسي الراحة الى وقت السحر ثم اركب الى لقاء عنتر لانه ما دام قد فقدك في هذا النهار فما يرجع من هذه الديار ولا يقدر على الرواح الابك ولو بات سار في طلبك ولا بد ان يعبر الى الطريق وتسوقه اليّ اعلام السعادة والتوفيق ثم انه نزل عن ظهر الجواد وقدم ما تيسر عنده من الزاد وصار يأكل ويطعم مالك ابن الملك زهير ويساله عن سبب مجيئهم الى هذه الديار ووعده بالسلامة والخلاص من الضير ومالك يحدثه بالزور والمحال ويخدعه بالكذب والضلال وجعل يخبره بخبر مالك ابو عبلة وكيف هرب بابنته الى بني كندة واقام عندهم مدة ثم قال له في اخر كلامه ان عنترة اتى في خمسين من ابطال بني قراد وسرق عبلة من بني كندة وعاد وانا كنت معه على سبيل المعاونة فقل علينا الزاد فنزلنا في هذه الارض والمهاد وصرنا نطلب الصيد لنقتات به على قطع هذا البر الاقفر

ومازال مالك يحدثه ببعض الخبر و يخفي عنه الاكثر حتى جن الليل واعتكر فاضطجع الاعرابي ونام و بقيت الجارية واقفة على الاقدام وكانت قد تعبت من المسير وقلة الطعام ولما رات مالك على تلك الحال زادهمها وكثر حزنها وغمها فصبرت على البدوي حتى غاب عليه الرقاد وغرق في بحر السهاد فاتت الى مالك وحلت كتافه وقالت يافتى اطلب لنفسك النجاة في هذه الفلاة ودعني وهذا الشيطان المريد يفعل بي ما يريد فقال لها مالك لا وذمة العرب لافعلت ذلك ولا تركت هذا الجبار يتحكم بجمالك لانه اذا فقدني يعلم انه من فعالك وقد كرهت نفسي الحياة واشتاقت الى الوفاة ثم انه وثب لياخذ سيفه و يبادر الى خصمه ليقتله و يسقيه كاس حتفه فانتبه البدوي من المنام وسل سيفه وهجم عليه ليسقيه كاس الحمام وكان مالكاً قد ملك الحسام فتدانيا من بعضهما تحت غسق الظلام واخذا في الضراب بالسيوف والطعن بالرماح الى ان طلعت غرة الصباح فتعب مالك بعد ان اثخن بالجراح وراى نفسه انه هالك لا محال فسلم نفسه اليه خوفاً من شرب كاس الوبال فاعاده الى الشد والكتاف وقوى منه السواعد والاطراف وصار يقول له يا ابن الانذال كل ما حدثتني به هو زور ومحال ولا بد ما اعدمك مهجتك لانك محتال ثم انه عاد الى الجارية وقد علم انها خامرت عليه فجلدها بالسوط وشدها على الناقة وساقها بين يديه وفعل بمالك مثل ذلك ثم ركب جواده وسار وقد ظن انه نال الفخار وانشد وقال

سلوا عن فعالي والدماء تسيلُ باعلى القنا والصافنات تجولُ

وتشهد لي بيض الرقاق وفي يدي نصولٌ على الهامات وهو نصول

اذا قيل هذا اليوم لا يوم غيره اخوض لظي نيرانه فتزولُ

ويركض مهري فوق اجساد فتية له من دماهم غرة وحجولُ

فلا تطلبوا مثلي اذا الخيل اسعرت فمثلي اذا اشتد الهياج قليلُ

قال الاصمعي ولما فرغ من كلامه طلع الى الاستواء من الوطى والشمس قد اشرفت على التلال والربى وتعالى نورها واضاء فراى رجلاً يسعي في جنبات تلك الفلا وقد اطلق قدميه ورا غزالة يريدان يصيدها وهي سائرة بين يديه في تلك السباسب تطلب الاتساع وهو وراها مثل الشهاب الثاقب حتى مسكها من قرنيها والبدوي ناظر اليها واذا قد طلع من وراه عشرة فوارس متسربلين بالزرد النضيد على خيول تقطع مفاوز البيد وقدامهم فارس كانه من الجلاميد والى جانبه فارس اخر يقارنه في الهيبة والمنظر وكلهم الى الرجل طالبين وهم متبعين فلما نظر الاعرابي الى حسن لباسهم وجودة افراسهم وقلة عددهم مال اليهم

طامعاً في اخذ ما عليهم واما الفرسان القادمين فكانوا قد نظروا الى الناقة والهودج في تلك الارض واسير مشدود بالعرض فوقفوا في جوانب ذلك البر الاقفر وتقدم فارس منهم ليعرف حقيقة الخبر واراد ان يسأل البدوي عن حاله فصاح فيه صيحة منكرة وقال له يا ويلك من تكون من فرسان العرب انتسب ان كان لك نسب قبل ان يحل بك العطب فعند ذلك زاد بالفارس الغضب وصرخ صرخة كاد عقله يستلب وناداه ويلك ما اعمى قلبك عن معرفة فرسان العرب وما اقل خبرتك بكل فارس منتخب ان كنت ما تعرفني انا اعرفك باسمي انا فارس الجلاد والصابر لوقع السيوف الحداد انا مفرج الكروب الشداد حية بطن الواد والقادح النار من غير زناد ابن البيت الرفيع العماد والكريم الاباء والاجداد واشجع من ركب الجواد الامير عنتر ابن الامير شداد فمن انت يا احقر العباد ونسل الاوغاد ومن هو هذا الاسير الذي على ظهر الجواد ومن هذه الحرة التي تصيح وتكثر التعداد وتطلب لها نصيراً من قيدها والانقاذ فعند ذلك قال له البدوي وقد اهتز على جواده طرباً ومال عجباً اهلاً وسهلاً بحامية عبس ومرحباً بمن هو اسود الشمايل وابيض الخصائل اني قد اتيت اليك قاصداً والى نحوك وارداً فقد قرب الله خطاك وانا الان متمناك ثم انه اخبره بما جرى من امر خطبته واعاد عليه شرح قصته فقال له عنتر ومن هو هذا الاسير الذي معك مشدوداً وعلى جواده مجهوداً فقال له هذا مولاك وابن مولاك الذي الحقك بالنسب وادخلك في الحسب وتركك تذكر بين سادات العرب مالك ابن الملك زهير بن جذيمة صاحب الاخلاق الكريمة والهمة العظيمة . قال الراوي فلما سمع عنتر هذا الكلام صارت عيناه مثل الجمر في الظلام فحار وانبهر واخذته الفكر واذا ببسطام قد اقبل عليه وصار بين يديه وسأله عن الحال فاخبره عنتر بما سمع منه من المقال فقال له بسطام لله درك من فارس يا ابا الفوارس ما اخبرك بالامور وعواقب الايام والدهور لانك حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان الكتاب . قال الاصمعي وان السبب في ذلك لما رجع عنتر و بسطام والعشرة الفوارس من بني شيبان الى ديار بني كندة من خوفهم على بني عبس ان يلحقهم لاحق او يحصل لهم عايق من بعض العربان اقاموا باقي يومهم وليلتهم كامنين في ذلك المكان الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فالتفت عنتر الى اخيه شيبوب وقال له جد بنا في قطع هذا الهضاب لنقتفي اخبار قومنا حتى يكونوا خرجوا من ارض الرباب لانني خائف عليهم من صروف الزمان وطوارق الحدثان وبعد ذلك نرجع بامان ونعود الى ديار بني شيبان ففعل شيبوب ما امره به عنتر وتبعه بسطام بمن معه من العسكر وعلم

ان غاية عنتر بذلك هي شدة وجده الى عبلة ابنة مالك حتى انه لا يزال قريباً من ديارها يقتفي اخبارها ويتنشق من روائح آثارها اذا هبت الار ياح بتذكارها لان عشاق العرب والمتيمين قد جرت لهم في ذلك عوائد ذكروها في الاشعار والقصائد وكانوا يقنعون بالنسيم اذا هب من ارض الحبيب انه يداوي مرض قلو بهم بمنزلة الطبيب واذا راوا نار المحبوب في دجى الليل الداجي ارتجوه مثل الراجي كما قال الشاعر المفتون قيس بن الملوح الملقب بالمجنون

اذا اضرمت ليلى على البعد نارها　　اشير اليها بالبنان مسلما
وان اخمدت عند الصباح اعدتها　　بزفرةٍ نيراني لهيباً تضرّما
وتبردُ انفاسي اذا ما تنفست　　نسيم الصبا في الليل من جانب الحما

قال الراوي وما زالوا سائرين والى اخبار قومهم طالبين الى ان قطعوا ارض الرباب وتلك الاراضي والهضاب وقد ذهب ما كان في قلوبهم من الغم والانقباض والتقوا بالفارس المذكور المسمى فياض وجرى لعنتر معه ما جرى لما سمع حديثه وقصته وعلم انهُ قد جاء ايطلب معرفته وراى مالكاً ابن الملك زهير مشدوداً على ظهر فرسه وهو غاية في الضرر والضير فلما رآه على تلك الحالة عظم عليه الامر وصارت عيناه في ام راسه من الغيظ مثل الجمر فقال له بسطام دعني وهذا الالف قرنان قال عنترة لا يا ابا اليقظان ما يشفي غليلي غير هذا الصارم اليمان فما فيكم من يتقدم اليه حتى لا يقال عنا لولا المكاثرة ما قدرنا عليه ثم انه عاد الى قتال فياض بقلب اجرى من تيار نهر اذا فاض واخذا في المصادمة والاعتراض وطلع عليهما القتام حتى اسود ضوء النهار في اعينهما بعد البياض ولمعت السيوف في الغبار مثل البرق عند الايماض وكان لوقع المضارب هويّ واستيقاض ولما راى شيبوب الى ذلك الحال وقد اشتغلا في الحرب والقتال اطلق رجليه نحو الناقة والهودج وصار اسرع من الطير وتامل في المشدود لينظر من هو من الناس واذا به مالك ابن الملك زهير وهو يئن من شدة الجراح ويتحسر وينادي اين عينيك تراني ياعنتر ويذم الزمان الذي اوقعه بيد ذلك الصعلوك وهو ملك من ابناء الملوك فدنا منه وحل شداده واعاده الى ظهر جواده وجعل يقبل يديه ويساله عما جرى عليه فحدثه بالقصة من اولها الى اخرها واطلعه على باطنها وظاهرها ثم قال له اطلب بنا مكان القتال حتى اشفي فوادي بمصرع هذا اللئيم ابن الانذال وما زالا حتى اشرفا على معمعة الميدان وابصر عنتر وفياض مع بعضهما

في اشد ضرب وطعان وقد جرى بينهما من الحرب ما حير الفرسان واعجز عن وصفه اللسان الا ان عنتر كان قد اتعب خصمه وضربه بسيفة البتار واذا براسه عن جسده قد طار وانطرح كانه الجذع الممدد في تلك القفار وخرج عنترة من تحت الغبار وهو يهمهم مثل الاسد الاكول وانشد وجعل يقول

اقول لخصمي وهو يبحثُ في اليدِ وقد مال كالبرج الرفيع المشيدِ
هنيئاً لك الكاس التي قد شربتها فملت عفير الخدِ غير موسدِ
انا عنترُ الكشاف كل كريهةٍ مبيد الاعادي بالحسام المهندِ
بيَ تفخر الفرسان في كل معركٍ وتخضع لي الشجعان في كل مشهدِ
سموتُ على كل الانام بصارمي ورمحي وصبري في الوغا وتجلدي

قال الراي فلما فرغ عنترة من شعره دنا من مالك وضمه الى صدره وعانقه عناق الحبيب المشتاق وتراءى لديه ترامي العشاق وهناه بالسلامة من الاسر والوثاق واظهر لهُ ما بقلبه من الاشواق وقال لهُ يامولاي يعز علي ما قد جرى عليك وما وصل من الشر اليك فلا كان يوماً تصل اليك فيه يد الزمان وعبدك عنتر راكب على ظهر الحصان فشكره مالك وقال يا ابن العم انك لنعم الرفيق وخير شقيق وصديق فخيب الله من يبعدنا عن طلعتك و يحرمنا انسك وروبتك ثم انه حدثه بما جري بينه و بين اخيه شاس من اجله على التمام وكيف غضب شاس على مالك ابو عبلة وما جرى بينهما من الحديث والكلام ومسير الامير شاس في اكثر الابطال طالب الاهل والاطلال وفي صحبته الامير شداد مع عروة بن الورد وزخمة الجواد وكيف قل عليهم الزاد وخروجه للصيد في ارض الرباب وماجرى بينه و بين فياض والجـاربة من الاسباب الى ان التقاه وخلصه مما كان اعتراه هذا وبسطام قد تقدم الى مالك وكذلك شيبوب مع كل من كان هنالك وهناوه بالسلامة من المهالك وقال له عنترة الراي عندي يا مولاي ان تعود من وقتك الى بني عبس وتلحق بهم قبل غروب الشمس ولا تذكر لهم اني ابصرتك ولا انك اسرت وخلصتك بل تقول لهم اني كنت في الصيد والقنص وانتهاز الفرص فامسى عليك المسا وانت في غاية التعب فوقعت في حي من احياء العرب فحلفوا عليك وانزلوك واضافوك واكرموك حتى لا تنحط منزلتك في الحلة ولا يلومك احد بالجملة ولا يقول عمي مالك اني ما قدرت اصبر على عبلة واني تبعت اثارهم في الطريق من شدة الاشتياق ونيران الحريق وانا وحق زمزم والمقام والمشاعر العظام ما فعلت هذه الفعال

الا خوفا عليك من بني كندة الانذال ثم انه بعد ذلك اطلق الجارية التي استجارت بمالك واعطاها الناقة والسلب وهناها بالسلامة من العطب وقال لها سيري في زمامي واماني ولا تخافي من كل قاص ودان فلو تعرض لك كسرى هدمت ايوانه وهلكت جنوده وفرسانه فعند ذلك قبلت رجله في الركاب واثنت عليه وعلى من معه من الاصحاب واشارت تمدحه بهذه الابيات

وفيتَ كلَّ فجائع الايامِ   وبقيتَ محروساً مدى الاعوام

وغدوتَ ذا رأيٍ مضي تزدهي   انوارُ بهجته بكل ظلامِ

يا عصمةً من كل خطب فادح   اصبحت عن كل الانام تحامي

لا زلت في درج المعالي راقياً   ومسلماً من صرف كاس الحمامِ

وتبيت فردا لا يرى لك ثانياً   بين الانام وجدُّ سعدك سامِ

قال الراوي هذا وبسطام قد تعجب من قول عنترة وعلم انه يفعل جميع ما يقول واكثر ثم ان مالكاً عاد طالباً ارض الرباب وعنترة وبسطام من وراه خوفاً عليه ان يصاب الى ان وصلوا الى تلك الهضاب وهمَّ عنترة ان يعود واذا بالطير يحوم على تلك المنازل والرسوم والوحش يعوي في اقطار الفلا ويجول في طلب اجساد القتلى فقال عنترة لمالك والله يا مولاي ان هذا بئس الفال وامر يدل على الهلاك والوبال وما خوفي الا على بني عبس ان يكونوا قد أُصيبوا بعدك باعظم مصاب واتفق لهم امر لم يكن في حساب فقال مالك بن زهير صدقت والله يا ابا الفوارس اني اعلم ان لجاج عمك لا يودي الى خير ولا بد ان يحل به البلا والضير ولولا ذلك ما كان ترك اهله والتجا الى الغير واني اشتهي من اله السماء وخالق النور والظلماء ان يكون عمك من جملة القتلى في هذه البيداء ثم انهم تقدموا قليلاً فوجدوا القتلى منطرحين في سائر الجنبات والدم قد غير الوان النبات والرماح محطمة والسيوف مثلمة والاجساد على بعضها مكومة فعندها صاح عنترة واحرباه قد صح هذا الخبر والله ما بقيت ارجع من هنا حتى اعرف لعبلة اثر ثم انهم نزلوا جميعا وصاروا يقلبون القتلى و يقولون هذا فلان وهذا فلان الى ان سمعوا صوت نزاع وانين يدل على ان صاحبه قد اشرف على الهلاك المبين فتبينوه واذا به مالك ابو عبلة وهو مجروح وعلى وجه الارض مطروح وقد صار جسده بلا روح ودمه قد اختلط بالتراب والطير يتهافت عليه كتهافت الذباب على الشراب فنادى شيبوب الى اين تمضي يا اخي في هذه الفلاه وعمك مالك ملطخ في دماه وقد

لاقاه الله بغيه وجازاه فلما سمع عنترة من اخيه هذا المقال تقدم اليه بمن معه من الرجال فراوه في اسواء حال فشدوا جراحه ورشوا على وجهه الماء ففتح عينيه فابصر مالك بن زهير وعنترة ابن اخيه من حواليه وقد دبت الروح في جسده وعاد اليه عقله ورشده فقال له عنترة والله يا عماه من هذا الامر كنت خايف عليك وكنت اقترب بكل ما اقدر به من الخير اليك وانت تركب معي طرق اللجاج حتى اوقعك الله في هذا العذاب والمجاج فردّ عليه بصوت خفيف من قلب ضعيف يا ابن اخي قد مضى ما مضى وانتهى الماضي وانقضى وما عدت من الان وصاعداً اوارقك ابداً ومن هذا اليوم قد صفا لك قلبي وكبدي وعرفت اني كنت عليك ظالم ومعتدي واين ما ذهبت التي الذل والهوان فارحمني واحملني الى بني عبس وعدنان حتى اكون لك من جملة العبيد والاعوان ولا بقيت اسمع فيك كلام انسان فقال له عنترة حباً وكرامة ابشر يا عم بالخير والسلامة ولكن مرادي ان تخبرني من الذي فعل بكم هذه الفعال واين ابنك عمرو وابنتك عبلة و باقي الرجال فقال يا ابن اخي الكل في قبضة انس بن مدركة الخثعمي الفارس الصنديد وقد التقينا به نهار امس في هذه البيد ومعه الف فارس من بني خثعم ونحن في اشد ما يكون من التعب الشديد وكان الامير مالك واكثر الفرسان اصحاب الخيل الجياد قد انفردوا في طلب الصيد والقنص بين التلال والوهاد فدار من حولنا بالمواكب وفرق علينا الخيل من كل جانب وترك رجالنا كما ترى مبددين في جنبات الصحرا وساق الباقي معه اسرى وما زلت اقاتل عن زوجتي وابنتي وولدي حتى عملت الرماح في جسدي فوقعت على وجه الارض وليس لي مسعف ولا معين ولولا قدومكم عليّ كنت من الهالكين. قال الراوي وكان الذي فعل بالقوم تلك الفعال وفتك في الرجال والابطال فارس لا يقاس بالفرسان و بطل تبطل عند قتاله حيل الشجعان وكان يقال له انس بن مدركة وهو من بني خثعم وكان موصوفاً بالفروسية والكرم والفصاحة وعلو الهمم فاتفق انه خرج ذات يوم من قومه للغزو والمكسب كما جرت في مثل ذلك عوائد العرب فقطعوا القفار وسلكوا المفاوز والاوعار فالتقوا ببني عبس وهم راجعون من بني كندة وتلك الديار فعند ذلك صاح انس في بني عمه وقال لهم قد اتانا التوفيق وبلغنا المارب وتيسرت علينا المطالب ثم انه استقبل القوم بطعن خارق وضرب اشد من نزول الصواعق وصار ينثر الفرسان ويجندل الاقران في ساحة الميدان وفي دون ساعة فتك وظفر فقتل من قتل واسر من اسر وكان قد حصل لعبلة من الغم

والكدر مالم يحصل لقلب بشر فامتنعت عن اكل الطعام واحترمت لذيذ المنام وصارت الدنيا في عينيها مثل الظلام نظرًا لفقد ابيها ومن يلوذ بها وكان انس لايفارق شرب المدام فاقام في ذلك المكان الى ثاني الايام فاكل وشرب الخمر مع الابطال وهو فرحان بما قد حاز من الاموال وما زال كذلك حتى مضى من النهار الاكثر وكان بنو عمه قد وصفوا له فصاحة عنتر وما قاله في حق عبلة من الشعر المفتخر وذكروا لهقدها واعتدالها وظرفها ودلالها فقال لهم اما قلت لكم الف مرة لا تصفوا لي واحدة من النساء لا امة ولا حرة ولا تذكروا لي سوى احاديث الحرب ومواقع الطعن والضرب وما جرى بين الشجعان والابطال في معامع القتال ومواقف الاهوال وما هو الغرام عند الحرب والصدام وكيف يجوز للرجل ان يسلم قياده ويملك الى النساء زمام فؤاده وحق ذمة العرب وشهر رجب ان الم الجراح وطعن الرماح ومعامع الكفاح احب الي من ذكر النساء الملاح ثم انه صبر الى ان انصرم النهار فهجع ساعة من الليل ثم سار بقومه يطلب الديار وما زالوا مجدين السير وهم يقطعون البراري والقفار والسهول والاوعار والعبيد تسوق الخيل والجمال والغنائم والاموال حتى طلعت الغزالة على الروابي والتلال فامر في النزول على مياه بني هلال وكانت عبلة لم يغمض لها جفن في ذلك الليل الطويل وهي مواظبة على البكاء والعويل والندب بالويل والتنكيل لانها قد ايست من ابيها وابن عمها واخيها وكان انس بن مدركة قد سمع بكاها وصياحها وعويلها ونواحها فالتفت الى بني عمه وقال لهم من تكون هذه الجارية التي كانت تبكي في جنح الظلام الهادي وتندب كانها حمامة الوادي فقالوا ايها السيد العظيم والبطل الكريم هذه الجارية هي التي في مجالسك قد ذكرناها وشرحنا لك امرها ووصفناها فما راينا قط اقرح من قلبها ولا اكثر من حزنها وكربها ولها الان نحو يومين ما ذاقت من الزاد ولا هدات من النوح والتعداد ولا شك انه يكون قد قتل لها من يعز عليها اما اخوها او احد والديها فقال لهم بالله عليكم يا بني عمي احضروها امامي حتى انظرها واكشف عن حقيقة خبرها واطيب قلبها حتى يسكن رعبها فعند ذلك احضروها الى بين يديه وكشفوا البرقع عن وجهها فنظر الى طلعتها وحسن صورتها وراى دموعها تسيل من طرف كحيل ذات حسن وجمال وقد واعتدال تسبي عقول الرجال فلما راها خفق فؤاده من شدة البلبال وخيل له انها رشقت فؤاده في نبال وكان انس متكئًا من تعب السفر فجلس وقد تغيرت احواله وزاد عشقه وبلباله وقال لها ويلك اما نقلي من هذا البكاء والانتحاب

اخبربني هل قتل لك احد من الاهل والاصحاب فقالت له وقد زاد حزنها وهمها واسترت وجهها بفاضل كمها قد قتل ابي في هذه الوقعة وكانت بسببه هذه الفجعة وقد تجرعت من الغصص الف جرعة ثم انها القت نفسها الى الارض وقد علا نداها وزاد زفيرها و بلاها وكثر عويلها و بكاها فقلق انس لاجل شكواها وقد تمكن قلبه في حبها وهواها فالتفت على من حوله وقال لهم اعلموا ان هذه الجارية قد فتنتني بلحظها المكسور فامسى قلبي وهو في يدها ماسور وكان لا يعبا بهذه الامور ولا يعرف حاسيات الغرام فانقاد الان الى سلطان الهوى حتى صار له من جملة الخدام ٠ والان مرادي ان تحضروا لي اهلها حتى اطلبها لنفسي واخطبها والا هلكت روحي بسببها وان امتنعوا فليس لهم خلاص الا التهديد والقصاص و بعد ذلك افعل بهم ما اريد ولا اخاف من كل جبار عنيد ولما انتهى من كلامه احضروهم الى بين يديه فوقفوا امامه وسلموا عليه فاعاد عليهم الحديث والايراد وخطب منهم عبلة بنت مالك بن قراد فقالوا له انه يكون لنا في ذلك الشرف الاكبر والحظ الاوفر لانك صاحب الفضل والاحسان والذكر العالي الذي شاع بين العربان غير انه لا يخفاك ان هذه الجارية امرها بيد اخيها عمرو بن مالك ونحن لا نخالفه بذلك وكان عروة بن الورد واقفاً بجانب عمرو اخي عبلة فقال له يا عمر اشير عليك براي يكون لنا فيه الخير والصلاح و بلوغ الارب والنجاح قال عمر وما هو يا ابا الابيض اشر به عليّ لعله ياتي في الفرضيات غرض قال له ان اردت ضرب رقبته وسلب نعمته وهلاك اهله مع عشيرته زوجه باختك ودعه يتسمى عليها من ساعته فلعل الله يرسل اليه عنترا فيصرم عمره و يخلصنا من شره ويكفينا امره لانك قد جربت احزانها واتراحها وعرفت اعراسها وافراحها قال عمرو يا عروة اني وذمة العرب من هذا الامر حيران لاني ان انا انعمت بزواجها الى هذا القرنان اخاف ان ياتي عنترة الينا في المكان فيقتلني ولو كنت في حجر الملك النعمان او كسرى انوشروان وان لم انعم له بذلك اخاف ان يسقيني كاس المهالك قال له عروة زوجه بها واترك الهذيان بشرط ان لا يدخل عليها في هذا المكان الا عند وصوله الى الاوطان واعلمه انها متزوجة بابن عمها عنتر فارس البدو والحضر واطلعه على هذه الامور والاسباب لعل ياتي لنا في العرضيات ما لم يكن في حساب وانا الضامن لك انه يكون عليه يوم بؤس وتكون هي عليه اشأم عروس فيهبط برج سعده و يكون طالعه منحوس ٠ قال الراوي ولما ابطا عمرو بالجواب زاد بانس القلق والاضطراب هذا

وجميع الحاضرين يشورون عليه بهذا الزواج وهو حيران فقال له انس الا تريد ان تكون اختك زوجة لي واكون لها بعلاً الست انا كفوءاً لها من الغير واولى واحق بها من كل امير ومولى اما سمعت باخباري وعلو مكاني ورفيع قدري وعظيم شاني فقال عمرو نعم اني قد سمعت وعرفت وانت بالحقيقة فوق ما وصفت ولكن اعلم ايها الامير والسيد الخطير ان هذه الجارية كان ابوها قد زوجها بابن عم لها فيما مضى وقبض مهرها وانتهى الامر وانقضى ثم ندم بعد ذلك وحسن له الشيطان جحود الجميل والاحسان وما زال يهرب بها من مكان الى مكان الى ان كان ما كان وانا يامولاي من عاقبة هذا الامر فزعان واخاف ان زوجتك بها ورجعت الى الاوطان فياتي ابن عمها و يقتلني دون كل انسان ولو احتمى لي كل من في بني عبس وغطفان وفزارة وذبيان لانه آفة من افات الزمان وطارقة من طوارق الحدثان لا يقاومه فارس في الميدان ولا يلقاه احد من جبابرة العربان فقال له انس وقد استشاط غضباً من كلامه ويلك ياخبيث وما يقال لهذا الفارس الذي وصفته بحضرتي وحدثت عنه بهذه الصفات والاحاديث فلا شك انك قليل الخبرة بفرسان العرب وابطالها وساداتها واقيالها قال عمرو ايها الامير هو الاسد الواثب والليث الغالب فارس المشارق والمغارب الذي قتل خالد بن محارب وانزل على قومه البلا والنوائب وجللهم بثياب الحزن والمصائب وقد افنى الابطال ومزق الكتائب وخضع لسيفه كل ماش وراكب صاحب المهر الادهم والرمح المقوم والسيف المخذم الذي فاق بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال له انس قد حيرتني بوصف هذا الفارس والقرم المداعس ولكن ما بينت لي اسمه ولا كشفت لي عن رسمه قال يامولاي هو البطل الجواد الذي قهر بسيفه الابطال الشداد واذل برمحه جميع فرسان العباد حية بطن الواد القادح النار من غير زناد حامي قبيلة عبس وآل قراد الامير عنترة بن شداد وما حدثتك عنه الا وانا صادق في المقال وليس في وصفي هذا زور ولا محال . قال الراوي فعند ذلك التفت انس الى القوم الحضار وقال لهم هل فيكم احد سمع باسم هذا الرجل الجبار الذى قد ازعجني بذكره هذا الغلام واوقد في قلبي منه نارا شديدة الاضطرام فقال له شيخ من الحاضرين وكان قد اختبر الايام والسنين اعلم يا انس اني قد سمعت بحديثه من مدة اعوام حدثني به رجل صادق في الكلام وذكر لي عنه انه فارس اسمر شديد الباس لطيف المحضر ليس له شبيه في فرسان العرب قد ذلت له رقاب الملوك واصحاب المناصب والرتب وما زوجه عمه بابنته الا فزعاً منه خوفاً من القتل والعطب لانه القاه في كل مصيبة وعاد

منها في بلوغ الامال والارب ولما لم يعد له على المحاولة امكان ماكان منه الا انه هرب بها من مكان الى مكان وقد زوجها ما ينوف عن عشرين مرة بفرسان العربان ولم ينتجز لها امر ولاشان وكان قد زوجها اخيراً بمسحل بن طراق فارس بني كندة وتلك الافاق فالتقاه في الطريق فقتلهُ واعدمهُ التوفيق وتركه ملقىً على الارض كانه الفنيق وقد تخلى عنهُ كل رفيق وصديق وخل وشفيق واب وشقيق وكل من طلب ان يتزوج بها او يتعرض لها كانت سبب منيته بلا تعويق والراي عندي ان لا نتعرض لهذه العروس لاني تاملت في كعب رجلها فعلمت ان طالعها منحوس على من ارادها له عروس . قال الاصمعي فلما سمع انس من الشيخ هذا الكلام زاد به الوجد والهيام واخذ فواده القلق وهام والتفت الى بني عمه وقال وحق البيت الحرام والركن والمقام انني من حين انتشيت ما ذقت طعم العشق والغرام وما دخل في قلبي غير حبي هذه الجارية التي ليس لها مثيل في نساء عرب البادية الا ان هذا الشيخ قد انساني حبها وهمها لما ذكره لي من صفات ابن عمها لاني كما تعلمون احب ملاقاة الفرسان ومبارزة الاقران والشجعان والراي عندي ان تبقى هذه الاسرى في الاعتقال والجارية بين الحريم والعيال الى ان ياتي ابن عمها بالرجال والابطال ليخلصها من الاسر والنكال فحينئذٍ تعلمون من هو الشجاع ومن الجبان اذا اختلفت بيننا مواقع الضرب والطعان ثم امر باكرام عبلة وخدمتها تعظيماً لمقامها وحرمتها وقال في نفسه ان كانت هذه الجارية هذه حالتها وهي في الشقاء والحزن وقد البسها الله ثياب الحسن فكيف اذا طابت نفسها وشبعت من الزاد صباحاً ومساءً ولبست الثياب البهية وابصرت حكمها في الرجال والنساء قال الناقل ثم انهم رحلوا من ذلك المكان وجدوا في قطع البراري والقيعان حتى مضى نصف النهار وكانوا قد قطعوا اكثر القفار واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس الاقطار و بعد ذلك انقطع وانكشف عن فرسان مسرعة وغبارها كالضباب مرتفعة فقال انس الى بني عمه اكشفوا لنا خبر هذه الغبرة الطالعة والفرسان الغايرة المتتابعة وهل تحتها مال ننهبه او ظعن نكسبه وناخذ منه سلبه فعند ذلك تسارعت مائة من الفرسان طالبة ذلك المكان . قال الراوي وكان تحت ذلك الغبار الذي ظهر في ذلك البر الاقفر ابو الفوارس الامير عنتر فارس البدو الحضر و بسطام سيد بني شيبان الاسد الغضنفر وكان السبب في ذلك ان عنتر لما سمع من مالك ابي عبلة ذلك المقال وابصره على تلك الحال وعلم ان انس بن مدركة هو الذي فعل بهم هذه الفعال نهض كانهم الاسد الريبال وترك شيبوب عند عمه مالك مع فارسين

من بني شيبان وقال لمالك ابن زهير اقم يا مولاي في هذا المكان الى ان نذهب ونخاص اصحابنا ونعود اليكم ونطلب الاوطان لانك منزعج من الم الجراح واني اخاف عليك من غوائل الحرب والكفاح ثم قال الى بسطام اركب يا اخي انت ورجالك من هذه الخيول الشاردة حتى ترتاح خيلنا فنركبها في وقت الحرب والمجاهدة وان شئت ان ترجع من هنا الى اهلك وتعود فافعل وانت على هذه الحالة مشكور محمود لاننا قد اتعبناك معنا وبذلت في خدمتنا المجهود فقال بسطام وحق الاله الدائم الدوام الذي خلق الارواح والاجسام وافرق ما بين الحلال والحرام ان خدمتك واجبة مدى الايام وقد اوجبتها على نفسي مثل الحج الى بيت الله الحرام وزمزم والمقام فوالله اني لا افارقك ابداً ولو شربت كاس الردى حتى تنهي قصتك وتزول عنك غصتك وتدخل بزوجتك وبعد ذلك ارجع الى اهلي عن خدمتك فقال له عنتر لا عدمتك من حبيب وصديق واخ ورفيق وانا اقول ان قصتي قد هانت باذن الله السميع القدير وما بقي منها الا الشيء اليسير وان شاء الله عند الصباح ادرك القوم وابذل السيوف فيهم واخلص عبلة وقومها من بين ايديهم قال الراوي ثم انهم ركبوا من الخيول الشاردة كما امرهم عنتر وساروا من وقتهم خلف القوم يقتفون منهم الاثر حتى اشرفوا عليهم كما ذكرنا في ذلك البر الاقفر فتاهبوا للحرب والجلاد وفي اوائلهم عنتر بن شداد وابصر بسطام الخيل قد انتشرت لاجل كشف الاخبار فقال لعنترة وحق ذمة العرب الاخيار دعني الى لقاء هولاء الاعادي حتى اشفي منهم غليل فوادي لانهم ليسوا اكثر من مائة فارس فان كنت خلف ظهري التقيتهم وانزلت بهم الوساوس فتبسم عنترة من كلام بسطام وقال له افعل ما تريد ايها البطل الهمام والاسد الضرغام لانك قد اقسمت عليّ بذمة العرب الكرام وانها والله عندي اعظم الاقسام فعند ذلك اطلق جواده ذات النسور واستقبل القوم وكانوا مقبلين نحوه مثل الصقور وكان في اوائلهم فارس من فرسان بني خثعم يقال له مبادر بن غشم وهو ابن عم انس بن مدركة الذي على السرية مقدم فسمعه بسطام وهو يقول اخبروني من انتم من اوباش العربان ومن اين اقبلتم الى هذا المكان قبل ان اطير روسكم عن الابدان وتضحى جثثكم للوحوش وكواسر العقبان فلما سمع بسطام منه ذلك الخطاب انقض عليه انقضاض العقاب وطعنه بسنان الرمح في صدره خرج يلمع من فقارة ظهره فوقع عن ظهر الحصان وانطرح قتيلاً على بساط الصحصحان وابصرت جماعته تلك الطعنة فبادروا اليه كانهم الاسود الكواسر وهم ينادون وآسفاه يا مبادر ثم انهم انطبقوا على بسطام في تلك البطاح وقد اكثروا من الصريخ والصياح

وهم يقولون بعضهم لبعض دونكم وهذا الطنجير خذوه اسير وقودوه الى حضرة ابن عمكم قود البعير حتى انه يقتله بنار ابن عمه و يشفي مابقلبه من همه وغمه فلما سمعوا هذا الخطاب تشددت عزايمهم للضراب والطعان فانقسموا قسمين وافترقوا فرقتين وطلب عنترة سبعين فارس واحاط الباقي ببسطام مثل الابالس فالتقاهم عنترة بجواده الابجر كما تلتقي الارض العطشانه وابل المطر وصار ان ضرب شطر وان طعن دثر وما زال يطعن الخيل ويمزق بالطعن اجنابها واذا ازدحمت عليه طير جماجم اصحابها فولى من تبقى امامه وهم يتعوذون من وقع طعانه وضرب حسامه وكان انس بن مدركة قد تبعهم ببقية الفرسان والابطال حتى اقترب الى معركة القتال وكان عنتر في ذلك الوقت قد قضى الاشغال وما سلم من السبعين الفارس الذين كانوا يقاتلون غير خمسة من الرجال فولوا من بين يديه وهم يضربون اكفال الخيل ويلتفتون الى وراهم من شدة ما حل بهم من الويل فقال لهم انس ما حالكم وما الذي اصابكم ونالكم قالوا والله ما اصاب احدًا مثل ما اصابنا ولو اننا ثبتنا قليلاً لكانت ضربت رقابنا وحل بنا ما حل باصحابنا فقال وقد اندهش واعتراه الخبال ويلكم هذا كله جرى عليكم من عشرة رجال قالوا لا وابيك ايها الفارس الرئبال ان الذي دهانا هو رجل واحد من الابطال ترتج من صدماته الاودية والجبال وقد راينا منه اعظم الفعال لانه كان يلتقط الفارس منا في عرصات المجال و يضرب به الاخر فيموت الاثنان في عاجل الحال وكان جواده يعينه على قتال الفرسان وهلاك الشجعان لانه كان يفتح فاه مثل الغول فيراه الفارس فتنحل عزايمه ويحل به الخمول فبينما هم كذلك واذا بثلاثة فوارس قد اقبلوا من معركة الصدام وهم من جملة الثلاثة الذين كانوا في قتال الامير بسطام فتلقاه انس وقد انقطع قلبه وزاد بلاه وكربه وقال لهم ويلكم ما هذا المصاب فقالوا له لاتطل علينا في الخطاب ولا تزد في الملام والعتاب فقد راينا فارسًا كانه العقاب ليس له مثيل في قبايل الاعراب فعند ذلك ابدى انس الضحك من قلب الغضب وانصدع فواده والتهب وقال هذا والله من اعجب العجب وهذا هو الرجل الذي وصفه لي الشيخ انه طرق ديار كندة في مائة فارس من اهل النجدة وقتل مسحل بن طراق الذي يضرب به المثل في الافاق وقد آليت على نفسي ان لم اقتله لا اقرب زوجته ولا اتزوج بها وها هو قد اتى في طلبها ولو عرفت من الاول انه عنترة لما كنت سمحت لكم بالخروج اليه خوفًا من هذا الامر المتكرر والان قد اقبل الليل واعتكر وما بقي في الامر الا اننا ننتظر وحينئذ ترون ما افعل به عند الصباح في معركة الكفاح ثم انه عاد الى مكانه الاول ــــ وقلبه يغلو الماء في المرجل

وعزم على قتل الاسرى ليشفي منهم غليل فواده نظير ما فعل عنترة في عسكره واجناده
فمنعه عقلاء قومه من هذا المرام وقالوا ايها البطل الهمام ليس هذا الامر بمشكور ولا يحدث
الامن الغافلين عن تقلبات الدهور والراي ان تصبر الى الصباح وتبارز هذا الاسود وتنظر
ما يتجدد فان انتصرت عليه بباعك الشديد فعلت به وبقومه ما تريد لان المثل يقول
من لم يتبصر بالعواقب ليس له الدهر بصاحب فلما سمع منهم هذا الخطاب راه عين الصواب
قال الراوي وكان قد بلغ الاسارى ما فعله عنتر في ساحة الكفاح فوقعت بهم البشائر
والافراح وقد ظهر لهم وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والتفت عروة بن الورد على
عمرو بن مالك ومن اجتمع من بني عبس هنالك وقال له اما قلت لك ان كنت تروم
النجاة من الاسر والتهلكة زوج اختك بانس بن مدرك فها قد تمزق شمله في هذا البطاح
وكساه عنتر ثوب الذل والافتضاح ومع ذلك كله لم تعقد عليه عقد النكاح ولو كنت انعمت
بتسميتها عليه كما تسمي الرجال على النساء ما كان امسى عليه هذا المساء قال الاصمعي هذا
ما جرى لهولاء من الايراد واما ما كان من عنترة بن شداد فانه لما عاد بسطام اليه ابصر
الارض مفرشة بالدما والقتلى من حواليه فتعجب وضحك حتى كاد يغشى عليه وقال والله
ياسيد الابطال كلما اردنا ان نحمل عنك بعض الاشغال ونخفف عنك الاحمال
والاثقال نراك تسبقنا الى مواقف الاهوال فلا زالت ايامك في هناء وسرور وغبطة
وحبور ما دامت الايام والدهور فشكره عنتر على مقاله واثنى عليه وعلى رجاله وما زالوا
يتحدثون في مثل ذلك الى ان ذهب الليل الحالك واقبل النهار الضاحك فنهض انس
في بني خثعم وغاص بالحديد وتسربل بالزرد النضيد وركب جواده واعتقل آلة حربه
وجلاده وتقدم الى ساحة الميدان بمن معه من الابطال والفرسان وكان عنتر بن شداد
قد ركب ظهر الجواد وطلب الحرب والجلاد واراد بسطام ان يسبقه ويتقدم فمنعه عنتر
وقال له لا تعز بنفسك فتعدم لاني اخاف عليك من نوائب الزمان والان ينهد ركن
بني شيبان لان الشجاعة لائحة على اعطاف هذا القرنان والفروسية تشهد له بثبات
الجنان والصواب ان ابرز اليه وانجز امره واصرم لكم عمره فاذا ابصرتم قومه وانا معه
في الصدام حملوا علي كافحوهم بحد الحسام ثم انه حمل بعد ذلك على انس وعيناه تتوقد
من شدة الغيظ مثل القبس فرآه ينظر الى خلفه ويهز رمحه على كتفه وقد نبه للحرب
جواده وهو ينشد وقد طفح فواده

صبوحي ضربُ جمجمةٍ وصدرٍ وكاسي صارمي لا كاسُ خمرٍ

وشربي من دمِ الفرسانِ صرفاً | على النغماتِ من بيضٍ وسمرِ
وعاداني اقتناص الاسدِ قهراً | من الغاباتِ فاعلم ثم ادري
وقد اصبحت نشواناً طروباً | وقد كسر الغرام لهامِ صبري
لاجل غزالةٍ صادت فوادي | بطرف لواحظٍ كحلت بسحرِ
عبيلة في الفودِ لها مكانٌ | اهاج تقلقي واطال فكري
وهذا اليوم اترك عبدَ عبسٍ | قتيلاً في الفلا ينهشه نسري
واترك في ديار بني قرادٍ | عويلاً دائماً في كلّ فجرِ
واحظى بالفخارِ على البرايا | بقتلته ويعلو فيه قدري

قال الراوي فلما سمع عنتر شعره تعجب من عظم جهله وكثرة عجبه بنفسه وقلة عقله فصاح فيه ويلك يا قرنان اما سمعت بما جرى على غيرك من الفرسان عن ذكر عبلة بالشفة واللسان وحيث قد ذكرتها بشعرك سوف تلقى كيدك في نحرك وتندم على عاقبة غدرك فقال بلى والله يا عبد اللئام قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام وانك بعد رعي الجمال اعطيت سعادة واقبال فقتلت جماعة من صعاليك الرجال ثم خطبت ابنة عمك بالزور والمحال وساقك الاجل الى قرب فناك ويكون على يدي هلاكك ومنتهاك وقد اليت على نفسي ان لا ادخل على عبلة حتى اقطع راسك وارغم انفك واخمد انفاسك والان قد انتجز امري وقبلت الايام نذري وبلغت كل ما اومله من دهري ثم انه حمل بعد كلامه هذا على عنترة وظن انه كمن لاقى من البشر ولم يعلم ان عنتر فارس البدو والحضر فتعجب عنتر من مقاله واوسع معه في مجاله وعلم انه اصبر من غيره على النوائب واخبر بحوادث الامور والعواقب من كثرة ما لاقى من مكايد الدهر والتجارب فصال وجابه على شعره وقال

اذا لعب الغرام بكل حرّ | حمدت تجلدي وشكرت صبري
وفضلت البعاد على التداني | واخفيت الهوى وكتمت سري
ولا ابقي لعذالي مجالاً | ولا اشفي العدو بهتكِ ستري
عركت نوائب الايام حتى | عرفت خيالها من حيث يسري
وذلّ الدهرُ لما ان رآني | الاقي كل نائبة بصدري
وما عاب الزمانُ عليّ لوني | ولاحطّ السوادُ رفيع قدري
اذا ذكر الفخار بارض قوم | فضرب السيف في الهيجاء فخري

سموت الى العلى وعلوت حتى　　رايت النجم تحتي وهو يجري
وقومٌ اخرونَ سعوا وعادوا　　حيارى ما راوا اثرًا لاثري

قال ثم انهما جالا في عرض البر واخذا في الكر والفر واختلفت بينهما المضارب بالسيوف اليمان ووقفت الفرسان تنظر ما يجري لهما من عجائب الطعان ساعة من الزمان حتى صار الغبار فوقهما شبه الدخان فغابا عن العيان وكان تارةً يفترقان وتارةً يجتمعان ثم يوسعان في بساط الصحصحان وقد خابت فيهما الامال وامتدت اليهما اعناق الرجال وحامت على روؤسهما طيور الاجال وافترق لسان الصدق عن لسان المحال ولم يزالا في اشد قتال حتى تثلمت في ايديهما النصال وتقصفت الرماح الطوال وارتعدت خيلهما وقد اعتراها التعب والملال وتطايرت من افواهها الزبد حتى صارت كشداق الجمال وابصر انس من عنترة ما لم يكن له على بال. قال الراوي ووصل الخبر الى عبلة في الخيم ان عنترة في قتال انس بن مدركة سيد بني خثعم فنادت من وسط السبي باعلى صوتها وقد عاشت روحها بعد موتها يا ابن العم لا اذاقني الله فقدك فما نشفت لي دمعة من بعدك فجد الان في قتال خصمك واظهر قوتك وشد عزمك وخاض جاريتك وابنة عمك فقد ساءت احوالها وقتلت اهلها ورجالها وعاندها زمانها وتشتت عن اوطانها فلما سمع عنتر نداها تالم قلبه لشكواها وصاح على انس صيحة عظيمة ارهبه واوهنه واتعبه وكانا قد اعتركا واندمجا حتى انقطع منهما الامل والرجا وصار النهار عليهم دجى ثم لاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه ومد يده واقتلعه من ظهر الجواد ورفس حصانه برجله القاه على وجه المهاد فعند ذلك ماجت فرسان خثعم وتجردت للممانعة واحتشدت للمقارعة والمدافعة وهجمت كالبرق الخاطف وزعقت كالرعد القاصف واندفعت على عنترة كالريح العاصف فالتقاهم بسطام بمن معه من الابطال وصاح فيهم صيحة الاسد الرئبال وطعن في الصدور والرجال وجعل ينادي احفظ اسيرك يا فارس عدنان وسيد ابطال هذا الزمان فانا اكفيك شر بني خثعم واسقي ابطالها كؤوس النقم وكان عنتر لما تمكن من انس بن مدركة عول ان يكتفه ويلقيه على بساط المعركة فدافع عن نفسه وتمنع لانه كان فارس سميدع فضربه على كتفه بالسيف المهند القاه جريحًا على الارض كالجزع الممدد ثم حمل لمعاونة الامير بسطام وجد في ضرب الحسام ونثر الجماجم تحت الاقدام وبذل فيهم سيوف الانتقام هذا وقد ارتفع القتام وبطل العتب والملام وقل الخطاب والكلام وكان يوماً عظيماً على القوم لم يروا مثله من عهد الاسكندر الى ذلك

اليوم ورات الاعدا الى ضربٍ اشد من نزول الصواعق وطعن يسابق مصائب الايام والطوارق فانحلت منهم العزائم وخيل لهم ان البر كله رماح وصوارم فهان عندهم ترك الاموال والغنائم وتفرقوا في اقطار الفلا وطلبوا البر المتسع واخذتهم نواقص الرعب والهلع وما زال عنترة واصحابه لهم في التتبع حتى مزقوهم في تلك القفار وقتلوا منهم ما ينوف عن ثلاثماية فارس كرار وقتل من بني شيبان ثلاثة فرسان ثم رجعوا جميعاً واتوا الى قومهم سريعاً لخلاصهم من السلاسل والاغلال وهنأوهم بالسلامة من شرك العقال فانشرحت خواطرهم والت عنهم الاتراح وابتهجت سرائرهم من السرور والافراح واقبلوا على عنترة وشكروه واثنوا عليه ومدحوه وتقدم عنتر الى عبلة وسلم عليها واظهر لها ما عنده من كثرة الاشواق اليها وقال لها اتظنين اني انساكِ واغفل عنكِ ولا ارعاكِ ولا اقفو اثاركِ واحفظكِ من العدى ولو ان اباكِ من اهل الظلم والاعتدا فبكت وقالت ان ابي قد احاط به الويل فاضحى قتيلاً تحت حوافر الخيل وناح عليه النهار والليل فوالله لا خلعت عني لبس السواد ولا سررت في المواسم والاعياد ومازلت اواظب على النوح والتعداد حتى تاخذ لي ثاره وتكشف عني عاره فلما راى عنترة كثرة بكاها تألم قلبه واوجعه شكواها وقال لها يا منية القلب والروح التي بين الجنب اقلي من بكاك فما ابوك الا سالم من كل ضير وقد تركته وعنده اخي شيبوب ومالك بن زهير ثم ان عنترة ارسل عروة بن الورد الى معركة القتال ليأتيه بانس بن مدركة في عاجل الحال فسار عروة في جماعة من الفرسان وتطلبوه في هذا المكان فلم يقفوا له على خبر فرجعوا واخبروا الامير عنتر فقال انني قد تهاونت في امره وكان الواجب قتله وقطع خبره فقال عروة لا تندم على حياته و بقاه وهب انك اخذت هذه الاموال على خلاصه وفداه لان هذه القبيلة من افقر العرب وقد ساقها الله لك من دون مشقة ولا تعب . قال الراوي وكان السبب في خلاص انس انه كان قد افاق من غشوته فراى السيف قد اهلك ابطاله وفرسان عشيرته فركب من بعض الخيول الشاردة في تلك الفلا وطلب لنفسه السلامة والنجاة ثم ان عنترة بعد ذلك امر بسوق تلك الغنائم والاسلاب وساروا طالبين ارض الرباب وعنترة امام القوم كانه اسد الغاب والى جانبه بسطام على جواده ذات النسور وهو بغاية الفرح والسرور ولما تمادي بهم السير والترحال تذكر عنتر بما جرى عليه من الوقائع والاهوال فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

صحا من بعد سكرته فوادي ... وعاود مقلتي طيب الرقاد

واصبح من يعاندني ذليلاً كثير الهم لا يفديه فادِ
يرى في نومه فتكات سيفي فيشكوا ما يراه الى الوسادِ
الا يا عبلة قد عاينتِ فعلي وبان لك الضلال من الرشادِ
وان ابصرتِ مثلي فاهجريني ولا يلحقك عارٌ من سوادي
والاَّ فاذكري طعني وضربي اذا ما لج قومك في بعادي
طرقت ديار كندة وهي تدوي دوي الرعد من ركض الجيادِ
وبددتُ الفوارس في رباها بطعنٍ مثل افواه المزادِ
وَخثعمُ قد صبحناها صباحاً بكوراً قبل ما نادى المنادي
غدوا لما راوا من حدّ سيفي تدير الموتُ في الارواح حادي
وعدنا بالنهاب وبالسرايا وبالاسرى نكبلهُ الصفادِ

قال الراوي فلما سمع بسطام شعره اثنى عليه وشكره وقال والله يا حامية عبس وعدنان ومن هو نادرة هذا الزمان لقد كملت فيك الشجاعة وفصاحة اللسان وحزتُ غاية المجد ورفعة الشان فشجاعتك لا توصف ولا تحد ولفظك اعبق من الشهد واعبق من فتات المسك والند فلا زالت ايامك في سعود ونجمك فوق هام المجد معقود ثم انهم جدوا في قطع الهضاب حتى اشرفوا في ثني الايام على ارض الرباب وابصر شيبوب غبارهم فانحدر اليهم مثل العقاب والتقى باخيه عنترة الفارس المهاب وراى تلك الغنائم والاسلاب ففرح بسلامتهم واستكشف احوالهم فاخبروه بقصتهم وما جرى لهم فساله عنتر عن عمه مالك بن قراد قال قد بدا اصلاحه وصار ياكل ما يشتهيه من الزاد ويركب على ظهر الجواد ثم ساروا حتى وصلوا الى تلك الارض وسلموا على بعضهم البعض ودارت فرسان عبس على مالك بن زهير وهنأوه بالسلامة من الالم والضير وبعد ذلك تقدموا الى نحو مالك ابو عبلة وسلموا عليه بالجملة فقال اشهدوا عليَّ يا سادات عبس وعدنان ومن حضر في هذا المكان باني عتيق سيف ابن اخي عنترة الفرسان لان له عليَّ حقاً قديماً وفضلاً جسيماً وقد اصفيت له الضمير من البغض والتكدير وبعد هذا اليوم لم يعد يقع مني في حقه حقد ولا جفا الا المحبة وحفظ العهود والوفا لانه قد صار عندي بمنزلة العين والروح التي بين الجنبين وسيبلغ مني في امره كل ما يهواه ويرضاه ويتعلق به خاطره ومناه ثم اخذ يستعطف بخاطره ويطلب منه الرضا والاغضا عما مضي واشار بمدحه بهذه الابيات

انظرْ اليّ فدمعي هاطلٌ هامِ ... وطردُ حملك سامي المرتقى حامِ
وانت فينا همامٌ سيدٌ بطلٌ ... يوم الحروب لقد اهلكت اخصامي
لله درك اذا اسودت سحاب وغى ... واضحت البيض حمرا من دم الهام
وجاءت الخيل مبتلاً رجائلها ... تحت القتام باسادٍ واجامِ
احييتني بعد موت كنت شاربه ... من الجراحِ ومن ضرٍّ والامِ
لاشكرنك في سرٍ وفي علنٍ ... بين الانام وفي اهلي واقوامي

قال الراوي وكان قول مالك في هذه المرة صحيح من غير كذب ولا تلويح فقال له بسطام وحق رب العباد كل من لا يعرف مقام هذا الفارس الجواد ليس له عقل ولا رشاد قال عنتر دعه يا امير بسطام يفعل ما يريد من المرام وانا اقسم بحق من خلق الظلام والنور العالم بما في الضمائر والصدور لو ملكت جميع ما في الدنيا من الاموال والدنانير ما كنت الا عبداً لهذا الامير فلو شتمني اكرمته وان طردني اتيته وخدمته وما زال عنتر يمدح عمه مالك بمثل هذا المقال حتى شكرته جميع الرجال وقد تعجبوا من حسن ادبه ومروءته وكرم اخلاقه ومودته وباتوا تلك الليلة في تلك الارض وهم فرحون بجمع شملهم مع بعضهم البعض ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اقتطع عنترة قطعة جيدة من تلك النوق والفصلان والتفت على الامير بسطام وقال له يا ابا اليقظان قد غمرتنا بالجميل والاحسان فخذ هذه الاموال قسمتك واطلب ديار اهلك وقومك لانها قد طالت غيبتك على اهلك وعشيرتك فقال بسطام ايها البطل الهمام والاسد الضرغام كيف يطيب فؤادي ان اسير الى اهلي و بلادي قبل انفصال نوبتك ودخولك بعبلة زوجتك قال يا اخي وذمة العربان لا دخلت عليها حتى تحضر انت وسائر بني شيبان ان امكنني الزمان واعلم ان عمي ما زال يشكوا من الم الجراح فليس لي سبيل ان اخاطبه بذكر عرس ولا افراح حتى يعود الى حالة الصحة والنجاح فحينئذ ارسل خلفك ونصرف وقتنا بالحظ والانشراح ثم ودعوا بعضهم البعض وافترقوا من تلك الارض وسار كلٌ منهم يطلب ديار اهله واصحابه وهو متأسف على فراق احبابه وجد عنتر في المسير حتى اقتربوا من الاوطان وهبت عليهم ارياح بني عبس وعدنان فعند ذلك تذكر عنتر اهله وخلانه وما لاقى في زمانه فانشد وقال

يا عبلَ اين من المنية مهربي ... ان كان ربي في السماء قضاها
وكتيبة لبستها بكتيبةٍ ... شهباء باسلة يخاف رداها

خرساء ظاهرة الاديم كانها نارٌ يشبُّ وقودها بلظاها

فيها الكماةُ بنو الكماة كانهم والخيل تعثر في الوغى بقناها

شهب بايدي القابسين اذا بدت باكفهم غاب الظلامُ سناها

صبرٌ اعدوا كلَّ اجرد سابح ذبلت مرا كله وضم حشاها

يعدونَ بالمتدرعين عوابساً قوداً تهتم اينها ووحاها

يحملن فتياناً مداعيسَ القنا وقرًا اذاما الحربُ خفَّ لواها

من كل اروعَ ماجدٍ ذي صولة يسطو اذا الحقت حصى بكلاها

وصحابةٍ شمِ الانوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بطلاها

وسريتُ في غلس الظلام اقودهم حتى رايتُ الشمسَ زال ضحاها

ورايتُ في كبد الهجير فوارساً فطعنتُ اولَ فارسٍ اولاها

وضربتَ قرني كبشها فتجدلا وجعلتُ مهري وسطها فضاها

حتى رايتُ الخيل بعدَ سوادها حمرَ الجلود خضبن من جرحاها

يعثرنَ في نقع النجيع جوافلاً ويطأنَ من نار الوغى عظاها

وبذلتُ فيهم صارماً في حده كاسَ المنية فاستهلَّ دماها

ورجعتُ محموداً براس عظيمها وتركتها جزراً لمن ناواها

ما سمت انثى نفسها في موطنٍ حتي وسيفي مهرها مولاها

ولما رداَت اخا حفاظ سامعةً الا له عندي بها مثلاها

اغشى فتاةَ الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها

واغض طرفي ما بدات لي جارتي حتى يوادي جارتي ماواها

انى امرؤ سمحُ الخليقة ماجدٌ لا اتبع النفس اللجوج هواها

ولئن سالتِ بذاك عبلة اخبرت ان لا اريد من النساء سواها

واجيبها اما دعت لعظيمة واعينها واكف عما ساها

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات اهتز مالك بن زهير طربا وتمايل على ظهر جواده عجباً وقال والله يا ابا الفوارس ما سبقك الى هذة المعاني احد من البشر وانت ورب الكعبة شاعر البدو والحضر لانك قد وفقت بالفصاحة جزاءة الاقدام على كل بطلٍ همام وسيدٍ قمقام كل من يدعي النثر والنظام فما امرؤ القيس الا نقطة في بحارك والمهلهل ابن ربيعة الا شرارة من نارك وجميع فرسان العرب تعترف بباسك

واقتدارك فاشعارك الحسان تعجز الشعراء على نظم امثالها ووقائعك في الحروب تكاد تمور الارض من عظم اهوالها فشكره عنترة واطنب في الثناء واطال في الدعاء وقال والله ما انا الا عبد وانت المولى وما قد ذكرته من جميل الصفات فانت احق به واولى لان اخلاقك تعلم الناس كرم الاخلاق وحسن الشيم وذلك بسماع صفاتك الشائعة في العرب والعجم ثم قال له مالك بعد ذلك من الصواب ان ترسل اخاك شيبوب الى اهلنا يعلمهم وصلونا حتى يخرج ابي في سائر عبس الى ملتقاك فتغتم بذلك اعداك وتفرح بسلامتك اهلك واصدقاؤك لانى اعلم ان اخي شاس قد وصل الى الاوطان واعلم الناس بما جرى لنا وكان انك رحلت مع بسطام الى ديار بني شيبان في زي حردان ولا شك ان عمارة قد سمع بهذا الخبر ووعد نفسه بزواج عبلة عند قدوم عمك من السفر وانا اعلم متى وصل شيبوب الى حلتنا واخبر ابي بقدومنا من سفرتنا وان عمك اصلح شانه معك وانك في صحبتنا تبدلت افراح بني زياد باحزان و ياخذهم القلق والهيمان و يطيب قلب ابي من اجلي بعد قطع الاياس لان خبري قد ابطا عليهم بعد قدوم اخي شاس فلما سمع عنترة منه ذلك الخطاب رآه عين الصواب فانفذ من وقته اخاه شيبوب فطار كانه العقاب وفي دون ساعة انقطع غباره وخفيت اثاره . قال الراوي وكان الحساب الذي حسبه مالك وقصه على عنتر جاء كانه نقش على حجر لان شاساً كان قد فارقهم من اول النهار وسار امامهم في تلك القفار حتى وصل الى الديار فدخل على ابيه واعلمه بافعال عنترة في ديار بني كندة وكيف قتل مسحل بن طراق ومزق شمل قومه في الافاق ثم اخبره بمسيره الى بني شيبان وهو من افعال عمه مالك حردان فلما سمع الملك زهير ذلك الايراد نما غيظه على ابي عبلة وزاد وقال وحق باسط المهاد لا يزال مالك بن قراد ملازم العناد حتى تشمت بنا الاعداء والحساد ولا بد من اتصال اذيته الى سائر عرب البلاد وذلك بعد ما يلحق شره الينا و بسببه يقتل لنا من يعز علينا لان طبعه الخبث الغدر ودابه الخداع والمكر فلا يميل من ذلك ولا يضجر وقلبه اقسى من الصوان واصلب من الحجر ثم قام بانتظار ولده مالك ثلثة ايام فلم يحضر فاخذه القلق وساء ظنه فيه وقال لشاس اخبرني بخبر اخيك ولا تكتم عني ولا تخفه فقال ابشر يا ابتاه بالخير والكرامة فاني قد فارقته وهو في غاية الصحة والسلامة وما اقول الا ان مالكاً بن قراد اخذ ابنته عبلة وهرب بها الى بعض البلاد فسار اخي خلفه ليقتفي منه الاثر لانه اطول مني بالاً واصبر واجلد على الاهوال واقدر قال و بينما هما في مثل هذا

الخطاب واذا بالمنهزمين الذين انهزموا من ارض الرباب قد وصلوا في ذلك الوقت عند الغياب ودخلوا على الملك زهير وهم في حالة الذل والاكتئاب وشكوا له ما اوقع بهم انس بن مدركة من المصاب فسالهم عن ولده مالك وقد زادت به الغصص فاخبروه انه كان قد فارقهم في طلب الصيد والقنص فاخذه الغم والوسواس واستشاط غضباً عَلَى ولده شاس وقال له والله يا ولدي لقد اسات التدبير واخطات في امر اخيك وعجلت في المسير فقم الان ونادي في بني عبس باخذ اهبة القتال حتى نسير الى ارض الرباب ونكشف حقيقة الحال قال وكان عمارة بن زياد قد سمع ما جرى لعنترة بن شداد من النفور والكياد فطاب منه الفؤاد وايقن ببلوغ المراد واجتمع باخيه الربيع وقال يا اخي قد تمكنت الان من عبلة وزالت عن قلبي الدبلة لاني اعلم ان ذلك الاسود الكشحان لم يخرج من ارض بني شيبان لما عليه من الاحقاد وادمية الفرسان فقال له الربيع والله يا عمارة لا تزال تتعلق بالكذب والامل الخائب حتى تلقينا في لهوات المنايا والمعاطب. قال وكان الامير شاس قد نادى على بني عبس بالمسير وان يتاهب الكبير منهم والصغير فاستعدت الابطال الصناديد وتدرعت بالزرد النضيد واذا بشيبوب قد اقبل عند ذلك ليبشر بقدوم الامير مالك وعنترة فارس المعارك فراى الحي يموج بلمعان الصفاح ونصال السيوف واسنة الرماح وقروم ابطال الكفاح فعلم بواقعة الحال وقصد نحو راية الملك زهير دون باقي الرجال فسلم عليهِ وقبل الارض بين يديه وقال لك البشارة ايها السيد الكريم والملك العظيم بقدوم ولدك مالك وهو في احسن حال وانعم بال واتم اقبال ومعه الغنائم والاموال وفي صحبته اخي عنتر وقد ارسلني لابشر بهذا الخبر ففرح الملك واستبشر وركب من وقته بباقي العساكر وسار لاستقبالهم في ذلك البر الاقفر وما زالوا سائرين وهم يقطعون الارض حتى التقوا ببعضهم البعض فعلا منهم الصياح وزادت المسرات والافراح واعتنق الملك زهير ولده وقد انطفت نار كبده لانه كان يحبه اكثر من اخوانه وعاد الى عنترة فوجده قد ترجل الى خدمته فشكره وسلم عليه وقبله بين عينيه وقال له يا ابا الفوارس هجرت الاوطان وصرفت زمانك بالشقا والحرمان والقيت نفسك في الامور الكبائر وما كنا نرى لقصتك من اخر فقال عنترة يا مولاي قصتي هانت والامور بعون الله قد لانت ثم حدثه بتفصيل القصة وكيف خلاص ابنة عمه واهلها من تلك الغصة فاستحسن الملك كلامه وعظم عنده قدره ومقامه علم انه رجل مسعود وما عاداه احد الا وعاد مقهوراً مكمود. قال الراوي ثم انهم

نزلوا للمبيت في ذلك المكان وفرحت الاخوان بالاخوان والاصدقاء بالخلان ولما اقبل النهار رحلوا طالبين الديار ولما وصلوا وقع في الحي الفرح والاستبشار وما نزل عنتر عن ظهر جواده الابجر حتى فرق من الغنيمة القسم الاكثر فاغنى عروة بن الورد واقوامه وقسم الباقي على ابيه واعمامه وقد طابت اوقاته وايامه وعادت عبلة الى ابياتها وفرحت بها اهلها وجاراتها وكانت قد اتخذت جارية من سبي بني خثعم واصطفتها لنفسها وقدمتها على جميع الخدم وكانت بديعة في الحسن والجمال وعليها اثار النعم والدلال كحلاء العيون كثيرة المزاح والمجون طويلة القوام عذبة الكلام حافظة ذمام الاحتشام وكان اسمها رابعة وهي ابهى من الشمس الطالعة وكانت تسلي عبلة عَلَى همها وغمها وكانت عبلة تشكو اليها ما قاساه عنترة ابن عمها وتقضي معها اكثر الليل والنهار في الحديث ومناشدة الاشعار فاحبها عنترة لاجل محبة ابنة عمه عبلة وكان يكرمها في الجملة واستمرت عبلة تنادم عنترة صباحاً ومساء وتخفف عنه ما كان يجده من الهم والاسى وقد فرحت الاصدقاء والمحبون واغتمت الاعداء والمبغضون . قال الراوي وكان عمارة بن زياد عند ما بلغه قدوم عنترة بن شداد وقع على فراش الضنا وهجر الطعام والرقاد وزاد به النوح والتمداد وهو لا يزداد الا حسرة وجوى من الم العشق والهوى حتى ذابت مهجته وانشقت مرارته فلما راته امه عَلَى تلك الحالة قالت له يا ولدي اخبرني ما الذي اعتراك لانني ارى جسمك في كل يوم على ضعف وهزال فقال لها ان هذا كله من قدوم عنتر الى الاطلال ومعه هذه الغنائم والاموال واني ارى عمه قد ذل له اذلال العبيد واحبه بعد ذلك البغض الشديد وقد عوَّل بعد ما يشفى من علته ان يزوجه بعبلة ابنته وانا اقسم بحق اللات والعزّى والهبل الاعلى متى بلغني انها زُفت عليه وتجلت تخرج روحي من شدة الوجد والهوى واموت بعلة ما لها دوا لانني في هذا غبناً عظيم وامراً يترك الجسم السليم سقيم فلما سمعت مقاله رثت له وبكت لحاله وقالت حقاً يا ولدي ومهجة كبدي ان حزنك هذا لا يجلب لك خيرًا ولا يكشف عنك غماً ولا ضيراً فلو سمعت مني لخطبت لك بعض بنات عمك وارحتني من حمل همك وغمك لان عنترة بعد هذا اليوم لا يعادي ولا ينافس ولا يمثل بغيره ولا يقايس لانه قد صار في منزله عظيمة واشتهر صيته في بلاد العرب وهابته الملوك والسادات من ذوي الرتب فاعصِ نفسك هواها ولا تعطها مناها والا دعنا نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن فانه لم يبق لنا طاقة على الصبر والجلد ولا قلب يحتمل هذا الهم والنكد . فقال

لها يا اماه اذا كان الامر كذلك فاني لا محالة هالك ثم انه استدعي بـاخيه الربيع لخضر وقص عليه ذلك الخبر وقال له هذا وقت المروة والقيام بحق الاخوة فما عندك من الراي والتدبير في هذا الامر العسير وماذا ترى فيه وتشير لانه قد زاد سقامي ودنا وقت حمامي فاملك تنفع نفسي وتحييها وتدفع شر هذه البلية التي وقعت فيها فبكي الربيع وقال ان هذا امر مشكل وداء معضل فلني لست بقادر ان اذيل عنك عذه الكربة ولا يمكنني ان اعاند رب السما لذي اعطاه هذه الرتبة فان سعده عال وطالعه في اقبال وكلامه مسموع مطاع وكل العشيرة له اتباع لانه اشتهر بجميل الصفات وارتقى الى اعلى الدرجات واستمالت اليه خواطر السادات وفي قلبه منه اكثر مما في قلبك من الحسد ولكنني اصبر منك واجلد فكل تدبير صوبناه الى نحو هلاكه يعود علينا وكل مصيبة القيناه فيها يتخلص منها و يرجع وبالها علينا وما في الامر الا ان ننتظر له العرضيات وندبر على هلاكه في الباطن ان ساعدتنا الامور المقتضيات فقال عمارة وهذا امل بعيد لا ننال منه ارب وقد صرت هدفاً للبلا والعطب لانه في كل يوم يشاهد عبلة ويتمتع بحسنها الباهر ويصرف ايامه مع الملك زهير بالعيش الرغيد والحظ الوافر ولو تكون عبلة قد قتلت في بعض الكرات كان انقضى امرها وفات وزالت عني الهموم والحسرات قال الربيع ان كنت ترغب في قتلها ابشر بالنجاح وبلوغ الارب والصلاح فانا ادبر لك على هلاكها واتلاف مهجتها واحرم عنتر ان ينظر جمال طلعتها ثم انه رجع الى مضاربه وبات وهو يتفكر في هذا الامر وعواقبه ولما بدت غرة النهار استدعى عبيده ومن يلوذ به من الجوار وقال لهم هل فيكم احد له اختلاط بعبيد بني قراد فليعلمني به حتى ابلغه المراد فقال له بعض العبيد يا مولاي ان لي معرفة بخديسة امة عبلة وهي تحبني وانا احبها بالجملة وكثيراً ما تعرض لي وانا لا التفت اليها ولا اعتني بها لاجل ما بينك وبين آل قراد من الحقد والكيد . قال الربيع لا تخف ما دمت عبدي وانا مولاك فاني اكافي من يحسن اليك واعادي من عاداك ومن اليوم وصاعداً اظهرلها المحبة والمودة ودع عنك الهجر والوحدة واحضرها الى خيامنا وادخل بها في بيوتنا حتى اقول لك ماذا تفعل واشير عليك بما تعمل فقال السمع والطاعة وانا احضرها الى بين يديك في هذه الساعة وقد قالت لي الف مرة خذني وسربي الى بعض احياء العرب وانا اتيك بما اقدر عليه من الفضة والذهب وبكل ما تملكه مولاتي عبلة من الثياب الفاخرة والعقود النفيسة النادرة فلما سمع الربيع هذا الخبر فرح واستبشر وعلم ان الامر قد تيسر

واظهر للعبد الوداد وزاد في اكرامه وملأ مزوده ما طاب من طعامه وقال له اذا جئتنا بها وكنت تحبها وتهواها فانا اشتريها لك من مولاها وازوجك اياها فسار العبد حتى اجتمع بالجارية واعلمها بمرامه فابتهج فؤادها وفرحت بكلامه وسارت معه الى خيامه فلما بلغ الربيع قدومها زال عنه الهم وعلم ان امره قد تم فارسل لها الطعام وآنية المدام فاكلا وشربا ولذا وطربا وتم بينهما الامر وانتصف زيد من عمرو وكان عندهما ذلك اليوم اعظم ايام الافراح وما زالا في حظ وانشراح الى ان لاح الصباح فعند ذلك عولت خميسة على الرواح خوفاً من الهتيكة والافتضاح فدخل عليها الربيع واظهر لها الفرح والسرور والابتهاج والحبور وقال لها قد عولت ان اشتريك من مولاك وازوجك بعبدي هذا لانه يحبك ويهواك وهو عندي بمنزلة الولد لما فيه من العقل والراي المسدد فدعت له وقالت وقاك الله يا مولاي من المهالك واني والله احبه ولو قال اقتلي نفسك لفعلت ذلك ففرح الربيع بكلامها وانسر وطرب فؤاده وانتعش واصرفها بعد ما اوصاها ان لا تنقطع عن المجي والرواح في المساء والصباح. قال الراوي وكان للربيع صديق في حلة بني شيبان وهو من اكابر الزمان واحد ندماء الملك النعمان ملك ملوك العربان وخليفة كسرى انو شروان وكان من دهاة الرجال وقروم الابطال يقال له مفرج بن هلال وكان بينهما صحبة قديمة ومحبة عظيمة فارسل اليه بعض عبيده يقول له اريد من فضلك واحسانك ان ترسل لي عشرة من ابطال فرسانك الذين يحفظون السر والكتمان ولهم قدر وشان حتى ارسل لك شيئاً يعز علي اظهاره واريد ان اخفيه ولا انسب اليّ عاره فسار العبد بالرسالة واجتمع بمفرج وبلغه تلك المقالة فاستدعى بابن عم له يسمى سنان وضم اليه عشرة من الفرسان وقال لهم سيروا الى ديار بني عبس وعدنان واقصدوا الربيع بن زياد وامتثلوا له في كلما اراد فساروا وقد جدوا في الترحال حتى اشرفوا على ديار بني عبس وقت الزوال فاخفاهم العبد بين احاقيف الرمال ودخل على مولاه الربيع واخبره بواقعة الحال ففرح بذلك وابدى الابتسام وامرهان ياتي بهم ليلاً والناس نيام بحيث لا يعلم بهم احد من الانام فلما كان الليل جاء بهم العبد الى الخيام فالتقاهم الربيع بالترحيب والاكرام ونحر لهم النوق والغنم وقدم اليهم الطعام والمدام واقاموا عنده مدة ثلاثة ايام في عز واحترام فلما كان اليوم الرابع قال سنان يا ربيع ما هي الحاجة التي دعوتنا اليها فان الوقت قد طال فاطلعنا عليها فعند ذلك امر عبده باحضار خميسة الى ما بين يديه فسار وما غاب

الا القليل حتى احضرها اليه فاختلى بها وقال مرادي ان اكلفك في قضية فاذا قضيتها
ضمنت لك عتق نفسك من رق العبودية قالت وما هي حاجتك حتى ابلغك اياها وان يكن
في ذلك هلاك نفسي وفناها فقال ان اخي عمارة قد اشرف على الهلاك وما بقي له من
اشراك الموت فكاك وفي كل يوم ادخل عليه واقول له ماذا تريد وما الذي يكشف
عن قلبك الدبلة فيقول لي ما اريد الا نظرة اتمتع بها من وجه عبلة حتى اودع بها
هذه الدنيا لاني قد صرت من الاموات لا من الاحيا وقد تألم قلبي لشكواه وعجزت
عن بلوغ مناه وما وجدت لي من اسأله سواكِ فان قدرتِ عَلَى ذلك نلتِ مني مناك
فلما سمعت هذا المقال غلب عليها الهوى والبلبال وقالت يا مولاي ان حاجتك تفدى
بالمهج والارواح وخدمتك واجبة علي في المساء والصباح فقل لاخيك ان يخرج هذه
الليلة الى غدير ذات الاصاد حتى ابذل المجهود في تتميم المراد فقال على ماذا عولتِ من
العمل وماذا دبرت من الحيل قالت هذا امرٌ هين وصعبه لين لان عنترة من حين
جاء من السفر وهو مقيم عند مالك بن زهير لا يفارقه الا في وقت السحر وانا اقول
لمولاتي عبلة اخرجي الى الغدير في هذه الليلة لان ابن عمك عنترة يكون لك هناك
في الانتظار وهكذا امرني ان احدثك بهذا الخبر من اول النهار ويكون عمارة مكمناً في
تلك الارض ورباها فتخرج عبلة فيراها وتبلغ نفسه مناها . قال الراوي فلما سمع الربيع
كلامها تبسم وعلم ان الامر قد تحكم فاظهر لها السرور والطرب واخرج لها من جيبه
دملجاً من الذهب وقال لها خذيه الان على سبيل الهدية حتى اذا انقضت الحاجة زوجتك
بعبدي وعتقت نفسك من رق العبودية واعطيكما ما تعيشان به من العيشة الرضية
فامتنعت وقالت ان كان ولا بد من سوابغ انعامك فاودعه لي امانة عنك حتى يتم
مرامك لانه قد دخل في حيز القبول واخاف ان اخذته الان وسئلت عنه فما ادري
ما اقول ثم انصرفت من عندهُ في الحال واجتمع الربيع بفرسان بني شيبان وقال ان
الحاجة انقضت وهان منها العسير ثم التفت على عبده سالم وقال اخرج بهولاء الرجال
الى جانب الغدير واكمن بهم هناك واخفِ اثارهم واذا رايت عبلة قد وصلت اريهم اياها حتى
ياخذوها ويسيروا بها الى ديارهم فقال سنان وماذنب هذه الجارية قال هي امراة زانية
وقد البستنا ثوب العار واني اريد قتلها في ارض بعيدة عن هذه الديار حتى ينكتم امرها
عن الكبار والصغار لانها من بنات عمي ومن لحمي ودمي وما احتاج ان اصف لك
ما عليها من المصاغ والجواهر واللؤلوء الذي لا يوجد مثله عند كسرى وقيصر وما فيها

من الحسن والجمال والقد والاعتدال مما يحير عقول الرجال وعند وصولكم الى مفرج ابن هلال سلموها وقولوا له ان يتركها عند بعض ثقاته حتى اقدم عليه . قال فعند ذلك خرج سنان بن معه من الفرسان حتى اقبلوا على الغدير وما لبثوا الا القليل حتى اشرفت عبلة وهي كانها البدر المنير وصوت خلخالها قد اقلب البر الاقفر وكانت في تلك المدة لا تزال مزينة بانواع الحلي والجوهر وكان عنترة يزورها في المساء والصباح ويصرف اكثر اوقاته معها بالحظ والانشراح لان قلب ابيها كان قد ائتلفه ومال اليه ووعده انه متى تعافى من جراحه يزفها اليه . قال وكان السبب في خروج عبلة الى تلك الحال خميسة بنت الاجواد لانها بعد مفارقتها الربيع خرجت الى الصحراء وما زالت هناك حتى انصرم النهار فرجعت عند المساء ودخلت على عبلة وقالت لها يا مولاتي يقول لك ابن عمك عنترة انه ينتظرك على الغدير في هذه الليلة المقمرة حتى يخبرك في امر قد بدا من اخيك عمرو وقد اعترضني في هذه الساعة في ابيات الامير مالك وقال اخبري مولاتك عبلة ان تنتظرني على جانب الغدير فما ادري ان كان كلامه صحيحاً ام السكر قد حسن له ذلك قالت عبلة والله ما كلامه الا صحيح لاني اعلم ان اخي يبغضه وكثيراً ما يفسد قلب ابي عليه حتى يرفضه وربما ان مراده يحدثني بشيء قد بدا له ثم انها صبرت حتى اظلم الليل وارخى اذياله وكان اكثر اهل الحي نيام فاخذت رابعة نديمة المدام وقالت لخميسة سيري امامي حتى اسمع كلام ابن عمي واطيب قلبه بكلامي فسارت خميسة وقد سر فوادها حتى كادت من شدة الفرح تطير ومشت عبلة ورابعة من ورائها حتى اقبلت على الغدير فابصرها سنان ومن معه من الانفار وكان لها في الانتظار فتقدم اليها واردفها خلفه على ظهر الحصان ونزل بعض فرسانه وكتف رابعة وخميسة وتركهما على بساط الصحصحان هذا وعبلة تصيح وتستغيث وتطلب الخلاص ولا مغيث ثم ساروا بها وتبطنوا القفار وكانوا يسيرون في الليل ويكمنون في النهار حتى وصلوا الى الديار . قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء من الخبر واما ما كان من ابي الفوارس عنتر فانه كان تلك الليلة قد اطال السهر في بيت مالك بن زهير الى وقت السحر ثم رجع الى خيامه ولم يعلم في ذلك احد من البشر ولما كان الصباح شاع الحديث في الحلة واشتهر فاستيقظ عنترة وهو مخمور وقد غاب عنه خيال السرور واسودت الدنيا في عينيه ووقع على الارض مغشياً من شدة ما جرى عليه هذا وقد ركب الامير شداد واخوه زخمة الجواد وسائر فرسان آل قراد وتفرقوا في كل جانب وتبطنوا البراري والسباسب

وما زالوا يقتفون الاثار حتى تضاحى النهار وقد خفيت عليهم الاخبار وفي رجوعهم عبروا على غدير ذات الاصات فراوا رابعة وخميسة على وجه المهاد فنزلوا اليهما وحلوهما وسالوهما عن حالهما وما الذي جرى لعبلة وما دهاهما فقالا ان عبلة اخذتها الخيل وسارت بها من اول الليل فقال لهما شداد وانتما من جاء بكما الى هنا حتى حل بكما هذا البلاء والعناء قالت رابعة يامولاي ان خميسة قالت لعبلة إن ابن عمك عنتر يقول لك اخرجي في هذا الليل المنير وانتظريه على شاطي الغدير حتى يحدثك بخبر قد طرق مسامعه ويستشيرك فيما هو صانعه فخرجنا على مثل هذا الكلام وما استقر بنا المقام حتى هجمت علينا جماعة من الفرسان فتقدم احدهم الى عبلة واردفها خلفه على ظهر الحصان ثم كتفانا وتركانا على هذا الحال وساروا بعبلة بين الروابي والتلال . قال فلما سمع شداد كلامها اخذه الحنق والتهب فواده من شدة الغيظ واحترق وقال لخميسة و يلك من ارسلك بهذه الرسالة وعلمك ان تقولي لعبلة تلك المقالة قالت يامولاي خذ لي من عنترة الامان حتى احدثكم بما جرى وكان فعند ذلك اخذها شداد في ركابه وعاد الى الخيام واجتمع بعنترة واخذ لها منه الذمام واعاد عليه ما قالت من الكلام ثم حدثته بجلية الخبر وما دار بينها وبين الربيع من الكلام الذي تحرر وكيف انه اعطاها الدملج الذهب ووعدها بزواج عبده عند بلوغ الارب فلما سمع عنترة ذلك المقال ووقف على صورة الحال غلب عليه الوجد والبلبال وخرج عن دائرة الاعتدال وقال ويلك يا امة الخنا ونتيجة الزنا فلاجل هواك وازدياد عشقك وجواك سلمت مولاتك وعليها من الجوهر المنتخب ما لا يوجد عند احد من ملوك العرب فوحق من رفع السماء وخلق الارض من طين وماء لو لم يسبق لك مني الذمام لكنت مكنت منك هذا الحسام ولكن قتلك لا يشفي قلبي العليل ولا يبرد لي نارًا ولا غليل وانا اعلم ان هذا اخر العهد من عبلة وسوف تزداد هذه المصيبة والدبلة ولولا هيبة الملك زهير واولاده الاجواد لجردت الان سيفي في بنى زياد وجعلتهم مثلاً بين العباد لانهم لم يتركوا من انواع العداوة شيئًا الا تعاطوه ولا من الافساد صنفًا الا وهيأوه فبينما هم مثل ذلك واذا برسول الملك زهير قد حضر وقال لهم قد بلغ الملك طرف من حديثكم فتكدر وتشوش خاطره وتعكر وهو يستدعيكم الى حضرته حتى يقف على حقيقة الخبر فساروا حتى دخلوا عليه وتمثلوا بين يديه وقصوا عليه حديث خميسة واوقفوه على حقيقة تلك الدسيسة فقال يالها من قضية عظيمة وداهية جسيمة والله ان هذا من اعجب العجائب ان

تسبي بناتنا من بين المضارب وهيبتنا قد شاعت في المشارق والمغارب ثم انه ارسل في طلب الربيع فحضر مع اخوته ومن يلوذ به من اهله ورفقته فحيوا وسلموا وجلسوا ولم يتكلموا فالتفت الملك زهير الى الربيع وقال له هل سمعت بما جرى لهؤلاء القوم في صباح هذا اليوم قال نعم وقد صعب علي هذا الحال فركبت مع اخوتي وتفرقنا في البراري والتلال وكددنا غاية الكد وبذلنا الجهد والجد فما عرفنا لها خبراً ولا راينا لها اثراً وهذا الامر ليس هو قليل ولا يرضى به الا كل جبان ذليل لان عاره علينا عائد ولا يرضى به الا كل عدو وحاسد فقال مالك ابو عبلة يا ربيع دع عنك زخاريف المحال ورد علينا ابنتنا بما عليها من المال والا خرجنا معك من المقال الى الفعال واثرنا حرباً شديدة القتال وتركنا العرب تضرب بنا الامثال ما بقيت الايام والليال كما ضربت بحرب البسوس من قبلنا وتكون انت السبب في تفريق شملنا لان خميسة حدثتنا بفعالك وما دبرت من مكرك واحتيالك فلما سمع الربيع مقاله اصفر لون وجهه وتغيرت احواله وأخذته الدهشة واستولت على قلبه الرعشة وعلم ان لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا استعمال الخداع والحيلة فقال لمالك انا اعذرك في ذلك لانك فقدت الدرة المصونة والجوهرة المكنونة ولكن اعلم ايها الامير والسيد الخطير ان رفيع قدرنا ما سقط بعد الى هذا الحد وكلامنا لم يزل مسموعاً لا يرد حتى تسمع فينا كلام امة ذميمة لا قدر لها ولا قيمة لانها تعلم ما في قلوبكم علينا من الاحقاد وعدم الالفة وانواع العناد فالقت بيننا هذه الفتنة وها نحن صابرون الى ان ينكشف خبرها و يظهر امرها و يبان اثرها فانها لم تصعد الى الجو الاعلى ولا هبطت تحت الارض السفلى والان فما لكم علينا الا اليمين واشهاد رب العالمين بانا ما اطلعنا لها عَلَى خبر ولا وقفنا لها عَلَى اثر فلما راي الملك زهير ان القصة مشكله والامور معضلة خاف من وقوع الفتن واثارة الشر والمحن فقال يا بني عمي الصواب ان تاخروا هذا الامر حتى يبان الصدق و يظهر الحق وحينئذٍ نجازي المفتري عَلَى ما يستحق لاني قد عزمت عَلَى ان اتولى على كشف اخبارها وارسل عبيدي الى جهات الارض واقطارها فقال شاس وقد اشتعلت في قلبه نيران الغضب واضطرب جسده من الغيظ والتهب اعلم يا ابتاه ان القوم ما داموا في ارض واحدة ولم تزل الشرور بينهم متزايدة والراي عندي ان يرحل الربيع باهله الى بني فزارة حتى تسكن

انتهى الجزء الحادي عشر من سيرة عنترة بن شداد العبسي ويليه الجزء الثاني عشر

الجزء الثاني عشر

من سيرة

عنترة بن شداد

الفتنة وتخمد هذه الحرارة فاستحسن الملك هذا الراي واستصوبه واعجبه كلامه واستنسبه وامر برحيله من تلك الساعة مع من يلوذ به من الجماعة قال سمعاً وطاعة وانا ارحل بجميع بني زياد واترك الديار لعنترة بن شداد حتى يصحو من سكرة الفراق ويجتمع بابنة عمه ويذوق حلاوة التلاق ويظهر المحب الصادق من العدو المنافق وحينئذٍ يستقر بالخطا والزلل ويندم عَلَى ما فعل ثم اظهر الغيظ والحنق واخذ اخوته وانطاق ولما وصل الى خيامه امر عبيده وخدامه برفع ابياته وسوق انعامه وما امسى المساء الا وقد رحل باهله وعياله وساق نوقه وجماله

قال الراوي هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد فانه رجع الى مضاربه بقلب منكسر ودمعٍ منحدر وهو سكران من غير مدام لا يتكلم بكلام بل واظب المضارب والخيام وامتنع عن الطعام مدة ثلاثة ايام وقد احتارت اولاد الملك زهير في امره ولم يطب لهم الوقت لاشتغال سره وكانوا يوردون عليه من نوادر الحديث ما حلا وراق ويشاغلونه باخبار المتيمين والعشاق وما قاسوا من الوجد وألم الفراق ويقولون له يا ابا الفوارس ما جري عَلَى قلب ابي عبلة وامها مثل ماجرى عَلَى قلبك من الوساوس فقال لهم صدقتم وبالحق نطقتم ولكن ايها السادة الموالي اين قلب العاشق الشجي من الخالي ثم انه بكا وزاد به الامر فلم يجد له ثباتاً ولا صبر فعند ذلك صاح باخيه شيبوب وقد زادت به الكروب وقال اما ترى ما حل بنا من النكبة واريد منك ان تكشف عني هذه الكربة قال الراوي فلما سمع شيبوب مقاله ورأى عظم ما ناله قال ابشر يا ابن الام فسوف اطوف في مشارق الارض ومغاربها واقصد حلل العرب وجوانبها وان شاء الله ما احضر اليك الا بها ثم ودعه وصار يقطع السباسب والاكام وغاص في تلك البراري كانه ذكر النعام واقام عنترة يكابد الوجد والغرام لا يستطعم بطعام ولا يلتذ في منام بل يقضي الليل بالسهر

والنحيب والنهار بالبكاء والتعذيب هذا ما كان من عنترة بن شداد واما ما كان من الربيع
بن زياد فانه لما رحل عن بني عبس وعدنان وسار الى بني فزارة وغطفان فعلم بقدومه
الشيخ بدر بن عمرو فخرج الى ملتقاه مع سائر اولاده واقربائه قال الربيع للشيخ بدر
لقد ضاقت ايها المولى صدورنا وحرنا في امورنا من ذلك العبد عنترة الذي قد تطاول
علينا وتجبر ونحن صابرون على هذه المحن لاجل خاطر الملك زهير خوفاً من وقوع الفتن
وقد راينا ان البعد عنه اصلح والمقام تحت ميامن ظلك اوفق لنا واربح ثم حدثه بفقد
عبلة وما جرى بسببها وكيف انهم قد اتهموه بها فقال الشيخ بدر انزلوا عندنا على الرحب
والسعة والكرامة والدعة لانكم اصحاب هذه الديار وجواركم نعم الجوار واحكموا في المراعي
والمناهل حكم اصحاب الاملاك في البيوت والمنازل ثم قال لولده حذيفة وكان اكبر
اولاده وهو الموصى له بالملك من بعده ياولدي اكرم مشايخ بني عبس وعدنان وانزلهم
في احسن مكان ففعل حذيفة ما امره ابوه وقد قر بهم القرار وطابت لهم الديار قال
وكان في قلب الربيع لهيب النار لاجل ما بلغه عما كان على عبلة من الدر والجوهر واللؤلؤ
النفيس المفتخر فكان يحسب الف حساب واعتراه القلق والاضطراب وانقطع عن الطعام
والشراب لانه قال في نفسه ان شاع خبرها وسار ذلك الاسود في اثرها يفوتني هذا المال
وربما يقتلني ذلك العبد ابن الانذال ولا ابلغ آمال والصواب ان اسير الى بني شيبان
واظهر الى بني فزارة اني قاصد الملك النعمان واقسم بيني و بين مفرج بن هلال ما كان على عبلة
من الاموال ثم اقتلها بعد ذلك واعود وقد امنت عاقبة الامر ونلت غاية المراد والمقصود
واذبت قلب العدو والحسود قال ثم انه اظهر لبدر بن عمرو وسادات فزارة انه قاصد
الملك النعمان كما سبقت الاشارة ثم اخذ عبده سالم وسار يقطع البراري والكثبان حتى
وصل الى ديار بني شيبان ودخل على مفرج بن هلال فاستقبله احسن استقبال واحتفل له
غاية الاحتفال واقام عنده مدة ثلثة ايام في عز واكرام وبعد ذلك قال الربيع ايها الامير
والسيد الخطير اني ما اتيتك الان الا في امر الجارية التي انفذتها اليك مع ابن عمك سنان
قال هي في ابياتنا بين اهلنا ومولداتنا غير انها لا يخفاك قد اشرفت على الهلاك من كثرة
البكاء والنواح في المساء والصباح فقال الربيع واين الاموال التي كانت عليها والجواهر
والتحف النفيسة والذخائر قال مفرج وحق النار ذات الشعاع ما رايت عليها غير
كساء فارسي وقناع فقال الربيع وقد تغير وجهه وانذهل كانك تظن انها من فقراء
نساء الحلل هذه عبلة بنت مالك بن قراد وابن عمها هو عنترة بن شداد الذي تذل لذكر

اسمه الابطال الشدادوقد كان عليها من انواع المعادن ما لا يوجد عند سلطان ولا ضبط
ثمنه قلم ولا ديوان ثم حدثه بحديث عنتر وكيف انه اخذ الاموال من كسرى وقيصر فلما سمع
مفرج بن هلال من الربيع هذا المقال اطرق مفكرًا وبقي متحيرًا وقال ويلك انت صاحبي
وصديقي ورفيقي وبيننا مودة عظيمة فكيف طاب على قلبك ان تلقيني في هذه التهلكة
الجسيمة فاني وحق ما يظهر في النار من الحرارة والاشتعال لو علمت بحقيقة هذه الحال ما
كنت ارسلت لك احدًا من الرجال ولا ادخلتها ابياتي ولو كان في يدها موتي وحياتي
ولكن لما وصل بها ابن عمي من تلك البلاد سألته عنها فقال هذه من بنات عم الربيع بن
زياد وقد زنت مع بعض العبيد ويريد ان يعذبها العذاب الشديد وبعد ذلك يقتلها في
مكان بعيد حتى لا يظهر عارها عليه بين الاماجيد ولا يكون له من اجلها في كل يوم تنكيد
فاحفظها له الى ان ياتي الى هنا ويفعل بها ما يريد فظننت ان حديثه حق وان الكلام الذي
تكلم به صدق فتركها عند النسوان تقاسي الذل والهوان والى الان ما نظرتها ولا وقعت
عيني عليها ولا ابصرتها فخذها بالله عني واكفني شرها وارحني من عاقبة امرها ولا تجلب لي
بسببها الشر والضرر من ناحية ابن عمها عنتر فما انا اقوى من كسرى وقيصر لاني قد سمعت
ببعض فعاله ووصل اليه طرف من اعماله فتبسم الربيع وقال ايها السيد الكريم والبطل
العظيم مثلك من يخاف من عبد زنيم ووغد لئيم وخلفك مثل الملك النعمان ملك ملوك
العربان ولكن احضر ابن عمك سنان واساله عن المال حتى اقول لك كيف يكون الحال
فعند ذلك استدعاه فحضر وسلم وراى الربيع عنده فتبسم نقص عليه مفرج ما ذكره الربيع
من المقال وساله عن تلك الجواهر والاموال فخجل ولم يمكنه الانكار خوفًا من الفضيحة والعار
فقال ذلك كله عندي وقد اخفيته احترازًا عليه حتى ياتي صاحبه واسلمه اليه ثم رجع الى
ابياته واحضر المال فلما راى مفرج تلك الاموال والجواهر التي تحير الخاطر وتذهل الناظر
قال للربيع لقد صدقت وحق النار وما هذا الا مال عظيم المقدار وما يقدر عليه الا الملوك
الكبار ولكن ماذا يكون التدبير في هذا المال الكثير فقال الربيع تاخذ انت نصفه وانا
آخذ النصف الاخر ونقتل الجارية وندفنها في بعض الحفر وقد انتهى الامر وانكتم الخبر
وبلغنا القصد وانقضى الوطر. قال مفرج قد نطقت بالراي السديد واشرت بالفكر الرشيد
قال الراوي ثم ان مفرجًا استدعى بعبد له كان قد رباه وهو صاحب سره ونجواه يقال له
بشارة بن منيع وكان عنده في مكان رفيع لانه كان يعتمد عليه في سائر الامور ويذخره لكل
امر محذور وقال له يا بشارة اريد منك في هذه الليلة متى انسدل الظلام تاخذ الجارية

العبسية وتوسع بها في البراري والاكام وتسقيها كاس الحمام واذا سالك احد عنها بعد هذه الايام فقل انى اهلها واصلحوا امرها واخذوها وساروا بسلام فقال الربيع يا بشارة اياك وان يظهر هذا الخبر لاحد من البشر والا ينقلع منا ومنكم الاثر ولا يبقى لنا ذكر يذكر فضحك وقال يا مولاي انا طلعت على كثير من هذه الامور وقد حنكتني نوائب الايام والدهور ولولا ذلك لما اختارني مولاي على سائر الاهل والخلان وجعلني عوناً له على صروف الزمان فقال مفرج يا ربيع ان هذا الامر لا يظهر ما دامت الشمس والقمر ثم انعكفا بعد ذلك على المدام واخذا في لذيذ الكلام وسماع الانغام فقال الربيع لمفرج وقد داخله الفرح وطاب فؤاده وانشرح اعلم انني لا ارجع الى الاوطان حتى اقصد الملك النعمان واترك زيارته حجة لي عند كل انسان قال مفرج وانا اسير في صحبتك اليه واتركه يوليك من الاحسان ما تشكره عليه ولم يزالا على مثل ذلك الكلام حتى انسدل الظلام واضطجع كل مستيقظ ونام فحينئذٍ دخل اليهما بشارة واستاذن مولاه في تلك العبارة ثم خرج من عندهما بعدما اعطاه الربيع مدية ماضية وهي على قبض الارواح قاضية وقال اذبحها بهذا السكين واحفظها عندك تذكاراً مني على ممر السنين ثم ركب العبد جواده وسار الى مضرب عبلة واردفها وراءه وسار بها وهي لا تدري بما حكمت به مشيئة الله بل كانت تبكي وتسكب العبرات وتطلب من الله الفرج حتى غابت عن الابيات فقالت للعبد الى اين سائر بي في هذا الليل قال الى طارقات المصائب والويل وقد امرني مولاي بقتلك لانه مالك رقبتي والمحكم في اجلي ورزقي ولا يمكنني ان اخالف مقاله ولا ان انكر جميله وافضاله فلما سمعت عبلة هذا الكلام ايقنت بفناء عمرها وحارت في امرها ودقت بيدها على صدرها وقد حاط بها البلاء وهي تلتفت في اقطار الفلاء وتصيح يا لعبس يا لعدنان وتنادي باسم عنتر فارس الفرسان وتطلب الفرج من كل ناحية ومكان وتقول يا ابن العم صبرت عني وتركتني اقاسي الذل والهوان واشوقاه الى الاهل والاوطان واحسرتاه على رؤيتك قبل ان يحين الاوان ثم كشفت البرقع عن وجهها من عظم وجدها وعضت من شدة الاسف على زندها و باحت بما عندها. قال الراوي فعند ذلك عدل بها العبد عن الطريق وقد عاينت الموت على التحقيق ثم نزل وانزلها عن ظهر الجواد والقاها على وجه المهاد وامتثل ما امره به مفرج بن هلال والربيع بن زياد وسل السكين التي اعطاه اياها الربيع وهي امضا من الاجل السريع وقبض بيده على شعرها ووضع السكين على نحرها وعول ان يذبحها ويخفي امرها واذا بصيحة اخذته كانها الرعد في الغمام وشخص قد اقبل عليه كانه ذكر النعام وهو يقول خل باولاك عن سيدة العرب الكريمة

الاصل والنسب ثم ادركه اسرع من البرق ادالمع وضربه بهدية على كتفه فوقع وعدل الى عبلة فرآها قد غابت عن الدنيا من شدة الفزع فقال للعبد لا بارك الله فيك ولا احسنت مساعيك والله لو لم الحقك لكنت الحقتنا بالدرة اليتيمه التي لا قدر لها ولا قيمت والتفت بعد ذلك الى عبلة وهنأها بالسلامة من البلاء والخطوب وقال لها لا تنزعي فقد زالت عنك الكروب فانا عبدك ومحباك انا اخو عنترة انا شيبوب ثم انه صبر عليها حتى هدأ قلبها من الخفقان وتبدل خوفها بامان فقالت له ويلك يا شيبوب اين اخوك عنتر وكانه ما اتي معك ولا حضر قال لا يا مولاتي الى الان لم يسمع لك خبر بل يمسي ويصبح وهو كثير الهموم والفكر فتركته على تلك الحال واقتفيت منك الاثر وقد طفت المياه والمناهل وسالت عنك كل مقيم وراحل حتى وقعت بك في هذا المكان بالاتفاق وساقني اليك سائق الاجال والارزاق وكنت آيست منك وعولت على الرجوع فسمعت ان الربيع بن زياد في الاطلال والربوع وانه نزل على بني شيبان وانا اعرف ان مفرج بن هلال صديق له من قديم الزمان فقلت بنفسي دعني اسير الى هنالك واقتفي اثره واعلم سبب مجيه الى هذه الارض واكشف حقيقة خبره فاختفيت وسرت تحت جنح الظلام حتى لا يعترضني احد من الانام فساقتني التقادير الى هذا المقام حتى خلصتك من شرب كاس الحمام فقالت وكيف يكون التدبير في الخلاص من هذه الديار قال اتمم قتل هذا العبد الغدار واسير بك تحت ستور الاعتكار واذا اصبح الصباح اكنا في الاودية والقفار ولا نزال على مثل ذلك حتى نصل الى الديار آمنين من غوائل الاخطار وان رايت منك التعب سلبت لك ناقة من بعض حلل العرب واتسبب بوصولك لابن عمك بكل سبب لانى اترك الطريق واتبطن القفار واسلك بك في مواضع لا تهتدي اليها الجن ولا توقد بها نار فقالت حقاً يا شيبوب ان هذا امل بعيد والبر بين ايدينا واسع مديد واخاف ان يلتقينا من طاعة العرب كل شيطان مريد وما اظن اني بعد هذه المرة ارى الديار الا ان يكون معي ذلك الاسد الكرار ابن عمي عنتر الفارس المغوار فوا اسفي عليه وعلى امي رابعة وقلة ناصري على هذه المصائب المتتابعة قال شيبوب اما رابعة فقد صارت في حالة الشقاء والويل وهي تبكي وتهتف بذكرك في النهار والليل واما اخي عنتر فانت بحاله اخبر فقالت قاتل الله الربيع بن زياد ولا هناه بلذيذ الرقاد . قال شيبوب اما الربيع فانه يلقى بغيه السريع فابشري بقرب الاجتماع والوصول الى الطلل ولا تنقطعي من السلامة الامل ثم تركها وقصد العبد فوجده يد فاق وهو يسمع حديثها وماجرى لها من عجائب الاتفاق ولكن شدة الجراح وكثرة

الالام منعته عن الحديث والكلام فلما راى شيبوب قد رجع اليه علم انه يريد ان يقضي عليه فقال له يا فتى بحق البيت الحرام وما عليه من الالهة والاصنام امهل عليّ حتى اسالك عن شيء بدا لي في هذا المقام واشير عليك في شيء يكون لك فيه الحظ الاوفر ولا تركب بهذه الجارية طريق الخطر لانك اذا سرت بها في هذا الطريق من غير محام ولا رفيق ولا تأمن ممن يلقاك وتحمل نفسك ما لا تطيق لان امامك برية واسعة المسالك كثيرة الافات والمهالك قال شيبوب قل ما تريد وتختار حتى اسمع وادبر امري قبل ان يطلع النهار فقال اعلم يا ابن الخالة اني كنت احب جارية اسمها رابعة وكانت في عيني احسن من الشمس الطالعة وقد ربيت معها في هذه الاطلال في نعمة مولاي مفرج بن هلال الى ان بلغنا من الاعمار الى هذا المقدار فلما تمكن مني حبها وهواها وائتلفت انا واياها اختلست مني الزمان في هذا العام ورمى الفراق شملنا بصائبات السهام وتركني بعدها اقاسي الوجد والهيام ولا اذوق طعام ولا التذ بمدام وما زلت انتسم اخبارها من سائر الاقطار فلم اقف على خبر ولا اثار ولا سمعت بذكرها في هذا المقام وانا في هذه الجراح والالام عادت اليّ روحي من اجلها وقلت لعل تجمع الايام شملي بشملها واريد ان تخبرني عن حقيقة الحال وتصدقني في المقال هل هذه الجارية انتشأت عندكم في الاوطان او ساقتها اليكم ايدي الزمان حتى لا اموت وفي قلبي منها حسرة ومرادي ان انظرها قبل الموت ولو نظرة قال شيبوب فوحق الذي قدر ارزاقنا واجالنا ان هذه الجارية ما انتشت عندنا ولا في اطلالنا وانما اخي عنتر اخذها من سبي انس بن مدركة لما جار به وانتصر عليه في حرب المعركة ثم حدثه بالقصة التي جرت من اولها الى اخرها واطلعه على باطنها وظاهرها وان عبلة الفت تلك الجارية لما فيها من الذكاء والادب وعذوبة الكلام التي لا توجد عند غيرها من نساء العرب وانها كحلاء العين واضحة الجبين بخال اسود على خدها اليمين . فقال بشارة هذا احقاً صفة محبوبتي التي اضعفت جسدي واسهرت مقلتي وانا قد سمعت بعض الخبر الذي ذكرت فعجزت عن طلبها وقصرت لان الذي هرب بها في هذا البر الطويل العريض يقال له غطرفة بن بغيض وكان يعاندني فيها لانه كان يحبها و يشتهيها فاضمرت له الشر والنكال لاجل قربي من مولاي مفرج بن هلال فلما اعياه الامر خطفها في الليل وسار وهرب بها يطلب بلاد اليمن وتلك الديار وقد ظن انه نجا من الضد والهلكة فوقع به انس بن مدركة فقتله في الطريق واخذها منه واعدمه السعادة والتوفيق وما سمعت بخبرها الى

الان الا منك يا سيد العربان وقد طاب قلبي بذكرها فان جمعتنا الايام بيعضنا فلله درها وانا اشتهي ان اراها ومرادي اسير معك واحظى بلقاها فاخبرني كيف تريدان تفعل وعلى ماذا عوات من العمل فان اخذتها وسرت انا واياك لا نأمن من الهلاك وربما ادركتنا الخيل فيحل بنا البلاء والويل ويرجعون بنا الى عند مفرج والربيع فنهلك ويذهب تعبنا ويضيع ومن الراي ان تعود الى اخيك عنترة وتعلمه بهذا الخبر ودعه يدبر بمعرفته ما يراه ثم ترجع انت واياه وقد بلغنا المقصود ويكون معكم فرسان وجنود تحمينا الى ان نعود وانا ارجع من وقتي وساعتي واخفي عبلة عند والدتي واوصيها بحفظها وكتمان امرها وان لا تظهر احداً على سرها وبعد ذلك ادخل على مولاي مفرج والربيع بن زياد واقول لهما قد بلغتكما المراد وفعلت ما امرتنا به من تلك القضية وقتلت الجارية العبسية وهذه دمها على اثوابي طرية واريهما الدم الذي جرى من جراحي ويكون ذلك موافقاً لصدقي وصلاحي واكون لك في الانتظار الى ان تأتي باخيك عنترة الى هذه الديار وها انا قد عرضت هذا القول عليك وفوضت امري اليك فافعل ما تحسن لديك قال شيبوب وكيف اصدقك في هذا المقال بعد ما فعلت فيك هذه الفعال قال بشارة يا وجه العرب الاخيار لا تنكر عليّ هذا الانكار فوحق من اوسع البطاح وخلق الارواح ورزق الاشباح وخالف بين الليل والصباح ما حدثتك بلساني الا بما انا معول عليه بجناني لان رهني عندكم قوي وفراقي من اجل رابعة منكوي وانت فيما فعلته معي معذور لانك ما عرفت بواطن الامور فلما سمع شيبوب هذا المقال بان له وجه الصدق من المحال وعلم انه لايقدر ان ينجو بعبلة من تلك الاطلال ان لم يكن معي اخي عنترة في جماعة من الابطال وكانت عبلة لما سمعت تلك العبارة قالت لشيبوب ان الصواب ما قاله بشارة فارجع ودع اخاك يأتي في ابطال بني عبس وقد زال التعس والنكس فعند ذلك نهض شيبوب واخذ عليه العهد والميثاق وحلفه بالملك الخلاق انه لا يميل الى الغدر والنفاق فقال له بشارة بالله يا شيبوب لا تبطؤ عليّ لان قلبي قد انكوى بلهيب الجمر واخاف ان يحدث من بعض الامور امر قال شيبوب والله يا بشارة لو قدرت لكنت اطير مع الطيارة لاني اعلم ان اخي لي في الانتظار وهو يتقلى على لهيب النار ولكني اعود اليك عن قريب واجمع بينك وبين الحبيب ثم رجع من حيث اتى واطلق قدميه وسعى وقد ابتلعته لموات الفلا وسترته اذيال الدجى واما بشارة فانه سار بعبلة الى حلة بني شيبان وقد صارت عنده في اعز

مكان واحلى من ورود الماء على كبد العطشان وقد احبها من اجل رابعة محبوبته
وبغض المقام عند اهله وعشيرته ومن الطاف الباري جلت قدرته وعظمت صنعته
الجارية في خلقته ان هذا العبد خرج بعبلة ليقتلهافرجع بهاوهو يود لو جعلها في داخل
مهجته ولما وصل الى الابيات راى اهل الحي قدرقدت وانطفت نيرانهم وخمدت فدخل
بها على امه واعلمها بامرها واوصاها بخدمتها وكتمان سرها وحدثها بجميع ما جرى له مع
شيبوب وخرج كانه الهايم المسلوب لان افراحه كانت متتابعة بانكشاف خبر محبوبته
رابعة ودخل على مفرج مولاه واخبره بقتل عبلة وهناه فوجده مع الربيع له في الانتصار
وهما سكارى من شرب العقار فلما رآه الربيع ونظر الى الدم على ثيابه تبسم وقال هل
فعلت يا بشارة ما امرناك به فقال يا مولاي قد بلغتك مناك وكنت اشتهي ان
الذي جرى على الجارية يجرى على اعداك لاني ما رجعت الا وقد تركتها تحت
احاقيف الرمال وهذه دمها تشهد لي بصحة الحال فلما سمع الربيع منه ذلك المقال هز
اعطافه من الفرح والقى من يده القدح ونهض على قدميه وصار يصفق بكفيه وخلع
على العبد جميع ما كان عليه واكرمه الاكرام الزائد واعطاه سيفه الذي كان يذخره
ليوم الشدايد وقال والله انك تستاهل الارواح ان تكون فداك فلله درك ودر سيدي
رباك فقال مفرج ولاجل ذلك قد اطلعته على سائر احوالي وسلمته خزائن اموالي
واخترته على جميع بني عمي ورجالي وامنته على اولادي وعيالي وبعد ان تم هذا المرام
ليس لنا هاهنامقام وعند الصباح نترك الاوطان ونرحل الى الملك النعمان حتى اذا احدث امراو
كلام لا يقع علينا عتب ولا ملام ثم انهما باتا تلك الليلة بانعم بال واحسن حال لما حصل
لهما من التحف النفيسة والاموال . قال الراوي هذا ما جرى لهولاء من الخبر واما ما
كان لشيبوب اخي عنتر فانه جد في مسيره بالليل والنهار وهو يقطع البراري والقفار وقد
منع اجفانه لذيذ الرقاد وقنع بالقليل من الزاد ولم يزل سائرًا كانه الطير الطائر حتى اشرف
على الديار وفى قلبه لاجل اخيه عنترة لهيب النار قال وكان عنتر قد آيس من
عبلة غاية الاياس ولم يكن يسمع قول احد من الناس لان العبيد الذي كان انفذهم
الملك زهير الى جميع القبائل وامرهم بالتفتيش على عبلة في الحلل والمناهل رجعوا بالخيبة
بعد طول الغيبة فزادت بعنترة الفكر وواظب على البكاء والسهر حتى اعتراه السقم
والهزال ورثت له النساء والرجال غير ان آماله لم تزل متعلقة باخيه شيبوب الى ان كاد
فرط الهوى جسمه يذوب وقد عجزت الناس من عذله والترداد عليه في الشروق

والغروب وامتنعت اولاد الملاك زهير من اجلة عن الركوب وكان قد قضى تلك الليلة بالبكا والنحيب يراعي النجوم شوقاً الى لقاء الحبيب واذا بشيبوب قد دخل عليه وهو في حالة الذل والو بل من كثرة التعب وسهر الليل فلما راه عنتر ضمه الى صدره وقبله في عارضه وقال له يا اخي انني لم ازل بانتظارك في الليل والنهار حتى اقف على حقيقة الاخبار فان كان عندك خبر من نحو عبلة ابده ولا تكتمه عني ولا تخفه ثم تنفس الحسرات واشار الى اخيه بهذه الابيات

ويكَ يا شيبوبُ اخبرني عجلْ فلعلَّ الهم عني يرتحلْ
ويكَ اخبرني سريعاً عاجلاً ففوادي فيه نارٌ تشتعلْ
قد هجرت الكاسَ والطاسَ معاً ولذيذ العيشِ عني قدْ رحلْ
يا ابنَ امي كم قلبيَ كم غربةٍ وبعادٍ وصدودٍ ومللْ
عبلَ لو عاينتِ ما قد حلَّ بي من همومٍ وغمومٍ ووجلْ
انكرت عيناي بعدكِ الكرى وعصيت اللومُ فيكِ والعذل
فيكِ قدْ اصبحت مضنى ناحلاً فيكِ قد صرتُ حديثاً ومثلْ
لا علوت الخيلَ من بعدٍ ولا حملت كفي كعوباً معتدلْ
لا ولا جردتُ سيفاً قاطعاً لا ولا احملُ اطراف الاسلْ
ويكِ يا عبلَ نرى تجمعنا بعد هذا البعدِ دارٌ او طللْ
عبلَ صبري من هموم اردفت بفراقٍ وغرامٍ وحيلْ
ان يكن يا عبلَ لوني اسوداً فمقامي قد علا فوق زحلْ
ويكَ يا شيبوب صبري قد فني ورقادي قد مضى كيف العملْ
فاشرح الحال الذي لاقيته وابدهِ لا تخفهِ يا ذا الحيلْ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من شعره قال له شيبوب ابشر يا ابن الام بالخير وزوال الهم والضير ثم اخبره بما جرى بينه وبين بشارة بن منيع وخبر رابعة وما كان من حديث مفرج والربيع فطاب قلب عنتر بهذا الكلام وامر باحضار رابعة اليه تحت جنح الظلام فلما دخلت سالها عن بشارة وما سمعه من اخيه شيبوب فطار فوادها فرحاً بذكر المحبوب وقالت والله يا مولاي ماجرى اعجب من هذه القصة لا في العرب ولا في العجم وكيف شاع هذا الحديث بعد ما انكتم وما دام ان مولاتي عبلة عند بشارة بن منيع وقد سمع بخبري واني في هذا المكان الرفيع فقد آمنت عليها من دواهي مفرج والربيع وسوف تسمع ما يصنع في حقهما من

حسن الصنيع لاني اعلم ان في قلبه من فراقي دبلة اعظم مما في قلبك من فراق عبلة فقاتل الله الربيع بن زياد ما اخبثه بين العباد . قال الراوي وما زال عنترة يتسلى بالحديث مع اخيه شيبوب ورابعة حتى انشقت اذيال الدجى وبدت غرة الشمس الطالعة فعند ذلك انفذ خاف عروة بن الورد فحضر وعاد عليه ما سمعه من اخيه شيبوب من الخبر فاندهل وتحير وقال ماذا عولت ان تعمل بعد ظهور هذا الامر المنكر قال اريد ان اجعل في بني زياد ايشم اثر ما دامت الشمس والقمر ولا ادع لهم ذكر يذكر . قال فلما سمع عروة كلامه وعلم قصده ومراده قال ان هذا الذي تريد ما تفعله ما هو صواب ولا يشير به عليك احد من الاصحاب ولكن قبل ان تبدي بهذه العملة اكتم في هذه الساعة خبر عبلة حتى لا يظهر بين الناس ويشيع والا فيعلم بذلك مفرج والربيع فيقتلان عبلة وبشارة بن منيع ويذهب تعبك ويضيع فقال عنتر صدقت وبالحق نطقت والصواب ان نقصد الملك زهير وتحدث معه ومع اولاده ونحفظ عهده بمصافاة وداده وان سالوني عن حالي اخفي ما قد جرى لي واقول انني قد ايست من عبلة وقطعت منها امالي لاني اعلم بان الذي اخذها قتلها لاجل ما عليها من الجواهر واللآلي وان اخي شيبوب قد طال في غيبته وابطأ في سفرته واريد الان اشاغل نفسي بالصيد والقنص وازيل عن قلبي الهموم والغصص حتى يعود الي سروري ونشاطي وحبوري ثم اكبس القبائل والحلل لاجل اخي شيبوب ولا ارجع حتى اكشف خبره وانال المطلوب ولربما اكسب شيئاً من المال يكون عوناً لي على ممر الايام والليال ثم اغافلهم بعد ذلك وسري مكتوم واسير في طلب عبلة وحالي غير معلوم فقال عروة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب افعل ما بدالك وفق الله اعمالك ثم انفذ عروة في طلب جماعة من خواص فرسانه وقروم ابطاله وشجعانه فركبوا واتوا اليه وداروا من حواليه وقصدوا الملك زهير وسلموا عليه فترحب بهم واكرمهم غاية الاكرام واجلسهم الى جانبه في صدر المقام وبعدان دار بينهم الكلام حدثه عنتر بما عول عليه من المرام فقال الملك زهير هذا هو الراي السديد والفكر الرشيد لان الذي مضى لا يرجع والقضا لا يرد ولا يدفع لانك صرفت زمانك بالشقاء والتعب وما بلغت غاية الارب وبنيت لك من المجد بيتاً رفيعاً ما ناله احد من ملوك العرب فلا تهدمه لاجل شهوة من شهوات الدنيا فيزول ذكرك باقل الاشياء قال عنترة قد مضى ما مضى ورضيت باحكام القدر والقضا ولا افعل بعد الان الا ما يلوح في خاطري وسري ويقتضيه رايي وفكري ثم عوّل على ما خال في نفسه واخفى امره على ساير ابناء جنسه ففرح الملك زهير بذلك المقال وانطلى

عليه المحال وقال لاولاده اركبوا في هذا اليوم مع ابن عمكم عنترة الى الصيد والقنص واقصدا الانشراح بانتهاز اللهو والفرص لعل يبرد ما بقلبه من تجرعات الغصص فركبوا من وقتهم وتبطنوا السهول وتجاروا على سوابق الخيول ولما كان اخر النهار رجعوا ومعهم من الصيد شيء كثير المقدار فشووا واكلوا ودارت عليهم كاسات الراح واقاموا تلك الليلة على مهد السرور والافراح حتى اصبح الصباح وواظب عنترة على مثل ذلك مدة من الايام وهو يصرف النهار بالصيد والليل بشرب المدام حتى تحدثت الناس في امره وتعجبت من انشراح صدره ثم ودع الملك زهير واظهر له انه يريد الغزو الى بلاد اليمن وتلك المعاهد والدمن فركب مع عروة ورجاله وفرسانه وابطاله ولما صاروا خارج الابيات خرجت الناس لوداعهم حتى النساء والبنات ومن جملتهم اعمام عنترة مالك وزخمة الجواد وساير نساء آل قراد فبكوا واكثروا من الانتحاب وماهان رحيله على احد من الاصحاب وقالت له سمية امراة ابيه على سبيل العتاب ويك يا عنتر سلوت عبلة ونسيتها بعد تلك المحبة ولكن الرجال ليس لهم مودة ولا يحفظون حرمة ولا صحبة واذا غاب عنهم حبيب ابدلوه بغريب وانزلوا البعيد مكان القريب فقال عنترة ياسيدتاه وحق من خلق الاشياء وسواها ورفع السماء وبناها وبسط الارض ودحاها اني ما سلوتها ولا انساها ولا التفت قط الى امراة سواها ولكن لا بد من الغزو الى حلل العربان كما جرت به عادة الفرسان لاجل ما علينا من الطارق وكثرة الضيفان فقالت صدقت اذهب في الحفظ والسعة والكرامة والدعة وانا اطلب من الله ان يرزقك مال كل ظالم ويردك الينا قريباً بالاموال والغنائم فشكرها عنترة على ذلك ثم ودع اباه شدادا وعمه مالك وقصد ناحية بلاد اليمن كما وقع عليه الاتفاق فلما اتسع عليه البر عرج يطلب بلاد العراق وقد قاده هوى عبلة بزمام الاشواق . قال الراوي هذا كله وشيبوب في بيت امه زبيبة حتى لا يحصل لاهل الحي مما فعلوه شك ولا ريبة وكان عنترة قد اوصاه ان يلحقهم متى جن الليل فساروا السير الرفيق ولم يكدوا الخيل ولما اقبل الظلام وخفيت مواقع الاقدام وصل اليهم شيبوب وهو مثل الريح الهبوب فعند ذلك جدوا في قطع البطاح الى ان اصبح الصباح فتبطنوا القفار وقطعوا السهول والاوعار قال الراوي هذا ما كان من ابي الفوارس عنتر واما ما كان من الربيع بن زياد وما دبر فانه لما اقتسم هو ومفرج بن هلال ما كان على عبلة من الجواهر واللآلي رحلا طالبين الملك النعمان واما مفرج فقد سار في جمع غفير من بني شيبان وما ترك في الحلة غير مائة من الفرسان مع ابن عمه مالك بن حسان لحفظ الاموال والنسوان واقام عبده بشارة امينا

على ماله وسلم اليه مفاتيح خزائنه واوصاه بحريمه وعياله وسار مع من معه من فرسان العشيرة حتى اشرف على الحيرة فوجد الملك النعمان خارج المدينة في موكب عظيم من الخدم والغلمان وكان ذلك اليوم بالاتفاق يوم النعيم والمهرجان . قال الاصمعي وكان الملك النعمان قد سنّ في مملكته سنة ماسنها احد غيره من ملوك العربان لانه كان له في كل سنة يومان يوم يسميه يوم البوءس والعقيم و يوم يسميه يوم الحظ والنعيم وكان في يوم البوءس يلبس ثوباً اسود ويركب جواداً اجرد و ياخذ في يده سيفاً مهندو تركب بين يديه جبابرة العبيد وهم لابسون الزرد النضيد فيخرج بهم الى الطريق وفي ايديهم الحراب والمزاريق فمن صادفوه قتلوه ان كان عدوّاً او صديق وكان يخرج من الصباح و يقيم الى وقت المساء ولا يرجع حتى تخضب ثيابه بالدماء فتغلق في ذلك اليوم الاسواق وتنقطع الطرقات من تلك الافاق وتترك الناس البيع والشراء والاخذ والعطاء ولا يخرج احد من منزله الا وهو لابس السواد وثياب الحداد حتى اذا وقع النعمان بولده وهو على غير ذلك قتله وانزل به المهالك . قال واذا كان يوم النعيم فانه يلبس ثوباً اخضر و يضع على راسه تاجاً من الذهب الاحمر مرصعاً بالدر والجوهر مرقوماً في اعلاه صورة الشمس والقمر و يركب بين يديه مائة غلام كانهم مصابيح الظلام وعليهم الثياب المختلفة الالوان وعلى رؤوسهم شباك من اللوءلوء والمرجان وفي ايديهم اطباق من الفضة النقية ملانة من الدنانير الكسروية ومعهم الخلع الفاخرة من الحرائر الرومية فكل من وقعوا به تسابقوا اليه والقوا من تلك الخلع عليه ونثروا ذلك الذهب بين يديه ثم ياتون به الى النعمان فيغمره بالاحسان و يباسطه بالكلام و يزيد له في الاكرام و ياكل معه الطعام و يشرب المدام و يجلس معه الى اخر النهار و بعد ذلك يعيده الى دياره في رتبة الملوك الكبار . قال الراوي ومن العجب مـا تسطر من الاحاديث التى تروى و تذكر بان قدوم مفرج والربيع على النعمان كان في يوم النعيم والمهرجان فتجارت نحوهما الغلمان وخلعت عليهما من تلك الخلع الحسان ونثرت على روءوسهما الدنانير فكاد عقلهما من شدة الفرح يطير ثم دقت الطبول وزعقت البوقات وارتجت الافاق من سائر الجهات واحضروهما امام النعمان فسلما عليه وقبلا الارض بين يديه ودعوا له وللدولة الكسروية بالدوام ولاعاديه بالذل والانتقام فرحب بهما وحياهما واحسن ملتقاهما وكان الربيع زكي الجنان فصيح اللسان لطيف المحاضرة كثير الادب فنطق لسانه بالشعر كما جرت عادت العرب فانشد وقال

ادام الله ايـام التهانى وعشت من الحوادث في امان

فلا برحت شموسك مشرقات ... مدى الايام يا ملك الزمان

ولا زالت سيوفك قاطعات ... عَلى اعداك في الحرب العوان

فقطرُ نداك يحيي كلَّ ارض ... و يروي الخلق من قاص ودان

ولولا نور وجهك ما اهتدينا ... الى اثار هاتيك المعاني

فدم بالمجد ما دامت نجومٌ ... وعش حتى يؤوب القارظان

قال فطرب النعمان وتبسم وقال لمفرج من يكون هذا الامير المكرم قال يا مولاي هذا الربيع بن زياد شيخ بني عبس الاجواد فقال انني لاعجب كيف زارني في هذا الزمان سيد من بني عبس وعدنان لان ابي المنذر كان قد تعصب لعبدهم عنتر ورفع عنهم الخراج وما قصر ودخل به عَلى كسرى الملك الاكبر واقام عنده مدة من الايام في عز واكرام حتى صار له عند الملك اكبر قيمة وما رجع الى اهله الا باموال وافرة جسيمة ومع ذلك لم يعرفوا لنا مقاماً ولا رعوا لنا عهداً ولا ذماماً . قال الراوي وكان السبب في ذلك ان جميع قبائل العربان كانت تحمل الغفارة الى الملك المنذر ابي النعمان حتى آل عبس وعدنان فيرسلها الى كسرى انو شروان الى ان انتشأ الامير عنتر وجرى له مع كسرى ما تقدم ذكره وتسطر وقتل البطريق الذي جاء بالمال من عند الملك قيصر ومن ذلك الوقت رفع المنذر عن بني عبس المال والعداد اكراماً لعنترة بن شداد ولما توفى المنذر وتولى مكانه ابنه النعمان تبع سنة ابيه وعاملهم بالرفق والاحسان املا ان يحظى من ملكهم زهير بكتاب فلم يرد له خطاب ولا جواب فاكتوى قلبه بلهيب الجمر لانه قد سمع بابنته المتجردة وما فيها من الجمال ومكارم الخلق وحسن الخصال فاشتغل خاطره بها وهويها ولكن عزة نفسه منعته ان يخطبها من ابيها ولم يزل على مثل ذلك الحال حتى قدم عليه الربيع ومفرج بن هلال فقال في سره هذا يكون سبباً لزوال ما بقلبي من الغم والضير وانال ما كنت ارتجيه من المتجردة ابنة الملك زهير فاكرمهما غاية الاكرام وتحدث مع الربيع وباسطه بالكلام وبعد ذلك رجع بهما الى داره وكانت عظيمة البنيان مشيدة الاركان مستبشرة بضيوفها واربابها قد فتحت كواكب السعادة ابوابها وامطرت عليها من سماء الاقبال سحابها فتعجب الربيع من ذلك الملك والنعيم والخير العظيم ونظر الى ترصيع وتخريم وتصوير وتجسيم وابصر الى اسود من بعضها مقتربة وهي من الفضة والذهب منتصبة ومن حوالي تلك الدار بستان فيه من كل فاكهة زوجان كانه مفروش ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان مرصع بالعقيق والعقيان تجري فيه انهار كبطون الحيات في صفاء ماء الحيوة فجلس النعمان

واجلس الربيع ومفرج الى جانبه بين اهله واقاربه واذا باسمطة قدوضعت وعليها اواني الذهب بانواع المعادن قد رصعت ثم امر النعمان باحضار الخمر الصافي العتيق فجاءت به الخدام في كاسات الذهب والاباريق فشرعوا في اكل الطعام وشرب المدام وسماع الانغام فعند ذلك باح النعمان وهو في حال سكره الى الربيع بما في سره وقد خطرت المتجردة في فكره ثم قال وهل المتجردة في الحسن والجمال كما وصفها لى بعض الرجال فقال الربيع وقد انفتح له فى هلاك عنتر باب ما كان له في حساب حقًا يا ملك الزمان ماهي الامن حور الجنان والذي ذكرها لك ووصفها ما اظن انه يعرفها لانها بغية لمن طلبها وسعادة لمن خطبها قد باهت الشمس جمالاً والبدر كمالاً وفاقت على سائر بنات العرب شمائلاً وخصالاً . غير ان اباها رجلاً جباراً لا يلين له جانب ولا يخشى من وقوع المعاطب لانه من مدة سنين واعوام اراد ان يبني له في ارضنا بيتاً مثل البيت الحرام يامر العرب ان تزوره في كل عام وهو اليوم ايها السيد الاكبر قد زاد في تجبره واستكبر لانه الحق ذلك العبد في النسب واذل به سادات العرب وترك في قلوب الرجال بهذه الفعال نيران زايدة الاشتعال واول الناس هو انا لاني رايت الذل بعد العز والفقر بعد الغنى فرحلت من جوار بني عبس ونزلت على بني غطفان حتى لا اكون تحت لواء الذل والهوان لانه قد مضى عليّ مدة وانا اكابد بينهم ضرًا وشدة ولو كنت ايها الملك ترسل الان الى ملكهم رسول وتخطب منه ابنته المتجردة فيرده بالخيبة وعدم القبول فاستشاط النعمان غضباً وتكدر وتاثر الكلام الربيع وتغير وقال وحق بيت النار الاكبر وما وقد فيه من الجمر الاحمر اذا ارسلت اليهم احداً بصفة خاطب وعاد اليّ خائب ما تركت من بني عبس ماشياً ولا راكب فاقم عندنا برهة من الايام حتى نقف على حقيقة هذا الكلام لاني قد عزمت على ان ارسل كل من في بلاد العراق ياتون اليّ ببني عبس في حبال الذل والاخراق واطالبهم بما عليهم من الاموال القديمة ثم ضرب رقبة ملكهم زهير بن جذيمة ومثل ذلك افعل بعبدهم عنتر الذي قد طغى وتجبر . وانتقم منهم غاية الانتقام واجعل جثث ساداتهم ماكلاً للطيور والهوام لانهم نقضوا العهود وخلعوا طاعة الاحكام وجحدوا الجميل والانعام واظهروا نفوراً بعد الرفق والاكرام لانك ذكرتني بشيء قد كنت التهيت عنه ومن حيث ذكرته الان فلا بد لي منه فقال الربيع وقد امتلا قلبه من السرور والفرح واتسع صدره وانشرح اعلم ايها الملك الكبير صاحب التاج والسرير ان قلبي قد انطوى لك على الصدق وحفظ الوداد والان قد بلغت غاية القصد والمراد لاني قد وجدت فيك مع الحلم والفهم الهيبة بالاسم والجسم وزد على ذلك

المعروف والايناس واللطف الذي لا يوجد في احد من الناس والصواب ان تصبر على هذا الامر حتى اعود الى الاوطان واخاطب الملك زهير في هذا الشان واذكر ما انت فيه من علو الجاه ورفعة المكان واصف كثرة جنودك وفرسانك وفيض كرمك واحسانك وفضلك وامتنانك واشير عليه بالزواج وعدم الاحتجاج فان اجاب بالسمع والطاعة قولاً وفعلاً كان ذلك احسن واحلى وان ابى وقال لا كان الهوان الذي ذكرته به اولى ثم حدثه بقصته مع مفرج بن هلال وكيف انهما قتلا عبلة وتقاسما ما كان عليها من الاموال وبعد ان اعلمه بجلية الحال صاح على عبده سالم وامره باحضار تلك الغنائم فخرج الغلام وما غاب الا القليل حتى اتى بقلائد الجوهر والاكليل فقدمها الربيع الى النعمان ما باقى التحف الحسان وقال له ان احسانك قد سبق وهذه الذخائر لك الي فاندهش من ذلك وشكر الربيع واحضر مفرج ايضاً ما كان فداخذه فصار بين يديه الجميع ثم قال للربيع لقد احسنت واجملت وهذ الهدية عندمثلي لا تضيع . قال الراوي وبعد ذلك اعكفوا على شرب المدام وسماع الانغام وصرفوا تلك الليلة باوفر السرور واطيب الحبور ولما كان الصباح خلع النعمان على مفرج بن هلال الغوال وارسله الى كسرى في قضاء بعض الاشغال واقام الربيع بعد ذلك ثلاثة ايام في ترحيب واكرام واحتفال واحترام وفي اليوم الرابع طلب الاذن بالمسير فاجابه النعمان وامر له بخمسمائة ناقة من النوق العصافير وعشرين من الجمال محملة من نفائس التحف والاموال واهداه خمسين فرساً من الخيول المطهمة الحسان واكثر له من الانعام والاحسان وامره بسرعة المسير الى الديار وان لا يقطع عنه الاخبار بعد ما طلب منه المساعدة ثم ودعه بعد ذلك وسار الربيع يقطع البراري والدكادك حتى وصل الى مكان يقال له ركايا مالك فنزل بمن معه للراحة هنالك وارسل عبده سالم يبشر اخوته بقدومه وبلوغ مناه حتى يخرجوا الى ملتقاه . قال الاصمعي هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد ومن معه من الرجال الامجاد فانهم كانوا قد جدوا في قطع البراري والآكام كما تقدم الكلام الى ان ولى النهار واقبل الظلام فاشرفوا على ذلك المكان في نصف الليل فسمعوا صهيل الخيل فقال عنترة لاخيه شيبوب ويلك يا ابا رياح اكشف لنا خبر هولاء النازلين في هذه البطاح فاجابه بالسمع والطاعة وسار من تلك الساعة وما غاب الا اليسير حتى رجع الى اخيه كانه الطير الذي يطير وقال له ابشر يا اخي ببلوغ المراد ومسرة الفواد فان الذي نازل في هذه الارض والمهاد هو صديقك الربيع بن زياد ومعه صناديق واموال وخيول وجمال فقال عنترة وقد عجب

من ذلك الاتفاق الذي لم يذكر مثله في بطون الدفاتر والاوراق قد واتاني حظي وسعدي لانتقم من هذا القرنان واشفي بعض ما عندي فقال له عروة ما الذي تريد ان تفعل وما صممت من العمل اتقتل الربيع بن زياد وتلقي بيننا و بين قومه الفتن والفساد قال عنتر الى حيث القت رحلها ام قشعم والله ان هذا غاية مرادي ومسرة فوادي وان كنت لا اريد ان اقتله فقد خطر في بالي شيء لا بد لي ان افعله فقال عروة افعل ما بدالك فما فينا من يخالف مقالك قال الراي عندي ان نكبسنهم في ظلام الليل وذلك قبل طلوع الثريا وسهيل ونذيقهم مرارة الذل والويل ثم تاهب الامير عنتر بمن معه من العساكر وكان قد صاح في عشرة من الفرسان وقال لهم اقصدوا الربيع القرنان ومتى وقعتم به اجرحوه في ثلاثة مواضع ولا تدعوه يدافع ويمانع ثم شدوا يديه ورجليه واعصبوا بالعمامة مقل عينيه واذا التقيتم بعبده قطعوه اربا واطرحوه على وجه الربى ويكون نداكم يا لقحطان واياكم ان تنتسبوا الى عبس وعدنان حتى لا يعرف منكم انسان . قال الراوي ثم انهم هجموا بعد ذلك على العبيد وهم نيام ووضعوا فيهم الحسام وهم ينادون يا لقحطان الكرام فانتبه الربيع وقام وعول ان يسل سيفه ويطلب القتال واذا قد دارت اولئك الرجال من اليمين والشمال وصاحوا فيه صيحات عالية وضربوه بالسيوف ضربات خفيفة غير قاتلة فانصرع ووقع واعتراه الخوف والفزع فاوثقوه بالحبال وتركوه ملقى على الرمال ثم حاطوا بعبيده واوردوهم موارد الحتوف ورموهم على الارض بشفار السيوف واعادوا الاحمال الى ظهور الجمال وساقوها الى امام عنتر ففرح واستبشر و برد غليل فواده من حلاوة الظفر وبعد ذلك تبطنوا البر الاقفر حتى صار وقت السحر فنزلوا على ماء يقال لها الجوائح وهو بين فزارة وعبس واقاموا هناك حتى بدت غرة الشمس فاناخوا الجمال وفتحوا تلك الرحال فوجدوا فيها من التحف الحسان والاقمشة المختلفة الالوان ما لا يستوعبه بيان ولا يثبته بنان فقال عروة وما هو الراي يا ابا الفوارس في اخفاء هذه التحف والنفائس لانه ان سلم الربيع من شرك العقال وعلم اننا نحن الذين فعلنا به تلك الفعال لا يصبر على هذا الفعال وربما تعصب له الملك النعمان وغيره من ملوك العربان فتقع الفتن وتعظم البلايا ويحل بنا التدمير ويهلك الكبير والصغير قال عنترة اني لا ابالي بالربيع ولا اخاف من الغير ولا يكدرني شيء الا اذا عتب على الملك زهير لان الذى فعلته مع الربيع ماهو الا نقطة مما فعله في حقي من الجرائم وارتكابه الفواحش والعظائم وما خوفي الا ان اكون مظلوماً فاصير انا الظالم فقال شيبوب اما خوفك

من هذا القبيل فلا تحمل همهُ ولا ضيره ولا يخاف من عتاب الملك زهير ولا غيره لانهُ قد خطر في بالي امر فيهِ يكون اكتتام هذا الحال عن زيد وعمرو وهو ان ترسلوا هذه النوق والجمال مع بعض الابطال الى الاطلال و يفرقوها في مراعينا بين الاموال واما هذه الرجال فادفنوها بين احاقيف الرمال الى حين رجوعكم من ديار مفرج بن هلال واما الجمال فخذوها معكم لحمل الزاد والاثقال قال عروة وحق علام الغيوب لقد اشرت بالصواب وما قصرت يا شيبوب ثم انهم انفذوا النوق والجمال مع عشرة من الرجال ودفنوا الصناديق في الرمال واخذوا معهم الجمال وساروا طالبين بلاد العراق وعنتر قد المهُ الفراق وزاد بهِ الى عبلة الاشتياق وفرح بهذا الاتفاق وكان يتسلي بالحديث مع عروة بن الورد و يشكوا له بما في قلبهِ من الغرام والوجد ولما تمادى بهِ الترحال انشد وقال

يا شوق صبري ضعيفٌ عنك لا تزدِ ... ولا تزدني عَلَى ما بي من الكمدِ
ويا سقامي تأبى لا تلجَّ فما ... ابقيتَ غيرَ رسومِ الصبر والجلدِ
كم ليلةٍ بتُّ اشكو طولها ولها ... والشوقُ يضرمُ نارَ الوجدِ في كبدي
وكلما ناحَ طيرٌ في الدجى سحرًا ... امسكتُ من اسفي طي الحشابيدي
يا طائرَ البانِ غني كيف شئتَ فقد ... امنتَ من نائبات الدهرِ والنكدِ
لقد وجدتَ حبيبًا كنتَ تالفهُ ... وقد فقدتُ حبيبًا غاب عن بلدي
واذكر ليالي مضتْ بالوصلِ مشرقةً ... مذ بتَّ تهتفُ بين الايك بالنشدِ
يا صاحبي لا تخفْ في يومِ معركةٍ ... اذا رايتَ بريق البيض والزردِ
الق الاسنةِ والابطال جايلةً ... ومتْ كريمًا ولا تخضع الى احدِ
وخلني اشتفي ممن يغاندني ... مادمتُ ملك بعض الروح في جسدي
واترك الارض من فيض الدما نقشت ... كحلة البرد تطريزًا بغير يدِ
و يصبح الجوُّ من كثرِ العجاج دجىً ... والليلُ محتلكٌ والنقعُ في رعدِ

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذه الابيات طرب لهُ الحاضرون من السادات وقال له عروة والله لقد جمعت بين فصاحة الكلام ورجاحة النثر والنظام ما لم يسبقك اليهِ احد من الانام فشكره عنترة عَلَى مقاله واثنى عليهِ وعَلَى رجاله ثم تبطنوا الاوديةِ والشعاب وظهور الفيافي والهضاب حتى خرجوا من ارض الحجاز ودخلوا في اوائل بلاد العراق وعنترة ينقاد بزمام الاشواق ولم يزالوا مجدين السير الى ان تبقى بينهم و بين ديار بني شيبان ليلة واحدة لا غير فعند ذلك عدل بهم شيبوب عن الطريق وانزلهم في وادٍ عميق وقال

لهم اقيموا في هذا المكان حتى اقصد آل شيبان وادخل الى مضارب مفرج بن هلال وابصر ما قد بدا بعدي من الاحوال واجتمع ببشارة بن منيع وانظر عَلَى ماذا عول ان يفعل من الصنيع فقال عنتر هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم ان شيبوبًا خلع ما كان عليهِ من الثياب ولبس ثوبًا قصير الاكام وضيق اللثام وتزيا بزي عبيد اهل الشام وخرج من قدام اخيهِ كأنهُ ذكر النعام وسار يقطع البر والاكام حتى اشرف عَلَى الحي عند دخول الظلام فطلب اثر الرعيان املاً ان يقف منهم عَلَى خبر او اشارة ويعلم ما كان من امر بشارة فبينما هو سائر وفي قلبهِ نيران الحريق واذا بفارس قد اعترضهُ عَلَى ناحية من الطريق من دون صاحب ولا رفيق يبكي بكاء العاشق الولهان ودموعهُ تسيل عَلَى خديهِ شبيه الغدران وهو ينشد هذه الابيات

ريحُ الحجاز تنسم من حاجر ... واقري سلامي للحبيب الهاجر
فلعلَّ رابعةً تردُّ سلامها ... وتجودُ ودنا الخيال الزائر
هيهات كيف يجودُ من الف الجفا ... بالوصل او يرجى الوفا من غادرِ
يا عبل ان كان ابن عمك قد سلا ... ونسيك خوفًا من رجال عشائرِ
او كان شيبوبًا اصيبَ بنكبة ... وحوتهُ بطن مقابر وحفائرِ
فالامرُ للربِ القديم فانهُ ... في خلقه يقضي قضاء القادرِ

قال الراوي فلما سمع شيبوب منهُ ذلك الكلام علم انهُ بشارة بن منيع عبد مفرج بن هلال فاجابهُ عَلَى شعره يقول

والله ما طرقَ الزمان لعنترٍ ... كلا ولا شيبوب ذاك الماهرِ
ولقد اتاكَ بهمة عبسيةٍ ... والخيل تتبعهُ بكل مبادرِ
من كل اغلب في الكريهة ماجد ... صعب الدسيعة كالهزبر الكاسر
يلقى صدورَ الخيل في يوم اللقا ... ويقد هامات العدى بالباترِ
بطلاً اذا عاينتهُ في سرجهِ ... فتراه كاسدِ العرين الكاسرِ
من نسل سادات غدت فعالهم ... بين الورى مثل الربيع الزاهرِ

قال الراوي فلما فرغ شيبوب من شعره تقدم الى نحو بشارة واعتنقهُ وضمه الى صدرهِ وقال له والله لم تطرق شيبوب نوائب الزمان ولا سلاكم ولا خان بل اتى وفي صحبتهِ مائة من الفرسان تلقى جموع بني شيبان ولو ان معهم جبابرة الغرب وطوائف الجان فبكى بشارة من فرحه بشيبوب وانجلت عنهُ الهموم والكروب وقال له لقد اقلقتني بطول

غيبتك وبعد المزار حتى لم يبقى لي هدوءٌ ولا اصطبار ولا اقمت في مكانٍ وقر لي فيهِ قرار وكنت قد عزمت عَلَى الرحيل من هذه الديار فلم اجد لي مساعداً عَلَى ما اختار ثم حدثهُ برحيل مولاه الى الملك النعمان ومسيره من هناك الى بلاد خراسان وكيف حكمهُ في ساير اموالهِ واقامهُ وكيلاً عَلَى حريمهِ وعيالهِ ثم قال اني قد عولت الان ان اخذ جميع ما لمولاي من الاموال والتحف الحسان واسير في حمايتكم الى دياركم واقيم مع محبوبتي رابعة في جواركم فقال له شيبوب والله يا صاحب النخوة والمروءة والموصوف بالامانة والفتوة انها اليك باعظم اشتياق ولما سمعت بذكرك كادت ان تذوب من الم الفراق ولواعج الوجد والاشواق حتى لو امكنها تطير لطارت الى بلاد العراق . قال الراوي فلما سمع بشارة من شيبوب ذلك الكلام زادت بهِ الآلام وبكي من شدة الغرام فقال له شيبوب لا تزعج نفسك فالامر كما تحب وتختار وما بقي غير التدبير في رحيلنا من هذه الديار قال بشارة اعلم يا اخي الامر مدبر والحال قد تيسر وقبل كل شيء تاخذ عبلة عند اخيك عنترة واذا وصلت بها اليهِ ارحلوا من هذه الاطلال وانزلوا في وادي النقا عَلَى طريق جبال الردم ووادي الرمال حتى اعود اليكم بالتحف والاموال عَلَى ظهور الجمال وما يكون معي الا نفر قليل من الرجال فاذا وصلنا اليكم اخرجوا علينا في الحال وابذلوا فيهم السيوف الصقال ولا تبقوا منهم انساناً ثم نسير بعد ذلك في امان الى دياركم والاوطان فلما سمع شيبوب منهُ ذلك الخطاب رآه عين الصواب فقال افعل ما بدا لك وابشر ببلوغ الامل وان كنت تحتاج الى معين فانا ادخل معك الى الحلة واعاونك عَلَى ذلك العمل قال بشارة اني لا اريد في هذا الامر مساعد ولا احتاج فيما دبرت الى معين او معاضد وما اريد منك الا ان تعدل عن قارعة الطريق وتكمن بين هذه التلال وتنيم هناك الى ان يخلو البر من العبيد والرجال حتى اتيك بعبلة قبل كل شيء ثم فارقهُ وكرّ راجعاً الى الحي . قال الاصمعي وكانت عبلة قد ملت من كثرة الشوق والانتظار وعَلَى جسمها الاصفرار وهي تبكي في الليل والنهار وكانت ام بشارة تشاغلها بالكلام ولطيف الاخبار وتسليها بنشيد الاشعار وتداريها مداراة الاطفال الصغار وكان بشارة ياتي عندها في الليل الحالك ويتحدث معها في مثل ذلك حتى يغلب عليها الكرى وتنام ثم يعود الى مضاربهِ والخيام الى ان كانت تلك الليلة التي التقى بشيبوب وقد تباشر كل منهما عَلَى لقاء المحبوب ولما دخل عليها وجدها تبكي وتذرف الدموع وتنشد من فؤاد موجوع

فني الدمعُ والاشواق تنمو ولا تفنى واسقمني وجدي الى الاهلِ والمغنى
وفي مهجتي يا راحلينَ ترفقوا ولا تشمتوا بالبعد حادنا منا
وجزتمُ في سيركم رمل عالجٍ فردوا فوادي وارحموا جسمي المضنى
بني العم ما عودتموني ملالةً ولا فيكم من صار نحوي ولا عنا
علمتم بحالي وانقطاعي وغربتي وخليتموني في ديار العدى وهنا
اموت اشتياقًا كلَّ يوم وليلةٍ ويقلقني صوتُ الهزارِ اذا غنى
فيا ليت شعري هل يوافي مبشرٌ يبشرني حتى يزولُ العنا عنا

قال الراوي فلما سمع شعرها تبسم وتقدم اليها وسلم وقال لها ابشري بقدوم البشير والفارس النحرير ثم انهُ اعلمها بقدوم شيبوب وعنترة وقص عليها الخبر فقالت لهُ احسن الله بشارتك وجزاك خيرًا وجمع شملك بمحبوبتك ولا اراك سوءًا ولا ضيرًا ثم انهُ البسها ثياب الرجال وعممها واركبها جوادهُ ولثمها وخرج بها من الخيام تحت جنح الظلام حتى وصل الى المكان الذي فيهِ شيبوب فلما راها سلم عليها وهناها وشكر بشارة عَلَى افعالهِ وسار بها الى عنترة ورجالهِ فلما نظر عنترة الى عبلة ضمها الى صدره وعانقها وشكا اليها حالهُ من حين فارقها فبكت وقالت ما اظن ان احدًا لاقى مثل ما لاقيت ولا قاسى مثل ما قاسيت فبكى عنترة لبكاها وتالم قلبهُ لشكواها وازال عنها رعبها بالسلامة هناها ثم حدثهُ شيبوب بما اوصاهُ بهِ بشارة وكيف انهُ مزمع ان يهرب بمال مولاه كما سبقت الاشارة . قال الراوي هذا ما كان من عنترة واما ما كان من بشارة فانهُ رجع الى بني شيبان في وقت السحر وكتب عن لسان مولاه مفرّج بن هلال كتابًا مطويًا عَلَى الزور والمحال ثم ارسل خلف مالك بن حسان الذي اقامهُ مفرج مكانهُ عَلَى بني شيبان فلما حضر قال لهُ قد اتاني البارحة كتاب من عند مولاي صحبة نجاب فاحضرتك لتقراه وتقف عَلَى حقيقة معناه وفيهِ يقول انني قد بليت من خدمة الملك كسرى بما لا يطاق واريد ان اهرب بمن معي من الرفاق واقيم في اطراف الحجاز وبلاد العراق لانهُ ارسلني الى نواحي خراسان وتلك البلاد لاجل قتال اهل البغي والعناد الذين تمردوا عليهِ والقوا بين الرعايا الفساد وقد اجتمع علينا من الاعداء خلق مثل عدد الجراد فعزمت ان اهرب في من تبقى من رجالي واريد منك ان تاخذ اموالي ونوقي وجمالي وتسير في عاجل الحال وتنتظرني في جبال الردم ووادي الرمال حتى اصلح حالي مع الملك النعمان واساله ان يسال فيَّ كسرى انو شروان واريد الان افعل ما بهِ امر وما احضرتك

الا لاستشيرك وابلغك الخبر ثم عرض عليهِ ذلك التحرير المنطوي عَلَى الكذب والتزوير فاخذه وقرأهُ ووقف عَلَى فحواه فوجدهُ طبق ما ابداهُ فقال يا بشارة اني لاعجب كيف انهُ اهتم بماله ولم يذكر شيئًا عن حريمهِ وعيالهِ قال لانهُ يعلم اذا قبض كسرى عَلَى النسوان يبقيهنَّ عندهُ في الاعتقال مدة من الزمان ثم يطلق سبيلهنَّ بواسطةِ الملك النعمان ولكن اذا نهبت العرب المال والمتاع اقتسموه بينهم وضاع فقال مالك صدقت فيما نطقت فدبر ما تريد برأيك السديد . قال الراوي فلما انطلى عَلَى مالك المحال نهض بشارة في الحال وفتح خزانة الجوهر واخذ منها النفيس المفتخر كالزمرد والياقوت الاحمر واللولو الذي يعادل الزمان في المقادير والاوزان ما لم يتفق اجتماع مثلهِ لاحدٍ من صناديد الرجال الا في خزاين كبار الدول ثم جمع صناديق الاموال وامر العبيد ان تشيلها عَلَى الجمال وما غابت الشمس حتى انقضت الاشغال فركب مع من يلوذ بهِ من بني عمهِ وطلبوا البر الاقفر حتى اشرفوا عَلَى المكان الذي فيهِ الامير عنتر فطلبتهم فرسان عبس من راس الوادي وهي تصيح وتنادي وافرحاة بعد ترحاه الغنيمة الغنيمة وقد خرجت بهمة عظيمة فقال بشارة للعبيد لا تخافوا فانا اتقدم واعلمهم بالحال واخبرهم بان هذا المال خاصة مفرج بن هلال ثم لكز جواده حتى اقترب من عنترة فسلم عليهِ وقبل الارض بين يديه وقال يا مولاي ابذل سيفك في هولاءِ الانذال وخذ هذه التحف والاموال واجمع بيني وبين محبوبتي رابعة ذات الحسن والجمال ثم انشد وقال

سما بك المجد واستعلت بك الرتبُ	وقصرت عن علاك العجم والعربُ
حزت الشجاعة حتى نلت غايتها	فما يفوتك من القابها لقبُ
سعى الرجال بجمع المال واجتهدوا	ولم يكن لك في غير العلى ربُ
يا من اذا حجبتهُ شمس هيبتهِ	ايقنتُ ان نداهُ ليس يحتجبُ
امنن عليَّ وهبني اليوم رابعةً	وجد بها سيدي من بعض ما تهبُ
فقد علمتَ وما تزدادُ معرفةً	انت البها والسنا والجود والادب

قال الراوي فلما سمع عنترة شعره قال له ابشر يافتى بحسن الجوار والاحسان والجيرة من سائر العربان ثم امر الفرسان ان تضع السيف في عبيد بني شيبان فداروا بهم من كل جانب ومكان ونهبوهم باطراف السيوف الصقال والرماح الطوال وساقوا الجمال والاموال وساروا يطلبون المنازل والاطلال وشيبوب بين ايديهم يقطع بهم القفار حتى قاربوا الديار فعدل شيبوب بالجمال الى المكان الذي كانوا دفنوا فيهِ صناديق

الاموال فاخرجها واعادها عَلَى ظهور البغال واختلط المال بالمال ثم قصدوا المنازل والاوطان وما اشرف عنترة عَلَى بني عبس وعدنان الا باموال تملأ السهول والقيعان وخيرات يعجز عن وصفها اللسان ولما قرب الى الاحياء انقلبت لقدومهِ الدنيا وخرج الملك زهير الى ملتقاه مع فرسان عشيرتهِ واقرباه وكل من يحب عنترة و يهواه وكذلك ابوه شداد وعمهُ مالك وزخمة الجواد فلما ابصر الملك زهير تلك الرجال واحمال الجمال قال يا للعرب قد افقر عنترة ملوك الارض وقطع طرقات اليمن وانزل عليها البلايا والمحن وكان عنترة لما راى ازدحام الابطال وكثرة النساء والرجال ارسل عبلة الى بيت ابيها في عاجل الحال وتقدم نحو الملك زهير وسلم عليهِ وقبل يديهِ ومثل ذلك فعل مع اولاده وقد اكمد قلوب اعدائهِ وحساده فسالهُ الملك زهير عن قصتهِ وما جرى له في سفرتهِ فقال عنترة يامولاي قصتي عجيبة يعجز اللسان عن شرح وصفها وليس هذا وقت كشفها ثم تقدم مالك ابو عبلة وسلم عَلَى عنترة وقال لهُ يا ابا الفوارس هل سمعت الى زوجتك خبر او وقفت لها عَلَى اثر قال نعم هي الان في بيت امها وقد خلصتها من بلاها وغمها ولما وصلوا الى الديار ووقع في الحي الفرح والاستبشار وخرجت الاما والحراير وهنَّ يضربن بالدفوف والمزاهر والتقى بشارة بمحبوبتهِ رابعة فترجل اليها وعانقها وشكا اليها ما لاقى من حين فارقها وما زالوا كذلك حتى استقر اهل الحي المقام فامر عنترة عبيده فضربت الخيام ودخل مالك الى ابياتهِ فوجد ابنتهُ عبلة تحدث النساء بما كان وماجرى عليها من نوائب الزمان فتعجب لما رآها وتقدم اليها وحياها وبالسلامة هناها قال وما استقر بعنترة النزول حتى جاء من عند الملك زهير رسول قال له اجب الملك فانهُ مشتاق الى رؤيتك وهو يريد ان يسمع ما جرى لك في سفرتك فاجاب بالسمع والطاعة وسار ودخل عَلَى الملك من تلك الساعة فجلس وسلم ودعا له بدوام العز والنعم فرحب بهِ ولاطفهُ بالكلام واكرمهُ غاية الاكرام وقال له اهلاً بحامية عبس يوم جلادها لقد ابعدت عبلة وكنت الرابح في ابعادها فقال ما ابعدتها ولا نسيت هواها بل لاجلها كانت سفرتي حتى خلصتها من بلاها ثم حدثهُ بقصتهِ من اولها الى اخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فتعجب الملك وقال والله يا عنترة ان هذه الاحاديث اظرف من كل خبر فلو كتبت عَلَى الصخور لذابت او سمعتها الاطفال لشابت وهل عبلة الان في بيت ابيها قال نعم ايها الملك المعظم غير انهُ قد فقد ما كان عليها من الجواهر ونفائس الدرر وقد عولت ان افعل فعالاً في بني زياد ما فعلها احد غيري من العباد فقال الملك

والله لا زلت انت والربيع في لجاج ونكد حتى تفتحا علينا بابًا لا يسد عَلَى طول الابد والصواب ان تكون اعلمتني بخبر عبلة في بني شيبان حتى كنت انفذت الى الملك النعمان وخلصتها لك من غير توان ولا كنت سرت بنفسك بهذه الابطال واخذت اموال مفرج ابن هلال وطرقت دياره وهو غائب في خدمة الملك كسرى وتركت لنا مع القوم معاملة اخرى فقال عنترة ولو كنت اعلمتك بخبرها كان الربيع قتلها واخفي اثرها والان فقد ثبتت عليهِ الحجة ولا يقدر ان ينكرها واما آل بني شيبان فسوف تسمع ما يحل بهم من الهوان لاني لا اصبر عَلَى الذل والهوان ثم اخذ يعاتب الزمان ويذكر ما جرى لهُ في معامع الضرب والطعان فانشد يقول

ارى لي كل يوم مع زماني	عتابًا في البعاد وفي التداني
يريد مذلتي ويدور كرهًا	بجيش النائبات اذا راني
كأني قد كبرتُ وشاب رأسي	وقلَّ تجلدي ووهى جناني
الا يا دهرُ يومي مثلُ امسي	واعظم هيبةً لمن التقاني
ومكروبٍ كشفت الكرب عنهُ	بضربةِ فيصلٍ لما دعاني
دعاني دعوةً والخيلُ تجري	فما ادري اباسمي ام كناني
فلم امسكْ بسمعي اذ دعاني	ولكن قد ابانَ له لساني
وفرقت المواكب عنهُ قهرًا	بطعنٍ يسبق البرق اليماني
وما لبيتهُ الا وسيفي	ورمحي في الورى فرسا رهانِ
وكان اجابتي اياهُ اني	عطفت عليهِ موار العنانِ
باسمر من رماح الخطّ لدنٍ	وابيض صارم ذكري يمانِ
وقرن قد تركتُ لدى مكرٍّ	عليهِ سبائبًا كالارجوانِ
تركتُ الطير عاكفةً عليهِ	كما تردي الى العرس البواني
وتمنعهنَّ ان يأكلنَ منهُ	حيوةَ يدٍ ورجل تركضانِ
متى تهوي الى الخدين منهُ	تزينها الى الوجه اليدانِ
وما اوهى مراسُ الحرب ركني	ولا وصلت اليَّ يدُ الزمانِ
وما دانيت شخص الموت الا	كما يدنو الشجاعُ من الجبانِ
وقد علمت بنو عبس باني	اهش اذا دعيت الى الطعانِ
وان الموت طوع يدي اذا ما	وصلت بنانها بالهندوانِ

قال فلما فرغ عنترة من شعره طرب الملك زهير من فصاحة نظمهِ ونثره وعلم انهُ قادر عَلَى ما يقول لانهُ سيد الفرسان فلا يثبت لديهِ الا من يصبح اسيرًا او مقتول فقال لعن الله الربيع وقلهُ فما اخبثهُ وانذلهُ لانهُ سلم ابنة عمهِ الى قوم ليس هم من ابناء جنسهِ ولاجل ذلك قابلهُ الله بمالهِ ونفسهِ ثم حدثهُ بمسير الربيع الى الملك النعمان وما وصل اليهِ من الانعام والتحف الحسان وكيف دهمتهُ الخيل تحت ذيل الليل وضاع منهُ المال ووقع جريحًا عَلَى الرمال وقتل من كان معهُ من الرجال فلما سمع عنترة هذا الايراد قال هذا عاقبة البغي والفساد فقد قابله الله عَلَى غدرهِ وجعل كيده في نحرهِ . قال الراوي وكان الربيع قبل ان يلتقي بعنترة ارسل وقبله سالم ليبشر اخوتهُ بقدومهِ من السفر كما تقدم الخبر حتى يخرجوا الى لقاه عند نصف النهار وما حسب حساب طوارق الاسحار فجد العبد في قطع البطاح حتى وصل الى بني فزارة عند الصباح فحدث القوم بحديث مولاه وما جرى لهُ مع النعمان وما اعطاه ففرحوا بذلك وخرجوا الى ملتقاه الى ان صار نصف النهار فلم يقفوا له عَلَى خبر ولا اثار فقالوا للعبد و يلك اين فارقت مولاك لا بارك الله فيك قال البارحة فارقتهُ من ركايا بني مالك ووادي الزواه وقال انهُ يرحل عند السحر وهذا وقت ملتقاه الا انهُ يكون اصبح تعبان فاقام في ذلك المكان لاجل القرب والامان ثم انهم جدوا في قطع الدكادك حتى اشرفوا عَلَى ركايا بني مالك فراوا اثار المعمعة والوحوش عَلَى اجساد القتلى متتابعة فقال عمارة واحرباه والله ما هذا الا بئس الفال ثم انهم قصدوا مبارك النوق والجمال واخذوا يفتشون بين تلك الرمال فوجدوا الربيع وهو عَلَى تلك الحالة فتبادروا اليهِ وفكوا عصائب عينيهِ ووثاق يديهِ ورجليهِ فعاشت روحه وتكلم وايقن بالسلامة بعد العدم وحدثهم بقصتهِ وما جرى له في سفرتهِ فصعب عليهم ذلك الحال وهنوه بالخلاص من شرك العقال ثم سالوه عن تلك الخيل التي دهمتهُ في ظلام الليل قال سمعتم ينادون ياالتميم يالقحطان وما ادري من اي قبيلة هم من العربان ولا اعلم هل تبعوني من بلاد العراق ام وقعوا بي في هذا المكان عَلَى اتفاق . قال الراوي و بعد ذلك رجعوا بهِ الى ديار بني فزارة وهو يلوم نفسهُ عَلَى ما حل بهِ من الذل والخسارة و يقول هذا كله جرى من اجلك ياعمارة لاني عملت عَلَى قتل عبلة فاصابتني هذه الدبلة فلما سمع عمارة بقتل عبلة بكي وتلهف ولم يبقَ فيهِ مفصل الا ارتجف وصار يشهق من شدة الحزن والاسف و يقول وا اسفاه عليكِ يا ابنة مالك واحرباه عَلَى ساعة من وصالك ولما وصلوا الى الخيام انطرح الربيع عَلَى

الفراش وزادت بهِ الآلام وبلغ اللك زهير قدوم الربيع بن زياد فسار اليهِ واخذ بخاطره وسالهُ عن غيبتهِ في تلك البلاد فحدثهُ بقصتهِ وذكر لهُ خطبة ابنتهِ المتجردة وكيف ان النعمان طلب منهُ المعاونة والمساعدة فسكت الملك زهير وعاد راجعاً بعد ان طيب قلبهُ ووعده بكل خير وقال لاولاده وفرسان عبس الاجواد ان هذا الذي جرى عَلَى الربيع هو من بغيهِ عَلَى عنتر بن شداد

قال ولما بدا من الربيع صلاحه وختمت جراحهُ ووصل عنترة بتلك الاموال كما ذكرنا وخلص عبلة كما وصفنا شاع من ذلك اليوم خبرها في احياء العرب واجتمعت بها النساء وهنأُوها بالسلامة من العطب وما امسى المساء حتى وصل حديثها الى بني فزارة وسمع الربيع واخوتهُ بتلك العبارة فذابت اجسادهم وتفطرت مرائر اكبادهم وقال عمارة لاخيهِ الربيع ما هذا الخبر الذي قد شاع ذكره واشتهر فقال والله لست ادري وقد حرت في امري لاني ما رحلت من بني شيبان الى الملك النعمان الاوهي تحت بساط الصحصحان ثم سأَل الذين جاءوا بالخبر عن حقيقة ذلك وكيف كان خلاص عبلة بنت مالك قالوا راينا عنتر راجعاً من بلاد العراق وبين يديهِ اموال قد سدت الافاق والى جانبهِ عبدٌ اسمر اللون فصيح الكلام لين المعاطف والقوام فسأَلت عنهُ وقد اعجبني حسنهُ البديع فقيل لي هذا بشارة بن منيع وهو الذي كان السبب في خلاص عبلة من حيلة الربيع وقد اخذ جميع اموال مفرج بن هلال واتى يريد المقام في هذه الاطلال لاجل مولدة كان يحبها ففعل هذه الفعال بسببها حتى يجتمع بها فلما سمع الربيع بهذا الخبر طار من عينيهِ الشرر واجتمع باخوتهِ وقال لهم اعلموا انهُ قد جرى من الاسباب ما لم يكن في الحساب وما تبقى غير معاداة هذا العبد الاسود الذي قد طغى وتمرد والا قلع منا الآثار وخرب الديار وقلبي يحدثني انهُ هو الذي التقاني في الطريق واخذ مني المال وجرحني وفعل معي تلك الفعال واعادني الى الخسارة بعد ما كنت رابحاً وقد تخطيت المصائب بوجههِ الكالح ولا بد ان يتعصب له الملك زهير بن جزيمة ويطالبنا بما كان عَلَى عبلة من الاموال العظيمة وينتهي الامر بيننا الى القتال وان انا انكرت هذه الفعال وقلت اني لا اعلم بما جرى عَلَى عبلة من الاحوال يشهد عليَّ ذلك الولد الزنا وتربية الخنا الذي خان مولاه وتبع شهوتهُ وهواه وما كان الصواب الا قتل رابعة قبل التدبير ولكنني ما علمت ان هذا الامر تدبر لسعادة عنتر بحكمة المقادير ثم فاض الدمع من عينيهِ وانحدر ر شه٣٠ ما جرى عليهِ من العبر وقال

وحق من خلق البشر ان ضيع الملك زهير حقي وخدمتي ولم يراعِ جانبي وجانب اخوتي لاقلعنّ اثره من ارض الشربة والعلم السعدي واريهِ عاقبة البغي والتعدي والقي الفتنة بينهُ وبين الملك النعمان واترك العرب تقوده في حبال الذل والهوان لانهُ لما اتى يفتقدني اشرت عليهِ بما يزيد في شرفهِ عند ملوك العرب ويرفع قدره عند السادات ذوي الرتب وقلت له ان الملك النعمان مالك ملوك العربان بلغهُ حديث ابنتك وما فيها من حسن المناقب ويريد ان يرسل اليك رسوله لاجل ان يخطبها فلا ترده خائب وانك تنال بمصاهرتهِ اعلى المراتب فما اجابني بجواب ولا خاطبني بخطاب والآن اريد احقق ما خطر في بالي فان صح عندي بان عنتر هو الذي جرحني واخذ مالي ورأيت الملك زهير يعينهُ قلعت آثار الجميع وصنعت بهم اقبح صنيع هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ لما سمع من الملك زهير حديث الربيع عَلَى التمام كما تقدم الكلام قال لقد لقي بغيهُ بن الانذال وما بقي في الامر الا اننا ننفذ نطالبهُ بما كان عَلَى عبلة من المال فان اقرّ بخطائهِ وقال قد اخذ مني الما فقد مالي عذرناه وان انكر وجحد اقمنا عليهِ البينة وقابلناه فقال الملك زهير هذا امر لا بد لنا منهُ عَلَى كل حال حتى يظهر لنا نور الحق من ظلم المحال فعند ذلك رجع عنتر الى ابياته وقد زادت افراحه ومسراتهُ وباتت القبيلتان تضجان بحديث عنترة والربيع ويتكلمان فيهما الجيد والشنيع واما بشارة بن منيع فقد اشتغل برابعة عن الجميع لانهُ قد اجتمع بها بعد الاياس ورأى ذلك الاكرام الزائد بين الناس . قال ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قال عنترة لعمهِ مالك قم انت وولدك عمرو وادخلا عَلَى الملك زهير في عاجل الحال ولا تبرحا من عنده حتى يطالب الربيع بما كان عَلَى عبلة من الجواهر والاموال فان قصدي اثيرها حربًا واخلص حقي منهُ ومن بني شيبان غصبا فقال له عمهُ سمعًا وطاعة ثم نهض وسار مع ولده عمرو من تلك الساعة حتى دخلا عَلَى الملك زهير فسلما عليهِ وبكيا بين يديهِ وقال له ابو عبلة اتسبي ابنتي من الاوطان ويلحقنا العار بين العربان ويمضي حقنا كانهُ ما كان فان اضربت عن ذلك تركت ابن اخي عنترة يخلص لنا حقنا فلما سمع الملك زهير منهُ ذلك المقال خاف من اثارة الحروب ووقوع الفتن بين الابطال فارسل ولده قيس الى الربيع لكشف هذا الحال فركب في خمسين فارس من الابطال وقصد بني فزارة حتى اشرف عَلَى الاطلال فالتقى بالربيع وحذيفة في اطراف البيوت ومعهما جماعة من الرجال فترجل عَلَى الارض وسلم بعضهم عَلَى بعض وقال

حذيفة هل اتيت تطلب الصيد في ارضنا او انت زائر حتى ناخذ منك حظنا فقال قيس ما اتيت الآ من اجل هذا الرجل الذي جفا اقرباه وترك اوطانهُ تحكم فيها اعداه ثم قص عَلَى الربيع ما جرى من الحال وانهُ مطالب بما كان عَلَى عبلة من المال فلما سمع الربيع ذالك المقال رجع الى المكر والاحتيال والتفت عَلَى حذيفة بن بدر وقال ايها الامير هل يوجد في الدنيا مثل مصيبتي او هل جرى عَلَى احد مثل ما جرى عليَّ من عشيرتي لانهُ قد فقد مني اموال لا يقدر عليها الا الملك النعمان نائب كسرى انو شروان ولو لم تدركني اخوتي كانت الوحوش اكلت جثتي و بعد ذالك كلهِ يتهموني بالافعال الذميمة ويصدق الملك زهير في كلام عبد لا قدر له ولا قيمة وليس لي من عبلة علم ولا خبر ولا نظرت وجهها في السفر ولا في الحضر وكلٌّ يعلم اني اعذل عمارة عنها ليلاً ونهارًا وابغضهُ فيها سرًّا وجهارًا والله يعلم اني ما رضيت بذلك وقد اصابني من فقدها اكثر مما اصاب اباها مالك وربما يكون تعرض لها بعض الفرسان من بني شيبان فسباها من اطراف الابيات ثم تخلصت بهذه الاسباب نظرا لما لها من العمر وطول الحياة وقد بلغني انها رجعت الى اهلها وجمع الله بهم شملها وانا راض باقرارها وقولها فان كانت تشهد انها رأتني عندما سبيت من الاوطان او شاهدتني في بني شيبان فيكون ذالك عليَّ اعظم بيان واكبر برهان وحينئذٍ استحق العقاب والقتل والا فدعوة عنترة كاذبة ليس لها اصل وما اقصده الا البغي والقاء الفساد وتهييج الفتن في البلاد وان كان يطالبنا هذا العبد الفاجر بمال وجواهر وتحف وذخائر فليطلبها من القوم التي كانت عبلة في اطلالهم وانا اعلم انهم لا يتركون لعنترة اموالهم ولا يصبرون عن عبدهم بشارة ولا امتهم رابعة ولا بد ما تبصرون فرسانهم اليكم متسارعة وربما احتشد لهم النعمان ملك ملوك العربان وامدهم بابطال العجم وصناديد الديلم وفرسان جذام ولخم فيندم عند ذلك ابوك غاية الندم اذا راى بعينهِ الهلاك والعدم. قال فلما سمع قيس من الربيع هذا المقال انطلى عليهِ المحال وقال والله يا عماه لقد صدقت فيما نطقت والآن قد علمت ان عنترة هو المعتدي في كلامهِ ونطقهِ وقد فتح علينا بابًا لا نقدر عَلَى غلقهِ فقال حذيفة يا قيس اذا كانت هذه المزايا مزاياه لم لا تقتلونهُ وتستريحون من شره ودهاه قال قيس ان الانسان بين اهله يعز ويجار وان قتلناه يطلبنا كل من له علينا ثار ونخاف بان الامر عَلَى مثل ذلك ينتهي وتبلغ الحساد منا ما تشتهي ثم ان قيسًا الوى عنان جواده راجعًا عَلَى بني عبس فوصل عند غروب الشمس ودخل عَلَى ابيهِ وحدثهُ بما قال الربيع بن زياد وانهُ

قابل بما تقوله عبلة بنت مالك بن قراد وكان عنتر بجانب الملك زهير مع ابيهِ شداد وعمهِ و زخمة الجواد فلما سمع ذلك الخبر استشاط غضباً وتكدر وقال هذه نوبة ما تنفصل حتى يحضر الربيع وحينئذٍ تقابل المعتدي عَلَى فعله الشنيع

قال وكان الملك زهير ارسل مالك يسأل ابنتهُ عبلة عن ذلك فقالت اني ما رأيت الربيع بالعيان في الليلة التي اسرت فيها من الاوطان ولا في بني شيبان فقال الملك الى عنترة قد مضى ما مضى وان شاء الله تبدل الغضب بالرضى · قال وكان بشارة بن منيع من جملة الحاضرين فالتهب فواده غيظاً ومضى الى ابياتهِ واحضر الجبة والعمامة والسكين وجميع ما اعطاه الربيع بن زياد في الليلة الذي امره فيها بقتل عبلة في تلك البلاد وقال له ايها الملك اريد ان تجمع بيني وبين هذا الرجل حتى اكذبهُ عَلَى اعماله واخجله عَلَى ما قد ابداه في مقاله لان هذا القماش هو الذي اعطاني اياه عند مولاي مفرج بن هلال وهذه هي السكين التي آمرني ان اذبح بها عبلة وادفنها تحت احاقيف الرمال وذلك بعد ما اقتسم هو ومولاي ما كان عليها من قلائد الدر والجوهر الزهر واليواقيت الجمر · قال فاندهش كل من كان هناك من الحاضرين وقالوا ما يقدر الربيع ان يجحد هذه البراهين وما فيهم الا من ذم الربيع وتكلم فيهِ بالكلام الشنيع فلما سمع قيس مذمة الربيع بن زياد ازداد غيظاً وركب متن الجواد وقال وحق ذمة العرب الكرام لا بد لي من فصل هذه الاحكام ثم سار عَلَى عجل وقلبهُ من شدة الغيظ قد اشتعل فوصل الى بني فزارة في نصف الليل وهو في غاية الكرب والويل فاندهل الربيع من سرعة عودتهِ وسأله عن قصتهِ فقص عليهِ تلك العبارة وما قال عنهُ بشارة فلما سمع ذلك صفق يداً عَلَى يد من شدة الطرب وقال وذمة العرب لقد ظهر مالي الذي اخذ مني والآن قد صح عندي بان عنتر هو الذي اخذه وجرحني وقد بلغني خبر هذه الصناديق والاموال فسكت عنها خوفاً من وقوع الفتنة والقتال والآن فقد انهتك ستر هذا العبد ابن الانذال وهو الذي علم بشارة ان يقول ذلك المقال ويفعل تلك الفعال وقد انكشفت ظلامتي واتضحت حجتي ولا بد لي من العودة الى الملك النعمان واخبره بما جرى وكان هذا ان كان الملك زهير عديم الانصاف ولا يسأل عن حقوق الرعايا والاشراف فلما سمع قيس هذا الكلام خف ما كان بهِ من الاحتدام وقال والله ما طاب لهذه القبيلة سرور ولا هنا ما دام فيها هذا العبد ابن الزنا · قال وما كان كلام الربيع الا خبثٌ واحتيال وظن انهُ ينال مراده بالمحال وما زالا في حديث

عنترة الى ان صار وقت السحر هذا والربيع يوصيهِ و يقول له يا ولدي ان رايت الامر قد تعسر انفذ خافي حتى احضر واضرب بشارة امام ابيك حتى يقر بحقيقة ذلك الامر المنكر ثم ودع قيس الربيع وطلب البر الاقفر ولما وصل الى الحي دخل عَلَى ابيهِ وحدثهُ بذلك الخبر فتعجب وتحير ثم انفذ خلف عنترة واعمامهِ وكانوا عَلَى مقالي النـار لاجل سماع هذه الاخبار فلما حضروا قالـــ لم استدعوا بشارة بن منيع ليسير معنا الى بني فزارة لمواجهة الربيع لاني قد فوضت هذا الامر الى الشيخ بدر بن عمرو ثم ان الملك زهيرًا حدث عنتر بما سمعهُ من الخبر وكيف ان الربيع اتهمهُ بتلك التهم وشرح له القصة بالتمام والكمال وقد عول الآن ان يشكوك الى الملك النعمان ولربما يكون انفذ الى بني شيبان واعلمهم بهذا الشان وهذه القصة ان لم نتلافاها وصل الينا شرها واذاها وانفتح علينا منها باب لا يسد مدى الزمان وطلبتنا الاعداء من كل جانب ومكان فلما سمع عنترة هذا الكلام اخذه القلق والهيام وانفذ خلف بشارة فما وجد له خبر ولا وقف له عَلَى اثر ف[illegible] له الملك زهير ماغاب بشارة والا وهو كذاب وقد خاف من الضرب والعذاب وهذا دليل [illegible] ان لكم في هذا الامر علاقة ونشب وليس هذا من فعل كرام العرب ثم انهُ عاد الى سرداقهِ وقد اظهر الغيظ والغضب ورجعت آل قراد وقد علاها الخجل وزاد اللهيب في قلب عنترة واشتعل واقسم بمن اوسع القفار وفجر الانهار وخلق الليل والنهار انهُ لا يخلص حقهُ الا بالصارم البتار وبعد ذلك يرحل عن الاوطان ويقصـد الملك النعمان ويسقيهِ كاس الهوان ويهد ركن بني شيبان الى آخر الزمـان ولا يترك منهم انسان ثم انشد وقال

لغير العلى مني القلا والتجنبُ ... ولولا العلى ما كنت في العيشِ ارغب

ملكت بسيفي فرصةً ما استفادها ... من الدهرِ مفتول الذراعين اغلبُ

لئن تكُ كفي ما تطاوعُ باعها ... فلي في وراء الكف قلبٌ مذربُ

وللحلم اوقاتٌ وللجهلِ مثلهـا ... ولكن اوقاتي الى الحلمِ اقربُ

اصولُ عَلَى ابناء جنسي وارتقي ... و يعجمُ في القائلون واعربُ

يرون احتمالي عفةً فيريبهم ... توفرُ حلمي انني لست اغضبُ

تجافيت عن طبع الليامِ لانني ... ارى البخل يشني والمكارم تطلبُ

واعلم ان الجود في الناس شيمةٌ ... تقوم بها الاحرار والطبع يغلبُ

فيا بنَ زيادٍ لا ترم لي عداوةً ... فان الليالي في الورى تنقلبُ

ويا لزيادٍ انزعوا الظلم منكمُ　　فلا الماءُ موردٌ ولا العيش طيبُ
لقد كنتمُ في آل عبس كواكبًا　　اذا غاب منها كوكبٌ لاح كوكب
خسفتم جميعًا في بروج هبوطكم　　جهارًا كما كلُّ الكواكب تنكبُ

قال فلما سمع بنو قراد هذه الابيات اهتزت عجبًا وتمايلت طربًا وقال له ابوه شداد ما ندعك ترحل الا ونرحل كلنا معك واينما سرت من الارض نتبعك ولا نقيم في مكان نرى فيه الذل والهوان ولكن لا تحرك ساكنًا حتى يكشف لنا خبر بشارة بن منيع ونبصر نهاية هذه القصة مع عمارة والربيع فقال عنتر اما بشارة فقد اصبح في بني فزارة في قبضة الربيع وعمارة وهو في حالة الذل والخسارة ولا بد لنا اكشف خبره واقتفي اثره وقد ضاق صدر عنتر لاجل فقده وتكدر واخذته الوساوس والفكر واستمر مدة معتزلاً في الخيام لا يلتذ بطعام ولا بمدام ثم اجتمع بعروة وقال له يا صاحب المروة والنخوة مرادي ان اسير الى بني فزارة الاوغاد واكبس ابيات الربيع بن زياد واخلص هذا الرجل من القيود والاصفاد وبعد ذلك اضرب رقاب الاعدا والحساد واكمد قلوب المبغضين والاضداد واقلع منهم الآثار ولا اترك منهم طالب ثار ولا نافخ نار واجعلهم احدوثة ما بين الناس ما بقي الليل والنهار وابلغ ما اريد واختار وان كان الملك لا يقبل عذري ولا يعرف رفعة مقامي وقدري رحلت عن الاوطان واعيش بقية عمري بلا اصحاب ولا خلان ولا اكون تحت لواء الذل والهوان ثم تحسر وتنهد وهاجت في راسهِ النخوة فانشد

يا دار عبلةَ من مشارق مأسلِ　　درس الشؤون وعهدها لم ينجلي
فاستبدلت عفرَ الظباء كانما　　ابعارها بالصيف حب الفلفلِ
تمشي النعامُ بهِ خلاءً حوله　　مشي النصارى ضمن بيت الهيكلِ
احذر محال السوء لا تنزلنْ بها　　واذا نبا بك منزلٌ فتحولِ
واذا الجبان نهاك يوم كريهةٍ　　خوفًا عليك من ازدحام الجحفلِ
فاعص مقالتهُ ولا تحفل بها　　واقدم اذا حق اللقا في الاولِ
واسمع مقالة امرءٍ قد جربت　　افعاله اهلِ العقول الكمل
يا عبلَ كم من غمرةٍ باشرتها　　والقوم بين مجرح ومجدلِ
فيهم اخو ثقةٍ يضاربُ نازلاً　　بالمشرفي وفارس لم ينزلِ
فرماحنا تكف النجيع صدورها　　وسيوفنا تخلي الرقاب فتختلي

والهامُ تدرجُ في الصعيدِ كأنما　　تلقي السيوف بها رؤوس الحنظل
ولقد لقيت الموت يوم لقيتهُ　　متسربلاً والسيف لم يتسربلِ
فرايتنا ما بيننا من حاجزٍ　　الاّ المجن ونصل ابيض فيصلِ
ذكرٌ اشق بهِ الجماجم في الوغى　　واقول لا شلت يمين الصيقل

قال الراوي فلما سمع عروة هذه الابيات قال لله درك يا فارس الفرسان واشعر شعراء هذا الزمان والله لقد فقت اقرانك بالشجاعة وفصاحة اللسان فلا تفعل يا حامية عبس وعدنان ما انت عازم عليهِ من الشان فلربما يكون الربيع قتله واسقاه كاس الهوان فيضيع تعبنا ولانحظى بطايل ونكون قد اذنبنا بهذه الفعايل ويصير حديثنا مثلاً في جميع القبايل قال وفي رابع الايام بين ما كان عنتر جالساً وحده بين اطناب الخيام اذا بعبدٍ قد دخل عليهِ واكب على رجليهِ وقال له يا ابا الفوارس قد اتيت اليك بخبر يزيل عنك الهم والكدر ولكني ما احدثك بهِ حتى تضمن لي عتق رقبتي وتجمع بيني وبين محبوبتي فقال له ابشر يا مولد العرب بنوال القصد وبلوغ الارب قال الحق جارك بشارة بن منيع وخلصهُ من اسر الربيع قبل ان يذهب تعبك ويضيع فلما سمع عنتر ذلك الخبر فرح واستبشر وزال عنهُ القلق والضجر ثم سأله عن السبب فقال ان لهذا حديثاً من العجب العجب يستحق ان يتلى على المنابر وفي الخطب ويكتب على صفحات الفضة والذهب قال الراوي ومن عجيب الاتفاق ان الربيع بعد ما جرى له مع قيس ماجرى كما تقدم السياق واقنعهُ بذلك الخطاب واحتج عليهِ بمثل ذلك الجواب قالت لهُ اخوتهُ لله درك من رجل محتال لقد اصبت المقال واخفيت بياض الحق بسواد المحال واقمت الحجة على ما فقد لك من المال وما بقي الا اننا نسير الى الملك زهير في عاجل الحال ونلقي الفتنة بينهُ وبين عنتر ونطلب منهُ تحصيل المال والجوهر وبعد ذلك ينفيهِ الى البر الاقفر فقال الربيع ان هذا الامر لا يتم لنا الآن الا بهلاك ذلك العبد الكشحان الذي اخذ درهمنا في ارض بني شيبان وجاء يشهد علينا في هذا المكان لانهُ ما دام في فسحة البقاء وزمرة الاحياء انكشف امرنا واشتهر وصرنا مثلا في قبائل ربيعة ومضر فمتى هلك واندثر ارتفعت عنا التهمة وساعدنا جميع البشر وحينئذ يقول الملك زهير لو لم يكن بشارة كذاب ما كان غاب وبهذه الوسيلة يخرج عن التعصب لعنتر ويترك الاقل ويتبع الاكثر ثم ان الربيع بعد ذلك استدعى بعبد له يسمى مسروق بن مالك وكان يوصف بالمكر وسل الخيل والهجوم في النهار والليل فلما حضر قال له ويلك انت تدعي

الشطارة واللصوصية والعيارة واريد في هذه الليلة امتحن فعالك وابصر اعمالك فان قضيت حاجتي اعتقتك من رق العبودية وزوجتك بجارية حبشية وتصير صاحب اموال ومضارب وخيول وجنايب فقال قل ما تريد ولا تطلب الا ما يعجز عنهُ كل شيطان مريد قال اريدان تأخذ في صحبتك ما شئت من العبيد ونقصد حي بني عبس الصناديد وتطوف حول ابياتهم سرًّا وتأتيني ببشارة بن منيع قهرًا بحيث لا يعلم احد لا ابيض ولا اسود فان لي في ذلك ارب وبعد ذلك اعطيك ما تشتهي وترغب فقال وحق انعامك ورفعة جاهك ومقامك وما اوليتني من الاحسان والمنن ان خدمتك عندي من جملة الفروض والسنن ثم خرج من عنده وقد طابت منهُ النفس واختار اربعة من العبيد وسار بهم قاصدًا ديار بني عبس وكان وصوله اليهم عند غروب الشمس

قال الراوي وكان الملك زهير قد وفد عليهِ في ذلك النهار جماعة من افاضل العرب الاخيار فتلقاهم بالتوقير والاكرام ولاحظهم بعين الاحترام ونحر لهم النوق والاغنام وعمل لهم وليمة عَلَى غدير ذات الاصاد واستدعى فيها مشايخ العشيرة ومقدمي الاجناد قال وبلغ مسروق خبر وليمة الملك زهير فاستبشر بالنجاح والخير واخفى عبيده في بعض الوديان وقصد ذلك المكان فراى القوم عَلَى غدير الاستوا من شرب العقار ولهم ضجة قد ازعجت الاقطار فقال في نفسهِ هذا وقت قضا الاشغال وبلوغ الآمال فاختلط بين تلك الامم ووقف مع النعمان كانهُ من جملة الخدم وهو يراقب الناس بالنظرة الى ان وقعت عينهُ عَلَى بشارة بن منيع وكان بجانب عنتر ففرح واستبشر فصبر عليهِ حتى قام واوسع في الربي والاكام وهو نشوان من شرب المدام ثم جلس لحاجة فمنعهُ السكر عن القيام وكان الليل قد نشر اجنحة الظلام فانقض عليهِ مسروق انقضاض الباشق عَلَى اضعف الحمام ولفهُ في كساه وسار بهِ الى رفقاه وقال لهم ساعدوني عَلَى هذا الولد الزنا والا اقتلوه ففيهِ نبلغ المنا . فقالوا وحق رب الكاينات ما اخذناه الى الربيع الا وهو في قيد الحياة . ثم حملوه وساروا بهِ في اقطار القفر حتى وصلوا الى الديار عند طلوع الفجر فدخلوا بهِ عَلَى الربيع ففرح لما رآه وانعم عَلَى مسروق واغناه ورفع قدره عَلَى اقرانهِ واذخره في مهمات شانهِ . ثم امر العبيد ان يحفروا له سردابًا في اطراف الخيام ويطرحوه فيهِ حتى يصحو من سكرة المدام فامتثلوا امر الربيع والقوه في ذلك المكان

انتهى الجزء الثاني عشر من سيرة عنترة بن شداد العبسي ويليهِ الجزء الثالث عشر

الجزء الثالث عشر

من سيرة

عنترة بن شداد

الشنيع · ولما كان الصباح اوصى فيهِ جارية من مولداتهِ كان قد رباها مع بناتهِ يقال لها تميمية وكانت عنده في منزلة عظيمة · وقال لها اطعميهِ في كل يوم قطعة من الخبز الشعير واسقيهِ من اللبن غير كثير حتى يعود مولاه من سفرتهِ وارسلهُ الى خدمتهِ فاجابتهُ بالسمع والطاعة ودخلت عليهِ من تلك الساعة فرأتهُ غائبًا عن الوجود وفي رجليهِ السلاسل والقيود فتمكن حبهِ في قلبها واخذ بمجامع لبها فقالت لهُ وقد ضاق صدرها وعيل صبرها من تكون يا غلام وما هي قصتك مع هولاء الاقوام فلما سمع منها ذلك الخطاب ونظر الى ما هو فيهِ من الاثر والعذاب خاف وارتاب وقال واذلاه من هذه النكبة ونزول هذه النازلة الصعبة لقد هلكت ورب الكعبة · ثم حدثها بقصتهِ عَلَى التمام والكمال وكيف انهُ خلص عبلة من يد الربيع ومفرج بن هلال فقالت والله انك عالي الهمم كثير المروة والكرم غيورٌ عَلَى الحرم فماذا تقول في من يخلصك من انياب المهالك و يصطنعك كما اصطنعت عبلة بنت مالك فقال لها اقدم لك الشكر مدى الايام والسنين وفعلت ما قدرني عليهِ رب العالمين قالت انا لا اريد منك مالاً ولا نوقًا ولا جمالاً وما اريد الا ان تحلف لي بمحيي العظام انك تعاهدني عَلَى الوفا وحفظ الزمان وتكون لي حبيبًا عَلَى طول الايام فلما سمع منها ذلك الكلام قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام اني اصرف بقية عمري في خدمتك واقوم بحقوقكِ وحفظ حرمتكِ وسوف ترين مني من الصداقة والمحبة والمروة والصحبة ما تنسين بهِ كل صديق وتفضلين بهِ الصاحب الجديد عَلَى العتيق فعند ذلك تقدمت اليهِ وحلتهُ من الوثاق وقد صار عندها من اعز الاحباب والعشاق ثم جاءت لهُ بالماكولات والمشروبات وكشفت عنهُ تلك الكروب واستمرت عليهِ ثلاثة ايام وهو في انبساط واكرام وكان كلما سالها الربيع عنهُ تقول لهُ ايها السيد الماجد طب نفسًا وقرعينًا فاني لا اغفل عنهُ رقدة راقد ولا اكشف خبره

لقائم او قاعد وفي اليوم الرابع سالها بشارة العودة الى بني عبس والاخلاص من ذلك العارض النحس فقالت امهل على حتى ادبر لك هذا الامر كما تريد ولا يعلم بنا احد من الاحرار والعبيد ثم انها اجتمعت باخ لها يقال لهُ جمعة بن عبده وكان يعشق امة في بني عبس من بني سعدى وكان لا يقدر عَلَى الوصول اليها فكان ياتي الى اختهِ ويقص حديثهُ عليها فقالت لهُ ما تقول بمن يزوجك بمحبوبتك في الحال ومعها قطعة من النوق والجمال قال اني اكون عبداً لهُ مدى الايام لان قلبي كان التهب بنار الغرام فحدثتهُ بحديث بشارة وكشفت لهُ عن تلك العبارة وكيف ان الربيع امر بحفر ذلك السرداب وغطاه برحال الجمال والاقتاب وامرني ان اتفقده بالطعام والشراب وقد رق قلبي عليهِ لما هو فيهِ من الحزن والاكتئاب فان كنت تريد بلوغ قصدك ومرادك والوصول الى منية قلبك وفوأدك فاقصد عنتر وادخل عليهِ وقبل يديهِ ورجليهِ وحدثهُ بخبر بشارة بن منيع وانهُ في اسر عمارة والربيع فالمان قلبهُ وطابت منهُ النفس وسار من وقتهِ طالب ديار بني عبس الى ان دخل عَلَى عنترة واعلمهُ باسر بشارة بن منيع كما تقدم الخبر ووصف لهُ ذلك السرداب وكيف ان الربيع سد بابهُ بالرحال والاقتاب فلما سمع عنتر منهُ ذلك الخطاب انشرح صدره وطاب وزالت عنهُ الهموم والاوصاب وقال لهُ ابشر بالخير وزوال الهم والضير . وقال الراوي وكانت محبوبة ذلك العبد لرجل من جماعة عروة بن الورد فارسل عنتر اليهِ واحضره بين يديهِ وطلبها منهُ فاحضرها في الحال ومعها قطعة من النوق والجمال فزوج عنتر الجارية بذلك الغلام وافتحهُ بالمال والانعام . ثم استدعى بشداد ابيهِ ومن يلوذ بهِ وقال قد ظهر خبر بشارة وهو الان في ديار بني فزارة في اسر الربيع وعمارة وانا اقسم برب العباد الذي اهلك قوم ثمود وعاد ان لم ينصفني الملك زهير من الربيع بن زياد لا عرفتهُ من هو اقدر عَلَى الشر والعناد بعد ما اذال رقاب الاعداء والحساد وارمل النساء وايتم الاولاد واخذ حقي بالسيوف الحداد والرماح المداد وارسل من هذه البلاد . ثم انهم ساروا الى الملك زهير وسلموا عليهِ وتمثلوا بين يديهِ فرد عليهم السلام واكرمهم غاية الاكرام واخذ معهم في الحديث والكلام فقال مالك ابو عبلة اعلم ايها الملك المعظم صاحب المناقب والهمم المتسلط عَلَى رقاب الامم والمنصف المظلوم ممن تعدي وظلم الذي بهيبتك ترتفع الحوادث والفتن وبذكرك تزول المخاوف والمحن ولولاك لانحل النظام وتساوي الخاص والعام وشمل الناس الخوف والفزع وعم الاضطراب والهلع اني مذ ايام تمثلت بين يديك في هذا المقام

وعرضت عليك قصتي وطلبت منك المساعدة في تحصيل مال ابنتي فاتهمتنا بفقد بشارة وصدقت فينا كلام الربيع وعمارة والان بشارة في حبس الربيع يقاسي العذاب الشنيع ونريد ان تعاملنا بالانصاف والحق وتجازي المتعدي عَلَى قدر ما يستحق فلما سمع الملك زهير ذلك الخبر استشاط غضباً وتكدر وقال ان هذه القصة ماتنفصل الا بهتك الحرائر والاماء لا بالقتل وسفك الدماء فقال عنتر ايها السيد المفضال انت تعلم بخبث الربيع ومافيهِ من المكر والاحتيال فلما راى من بشارة مالم يكن لهُ في بال خاف من انكشاف الحال فاحتال عليهِ حتى اوقعهُ في شرك الاعتقال وان لم ندركه قتلهُ واهلكه ٠ قال الملك زهير وهل مرادك ان تسير الى بني فزارة وتلقي السيف في القوم لاجل بشارة فقال عنتر لا وحق الملك الديان يا ملك الزمان اني لا اخرج بكلامي مع القوم عن حدود الادب ولا اظهر لهم شيئاً من الغيظ والغضب غير ان مرادي اطالب الربيع بمالي فاذا امتنع واحتشدت لهُ بنو فزارة وطلبت قتالي حينئذٍ اكون مضطراً للمدافعة عن حالي وان شئت ارسل معنا من تثق اليهِ حتى يشهد علينا وعليهِ فعند ذلك نهض شاس واخوه مالك وقالا ايها الملك نحن نسير مع هولاء القوم في هذا اليوم ولانعود حتى ينفصل الامر امام الشيخ بدر ابن عمرو فاذن لهما وقال اذهبا واسمعا ما يدور بينهم من الايراد واصلحا بمعرفتكما ما انطوت عليهِ ضمائرهم من الشر والفساد قبل ان يعظم الامر يزداد فركبوا في عاجل الحال واخذوا في صحبتهم خمسين رجلاً من الابطال وركب عنتر مع اعمامهِ وعروة بن الورد في عشرين من اقوامهِ فلما صاروا في اطراف البيوت قال عنتر لعروة يا صاحب المروءة والنخوة اريد من فضلك واحسانك ان ترسل طلب خمسين رجلاً من اخص فرسانك وتامرهم ان يلحقونا ويكمنوا في وادي اليعمورية حتى نرى كيف تنتهي هذه القضية لاني اعلم بحماقة حذيفة بن بدر وماهو فيهِ من الخبث والغدر فاجابهُ بالسمع والطاعة وارسل في طلب الرجال من تلك الساعة

قال الراوي وبعد ذلك سار القوم يقطعون القفار حتى اقتربوا الى تلك المنازل والديار وارتفع غبارهم وظهر فركبت الفرسان لتكشف وفي اوائلهم حذيفة والربيع بن زياد وجماعة من المشايخ الذين عليهم الاعتماد وما خرجوا من اطراف المضارب حتى اشرفت عليهم فرسان عبس كالسلاهب ولما وقعت العين عَلَى العين سلمت الطائفتان عَلَى بعضهما البعض وقال الربيع لعنتر اهلاً وسهلاً بابن زبيبة هل ندمت الان افعالك القباح ثم اتيت تعتذر لنا وتطلب السماح فقال لهُ عنترة يا اخبث العرب وقليل المروءة

والادب من هو الذي يفعل القبيح الا الذي يسلم ابنة عمهِ الي الغرباء والاجانب وينسي حوادث الدهر والمصائب ويلك كم من مرة خلصتك من انياب المعاطب وكشفت عنك الاهوال والنوائب وانت مع ذلك لا ترجع عن الخبث والفساد فسوف تكون سبباً لقلع اثار بني زياد فقال الربيع هذا كلام لا اصل لهُ ولا اريد ان اسمع بهِ ولا اقبلهُ فلو كنت منصفاً لرديت لي مالي الذي اخذتهُ او احضرت بشارة الذي اني رشوتهُ قال وكان كلام الربيع استدفاعاً وخوفاً من شر عنترة وما علم بان عنترة ما اتى الا وعنده حقيقة الخبر فقال لاولاد الملك زهير اشهدوا عَلَى مقال الربيع ثم انهُ همز بالجواد حتى وقف عَلَى باب السرداب الذي فيهِ بشارة بن منيع وقال لاخيهِ شيبوب انزل الى هذا المكان واخرج ذلك الرجل الغريب حتى يراه البعيد والقريب فلما علم الربيع ان امرهُ قد انكشف خفق فواده من شدة الخوف وانجف والتفت الى حذيفة بن بدر وقال ايها الامير والسيد الخطير انقبل بهذا الذي جرى وانت تشاهد وترى فوالله ما اتى هذا العبد الا وهو طالب نهب اموالنا وسبي حريمنا وعيالنا ونحن في جوارك ونازلون بدارك فلما سمع حذيفة كلام الربيع اخذتهُ الحمية وعصفت براسهِ النخوة الجاهلية فعاد الى ابياتهِ وغاص في سلاحه وتاهب لحربهِ وكفاحهِ وركب عَلَى حجرتهِ طيفور وقد عظمت عليهِ الامور ثم صاح في بني فزارة فركب معهُ نحو ستمائة نفر من اهل القوة والجسارة من جملتهم الربيع وعمارة وتبعتهُ النساء والعبيد بالعصي والحجارة هذا وحذيفة يقول للربيع اليوم اخذ لك بالثار واكشف عنك العار ولا اترك من بني قراد من ينفخ بنار ثم انشد يقول

ايذلُّ عبدُ بني قرادٍ جاري	وانا عَلَى متن الجواد الجاري
كلاَّ ورب الراقصات الى منى	كلاَّ وحقِّ القادرِ الجبارِ
يا آل بدرٍ بادروا اعداءكم	بالمشرفيِّ وبالقنا الخطارِ
حتى نبيد بني قرادَ ويشتفي	قلبُ الربيعِ بعبده الغدَّارِ
تباً لقومٍ الحقوا سادتهم	بعبيدهم وتجللوا بالعارِ
فعلى عقابهمِ المذلةُ اصبحت	والذلُّ يزرِ بالهزبري الضاري
وبنو زيادٍ للجمالِ عليهم	حللٌ يطرزها العلي بفخارِ
قومٌ اذا ركبوا لحرب اضرموا	في كلِّ ارض قسطلاً من نارِ

قال الراوي فلما سمع الربيع مدحه وثناه زاد في مكره ودهاه واجابهُ عَلَى شعره يقول

لله درك يا ابا جحار من ضيغم يوم الكريهة ضاري
بادرتني لما رايت مذلتي ونجدتني لما مضت انصاري
يا من اذل بسيفه اهل الورى يا ذا العلا يا قاهر الفجار
يا من اذا سل الحسام بكفه نهب النفوس بحده البتار
يا من يصيد الاسد في يوم اللقا صيد العقاب لاضعف الاطيار
من كان هذا العبد حتى انهُ يغشي ديارك او يلمُّ بدار
فاطعن برمحك قلبهُ وافتك بهِ حتى يقر مع الزمان قراري

قال الراوي وفي دون ساعة اقبل حذيفة بفرسان الكفاح وليوث البطاح وانقلبت الارض بالضجيج والصياح ولمعت الاقطار ببيض الصفاح هذا وعنتر واقف عَلَى باب السرداب كانهُ اسد الغاب حتى خرج شيبوب ببشارة بن منيع امام الجميع وسار بهِ بهمة وحمية الى وادي اليعمورية هذا والخيل انطبقت عَلَى عنتر بقلوب اقسى من الحجر ولطمتهُ مثل موج البحر اذا زخر فلما نظر عنترة الى ذلك الحال تغيرت منهُ الاحوال وهاج كما تهيج فحول الجمال وقال لاولاد الملك زهير انتم مقلون من السلاح فلا تباشروا القتال وانظروا ما يجري بيني وبين هولاء الانذال ثم الوى عنان جواده الابجر ولعب برمحهِ الاسمر وهمهم وزمجر واستقبل اول العسكر وانشد وقال

يا بني الانذال مثلي ما يقع فدعوا هذا التمادي والطمعْ
لا تظنوا جمعكم ينفعكم انما الجمع اذا قلَّ نفع
انتمُ في الحرب بهمٌ رتعٌ وانا الليثُ اذا الحربُ وقعْ
انتمُ شبهُ سرابٍ لامعٍ وانا مثلُ سحابٍ قد همعْ
انتمُ شبهُ هشيمٍ بالفلا وانا الريحُ اذا البرق لمعْ
جرتمُ لما عدلنا فيكمُ وكثير العدلِ يأتي بالطمعْ
سوف القاكم بسيفي والقنا واجرعكم من الموتِ جرع
فاسرعوا من اي قطرٍ شئتمُ لحسامي كيف ما مال قطعْ

ثم انهُ حمل عَلَى اصحاب الخيول السبق وصاح فيهم وزعق ولمع حسامهُ وبرق وارتفع الغبار وتسردق وقاتل قتال الحنق وقد بسيفهِ الدروع والدرق ونثر الكفوف عَلَى الارض مثل نثر الورق فلما رات اعامهُ ما فعل اقتحمت الغبار وقاتلت معهُ قتال من قد استقتل وطعنت في الصدور والمقل لانها ابصرت من فعاله ما انساها فعل الجبابرة الاول هذا

وعنتر يصول ويجول ويطرح الابطال في العرض والطول وينشد ويقول

احن الى ضرب السيوف القواضب ... واصبو الى طعن الرماح الكواعب
واشتاق كاسات المنون اذا صفت ... ودارت عَلَى راسي سهام المصائب
ويطربني والخيل تعثر بالقنا ... حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضرب وطعن تحت ظل عجاجة ... كجنح الدجى من وقع ايدي السلاهب
تطير رؤوس القوم تحت ظلامها ... وتنقض فيها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب ... كلمع بروق في ظلام الغياهب
لعمرك ان المجد والفخر والعلى ... ونيل الاماني وارتفاع المراتب
لمن يلتقي ابطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبني بحد السيف مجداً مشيداً ... عَلَى فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يروّي رمحهُ من دم العدى ... اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطي القنا الخطي في الحرب حقهُ ... ويبري بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة ... وان مات لا يجري دموع النوادب
فضائل عزم لا تباع لضارع ... واسرار حزم لا تذاع لعائب
برزت بها دهراً عَلَى كل حادث ... ولا كحل الا من غبار الكتائب
فلا تصطلوا من نار حربي فانما ... مواقدها هام الملوك الاغالب
ساضرمها ناراً يخاف شرارها ... عَلَى حصبات الجو طير الجنادب
بكل همام من بني عبس ضيغم ... يرى الموت حلواً عند هول المعاطب
يقاتل مسروراً بما هو مدركٌ ... فتحسبهُ للبشر غير محارب
اذا كذب البرق اللموع لشايم ... فبرق حسامي صادق غير كاذب

قال الراوي وقاتل عنتر اشد قتال وبذل روحه للاسنة العوال وخطف مهج الابطال ومدد الرجال عَلَى الرمال وفعل فعالاً تعجز عنها صناديد الرجال وابصر حذيفة من عنتر طعناً يخطف البصر وضرباً لا يبقي ولا يذر فانذهل وتحير وهجم عليهِ هجوم الاسد الغضنفر فتلقاه عنتر بالضامي الابتر وزمجر في وجههِ كما تزمجر الاسود في الآجام واخذا في الضراب والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام وما زال كذلك الى ان كلّ حذيفة ومل وهان بعد عزه وذل فعندذلك هجم عليهِ عنتر هجوم الذيب عَلَى الغنم وضرب راس مجرتهِ بالسيف فبراها كبري القلم فوقع حذيفة الى الارض وانحطم وايقن

بالهلاك والعدم وعض عَلَى كفيهِ من شدة الاسف والندم وصاح فيه عنتر قم ياويلك
واطلب قومك واهلك ولا ترجع الى قتالي فتهلك فعند ذلك حاط بحذيفة جماعة من
اقوامهُ وحملوه الى خيامهُ ووقعت هيبة عنتر في قلوب الرجال ولولا الربيع لكانوا تفرقوا
في بطون الاودية ورؤُوس التلال لانهُ كان يخيهم بالكلام ويحذرهم من العار
والملام فقاتلوا اشد قتال وصادموا اعظم صدام وحملوا بهمة قوية واطبقوا عَلَى الفرقة
العبسية وفي ايديهم السيوف والحجف واتصل الضرب بينهم واختلف وقطر الدم وكف
وطلع الغبار وانعكف فلما رات ابناء الملك زهير شدة الحرب خافا عَلَى عنتر من الطعن
والضرب فاطلقا اعنة خيلهما وطلبا اباهما ليعلماه بالقضية وعبرا في طريقهما عَلَى وادي
اليعمورية وقالا لرجال عروة ادركوا مقدمكم وعنتر لانهما في معركة الخطر فخرجوا
يتسابقون الى بني فزارة كانهم الطيور الطيارة وكان شيبوب قد وصل اليهم ببشارة
فتركهُ في الوادي وكر راجعاً مع الفرسان حتى اشرفوا عَلَى ذلك المكان فراوا الخيول
معتركة والفرسان عَلَى ظهورها مشتبكة وعنتر في ضيق الخناق وهو يطعن في الصدور
والاماق فصاحوا عند ذلك وتجرعوا للمانعة واحتشدوا للمقارعة والمدافعة واقتحموا معركة
الكفاح وهزوا في ايديهم قطع الرماح وردوا الحملات المتداركة وهتكوا صدور الفرسان
بطعنات نافذة ونثروا رؤُوس الابطال والسادة بضربات اخف من هبوب الرياح
العاصفة وكان الربيع قد ضايقهُ عنتر غاية الضيق وسد عليهِ كل مذهب وطريق فلما
رأَى ذلك الحال خاف عَلَى نفسهِ من الهلاك فارتد الى الوراء وقصد جوانب الصحراء
فطلبهُ عنتر واطبق عليهِ وفاجأَه وطعنهُ بعقب الرمح في قفاه فكسر له ضلعين والقاه
الى الارض ابعد من رمحين فغاب من تلك الطعنة وما فاق عَلَى نفسهِ حتى كان عروة
قد شد كتافهُ واوثق سواعده واطرافهُ فلما راى عمارة ما حل باخيهِ هدر وزمجر
وطار من عينيهِ الشرر وهجم عَلَى عنتر فرمى شيبوب جواده بنبلة فوقع وانطرح عَلَى
بساط الارض وانصرع فادار يديهِ الى الكتاف وقد اترسخت منهُ المفاصل والاطراف
وما زال عنتر يطاعن ويضارب ويلتقي بصدره اسنة الرماح الكواعب حتى فرق الكتائب
ونكس المواكب . قال الراوي وبعد ذلك ولت بنو فزارة عَلَى ادبارها نفوراً وحكم الله
بما كان مقدوراً ورجع عنتر ظافراً منصوراً الى ان وصلوا الى وادي اليعمورية
وكان بشارة بانتظاره هناك ليرى عَلَى اي حال تنتهي القضية فلما وقعت عينهُ عَلَى بني
زياد وهم في القيود والاصفاد فرح الفرح الشديد الذي ما عليهِ من مزيد وتقدم الى

عنترة وهناه بالظفر والنصر ودعا له بالنجاح وطول العمر وقال اريد منك ياسيد الابطال ان اسبقك الى الاطلال وفي صحبتي هولاء الانذال حتى اشفي منهم غليل فوادي وانال غاية مرادي وتراهم مولاتي عبلة ومن هناك من نساء الحلة فامر له بذلك فسار بهم وقد جد في قطع الطريق وهو يضربهم بالسياط حتى مزق جلدهم تمزيق وسار عنتر بعد ذلك سير الامان حتى قرب من الاوطان فالتقى بالملك زهير وهو قاصد ديار بني فزارة وغطفان ليكشف عن حقيقة الخبر لانهُ كان قد سمع من ولديهِ شاس ومالك بما جرى عَلَى عنتر فلما التقى بهِ قص عليهِ قصتهُ وهو سائر بين اهله وعشيرتهِ ٠ قال الراوي ولما وصل بشارة بن منيع الى الحي في بني زياد وفي رجليهم السلاسل والاصفاد نادى هذا اقلُّ جزاء لمن يسبي البنات ويبعدهنَّ عن الاوطان والابيات وبلغ الامير قيس ذلك الخبر فاستشاط غضباً وتكدر فنهض في الحال بجمهورٍ من الفرسان وقصد ذلك المكان فلما رآه الربيع صاح واحرباه يا بني الاعمام من جور العبيد اولاد اللئام فصرنا نضرب و نهان ويحل بنا الذل والهوان اين نخوة الرجال النجباء ومودة الاهل والاقرباء فاسود النهار في عيني قيس حتى صار كالظلامِ وهجم عَلَى بشارة بن منيع وضربهُ صفحًا بالحسام ثم نزل عن ظهر حجرتهِ واطلق الربيع واخوتهِ وطلب ابيات بني قراد ليشفي منهم غليل الفواد واذا بابيهِ قد اقبل في ذلك الوقت مع عنترة بن شداد وعروة بن الورد وباقي الفرسان الاجواد فعند ذلك صاح بقيس وقال له ما هذا الجهل بعد الشهامة والعقل فقال قيس واي عقل يبقى للانسان اذا راى سادات قومهُ بالذل والهوان ٠ ثم تقدم اليهِ وقص تلك القصة عليهِ فلما سمع الملك زهير ذلك الخبر انذهل وتحير وخاف من حدوث الشر ووقوع الفتن والضر فقال لعنتر لقد اقتريت وظلمت وتعديت فارحل بقومك من هذه الديار والا تركتنا احدوثة بين الناس ما طرد الليل والنهار قال عنتر السمع والطاعة وانا ارحل بقومي من هذه الساعة فان قدرت خلصت مالي بحد الحسام وبلغت غاية القصد والمرام ثم تذكر بفعل الربيع وما فعله في حق بشارة بن منيع وقول الملك زهير له ارحل من الاطلال مع من يلوذ بك من الرجال فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكنتم في ضمائره فانشد وقال

اظلمًا ورمحي ناصري وحسامي وذلاً وعزي قائد بذمامي
ولي بأْس مُفتولِ الذراعين خادرٍ يدافعُ عن اشباله ويحامي
واني عزيزُ الجار في كل موطنٍ واكرمُ نفسي ان يهون مقامي

هجرتُ البيوتَ المشرفاتِ وشاقني بريقُ المواضي تحت ظلِّ قتامِ
وقد خيروني كاسَ خمرٍ فلم ارد سوى لوعةٍ في الحربِ ذات ضرام
سارحلُ عنكم لا ازورُ دياركم واقصدها في كل جنح ظلامِ
واطلب اعدائي بكل سميدعٍ وكل هزبر في اللقا همامِ
منعتُ الكرى ان لم اقدها عوابساً عليها كرامٌ في سروج كرامِ
تهزُّ رماحاً في يديها كانما سقين من اللباتِ صرف مدامِ
اذا اشرعوها للطعان حسبتها كواكب نهديها بدور تمامِ
وبيض سيوفٍ في ظلال عجاجةٍ كقطرِ غوادٍ في سواد غمامِ
الا غنيا لي بالصهيل فانهُ سماعي ورقراق الدماء ندامي
وحطا عَلَى الرمضاء رحلي فانها مقبلي واخفاقُ البنود خيامي
ولا تذكرا لي طيب عيش فانما بلوغ الاماني صحتي وسقامي
وفي الغزوِ التي ارغدَ العيش لذةً وفي المجدِ لا في مشربٍ وطعامِ
فما ليَ ارضى الذل حظاً وصارمي جريٌّ عَلَى الاعناق غير كهامِ
ولي فرسٌ يحكي الرياح اذا جرى لابعدِ شأوٍ من بعيد مرامِ
يجيب اشارات الضمير حساسةً ويغنيك عن سوطٍ له ولجامِ

قال الراوي فقطع قيس كلامهُ ولم يدعهُ يتمم نظامهُ وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الامة الخناقد وجدت عبلة في بني شيبان واتيت تطلب ما كان عليها من بني عبس وعدنان فقال عنتر سوف تصل اليك افعالي متى تصرفت في احوالي وسكنت في البراري الخوالي وحينئذ تبان لك العبيد من الموالي ثم عظم عليهِ الحال فانشد وقال

لا تقتضِ الدين الا بالقنا الذبلِ ولا تحكم سوى الاسيافِ في القلل
ولا تجاورْ لئاماً ذلَّ جارهم وخلهم في عراصِ الدار وارتحل
ولا تفرَّ اذا ما خضتَ معركةً فما يزيدُ فرار المرء في الاجلِ
ياعبلَ انتِ سوادُ القلبِ فاحتكمي في مهجتي واعدلي يا غايةَ الاملِ
وان ترحلتُ عن عبسٍ فلا تقفي في دار ذلٍ ولا تصغي الى العذلِ
لانَّ ارضهم من بعد رحلتنا تبقى بلا فارسٍ يدعى ولا بطلِ
سلي فزارةَ عن فعلي وقد نفرتْ في جحفلٍ حافلٍ كالعارض الهطلِ
تهزّ سمرُ القنا حقداً عليَّ وقد رات لهيبَ حسامي ساطع الشعلِ

يخبرك بدر بن عمرو انني بطلٌ ... القي الجيوش بقلبٍ قدَّ من جبلِ
قاتلتُ فرسانهم حتى مضوا فرقًا ... والطعنُ في اثرهم امضى من الاجل
وعاد بي فرسي يمشي فتعثره ... جماجمٌ نفرت بالبيضِ والاسلِ
وقد اسرت سراة القومِ مقتدرًا ... وعدتُ من فرحي كالشاربِ الثملِ
يا بين روَّعتَ قلبي بالفراق وما ... ابكي لفرقة اصحاب ولا طلل
بل من فراق التي في جفنها سقمٌ ... قد زادني عللاً منهُ عَلَى عللي
امسي عَلَى وجل خوف الفراق كما ... تمسي الاعادي من خوفي عَلَى وجلِ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من كلامهِ التفت عَلَى ابيهِ واعمامهِ وقال لهم هدوا اطنابكم وشدوا اقتابكم وارحلوا بنا في عاجل الحال من هذه الديار والاطلال حتى يرتاح قلب الملك زهير منا و يبلغ الامير قيس بجميهِ الربيع ما يتمنى ثم انشد وقال

لاي حبيبٍ يحسن الرأي والودُّ ... واكثرُ هذا الناس ليس لهم عهدُ
اريدُ من الايام ما لا يضرها ... فهل دافع عني نوائبها الجهدُ
وما هذه الدنيا لنا بمطيعةٍ ... وليس لخلقٍ من مداراتها بدُّ
تكونُ الموالي والعبيدُ لعاجزٍ ... ويخدمُ فيها نفسهُ البطلُ الفردُ
وكلٌّ قريبٌ لي بعيد مودةٍ ... وكل صديقٍ لي بين اضلعهِ حقدُ
فللهِ قلبٌ لا يبل غليلهُ ... وصالٌ ولا يلهيهِ من حلهِ عقدُ
يكلفني ان اطلب العز بالقنا ... واين العلى ان لم يساعدني الجدُّ
احبٌّ كما يهواه رمحي وصارمي ... وسابغةٌ زغفٌ وسابقةٌ نهدُ
فيالكَ من قلبٍ توقد في الحشى ... ويا لك من دمع غزيرٍ له مدُّ
وان تظهرَ الايام كل عظيمةٍ ... فلي بين اضلاعي لها اسدٌ وردُ
اذا كان لا يمضي الحسام بنفسهِ ... فالضارب الماضي بقايمهِ حدُّ
وحولي من دون الانام عصابةٌ ... توددها يخفي واضغانها تبدو
يسرُّ الفتى دهرٌ وقد كان ساءهُ ... وتخدمهُ الايام وهو لها عبدُ
ولا مال الا ما افادكَ نيلهُ ... ثناءً ولا مالٌ لمن لا له مجدُ
ولا عاش الاَّ من يصاحب فتيةً ... غطاريف لا يغنيهم النحس والسعد
اذا طلبوا يومًا الى الغزوِ شمروا ... وان ندبوا يومًا الى غارةٍ جدوا
الا ليت شعري هل تبلغني المنى ... وتلقي بي الاعداء سابحةٌ تعدو

جوادٌ اذا شق المحافل صدره يروح الى ظن القبائل او يغدو
خفيت عَلَى اثر الطريدة في الفلا اذا هاجت الرمضاء واختلف الطرد
ويصحبني من آل عبس عصابةٌ لها شرف بين القبائل يمتدُّ
بهاليل مثلُ الاسدِ في كل موطنٍ كأنَّ دم الاعداء في فمهم شهدُ

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام امتثلوا ما امرهم بهِ من الكلام وانفصلوا يطلبون الخيام واذا بالصياح قد ارتفع والنهب في ابياتهم قد وقع فتراكضوا عَلَى الخيول ليكشفوا الخبر وعادت عينا عنتر من الغيظ تقدح الشرار وهو يقول قد اظهر العداوة لنا بنو عمنا وظلموا بنا لحلمنا وطلب هو ومن معهُ الخيام وكل منهم قد جرد الحسام وعولوا ان يلقوا في الحلة الشر الفظيع لاجل قيس وحميهِ الربيع وكان السبب في هذه الاثارة الربيع واخوه عمارة وذلك ان عمارة بعد ذهاب قيس من هناك تخيلت له محاسن عبلة فهان عليهِ الهلاك فدخل منازل بني قراد لعله يجد غفلة او ينال من عبلة قبلة ودخل معهُ اخوه الربيع فوجد شيئاً من الامتعة التي استجلبها من العراق منشوراً هنالك فقال يا للعرب هذه امتعتي التي اخذت مني عَلَى ركايا مالك وقد سلمت من هذا النسل الخسيس الهالك ووجد الصناديق وعليها الاقفال فحركها فوجدها ثقيلة فقال المال حلال فلم يضع لي شيء وقد ازداد مال بمال وكان للمركب قيس لخلاص بني زياد تبعهُ جماعة من العبيد الجواد وكلهم بالسيوف الحداد فقال لهم الربيع هذا مالي دونكم اياه فان الملك النعمان اعطاني اياه وقد اخذه مني هذا الولد الحرام فاذهبوا بهِ ولكم فيهِ اوفي الاقسام فلما دخلت العبيد تصايحت النسوان بالويل والثبور واذا بدخول عنترة ومن معهُ لكشف تلك الامور ورأى الملك زهير ان الفتنة كادت تنتشب ونار الحرب تلتهب فصاح عَلَى اولاده اسرعوا الى بيوت بني قراد وافصلوا بينهم وبين بني زياد ودعوا عنترة يرحل عنا بسلام قبل ان تقع الفتنة بين الاقوام فقال قيس انا اضمن رد بني زياد وقال شاس ومالك ونحن نضمن رد بني قراد وعنتر بن شداد فاسرعوا عَلَى ظهور الجياد وادركوا الفتنة قبل الانقاد وردوا عنتر بعد ان كان عول عَلَى قتل بني زياد ثم قال شاس لعنتر يا ابا الفوارس ان فراقك عندي كفراق الروح للجسد ولكن ما لقضاء الله من مرد فلا يضق صدرك ولا يهمك امرك فان بني عمك قول كل منهم ان يتبعك وانت تريد عبلة وهي معك وانا اعلم ان ابي يندم عَلَى هذه الفعال وان ما ذهب لك يرجع اليك بعد تقبيل يديك ورجليك فقال عنتر قد اخذت مال الربيع والآن

رجع اليهِ واخذ مالي ايضاً فصار الجميع بين يديهِ ولكن سيرى كيف اخلصها منهُ ولو احتمى له ملك النعمان وحارب عنهُ فقال شيبوب يا اخي بارك الله للربيع بالصناديق وما فيها ظاهرها وخافيها فقال عنتر ولماذا تقول هذا فقال لان ليس فيها مال بل حجار ورمال وذلك ان شيبوب لما اخذ الربيع وعمارة وسار بهما من وادي اليعمورية فلما دخل بهم بشارة الى المضارب سبق شيبوب وفرغ الصناديق وخبا ما فيها من الاموال وملاها من الحجارة والرمال وبقيت حتى رآها الربيع ثقيلة وقال قد زاد مالي بمال ولما وصلت الى بيت قيس فتحها الربيع فلم يجد شيئاً مما كان يتمناه فقال هذا فعل شيبوب قبح الله وجههُ وثناه

هذا ما كان من الربيع بن زياد واما ما كان من عنترة بن شداد فانهُ امر العبيد ان يشدوا الهوادج عَلَى الجمال ويشيلوا الحريم والعيال وقد نادى عروة في رجاله بالارتحال فلم يمضِ غير ساعة من الليل حتى صاروا عَلَى ظهور الخيل وارسلوا قدامهم المال والنسا واستمروا لوقايتهم وراوا الاهلة تلمع كالنجوم الطوالع وعنتر واقف وعيونهُ كانها البروق اللوامع ثم قال لهم اطلبوا ارض العراق وتلك البقع وستعلمون عند الصباح ماذا يقع فتقدم شيبوب امام الخيل وصارت وراه تتدفق مثل السيل وتاخر عنتر وعروة بخمسين فارساً معهما احتساباً لامر يتم عليهما ثم قال عنتر لابيهِ واعمامهِ تقدموا انتم وانا اذهب الى ارض بني فزارة واسوق اموال الربيع وعمارة واكافيهم عما خسرونا باعظم خسارة ثم نلحق بكم عَلَى هذه الاشارة . فقال شيبوب وحق ذمة العرب قد كنت زمعت ان اشير عليك بهذا السبب فقال عنتر حقاً يا ابن الام ما يشفي قلبي الا ضرب الحسام في اعناق هولاء اللئام ولا بد ان اقيم الحرب عَلَى قدم وساق حتى اخرب ارض العراق فصبر حتى تبلج الصباح وتبسم بنوره ولاح وسار حتى اشرف عَلَى مراعي بني فزارة وشن عليها الغارة وامر عروة بن الورد ومن معهُ من الرجال ان يسرعوا ويسوقوا المال واعمل في اقفية العبيد ضرباً كلهيب النار فساقوا الاموال مجدين في تلك القفار فقال عنترة لعروة دع ثلاثين فارساً تذهب مع هذا المال والعبيد بالعجل وانا وانت نقف هنا عَلَى مهل فامر عروة الرجال ففعلوا كما اشار عنتر وامر واقاما هناك وكان قد وصل الى بني فزارة وبني زياد الخبر بان المال والعبيد صارا في يد عنتر بن شداد فركب حمل بن بدر مع بني فزارة الاقيال وركب بنو زياد مع من حضر من الابطال اما حذيفة فانهُ كان لم يزل ضعيفاً من الوقعة الاولى لما ضرب عنتر رقبة حجرتهِ فتاخر

عن الركوب وارسل اخاه حملاً ليسد غيبتهِ ٠ وركب من الفرسان نحو ستمائة فارس وساروا كالاسود العوابس ومع الربيع من اخوتهِ اربعة والخيل وراهم متتابعة ولما اقبلوا عَلَى عنتر هجم عليهم كالاسد المظفر وما مضت مدة يسيرة حتى القى منهم عَلَى الارض فرساناً كثيرة ومال عليهم عروة بن الورد بفرسانهِ فتركوا كلاً منهم مكبلاً بهوانهِ وعاد عنترة يقول يا انذال العربان نحن اخذنا اموال اعدانا فلماذا اتيتم انتم طالبين فانا ابشروا بخيبة امالكم وتعجيل اجالكم فراى حمل بن بدر ذلك المصير وكان ممن يوصف بجودة العقل والتدبير فقال لرجالهِ وجندهِ واقيالهِ يا بني العم انتم تعلمون ان عنترة بطل همام وانهُ في كل حرب مقدام وبينهُ وبين بني زياد عداوة لا تنفصل وكلٌ من دخل بينهم قتل وانا وعلمت ان عنترة هو الذي اخذ المال ما خرجت ولا تعرضت لقتال لانهُ رجل لا يخشى الموت ولا يفوتهُ من اعاديهِ فوت واذا مالت عليهِ الاعداء كالجبال احل بهم الوبا والوبال والصواب اننا لا نتعرض لهُ بقتال فقال اكثرهم هذا هو الصواب والراي الذي لا يعاب فرجع حمل وقومهُ ومن معهُ من الرجال وتركوا بني زياد في ضنك تلك الحال فبلغ عنترة مراده وفعل كل ما اراده وقتل منهم ثلاثين فارساً مقداماً وتركهم عَلَى الارض حطاماً فارتد بنو زياد عَلَى الاعقاب وتشتتوا فراراً في تلك الشعاب فرجع عنترة عنهم عند ذلك وسار قاصداً ركابا بني مالك لانهُ كان امر قومهُ بالنزول هنالك ولما وصل قام للقائهِ جميع بني قراد وهنأوهُ بالسلامة من الحرب والجلاد واخذ يخبرهم بما فعل في بني زياد واقاموا جميعاً في تلك الاطلال يتشاورن عَلَى النزول في محل منيع بين تلك الجبال فقال عنترة لا بد لي ان اقصد بلاد العرلمق وانزل عَلَى الغدران القريبة من تلك الافاق حتى اقرب من بني شيبان وافني منهم الشيوخ والشبان فقال شداد افلا تخشى يا ولدي من الملك النعمان فاجابهُ لا وحق مكوّن الاكوان وملوّن الالوان ولا من كسرى انوشروان ولا من الانس والجان فقال شيبوب ان رمت هذا المرام وعولت عَلَى خصام الملوك العظام سيروا حتى انزلكم في جبال الردم ووادي الرمال الذي عَلَى بابهِ عشرة من الرجال يحمون نفوسهم ومن معهم من الوف من الابطال وحينئذٍ عادي من تريد من الاقيال فقال شداد وحق رب الارباب لقد صدق شيبوب وهذا هو الصواب لاني سمعت بهذه الجبال والوديان ان الخائف يأمن فيها من طوارق الحدثان وفي نصف الليل ساروا طالبين الوادي الذي ذكرنا والجبال التي وصفنا ٠ قال الراوي هذه الجبال مقابلة العراق في اطراف الحجاز

وتسمى اليوم شعاب النعام وهي عالية شاهقة يظن الناظر اليها انها بالسحاب لاصقة حتى تكاد الشمس تخرقها من علوها وفي جنابها كهوف ومغاير واشجار من شجر غيلان وتكثر الوحوش والسباع والذباب المسمة القتالة من جميع الانواع وليس لذلك المكان الاَّ طريق واحد عسر السلوك وعر الفدافد كثير العطفات واللفتات ياخذ الانسان منهُ الانبهار والانبهات وبينهما وبين منازل بني شيبان سبعة ايام عَلَى مسير الفرسان فلما سمع عنترة هذا الكلام قال لشيبوب اقصد بنا هذا المكان وساروا في تلك المهامة والوديان حتى اشرفوا عَلَى المكان فنزلوا الحريم والعيال في تلك التلال ودخل عنترة تلك الشعاب ووراءه اعمامهُ وعروة ورجاله كاسود الغاب فراوا الوحوش تسعى في تلك الجوانب والاسود مختلطة بالثعالب فقال عنتر هذا المكان لا يصلح للمقام الا اذا كنا نطلق فيهِ النار ايام ثم امر العبيد فاطلقوا النار في جوانبهِ الاربعة فنفرت الوحوش وهربت لما رات وسمعت من تلك النيران المفزعة واحترق جميع ما كان هناك من الذبابات اللاسعة ودامت تلك النيران خمسة ايام عَلَى الاستمرار حتى اصبح ذلك الوادي كانهُ جهنم الكفار وبعد ما خمدت دخلوا تلك الجبال وضربوا خيامهم فيها عَلَى احسن حال وقبل ان يتم لهم هناك نهار استأنست نساؤهم وعيالهم بالديار فحينئذ قال عنترة لابيهِ شداد اريد ان اقصد بني شيبان الاوغاد واجازيهم عَلَى فعلهم والربيع بن زياد فقال له ياولدي نحن في قلة من الرجال وفي ارض بعيدة عن الديار والاطلال وان ابعدنا عن الحريم والعيال فلا نأمن عليهم من الاعداء الانذال

قال عنترة هذا امر لا اخاف منهُ ولا الكثرة تردني عنهُ لاني طالب ولست بمطلوب ولا بد لي ان اسير عليهم متوكلاً عَلَى علام الغيوب فقال شداد بكم فارس تريد ان تسير قال عنتر بماية فارس من المشاهير قال شداد ليس بصواب لانهم في خلق كثير وجميع غفير بل سر اليهم بماية وخمسين من الابطال واترك في من تبقى هنا لحفظ الحريم والعيال فانتخب كما قال ابوه من الرجال وسار يقطع البراري وهو يزمجر ويصول وينشد ويقول

مدت اليَّ الحادثات باعها	وحاربتني فرأت ما راعها
يا حادثات الدهر قري واهجعي	فهمتي قد كشفت قناعها
ولا تعادي رجلاً قد جربت	افعاله خلقٌ ففل قراعها
ما داس في ارض العدى جواده	الاسقي سيل الدما بقاعها

ويل لشيبان اذا صبحتها ومدت الفرسان نحوي باعها
وارتفع النقع وسال بجره وارسلت بيض الظبا شعاعها
وخاض رمحي في حشاها وغدا يشك مع دروعها اضلاعها
واصبحت نساؤها نوادبًا عَلَى رجالٍ تشتكي نزاعها
يا عبلَ عندي من هواك لوعةٌ احس في طي الحشا اوجاعها
يا عبلَ كم تزعق غربانُ الفلا قد ملَّ قلبي في الدجا سماعها
فارقتُ اطلالاً وفيها عصبةٌ قد قطعت من صحبتي اطماعها

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات مال عروة طرباً واهتز عجبًا ثم فاض يشكره عَلَى فصاحتهُ وشدة نخوتهِ وبراعتهِ وساروا طالبين ديار بني شيبان وقل الموت عندهم وهان وعنترة تزداد في قلبهِ النيران ولا يفتكر في كثرة الفرسان قال الناقل هذا ماجرى لهولاء الاقيال واما ما كان من مفرج بن هلال فانهُ عاد من عند كسرى فرحان ومعهُ كثير من المال والخلع الحسان وفي رجوعهِ دخل عَلَى الملك النعمان واقام عنده مدة من الزمان وحدثهُ بما جرى في ارض خراسان ثم رحل طالبًا دياره والاوطان واخذ معهُ ثلثمائة حمل شراب من خمر العراق الذي صفا وراق وصار اشف من دموع العشاق وجد المسير الى ان وصل الى ارضهِ وقومهِ فعلم ابن عمهِ حسان بقدومهِ فخرج لملتقاه واخذ معهُ المابة فارس الذي كان تركها في حماه وهو افرح الخلق بسلامتهُ مدهوش من الفرح بوصوله الى حلتهِ وقبل ان يسالهُ عن اهلهُ سال عن عبده بشارة فقال مالك ابن حسان انهُ رجع الى خساسة اصلهِ وعمل اعمالاً لم يعلمها احدٌ من قبله فتعكرت عيون مفرج بالدم وقال ما الذي فعلهُ يا ابن العم قال انهُ لم يقم بعد اثركم الا عشرين يوماً لسفركم واظهر انهُ اتاه نجاب واتى له منك بكتاب تذكر لهُ انهُ ياخذ جميع مالك ويسير اليك بهِ محملاً عَلَى جمالك فاوهمنا ان مبادرتهُ من خير العمل وخرج محملاً مابة جمل وما وقفنا لهُ بعد ذلك عَلَى اثر ولا سمعنا عنهُ طنين خبر الا ان في هذه الايام اتاني كتاب من الربيع ابن زياد يخبرني انهُ عند عبد بني عبس عنترة ابن شداد وقد ردَّ عبلة عليهِ وسلم جميع مامعهُ من الاموال اليهِ وهو مقيم عنده في احسن حال يتمتع بقرب محبوبتهُ رابعة في الاطلال وقد كنت يا ابن العم عوات عَلَى المسير الى الملك النعمان لاوصل اليهِ علم عَلَى هذا الشان فحضرت انت وكان الذي كان فلما سمع مفرج هذا الكلام غاب عن الوجود حتى ظنهُ القوم انهُ مفقود ثم افاق مما غشي عليهِ وصار من تعجبهِ يصفق بيديهِ وقال كيف ظهرت عبلة في بني عبس بعد ان قتلناها

ودفنت في الرمس فقال مالك لا ادري كيف تم ذلك فقال بن عبد العزى سنان وهو
حامية شيبان ارى ان عبدك ما قتل عبلة ولا دفنها اصلاً وانما حدثك بالمحال وصبر
حتى سافرت وسلمتهُ خزائن الاموال فاخذها وسار الى عبد مثلهُ ولد زنا حتي يعيش معهُ
بالمسرة والهنا فقال مفرج بن هلال ما كان لعبدان يفعل هذه الفعال الا اذا مت ود فنت
تحت الرمال والا ما دامت حولي عشرة الاف من بني شيبان وخلفي مثل الملك النعمان
فلا ينهب لي مال ولا تنهتك لي اعيال قال سنان اذا كان الامر كذلك انفذ لي اصدقائك
وحلفائك ومن تعتمد عليهم من رفقائك وسر بنا الى بني عبس حتى نقلع اصولها ونخيب ماموله
قال مفرج ما هذا بصواب لان الملك النعمان يريد يصاهر زهير ملك بني عبس وعدنان
فاذا سرنا بدون امره لا نأ من من شره وانما الراي ان نسير الى الملك النعمان ولا نتاخر
ونعلمهُ بما جرى علينا من عنتر فان امرنا بالمسير اليهِ سرنا من عنده وفتكنا بزهير وجنده
وان ارسل نجاباً واستخلص لنا اموالنا فنكون حصلنا على مرادنا واصلحنا حالنا قال سنان هذا
هو الصواب والراي الذي لا يعاب ثم انصرف كل منهم الى ابياتهِ والتهى باهلهِ ومسراتهِ
الا مفرجاً فانهُ اقام في الحي ثلاثة ايام ورجع الى الملك النعمان وهو في غاية القهر والاحزان
وسارت تتبعهُ بنو شيبان ولم يزل مفرج سائراً وهو في فشلة وحيرة حتى اشرف على مدينة
الحيرة ولما وصل دخل على الملك النعمان وهو مثل الواله السكران فقال النعمان ما سبب
هذه العودة وعساها عاقبة محمودة فاعلمهُ بقصتهِ وما جرى في حالتهِ وكيف اخذ عبده بشارة
ماله وسار الى عنتر ابن شداد واحتمى لهُ من بين العباد فقال لهُ النعمان وكيف قلتم انكم قتلتم
عبلة وتقاسمتم ما عليها من المال فقال مفرج نعم يامولاي ان عبدي بشارة ذكر انهُ قتلها
ودفنها تحت احقيف الرمال ولم نعلم انهُ كان يحدثنا بالمحال فقال النعمان لمفرج لا يضيق
صدرك ولا يهمك امرك فان مالك يرجع اليك والذي اخذه ينقاد ذليلاً الى بين يديك
وانت تعلم اني ارسلت اخطب بنت زهير والى الان لم اعلم ماذا عمل الربيع من هذا المسعى
الخير وقد اوصيتهُ ان يطمعهُ بالمهر ولو طلب خزائن قارون ويرسل لي الاخبار بما يكون
والان قد صرنا نبلغ هذه القضية بما فعلوه من الافعال الردية ثم ان النعمان استحضر كاتباً
من جماعتهُ وامره فكتب من وقتهِ وساعتهِ · الذي نعلم بهِ الملك زهير ملك بني عبس
وعدنان وفزارة وغطفان ان من كان مثلك حاكماً على قبائل ورجال يكون بصيراً في
جميع الاحوال وقد بلغني ان عندك عبداً يقال لهُ عنتر قد خرج من ورى العبودية واستكبر
وطغى وبغى وتجبر وقد صرت تجيز لهُ الذمام وتناديهِ كما تنادي بني الاعمام والصواب ان

نتبع سنة الملوك وتستحضر ذلك الصعلوك وتأمره ان يرد لمفرج عبده وجميع امواله والا جاز يناه بقبيح افعاله وارجعناه الى رعي نوقه وجماله و بعد ذلك اطلب مهر ابنتك ماشئت من المال والنوق والجمال ولا ترد رسولي بهذا الكتاب الا بجواب الايجاب وهذا يكون لك الراي والصواب ثم ختمه وارسله مع نجاب وقال له اسرع في قطع البطاح والهضاب فقال النجاب السمع والطاعة واخذه وسار من تلك الساعة واخذ يجد في تلك البراري والقفار واقام مفرّج عند النعمان كانه يتقلب عَلَى النار ولم يزل النجاب يجوب المهامة والتلال حتى اقبل على حي بني عبس ونزل في الاطلال وكان وصوله بعد مسير عنترة بيومين فدخل على الملك زهير وناوله الكتاب فقراه وتعقل ايراده ومعناه فاخذ منه الغيظ والغضب وقال للنجاب ايوجه العرب ان ما ذكره مولاك عن عنترة فانه مستحيل ولا يتصور ان الرجل الان ليس هو عندنا ولا في اطلالنا فقل للنعمان ان وقع له على اثر يقتله وعلى الارض يجندلهُ لاننا سمعنا انه رحل لارض العراق وقصده يشن الغارة على اهالي تلك الافاق وقبل رحيله من عندنا اوقع الشر بيننا و بين بني عمنا وجندنا واما المتجردة فانها لا تصلح للزواج ولا تستحق الطلب واللجاج ولو كانت تصلح ما كنت اغربها عن الاوطان ولا اترك يحكم فيها باليد واللسان وانا استطيع الركوب على ظهر الحصان و بعد هذا الخطاب لا حاجة الى جواب ولا الى كتاب ثم امر ان يخلع عليهِ فابى النجاب وقال اني لا اقدر على العاقة لاني أُمرت ان اعود بالسرعة والرشاقة ثم رجع على عقبه ومن حرده لم يرتض ان يذهب الى بني فزارة ولا يواجه الربيع ولا احدًا من الامارة بل جد المسير على راحلته حتى وصل الى حلته ثم دخل على الملك ورمي السلام واخبره بما قال الملك زهير من الكلام فزاد بالنعمان الغيظ والانتقام وقال هذا جواب رجل قليل الادب كثير العجب والغضب وانا وحق ذمة العرب والرب الذي اذا سئل وهب لا اتزوج ابنته الا بعد ان افني اهلهُ وعشيرته واما عبدهم عنترة لابد ان يظهر خبره في بعض البلاد فاجيبه واصلبهُ مع من تبعه من الاهل والاجناد ثم دعا باخيه ءزيد وكانت العرب تلقبه بالاسود لانه كان سفاك دماء شديد النخوة والاحتماء وكان يلقى الالف من الفرسان فيخشونه ولو كانوا جميعهم شجعان وعاد عليه كلام الملك زهير نقلاً وزاده انه لم يرتضيه لابنته بعلاً فتبسم لذلك الاسود وكان تبسمهُ من الغيظ والحرد وقال ايها الملك انت اهنت نفسك واطمعت فيك جنسك والا لو بذلت سيفك في اعداك لاهابك اعداك واصدقاك فانهُ يجب على الملك ان ياخذ بالهيبة والناموس والا عاش عيش الخامل الموكوس والصواب انك تنفذني ايها الملك الى بني

عبس وعدنان وانا استجب لك الملك زهير وقومه بحبال الذل والهوان وتحكم فيهم بما تريد ولا توطيء قدرك عند القريب والبعيد ولا تقول العربان ان الملك النعمان خطب بنت الملك زهير فلم يرده ابوها لها خاطباً وورد رسوله خائباً فلما سمع الملك النعمان من اخيه هذا الكلام اشتد به الغضب وزاد به الصخب ثم جهزه بعد ثلثة ايام وسيره في عشرين الفاً من بني لخم وجذام بالخيول والجنائب والرماح القواضب وساروا يقطعون البراري والسباسب وبعد ذلك تفرغ لطلب عنترة بن شداد وارسل عشرة من العبيد الجياد يطوفون القبايل ويسالون عن عنتر اين نازل وبمن استجار من الملوك او سكان المناهل واقام يركب كل يوم ويطوف حول مدينة الحيرة في اكابر قومه والاعيان ومفرّج يحدثه بحديث بني عبس وعدنان وكيف سار عنترة عنهم غضبان وفي اليوم الرابع بعد خروج الاسود وهم خارج الحيرة في نصف النهار وعولوا على الرجوع الى الديار واذا بغبار قد سار في تلك البراري والقفار وعما ذلك الغبار في تلك القيعان وهو مقبل من نحو بني قحطان وارض بني شيبان ولم يكن الا نحو ساعة من الزمان حتى ظهر من تحته فرسان هاربة والى نحو الحيرة طالبة ولما نظروا الملك النعمان تبدل خوفهم بامان فتقدم الملك النعمان الى نحوهم في الحال والى جانبه مفرج بن هلال فسمعهم ينادون اجرنا يا ملك الزمان فتبينهم مفرج واذا هم من بني شيبان وهم بنو عمه وقبيلته واهله وعشيرته فقال لهم يا ويلكم من فعل بكم هذه الفعال فقالوا ادهم بني عبس نسل الانذال كبسنا في الظلام ونحن سكارى نيام وفتك فينا واخذ الاموال والانعام ولم يترك في الحي سوى الارامل والايتام فقال مفرج وقد لطم عَلَى وجهه وراسهِ وكم كان مع هذا الشيطان حتى فعل بكم هذه الفعال فقالوا ما رايناه الا في نفر قليل من الرجال لانه دهمنا في الظلام الاسود وما التفت منا احد عَلَى احد فقال الملك النعمان وقد اسودت الدنيا في عينيه ولم يعرف ما بين يديه وهل لا تعرفون اي طريق طلب هذا الشيطان فقالوا لا والله يا ملك الزمان لاننا ما عرفنا اقباله من اي مكان ولا انتبهنا الا على صياح النسوان واستمر تواصل المنهزمين الى اخر النهار وعلموا حينئذٍ انه سار على طريق جبال الردم ووادي الرمال فطيب الملك النعمان قلب مفرّج بن هلال وقال له غداً اسر في طلبه انت وجميع بني شيبان وخذ معك من اردت من الشجعان والفرسان وقبائل العربان واذا ظفرت بهذا العبد الزنيم فلا تقتله بل اجعله اسيراً تحت الترسيم وائتني به وباعمامه حتى اصلبهم جميعاً على ابواب البلد واجعل خبرهم حديثاً الى الابد فقال ابن عبد العزى سنان وكان شيطاناً في زي انسان وهو فارس بني شيبان ايها الملك وحق نعمتك

لولا خرفك وسطوتك ما كان اتى ابن عمي الى هذا المكان الاوعنترة معه في حبال الذل والهوان ونحن ما اتينا الا لمشورتك ولابلغ منا هذا العبد مراده الا ونحن غايبون عن اهلنا في خدمتك ولكن هذا لا يبطىء عليه ولابد من المسير اليه ثم عادوا الى الحيرة وباتوا في القلق والحيرة ولما اصبح الصباح جمع مفرج المنهزمين والذين كانوا في الحيرة مقيمين فكانوا الجميع خمسة الاف فارس وما منهم الا كل بطل مداعس فاخذهم وسار طالباً بلاده والاطلال وفي قلبه النار عَلَى الحريم والعيال وكان النعمان قد عوّل ان يرسل معه فرساناً من بني لخم وجذام فقال مفرج ما تم امر يوجب هذا الاهتمام ولم يزل سائراً بمن معه حتى اشرف عَلَى الديار فرآها قفراً من القفار دارسة المعالم والاثار ثم راى بعض المضارب والخيام على رووس الروابي والاكام والنساء نوايح نوادب عَلَى ما جرى عليهن من المصائب ولما راى مفرج ذلك زاد به الجوى والتهب قلبه واكتوى وقصد كل من الابطال ابياته وافتقد حريمه وبناته فوجدوا ديارهم قد خرجت الى الابد ولم يبق ممن يعز عليهم احد وانحدرت النساء من رؤوس الجبال وهن محلولات الشعور ناعيات بالويل والثبور فعظم على مفرّج ذلك الحال ولم يقم الا ثلثة ايام حتى طلب الارتحال وجمع المتخلفين من الرجال فكان تسعة الاف من الاقيال فاخذهم وسار في تلك البراري والجبال قاصداً جبال الردم ووادي الرمال ليظفر بعنتر ويقلع منه الاثر . قال الراوي وكان السبب في خراب ديار مفرج ان عنترة لما سار من وادي الرمال بعدما حصن الحريم والعيال وترك بشارة مريضاً في تلك الجبال من جرح قيس له عند هجمته عَلَى الصناديق والاموال حين ازمع بنو قراد على الارتحال فلم يزل قاصداً ديار بني شيبان وهو يجد المسير الى الصباح حتى اشرف على حيهم فنزل واستراح وارسل اخاه شيبوب يكشف له الاخبار ويرى من يوجد في تلك الديار وهل مفرج حاضر ام غايب بجماعته فسار شيبوب من وقته وساعته وما غاب غير قليل حتى عاد وقال ابشر بالغنيمة يا ابن شداد فانه لا يوجد في الحي اكثر من الف فارس وكلهم قد شغلهم الشراب في الصباح والمساء ولا احد منهم يعرف ان احسن الدهر ام اساء فقال عنترة وكيف ذلك اخبرني بحق مالك الممالك فقال شيبوب اعلم انه لما عاد مفرج من عند النعمان احضر معه ثلثماية حمل شراب ليشربها مع ابطال عشيرته والفرسان فراى ما اخذ له بشارة من الاموال واخبره ان عبلة رجعت اليك فزاد به البلبال ورجع الى الملك النعمان ليستشيره بهلاك بني عبس وعدنان ومن شدة غيظه قال لقومه اشربوا انتم هذا المدام وقلوا من العتب والملام فاني قد اقسمت ان لا اشرب خمراً حتى انفذ في هذا العبد

امرًا واسقي عنتر و بشارة كاسات المرارة ومن حين ذهابه قد انهمكوا في شرب العقار في الليل والنهار وانا ارى أن ترحلوا من هذا المكان وتخوضوا ارض بني شيبان ولا تدخلوها الا في الظلام والفرسان غارقة في المنام وتفرقوا عليهم ثلث فرق كل فرقة خمسون فارساً وكونوا ايقاظاً عوابس وادرسوهم درس الرياح الدوارس فقال عنترة والله ما تكلمت الا بنعم الكلام وما قصرت في هذا المرام وعند ذلك ركب عنترة وركبت وراءه الابطال وجرى شيبوب قدامهم كانه الاسد الرئبال حتى ولى النهار وقد لاحت نيران بني شيبان في الظلام فتفرقوا ثلث فرق ودخلوا المضارب وصاحوا بهم من كل جانب و بذلوا فيهم الرماح والقواضب وفي دون ساعة نزلت على بني شيبان البلايا والمصائب وثارت الناس من المراقد وخفقت قلوب البنات النواهد وتقطعت حبال الرجا ولم يبق للجبان مهرب ولا ملتجا وطلبت الفرسان من هول تلك الغمغمة فرجاً واقام ملاك الموت لقبض الارواح حججاً واستمر الحسام عاملاً في بني شيبان حتى ولى الليل مندرجاً واقبل النهار مبتلجاً واصبح هام بني عبس بالنصر متوجاً وقد اكتسبوا من الدم ثوباً مدبجاً وكانت ليلة عظيمة من الليالي الذي بلغ فيها عنتر ذرى المعالى وقد تحكم في بني شيبان وملك اموالهم والنسوان وغنم كل ما كان يحويه مفرج بن هلال وسنان ومالك بن حسان واخذ لمفرج ثلاث نساء واربع بنات ومن نساء بني عمه واخوته اربعين من الموصوفات وكسب بنو قراد غنيمة عظيمة من نوق وجمال وجدوا المسير الى جبال الردم ووادي الرمال حتى بقي مسافة يومين بينهم و بين تلك الجبال واذا وصلوا الى ارض محرقات الجوانب واذا هم بغبار سد المشارق والمغارب فقال عنترة لعروة انظر ما بين يديك وحقق البر بعينيك فقال عروه اظنها غنيمة وقد رزقنا اياها الله في هذه الساعة العظيمة فقال عنترة ارفقوا بالمسير وريحوا الخيل حتى تساعدكم على ما تقصدونه من المنى والنيل فترجلت الفرسان عن الخيل وفكت حزمها وارخت لجمها وسقتها دون الاكتفاء وعلت ظهورها وقد طلبت الاعداء فسلوا الصفاح وقوموا الرماح وكان عنتر قد وكل بما معه من الاموال اربعين فارساً من الابطال وتقدموا الى نحو ذلك الغبار ليحققوا عنه الاخبار واذا تحته صيحات عالية والكل ينادون يالعبس يالعدنان اما من رجل كريم يغار على البنات اما من فارس يخلص النساء المسبيات . قال الراوي وكان السبب في تلك الاثارة الربيع واخوه عمارة وذلك بعد ان ظهر عندهم العبد بشارة واغار عليهم عنتر واوقع فيهم تلك الخسارة فدخل الربيع على حذيفة وهو يدق على صدره ويقول يا ابا الحجار وفارس جميع الاقطار لقد غفلت عنا وقت الانهماك ونحن في جوارك وحماك

فقال حذيفة اني ما غفلت عنكم ولكن كنت من ألم الوقعة مقهور وقد رايتم سقطتي لما ضرب عنترة عنق حجرني طيفور ولولا ذلك ما قعدت عن هذه الامور ولو اصبحت الدماء على الارض تموج كالبحور على اني وحق البيت الحرام ما علمت ان الذي اغار على اموالكم وهو ذلك العبد نسل اللئام ولو علمت ذلك الكنت طلعت اليه واسقيته كاس المهالك لانني سكران من غير مدام مما فعل معنا وفي حينا هذا العبد الذي لا يراعي الكرام ولا يعرف حفظ الذمام ولكن خذوا الاهبة للمسير حتى نبلوه ومن معه بكل امر عسير فقال الربيع والله يا بني الاعمام لقد صدق هذا الكلام ثم تاهبوا من يومهم في ألفي فارس في الحديد غواطس وساروا قاصدين الجبال وكان قد نهاهم الشيخ بدر بن عمرو فما انتهوا ولا سمعوا المقال بل قال حذيفة ايها الشجعان لا تسمعوا كلام ابي لانه صار شيخًا خرفان وكيف نكون ملوكًا واولاد ملوك ولا نعادي هذا الصعلوك ثم اخذوا في المسير وكل منهم يود ان يطير فقال لهم حمل نحن انشبنا هذا الامر العظيم ولا بد لنا من معاداة هذا العبد الزنيم وخرجنا بغير رضي ابي ونخاف ان يتم علينا امر لا يختفي ولا يختبي والصواب ان نجعل طريقنا على بني مرة وناخذ معنا فارسها ظالمًا ابا الحارث صاحب الكرة فانه من الفرسان الشداد وقد يكون افرس من عنترة بن شداد فقال حذيفة والله ان هذا عار عظيم ونحن ندعي الفخر والاصل الكريم ولا نقدر نعادي هذا العبد الزنيم حتى نستفين عليه بفرسان الاقاليم فقال حمل لا باس بالاستظهار وتشكرنا على ذلك العرب الاخيار

قال الراوي وكان ظالم فارسًا جبارًا وبطلاً مغوارًا وكان مع ندرته وشجاعته ودوام سعده افتخر على العرب بسيف قد ورثه من ابيه عن جده وكانت العرب تسمي ذلك السيف ذا الحياة لانه كان اذا ظهر تلمع فيه صور حيات وكان هذا السيف هو سيف الملك الضحاك الذي كان يباشر فيه الحرب والعراك وكان ظالم من محبته فيه وخوفه عليه لا ينام الا وهو بين اثوابه وبديه وفي فراشه يعانقه وفي النهار لا يفارقه واذا انشد شعرًا يذكره ويسميه وهذا مما قاله فيه

الاقي كلَّ نائبةٍ بصدري ولا اخشي الحمامَ اذا لقيني
وكيفَ اخافُ من جور الليالي وذو الحيات سيفي في يميني

قال الراوي فلما ذكر حمل ذلك الفارس وساعده الربيع وافقهم حذيفة حتى لا يكون مخالفًا لراي الجميع فجدوا السير وهم في الفرح والمسرة الى ان وصلوا الى منازل بني مرة وكان وصولهم عند الظلام فاستقبلهم ظالم واكرمهم غاية الاكرام فحدثه الربيع بحديث عنترة وما

فعل من الفعال فقال ظالم وحق الملك المتعال انكم يا بني زياد ومشايخ عدنان قد حقت عليكم المذمة من بين العربان وذلك كله من مقدمكم زهير الذي قرب هذا العبد وواصله بكل خير واني وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا يغنمني بسيري معكم الا ان يتلطخ سيفي ذو الحيات بدم العبيد وانا قد عودته شرب دماء الفرسان الاماجيد ثم انه لاطفهم بالكلام وابقاهم في ضيافته ثلثة ايام وتجهز في خمسمائة فارس من قومه الامجاد على الخيول الجياد وكان حضر بهم الملمات وقاتل بهم في الوقائع الهائلات واسرع الجميع في التشمير وجدوا في المسير وهم يسألون عن عنترة في اي الاماكن والاطلال حتى تحقق لهم الخبر انه في جبال الردم ووادي الرمال وان هناك قد حصن حريمه والعيال فقال ظالم قبح الله طلعته والسبال ايظن هذا العبد ان الجبال تحميه مني او تمنعه عني ثم انهم قصدوا ذلك المكان وقدامهم دليل خبير بالارض من اولئك الفرسان هذا وعمارة لا تسعه الدنيا من فرحه ووجده وظن انه يحظى بعبلة من بعده وما زالوا يقطعون الشعاب والوهاد حتى تبقى بينهم و بين الجبال يومان فنظروا هناك عبداً من عبيد الربيع بن زياد وكان ذلك العبد قد هرب والى ارض الحجاز طلب فلما عرفوه هنأوه بالسلامة وسالوه عن عنترة واستخبروه عما دبر فقال لهم انه ذهب الى بني شيبان بمائة وخمسين فارساً من الاقران وبقي في الجبال مائة وخمسين فارساً لحفظ الاموال والنسوان ولولا غياب عنترة وشيبوب يا سادات العرب ما قدرت على الهرب فلما سمعوا ذلك الكلام تباشروا ببلوغ المرام فقال لهم ظالم يا وجوه العرب الكرام كيف نكون نلنا المرام اذا لم يقع بايدينا ذلك العبد نسل الحرام وقال حذيفة لعلنا نقع بالحريم والعيال ونرجع الى الاوطان ونترك هذا العبد المهان فقال الربيع ابن زياد الراي عندي اننا نصل اولاً الى الجبال ونملك الحريم والاموال ثم نحتاق على عنترة في اي مكان ونسير الى الملك النعمان ونجعله يرسل الابطال والفرسان يحضرونه اسيراً مع من تبعه من بني عبس وعدنان و ياخذ بنت مالك زوجة له رغماً عن ابيها من بين العربان فقال عمارة بشرك الله بالخير يا اخي فان عبلة ما خلقت الا نصيبي من النسوان ثم انهم جدوا في المسير وظالم يترنم بهذه الابيات

اثغرك يا هندُ ابدى ابتساما	ام البرقُ سلّ علينا حساما
وهذا قوامك ام الغصنُ قد	تثنى لنا حينَ حاكى القواما
الا تنظرين ابنةَ العامري	صباحاً جلا من ثناه ظلاما
اذا زوت الخيلُ ربعَ الزنيم	وداست عبيداً نسلاً حراما

شفيتُ فؤاد الربيعِ كذا فؤاد حذيفةَ قوماً كراما

قال الراوي ولم يزالوا قاصدين تلك الجبال حتى اشرفوا على وادي الرمال وظهر غبارهم لبني عبس ورآهم العبيد الذين تركهم عنترة عند العيال فركب شداد والمائة والخمسون فارساً من الافيال وانقلب الوادي بصراخ الاماء والنسوان والعبيد والغلمان وخرجت الرجال الى خارج الشعاب قاصدين الطعن والضراب وقد انقسمت عليهم السرب وانطبقت عليهم انطباق الغيهب وتقدم ظالم امام السادات وشهر سيفه ذا الحيات وفي ظرف ساعة ظهرت الاحقاد وعملت السيوف الحداد وكثر العدد على بني قراد وخرج زخمة الجواد واخوه شداد وقاتلوا قتال الرجال الاجواد وامسكوا رؤوس الشعاب واجادوا الطعان والضراب فلما راى ظالم حفظهم للمضيق ترجل عن الجواد وفعلت رجاله كما فعل فانهُ كان ذا قلب كانه قدّ من جبل وقهر الفرسان بقوته وادخلهم الوادي بهمته وفعل حذيفة والربيع كذلك واوردوا بني قراد المهالك ولما رات النساء هذه المصائب . اسبلن الشعور والذوائب . وايقنّ بالسبي ونزول النوائب . وما تنصف النهار حتى تم نصر بني مرة وفزارة وبات بنو قراد ومن معهم اسارى واخرجوا الجميع من تلك الجبال وساقوا الحريم والاموال ووقع بشارة بن منيع في يد الربيع فضربه الضرب المؤلم وعذبه العذاب الشنيع وقال له لا هونت عليك بالمقال يا ولد الزنا حتى اوصلك الى مولاك وهناك تشرب كاسات الهلاك فقال بشارة قبح الله بطناً حملك يا ابن زياد واوغد الاوغاد ان لم تحملني الى اخر البلاد وتحطني قدام الذي يفعل بي ما اراد والله لو كان حاضراً عنتر بن شداد لما كنت انت ولا غيرك قدر يبلغ مني ومن اهلهِ المراد . قال فتركه الربيع وصار يحرض على ضرب مالك ابي عبلة ويظهر لهُ الشماتة في الجملة ويقول هذا جزاك على تركك اهلك واتباعك هذا العبد الذي اوصلك الى الهلاك فقال شداد ولماذا تشتمون ولدي اذا غاب وجرى على اهله بعض الاسباب فان اجتمع بكم وتم الامر ينتصف زيد من عمرو . فقال عمارة لا كلام في هذا الشان حتى يخلص ولدك من بني شيبان ثم انهم جدوا في تلك القيعان وظالم قدامهم كالاسد الحردان وهو ينشد ويقول

ابا هندُ قرِي بانّي كريمٌ نجيبٌ وقد فاق فخري الاناما
ومن يكُ بالحرب مثلي اذا علا لظاها وزادت ضراما
جميعُ العدى تختشي سطوتي وعندي الحلالُ يساوي الحراما
ونكستُ بالشعبِ فرسانهم بسيف يرى لحمهم والعظاما

وسقتُ حريمهمُ بعد ما ... تركتَ العذارى حيارى ندامـا
وقد قيل لي لهم فـارسٌ ... شجاعٌ اذا موسمُ الحرب قاما
فمن اين تحمي عبيدُ الخنا ... حريمِ الكرامِ وتوعى الذماما
وعندي لهُ ان اتى سالماً ... حسامٌ اذا قعد الحرب قامـا
يفوّتُ عني خطوب الردي ... اذا ازدحمتْ حول بيتي ازدحاما
واي فخـار انالُ اذا ... قتلتُ بسيفي العبيد اللئامـا

قال الراوي ولم يزالوا يقطعون البرارى والاكام الى ثاني الايام وقد بدا الصباح بالابتسام فالتقاهم عنترة الهمام ومعه من سبي بني شيبان ما يشبه الغمام وكان عمارة في مقدمة سبي بني عبس وهو يدور حول عبلة و يتلافاها و يطيب خاطرها و يترضى اباها وعبيد بنى زياد يضحكون على عبيد بنى قراد ولما التقت العين بالعين والتطم غبار الفريقين ضجت العبيد بالصياح وسمع عنترة بكاء النساء والنواح فقال لعروة ومن معه من الرجال دونكم وهؤلاء الانذال وحرك الجواد وحمل على بنى زياد فلما سمعت الفرسان صوت عنترة المهاب رجعت هاربة على الاعقاب وعمارة في اولهم وهو ينادي الثار الثار البدار البدار وقد عدم رشده وصوابه ومما حل به وسخ اثوابه واغرق سرجه وركابه فعند ذلك ارتفع الغبار الى العنان وازداد صياح النسوان ومالت عبيد بنى قراد على بنى زياد واوقعوا فيهم بالعصي والحجارة وهم يقولون لهم اين تهربون يا بنى فزارة وقد حاط بكم الموت الذي ليس له نفاد من سيف عنترة بن شداد وقد تقدم عنترة الى عبلة وسلم عليها وهنأها بالسلامة مما وصل اليها فقالت له اعلم ان الربيع وبنى فزارة وظالم سيد بنى مرة هم الذين اخذونا اسرى وسقونا الكاسات المرة فكر عليهم واسقهم كاسات المهالك فقال هو قريب يا بنت مالك واذ هو مع عبلة في هذا الكلام واذا بامه زبيبة تناديه عن ظهر الجمل و يلك يا ابن الخنا اتمشي برجالك موضع هواك ولا تلتفت الى وراك ولا تذكر التي ربتك ومن لبنها ارضعتك فتبسم عنترة من مقالها وقال لها قبح الله وجههم في الافاق وما الذي ارادوا من شدك بهذا الوثاق حتى اتعبوا بحملك الجمال والنياق ثم انه حلها من وثاقها وامر شيبوب ان يحل جميع النسوان و يريحهم من الاسر والهوان وتقدم هو وعروة ومن معهم من الابطال يطلبون الرجال بعد ان اقاموا جماعة لمحافظة الحريم والعيال وكان عمارة قد وصل الى الربيع ورفقته واعلمهم بقدوم عنترة وصحبته فقال الربيع وما الذي تم عليكم وماذا ظهر بين يديكم فقال عمارة التقانا عنترة بن شداد وقتل منا خمس فرسان اجواد وحاز الحريم والاموال ولولا اشتغاله بعبلة لبلغ منا

المراد فقال الربيع لعن الله وجهه الكالح وفعاله الكثيرة القبائح ثم صاح بمن معه من الرجال ان ياخذوا الاهبة للقتال ففرح ظالم بذلك الخبر وقال هذا يوم الظفر بالعبد الزنيم الافشر ثم اطلق لجواده العنان وتبعته الفرسان واذا بعنترة قد التقاهم وهو يقول ويلكم يابني الانذال لقد ارحلتموني عن اهلي والاوطان واتفقتم على قتلي انتم وبني فزارة وذبيان وسبيتم المال والنسوان فابشروا بالموت الزوام وبينما هو في هذا الكلام فانحذف اليه حذيفة وقوم السنان وقال خذها ياعبد يازنيم من يد حذيفة الفارس الجسيم فتدار كها عنترة وطعنه في صدره واقلبه على قفاه وكاد يعدمه الحيوة فانحدر اليه جماعة من رفاق عنتر وشدوه بالكتاف وقوموا منه الاطراف وقصد ظالم عنترة من وراه وضرب رمحه في سيفه ذي الحيات براه واراد ان يثني عليه فصاح به عنترة وضربه بمن تبقى معه من رمحه الذي انكسر فاصاب ساعده وليس من يساعده ثم هجم عليه وقبضه من جلابيب درعه واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الارض فكاد ان يدخل بعضه في البعض واخذه اسيرًا واصبح ظالم ذليلاً حقيرًا ولم يذل يعمل فيهم ماتعمل النار في الحطب حتى لم ينج منهم الا اصحاب الخيول النجب وداموا كذلك حتى خيم الظلام واستولى القتام وعاد عنترة عنهم وهو كانه قد غرق في بحر دما وارجل جواده تخوض في بطون القتلى وقد ابلاهم بالويل والبلا وهو يهتز طربًا ويميل عجبًا ويقول

قف بالديار وصح الى بيداها	فعسى الديارُ تجيبُ من ناداها
دارٌ لعبلة لاح برق سناهـا	للناظرين فيمموا معناهـا
دارٌ يفوح المسك من عرصاتها	والندُّ والمسك الزكي جناها
دار لعبلة شط عنك مزارهـا	ونأت لعمري ما اراك تراها
ياصاحبي قف بالمطايا ساعةً	في دار عبلة سائلاً معناهـا
ما بال عينك لا تملُّ من البكا	رمد بعينيك ام جفاك كراها
ام كيف تسال دمنةً عاديةً	سفتِ الجنوب دمانها وثراها
ياعبل قد هام الفؤاد بذكركم	واري ديوني ما يحلُّ قضاها
يـاعبل ان تبكي عليَّ بحرقةٍ	فلطالما بكت الرجال نساهـا
يا عبل اني في الكريهة ضيغمٌ	شرس اذاما الطعن شق جباها
ودنت كباش من كباش تصطلي	نار الكريهة او تخوض لظاها
ودنا الشجاع من الشجاع وشرعت	سمرُ الرماح عَلَى اختلاف قناها

فهناك اطعنُ الوغي فرسانها طعنًا يشق قلوبها وكلاهـا
يا عبل اني في الحروب مجربٌ قرن اذا الفرسان طال لقاها
فسلي الفوارس يخبروك بهمتي ومواقفي في الحرب حين اطاها
فازيدها من نار حربي شعلةً واثيرها حتى تدور رحاها
واكد فيهم في لهيب شعاعها واكون اول واقد بصلاهـا
واكون اول ضارب بمهندٍ يفري الجماجم لا يريد سواها
واكون اول فارس يغشي الوغى واقود اول فارس يغشاهـا
والخيل تعلم والفوارس انني شيخ الحروب وكهلها وفتاهـا
يا عبل كم من فارس غادرته في وسط رابية يعد حصاها
يا عبل كم من حرة غادرتها تبكي وتنعي بعلها واخاها
ياعبل كم من مهرة غادرتها من بعد صاحبها تجر خطاهـا
واخذت من راس القناة سنانها وقطعت ايدي من الي رماها
يا عبل كم لي طعنة بمثقفٍ عجز الاطبا عن وجود دواها
ياعبل اين من المنية مهرب ان كان ربي في السماء قضاها
يا عبل لو اني لقيت كتيبةً سبعين الفًا ما رهبت لقاها
وانا المنية وابن كل منيةٍ وسواد جلدي ثوبها ورداها

قال الراوي ولما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت منها السادات فقال له عروة لا فض الله فاك ولا كان من يشناك ولا شمتت بك اعداك ثم انهم جمعوا الاسرى والعيال وساروا يقطعون البراري والتلال ولم يصبح الصباح الا وهم في وادي الردم والرمال فدخل عنترة بسبي بني شيبان و بني فزارة ومرة وذبيان والاماء بين يديه تضرب بالمزاهر والجميع يتعجبون من فعله الباهر وكان دخولهم اول النهار واخذوا يضربون الخيام في تلك الديار وكان اعظم الجميع فرحًا بشارد بن منيع لانه خلص من يد الربيع و بعد ان نزلوا في تلك الخيام وتم لهم ثلثة ايام اذا بغبار طلع عليهم من نحو بني شيبان فلما انكشف وظهر ما تحته للعيان وا ـا بابطال وفرسان وفي مقدمتهم مفرج بن هلال ووراءه عسكر قد ملأ يمين الارض والشمال ولمع الحديد و برق الزرد النضيد فركبت فرسان بني عبس والابطال وخرج عنترة الى خارج بمن معه من الرجال وقد طلبوا الحرب والقتال ولما راهم بنو شيبان فعلوا مثل تلك الفعال وقال مفرج الا تنظرون الى هذا العبد كيف غلب جهله على عقله وعدم السعد حتى التقى

هذا العسكر العظيم بار بعمائة فارس كظيم شوه الله اسباله واتعسه ولا اقاله ولكن الذنب على من احوجنا لقتال العبيد الاوغاد الربيع بن زياد فقال سنان لا تتعجب يا مفرج في رجل قد استقتل وهان عليه الاجل ولولا ذلك ما خرج الى حرب هذه القبائل ومثلي في مقدمة هذا الجحفل قال وكان الربيع معهم في الجملة لانه كان قد هرب بخمسين فارساً طالباً ارض العراق وساروا في تلك الافاق وعند الصباح التقى بهم مفرج في تلك البطاح فاخبرهم الربيع بما حل بهم من الخسارة وان عنترة امر حذيفة وظالماً وعمارة فقال له مفرج لا باس عليك فطب نفساً وقر عيناً وهون ما وصل اليك فها نحن سايرون الى عنترة لنقلع منه الاثر لانه ما منا احد الا دهاه بماله وعياله و بلغ كل مبلغ بسيفه ورجاله ثم ان مفرج حدث الربيع بحديث الاسود اخي النعمان ومسيره بعشرين الف فارس الى بني عبس وعدنان ففرح الربيع بذلك الخبر وسار معهم وهو متيقن من عنترة ببلوغ الوطر لانه راى تسعة الاف عنان وفي مقدمتها ابن عبد العزى سنان وهم قد قدموا بامر الملك النعمان ومازالوا سائرين حتى اشرفوا عَلَى الجبال وخرج اليهم عنترة كما ذكرنا فقال الربيع انه شيطان في جسم انسان فان غفلتم عنه قتل الشجعان واخذ سلب الفرسان وزاد الغيظ عند سنان لما سمع صوت السبايا فطلب عنترة الى حومة الميدان وانشد يقول

ايسبي حريمي واهلي ومالي	عبيد تربوا لرعي الجمالِ
وامسي ذليلاً ضعيف الجنان	وسيفي صقيل حلي الصقال
ورمحي اذا اهتز يوم القتال	تخرُّ له شامخات الجبالِ
فتباً لدهرٍ يسيد العبيد	و يبعد ساداتهم والموالي
فلو انصف الدهر ما كان يعلو	على الخيل الا كرام الرجال
الا يا ابنة العم اني صبور	اذا فرقتنا صروف الليالي
وذا الدهر يومان حلوٌ ومرٌّ	وذا الخلق صنفان باك وسالِ
وكم نار حربٍ شجرنا بهـا	شفار الظباء وروس العوالي
واذ كنت اذهلت عما مضى	فذا اليوم يبدو لديك قتالي

قال الراوي فلما فرغ سنان من كلامه وشعره ونظامه قال لمفرج ويلك يا ابن العم بادر هذا الشيطان بالقتال واحمل عليه بالرجال فطلبوا عنترة واشرعوا الرماح الطوال ولما رآهم علم قصدهم والمراد فاخذ معه صديقه عروة واباه شداد وتمام الثلاثين فارساً من بني قراد وهجم عليهم هجوم الليل على النهار وابلاهم بالويل والدمار وجال فيهم شرقاً وغرباً

واشبعهم طعناً وضرباً وكان ان طلب فريقاً فرقه او حمل على موكب مزقه وفعل اخوه شيبوب مثل فعاله فكان يحمي جواد اخيه بنباله و يصوب بها صدور الرجال و يقتنص من يريده من الابطال واما شداد وعروة و بنو قراد فانهم جالدوا اشد الجلاد وما كان الا ساعة من ساعات النهار حتى اصبحت الفرسان جافلة من تحت الغبار وفروا خوفاً من التنكيل والدمار وقد قتل عنترة ومن معه اكثر من الف فارس من ذلك العسكر الجرار فقال مفرج وحق ذمة العرب قد وقعنا مع هذا الشيطان وكنا لا نصدق ما نسمعه فقد تحققناه بالعيان فاذا كان لهذا الرجل ار بعماية فارس وما طاوعته نفسه ان يخرج الينا الا بثلاثين وفتك في عسكرنا وتركنا مشتتين فلو خرج بهم جميعاً ماذا كنا صانعين فقال الربيع يا مفرج قد اعلمتكم انه شيطان في جسم انسان لانه لا يوجد مثله في فرسان هذا الزمان ولو كان اصحابه مثله لاستولى على ملك كسرى صاحب الايوان

قال الراوي فعند ذلك التفت مفرج الى بني عمه وصاح ولما سمعوا صوته جردوا الصفاح وهزوا عوامل الرماح وكان عنترة قد التقى بسنان وهو راجع من مكان الجولان في جماعة من بني شيبان ومعهم عروة بالاسر والهون وذلك ان سناناً لما لم يصادف عنتراً حمل على بني قراد واخذ معهم في الحرب والجلاد فالجاهم الى الجبل وقتل منهم ثلاثة فوارس وعول ان يدخل الشعب وهو مثل الاسد العابس فصدمه عروة ومنعه واخذ في القتال معه وسمع سنان صيحات عنترة فلاصق عروة وضايقه واختطفه من سرجه بزندٍ شديد وساعد كالحديد وسلمه لبعض فرسانه ورجع يحامي عنه قاصداً عنتراً الى مكانه وكان عنترة قد فرق الوف الفرسان وتركهم جفلا كالحملان فلما رآه صاح فيه ويلك ياولد الزنا ونتيجة الخنا ما بقى لك من يدي مناص ولا طريق للخلاص ثم مد رمحه وهجم على عنتر واراد ان يشفي خاطره المكدر فضرب عنترة الرمح بالسيف براه وتمهل عليه حتى قرب اليه فكفحه بالسيف كفحاً وضربه به على ظهره صفحاً فانقلب على قفاه وكادت تنسحق اعضاه فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوم منه الاطراف ولما رات بقية الفرسان من عنترة تلك الاوصاف فروا خوفاً من التلاف وتركوا عروة من يديهم وولوا الى نحو مفرج بن هلال واخبره بما حل بهم من الوبال وقد رات الفرسان من عنترة ما ادهش ابصارها وحير افكارها وتدفقت امواج المواكب وقامت الزعقات من كل جانب وخيم الغبار على المشارق والمغارب وصاح عنترة في بني عبس فتراجعت واعملت القواضب وضاقت الاقطار في وجه المحارب وانسدت الطرقات والمذاهب فلله در عنترة وفرسانه فانهم ثبتوا على باب المضيق كانهم

سد من حديد وكان عروة الى جانبه ولم يزالوا عَلَى تلك الحال حتى حالة ظلمة الليل دون القتال فرجع كل فريق لفريقه وعاد كل صديق يفتش على صديقه فنزل بنو عبس على باب المضيق وهم مثل نيران الحريق حفظاً للمكان ومنعه عن الاعداء من كل طريق وبعد ذلك امر عنترة اخاه شيبوب ان يدخل سنان الى داخل الوادي حيث كانت الاموال والنسوان ويخبر بالنصر على عساكر بني شيبان فادخله ورجع مع الاماء بالطعام للفرسان . قال الراوي وقد راى بنو شيبان انهم في الذل والخسران فجرى على قلب مفرج ما لا يجرى على قلب انسان لاجل اسر ابن عمه سنان وما حل بعسا كره من الهوان فقال للربيع ان هذه النوبة صعبة ولا كانت لنا في حساب ولا ظننا اننا ناتي هذا المصاب لانه قد قتل منا الف فارس واسر مثلها من فوارسنا الكرام وقد اسر ارسنا صاحب البطش والاقدام وانا لولا خوفي من العار بين العربان كنت برزت اليه وجندلته في حومة الميدان ولكن ان انتصرت عليه فلا تعدها لي الفرسان وان انتصر عليَّ هلكت بنو شيبان فقال الربيع بن زياد وهو يزعم ان مقاله هو السداد انا رايي انكم تلبسون صدور الزرد وتزحفون اليهم مشاة بالسيوف والعدد ولا يتاخر منكم احد ولا تزالون تعملون فيهم بالسيف الرقيق حتى تحشروهم في باب المضيق فتبلغون الامال وتخلصون الحريم والعيال فلما سمع مفرج هذا الراي اعجب به غاية العجب واهتز من الانذهال والطرب ثم فكر وقال لا نزحف ونترك عنترة ورانا حتى يفني اقصانا وادنانا ولم يزل مفرج والربيع يتشاورون بذلك الى ان انفجر الصباح واضاء بنوره ولاح فبرز مفرج عاجلاً الى الميدان وقال واجهر في المقال يا عبد السوء ما مبارزتك الا عار ولكن الضرورة تحوج الى مثل هذه الاثار وهكذا طبع الايام فانها تضع الكرام وترفع اللئام فلما سمع عنترة هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وانقض عليه انقضاض العقبان بدون ان يمهله يجول كما تفعل الفرسان وضربه بالرمح مقلوباً في صدره فرماه عَلَى بساط الصحصحان فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوم منه السواعد والاطراف وساقه قدامه فسار بلا خلاف وصال عنترة وجال وانشد وقال

صباحُ الطعن في كرٍّ وفرٍّ ... ولا ساقٍ يطوف بكاس خمرِ
احبُّ اليَّ من قرع الملاهي ... على كاسٍ وابريقٍ وزهرِ
مدامي ما تبقى من خماري ... باطراف القنا والخيل تجري
انا العبدُ الذي خبرت عنه ... يلاقي في الكريهة الف حرِ
خلقت من الحديد اشد قلباً ... فكيف اخافُ من بيضٍ وسمرِ

وابطش بالكمي ولا ابالي | واعلو الى السماك بكل فخرِ
ويبصرني الشجاع يفرُّ مني | ويرعش ظهره مني و يسري
ظننتم يا بني شيبان ظناً | فاخلف ظنكم جلدي وصبري
سلوا عني الربيع وقد اتاني | بجرد الخيل من سادات بدرِ
امرت سراتهم ورجعت عنهم | وقد فرقتهم في كل قطرِ
وها انا قد برزت اليوم اشفي | فؤادي منكم وغليل صدري
واخذ مال عبلة بالمواضى | و يعرف صاحب الايوان قدري

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذا المقال وابصر الربيع تلك الحال وكيف فعل عنترة بمفرج بن هلال انذهل غاية الانذهال وقال لمالك بن حسان ترجل ايها الامير وافعل ما اشرت به عليكم من العمل فتبلغون من هذا العبد الامل فترجل مالك وفعلت بنو شيبان كذلك وقال لهم دونكم اياه دوروا به من كل جانب وقطعوه بشفار القواضب وقدراىء تر بنو شيبان لما ترجلوا وطلبوا الجبل قال اذل الله من لا يفرقكم تفريق ولا يتركم تهتدون الى طريق والتفت الى عروة وقال له اتبعني يا ابا الابيض في مائة فارس من الابطال حتى اسوق بين ايديكم جماهير هولاء الانذال واجعل الموت يبلعهم كلهم لانهم لا يعلمون ان الذي شار بهذه الحيلة عليهم لا لهم فاني اريد ان اسير من ورائهم واملك خيولهم واتمم في هذا اليوم اليوم هلاكهم وذلهم وامر اباه شداداً ومن بقي معه من العبيدان يمسكوا عليهم مضيق الجبل بالطعن والتهديد وحمل عنترة وعروة ومائة من الصناديد مسربلين بالزرد النضيد وانزلوا في الاعدا الحرب والويل وصيروا النهار في عيونهم كالليل وعنترة كلما التقى بفارس اعدمه الحياة وجعله عبرة لمن يراه فاهلكوا جماعة من بني شيبان وشتتوهم في تلك القيعان وابصروا خيلهم في الصحصحان فقال عنترة لمن معه من الفرسان بادروا الى هذه الخيل وردوها الى ناحية اصحابها واجفلوها فهي تلعب برؤوس ركابها فلما سمع عروة استبشر وزادت عنده الافراح وقال لعنترة لله درك ما ابصرك في قبض الارواح ثم تفرقوا على الخيل من كل جانب وصاحوا عليها بزعقات قلبت المشارق والمغارب فابتدرت قدامهم ولها قتام بدل نور الشمس بالظلام وكان بنو شيبان قد ازدحموا في المضيق غاية الازدحام فطفرت تلك الخيل عليهم ودرستهم درس الليالي والايام فتفرق من بقي خوفاً ان يتم بلاهم واستعظموا امرهم و بلاهم وطرحت الاجساد على المهاد وداستها الخيل بحوافرها الشداد وقضى الله اجل بني شيبان على يد عنترة بن شداد

وما سلم الا من اطال الله في مدته وركض بين الخيل بشدته وكان من جملة الذين سلموا مالك بن حسان لانه لما راى الخيل تركض وراه تنحى وطلب عرض البر والفلاة وقد تبعه الف فارس من رفقائه وعند ما انكشف عنهم الغبار في تلك القيعان وحصلوا على شيء من الامان واذا الربيع واقفاً مطرقاً بالمهاد متحيراً مما تم من العكس والعناد يأكل كفيه ندامة وانكاد فلما رآه مالك صاح في بني شيبان يا بني عمي جميع ما وقع علينا من البلاء والهوان كان من هذا القرنان ولولاه ما عرفنا عنتر بن شداد ولا بني عبس ولا بني قراد فدونكم اياه واعدموه الحياة فحاطت به الفرسان من كل جانب وبذلوا فيه الرماح والسيوف القواضب فاتاه ضربة من احد الفرسان فانطرح منها على الارض انطراح من لا ينهض الى يوم العرض وهكذا تركوه فاقد الحياة وذهبوا في الفلاة واذا بابي الفوارس عنترة وعروة بن الورد قد مرّا على الربيع وهو يئن بين القتلى على المهد فلما رآه عنتر قال لعروة انزل لهذا الخبيث وشده بالكتاف وقوم منه السواعد والاطراف فان الله اوقعه في مكره وارجع كيده الى نحره ولا بد ان اقرنه مع رفقاه الذين هم في الرداءة شركاه وفتح الربيع عينيه فراى عنتر متكئاً على الرمح ينظر اليه فصاح الصنيعة يا ابن العم واكفني ما انا فيه من الهم والغم واني محلفك بحرمة النسب من شداد الى عدنان نادم على معاداتك يا فارس الفرسان واما المال الذي اخذناه عن ابنة عمك عبلة فهو كله عند الملك النعمان وهذا ابن عمك في يدك فافعل به ما تشاء وان عفوت فاصطنعه واجعله من الاصدقاء واعلمك ايضاً يا ابا الفوارس ان الملك النعمان ارسل اخاه الاسود الى دياركم بعشرين الف عنان وامره ان لا يعود الا بزهير وجميع الرجال ماسورين بحبال الذل والهوان وذلك لان النعمان ارسل في طلب المتجردة خاطباً فرجع زهير رسوله خائباً واذا رجع اخوه بالسبي والرجال وبلغه ما فعلت بنا من الفعال احل بالجميع النكال فانذهل عنترة لما سمع هذا الكلام وقال للربيع ومن كم يوم خرج في هذا المرام فقال الربيع قبل مسيرنا اليكم بخمسة ايام فقال عنترة اذل الله بني عبس بين العربان واتعسهم بين اهل المناهل والغدران فوالله الذي لا اله الا هو الملك الديان لاقلعن لاجل بني عبس اجل الملك النعمان ولاحرمنه ان ينام على فراش الاطمئنان ثم رجع وهو يقول لعروة بن الورد يا ابا الابيض ما انا على بني عبس بالمضمر الردي ولا بالمعتدي ولا احقد على ما صدر منهم ولا بد ان ابذل نفسي عنهم ثم عاد الى ابيات بني قراد واعلن الخبر لاعمامه وابيه شداد وقال انا خائف على زهير واولاده وعشيرته

ولابد من المسير الى نصرته فقال شداد نحن هنا ثلثمائة وصار الملك النعمان لناالعدو المنافس فكيف نترك وراءنا الملك النعمان ونسير الى عشرين الف فارس من اقوام العربان ونمسي في غاية الخوف على اموالنا والنسوان فقال عنترة يا ابي ما على الحريم باس وما دام سكنهن في هذه الحال لا يقربهم احد من الناس فدعنا نسير الى نصرة قومنا في الحال ونبقي عندهن عمي مالك وولده عمرو والبعض من الرجال ثم ان عنترًا قال لاخيه شيبوب احضر مفرجًا بن هلال وعلقه على قمة هذا الجبل وافعل بسنان بن عبد العزى وظالم بن الحارث مثل ذلك بلا مهل واجعل بجانبهم حذيفة والربيع ليكون هذا الانتصار شاملاً الجميع فصار الاسرى المذكورون ينظرون الى عنتر فيرون عينيه كالجمر وهو يهمهم ويتمايل كالشارب الخمر فاخذوا يودعون بعضهم البعض وماتوا خوفًا على وجه الارض فانقطع من عمارة امل السلامة واشتدت به الندامة وقال بئس المقالات التي تودي الى مثل هذه الحالات وبعد ان تمم شيبوب ما امر به دعاه اخوه عنتر وقال يا ابا الغيرة والنجدات اننا نقصدك في المهمات والملمات فاخبرني كم لنا من هنا الى بني عبس من الطريق فقال شيبوب تنقسم الى ثلاثة مفارق من تعجيل وتعويق فقال عنتر تري مسيرنا اليهم واجتماعنا بهم في اي طريق فقال شيبوب على رابي الرمل ووادي الرخم وما للمسافر طريق الا ان يمر فيها وهي بعيدة عنا ثلاثة ايام بلياليها فلما سمع عنتر من اخيه هذا الكلام امرهم باخذ الاهبة للمسير والاقدام وسار بمائة وخمسين فارس من بني عبس الاشاوس في الحديد غواطس وترك عندهم مائة وخمسين الاخرين ومعهم عمه مالك وولده عمرو وقد اوصاهم ان يحفظوا الحريم والاموال والاسرى بغاية الحرص والحذر وركب بعد ذلك الجواد الابجر وتقلد بسيفه الضامي الابتر وقال هذه السفرة تكون مباركة علينا ان شاء الملك الديان ونملك بها رقبة الاسود ومن معه من العربان ثم سار عنتر وابوه شداد واستقبل الطريق وهو طائر العقل والفواد خوفًا على الملك زهير ومن عنده من الاولاد وتذكر ارض الشربة والعلم السعدي فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ ... ولا ينال العلى من طبعه الغضب
ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم ... اذا جفوه ويسترضي اذا عتبوا

الجزء الثالث عشر من سيرة عنترة بن شداد العبسي ويليه الجزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر

من سيرة

عنترة بن شداد

قد كنت فيما مضى ارعى جمالهمُ / واليوم احمي حماهم كلما نكبوا

لله در بني عبس لقد نسلوا / من الاكارم ما تنسلُ العربُ

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ / يوم النزالِ اذا ما فاتني النسبُ

ان كنت تعلم يانعمان ان يدي / قصيرةٌ عنك فالايام تنقلبُ

انَّ الافاعي وان لانت ملامسها / عند التقلب في انيابها العطبُ

اليوم تعلم يانعمان ايَّ فتىً / يلقى اخاك الذي قد غرَّه الكذبُ

فتىً يخوضُ غبار الحرب مبتسماً / و ينثني وسنانُ الرمحِ مختضبُ

ان سلَّ صارمه سلت مضاربه / واشرق الجوُّ وانشقت له الحجبُ

والخيل تشهد لي اني اكفكفها / والطعن مثل شرار النار يلتهبُ

اذا لقيت الاعادي يوم معركةٍ / تركت جمعهم المغرور ينتهبُ

لي النفوسُ وللطير اللحوم ولـ / وحشِ العظام وللخيالة السلبُ

لا شك ان بطون الطير مقبرةٌ / فيها لمن جندلت ارماحنا تربُ

فسل ديار الاعادي كم بنيت بها / بيتاً من النقع لم يمدد له طنب

وسائل القوم عني حين ادهمهم / فالمال يذخر والارواح تنسلبُ

لا ابعد الله عن عيني غطارفةً / انسٌ اذا نزلوا جنٌّ اذا ركبوا

اسود غابٍ لكن لا نيوبُ لهم / الا الاسنة والهندية القضبُ

تعدو بهم اعوجيات مضمرة / مثل السراحين في اعناقها قببُ

ما زلت القى صدور الخيل مندفقاً / بالطعن حتى يضج السرج واللبب

فالعمي لو كان في اجفانهم نظروا / والخرس لو كان في افواههم خطبوا

والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي / والطعن والضرب والاقلام والكتب

نجمي يلوح على اعلى مراتبهِ فوق السماك وفوق الشمس محتجبُ
اني ابن شداد من اعلام حسباً ابا وجداً فهذا الفخرُ والنسبُ

قال الراوي فلما فرغ عنترة من هذه الابيات طربت منها السادات واعجب بها كل من حضر فحفظوها حفظ الايات ولم يزالوا سائرين في ذلك البر الواسع والقفر الشاسع وعنترة تحدثه نفسه بكسر عسكر النعمان في العدد الذي معه من الفرسان حتى وصلوا الى وادي الرخم في ثلاثة ايام وشيبوب بين ايديهم كفرخ النعام وكان الوادي المذكور لقوم يقال لهم بنو الاجرم وهم حينئذٍ نازلون في مكان يبعد عنه سبعة ايام على السير الاعظم فاوصلهم اليه شيبوب في اقل مدةً بعد ان كان قال لهم من قصد ارض العراق لا بد له من المرور في تلك الافاق وانا اعلم انه الاسود اذا عاد من ديار بني عبس وعدنان لا بد ان يمر في هذا المكان ولو ان معنا من القوة ما نمسك به عليهم الطريق ونمنعهم من الماء لكانت تهلك عساكرهم من الخوف والظماء فقال عنترة ان كان الامر كما ذكرت انزل بنا هنا فوالله لا تركت احداً منهم يبل سباله بالماء الا اذا وجد منهم فارس نبيل وعمره طويل فنزلوا على ذلك الغدير وعنترة يود لو انه الى بني عبس يطير واقاموا هناك ثلاثة ايام فما ظهر لهم خبر ولا اثر فقلق عنتر وتحير وخاف على حريمهم وعيالهم في وادي الرمل وذلك البر الاقفر فقال لاخيه شيبوب كيف الحيلة والطريق طويلة قال شيبوب انا اكشف لكم الخبر وارجع اليكم باسرع ما يكون من السفر وقام من ساعته وسار وغاب في اقل من ساعة عن الابصار وتوارى في تلك القفار ولما تم لغياب شيبوب يومان قلق عنتر لذلك وايقن بورود المهالك واخذه ومن معه في القيل والقال واذا بشيبوب مقبل يركض في عرض البر والتلال كانه فرخ نعام اذا سمع الرعد تحت الغمام فصرخ عليه اخوه عنتر ابدِ لنا ما معك من الخبر فقال شيبوب اتاك القوم وبطل عنك العتب واللوم وغدا يشرف عليك الملك الاسود ومعه عساكر ملأت البيد والفدفد فقال عنتر يا ويلك اخبرني كيف كان حديثهم مع بني عبس قال قلع اثارهم وخرب ديارهم وسبى الحريم ونهب الاموال وتركهم مثلاً من الامثال لانه احاط بهم من كل جانب وانزل بهم البلا والمصائب وكان قد فرق عساكره عشرة الاف على اليمين وعشرة على الشمال فقاتلهم حتى اورثهم الفنا والاضمحلال وفي ثاني الايام اقبل اولاد بدر في بني فزارة وبني مرة لان المنهزمين اخبروهم ان حذيفة وظالماً عندك في حالة الاسر المضرة فلما سمعوا بقدوم الاسود واتوه نجدة لعلهم يأخذون من اولاد الملك زهير

من يفدون به اسراهم من هذه الشدة فقاتلوا في ذلك اليوم واظهروا الجلد وكثر على بني عبس العدد وهجم الاسود على الملك زهير فاخذه اسيرًا واحل في الجميع عذابًا وتدميرا ووعد بني فزارة و بني مرة ببلوغ مناهم وتخليص اسراهم واخبرهم ان اخاه الملك النعمان ارسله حتى يخرب ديارك و يقلع اثارك وانه لا بد ان يلحقك حيثما كنت حتى تختفي اخبارك وهذا الكلام سمعته من صديقك مالك بن زهير ولا تسال عما هو فيه من الذل والضير وقد وقع خلا الملك زهير في اسر الاسود الفان وازيد وانا لما ذهبت من عندكم سرت يومًا وليلة في البر الاقفر ولا اعلم للقوم طنين خبر وكنت عزمت على الذهاب الى ارضنا ولا ارجع الا ببلوغ المنى و بينما انا في الافتكار اذا بسوادهم قد سار فسرت في عرض البر حتى امسى المسا وعلمت ان قد حل بهم الاعيا وما زلت اتبعهم حتى نزلوا على عيون النمرة وخيم الليل وذهب البياض والحمرة فدخلت بينهم وكشفت عنهم فسمعت صوت صديقك مالك وهو يبكي و يئن و يشتكي و ينشد و يقول

دهانا الخوف من بعد الامان وغمنا عن تصار يف الزمانِ
وذقنا الذل لما غاب عنا مثير عجاجة الحرب العوانِ
هلكنا بعده بغيًا وامسى جوادَ البغي مقطوع العنانِ
اغثنا ياهمام بني قراد بحد حسامك الماضي اليمان
ولا تشمت بنا قومًا لئامًا سبوا نساؤنا سبي الزواني
فانك نصرنا في كل حرب اذا همت بنا خيل الرهانِ
ولا يثنيك عتبانٌ علينا فقربكُ عتابنا كلُّ الاماني
اترضى لو ترى ما حلَّ فينا من الاهوال مع قبح الهوانِ
نساق وكل عذرا من نسانا تشيرُ لنحو ذكرك بالبنانِ
وتذري الدمع من طرف كحيل على خد كلون الارجوانِ
ومن شجن تنادي يا لعبس اجيروني وحزني قد كفاني

قال الراوي وكان شيبوب ينشد متذكرًا هذه الابيات وعنتر تنهل من عيونه العبرات لان مالكًا كان عنده اعز من روحه لاجل ما فعل معه من المكرمات ثم قال شيبوب يا اخي ولما سمعت صوت مالك عرفته فقصدته بين القوم حتى صادفته فتقدمت اليهِ وسالته عما جرى على القوم وعليه نقص عليَّ هذه الاخبار واخبرته اننا في الانتظار وان قلبك يتقلب لاجلهم على لهيب النار ثم اخبرته ما جرى لك مع بني شيبان وانك

اورثتهم الذل والهوان ولما علم ابوه زهير ايقن بالفرج والخير وقال والله اننا قد عملنا في نفوسنا ما لا تعلمه الاعدا بنا فاننا قد ابعدنا حاميتنا عنا من دون ذنب ولا ضرر وحلت منا من بعده العبر وما زلت سائرا معهم حتى وصلنا الى عيون الظبا ورايت ان الملك الاسود لما راي اتساع البر قدامه استكثر من حمل الماء خوفاً على عساكره من الظماء وفي السحر فارقتهم وانيتك حتى تدبر في خلاصهم من يد قناصهم فقال عنتر وما هو التدبير هنا الا منعهم عن الماء واهراق الدماء واني وذمة العرب الكرام لا بد ما اسقي الاسود ومن معه كاس الحمام قال شيبوب وقد تبسم اعلم يا اخي ان الامر قد تحكم واني دبرت من التدبير ما يرجع عليهم بالوبال والتدمير قال عنتر أخبرني ما الذي دبرت واي عمل اخترت قال اعلم يا ابن الام اني لما رأيتهم قد استكثروا من حمل الماء ما زلت سائرًا معهم حتى خيمت الظلماء و بقصدي ان اشفي فوادي منهم فهنالك انفتح لي باب رايته هو الصواب وذلك اني سللت خنجري وقصدت روايا الماء وابتدات ابزل واحدة بعد واحدة حتى بذلت الجميع وصنعت بهم اقبح صنيع وفارقتهم واتيت وانا قد قطعت من الطريق ما لا يقطعونه الا بثلاثة ايام وثلث ليال لانهم يسيرون على سير الحريم والجمال والراي عندي ان تاخذ اصحابك وتكمنوا في البر وتكونوا متاهبين للكر والفر حتى تروهم على الماء واردين فتخرج اليهم بمن معك في الكمين فقال شداد حقاً ياشيبوب لقد اشرت وما قصرت لانهم اذا وصلوا الى هذا المكان وهم في حالة العطش والهوان لا يلتفت احد منهم على احد ولا يدافعون عن الاسود لانهم يلتهون بتبريد الظماء و يحول دون شجاعتهم الاعياء فلما سمع عنتر هذا الخبر ايقن بالنصر والظفر وامر اصحابه فثاروا على ظهور الخيل وقد تزودوا بالماء وساروا وقد اقترب المساء وانزلهم شيبوب في مكان يخفيهم عن الاعداء . قال الراوي هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الاسود فانه سار بعسكره وما نزل بهم حتى تضاحى النهار وحمي الحر وسخنت الارض وهوجر البر وكان الاسود قد اكل شيئاً من الزاد فلحقه الظماء وطلب جرعة من الماء فنظر العبيد بعضهم الى بعض وتمنى كل منهم ان تبلعه الارض فقال لهم الاسود ياويلكم ما الذي دهاكم وماذا اصاب روايا كم فقالوا وحق من رفع السماء انه ما اصبح في الروايا ولا قطرة ماء وكلها مبذولة ناشفة ما في جميعها شيء يبل الشفة فقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال قالوا لا علم لنا وحق الملك المتعال قال الاسود وحق النور والنار ما فعل بنا هذه الفعال الا من دبر على هلاكنا والدمار على اننا توسطنا هذا البر الاقفر والماء بعيد عنا

من كل جهة فقالوا ايها السيد لابد ان يكون بعض بنى عبس فعل بناهذه الفعال وطلبوا هلاكنا والوبال فلما سمع الاسود هذا المقال جمع من معه من وجوه الرجال واستشاره فيما يفعله في تلك الحال وكان فى صحبته شيخ مجرب في عظايم الامور وعارف في تصاريف الدهور فقال الراي ايها الملك ان ترسل النجابة بين ايدينا ليملاوا الروايا من منهل الماء والاهلكنا جميعاً من الظماء واذاهم لحقونا فلا نسقي بني عبس جرعة واحدة و نجعلهم يموتون جميعاً وتحل بهم البلية الزايدة حتى يعلموا ان كيدهم عاد اليهم والنكبة حلت عليهم فعند ذلك ارسل مائة نجاب واوصاهم بسرعة قطع البراري والهضاب فساروا وسار الاسود في اثرهم والعطش يعمل في احشاه وهو يجد المسير في تلك الفلاه حتى دهمه المسا وهو لا يعلم احسن الدهر ام اسا وكان يظن ان الماء يأتيهم بالليل اذا اعتكر فباتوا الى ان انشق الفجر وما ظهر للنجابة خبر ولا اثر وصارت الفرسان تضرب جهات تلك المهامه وترجع خايبة مما هي له طالبة قال الاسود والله ما جرى على النجابة حادث خير واظن انه حل بهم الشر والضير والاما كانوا ابطاوا علينا وهم يعلمون اننا اشرفنا على التالف ولو كنا علمنا انهم لا يرجعون وعنا في هذا البر ينقطعون لكنا قطعنا هذا الوادي تحت الليل الهادي ثم انه نزل بمن معه في ذلك البر وقد تزايد الحر ولمع السراب وتموجت الهضاب وتشخص امامهم المصاب ولما برد الهوى رحلوا وهم قد عدموا الحيل والقوى وكلما قطعوا من الارض ميلاً يعللون انفسهم فى ما راوه تعليلاً ويقولون الساعة نلتقي بالنجابة والقرب ويذهب عنا العطش والتعب

هذا ما كان من هولاء واما ما كان من النجابة فانهم لما وصلوا الى المنهل وجدوا عليه صياداً لا يغفل وقدامه شرك الردى وقد اعده لصيد العدى وكان صاحب ذلك المرصاد الامير عنترة بن شداد وكان شيبوب يرقب جهات البر من اليمين والشمال خوفاً من طارق لايكون لهم في بال فلما رآهم وقداقبلت بهم النجب كالارياح الطالعة وهم فوقها كالاعلام اللامعة سار الى نحوهم حتى عرفهم ورجع الى اخيه في الحال وقال انهض فان القوم ما ارسلوا النجابة والقرب الاوهم قد اشرفوا جميعاً على العطب ولما سمع عنترة هذا الخبر ثار كالاسد الغضنفر وفي دون ساعة تأهبوا للقتال وحاطوا بالغدير من اليمين والشمال واول ما فعل شيبوب من الخبث والاحتيال انه ساق النجب هو وعشرة من الابطال واوسعوا في تلك الصحاري والتلال فاقبلت اصحابها الى الماء وهم في غاية العطش والظماء فما دروا الا والطعن يعمل في صدورهم فانذهلوا وحاروا في امورهم وكان كل من

مانع عن نفسه انزلوه الى رمسه ومن سلم نفسه كتفوه ومع ارفاقه اضافوه وما صار السحر حتى افنوهم عن آخرهم وقلعوا منهم الاثر ولم يفلت منهم من يرجع بخبر فاخذوا منهم الاسارى وتركوا الباقين على وجه الغبرا ثم عادوا الى موضعهم بين تلك التلال وقدموا الاسرى الى عنترة وهم في انحس الاحوال فسالهم عن الاسود ومن معه من الرجال فقالوا ان جدوا في قطع القفار يكونون عندكم صباح النهار لكنهم قد اهلكهم العطش وهجير القفار وان اتكلوا علينا لنعود اليهم بالماء عن كثب يهلكون جميعاً بالويل والحرب فلما سمع عنترة هذا الكلام قال والله ان قلبي على بني عبس الكرام فقال شيبوب يا ابن الام قد افتتح لي باب وهو ان شاء الله عين الصواب وذلك ان القوم قد اشتد عليهم الحر وضاقت بهم جنبات البر ولا بد انه من شدة العطش والظماء كل منهم يطلب السبق والتقدم الى الماء فيتفرقون في الصحاري والتلال ولا يلتفت احد منهم على احد من شدة التعب والملال ولا يفتكرون في الاسرى والاموال ولا يخطرون لهم في بال فيكون الراي اننا نشيل هذه القرب على النوق والجمال واقطع بها البراري والرمال ومعي خمسون فارساً من الابطال واكمن بهم حتى ارى الجيش قد تبدد في الصحراء فاظهر انا واصحابي من تلك البيداء وبعد ذلك نتتبعهم على الاثر وننظر الى السبي ومن تأخر فنفعل ما يحسن و يشتهر فلعلنا نخلص الاسرى ونسقيهم من الماء ما يبرد اكبادهم الحرا وان كان معهم احد من عسكر الاسود اطلقت عليهم الفرسان نأخذهم اسرى بالذل والهوان فلما سمع عنتر من اخيه هذا الخطاب قال وذمة العرب الانجاب لقد رأيت الصواب وان تم هذا الكلام بلغنا غاية المرام فافعل ما بدا لك وفق الله اعمالك وخذ معك عروة وخمسين فارساً من الابطال فيقضون ما تريد من الاشغال فقام شيبوب واخذ معه الروايا والرجال واستمر عنترة للقوم في الانتظار حتى انصرم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار واذا قد طلع من بين ايديهم غبار وانكشف للابصار و بان من تحته مهارى تقطع القفار وهي مقبلة على الماء وترمي بانفسها عليه من العطش والظماء ولا تلتفت الى اليمين ولا الى اليسار وكان اولئك القوم الثائرون في ذلك القفر الملك الاسود وبصحبته بنو فزارة وحمل بن بدر ومعه مائتا سيد من قبيلته واكابر عشيرته . قال وكان السبب في قدومه هو ومن معه من قومه انه لما ابطأت النجابة عليهم وانقطعت عن الاسود اخبارهم اشتد العطش في القوم واظلمت ابصارهم فقال الاسود ما اظن الا ان اصحابنا حلت بهم العبر ونزل بهم الشر الاكبر او ضلوا عن الطريق وعدموا

الرشد والتوفيق والصواب اننا نجو بانفسنا ومن معنا بالحال والا هلكنا جميعاً بما في ايدينا من الخلق والاموال ثم ركب هو ومن معه من خواصه وقصدوا مياه بني الاخوض ووادي الرخم ورحل الناس وراهم مجدين في الروابي والا كم حتى وصلوا الى الغدير ورموا انفسهم عن النجب والمهاري في الماء كما يتساقط الحمام في البير فوجدوا اصحابهم في تلك الجنبات قتلى فخاروا وحل بهم عظم البلا وعولوا ان يشربوا و يتبطنوا تلك البطاح واذا بعنترة ومن معه قد ادركوهم باسنة الرماح ورقاق الصفاح وما امسى عليهم المساء واظلم الظلام حتى قتلوا منهم مائة وخمسين فارساً من كل بطل همام واخذوا منهم خمسين سيداً اسارى وقادهم اذلاء حيارى وفي جملتهم الملك الاسود الذي كان على قتل عنترة من قبل يتعمد فان عنترة قد انقض عليه انقضاض الصاعقة فاخذه اسيراً وسلمه الى ابيه شداد فغلله في الحديد والاصفاد وكان شداد امر حملاً بن بدر ومقدم بني فزارة فساقهم اسارى وابلوهم بالذل والويل والخسارة وعاد بنو قراد وهم بارح تجارة وكان اكثرهم فرحاً الامير عنتر وهو يهمهم كالليث القسور فصار عنترة واصحابه يطعنون في صدور الرجال و يضربون بسيوفهم اعناق الابطال واوردوهم مورد الاجال وكانت الرجال تسقط الى الارض ولا تثور والرماح عملت في الصدور والنحور والارض تموج بهم و تمور الى ان طلع السواد وصارت القتلى تلالاً على ظهور المهاد والخيل تتكردس فرق بعضها البعض والصعقات تتلاطم حتى كادت تزلزل الارض وهبت الريح من جهة الشمال حتى بات الانسان لا يعرف يمينه من الشمال وكانت ليلة كثيرة الاهوال غابت فيها مصابيح النجوم وصار الغبار مثل الغيوم فقال عنترة لرجاله الاجواد يا بني عمي لا تخوضوا السواد بل اجعلوا نداكم يا لعبس يا لقراد ولا تقفوا قدام الجمال والخيل لانها اخذت ريح الماء في هذا الليل فمن وقف قدامها وقعت عليه واندفقت عادية كالسيل ثم انه قصد ناحية السواد و بذل فيهم السيوف الحداد وطير الرؤوس عن الاجساد وصارت الارض من الدماء كالبحر في الازباد والصيحات ولمع الاسنة في الجو كالبرق والارعاد زاد على سواد تلك الليلة اضعافاً من السواد وقدحت حوافر الخيل من جلاميد الحجارة ناراً كنار الزناد وتفاقمت نار الحرب في الازدياد وتعاظمت في القلوب الاحقاد وتصادمت الخيل الجياد وتكسرت الرماح المداد هذا وعنتر واصحابه يطعنون في صدور الرجال ويضربون بالسيوف اعناق الخيل والجمال وما زالوا على تلك الحال حتى اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وقد كلت المناكب من طعن الرماح وضرب البيض الصفاح

وعلم قوم الملك الاسود ان عنترًا ملك عليهم المنهل فقاتلوا قتال من استقتل واشتد الضرب والطعن بالسيوف والاسل وكثر على بني عبس العدد وزاد عليهم المدد وضعف الصبر وقل الجلد حتى ابيض جانب الشرق وبان البطل من الحق وفي تلك الساعة اقبلت طائفة بني عبس من تلك الافاق وكلهم على الخيول العتاق وفي ايديهم السيوف الرقاق والرماح الدقاق . قال وكان خلاصهم على يد شيبوب كما قضى علام الغيوب لانه لما سار بالماء في تلك البراري والاكم نجد المسير هو ومن معه حتى اقتبلوا على قوم بني لخم فوجدوهم متتابعين طالبين وادي الرخم وقد تفرقوا في البر والفدافد ولا يلتفت احد منهم على احد وكان ذلك بعد ذهاب الاسود فطلب كل واحد لنفسه النجاة من مجرد ذلك البر والفلاة فوصل شيبوب الى بني عبس وهم في الوثاق والكتاف وقد اشرفوا على التلاف فتقدم اليهم وحلهم واعلمهم بالحال واخذ يسقي النساء والرجال واخبر الملك زهير بافعال عنتر وعدد له من قتل ومن اسر فضج بنو عبس جميعاً بالدعاء للامير عنتر وقالوا والله لا يفرط فيه الا من لا عقل له ولا بصر ثم صاح الملك زهير لما راى من عظيم الفائدة اركبوا يا ويلكم من هذه الخيول الشاردة وخذوا من هذه العدد المبددة التي على الجمال وتقلدوا بالسيوف والنصال واطلبوا معونة من نجاكم من الامر والنكال هذا وقد انتعشت ارواح بني عبس بعد ما كانوا يسكنون الرمس فركضوا طالبين الاعداء ليحلوا بهم الويل والبلاء وتركوا البعض منهم لمداراة العيال والنساء وهم حينئذ اوفى من خمسمائة فارس من الابطال العوابس وما زلوا يركضون الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فاشرفوا على محل الحرب والكفاح وراوا عنترًا واصحابه تحت عجاجة السلاح فحملوا حملة الحنق وطعنوا في بني لخم وشيبان من قلوب تعاظمت فيها الحرق وفاض الدم واندفق وسال من الاجساد العرق وصاح عنترة فيهم وزعق وطعن في الصدور والحدق وضرب ضربًا لا تمنعه الدروع ولا الدرق هذا وشيبوب بين يديه يرمي النبال فيصيب بها مقاتل الرجال وجرى الدم كالغيث المطال وصال الشجاع وجال وترنح البطل واستطال فتفرق بنو لخم ومن معهم من العربان في مهامة تلك القيعان وما تضاحى النهار وعلا حتى اقفر البر من بني لخم وخلا ولم يبقَ منهم الا الاسارى والقتلى وكان ذلك الجيش عشرين الفًا من الفرسان فاسر منهم سبعة الاف مع الاسود اخي الملك النعمان وهدأت الزعقات والصرخات واستراحت الارض من ركض الصافنات والتقى للملك زهير ومن معه من الاولاد بابي الفوارس عنترة بن شداد ومن معه من بني قراد فتقدم عنترة للملك زهير

وقبل رجله في الركاب والتقت الاحباب بالاحباب وهم الملك ان يترجل فقسم عليه عنترة ان لا يفعل فقبله الملك زهير بين عينيه وشكره واثنى عليه وقال له يا ابا الفوارس لقد فعلنا معك القبيح و بغينا عليك في الصحيح وما عرفنا قدرك الا لما فقدناك فلله درك ودر من رباك ما اشفقك وما انصفك وما اغيرك على قومك وما اعطفك وهكذا اثنى عليه شاس ومالك ولم يبقَ احد الا وشكره لذلك وكان يوم على بني عبس ابرك الايام لنظرهم الى حاميتهم عنترة الهمام لانهم لما وقعوا مع الاسود في الاسر والارتباك ايقنوا بالموت والهلاك وبعد ذلك امر عنترة فرسان بني عبس بشيل الاموال والرشال وامساك الخيل الشاردة والجمال وما زالوا على تلك الحال حتى قدمت نساء بني عبس والعيال ومن معهم من الرجال فنزلوا جميعاً في ذلك المكان لاجل راحة الاولاد والنساء وهم جميعاً فرحين بالنصر والظفر والنساء تقبل ايادي الامير عنتر وما منهم الا من اثنى عليه وشكر وفي ثاني الايام رحلوا طالبين جبال الردم ووادي الرمال وعنترة الى جانب الملك زهير واولاده وهم يتحدثون بما لاقوا من الاهوال وعنترة يحدثهم بحديث بني شيبان وحديث الربيع القرنان وما فعل بحقه هو وحذيفة بن بدر من مكايد الخبث والغدر وما زالوا يسيرون والملك زهير ينظر الى الملك الاسود وحمل بن بدر وهما بين الاسارى بلا كرامة ولا قدر و يعرض عنهما و يريهما ان ليس لهما عنده قيمة حتى يعاتبهما على افعالهما الذميمة و بنو عبس سائرون وهم في الخلاص فرحون ويقولون لعنتر جعلنا الله من السوء فداك فانه ما لنا حامية سواك وقد رأينا بني فزارة في هذه المرة اشد عداوة من بني مرة وما كان قصدهم الا خرب ديارنا وقلع اثارنا واما الملك النعمان فانه اذا سمع بما فعلنا باخيه الاسود يجمع علينا العربان ومن يعتمد عليهم من الشجعان وان راى العجز يشكو حاله لكسرى انوشروان فيقصدنا بعساكر الاعجام وعبدة النيران ونحن ما خوفنا الا عليك من دون الرجال لانك ترمي نفسك في معامع الاهوال فتبسم عنتر من هذا المقال والتفت الى الملك زهير وقال وحق نعمتك التي رفعت قدري واياديك التي عظمت امري لو اتانا كل من على الارض من عرب وعجم وهند وديلم ما تركت منهم احداً يصل اليك بالم ولا بد ما اجعل النعمان في اسرك وكسرى يرتعد خوفاً اذا سمع بذكرك هذا ولم يزالوا سائرين والى النجاة طالبين حتى وصلوا الى وادي الرمال حيث تركوا الحريم والعيال فراوه خالي الجنبات موحش الساحات ما فيه ديار ولا من يشعل النار الا الرسوم والاثار وعند ذلك اندهش عنتر وحار

وقلق بنو عبس على فقدان الاحباب ولم يعلموا ما جرى عليهم من المصاب ونظر شيبوب اذاً ببشارة بن منيع مصلوب على احد الجبال فصاح شيبوب وانتحب وفاض دمعه وانسكب وبكى من شدة الحزن والتهب واما عنتر فانه غاب عن الدنيا وصار في حالة الغضب آسفاً على الحريم والعيال وهو لا يعلم من فعل هذه الفعال

قال الراوي وكان السبب لهذا الحديث العجيب والامر المدهش الغريب ان عنتراً آمن لمن خانه وضيع عهده واهانه لانه كان لما سار الى ملاقاة الاسود وغاب عنهم في ذلك البر والفدافد قد ترك عمه وولده عمرو خوفاً من حدوث امر واوصاهم بالحريم والاولاد وترك عندها عشرين فارساً اجواد وزاد في تحريصهم على الاسارى وهم مفرج بن هلال وابن العزى سنان مع مالك بن حسان وظالم بن الحارث والربيع بن زياد واخوه عمارة لانه قد مر الكلام سابقاً على ما قلب عمه وولده لنحوه من البغضة والابتعاد وما تأسس عندهما من الخبث والعناد وكان بعد ان مضى عنترة من الجبال وترك عمه مالكاً وولده عمرو عند الاسرى في الاعتقال دخل عمرو على مفرج بن هلال وصار يطالبه بما كان على اخته من الاموال ويقول له يا ويلك اتطلت ان تنزل اختي في لحدها فهذه غاقبة البغي اوقعتك في يد عبدها وها قد وقعت في الاقفاص وما بقي لك من يده خلاص ولما سمع الربيع كلام عمرو التفت اليه وقال و يلك يا عمرو اما تستحي من هذا المقال او لا تعلم ما عليك انت وابوك من الخبل لاجل متابعتكما هذا العبد ولد الزنا الذي طغى وتمرد وعاش في الخنا وترغبان ان تعيشان في حمايته ولا تعلمان ان اهل الارض اجتمعت على عداوته او تظنان ان عنتر يسلم بعد ان طلبه الملك النعمان او يبقى لكم قدر وقيمة بين العربان ام تقيمون في هذا المكان ولا تنهبكم عن قليل اسنة الفرسان ويحل بكم الذل والهوان لانكم يا بني قراد قد انفردتم في ما بقي فارس في برية هذه البلاد و تريدون ان تعادوا العرب والعجم والفرس والديلم وهذه افعال من تساوى عقله والعدم و يلك يا ابن العم كيف يطيب قلبك على ان تزوج اختك بمن كان بالامس عبداً لها يرعى النياق والغنم ولو ارتقى فوق ملوك العرب والعجم وحوى مال جميع الامم واني اقسم لك يا امير عمرو بحرمة شهر رجب والرب الذي اذا طلب غلب ان عنتراً في هذه النوبة لا يسلم ولو انتصرت له جميع الامم ولا يرجع من قدام الاسود وسوف ترى ما يجري ويتجدد و يلك يا عمرو فدع اباك الامير مالكا يغتنم الفرصة والا شربتم من الموت اعظم غصة وتسبي عيالكم ونساؤكم ويحل فيكم فناكم

وتصبحون مثلاً عند العجم والبربر ومن تقدم ومن تأخر وما زال الربيع يحمس عمراً حتى اخذته الحمية والنخوة الجاهلية فضلاً عما كان في قلبه لعنترة من البغضة والعناد فاصغي الى قول الربيع بن زياد وقال كيف نقدر على المبادرة وقد بقينا في وسط بحور زاخرة فقال الربيع الراي عندي يا امير عمرو ان تاخذوا لكم عند مفرّج خير مكان وانا اخذ لكم منه الامان على اموالكم والنسوان ونتفق كلنا ونسير الى الملك النعمان ونقيم عنده حتى ياتي اخوه الاسود وننظر ما يجري بينه وبين الملك زهير ويتجدد فان كان الاسود ظفر به توسطنا عند الملك النعمان نوبته وزوجناه ابنته ويبطل الريب والارتياب ونزوج اختك عبلة باخي عمارة الوهاب ونعود الى اوطاننا وتجتمع الاحباب بالاحباب ونكون قد نلنا من الفخر اعلى مكان بمصاهرتنا للملك النعمان ويهابنا لاجله كل قاص ودان فقال عمرو وان سلم عنترة في هذه النوبة وظفر بالاسود واتى الى هنا وعلم بحالنا وما تجدد اما يقلع اثارنا الى الابد ولا يبقي منا احد فقال الربيع وهو في الضر الزايد يا امير عمرو من يقول هذا القول فانه لعقله فاقد ايسير عنترة بمائتي فارس وليس هم باعيان و يلتقي عشرين الف مقاتل من الفرسان ويرجع سالماً الى هذا المكان فعند ذلك انخدع عمرو من كلام الربيع لانه كان صاحب حيل وذا فصاحة وعمل لحل الاسرى من القيود فتناولوا عددهم وساروا كالاسود وطلبوا باب الوادي وتلك الشعاب وهم غير مصدقين بالخلاص من العذاب وكان مالك بن قراد كل ليلة ياخذ العشرين فارساً الذين امره عليهم عنترة قبل ان راح و يرقد بهم بفم المضيق الى الصباح ولما خرج مفرج بن هلال بمن معه من الرجال قتلوا من قاتل من رجال عروة وقبضوا على مالك وولده كما سبلا بينهم المقال عند ما حكم عمرو من الاعتقال وجعلوا ذلك نوعاً من الاحتيال ثم انطبقوا في الصباح على الشعب فلكوا الجميع وصلبوا بشارة بن منيع واستخلص مفرج ما كان له من الاموال والحريم والعيال وقبض على نساء بني عبس وعدنان واهان عبلة غاية الهوان لاجل ما بينه وبين عنترة من البغض والعدوان وهكذا ساق امواله واموال اعداه وسار طالباً بلاد النعمان وهو لا يصدق بالنجاة وعمارة يدور حول عبلة و يتلافاها و يسليها عن بكاها و يعدها بخلاصها من يد قناصها وهي لا تلتفت اليه ولا تعن عليه وما زالوا سائرين حتى تضاحى النهار واذا بغبار قد ثار من بين تلك البراري والقفار حتى سد منافس الاقطار فلما قرب اليهم بادر منهم جماعة لكشف الاخبار فرأوا جيوشاً زائدة العدد غائصة بالدروع والزرد وقدامهم فارس جسيم كانه

البرج العظيم لا يساوي طول احد من الرجال الى نحذيه والشجاعة شاهدة له لا عليه فلما اخبروا عنه مفرجاً بن هلال تغير وجهه في الحال ونادى واحرباه هذا والله معدي كرب فارس بنى زبيد وان الفرار من بين يديه خير من الاسر وقيود الحديد ولما فرغ مفرج من هذا المقال اطلق لجواده العنان والتفت الى ابن عمه سنان وقال له اتبعني واترك المال والنسوان فانه يخلص لنا ذلك كله الملك النعمان فهربا وتبعهما مالك ابن حسان وكذلك الربيع واخوه عمارة بن زياد وهو يقول نهرب ونترك عبلة بنت مالك ابن قراد فقال له الربيع ويلك يا نذل الانذال اترك عبلة واباها ولا تمت بسببها فهي نحس على كل من يراها فعندها هرب عمارة بدون ادنى جسارة واما ظالم بن الحارث فلما رآهم قد تركوا حريمهم وطلبوا الفرار قال ابعدكم الله من بين عربان القفار لانكم لا تدفعون غريماً ولا تحمون حريماً ثم انه فارقهم وطلب دياره واخفى اثاره . قال الراوي وكان هذا الفارس الذي هربوا من بين يديه ولم يتهجموا الوصول اليه شجاعاً لا يصطلى له بنار ويعادل بطول قامته الاشجار وكان اذا ركب الجواد الاعلى يحرث الارض برجليه لطول قامته ووفور همته واسمه معدي كرب ويلقب بفارس الفرسان اذا ركب وما كان عليه هم الا ركوب الخيل العتاق والطعن بالرماح الدقاق ودأبه مباغتة الحلل وقتل كل شجاع وبطل وما لملك من الملوك حيلة عليه ولا الجبار وصول اليه . ومما نقلت عنه رواة الاخبار انه ما خرج بذاك الجيش الجرار الا ليقتل عنترة ويأخذ منه بالثار لانه لما سمع ان عنترة نازل في جبال الردم وتلك السباسب اتى ليأخذ بثار ابن عمه خالد بن محارب الذي قتله عنترة فيما تقدم من الخبر حين قصد ان ياتي بالجيدا خادمة لعبلة لتفتخر على البدو والحضر وكان ان الجيدا لما انكسرت بنو زبيد خرجت من قهرها وحزنها وساحت في تلك البيد وقد تقدم الكلام على شجاعتها وان عنترا ما قدر عليها الا بعد جهد جهيد ولكنها بعد تلك الواقعة انقطعت للنوح والتعديد وداومت احزانها حتى اقلقت جيرانها وكان اذا جلس للشراب معدي كرب ورفاقه تاتيه فتكدر عليه صبوحه واغتباقه فيعاتبهما بقوله الم يحن لهذا الحزن ان يزول فتجيبه لا وحق الذي لا يزول ولا يحول ولا ازال بالحزن المتزايد حتى اخذ بثار ابن عمك خالد فيقول لها معدي كرب والله انه من اعظم الاكدار اني اسير الى عبد بني قراد واساويه في الحرب والجلاد واني وحق رب المشارق والمغارب لا اقبل دم عبد بدم خالد بن محارب ولا اقتل به الا زهيراً ملك بني عبس وعدنان وافني بعده كل من يحتمي لهم من العربان ومازال

معدي كرب مصمماً على تلك الاقوال حتى سمع ان عنترًا نازل في جبال الردم ووادي الرمال وعلم بما جرى بينه وبين بني شيبان وعصيانه على الملك النعمان فدخل على الجيدا وقال لها اتقنعي بقتل عنترة بن شداد وجميع بني قراد وسبي حريمهم والاولاد فقالت لا والله لا اقنع الا اذا رايت ارض بني عبس بلقعاً وشربت من دم عنترة فحينئذ اطفي غليل فؤادي ولا اعود اتحسر ولكن اخبرني ماذا جد من الامور وكن بطلب ثار ابن عمك الرجل الغيور فاخبرها بما سمع من اخبار عنترة وما بان منه وظهر وانه قاوم الملك النعمان وكسر بني شيبان وقد فعل هذا كله بمايتي فارس من انذال العرب فقالت يا ابن العم دع التجبر والاغترار ولا تحتقر احداً من العبيد ولا من الاحرار لان السعادة اذا كانت من السماء تجعل اقل العبيد محكماً فاقبل مني وبادر في هذه الفرصة لاخذ الثار وكشف العار ولا تترك من بني عبس من ينفخ النار . لما سمع معدي كرب هذا الكلام هاج به الغضب والانتقام وامر بني زبيد بـاخذ الاهبة للسفر ولبس الحديد واختار منهم خمسمائة فارس من الابطال وسار طالباً جبال الردم ووادي الرمال وقال للجيدا اقيمي هنا حتى اسير الى بني عبس وابلغك المنى فقالت لا وحق اللات والعزى لا سرت اليهم الا بنفسي وذبحت شيخهم وفناهم وشربت بيدي من دماهم وسبيت اولادهم ونساهم ثم خلعت ثياب الحزن والحداد ولبست عدة الحرب والجلاد وسارت في اوائل الخيل وهي لا تصدق متى تنظر عنترًا بن شداد ولما بعدت عن الحي والابيات ضاقت عليها الدنيا بما فيها من الفسحات وهاج بخاطرها اخذ الثار وكشف العار فسارت وهي تنشد وتقول

فني عمري وحزني غيرُ فانِ	وقلَّ تجلدي ومضى زماني
وفيض الدمع قد ادمى جفوني	ونومي بعد خالد قد جفاني
فوا اسفي على من كان يحمي	حمانا بالحسام الهندواني
تمكن منه عبدُ بني قرادٍ	وساعده القضا والموت دانِ
ولو ان صرفَ الدهر غرَّ	لما اعطى الفخار بني الزواني
اثيروا يا بني الاعمام حرباً	على اطلال عبس والمباني
وسوقوا من نساهم كل عذرًا	باطراف القنا سوق الهوانِ
فما يطفي فؤادي غيرُ طعنٍ	يثيرُ عجاجةَ الحرب العوانِ
وضرب من ظبا البيض المواضي	يعض له الشجاع على البنانِ

قال وعند ذلك سارت بنو زبيد وسارت النخوة في راس القريب منهم والبعيد وقد قويت قلوبهم بهذه الابيات وسموها للاحزان مثيرات وما زالوا سائرين حتى التقوا بجيش مفرج بن هلال وهو سائر في الحريم والاموال فرحاً بالخلاص من الاعتقال وهربوا من وجه بني زبيد كما تقدم المقال فعند ذلك قال معدي كرب للجيدا انظري يا بنت العم الى هولاء الرجال وما حل بهم من الخوف والاهوال وهكذا الذئب اذا راى الاسد طلب بالهرب اوسع مجال وهذا نصر ما مسنا فيه تعب وهذه اول السعادة بلوغ الارب ثم حقق في السبي فنظر مالكاً وولده عمر وجماعة من بني قراد وهم في الرباطات الشداد فصاح معدي كرب من الفرح يا للعرب ما اسعدها من طريق فاننا قد توفقنا غاية التوفيق ثم قال لهم ويلكم كيف وقعتم في يد مفرج بن هلال وقد شاع انه عندكم في الاعتقال وان عنتراً قد باغت بني شيبان ونهب اموالهم والنسوان ولما تكلم معدي كرب بهذا المقال قال له مالك نحن الذين قد فعلنا بانفسنا هذه الفعال وتركنا الحق واتبعنا الضلال ووالله ما كنا عند عنترة الا اعز الخلق والرجال ثم حدثه بصنيعهم بعد ان تركهم عنترة وذهب للقاء الاسود اخي النعمان وهو بعشرين الفاً من فرسان العربان وكيف انهم اطلقوا مفرجاً والربيع وعلى الخبث والغدر اتفق راي الجميع ولما سمع معدي كرب هذا المقال قال له لعنك الله يا ملك على هذه الفعال فوحق اللات والعزى لقد جازيتم عنتراً اقبح الجزاء وما علمتم ان عنتراً ترك لكم ذكراً يذكر ما ظلعت الشمس والقمر ولولاه لاندرس رسمكم والاثر ولكن ما جرت هذه العجائب الا لتوفيق الجيدا بثار ابن عمها خالد بن محارب ثم امر بعض العبيد ان يرموا مالكاً على ذلك الصعيد وان يضربوه ضرب من لا يرق له قلب من حديد وهكذا انزلوا بسائر بني قراد الضرب الوجيع حتى عم البلاء الجميع وبعد ذلك قال معدي كرب للجيداء ابشركِ بنيل مناكِ فان هذا الشيخ هو الذي ارسل عنتراً الى ديارك حتى سباك وقتل ابن عمك خالد واورثك الحزن الزايد وقد اراد هذا النحس ان يجعلك لابنته خادمة لتكوني بخدمتها قائمة فلان اشفي فؤادك منه ومن ولده فاذا وصلنا الى الاحياء اقود هذا الشيخ من ذقنه ويده واما عنترة الذي طلبناه في هذا المقصد فانه قد سار للقاء الملك الاسود وما نحن ممن يعاند الملك النعمان في الاعمال لما له علينا من الافضل ولاجل ما ياتينا منه كل سنة من الهدايا والاموال ولكن نعود الى الديار الى ان تصلنا الاخبار فاذا سمعنا بان سبي بني عبس اتى مع الاسود وعنترة معهم مقيد اسير الى النعمان

واستوهب منه عنترًا الكشحان واحضره الى بين يديك واقر بقتله عينيك وبعد هذا المقال رجع بنو زبيد يطلبون منازلهم والاطلال وتولت الجيدا في تلك الطريق عذاب مالك وولده عمرو فعذبتهم عذابًا امرّ من الحريق هذا ما كان من هولاء واما ما كان من المنهزمين من بني شيبان فانهم وصلوا الى الملك النعمان وكانوا جازوا ارضهم ولم يلتفتوا اليها ولا عنوا عليها ولما دخلوا الحيرة وصاروا قدام الملك النعمان شكوا من عنترة احوالهم وعظموا اهوالهم واخبروه ان مقدمهم مفرجًا بن هلال ومن معه من الرجال قد وقعوا في الاسر والاعتقال فقال النعمان وفي كم كنتم قالوا كنا في تسعة الاف وهو بمايتي فارس ولكنهم كالاسود العوابس ثم ان المنهزمين وقفوا بين يديه واخبر كل منهم بما جرى عليه وكيف زحفوا الى الجبل وما حصل من العمل وكم جرى عليهم من الهوان بعد اسر مالك وابن عبد العزيز سنان فقال النعمان وذمة العرب ان هذا الحديث يقطع الظهر وان لم ندبر على هذا العبد اصبحنا بالذل والقهر ثم امر فاخذوا المنهزمين الى احسن مكان وزاد لهم في الاحسان وقال اني اصبر الى ان يأتي اخي الاسود بملك عبس وعدنان واموالهم والنسوان وبعد ذلك انفذه الى هذا العبد فيسوقه اليّ مكبلاً بالحديد فانذبه العذاب الشديد وبعد ذلك اضرب رقبته واجعل الكلاب تاكل جثته وبعد اربعة ايام وصل مفرج بن هلال وسنان ومالك والربيع وعمارة وهم قد خلصوا جميعًا من القيود والاغلال وما فيهم من يظن انه نجا ولا راى بعينه فرجًا حتى دخلوا على النعمان وشكوا بين يديه ما جرى عليهم من الذل والهوان فامر لهم بالجلوس ووعدهم بازالة النحوس

ثم التفت الى مفرج ورفقته واستعاد منهم الحديث على جليته فاعادوا عليه ما صادفهم من قلة التوفيق وكيف لاقاهم معدي كرب في الطريق فلما سمع الملك النعمان هذا المقال تعجب من تلك الاحوال وقال والله يحق لهذا الحديث ان يكتب بماء الفضة والذهب لما جرى فيه من العجب ولما زاد به الغضب وتوقد قال لمفرج في كم سار هذا العبد الى لقاء اخي الاسود فقال والله يامولاي سار بنحو مائتين من الابطال وقد زين له الشيطان وجه المحال وانه يخلص حريم بني عبس والعيال فلما سمع النعمان هذا المقال اخذه الانذهال وقال اذا شاع هذا الخبر في الاقطار فهو علينا من اكبر العار ولا اقول ان هذا العبد عاقل بعد هذه الفعال بل انه لا يخاف الموت ولا يخطر له على بال فعند ذلك تقدم الربيع وقبل الارض وقال ايها الملك ادامنا الله تحت ظلالك انه ما جعل هذا العبد يركب الخيل ويرمي روحه في المهالك الا عشقه لعبلة ابنة مالك فقال عمارة والله صدقت يا ربيع لان عبلة تورث

الجنون بلحظها البديع فعرف الربيع معناه وقال له ويلك يا جبان ولماذا لم يزدك حبها شجاعة بل قد زادك ذلاً وصقاعة واما النعمان ومن عنده من العربان فقد حزنوا على بني شيبان فصار النعمان يطيب قلوبهم ويقول لهم يا وجوه العرب لم يبق لنا وجه نطلب منه الفرج و بلوغ الآمال الاقدوم اخي الاسود ومن معه من الابطال فان كسرهم عنتر بمن معه من الانذال طلبنا لانفسنا سكناً غير هذه البلاد والاطلال وانه لم يقل هذا امام العرب الا من شدة ما حل به من الغيظ والغضب و بعد قليل من الايام وصلت طائفة من بني جذام ولخم الذين انهزموا من روابي الرخم وما فيهم من يلتفت الى ورائه ولا يعلم ما جرى برفقائه وكان النعمان ذلك اليوم في موكب عظيم من ارباب دولته وعظماء مملكته وكان بعيداً عن المدينة في ارض يقال لها النخف فلما راى الغبار عن جواده وقف ولما ابصر المنهزمين تسابقوا اليه ورموا انفسهم عن الجمال بين يديه ورفعوا على رؤوسهم التراب ونعوا له اخاه الاسود ومن معه من الاصحاب فلما راى ذلك النعمان زاد به الاضطراب وكاد ينعجم لسانه عن الخطاب فقال ويلكم وهل ظفر بكم عنتر قال نعم وباخيك الاسود ومن معه من العسكر وقد قلع من الجميع الاثر وتركنا فضيحة ومثلاً بين البشر فقال النعمان يا اولاد الانذال نحن سمعنا انه سار اليكم بمائتين من الرجال وانتم في عشرين الفاً من الابطال الاقيال ومعكم اخي الاسود الذي اذا غضب لم يبق على احد فقالوا ايها الملك اننا كنا في عشرين الفاً بلا خلاف وقد زاد فينا طائفة من بني فزارة ومن بني مرة نحو خمسة الاف وسرنا كلنا مع اخيك الاسود الى ديار بني عدنان وحطنا بهم من كل جانب ومكان وملكنا اموالهم والنسوان وانزلنا بهم الذل والهوان وعدنا راجعين والى عيون الظما قاصدين وملانا القرب واخذنا في المسير والطلب وما زلنا نقطع البر حتى نضجنا من التعب وما احدمنا الا وكان قد اكل من لحم الوحش فعطش والتهب فقمنا الى الروايا فاذا هي مبزولة ناشفة ما فيها ما يبل الشفة فزاد بنا الظما وحل بنا الانبهار وصارت الارض حولنا كقطعة من نار فلما راينا اخاك الاسود قد اشرف على العطب شار عليه بعضنا ان ينفذ النجابة بالقرب ليملاؤها من غدير بني الاخرم فالتقاهم عنتر واورثهم العدم واعادوا عليه كل ما تقدم فقال لهم النعمان وهو يعض اصابعه و يستعظم فجائعه هل اخي سالم ام قتله عنتر فقالوا والله ما عندنا منه خبر فامتلا النعمان غيظاً وانتقاماً وصار الضيا في عينيه ظلاماً وفي اخر النهار وصل جماعة من المنهزمين فاخبروه ان الاسود باقٍ اسيراً وانه بات عند عنترة ذليلاً حقيراً وهكذا اخبروا عن حمل بن بدر وجماعة من بني فزارة وقالوا ان بقية العساكر ضاعت من العطش

فذهبت خسارة اي خسارة فعند ذلك رجع الملك النعمان الى البلد وقد كاد يموت من الهم والنكد وسار وهو يقول هذه سبعة الاف ناخذ ثارها من عبد اسود نسل حرام ونجعل دم العبيد عديل دم بني لخم وجذام وهذه غاية النقص في المقام وان وصل هذا الخبر الى كسرى انو شروان فلا يبقى لنا عنده قدر ولا شان ولما سمع الربيع هذا الكلام تكدر وكاد ان يختنق من انعال عنتر ومساعدة الزمان له كيف دبر فتقدم الى امام النعمان وقبل الارض ودعا بافصح لسان وقال ايها الملك المظفر لا ياخذك بهذا الامر هم ولا فكر فان حكمك نافذ في جميع البدو والحضر فاكتب ايها الملك الى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب فتنفذ العربان اليك وتجتمع كلها بين يديك فنقلع اثار بني عبس وتحل بهم التعس والنكس لانك اذا قلت لمن يقدم اليك من الفرسان ابحكم قتل رجالهم ونهب اموالهم تطلبهم القوم من كل جانب وتقصدهم القبايل من المشارق والمغارب فيفنوهم بالنكبات والمصايب ولو كان فيهم مثل عنتر عشرة الاف راجل وراكب وانا اكتب الى حذيفة بن بدر واعلمه بهذه العبارة فياتي بجميع بني فزارة وارسل لبني مرة وفارسهم ظالم بن الحارث لياتي و ياخذ ثاره و يكشف عاره وارسل ايضا الى اخوتي واهل عشيرتي ونسير الى هذا الشيطان فنهلكه ونفني من معه من الفرسان فقال له النعمان وقد زاد به الغضب واشتد والله يا ربيع قد فتحت علينا بابًا لا يسد واحوجتنا الى خرق ناموسنا مع هذا العبد ثم ان النعمان من وقته وساعته امر ان يكتب عشرين كتابًا الى قبائل العرب الذين هم تحت امره وطاعته و كتب ايضًا الى معدي كرب فارس بني زبيد يعلمه بامر الملك الاسود وانه عند بني عبس مصفد ومعه سبعة الاف من بني لخم وجذام وهم في حالة الذل والارغام ويامره في الكتاب بالقدوم عليه والحضور بين يديه وان يحضر معه جميع فرسان بني زبيد و بني مراد ليكونوا لهم عونًا على عنتر بن شداد و يقول له ارسل الينا حريم بني عبس وعدنان وسبي بني شيبان ولا تترك عندك من سلبهم ولا رمة عقال ولا تتعرض لهم بحال ثم اوصاه باخر الكتاب بحفظ عبله ومن لها من الاصحاب ووعد انه يعوض عليه اضعاف ذلك عند ما يصبح ذلك العبد صريع المهالك و يحرضه على القدوم بالعجل بدون توان ولا مهل فلما وصل الكتاب الى معدي كرب قراه وقال يا للعرب لله در بني عبس وما نالت من الفخر ودر الزمان وما يظهر من العجب والله لا بد ما يكون لهذا العبد حديث تعجب به الرجال و يذكر على مدى الاجيال وقد كان في ما مضى قتال هذا العبد عارًا واليوم اصبح عزًا وفخارًا لانه قد اذل السادات والفرسان وقاوم الملك النعمان ومن قهر هذا العبد في الميدان ساد على جميع

فرسان العربان لان الناس رجلان رجل يصف نفسه بمقاله ورجل تصفه الناس بفعاله ولما فرغ من هذا الخطاب استعاد الحديث من النجاب فاخبره ان عنترًا نازل في جبال الردم ووادي الرمال فامر باكرامه وانفذ للجيداء واخبرها بهذا المقال واعلمها بما دبر من الفعال وكانت الجيدا لم تزل مشتغلة بعذاب مالك وولده عمرو الى ان قدم رسول النعمان واخبرها معدي كرب بما كان واما عبلة ونساء اعمامها فان الجيداء جعلتهنّ خدامات وكلفتهنّ ما تكاف به الاموات فلما اتاها الخبر قالت يا ابن العم اما ما ذكره النعمان من رد اموال مفرج بن هلال فاني اقبله على الراس ولا اغير المقال واما ما ذكره بخصوص عبلة واهلها فحتى اسير الى عنتر بن شداد وابلغ منه بالقتل غاية المراد ولا اريد من النعمان ان يمدنا بنجدة ولا اسعاد وعليّ ان آتيه بعنتر بالقيود والاصفاد واخاص الاسود من الاسر والعناد ويكون ذلك على يدي وتبرد نار كبدي فقال لها معدي كرب ان الراي الصواب الذي لا يعاب ان تسيري بسبي بنى عبس و بنى شيبان الى الملك النعمان وانا اخذ خمسة الاف فارس اجواد واسير الى لقاء عنتر بن شداد واتيكم به بالقيود والاصفاد واذا فعلت قدام النعمان هذه الفعال لا يخالفني ابداً في مقال قالت اني لا اسير الا ومعي جميع بنى قراد حتى لا يخف عنهم العذاب والانكاد ثم ان الجيداء تجهزت بمائة فارس وساقت بنى قراد قدامها وسارت كالاسد العابس ولم تزل مجدة السير في تلك الاراضي والافاق حتى وصلت الى ارض العراق وكان في جملة الماسورين جرير اخو عنتر وقد قاسى من الشدة كل منكر ولم يجد فرصة للخلاص والنجاة من الاقتناص الا ذلك اليوم فانه سار في عرض البر وراح بين تلك التلال قاصداً جبال الردم ووادي الرمال وما وصل الى تلك الجبال واخبر عنترة بما جرى من الاحوال واما ما كان من معدي كرب فانه رحل بعد مسير الجيدا بخمسة الاف فارس كالاسود العوابس وركب قدامهم وسار وهو يترنم بهذه الاشعار

سباع البرّ سيري واتبعيني	تري نعم الصوبحب عن يقين
اذا اصبحتُ حيّ بني قرادِ	صباحًا اقتضي منهم ديوني
فاترك قومهم بالحي صرعي	بطعنٍ بالجباه و بالعيون
وتعرفني الفوارس بعد فتكٍ	بعبدهم المسمى بالهجين
انا معدي المقدم من زبيدٍ	وكلُّ فوارس العربان دوني
لظلي تسجد الفرسان خوفاً	اذا جردت سيفي في يميني
لي الدنيا ومن امحى عليها	عبيد في المعاقل وفي الحصون

و باسي يا بني عبسٍ شديد   فخافوا سطوتي لا تجهلوني
فما لجميعكم عندي اعتبارٌ   ولا قدرٌ اذا قابلتموني
ولولا البغيُ قلت الارض طرًا   اقابها برمحي فتتقيني

قال الراوي ان هذه الابيات من جملة مقالات جاهلية العرب لانهم كانوا اذا علا الفارس منهم ظهر جواده واعتد بعدة جلاده يقول ان الارض وما عليها جميعًا في قبضة يده والموت بين صارمه ومهنده . هذا ما كان من معدي كرب فارس العرب . واما ما كان من بني عبس وعنتر فانه وصل اليه اخوه جرير واعلمه بالخبر ان معدي كرب قادم عليه بخمسة الاف فارس من الابطال القناعس وان الجيداء سارت بعبلة مع السبي وجملة النسوان الى الملك النعمان فلما سمع عنتر هذا المقال اخذه الانذهال واتى الملك زهير واخبره بتلك الاحوال لان الملك زهيرًا واولاده كانوا لا يزالون يبردون قلب عنتر من حين ما وصلوا الى الجبال واندهشوا من ذلك المنظر وكان قد جرى عَلَى عنتر ما لا يجري على قلب بشر فقال له الملك زهير يا ابا الفوارس لا تعتب عَلَى الزمان فانه لم يزل باهله خوان وان الدهر يومان يوم فرح ومسرة ويوم بؤس ومضرة قال عنتر والله يا مولاي ليس خوفي على الاموال ولا جزعي من تقلبات الاحوال ولكن اخاف على عبلة ان يصل بها الربيع الى النعمان يزوجها باخيه عمارة الكشحان قال شيبوب وحق من تطيعه الشمس والقمر والبدر انه ما فك الاسرى وفعل هذه الفعال الا عمك مالك وولده عمرو واني ما كنت طيب القلب بتركهم بعدنا في هذه الجبال لان الغدر لم يزل في قلوبهم ولا بد ان يقعو في الخبال ثم انهم نزلوا في ذلك الوادي وضربوا الخيام وملاوا المغاير والكهوف من اسرى بني لخم وجذام وقام عنترة لوعة الوجد والهيام وكان اذا وجد مع اولاد الملك زهير يظهر الجلد والاصطبار واذا خلا بنفسه يعدد نفسه بمثل هذه الاشعار

لمن طللٌ بوادي الرمل بال   محت اثاره ريح الشمالِ
وقفت به ودمعي من جفوني   يفيض على مغانيهِ الخوالي
اسائل عن فتاة بني قراد   وعن اترابها ذات الجمالِ
وكيف يجيبني رسمٌ محيلٌ   بعيد لا يعن عن سوالي
اذا صاح الغراب به شجاني   واجرى ادمعي مثل اللالي
واخبرني باصناف الرزايا   وبالهجران من بعد الوصالِ
غراب البين مالك كل يوم   تعاندني وقد اشغلتَ بالي

كاني قد ذبحتُ بحد سيفي ... فراخك او قنصتك بالحبالِ
بحق ابيك داوي جرح قلبي ... وروح نار سري بالمقالِ
وخبر عن عبيلة اين حاتْ ... وما فعلت بها ايدي الليالي
فقلبي هائم في كلِّ ارضٍ ... يقبل اثر اخفاف الجمالِ
وجسمي في جبال الردم ماقي ... خيالاً يرتجي طيف الخيالِ
وفي الوادي على الاغصان طيرٌ ... ينوح ونوحه في الجوّ عالِ
فقلت لهُ وقد ابدى نحيباً ... دع الشكوى فحالك دون حالي
انا دمعي يفيض وانتَ باكٍ ... بلا دمع فذاك بكاء سالِ
لحى الله الفرق ولا رعاه ... فكم قد شك قلبي بالنبالِ
اقاتلُ كلّ جبار عنيدٍ ... ويقتلني الفراق بلا قتالِ

قال الراوي وكان عنتر لم يزل في البكاء والتعديد والحزن الشديد حتى وصل اليه اخوه جرير من بني زبيد فكان وصوله مثل يوم العيد لانه اخبره بجميع الاسباب وبين له مالم يكن عنده بحساب . قال ولما اخبر عنتر الملك زهير بما سمع من اخيه جرير خف كربه واطمان قلبه وقال له وعلى ماذا عولت من الفعال بعد ان عرفت بهذه الاحوال قال يا مولاي الاقي معدي كرب ومن معه من الفرسان واشتت شملهم في هذه القيعان واذا ساعدتني المقادير على مقصدي ووقع معدي كرب في يدي طلبت منهُ النساء وابنة عمي عبلة وكفلته بجميع اموال الحلة فان تعهد بذلك والا سرت الى هنالك فاخلصهم من الاسر والهوان وافني سائر بني شيبان واذا خانني الزمان وسمعت ان عبلة تزوج بها عمارة القرنان ضربت رقبة الاسود وفنيت اهل العراق واقمت الحرب على قدمٍ وساق ولا ازال اسفك دماء واغزو الملا حتى اصبح قتيلاً في الفلا قال مالك بن زهير والله ما نفارقك وابنما سرت نرافقك وكان ابو شداد وعمه زخمة الجواد قد جرى عليهما لفقد الحريم غم جسيم وهم عظيم قال الراوي وان عنتر من حينه تاهب للقاء معدي كرب ومن معه من بني زبيد وقد عزم ان يلتقيهم وحده في ذلك البيد ثم قال عنتر للملك زهير واولاده الصناديد ان هذا الفارس قادم الينا بمن معه من الفرسان وقد شهدت له بالشجاعة ابطال العرب والشجعان قال الملك زهير لقد صدق الذي وصف هذا الفارس والقرن المداعس قال عنتر ايها الملك كن آمنًا من كل من يقدم عليك فان عبدك كفوء لمن ياتي اليك ولما انصرفوا ذهب كل منهم لياخذ راحة المنام وكان عنتر قد خرج عن الخيام وسار الى باب المضيق

اقام هو وشيبوب يحرسان الطريق وفعل كذلك في ثاني ليلة فتمت له الحيلة وفي الليلة الثالثة انتظروه فما عاد اليهم وخرجوا يطلبونه فخفي خبره عليهم فقلق الملك زهير لذلك وقال والله ماهو الا قدسار وحده الى بني زبيد ويرمي نفسه في كل هول شديد فوحق ذمة العرب لقد ركب طريق الخطر بمسيره وحده ولم يعلمنا بالخبر قال شداد ايها الملك ان ولدي كما تعلم مقدام على عظائم الامور وقدستمته لمن يعلم وساوس الصدور وعلينا ان نحفظ هذا المكان من كل خطر حتى يعود الينا ولدي عنتر اونسمع له بعلم او خبر لانه يعلم كل من حضر انه ما سار الا ليلتقي معدي كرب ومن معه من العسكر هذا ما كان من هولاء واما ما كان من معدي كرب فانه لما قارب تلك الجبال نزل بمن معه بين تلك التلال وقال لهم قد قربنا الى حيث نحن طالبون القتال وانا اعلم ان عنتراً اذا سمع بخبري وعلم بالحال فما يخرج الى حيث ما يكون للحرب مجال بل يمسك راس المضيق ويقاتل بقدر ما يطيق واخاف ان يطول المطال وتدركنا قبائل النعمان قبل ان نبلغ الامال وقد بدا لي راي الصواب ان انزل بين هذه الهضاب واخذ معي عشرة من الفرسان الاخيار وهجم بهم على الشعب عند طلوع النهار فما يعلم عنتر وقومه الا ونحن في داخل الوادي ونقبضهم قبض الايادي الى ان تاتوا الينا ويهون الامر علينا ويعلو ذكرنا بهذه الفعال لان التدبير خير من القتال فقال له الجميع افعل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك ولما سمع معدي كرب منهم ذلك الكلام اراح نفسه ساعة في المنام ثم قام واعتلى ظهر الجواد واخذ عشرة من فرسانه الاجواد واوصى الباقين ان لا يرحلوا الى الصباح وصار يقطع البطاح حتى قارب السحر وهم في ذلك البر الاقفر واذا برجل متجنب الطريق ساير تحت الماس وله خطوات اخف من النفس قال معدي كرب لبعض رفقاه انظر من هذا الرجل الذي نراه فاطلق ذلك الفارس العنان حتى قارب ذلك الرجل فاداهو واقف غير بعيد منهم يسمع ما قالوه بذلك الشان وكان قد ابصرهم كما ابصروه وانكر امرهم كما انكروه فقال الزبيدي من اي الناس انت ياغلام والى اين قاصد في هذا الظلام فقال الرجل انا من بني زبيد وقد ارسلني مولاي معدي كرب اكشف له اخبار عنتر وها انا قد عدت ومعي اطراف الخبر قال الزبيدي كذبت يانسل الفجار وها نحن بنو زبيد سائرين لنقلع من بني عبس الاثار ثم مد السنان واراد ان يسوقه الى معدي كرب ليستخبره عن حاله فرماه بنبلة اسقاه كاس وباله ولما وقع وصاح سمع معدي كرب نداه فقال واحرباه قد قتل ابن عمنا وخسرناه فدونكم قاتله يابني عمي فاعدموه الحياة فتبعه اربعة على الاثر فهرب وغاب كلمح البصر فتعجبوا

منه كيف نجا واطلقوا خلفه الاعنة تحت اذيال الدجى واذا به قد عاد ومعه فارس كانه طود من الاطواد او من بقايا قوم عاد وكان ذلك البطل الجواد حامي قومه يوم الطراد فارس الفرسان ومذل الشجعان الامير عنترة بن شداد وذاك الرجل الذي امامه اخاه شيبوب وهو يشابه بجريه ريح الجنوب فانصب عنترة على الخيل انصباب السيل فقتل منهم اثنين وضرب شيبوب الثالث بنبلة في فؤاده نكسه عن جواده وعاد الرابع لنحو قومه ينادي ويقترب حتى وصل الى معدي كرب فاخبره بما فعل ذلك الفارس المغوار فزاد به الغيظ وقدحت من عينيه شرر النار فاطلق الجواد حتى التقى بعنترة بن شداد فتطابقا وما فيهما من نظم ولا نثر وزاد الظلام واعتكر ووقع بينهما الضراب من خطا وصواب وقطر الدم من اجسادهما على التراب وقامت لهما زعقات وهجمات تشيب الغراب وما زالا يتطاعنان بالرماح حتى ابيضّ مفرق الصباح ولم يبق بين ايديهم الا الكعوب فتركوها وجردوا الصفاح واخذوا في الجلاد والكفاح وكان شيبوب قد التقى بالفارس الاخر وما زال يروغ قدامه حتى قتل جواده واخذ يضربه بالنبال ولا ينال منه مراده لما عليه من الحديد والزرد النضيد هذا وعنترة مع معدي كرب في القتال والضربات تختلف بينهما على الدرق بالنصال وقد لمع بينهما صارم الموت وبرق وعظم بينهما الغيظ والحنق وذابت القلوب من الحرق وكان قد حل بمعدي كرب الضجر والقلق لانه ما ظن انه يلقى من عنترة هذا الملتقى ولا يشقى معه هذا الشقا فعند ذلك رميا من ايديهما السيوف وكلٌّ يود ان يسقي رفيقه كاسات الحتوف وتدانيا بالمجال وتجاذبا بالاطواق وكادت ارواحهما تبلغ التراق فوقع كلاهما عن الخيل لانهما قد ذهب منهما العزم والحيل وما عادت خيلهما تقدر على الدوران والميل ولما وقعا الى الارض صاحا صيحات الاسود ومحقت ارجلهما حصي الجلمود وكان معدي كرب قد كلّ وملّ وفقد شجاعته وعزمه واضمحل وابصره عنترة قد جرى الدمع من عينيه وانذرف لشدة الغبينة والاسف فحينئذ زعق فيه عنترة زعقة الاسد وتقدم اليه وحمله بما كان عليه وجلد به الارض فانوهن وكاد يتقيا ما رضعه من اللبن فشد كتافه وهو غائب عن الدنيا مما عاينه من البلوى ولما ابصر صاحبه ذلك ايقن انه هالك فانقض عليه شيبوب واخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيرًا ولما صار بين يدي عنترة قال له يا ابا الفوارس ليس لك عليّ فضل في هذه النوبة لان كلاًّ منا قد عاد بفارس فقال عنتر صدقت ولكن بينهما تفاوت لو عرفته ما نطقت واعلم يا ابا رباح وحق من خالف بين المساء والصباح ما ولدت مثل معدي كرب النساء ولا تلد مثله الا اذا شاء رب السماء فقال معدي كرب لا وحق خالق

الاديان ومركب الارواح في الابدان ان الفروسية والشجاعة تفقدان اذا حضرت يا عنتر في الضراب والطعان ويتساوى بين يديك الشجاع والجبان
قال الراوي وكانت فرسان الجاهلية تنصف نفوسها في ذلك الزمان ولا تقول الا الحق في اي حال كان ثم ان عنترا شد معدي كرب عَلَى جواده عرضاً وقال لشيبوب شد اسيرك وعد بنا الى الجبال لاني اريد ان اخاص بمعدي كرب ابنة عمي عبلة والاموال وكل ما لنا عند النعمان في الاعتقال والا ضربت رقبة معدي كرب ورقبة الاسود وخلصت قومي ومالي بالحسام المهند فقال له معدي كرب يا ابا الفوارس ان عبلة تخلص هي ومن معها من الرجال ولا يفقد من اموالكم عقال وان كنت تثق بي فاطلقني من الاعتقال وانا اردعنك فرسان قومي واكفيك امر القتال واكون صديقاً لك مدى الايام والليال وربما اتوسط نوبتك عند الملك النعمان و يصطلح عَلَى يدي امركم والشان من قبل ان تسير اليك عساكر العربان وتقصدك الابطال والشجعان ويأتيك خلق كعدد الرمل فيحاصرونك في هذه الجبال وفي ذلك الوقت تطلب الاقالة ولا تقال لان الشجاعة تبطل عند كثرة الرجال وانت بعد ذلك ابصر واخبر وعلى تدبير نفسك اقدر فقال عنتر ان الذي تقوله يامعدي انا أعرفه ولست اهدى مني الى ما تصفه ولكني ما عاندت النعمان و بذلت سيفي بالفرسان الا لامحو اسم العبودية وانال المنزلة العلية وقد خطر ببالى اني اتغلب على الدول و يعلو ذكري على الاوَل و يضرب بي من بعدي المثال واني لا ارمي روحي في هذه الاهوال الا لاجل هذه الاحوال ولا اعلم هل ذلك لسعادتي ام لهلاكي وانقضاء مدتي فلما سمع معدي كرب هذا الخطاب انقطع عن رد الجواب وعلم انه رجل لا ينجع فيه العذل وقد استقل وهانت عليه نفسه قبل فروغ الاجل وانه لا يحضر لقتاله الا من انقطع من الدنيا رزقه والامل وما سار عنتر الا قليلاً واذا بغبار بني زبيد قد ثار وصهيل خيلهم قد قلب الاقطار وكان عنتر سائراً بالعجل وهم مسرعون ليلحقوا مقدمهم بدخول الجبل وكان معدي كرب قد حدث عنتر بما فعل وانه قد سبق قومه لذلك العمل وحصل له ما خاب به الامل ولما تحقق عنتر ذلك الغبار قال لشيبوب خذ هذين الاسيرين وتقدم في هذه القفار وانا ارد عنك هذا الجيش الجرار فاخذهما شيبوب وسار واندهل معدي كرب من ذلك واحتار وقال في نفسه ان هذا العبد جبار لانه يريد يلتقي جيشاً فيه خمسة الاف فارس من كل مدرع ولابس من فرسان بني زبيد الاشاوس ولكن الانسان الموفق السعيد ينال كل ما يريد وما زال بنو زبيد سائرين الى ان وصلوا الى مكان القتال فراوا جثث القتلى مطروحة

عَلَى تلك الرمال وتبينوهم واذا هم بنو عمهم الذين ساروا مع معدي كرب ليدخلوا المضيق كما تقدم المقال فنزل بهم الخبال وعظم بهم الغضب والاشتعال واخذوا ينظرون الى اليمين والشمال ولا يرون احداً يسالونه عن تلك الاحوال فما راوا الا فارساً سائراً امامهم وهو يلتفت اليهم ولا يخشى اقدامهم . فقال بعضهم دونكم هذا الفارس واسالوه من فعل هذه الفعال وان كان هو فاعلها فشيلوه عَلَى اسنة الرماح الطوال فجاروا وراءه ومدوا الرماح ولما قربوا منه صاحوا عليه باشد الصياح وقالوا ويلك يا ابن الانذال من فعل باهالنا هذه الفعال واين فارسنا معدي كرب سيد بني زبيد ومالك القفر والبيد ومن انت ايها السائر وحده كالشريد فعاد اليهم عنترة عودة الاسد الرئبال وزعق بهم صوتاً يقلب السهول والجبال وقال انا عنتر بن شداد صاحب هذه الفعال وسيدكم معدي كرب عندي في الاعتقال وانتم يا بني الانذال ابشروا بالفنا والاضمحلال وكان في يده رمح طويل اخذه من بعض القتلى فطلب به صدورهم وابتدا يجندلهم في الفلا وفي اقل من ساعة قتل منهم فوق عشرين وبات الباقون منذهلين بعد ما كانوا وراءه متتابعين وعادت اواخرهم تدرك الاوائل وتصيح يا ذل بني زبيد بين القبائل وعنتر يمانع عن نفسه ويقاتل وكلما تاخروا عنه يقدم عليهم ويدحرج القلل حتى قتل منهم مائة بطل ولما راوا ذلك انقسموا عليه عشرة مواكب وداروا به من كل جانب وقالوا لبعضهم يا ويلكم ما فيكم من يتحدث بهذا بين العرب الا لبستم العار ما تعاقب الليل والنهار لاننا خمسة آلاف فارس اماجد قد حملنا عَلَى فارس واحد هذا لم يفعله احد عَلَى الارض فاكتموا هذا الحديث بعضكم عَلَى البعض ولما تبصر عنترة بافعالهم اجهد نفسه في قتالهم حتى زاد به التعب والعنا فمدوا اليه القنا وقصر جواده من التعب واستحب الموت على الهرب وقد هم ان يترجل ويدافع عن نفسه الى ان يتيسر له سبب واذا بخيل بني عبس قد طلعت وراءه كانها العقبان وهي تصيح يا لعبس يا لعدنان وشيبوب قدامهم كانه السرحان وخلفه مالك بن الملك زهير وعروة وشداد وزخمة الجواد تتبعهم فرسان بني قراد وكانت جماعتهم خمسمائة فارس اجلاد وكان السبب في ذلك ان الملك زهير بعد فقد عنترة تحيز وخاف من كثرة العسكر فاحضر جريراً وساله عما يريد وقال له ويلك متى فارقت بني زبيد قال يا مولاي قد تركتهم خلفي يسيرون وهم اليكم اليوم او غداً يصلون قال زهير والله ان عنتراً قد سار اليهم لينجز امرهم في تلك القيعان ويفرغ باله لقتال النعمان والصواب اننا نرسل له من يعينه من الفرسان قال عروة انا اسير وراءه برجالي واعينه بابطالي قال شداد وانا اتبعكم عَلَى الاثر ولا اقعد عن نصرة

ولدي عنتر وكذلك قال زخمة الجواد وجميع فرسان بني قراد فسار بهم مالك بن زهير من اول النهار وقدامهم جرير يقتفي الاثار وماساروا الا يسيراً حتى التقوا بشيبوب فطابت منهم القلوب وزادوا فرحاً وسروراً لما راوا معدي كرب ماسوراً وحدثهم شيبوب بالخبر وقال لهم اسرعوا لمعونة عنترة ثم سلم معدي كرب لمن يثق به ليوصله الى الجبال ورجع مفر قدامهم بالحال فادركوا عنترة على ما ذكرنا من المقال ولما ابصروه صاحوا وحملوا ولما ابصرهم بنو زبيد تخبلوا وحينئذ اشتد القتال وعملت النصال وصال عنترة وجال وكان الابجر قد جرح فركب من الجنائب وعاد يكر على الكتائب و يشق بسنان رمحه المواكب وكانت هيبته قد وقعت في قلوب بني زبيد لما راوا من ضرباته التي تقطع الحديد فقاتلوا الى غروب الشمس وتفرقوا قدام بني عبس وعند ذلك طلبوا ديارهم وقد اخمدت همة عنترة نارهم ورجع عنترة وبنو عمه وهو يشكرهم عن قدومهم عليه وقبل صدر مالك و يديه فقال له مالك والله يا ابا الفوارس لو القينا ارواحنا قدامك بالمهالك لما كافيناك على افضالك مع انك لست بمحتاج لمساعد ولا لمعاضد ثم انهم جمعوا اسلاب القتلى وامسكوا الخيل وعادوا الى الجبال قبل نصف الليل وعلمت بنو عبس بقدومهم فزالت همومهم و بعد ان استراح عنترة دعاه الملك زهير فسار الى خدمته ولما وصل اليه هناه بسلامته وقال له يا ابا الفوارس ما انا راضٍ منك بهذه الفعال لانك تسير وحدك وتركب الاخطار والاهوال فقال عنترة يا مولاي ان هذه الامور لا تقرب منية ولا تبعد رزية ولا يكون شيء الا باذن رب البرية فتعجب الملك زهير من حسن يقينه ونخوته وشدة قلبه وعزيمته ولهذا الامر كان بنو عبس اشد الفرسان لا يقدر احد يلقاهم في ميدان لان الامير عنترة كان قد شدد قلوبهم بمقاله وهوّن لهم الموت بافعاله ولما خلا قلبه في ذلك اليوم احضر معدي كرب وقال له اكتب الى بنت عمك الجيدا والنعمان وافدِ نفسك بما لنا عندكم من الاموال والنسوان وان لم تفعل فلا تتامل بخير وحياة ملكنا زهير فقال معدي السمع والطاعة وكتب فقال في ما كتبه اعرف بنت عمي الجيدا ان الزمان غدار والعاقل لا يامن من الاغترار ومن قال ما مثله في الابطال فقد اخطأ في المقال وانا كنت جاهلاً فعلمتني نوائب الحدثان والان قد ذهبت مني عزيمة النفس وتنهدت في يومي عن امس ووقعت مع فارس لا يخاف الموت ولا يفوته فوت ثم شرح لها وسطر جميع ما جرى له مع عنتر وامرها ان تنفذ نساء بني عبس وقراد واموالهم والاولاد وان تعتذر الى عبلة عما حملتها من الثقلة وانها ان ابقت عندها من مالهم قيمة عقال يبقى طول عمره في الاعتقال ثم امر احد بني عمه

بايصال الكتاب فاخذه وسار كالبرق في السحاب ولما انفرد في تلك السهول انشد يقول

لقد أُمرَ المقدم من زبيدٍ على يد فارس صعب القيادِ
شجاعٌ لا يخاف من الرزايا ولا يخشى ملاقاة الاعادي
اذا حضر النزال رايت ليثاً يثلم ضربه حد الهنادي
ويفترس الفوارس في مجال يضيق على المضمرة الجيادِ

وما زال هذا سائرًا في الغم والحيرة الى ان وصل الحيرة. اما ما كان من الجيداء فانها لم تزل سائرة الى ان وصلت للعراق ونساء بني عبس قدامها تساق فرات قبائل العربان قد وصل اكثرها الى النعمان وقد امتلات منهم ساحات تلك القيعان وهو يهب الشجعان ويكرم الفرسان فتقدمت الجيدا اليه وسلمت عليه وعرضت بين يديه حريم بني قراد واعمام عنترة بن شداد ففرح النعمان واستعجب وسالها عن معدي كرب فقالت ايها الملك انه قد سار الى جبال الردم بخمسة الاف فارس ماجد لياخذ بثار ابن عمه خالد وينوب عنك في هذا الامر الذي تجمعت من اجله الفرسان واعتنت فيه العربان فقال النعمان وحق النار ذات الدخان لقد اخطا معدي كرب بمسيره الى هذا الشيطان لان اخي الاسود كان معه عشرون الف عنان فاذهلهم وشتتهم هذا العبد الكشحان وما كان معه اكثر من مائة وخمسون فارس ولكنهم كمردة الابالس فقالت الجيدا ايها الملك انه ما جرى على اخيك هذا العطب الا من العطش والتعب وما كان معه احد كمعدي كرب الذي تهتز منه الجبال اذا غضب وانا الضامنة لك انه ياتيك بزهير ومن عنده من الفرسان وجميعهم مقيدون بحبال الذل والهوان ويكون راس عنترة عَلَى راس السنان فقال النعمان ان صح هذا المقال لاحكمنهُ في الجميع ليفعل ما يريد ويفرق اموالهم على بني زبيد وراى الربيع مالكاً وولده عمرو وقد اضناهما العذاب فالمهُ ذلك المصاب لانه برايه تسببت لهم هذه الاسباب واما عمارة فراى عبلة وعلم بما نالها وكاد يبكي لتغير حالها فقال للربيع ويلك يا اخي تقدم واسال النعمان لعله يطلق عبلة ونترضاها بالاحسان فقال له الربيع ويلك كيف ارجو اطلاق عبلة من النعمان واخوه الاسود عند ابن عمها بالذل والهوان ومعه في الاسر سبعة الاف من الفرسان فان في هذا الوقت لا نبلغ الامال ولا ينفع المقال ولكن اذا خلص الاسود وقتل عنترة وتمدد فلربما نبلغ حينئذ المقصود وما علمت ان النعمان قد اقسم بالمعبد الاكبر انه لا بد ان يصلب عبلة بجانب عنتر ويمحو من بني عبس الاثر هذا والعرب تجتمع من كل الاقطار حتى صار عند النعمان ثلاثون الف فارس كرار ما عدا

فبيلته المعروفة وقد ضاقت بهم ارض الحيرة والكوفة وكان اخر من قدم اليه بنو كندة مع اسدهم الكاسر الامير حجار بن عامر الموصوف بالشجاعة ومكارم الاخلاق الذي تخشاه جميع الافاق ولما وصل رفع قدره النعمان على سائر الفرسان واحضر له ولقومه الخلع والذهب واجلسه معه في اعلى الرتب ثم قام حجار وقال ايها الملك انك قد ارسلت وراءي فاعلمني بالسبب واخبرني هل احد قد خالف امرك فارسلني اليه وارح نفسك من التعب ولا اريد ان يساعدني احد من العرب فاجابه النعمان وهو يعلم ان حجاراً يقدر على ما قال لما له من سوابق الفعال انه ما عصي علي من له قدر ولا شان وانما هو عبد من عبيد بني عبس وعدنان الا انه قد اسعده الزمان وجعل له هذا القدر والشان . ثم حدثه بحديث عنتر واخبره عمن قتل ومن اسر فطار من اجفان حجار الشرر لما سمع ذلك الخبر وقال ايها الملك انك قد ضيعت هيبة الملك وخرقت الناموس بمعاداتك لهذا العبد المنحوس ولو انك اعلمتني ابتداء بهذا العبد الاسود لكان انفصل الامر ولم يعلم به احد والان انا اقسم برب السماء ومن علم آدم الاسماء لاقلعن اثار الاعداء ولا سرت اليهم الا بمائة فارس و يبلغك خبري اذا التقت الفوارس واذا سمعت بفعالي تصدق مقالي ولا بد ان اقود ساداتهم اسارى وابقي الملك زهير واولاده اذلا حيارى واتيك براس عنتر على قنا وابلغك منه غاية المنى فقال النعمان اذا ظفرت بعنتر واتيت به سالماً جعلتك باموالي محكماً وحاكماً لان قصدي اوقفه على مقاله بعد ان اعذبه بتقطيع اوصاله على ان معدي كرب قد سار اليه بخمسة الاف من قومه ووعد انه يكفينا شره من يومه لا سيما وان له عنده ثار ونحن الآن بانتظار الاخبار فاذا لم يبلغ منه الامل سرت انت اليه في العجل وار بنا ما تقدر عليه من العمل فعند ذلك رجع حجار الى قومه وهو يعض كفيه ندامة و يتحسر انه لم يكن السابق لعنتر لينال اعظم كرامة وفي تلك الايام وصل كتاب معدي كرب الى الجيداء يطلب منها الخلاص والفداء ولما قراته وفهمت معناه ضاق عليها الكون بمداه وقامت الى النعمان واعلمته بما كان فزادت به الاكدار وغاص في بحر الافتكار ثم جمع ارباب الدولة وامراء العرب واخبرهم بحال معدي كرب وما كتب وما فعل بهم عنتر من الويل والحرب واستشارهم في ما يفعل فسكتوا جميعاً من الانذهال والعجب . قال النعمان وقد زاده سكوتهم غماً لا بد لي من المسير اليه بنفسي ومن اجتمع عندي لاشفي منه فوادي بيدي وان لم افعل انفطر كبدي على اني اعلم اني البس العار عند الكبير والصغير اذ سرت الى هذا العبد الحقير وجعلته نظيري وبئس النظير ولكن اذا بلغت المرام لا ابالي بما يقال من الكلام فقال وزيره عمرو بن نفيلة العدوي ايها الملك المهاب ليس

هذا الامر من الصواب لا تبلغ به غرض ولا يشفى لك مرض لانك اذا سرت الى عنتر بهذه الامم وراى ان ليس له مقدرة على قتال هذا الجيش العرمرم يقول لك اما ان ترحل عني او اني اضرب رقبة اخيك الاسود ومن معه من بني لخم وانت ايها الملك الكريم اتبيع دم اخيك ومن معه من بني عمك بدم عبد زنيم فقال لا وحق النار والنور العظيم فقال الوزير خاص اولا اسراك من الذل والعار وافعل بعد ذلك ما تختار فان عندك نساء بني عبس و بني قراد وعبلة التي هو روح عنتر بن شداد ومن الصواب ان ترد عليهم جواب الكتاب وتقول له انا ما افدي معدي كرب الا بعمك مالك وان اردت عبلة ومن معها فاطلق الاسود ومن معه من آل لخم هنالك والا انفذت اليك راسها وصلبت من بقي من اناسها لانك اذا طلبت بعبلة اهل الدنيا وكانوا في قبضته اهلكتهم من ساعته فلما سمع النعمان هذا الجواب رآه عين الصواب

فقال ايها الوزير انا لا ارى على نفسي ان اخاطب هذا العبد بكتاب فدبر انت واكتب الى الملك زهير لعله يكون اهدى الى الصواب والخير فعند ذلك كتب الوزير كما يريد وختم الكتاب بالوعيد والتهديد وقال في اخر الكتاب وانا قد منعت الملك النعمان عن المسير اليكم وقدومه بعساكره الكثيرة عليكم والصواب ان تطلقوا اخاه الاسود ومن معه من بني لخم قبل ان ينزل بكم الفنا والندم ويزيد عليكم غيظه والنقم و يسير اليكم بفرسان العرب والعجم فيقلع منكم الاثر ولا يترك من يخبر عنكم بخبر . ثم عاد الكتاب على النعمان وارسله مع نجاب وارسل معه عشرة فرسان النجاب واقام هو ومن عنده ينتظرون الجواب وسمعت باسر معدي كرب قبائل العرب فما فيهم الا من تحير وتعجب ولما وصل النجاب الى باب المضيق منعه العبيد الذين جعلهم عنترة على ذلك المكان وقالوا قف حتى نأخذ لك الاذن من حامية عبس وعدنان فوقف الرسول وكاد يختنق من الزعل حتى اخذوا له الاذن بالدخول فدخل ولما وصل وسلم رآه عنتر وتبسم فرمى الرسول الكتاب الى الملك زهير فقرأه وعرف معناه واعاد على عنترة ما فيه فتوقدت عيناه فقال للرسول لولا انك صرت بحضرة الملك ضربت رقبتك وما سمعت رسالتك ايهددني صاحبك با و باش العرب وطناجير العجم الذين افعل بهم كما يفعل الذئب بالغنم فوحق البيت الحرام لحرمته لذيذ المنام واقلعن اثره بين الانام واما طلبه اخاه الاسود ومن معه من الاسرى فانا اطلق الجميع مع معدي كرب ايضاً حتى لا يقولوا اني اخشاهم اذا التقينا مرة اخرى ولكن اريد من النعمان ان يطلق ابنة عمي عبلة و يرد لها تاج كسرى وجميع ما اخذ عنها مفرغ والربيع من

الاموال ولا يضيعوالها ولا قيمة مقال فحينئذ ارسل له كل من عندنا منهم الرفيع والوضيع
فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد حالاً بالجواب فوصل الى الحيرة ودخل على النعمان
واخبره بما جرى وكان فقال له النعمان و يلك وزهير ما ابدى ولا اجاب لما سمعه يتكلم
بهذا الخطاب فقال لا والله ايها الملك المهاب فقال اذل الله رقبته فانه اضاع ناموسه
ونخوته ثم استشار وزيره في ذلك المقال فقال ايها الملك الراي انك ترد على عنترة عبلة وما لها
من المال فيطلق اخاك الاسود ومن معه من الرجال و بعد ذلك نقلع منه الاثر ولا نترك
من بني عبس من يخبر بخبر فعند ذلك احضر النعمان عبلة وسلمها تاجها ومالها وجميع ما
كان عنده من الملابس لها ولما راى ذلك الجوهر تنهد عليه وتحسر وقال لوزيره سير
القوم ودعهم يطلقون امرانا بلا عتب ولا لوم فعند ذلك اطلقهم الوزير من الاعتقال وقال
لمالك سر الى اهلك بالحال واحمد ابن اخيك عنتر الذي لولاه ما رات عينيك ابنتك
ولا شيئاً من المال وهكذا سيرهم بغاية الاكرام وزادلهم في الاهبة والنظام هذا ومالك يقول
للربيع الله ايك ابقوني هنا اقاسي البلا لا كبرو لا اعود اتصبح بوجه عنترة فقال عمارة وجميعنا
لهذا نبكي و نتحسر ومامنا من يلتذ بالحياة ما لا يصبح ذلك العبد قتيلاً بالفلاة فقال الربيع
بهذه الحسرة تموت انت وكل العرب و يفنى كل ضارب طنب و يبقى ذلك الشيطان سالماً
لا يلم به عطب فقال ابو عبلة والله لا بدلي من قتله ولو تعلق بالسحاب اوطار مع العقاب
ثم ودع الربيع وسار والعبيد بين يديه تسوق المال حتى وصلوا الى الجبال فجاء العبيد
واخبروا عنترة فركب باجناده وركب الملك زهير باولاده والتقى اصحاب الاموال باموالهم
وفرح اصحاب العيال بعيالهم وتقدم عنتر الى عمه مالك وهناه بالسلامة وقال له يا عماه
لا كان يوماً يصل اليك فيه اضامة فتشكره مالك وقال له يا ابا الفوارس مادمت لنا نعيش
ونبقى ولا يصل الينا ذل وشقا واخبره بما فعلت بهم الاعداء وختم كلامه بحديث الجيداء
ثم قال وكل هذه الخسارة كانت من الربيع وعمارة لانك لما سرت وتركتنا موكلين بالربيع
ومفرج بن هلال ومن معه من الرجال خدع الربيع بعض العبيد ومن معه من الرفاق
فحلهم من الوثاق فثاروا علينا ونحن في باب الشعاب وكان اكثرنا نياماً فاذاقونا الاسر
والعذاب ولولا هيبتك واسرك لمعدي كرب لكانت الجيداء اذاقتنا كل مر وكرب فقال
عنترة وقد اظهر البشاشة والحلم صدقت وانا عندي من هذا الكلام بعض العلم وسامحه
بتلك الفعلة وقبل عذره من اجل عبلة ثم عدل الى عبلة وسلم عليها وقبلها بين عينيها
وسالها عن اموالها التي كانت فاقدة فقالت والله يا ابن العم ما فقد منها ولا حبة واحدة

بالله لو اخفى النعمان من مالك بقية عقال اضربتُ رقبة اخيه الاسود ومن معه من الرجال وكنت اخرب العراق واقيم الحرب على قدم وساق واخرب السودان واصبهان وبلاد العجم وخراسان ثم دخل الجميع الوادي بالاستبشار والفرح وامر عنتر شيبوباً باطلاق الاسرى واخراجهم خارج الجبال حفاة عراة في اسوا الاحوال فقال الاسود لعنترة ويلك اما تخاف من مذمة العرب اذا اصيرتنا رجالاً مافينا من معه شيء يركب ولا له ما كل ولا مشرب فقال عنترة ما يلومني على فعلي هذا احد من العالمين لاني اعلم انكم عن قليل تعودون الى قتالي اجمعين فالخيل التي اعطيكم اياها تلقاكم عليها يوم المجال واما الماكل والمشرب فقدامكم من العشب ما يسد الرمق ونحن محاصرون في هذه الجبال واقل شيء ينفعنا وقت القتال على انني وحق الواحد الاحد ما كان بخاطري ان اطلق منكم لا ابيض ولا اسود بل كنت اريد ان اضرب رقابكم واقطع انسابكم وماذا عسى ان تقول بني العرب اكثر من قولهم اني عبد رق ليس لي حسب ولا نسب وهذا تقولونه وغيركم من اصحاب النفوس المعتزة ولو اسرتكم واطلقتكم الف مرة وكان الصواب قتلكم وتاكم واريح نفسي من بلاكم وهذا لا يفوتكم لانكم ارذال فجر ولا يؤدبكم الا عنتر فسيروا واشكروا رب السماء على سلامتكم من هذا البلاء واذا وصلتم الى النعمان وانتم على هذا الحال ازداد عليَّ حنقاً واغلظ المقال وربما اتاني بجحفل واثار عليَّ السهل والجبل وانا هذا قصدي حتى اغني من اموالهم عسكري وجندي فقال الاسود ويحك يا ابا الفوارس لا تفعل بحق النار والمعابد لاني ماقدر على مشي فرسخ واحد فمن عليَّ بما يحملني والا ارحني من هذا العذاب واقتلني فعند ذلك قال لشيبوب اعطيه ناقة تحمل جثته ودعه يسير عاجلاً والا ضربت رقبته . قال الاصمعي هذا ما كان من عنتر لابخلاً على المال ولكن اراد ان يري الاسود في نفسه الاذلال ويعلمه ان ما له عنده مقدار ولا يختار له على مال هذا وشيبوب قد ذهب كرهاً واتى بناقة ضعيفة جرباء عوراء فلما رآها الاسود هان عليه خروج نفسه وحلف انه لا يركبها ولو نزل في رمسه وخرج من الوادي وهو يهمهم ويشتم النار كيف تركت هذا العبد يبلغ المقدار وعند ذلك احضر عنترة معدي كرب الى بين يديه وجز ناصيته من بين عينيه وقال هذا جزاء ما فعلت في الجيداء مع ابنة عمي عبلة من الاهانة والثقلة واني اقسم بالله لولا ظفري بك لكانت قتلتها شر قتلة ثم اطلقه فلحق برفقته وقد احنقه الغيظ والخجل بجز ناصيته ولما رآه الاسود قال اذل الله بني عبس كما رفعوا شان هذا الكلب ابن الكلاب وتباً لهذا الزمان الذي حكم بهذه الاسباب فوالله ان ضرب الرقاب اهون علينا من هذا العذاب

ولم يزالوا على هذه الوتيرة الى ان قاربوا مدينة الحيرة فوصل الخبر للنعمان فركب والتقى اخاه الاسود ولما رآه كادت مرارته تنشق من الحرد وكان قد سمع بما جرى فلم يسأله شيئًا عما صار بل اركبه من جنائبه وسار وعلا حينئذ ضجيج الفرسان وهم يقولون مرنا ايها الملك بالمسير الى هذا العبد حتى نكشف عنا العار فقال النعمان خذوا للمسير والحرب اهبة وانا اسير معكم هذه النوبة فاما ان ننتصر عليه وندينه الاهوال واما ان ينتصر علينا ويمسي قتلى على تلك الرمال فتقدم اليه حجار بن عامر وقال ايها الملك ماهذا التدبير الذي يعود علينا بالويل والخبال ولماذا تسير انت بنفسك في هذه الجيوش العظيمة الى عبد ليس له قدر ولا قيمة وعندك من ينوب عنك بهذه الاحوال ويأتيك بهم نساء ورجالاً بالاسر والاذلال وانا الضامن تتميم هذا المقال فقال النعمان والله لاسير بنفسي اليه ومن عمل قدامي شيئًا جازيته عليه لانه لا بد ان يكون كسرى قد علم ببعض ماجرى وجعل علينا من يراقب ويرى وان لم ابادر الامر بنفسي يأخذ المملكة مني ويعطيها لغيري من ابناء جنسي فتأهبوا لنغتنم الفرصة قبل فوات الاغتنام ونسير جميعنا والسلام فعند ذلك تفرقت الابطال واخذت تتأهب للقتال ورجع حجار وهو يقول لقومه وحق ذمة العرب لقد دخل على الملك خوف عظيم من هذا العبد الزنيم ولولا اختشائي معصيته والخروج من طاعته لسرت اليه وحدي وقضيت هذا العمل بلا تطويل ورجعت قبل ان يتأهب للرحيل

انتهى الجزء الرابع عشر من سيرة عنترة العبسي
ويليه الجزء الخامس عشر

انتهي المجلد الاول ويليه المجلد الثاني

يطلب من مكتبة الكمال لصاحبيها
انيس وكمال بكداش
شمالي الحديقة البلدية بالقرب من دار الحكومة السنية

